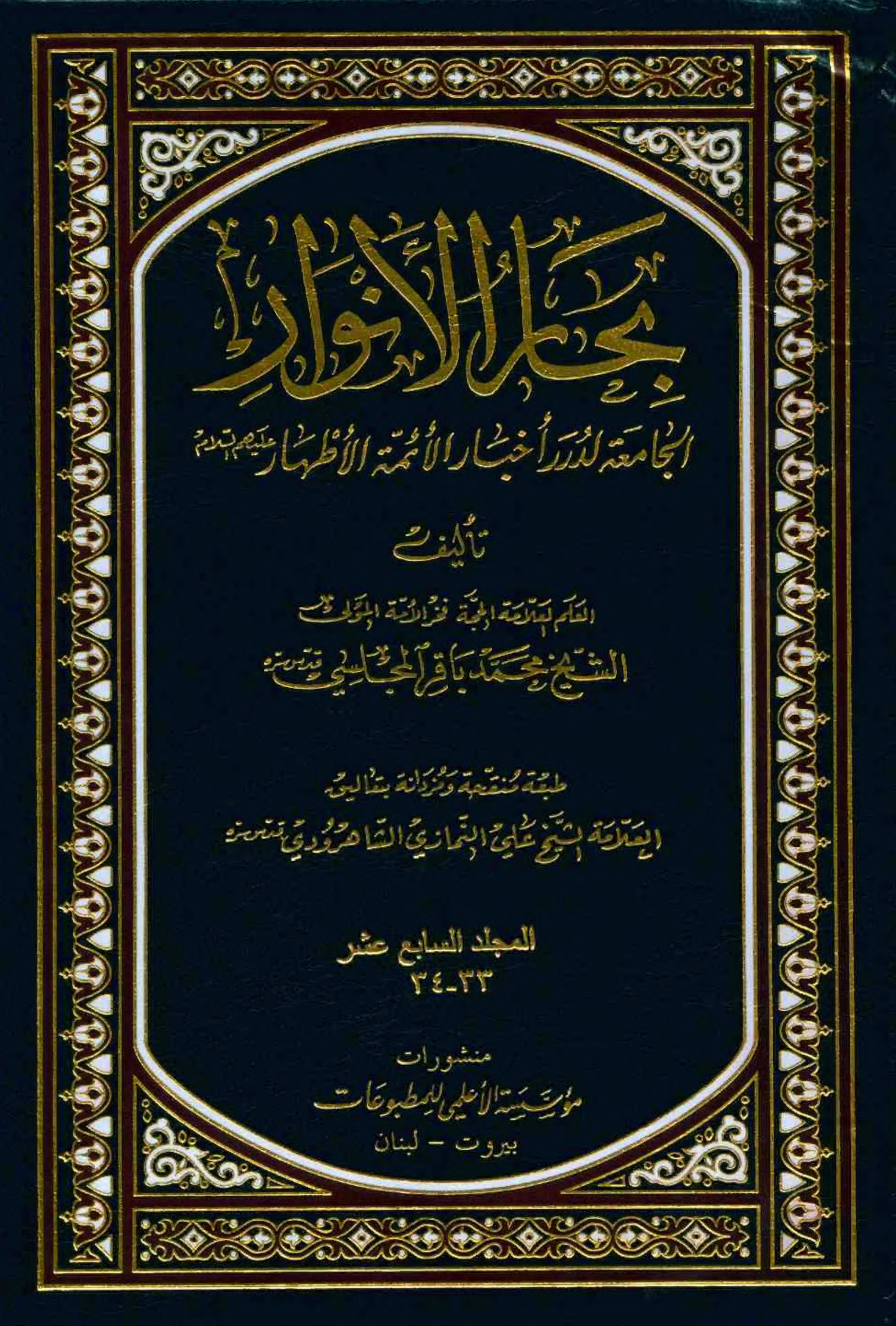


بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العالم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد السابع عشر
٣٣-٣٤
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان



بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

٣٢ - ٣٤

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الثالث والثلاثون

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب: ٧١٢٠

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

صندوق بريد:٧١٢٠

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com

http://www.alaalami.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١٣ - باب شهادة عمّار رضي الله عنه وظهور بغي الفئة الباغية بعدما كان أبين من الشمس الضاحية وشهادة غيره من أتباع الأئمة الهادية

٣٦٤ - **ج:** روي عن الصادق عليه السلام أنه لمّا قتل عمّار بن ياسر رحمة الله عليه ارتعدت فرائص خلق كثير وقالوا: قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عمار تقتله الفئة الباغية» فدخل عمرو بن العاص على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين قد هاج النّاس واضطربوا قال: لماذا؟ قال: قتل عمّار. قال: فماذا؟ قال: أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تقتله الفئة الباغية فقال له معاوية: دحضت في قولك أنحن قتلناه إنما قتله عليّ بن أبي طالب لمّا ألقاه بين رماحنا فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب عليه السلام فقال: فإذاً رسول الله صلى الله عليه وآله هو الّذي قتل حمزة وألقاه بين رماح المشركين[1]!

٣٦٥ - **لي:** ابن موسى عن الأسديّ عن النخعيّ عن إبراهيم بن الحكم عن محمّد بن الفضيل عن مسعود الملائيّ عن حبّة العرنيّ قال: أبصر عبد الله بن عمرو رجلين يختصمان في رأس عمّار رضي الله عنه يقول هذا: أنا قتلته ويقول هذا: أنا قتلته فقال ابن عمرو: يختصمان أيّهما يدخل النّار أولاً. ثمّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قاتله وسالبه في النار. فبلغ ذلك معاوية لعنه الله فقال مانحن قتلناه وإنّما قتله من جاء به. قال الصدوق رحمه الله يلزمه على هذا أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله قاتل حمزة رضي الله عنه وقاتل الشهداء معه لأنه صلى الله عليه وآله هو الّذي جاء بهم[2].

٣٦٦ - **لي:** وبهذا الإسناد عن إبراهيم بن الحكم عن عبيد الله بن موسى عن سعد بن أوس عن بلال بن يحيى العبسي قال: لمّا قتل عثمان أتوا حذيفة فقالوا: يا أبا عبد الله قتل هذا الرّجل وقد اختلف النّاس فما تقول؟ قال: أمّا إذا أتيتم فأجلسوني قال: فأسندوه إلى صدر رجل منهم فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أبو اليقظان على الفطرة ثلاث مرات لن يدعها حتّى يموت[3].

٣٦٧ - **ما:** المفيد عن محمّد بن الحسن المقري عن الحسن بن عليّ بن عبد الله عن عيسى ابن مهران عن الفضل بن دكين عن موسى بن قيس عن الحسين بن أسباط قال: سمعت عمّار ابن ياسر رحمه الله يقول عند توجهه إلى صفّين: اللّهمّ لو أعلم أنّه أرضا لك أن أرمي بنفسي من فوق هذا الجبل لرميت بها ولو أعلم أنّه أرضى لك أن أوقد لنفسي ناراً فأوقع فيها لفعلت وإنّي

---

(١) الاحتجاج، ص ١٨١.

(٢) - (٣) أمالي الصدوق، ص ٣٣٠ مجلس ٦٣ ح ٧-٨.

لا أقاتل أهل الشّام إلا وأنا أريد بذلك وجهك وأنا أرجو أن لا تخيبني وأنا أريد وجهك الكريم[١].

٣٦٨ - **ص:** الصّدوق عن أحمد بن محمّد الشحّام عن عبد الرحمن بن أبي حاتم عن عمر الأوديّ عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختريّ قال: قال عمّار ﵁ يوم صفّين: ائتوني بشربة لبن. فأتي فشرب ثمّ قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن. ثم تقدّم فقتل فلمّا قتل أخذ خزيمة بن ثابت بسيفه فقاتل وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتل عمّاراً الفئة الباغية وقاتله في النّار فقال معاوية: ما نحن قتلناه إنّما قتله من جاء به[٢].

٣٦٩ - **يج:** روي عن أمّ سلمة قالت: كان عمّار ينقل اللّبن بمسجد رسول الله ﷺ وكان ﷺ يمسح التراب عن صدره ويقول: تقتلك الفئة الباغية[٣].

٣٧٠ - **قب:** كثر أصحاب الحديث على شريك وطالبوه بأنّه يحدّثهم بقول النبيّ ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية» فغضب وقال: أتدرون أن لا فخر لعليّ أن يقتل معه عمّار إنّما الفخر لعمار أن يقتل مع عليّ ﵇[٤].

٣٧١ - **كش:** ابن قتيبة عن الفضل عن محمّد بن سنان عن حمران عن أبي جعفر ﵇ قال: قلت: ماتقول في عمار. قال: رحم الله عمّاراً. - [كرر هذا] ثلاثاً - قاتل مع أمير المؤمنين ﵇ وقتل شهيداً. قال: قلت في نفسي: ما تكون منزلة أعظم من هذه المنزلة فالتفت إليّ فقال: لعلّك تقول مثل الثلاثة هيهات هيهات قال: قلت: وما علمه أنّه يقتل في ذلك اليوم؟ قال: إنّه لمّا رأى الحرب لايزداد إلا شدّة والقتل لايزداد إلا كثرة ترك الصّف وجاء إلى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين هو هو؟ قال: ارجع إلى صفك فقال له ذلك ثلاث مرات كلّ ذلك يقول له: ارجع إلى صفك فلمّا أن كان في الثالثة قال له: نعم فرجع إلى صفه وهو يقول:

اليوم ألقى الأحبّه محمّداً وحزبه

بيان: الثلاثة سلمان وأبو ذرّ ومقداد﵃ قوله: «هو هو» أي هذا وقت الوعد الّذي وعدت من الشهادة.

٣٧٢ - **كش:** خلف بن محمّد عن عبيد بن محمود عن هاشم بن القاسم، عن شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت قيس بن أبي حازم قال: قال عمّار بن ياسر: ادفنوني في ثيابي فإنّي مخاصم[٥].

توضيح: أي إنّي أريد أن أخاصم قاتلي عند الله فلا تسلبوني ثيابي لتكون لي شاهداً

(١) أمالي الطوسي، ص ١٧٦ مجلس ٦ ح ٢٩٧. (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢١٠.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٦٨ ح ١٢٦. (٤) - (٥) رجال الكشي، ص ٣١ ح ٣.

وحجّة أو هو كناية عن الشهادة بالحقّ فإنّه يلزمه المخاصمة أي إنّي شهيد حقيقة وحكمه أن يدفن بثيابه.

٣٧٣ - **كش:** خلف عن عبيد بن حميد عن أبي نعيم عن سفيان عن حبيب عن أبي البختريّ قال: أتي عمّار يومئذ بلبن فضحك ثمَّ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: آخر شراب تشربه من الدنيا مذقة من لبن حتّى تموت.

في خبر آخر أنّه قال: آخر زادك من الدّنيا ضياح من لبن[١].

توضيح: المذقة بالفتح والضم: اللبن الممذوق أي المخلوط بالماء قال في النهاية: المَذَق: المزج والخلط يقال: مذقت اللبن فهو مذيق إذا خلطته بالماء والمذقة: الشربة من اللبن الممذوق. والضياح بالفتح أيضاً: اللبن الرقيق الممزوج بالماء.

٣٧٤ - **كش:** خلف عن الفتح بن عمرو الورّاق عن يزيد بن هارون عن العوّام بن حوشب عن أسود بن مسعدة عن حنظلة بن خويلد قال: إنّي لجالس عند معاوية إذ أتاه رجلان يختصمان في رأس عمّار يقول كلّ واحد منهما أنا قتلته فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكم نفساً لصاحبه فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية. فقال معاوية لا تغني عنّا بجنونك يابن عمرو فما بالك معنا قال إنّي معكم ولست أقاتل إنّ أبي شكاني إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال لي رسول الله أطع أباك ما دام حيّاً ولا تعصه فإنّي معكم ولست أقاتل[٢].

بيان: قال في النهاية: يقال: أغن عنّي شرك أي اصرفه وكفّه.

٣٧٥ - **كشف:** في هذا الحرب قتل أبو اليقظان عمّار بن ياسر رضي الله عنه وقد تظاهرت الروايات أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: عمّار بن ياسر جلدة بين عيني تقتله الفئة الباغية.

وفي صحيح مسلم عن أُمّ سلمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعمار: يقتلك الفئة الباغية.

قال ابن الأثير وخرج عمّار بن ياسر على النّاس فقال: اللّهمَّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته اللّهمَّ إنّك تعلم لو أنّي أعلم أنّ رضاك في أن أضع ظبة سيفي في بطني ثمَّ أنحني عليها حتّى تخرج من ظهري لفعلت وإنّي لا أعلم اليوم عملاً أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو أعلم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته والله إنّي لأرى قوماً ليضربنّكم ضرباً يرتاب منه المبطلون والله لو ضربونا حتّى بلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل.

ثم قال: من يبتغي رضوان ربّه فلا يرجع إلى مال ولا ولد. فأتاه عصابة فقال: اقصدوا بنا هؤلاء القوم الّذين يطلبون بدم عثمان والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنّهم ذاقوا الدنيا واستحقبوها وعلموا أنّ الحقّ إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرّغون فيه منها ولم يكن لهم

(١) - (٢) رجال الكشي، ص ٣١.

سابقة يستحقّون بها طاعة النّاس والولاية عليهم فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: إمامنا قتل مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً فبلغوا ما ترون ولولا هذه الشبهة ما تبعهم رجلان من النّاس اللّهمَّ إن تنصرنا فطالما نصرت وإن تجعل لهم الأمر فاذخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم.

ثم مضى ومعه العصابة فكان لا يمرّ بواد من أودية صفّين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ. ثم جاء إلى هاشم بن عتبة بن أبي الوقّاص وهو المرقال وكان صاحب راية عليّ عليه السلام فقال: يا هاشم أعوراً وجبناً؟ لا خير في أعور لا يغشى الناس اركب يا هاشم فركب ومضى معه وهو يقول:

أعـور يـبـغـي أهـلـه مـحـلّا قـد عـالـج الـحـيـاة حـتّـى ملّا

وعمّار يقول: تقدّم يا هاشم الجنّة تحت ظلال السيوف والموت تحت أطراف الأسل وقد فتحت أبواب السّماء وزيّنت الحور العين اليوم ألقى الأحبة محمّداً وحزبه.

وتقدم حتّى دنا من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعت دينك بمصر تبّاً لك تبّاً لك فقال: لا ولكن أطلب بدم عثمان. قال له: [هيهات «خ ل»] أشهد على علمي فيك أنّك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله تعالى وأنّك إن لم تقتل اليوم تمت غداً فانظر إذا أُعطي النّاس على قدر نيّاتهم ما نيّتك لغد فإنّك صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ وهذه الرابعة ما هي بأبرّ ولا أتقى ثمَّ قاتل عمّار ولم يرجع وقتل.

قال حبّة بن جوين العُرنيّ قلت لحذيفة بن اليمان: حدّثنا فإنّا نخاف الفتن. فقال: عليكم بالفئة الّتي فيها ابن سمية فإنَّ رسول الله ﷺ قال: يقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق وإنّ آخر رزقه ضياح من لبن. قال حبّة فشهدته يوم قتل يقول: ائتوني بآخر رزق لي من الدنيا. فأتي بضياح من لبن في قدح أروح بحلقة حمراء! فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة فقال:

الـيـوم ألـقـى الأحـبّـه مـحـمّـداً وحـزبـه

وقال: والله لو ضربونا حتّى بلغونا سعفات هجر لعلمت أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل. ثم قتل رضي الله عنه قيل قتله أبو العادية واجتز رأسه ابن جوى السكسكي وكان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن.

ونقلت من مناقب الخوارزميّ قال: شهد خزيمة بن ثابت الأنصاريّ الجمل وهو لايسلّ سيفاً وصفّين وقال: لا أصلّي أبداً خلف إمام حتّى يقتل عمّار فأنظر من يقتله فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية.

قال: فلمّا قتل عمّار قال خزيمة: قد حانت لي الصلاة ثمَّ اقترب فقاتل حتّى قتل.

وكان الّذي قتل عمّاراً أبو عادية المري طعنه برمح فسقط وكان يومئذ يقاتل وهو ابن أربع

وتسعين سنة فلمّا وقع أكبّ عليه رجل فاجتزّ رأسه فأقبلا يختصمان كلاهما يقول: أنا قتلته. فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النّار! فسمعها معاوية فقال لعمرو: وما رأيت مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما تختصمان في النّار فقال عمرو: هو والله ذلك وإنك لتعلمه ولوددت أني متّ قبل هذا بعشرين سنة.

وبالإسناد عن أبي سعيد الخدريّ قال: كنّا نعمر المسجد وكنّا نحمل لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين فرآه النبيّ صلى الله عليه وآله فجعل ينفض التراب عن رأس عمّار ويقول: يا عمّار ألا تحمل كما يحمل أصحابك؟ قال: إنّي أريد الأجر من الله تعالى قال: فجعل ينفض التراب عنه ويقول: ويحك تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنّة ويدعونك إلى النّار وقال عمّار: أعوذ بالرّحمن - أظنّه قال: - من الفتن.

قال أحمد بن الحسين البيهقيّ: وهذا صحيح على شرط البخاري.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه عمرو حين قتل عمّار: أقتلتم عمّاراً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال؟ فقال عمرو لمعاوية: أتسمع ما يقول عبد الله؟ فقال: إنّما قتله من جاء به وسمعه أهل الشّام فقالوا: إنّما قتله من جاء به فبلغت عليّاً عليه السلام فقال: [إذاً] يكون النبيّ صلى الله عليه وآله قاتل حمزة رضي الله عنه لأنّه جاء به.

ونقلت عن مسند أحمد بن حنبل عن عبد الله بن الحارث قال: إنّي لأسير مع معاوية في منصرفه من صفّين بينه وبين عمرو بن العاص قال: فقال عبد الله بن عمرو: يا أبه أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: ويحك يا ابن سميّة تقتلك الفئة الباغية؟ قال: فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا؟ فقال معاوية: ما يزال يأتينا بهنة أنحن قتلناه؟ إنّما قتله الّذين جاؤا به!.

ومن مسند أحمد أيضاً عن محمّد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت [قال] ما زال جدّي كافّاً سلاحه يوم الجمل حتّى قتل عمّار بصفين فسلّ سيفه فقاتل حتّى قتل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يقتل عمّاراً الفئة الباغية.

ومن المسند عن عليّ عليه السلام أنّ عمّاراً استأذن على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: الطيب المطيّب ائذن له. ومن المناقب عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيّوب الأنصاريّ فقلنا: يا أبا أيّوب إنّ الله أكرمك بنبيّه صلى الله عليه وآله إذ أوحى إلى راحلته فبركت على بابك وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ضيفاً لك فضيلة فضلك الله بها أخبرنا عن مخرجك مع عليّ؟ قال: فإنّي أقسم لكما إنّه كان رسول الله في هذا البيت الّذي أنتما فيه وليس في البيت غير رسول الله وعليّ جالس عن يمينه وأنا عن يساره وأنس قائم بين يديه إذ تحرّك الباب فقال عليه السلام: انظر من بالباب فخرج أنس وقال: هذا عمّار بن ياسر فقال: افتح لعمّار الطيب المطيّب. ففتح أنس ودخل عمّار فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله فرحّب به وقال: إنّه ستكون بعدي في أُمّتي هنات حتّى يختلف السّيف فيما

بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً وحتى يبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإن سلك النّاس كلّهم وادياً وسلك عليّ وادياً فاسلك وادي عليّ وخلّ عن النّاس إنّ عليّاً لا يردّك عن هدى ولا يدلّك على ردى. يا عمّار طاعة عليّ طاعتي وطاعتي طاعة الله[1].

توضيح: قوله عليه السلام: «جلدة بين عيني» وفي بعض الروايات «جلدة ما بين عيني وأنفي» وعلى التقديرين كناية عن غاية الاختصاص وشدّة الاتّصال.

وقال في النهاية: في حديث عمّار: «لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر» السعفات جمع سعفة بالتحريك وهي أغصان النخيل. وقيل: إذا يبست سمّيت سعفة فإذا كانت رطبة فهي شطبة. وإنّما خصّ «هجر» للمباعدة في المسافة ولأنّها موصوفة بكثرة النخل «وهجر» اسم بلد معروف بالبحرين. وفي القاموس: احتقبه واستحقبه: ادّخره. وفي الصحاح: احتقبه واستحقبه بمعنى أي احتمله ومنه قيل: احتقب فلان الإثم كأنّه جمعه واحتقبه من خلفه.

وفي النهاية: العوار بالفتح وقد يضم العيب وقيل: انّهم يقولون للرديء من كلّ شيء من الأمور والأخلاق أعور وكلّ عيب وخلل في شيء فهو عورة. والأسل محركة: الرماح. قوله: «أظنه» أي قال الخدريّ أظنّ أنّ عمّاراً قال: أعوذ بالرحمن من الفتن.

وفي النهاية فيه: «ستكون هنات وهنات» أي شرور وفساد يقال: في فلان هنات: أي خصال شرّ ولا يقال في الخير وواحدها هنت وقد يجمع على هنوات وقيل واحدها هنة تأنيث هنّ وهو كناية عن كلّ اسم جنس.

٣٧٦ -**نص:** أبو المفضّل الشيبانيّ عن محمّد بن الحسين بن حفص عن عبّاد بن يعقوب عن عليّ بن هاشم عن محمّد بن عبد الله عن أبي عبيدة بن محمّد بن عمّار عن أبيه عن جدّه عمّار قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض غزواته وقتل عليّ عليه السلام أصحاب الألوية وفرق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي وقتل شيبة بن نافع أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله إنّ عليّاً قد جاهد في الله حقّ جهاده فقال: لأنّه منّي وأنا منه وارث علمي وقاضي ديني ومنجز وعدي والخليفة بعدي ولولاه لم يعرف المؤمن المحض بعدي حربه حربي وحربي حرب الله وسلمه سلمي وسلمي سلم الله ألا إنّه أبو سبطيّ والأئمّة بعدي من صلبه يخرج الله تعالى الأئمّة الراشدين ومنهم مهدي هذه الأُمّة فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا المهدي قال: يا عمّار إنّ الله تبارك وتعالى عهد إليّ أنّه يخرج من صلب الحسين أئمّة تسعة والتاسع من ولده يغيب عنهم وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[2] يكون له غيبة طويلة يرجع عنها قوم ويثبت عليها آخرون فإذا كان

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ٢٥٩-٢٦١. (٢) سورة الملك، الآية: ٣٠.

في آخر الزمان يخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً ويقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل وهو سميّي وأشبه النّاس بي.

يا عمّار سيكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فاتبع عليّاً وحزبه فإنّه مع الحقّ والحق معه.

يا عمّار إنّك ستقاتل بعدي مع عليّ صنفين الناكثين والقاسطين ثمّ يقتلك الفئة الباغية.

قلت: يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله ورضاك؟ قال: نعم على رضا الله ورضاي ويكون آخر زادك شربة من لبن تشربه.

فلما كان يوم صفّين خرج عمّار بن ياسر إلى أمير المؤمنين ﵇ فقال له يا أخا رسول الله أتأذن لي في القتال؟ قال: مهلاً رحمك الله فلمّا كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله فأعاده ثالثاً فبكى أمير المؤمنين ﵇ فنظر إليه عمّار فقال: يا أمير المؤمنين إنّه اليوم الّذي وصف لي رسول الله ﷺ فنزل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن بغلته وعانق عمّاراً وودّعه ثمّ قال: يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله وعن نبيّك خيراً فنعم الأخ كنت ونعم الصاحب كنت ثمّ بكا ﵇ وبكا عمّار ثمّ قال: والله يا أمير المؤمنين ما تبعتك إلا ببصيرة فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم حنين: يا عمّار ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فاتّبع عليّاً وحزبه فإنّه مع الحقّ والحقّ معه وستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين. فجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الإسلام أفضل الجزاء فلقد أدّيت وبلّغت ونصحت ثمّ ركب وركب أمير المؤمنين ﵇ ثمّ برز إلى القتال.

ثم دعا بشربة من ماء فقيل: ما معنا ماء فقام إليه رجل من الأنصار فأسقاه شربة من لبن فشربه ثمّ قال: هكذا عهد إليّ رسول الله ﷺ أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة من اللّبن.

ثم حمل على القوم فقتل ثمانية عشر نفساً فخرج إليه رجلان من أهل الشّام فطعناه فقتل ﵀. فلما كان اللّيل طاف أمير المؤمنين في القتلى فوجد عمّاراً ملقى فجعل رأسه على فخذه ثمّ بكا ﵇ وأنشأ يقول:

أيا موت كم هذا التفرّق عنوة ... فلست تبقي لي خليل خليل
أراك بصيراً بالذين أحبّهم ... كأنك تمضي نحوهم بدليل[1]

بيان: الشعر في الديوان هكذا:

ألا أيّها الموت الّذي ليس تاركي ... أرحني فقد أفنيت كلّ خليل
أراك مضرّاً بالذين أحبّهم ... كأنّك تنحو نحوهم بدليل

وروى الشارح عن ابن أعثم أنّ عمّاراً ﵁ لمّا برز يوم صفّين قال: أيّها النّاس هل من رائح إلى الله تطلب الجنّة تحت ظلال الأسنّة اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه.

---

(١) كفاية الأثر، ص ١٢٠.

فطعنه ابن جون في صدره فرجع وقال: اسقوني شربة من ماء فأتاه راشد مولاه بلبن فلمّا رآه كبر وقال: هذا ما أخبرني به حبيبي رسول الله ﷺ بأنّ آخر زادي من الدّنيا ضياح من لبن فلمّا شرب خرج من مكان الجرح وسقط وتوفي رحمه الله فأتاه عليّ عليه السلام وقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون إنّ أمرأ لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمّار فما هو في الإسلام من شيء ثمّ صلّى عليه وقرأ هاتين البيتين.

٣٧٧ - **ختص:** عن محمّد بن الحسن عن محمّد بن أبي القاسم عن محمّد بن عليّ عن نصر بن أحمد عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن محمّد بن إسحاق عن صالح بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن عوف قال: حدّثني شيخ من أسلم شهد صفّين مع القوم قال: والله إنّ النّاس على سكناتهم فما راعنا إلا صوت عمّار بن ياسر حين اعتدلت الشمس أو كادت تعتدل وهو يقول: أيّها النّاس من رائح إلى الجنّة كالظمآن يرى الماء؟ ما الجنّة إلا تحت أطراف العوالي اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه.

يا معشر المسلمين اصدقوا الله فيهم فإنّهم والله أبناء الأحزاب دخلوا في هذا الدين كارهين حين أذلّتهم حدّ السيوف وخرجوا منه طائعين حتّى أمكنتهم الفرصة.

وكان يومئذ ابن تسعين سنة قال: فوالله ماكان إلا الإلجام والإسراج.

وقال عمّار حين نظر إلى راية عمرو بن العاص إنّ هذه الراية قد قاتلتنا ثلاث عركات وما هي بأرشدهنّ ثمّ حمل وهو يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحقّ إلى سبيله يا ربّ إنّي مؤمن بقيله

ثمّ استسقى عمّار واشتدّ ظمؤه فأتته امرأة طويلة اليدين ما أدري أعسّ معها أم إداوة فيها ضياح من لبن [فشربه] وقال الجنّة تحت الأسنّة اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه.

والله لو هزمونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل.

ثم حمل وحمل عليه ابن جوين السكسكي وأبوالعادية الفزاريّ فأمّا أبو العادية فطعنه وأمّا ابن جوين اجتز رأسه لعنهما الله[1].

إيضاح: العالية: أعلى الرمح والجمع: العوالي. وفي الصحاح: لقيته عركة بالتسكين أي مرّة ولقيته عركات أي مرّات.

٣٧٨ - **مد:** من صحيح مسلم بأسانيد عن أبي سعيد الخدريّ قال: أخبرني من هو خير منّي أنّ رسول الله ﷺ قال لعمّار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: أبشر ابن سميّة يقتلك فئة باغية.

(١) الاختصاص، ص ١٠.

وبأسانيد أيضاً عن أمّ سلمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعمّار: تقتلك الفئة الباغية.

وبسند آخر عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقتل عمّاراً الفئة الباغية.

ومن الجمع بين الصحيحين للحميديّ الحديث السادس عشر من إفراد البخاريّ من الصحيح عن عكرمة قال: قال لي ابن عبّاس ولابنه عليّ: انطلقا إلى أبي سعيد الخدريّ واسمعا من حديثه. فانطلقنا فإذا هو في حائط له يصلحه فأخذ رداءه واحتبى ثمَّ أنشأ يحدّثنا حتّى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنّا نحمل لبنة لبنة وعمّار اثنتين اثنتين فرآه النبيّ صلى الله عليه وآله فجعل ينفض التراب عنه ويقول: ويح عمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار وكان يقول عمّار: أعوذ بالله من الفتن. ثم ذكر الخبر بسند آخر عن عكرمة مثله.

ثم قال: قال الحميدي وفي هذا الحديث زيادة مشهورة لم يذكرها البخاريّ أصلاً في طريق هذا الحديث ولعلّها لم تقع إليه أو وقعت فحذفها لغرض قصده.

وأخرجه أبو بكر البرقاني وأبو بكر الإسماعيلي قبله وفي هذا الحديث عندهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ويح عمّار تقتله الفئة الباغية ويدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار.

قال أبو مسعود الدمشقيّ في كتابه: لم يذكر البخاريّ هذه الزيادة وهي في حديث عبد الله ابن المختار وخالد بن عبد الله الواسطيّ ويزيد بن زريع ومحبوب بن الحسن وشعبة كلّهم عن خالد الحذّاء وروى إسحاق عن عبد الوهّاب هكذا.

قال: وأمّا حديث عبد الوهّاب الّذي أخرجه البخاريّ [من] دون [تلك] الزيادة فلم يقع إلينا من غير حديث البخاري. هذا آخر معنى ما قاله أبو مسعود(١).

أقول: قال [ابن الأثير] في [مادّة: «ويح - ويس» من كتاب] النهاية: فيه قال لعمّار: «ويح ابن سميّة تقتله الفئة الباغية» ويح كلمة ترحم وتوجّع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها. وقد يقال بمعنى المدح والتعجب وهي منصوبة على المصدر وقد ترفع وتضاف ولا تضاف يقال: ويح زيد وويحاً له وويح له.

ثم قال: وفيه قال لعمّار: «ويس ابن سميّة» وفي رواية «يا ويس ابن سميّة» ويس كلمة [تقال] لمن يرحم ويرفق [به] مثل «ويح» وحكمها حكمها.

٣٧٩-كش: جعفر بن معروف عن محمّد بن الحسين عن جعفر بن بشير عن حسين بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أقواماً يزعمون أنّ عليّاً صلوات الله عليه لم يكن إماماً حتّى أشهر سيفه. [قال]: خاب إذن عمّار وخزيمة بن ثابت وصاحبك أبو عمرة وقد خرج يومئذٍ صائماً بين الفئتين بأسهم فرمى بها قربى يتقرب بها إلى الله حتّى قتل يعني عمّاراً(٢).

بيان: لعلّ المعنى أنّهم [ما] كانوا يعتقدون إمامته عليه السلام قبل أن يشهر سيفه فيكونوا من

---

(١) العمدة، ص ١٦٨ ح ٥٤٠.
(٢) رجال الكشي، ص ٣٥.

الخائبين بتلك العقيدة ولعلّ التخصيص لأنّهم كانوا أعرف بهذا الوصف عند السائل من غيرهم والظاهر أنّ الزاعمين [هم] الزيدية المشترطون في الإمامة الخروج بالسيف.

قوله عليه السلام: «صائماً» يمكن أن يكون صائماً ابتداءً ثمّ اضطر إلى شرب اللبن أو شَربَه تصديقاً لقول النبيّ صلى الله عليه وآله. وقال السيّد الداماد قدّس سره: «صائماً» أي قائماً واقفاً ثابتاً للقتال من الصّوم بمعنى القيام والوقوف يقال: صام الفرس صوماً أي قام على غير اعتلاف وصام النّهار صوماً إذا قام قائم الظهيرة واعتدل. والصوم: ركود الرّيح ومصام الفرس ومصامته موقفه والصوم أيضاً الثبات والدوام والسكون وما صائم ودائم وقائم وساكن بمعنى.

والباء في «بأسهم» للملابسة والمصاحبة. أو خرج بين الفئتين وكان صائماً بالصيام الشرعي والباء أيضاً للملابسة أو من الصوم بمعنى البيعة أي خرج مبايعاً على بذل المهجة في سبيل الله أو خرج بين صفّيْ الفئتين دامياً بأسهم من قولهم صام النّعام أي رمى بذرقه وهو صومه فالباء للصّلة أو الدّعامة فقد جاء الصوم بهذه المعاني كلّها في الصّحاح وأساس البلاغة والمعرب والمغرب والقاموس والنّهاية انتهى.

أقول: قد مضى كثير من أخبار هذا الباب في باب فضائل عمّار وفي باب مطاعن عثمان.

٣٨٠ - كتاب صفّين لنصر بن مزاحم عن سفيان الثوري وقيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ عن عليّ عليه السلام قال جاء عمّار بن ياسر يستأذن على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ائذنوا له مرحباً بالطيب المطيّب.

وعن سفيان بن سعيد عن سلمة بن كهيل عن مجاهد عن النبيّ صلى الله عليه وآله حين رآهم يحملون الحجارة حجارة المسجد فقال: ما لهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار وذاك دأب الأشقياء الفجار. وعن سفيان عن الأعمش عن أبي عمّار عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لقد ملئ عمّار إيماناً إلى مشاشه.

وعن الحسن بن صالح عن أبي ربيعة الأيادي عن الحسن عن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الجنّة لتشتاق إلى ثلاثة عليّ وعمّار وسلمان.

وعن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: لمّا بني المسجد جعل عمّار يحمل حجرين حجرين فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا اليقظان لا تشقّ على نفسك. قال: يا رسول الله إنّي أحبّ أن أعمل في هذا المسجد قال: ثمّ مسح ظهره ثمّ قال: إنّك من أهل الجنّة تقتلك الفئة الباغية.

وعن حفص بن عمران الأزرق البرجمي عن نافع بن عمر الجمحي عن ابن مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه: لولا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بطواعيتك ما سرت هذا المسير أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: تقتلك الفئة الباغية.

وعن حفص بن عمران البرجمي عن عطاء بن السائب عن أبي البختريّ قال: أصيب أويس القرني مع عليّ بصفّين.

وعن عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب الجهنيّ أنّ عمّار بن ياسر نادى يومئذٍ: أين من يبغي رضوان ربّه ولا يؤوب إلى مال ولا ولد؟ قال: فأتته عصابة من النّاس فقال: يا أيّها النّاس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الّذين يبغون دم عثمان ويزعمون أنّه قتل مظلوماً والله إن كان إلا ظالماً لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله.

ودفع عليّ الراية إلى هاشم بن عتبة وكان عليه درعان فقال له عليّ عليه السلام كهيئة المازح: أيا هاشم أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً؟ قال: ستعلم يا أمير المؤمنين والله لألفنّ بين جماجم القوم لفّ رجل ينوي الآخرة. فأخذ رمحاً فهزّه فانكسر ثمَّ أخذ آخر فوجده جاسياً فألقاه ثمَّ دعا برمح ليّن فشدّ به لواءه.

ولما دفع عليّ عليه السلام الراية إلى هاشم قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب هاشم: اقدم ما لك يا هاشم قد انتفخ سحرك عوراً وجبناً قال: من هذا قالوا فلان قال: أهلها وخير منها إذا رأيتني صرعت فخذها ثمَّ قال لأصحابه: شدّوا شسوع نعالكم وشدّوا أزركم فإذا رأيتموني قد هززت الراية ثلاثاً فاعلموا أنّ أحداً منكم لا يسبقني إليها ثمَّ نظر هاشم إلى عسكر معاوية فرأى جمعاً عظيماً فقال: من أولئك؟ قالوا: أصحاب ذي الكلاع ثمَّ نظر فرأى جنداً آخر فقال: من أولئك قالوا: جند أهل المدينة قريش قال: قومي لا حاجة لي في قتالهم قال: من عند هذه القبة البيضاء؟ قيل معاوية وجنده فحمل حينئذ يرقل إرقالاً.

وعن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: لمّا كان قتال صفّين والراية مع هاشم بن عتبة جعل عمّار بن ياسر يتناوله بالرمح ويقول: أقدم يا أعور.

لا خير في أعور لا يأتي الفزع

قال: فجعل يستحيي من عمّار وكان عالماً بالحرب فيتقدم فيركز الراية إذا شامت إليه الصفوف قال عمّار: أقدم يا أعور.

لاخير في أعور لايأتي الفزع

فجعل عمرو بن العاص يقول: إنّي لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم. فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وجعل عمّار يقول: صبراً عباد الله الجنّة في ظلال البيض.

قال: وكانت علامة أهل العراق بصفّين الصّوف الأبيض قد جعلوه في رؤوسهم وعلى أكتافهم وشعارهم يا الله يا أحد يا صمد يا رحيم. وكانت علامة أهل الشّام خرقاً بيضاً قد جعلوها على رؤوسهم وأكتافهم وكان شعارهم نحن عباد الله حقّاً يا لثارات عثمان.

قال: فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد فما تحاجزنا حتّى حجز بيننا سواد اللّيل وما يرى رجلاً منّا ولا منهم مولّياً فلمّا أصبحوا وذلك يوم الثلاثاء خرج النّاس إلى مصافهم فقال أبو نوح: فكنت في خيل عليّ عليه السلام فإذا أنا برجل من أهل الشّام يقول: من يدلّني على الحميريّ

أبي نوح؟ قال: قلت: فقد وجدته فمن أنت؟ قال: أنا ذو الكلاع سر إليّ فقال أبو نوح: معاذ الله أن أسير إليك إلا في كتيبة قال ذو الكلاع: سرفلك ذمّة الله وذمّة رسوله وذمّة ذي الكلاع حتّى ترجع إلى خيلك فإنّما أريد بذلك أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه.

فسارا حتّى التقيا فقال ذوالكلاع: إنّما دعوتك أحدّثك حديثاً حدّثنا عمرو بن العاص في إمارة عمر بن الخطاب. قال أبو نوح: وما هو؟ قال: حدّثنا عمرو بن العاص أنّ رسول الله ﷺ قال: يلتقي أهل الشّام وأهل العراق وفي إحدى الكتيبتين الحقّ وإمام الهدى ومعه عمّار بن ياسر قال أبو نوح: لعمرو الله إنّه لفينا. قال: أجادّ هو على قتالنا؟ قال أبو نوح: نعم وربّ الكعبة لهو أشدّ على قتالكم منّي.

فقال ذو الكلاع: هل تستطيع أن تأتي معي صفّ أهل الشّام فأنا لك جار منهم حتّى تلقى عمرو بن العاص فتخبره عن عمّار وجدّه في قتالنا لعلّه يكون صلحاً بين هذين الجندين فقال له أبو نوح: إنّك رجل غادر وأنت في قوم غدُر وإن لم تكن تريد الغدر أغدروك وإنّي أن أموت أحبّ إليّ من أن أدخل مع معاوية وأدخل في دينه وأمره. فقال ذو الكلاع: أنا جار لك من ذلك أن لا تقتل ولا تسلب ولا تكره على بيعة ولا تحبس عن جندك وإنّما هي كلمة تبلغها عمراً لعلّ الله أن يصلح بين هذين الجندين ويضع عنهم الحرب والسّلاح.

فسار معه حتّى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله النّاس وعبد الله بن عمرو يحرّض النّاس فلمّا وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو: يا [أ] با عبد الله هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمّار بن ياسر ولا يكذبك؟قال عمرو: من هذا معك؟ قال: هذا ابن عمّي وهو من أهل الكوفة فقال له عمرو: إنّي لأرى عليك سيماء أبي تراب. قال أبو نوح: عليّ سيماء محمّد ﷺ وأصحابه وعليك سيماء أبي جهل وسيماء فرعون.

فقام أبو الأعور فسلّ سيفه ثمّ قال: لا أرى هذا الكذّاب يشاتمنا بين أظهرنا وعليه سيماء أبي تراب فقال ذو الكلاع: أقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأحطمنّ أنفك بالسيف ابن عمّي وجاري عقدت له ذمّتي وجئت به إليكم ليخبركم عمّا تماريتم فيه.

فقال له عمرو: أذكّرك بالله يا أبا نوح إلا ما صدقت أفيكم عمّار بن ياسر؟ فقال له أبو نوح: ما أنا بمخبرك عنه حتّى تخبرني لم تسأل عنه؟ فإنّ معنا من أصحاب رسول الله ﷺ غيره وكلّهم جادّ على قتالكم. قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ عماراً تقتله الفئة الباغية وإنّه ليس ينبغي لعمّار أن يفارق الحقّ ولن تأكل النّار منه شيئاً.

فقال أبو نوح: لا إله إلا الله والله أكبر والله إنّه لفينا جاد على قتالكم فقال عمرو: والله إنّه لجادّ على قتالنا؟ قال: نعم والله الّذي لا إله إلا هو لقد حدّثني يوم الجمل أنّا سنظهر عليهم ولقد حدّثني أمس أن لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّهم على باطل ولكانت قتلانا في الجنّة وقتلاهم في النار.

فقال له عمرو: هل تستطيع أن تجمع بينه وبيني؟ قال: نعم فلمّا أراد أن يبلغه أصحابه ركب عمرو بن العاص وابناه وعتبة بن أبي سفيان وذو الكلاع وأبو الأعور السلمي وحوشب والوليد بن أبي معيط فانطلقوا حتّى أتوا خيولهم.

وسار أبو نوح ومعه شرحبيل بن ذي الكلاع حتّى انتهى إلى أصحابه فذهب أبو نوح إلى عمّار فوجده قاعداً مع أصحابه مع ابني بديل وهاشم والأشتر وجارية بن المثنّى وخالد بن المعمّر وعبدالله بن حجل وعبدالله بن العبّاس فقال أبو نوح: إنّه دعاني ذو الكلاع وهو ذو رحم فذكر ما جرى بينه وبينهم وقال: أخبرني عمرو بن العاص أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: عمّار تقتله الفئة الباغية.

فقال عمّار: صدق وليضرّ به ما سمع ولا ينفعه فقال أبو نوح: إنّه يريد أن يلقاك فقال عمّار لأصحابه: اركبوا قال: ونحن اثنا عشر رجلاً بعمّار فسرنا حتّى لقيناهم ثمّ بعثنا إليهم فارساً من عبد القيس يسمّى عوف بن بشر فذهب حتّى كان قريباً من القوم ثمّ نادى أين عمرو بن العاص؟ قالوا: هاهنا فأخبره بمكان عمّار وخيله فقال عمرو: فليسر إلينا فقال عوف: إنّي أخاف غدراتك ثمّ جرى بينهما كلمات تركتها إلى أن قال:

أقبل عمّار مع أصحابه فتواقفا فقال عمرو: يا أبا اليقظان أذكّرك الله إلا كففت سلاح أهل هذا العسكر وحقنت دمائهم فعلامَ تقاتلنا أولسنا نعبد إلهاً واحداً ونصلي قبلتكم وندعو دعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن برسولكم؟ قال: الحمد لله الّذي أخرجها من فيك إنّها لي ولأصحابي القبلة والدّين وعبادة الرّحمن والنبيّ والكتاب من دونك ودون أصحابك وجعلك ضالاً مُضِلاً لا تعلم هادٍ أنت أم ضالّ وجعلك أعمى وسأخبرك على ما قاتلتك عليه أنت وأصحابك أمرني رسول الله ﷺ أن أقاتل الناكثين ففعلت وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم. وأمّا المارقون فما أدري أدركهم أم لا.

أيّها الأبتر ألست تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» وأنا مولى الله ورسوله وعليّ بعده وليس لك مولى.

فقال له عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء قال عمرو: فعليّ قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ عليّ قتله وعليّ معه قال عمرو: أكنت فيمن قتله؟ قال: أنا مع من قتله وأنا اليوم أقاتل معه. قال: فلم قتلتموه؟ قال: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه.

قال عمرو: ألا تستمعون قد اعترف بقتل إمامكم؟ قال عمّار: وقد قالها فرعون قبلك: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾. فقال أهل الشّام ولهم زجل فركبوا خيولهم ورجعوا فبلغ معاوية ما كان بينهم فقال له: هلكت العرب إن أخذتهم خفّة العبد الأسود يعني عمّاراً.

وخرج [عمّار] إلى القتال وصفّت الخيول بعضها لبعض وزحف النّاس وعلى عمّار درع وهو يقول: أيّها النّاس الرواح إلى الجنّة. فاقتتل النّاس قتالاً شديداً لم يسمع النّاس بمثله

وكثرت القتلى حتّى أن كان الرّجل ليشدّ طنب فسطاطه بيد الرّجل أو برجله فقال الأشعث: لقد رأيت أخبية صفّين وأروقتهم وما منها خباء ولا رواق ولا بناء ولا فسطاط إلا مربوطاً بيد رجل أو رجله.

وجعل أبو سماك الأسديّ يأخذ إداوة من ماء وشفرة حديد فيطوف في القتلى فإذا رأى رجلاً جريحاً وبه رمق أقعده وسأله من أمير المؤمنين عليه السلام فإن قال: عليّ غسل عنه الدم وسقاه من الماء، وإن سكت وجاه بسكّين حتّى يموت قال: فكان يسمّى المخضخض.

وعن عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبيّ عن الأحنف بن قيس قال: والله إنّي إلى جانب عمّار فتقدّمنا حتّى إذا دنونا من هاشم بن عتبة قال له عمّار: احمل فداك أبي وأمي ونظر عمّار إلى رقّة في الميمنة فقال له هاشم: رحمك الله يا عمّار إنّك رجل تأخذك خفّة في الحرب وإنّي إنّما أزحف باللواء زحفاً وأرجو أن أنال بذلك حاجتي وإنّي إن خففت لم آمن الهلكة وقد قال معاوية لعمرو: ويحك يا عمرو إنّ اللّواء مع هاشم كأنّه يرقل به إرقالاً وإن زحف به زحفاً إنّه لليوم الأطول لأهل الشّام فلم يزل به عمّار حتّى حمل فبصر به معاوية فوجّه إليه جملة أصحابه ومن برز بالناس منهم في ناحيته وكان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو ومعه سيفان قد تقلّد بواحد وهو يضرب بالآخر وأطافت به خيل عليّ فقال عمرو: يا الله يا رحمان ابني ابني وكان يقول معاوية: اصبر اصبر فإنّه لا بأس عليه قال عمرو: لو كان يزيد إذاً لصبرت ولم يزل حماة أهل الشّام يذبّون عنه حتّى نجا هارباً على فرسه ومن معه وأصيب هاشم في المعركة.

قال: وقال عمّار حين نظر إلى راية عمرو بن العاص: والله إنّ هذه الراية قد قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بأرشدهنّ.

وساق الحديث نحو رواية الاختصاص إلى قوله: فأمّا أبوالعادية فطعنه وأمّا ابن جوين فإنّه اجتزّ رأسه فقال ذو الكلاع لعمرو: ويحك ما هذا؟ قال عمرو إنّه سيرجع إلينا وذلك قبل أنّ يصاب عمّار فأصيب عمّار مع عليّ وأصيب ذو الكلاع مع معاوية.

فقال عمرو: والله يا معاوية ما أدري بقتل أيّهما أنا أشد فرحاً والله لو بقي ذوالكلاع حتّى يقتل عمّار لمال بعامّة قومه ولأفسد علينا جندنا. قال: فكان لايزال رجل يجيء فيقول: أنا قتلت عمّاراً فيقول له عمرو: فما سمعتموه يقول فيخلطون حتّى أقبل [ابن] جوين فقال: أنا قتلت عمّاراً فقال له عمرو: فما كان آخر منطقه؟ قال: سمعته يقول: اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه.

فقال له عمرو: صدقت أنت صاحبه أما والله ما ظفرت بذلك ولكن أسخطت ربّك.

وعن عمرو بن شمر عن إسماعيل السدّيّ عن عبد خير الهمدانيّ قال: نظرت إلى عمّار بن ياسر رمى رمية فأغمي عليه ولم يصلّ الظهر والعصر ولا المغرب ولا العشاء ولا الفجر ثمّ أفاق فقضاهنّ جميعاً يبدأ بأوّل شيء فاته ثم الّتي تليها.

وعن عمرو بن شمر عن السدّيّ عن ابن حريث قال: أقبل غلام لعمّار بن ياسر اسمه راشد يحمل شربة من لبن فقال عمّار: أما إنّي سمعت خليلي رسول الله ﷺ [قال]: إنّ آخر زادك من الدنيا شربة لبن.

وعن عمرو بن شمر عن السدّيّ عن يعقوب بن الأوسط قال: احتج رجلان بصفّين في سلب عمّار بن ياسر وفي قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما: ويحكما اخرجا عنّي فإن رسول الله ﷺ قال: ولعت قريش بعمّار ما لهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار قاتله وسالبه في النّار [قال:] فبلغني أنّ معاوية قال: إنما قتله من أخرجه! يخدع بذلك طغام أهل الشام.

وعن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي الزبير عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ ابن سميّة لم يخيّر بين أمرين قطّ إلا اختار أشدّهما.

وفي حديث عمر بن سعد قال: حمل عمّار بن ياسر وهو يقول:

كلا وربّ البيت لا أبرح أجي حتّى أموت أو أرى ما أشتهي
أنا مع الحقّ أقاتل مع علي صهر النبيّ ذي الأمانات الوفي

إلى آخر الأبيات. قال: فضربوا أهل الشّام حتّى اضطرّوهم إلى الفرات.

قال: ومشى عبد الله بن سويد سيّد جُرَش إلى ذي الكلاع فقال له: لم جمعت بين الرجلين؟ قال: لحديث سمعته من عمرو ذكر أنّه سمعه من رسول الله ﷺ وهو يقول لعمّار ابن ياسر تقتلك الفئة الباغية.

فخرج عبد الله بن عمر العبسيّ وكان من عبّاد أهل زمانه ليلاً فأصبح في عسكر عليّ عليه السلام فحدّث النّاس بقول عمرو في عمّار فلمّا سمع معاوية هذا القول بعث إلى عمرو فقال: أفسدت عليّ أهل الشّام أكل ما سمعته من رسول الله ﷺ تقوله؟ فقال عمرو: قلتها ولست والله أعلم الغيب ولا أدري أنّ صفّين تكون وعمّار خصمنا وقد رويت أنت فيه مثل الّذي رويت فيه فاسأل أهل الشام. فغضب معاوية وتنمّر لعمرو ومنعه خيره فقال عمرو: لا خير لي في جوار معاوية إن تجلّت هذه الحرب عنّا وكان عمرو حميّ الأنف فقال في ذلك:

تعاتبني أن قلت شيئاً سمعته وقد قلت لو أنصفتني مثله قبلي
وما كان لي علم بصفّين أنّها تكون وعمّار يحثّ على قتلي
فلو كان لي بالغيب علم كتمتها وكابدت أقواماً مراجلهم تغلي

إلى آخر الأبيات.

ثم أجابه معاوية بأبيات تشتمل على الاعتذار فأتاه عمرو وأعتبه وصار أمرهما واحداً.

ثم إنّ عليّاً عليه السلام دعا هاشم بن عتبة ومعه لواءه وكان أعور وقال: حتّى متى تأكل الخبز وتشرب الماء؟ فقال هاشم: لأجهدنّ أن لا أرجع إليك أبداً قال عليّ عليه السلام: إنّ بإزائك ذا

الكلاع وعنده الموت الأحمر فتقدّم هاشم وتعرّض له صاحب لواء ذي الكلاع فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم فقتله وكثرت القتلى فحمل ذو الكلاع فاجتلد النّاس فقتلا جميعاً.

وأخذ ابن هاشم اللّواء فأسر أسراً فأُتي به معاوية فلمّا دخل عليه وعنده عمرو بن العاص قال: يا أمير المؤمنين هذا المختال ابن المرقال فدونك الضب اللاحظ فإن العصا من العصيّة وإنّما تلد الحيّة حيّة وجزاء السّيئة سيئة.

فقال له ابن هاشم: ما أنا بأوّل رجل خذله قومه وأدركه يومه قال معاوية: تلك ضغائن صفّين وما جنا عليك أبوك! فقال عمرو: يا أمير المؤمنين أمكنّي منه فأشخب أوداجه على أثباجه؟! فقال له ابن هاشم: أفلا كان هذا يا ابن العاص حين أدعوك إلى البراز وقد ابتلّت أقدام الرجال من نقع الجريال إذ تضايقت بك المسالك وأشرفت فيها على المهالك وأيم الله لولا مكانك منه لنشبت لك منّي خافية أرميك من خلالها بأحدّ من وقع الأثافي فإنّك لا تزال تكثر في دهشك وتخبط في مرسك تخبّط العشواء في اللّيلة الحندس الظلماء. قال: فأعجب معاوية ما سمع من كلام ابن هاشم فأمر به إلى السجن وكفّ عن قتله.

وعن عمرو بن شمر عن السدّيّ عن عبد خير قال: لمّا صرع هاشم مرّ عليه رجل وهو صريع بين القتلى فقال له: أقرئ أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وقل له أنشدك الله إلا أصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بأرجل القتلى فإن الدّبرة تصبح غداً لمن غلب على القتلى فأخبر الرجل عليّاً بذلك فسار عليّ عليه السلام في بعض اللّيل حتّى جعل القتلى خلف ظهره وكانت الدبرة له عليهم.

وعن عمرو بن سعد عن رجل عن أبي سلمة أنّ هاشم بن عتبة دعا في الناس عند المساء ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل [إليّ] فأقبل إليه ناس فشدّ في عصابة من أصحابه على أهل الشّام مراراً فليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له وقوتل فيه قتالاً شديداً فقال لأصحابه: لا يهولنكم ما ترون من صبرهم فوالله ما ترون منهم إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها وإنّهم لعلى الضلال وإنّكم لعلى الحقّ يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا واصبروا وامشوا بنا إلى عدوّنا على تؤدة رويداً واذكروا الله ولا يسلمنّ رجل أخاه ولا تكثروا الالتفات واصمدوا صمدهم وجالدوهم محتسبين حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فقال أبو سلمة: فمضى في عصابة من القرّاء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه حتّى رأى بعض ما يسرّون به إذ خرج عليهم فتى شاب وشدّ يضرب بسيفه ويلعن ويشتم ويكثر الكلام فقال له هاشم: إنّ هذا الكلام بعده الخصام وإنّ هذا القتال بعده الحساب فاتق الله فإنّك راجع إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به قال: فإنّي أقاتلكم لأنّ صاحبكم لايصلّي كما ذكر لي وإنّكم لا تصلّون وأقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله! فقال له هاشم: وما أنت وابن عفّان إنّما قتله أصحاب محمّد وقرّاء النّاس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب وأصحاب محمّد هم أصحاب الدّين وأولى بالنظر في

أمور المسلمين وما أظنّ أنّ أمر هذه الأمّة ولا أمر هذا الدين هناك طرفة عين قط؟ قال الفتى أجل والله لا أكذب فإن الكذب يضرّ ولا ينفع ويشين ولا يزين فقال له هاشم: إنّ هذا الأمر لا علم لك به فخلّه وأهل العلم به. قال: أظنّك والله قد نصحتني فقال له هاشم: وأمّا قولك: فإن صاحبنا لا يصلّي فهو أوّل من صلّى لله مع رسوله صلى الله عليه وآله وأفقهه في دين الله وأولاه برسول الله وأمّا من ترى معه فكلّهم قارئ الكتاب لا ينام اللّيل تهجّداً فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون.

قال الفتى: يا عبد الله إنّي لأظنّك امرءاً صالحاً أخبرني هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم تب إلى الله يتب عليك قال فذهب الفتى راجعاً فقال رجل من أهل الشّام خدعك العراقي قال: لا ولكن نصحني. وقاتل هاشم هو وأصحابه قتالاً شديداً حتّى قتل تسعة نفر أو عشرة وحمل عليه الحارث بن المنذر فطعنه فسقط وبعث إليه عليّ عليه السلام أن قدّم لواءك فقال للرسول: انظر إلى بطني فإذا هو قد انشقّ فأخذ الراية رجل من بكر بن وائل ورفع هاشم رأسه فإذا هو بعبيدالله بن عمر بن الخطّاب قتيلاً إلى جانبه فجثا حتّى دنا منه فعضّ على ثديه حتّى تبينت فيه أنيابه ثمّ مات هاشم وهو على صدر عبيد الله وضرب البكريّ فوقع فأبصر عبيد الله فعضّ على ثديه الآخر ومات أيضاً فوجدا جميعاً ماتا على صدر عبيد الله.

ولما قتل هاشم جزع النّاس عليه جزعاً شديداً وأصيب معه عصابة من أسلم من القرّاء فمرّ عليهم عليّ عليه السلام وهم قتلى حوله فقال:

جزى الله خيراً عصبة أسلميّة	صباح الوجوه صُرّعوا حول هاشم
يزيد وعبدالله بشر ومعبد	وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم
وعروة لايبعد ثناه وذكره	إذا اخترط البيض الخفاف الصّوارم

ثمّ قام عبد الله بن هاشم وأخذ الراية.

ثم ساق الحديث إلى قوله: فأمرهم عليّ عليه السلام بالغدوّ إلى القوم فغاداهم إلى القتال فانهزم أهل الشّام وقد غلب أهل العراق على قتلى أهل حمص وغلب أهل الشّام على قتلى أهل العالية وانهزم عتبة بن أبي سفيان حتّى أتى الشام.

ثم إنّ عليّاً عليه السلام أمر مناديه فنادى في النّاس أن اخرجوا إلى مصافّكم فخرج النّاس إلى مصافّهم واقتتل النّاس إلى قريب من ثلث الليل[1].

بيان: قال الجوهريّ: الإرقال ضرب من الخبب وناقة مرقل ومرقال: إذا كانت كثيرة الإرقال. والمرقال لقب هاشم بن عتبة الزهريّ لأنّ عليّاً عليه السلام دفع إليه الراية يوم صفّين فكان

(١) وقعة صفين، ص ٣٢٣-٣٥٩.

يرقل بها إرقالاً. قوله: «سامت إليه الصفوف» في أكثر النسخ بالسين المهملة من قولهم: سامت الإبل والريح إذا مرّت واستمرّت أو من قولهم: سامت الطير على الشيء أي حامت ودامت وفي بعضها بالمعجمة من شاممته أي قاربته. قوله: «فدونك الضب» شبّهه بالضب لبيان كثرة حقده وشدّة عداوته. قال الجوهريّ: في المثل: أعقّ من ضبّ لأنّه ربما أكل حسوله. والضب: الحقد. تقول: أضب فلان على غلّ في قلبه أي أضمره ورجل خبّ ضبّ أي جربز مراوغ. وقال: في المثل: العصا من العصيّة أي بعض الأمر من بعض. وقال الزمخشريّ: في المستقصى: العصا من العصيّة هي فرس جزيمة والعصيّة أمّها يضرب في مناسبة الشيء سنخه وكانتا كريمتين ويُروى: العصا من العصية والأفعى بنت حيّة والمعنى أنّ العود الكبير ينشأ من الصّغير الّذي غرس أوّلاً يضرب للشيء الجليل الّذي يكون في بدئه حقيراً انتهى.

والثّبج بالتحريك ما بين الكاهل إلى الظهر وقال الجوهريّ: النقع: محبس الماء وكذلك ما اجتمع في البئر منه والمنقع الموضع يستنقع فيه الماء واستنقع الماء في الغدير أي اجتمع وثبت واستنقع الشيء في الماء على ما لم يسمّ فاعله. وقال: الجريال: صبغ أحمر عن الأصمعيّ وجريال الذهب: حمرته والجريال: الخمر. وجريال الخمر لونها وهنا كناية عن الدم. قوله: «بأحدّ من وقع الأثافي» لعلّ المراد بالأثافي هنا السمة الّتي تكوى بها قال الجوهريّ: المثفاة سمة كالأثافي وفي الأثافي مثل آخر مشهور قال في المستقصى: في الأمثال «رماه الله بثالثة الأثافي» يعمد إلى قطعة من الجبل فيضمّ إليها حجران ثمَّ ينصب عليها القدر والمراد بثالثتها تلك القطعة وهي مثل لأكبر الشرّ وأفظعه وقيل معناه أنّه رماه بالأثافي أثفية بعد أثفية حتّى رماه الله بالثالثة فلم يبق غاية والمراد أنّه رماه بالشرّ كله. قوله: «تكثر في دهشك» أي تكثر الكلام في تحيّرك وخوفك وفي بعض النسخ بالسّين المهملة وهو النّبْت لم يبق عليه لون الخضرة والمكان السهل ليس برمل ولا تراب. والمرسة: الحبل والجمع مرس. وفي بعض الروايات: تكثر في هوسك وتخبط في دهسك وتنشب في مرسك. والهوس: شدّة الأكل والسّوق اللين والمشي الّذي يعتمد فيه صاحبه على الأرض والإفساد والدوران أو بالتحريك: طرف من الجنون.

١٤ - باب ما ظهر من إعجازه عليه السلام في بلاد صفّين وسائر ما وقع فيها من النوادر

٣٨١ - **لي**: ماجيلويه عن عليّ عن أبيه عن أبي الصّلت الهرويّ عن محمّد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن حبيب بن الجهم قال: لمّا دخل بنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى بلاد صفّين نزل بقرية يقال لها «صندودا» ثمَّ أمرنا فعبرنا عنها ثمَّ عرّس بنا في أرض بلقع فقام إليه مالك بن الحارث الأشتر فقال: يا أمير المؤمنين، أتنزل

النّاس على غير ماء؟ فقال: يا مالك إنّ الله عزّوجلّ سيسقينا في هذا المكان ماءً أعذب من الشهد وألين من الزبد الزلال وأبرد من الثلج وأصفى من الياقوت فتعجّبنا ولا عجب من قول أمير المؤمنين عليه السلام ثمَّ أقبل يجرّ رداءه وبيده سيفه حتّى وقف على أرض بلقع فقال: يا مالك احتفر أنت وأصحابك فقال مالك: فاحتفرنا فإذا نحن بصخرة سوداء عظيمة فيها حلقة تبرق كاللّجين فقال لنا روموها فرمناها بأجمعنا ونحن مائة رجل فلم نستطع أن نزيلها عن موضعها فدنا أمير المؤمنين عليه السلام رافعاً يده إلى السّماء يدعو وهو يقول: «طاب طاب مربا بما لم طبيوثا بوثة شتميا كويا جاحا نوثا توديثا برحوثا آمين آمين ربّ العالمين ربّ موسى وهارون» ثمَّ اجتذبها فرماها عن العين أربعين ذراعاً.

قال مالك بن الحارث الأشتر: فظهر لنا ماء أعذب من الشهد وأبرد من الثلج وأصفى من الياقوت فشربنا وسقينا ثمَّ ردّ الصخرة وأمرنا أن نحثو عليها التراب.

ثم ارتحل وسرنا فما سرنا إلا غير بعيد قال: من منكم يعرف موضع العين؟ فقلنا: كلّنا يا أمير المؤمنين فرجعنا فطلبنا العين فخفي مكانها علينا أشدّ خفاء فظننا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد رهقه العطش فأومأنا بأطرافنا فإذا نحن بصومعة راهب فدنونا منها فإذا نحن براهب قد سقطت حاجباه على عينيه من الكبر فقلنا: يا راهب أعندك ماء نسقي منه صاحبنا؟ قال: عندي ماء قد استعذبته منذ يومين فأنزل إلينا ماءاً مراً خشناً فقلنا: هذا قد استعذبته منذ يومين؟ فكيف ولو شربت من الماء الّذي سقانا منه صاحبنا وحدّثناه بالأمر فقال: صاحبكم هذا نبيّ؟ قلنا: لا ولكنّه وصيّ نبيّ. فنزل إلينا بعد وحشته منّا وقال: انطلقوا بي إلى صاحبكم فانطلقنا به فلمّا بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال: شمعون قال الراهب: نعم شمعون هذا اسم سمّتني به أمّي ما اطلع عليه أحد إلا الله تبارك وتعالى ثمَّ أنت فكيف عرفته فأتمّ حتّى أُتمّه لك. قال: وما تشاء يا شمعون؟ قال: هذا العين واسمه قال: هذا العين «راحوما» وهو من الجنّة شرب منه ثلاثمائة وثلاثة عشر وصيّاً وأنا آخر الوصيّين شربت منه قال الراهب: هكذا وجدت في جميع كتب الانجيل وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله وأنّك وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله ثمَّ رحل أمير المؤمنين عليه السلام والراهب يقدمه حتّى نزل بصفّين ونزل معه بعابدين والتقى الصفّان فكان أوّل من أصابته الشهادة الراهب فنزل أمير المؤمنين عليه السلام وعيناه تهملان وهو يقول: المرء مع من أحبّ الراهب معنا يوم القيامة رفيقي في الجنّة[1].

بيان: البلقع والبلقعة: الأرض القفر الّتي لاماء بها.

٣٨٢ - **يج:** روي عن زاذان وجماعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قالوا: كنّا معه بصفّين فلمّا أن صاف معاوية أتاه رجل من ميمنته فقال: يا أمير المؤمنين في ميمنتك خلل

(١) أمالي الصدوق، ص ١٥٥ مجلس ٣٤ ح ١٤.

فقال: ارجع إلى مقامك فرجع ثمَّ أقبل ثانية فقال: يا أمير المؤمنين في ميمنتك خلل فقال: ارجع إلى مقامك فرجع ثمَّ أتاه ثالثة كأنّ الأرض لاتحمله فقال: يا أمير المؤمنين في ميمنتك خلل فقال عليه السلام: قف فوقف فقال عليه السلام: عليّ بمالك الأشتر [فأتاه مالك] فقال عليه السلام: يا مالك قال لبّيك يا أمير المؤمنين قال: ترى ميسرة معاوية قال: نعم. قال: ترى صاحب الفرس المعلم. قال: نعم. قال: الّذي عليه [القباء] الأحمر. قال: نعم. قال: انطلق فأتني برأسه فخرج مالك فدنا منه وضربه فسقط رأسه ثمَّ تناوله فأقبل به إلى أمير المؤمنين فألقاه بين يديه فأقبل عليّ عليه السلام على الرّجل فقال: نشدتك الله هل كنت إذ نظرت إلى هذا فرأيته وحليته وهو ملء قلبك فرأيت الخلل في أصحابك؟ قال: اللّهمَّ نعم فأقبل عليّ علينا ونحن حوله فقال: أخبرني بهذا والله رسول الله أفترونه بقي بعد هذا شيء؟ ثمَّ قال للرجل: ارجع إلى مقامك(١).

٣٨٣ - **يج:** روي عن أبي سعيد عقيصا قال: خرجنا مع عليّ عليه السلام نريد صفّين فمررنا بكربلاء فقال: هذا موضع الحسين عليه السلام وأصحابه ثمَّ سرنا حتّى انتهينا إلى راهب في صومعته وتقطّع النّاس من العطش وشكوا إلى عليّ عليه السلام ذلك وأنّه قد أخذ بهم طريقاً لا ماء فيه من البرّ وترك طريق الفرات فدنا من الرّاهب فهتف به وأشرف إليه قال: أقرب صومعتك ماء؟ قال: لا فثنى رأس بغلته فنزل في موضع فيه رمل وأمر النّاس أن يحفروا الرمل فحفروا فأصابوا تحته صخرة بيضاء فاجتمع ثلاثمائة رجل فلم يحرّكوها فقال عليه السلام: تنحّوا فإنّي صاحبها ثمَّ أدخل يده اليمنى تحت الصخرة فقلعها من موضعها حتّى رآها النّاس على كفّه فوضعها ناحية فإذا تحتها عين ماء أرقّ من الزلال وأعذب من الفرات فشرب النّاس واستقوا وتزوّدوا ثمَّ ردّ الصخرة إلى موضعها وجعل الرمل كما كان وجاء الراهب فأسلم وقال: إنّ أبي أخبرني عن جدّه وكان من حواري عيسى أنّ تحت هذا الرمل عين ماء وأنّه لا يستنبطها إلا نبيّ أو وصيّ نبيّ وقال لعليّ عليه السلام: أتأذن لي أن أصحبك في وجهك هذا قال عليه السلام: الزمني ودعا له ففعل فلمّا كان ليلة الهرير قتل الراهب فدفنه بيده وقال عليه السلام لكأنّي أنظر إليه وإلى منزله في الجنّة ودرجته الّتي أكرمه الله بها(٢).

٣٨٤ - **يج:** روي أنّه لمّا طال المقام بصفّين شكوا إليه نفاد الزّاد والعلف بحيث لم يجد أحد من أصحابه شيئاً يؤكل فقال عليه السلام طيبوا نفساً فإن غداً يصل إليكم ما يكفيكم فلمّا أصبحوا وتقاضوه صعد عليه السلام على تلّ كان هنالك ودعا بدعاء سأل الله أن يطعمهم ويعلف دوابّهم ثمَّ نزل ورجع إلى مكانه فما استقرّ إلا وقد أقبلت العير بعد العير عليها اللحمان والتمر والدقيق الميرِ بحيث امتلأت بها البراري وفرغ أصحاب الجمال جميع الأحمال من الأطعمة وجميع ما معهم من علف الدّواب وغيرها من الثياب وجلال الدواب وجميع ما يحتاجون إليه

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٧٦ ح ٩. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢٢٢ ح ٦٧.

حتّى الخيط والمخيط ثمَّ انصرفوا ولم يدر أحد من أي البقاع وردوا من الإنس أم من الجنّ وتعجّب النّاس من ذلك[1].

٣٨٥ - **يج:** روى عليّ بن حسّان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام يريد صفّين فلمّا عبر الفرات وقرب من الجبل وحضر وقت صلاة العصر أمعن بعيداً ثمَّ توضأ فأذن فلمّا فرغ من الأذان انفلق الجبل عن هامة بيضاء ولحية ووجه أبيض فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته مرحباً بوصيّ خاتم النبيّين وقائد الغرّ المحجّلين وسيّد الوصيين فقال عليّ عليه السلام: وعليك السّلام يا أخي شمعون بن حمون الصّفا ووصيّ روح القدس عيسى بن مريم كيف حالك؟ قال: بخير يرحمك الله أنا منتظر نزول روح القدس فاصبر يا أخي على ما أنت عليه من الأذى فاصبر يا أخي حتّى تلقى الحبيب غداً فلم أعلم أحداً أحسن بلاء في الله منكم ولا أعظم ثواباً ولا أرفع مكاناً وقد رأيت ما لقي أصحابك بالأمس من بني إسرائيل فإنّهم نشروا بالمناشير وصلبوا على الخشب فلو تعلم تلك الوجوه المارقة المفارقة لك ما أعدّ الله لها من عذاب النّار والسّخط والنكال لأقصرت، ولو تعلم هذه الوجوه المتمنّية بك ما لها من الثواب في طاعتك لتمنّت أن تقرض بالمقاريض وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال: والتأم عليه الجبل وخرج [عليّ عليه السلام] إلى القتال.

فسأله عمّار بن ياسر ومالك الأشتر وهاشم بن عتبة بن أبي وقّاص وأبو أيّوب الأنصاريّ وقيس بن سعد الأنصاريّ وعمرو بن الحمق الخزاعيّ وعبادة بن الصّامت عن الرّجل فأخبرهم أنّه شمعون بن حمون الصفا وكانوا قد سمعوا كلامهما فازدادوا بصيرة في المجاهدة معه. وقال عُبادة بن الصّامت وأبو أيوب: بأمّهاتنا وآبائنا نفديك يا أمير المؤمنين فوالله لننصرنّك كما نصرنا أخاك رسول الله والله ما تأخر عنك من المهاجرين والأنصار إلا شقي. فدعا لهما بالخير[2].

٣٨٦ - **جا:** عليّ بن بلال عن عليّ بن عبد الله الاصفهانيّ عن الثقفيّ عن إسماعيل بن يسار عن عبد الله بن ملح عن عبد الوهّاب بن إبراهيم عن أبي صادق عن مزاحم بن عبد الوارث عن محمّد بن زكريّا عن شعيب بن واقد عن محمّد بن سهل [عن أبيه] عن قيس مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام مثله[3].

٣٨٧ - **شي:** عن عبد الرحمن بن جندب [ظ] قال: لمّا أقبل النّاس مع أمير المؤمنين عليه السلام من صفّين أقبلنا معه فأخذ طريقاً غير طريقنا الّذي أقبلنا فيه حتّى إذا جزنا النخيلة ورأينا أبيات الكوفة إذا شيخ جالس في ظلّ بيت على وجهه أثر المرض فأقبل إليه أمير

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٥٤٣ ح ٤.
(٢) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٧٤٣ ح ٦٢.
(٣) أمالي المفيد، ص ١٠٥ مجلس ١٢.

المؤمنين ونحن معه حتّى سلّم عليه وسلّمنا معه فردّ رداً حسناً فظننا أنّه قد عرفه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما لي أرى وجهك منكسراً مصفاراً فمم ذاك أمن مرض؟ فقال: نعم. فقال: لعلّك كرهته؟ فقال: ما أحبّ أنّه يعتريني ولكن أحتسب الخير فيما أصابني قال: فأبشر برحمة الله وغفران ذنبك فمن أنت يا عبد الله؟ قال: أنا صالح بن سليم. قال: ممّن؟ قال: أمّا الأصل فمن سلامان بن طي وأمّا الجوار والدعوة فمن بني سليم بن منصور فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أحسن اسمك واسم أبيك واسم أجدادك واسم من اعتزيت إليه فهل شهدت معنا غزاتنا هذه؟ فقال: لا ولقد أردتها ولكن ما ترى فيَّ من لجب الحمّى خذلني عنها. فقال أمير المؤمنين: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ إلى آخر الآية [ثم قال: فخبرني] ما قول النّاس فيما بيننا وبين أهل الشام؟ قال: منهم المسرور والمحبور فيما كان بينك وبينهم وهم أغشّ النّاس لك فقال له: صدقت قال: ومنهم الكاسف الآسف لما كان من ذلك وأولئك نصحاء النّاس لك فقال له: صدقت جعل الله ما كان من شكواك حطّاً لسيّئاتك فإن المرض لا أجر فيه ولكن لا يدع على العبد ذنباً إلا حطّه وإنّما الأجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل وإنّ الله ليدخل بصدق النيّة والسريرة الصالحة [عالماً] جمّاً من عباده الجنّة(١).

بيان: قال الجوهريّ: حبرني هذا الأمر أي سرّني وقال: رجل كاسف البال أي سيئ الحال وكاسف الوجه أي عابس. والجمّ: الكثير.

٣٨٨ - **يل، فض:** بالإسناد يرفعه إلى عمّار بن ياسر رضي الله عنه قال: لمّا سار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى صفّين وقف بالفرات وقال لأصحابه: أين المخاض. فقالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين فقال لبعض أصحابه: امض إلى هذا التلّ وناد يا جلند أين المخاض؟ قال: فصار حتّى وصل تلّ ونادى يا جلند فأجابه من تحت الأرض خلق كثير! قال فبهت ولم يعلم ما يصنع فأتى إلى الإمام وقال: يا مولاي جاوبني خلق كثير فقال: يا قنبر امض وقل: يا جلند بن كركر أين المخاض؟ قال: فكلّمه واحد وقال: ويلكم من عرف اسمي واسم أبي وأنا في هذا المكان وقد بقي قحف رأسي عظم نخر رميم ولي ثلاث آلاف سنة ما يعلم المخاض؟ هو والله أعلم منّي يا ويلكم ما أعمى قلوبكم وأضعف نفوسكم ويلكم امضوا إليه واتّبعوه فأين خاض خوضوا معه فإنّه أشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله(٢).

بيان: مخاض الماء: الموضع الّذي يجوز النّاس فيه مشاةً وركباناً.

٣٨٩ - **يل، فض:** بالإسناد يرفعه إلى ابن عبّاس قال: أقبلنا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام من صفّين فعطش الجيش ولم يكن بتلك الأرض ماء فشكوا ذلك إلى وارث علم النبّوة فجعل

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٠٩ ح ٩٩ من سورة التوبة.

(٢) الفضائل لابن شاذان، ص ١٤.

يدور في تلك الأرض إلى أن استبطن البرّ فرأى صخرة عظيمة فوقف عليها وقال: السلام عليك أيّتها الصخرة فقالت: السلام عليك يا وارث علم النبوّة فقال لها: أين الماء؟ قالت: تحتي يا وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله قال: فأخبر النّاس بما قالت الصخرة له قال: فانكبوا إليها بمائة نفر فعجزوا أن يحرّكوها فعند ذلك قال عليه السلام: إليكم عنها ثمّ إنه عليه السلام وقف عليها وحرّك شفتيه ودفعها بيده فانقلبت كلمح البصر وإذا تحتها عين ماء أحلى من العسل وأبرد من الثلج فسقوا المسلمين وسقوا خيولهم وأكثروا من الماء ثمّ إنه عليه السلام أقبل إلى الصخرة وقال لها: عودي إلى موضعك قال ابن عبّاس: فجعلت تدور على وجه الأرض كالكرة في الميدان حتّى أطبقت على العين ثمّ رجعوا ورحلوا عنها(١).

٣٩٠ - يج: عن أبي هاشم الجعفريّ عن أبيه عن الصادق عليه السلام قال: لمّا فرغ عليّ عليه السلام من صفّين وقف على شاطئ الفرات وقال: أيّها الوادي من أنا فاضطرب وتشققت أمواجه وقد نظر النّاس فسمعوا من الفرات صوتاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأن عليّاً أمير المؤمنين حجّة الله على خلقه(٢).

٣٩١ - يج: عن عبد الله بن السكسكي عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام أنّ عليّاً عليه السلام لمّا قدم من صفّين وقف على شاطئ الفرات ثمّ انتزع سهماً من كنانته ثمّ أخرج منها قضيباً أصفر فضرب به الفرات وقال: انفجري فانفجرت اثنتا عشرة عيناً كلّ عين كالطود والنّاس ينظرون إليه ثمّ تكلّم بكلام لم يفهموه فأقبلت الحيتان رافعة رؤوسها بالتهليل والتكبير وقالت: السلام عليك يا حجّة الله على خلقه في أرضه ويا عين الله في عباده خذلك قومك بصفّين كما خذل هارون [موسى «خ ل»] بن عمران قومه. فقال لهم: أسمعتم؟ قالوا: نعم قال: فهذه آية لي عليكم وقد أشهدتكم عليه(٣).

٣٩٢ - يج: عن عبد الواحد بن زيد قال: كنت حاجّاً إلى بيت الله فبينا أنا في الطواف إذ رأيت جاريتين عند الركن اليمانيّ تقول إحداهما للأخرى: لا وحقّ المنتجب للوصيّة والقاسم بالسويّة والعادل في القضية بعل فاطمة الزكيّة الرضيّة المرضيّة ما كان كذا. فقلت من هذا المنعوت؟ فقالت: هذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام علم الأعلام وباب الأحكام قسيم الجنّة والنّار ربّاني الأمّة. قلت: من أين تعرفينه؟ قالت: كيف لا أعرفه وقد قتل أبي بين يديه بصفّين ولقد دخل على أمّي لمّا رجع فقال يا أمّ الأيتام كيف أصبحت؟ قالت: بخير ثمّ أخرجتني وأختي هذه إليه وكان قد ركبني من الجدريّ ما ذهب به بصري فلمّا نظر عليه السلام إليّ تأوّه وقال:

ما إن تأوّهت من شيء رزئت به ... كما تأوّهت للأطفال في الصغر

(١) الفضائل لابن شاذان، ص ١٠٧.

(٢) - (٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢٣١ ح ٧٥-٧٦.

قد مات والدهم من كان يكفلهم في النائبات وفي الأسفار والحضر

ثمّ أمرّ يده المباركة على وجهي فانفتحت عيني لوقتي وساعتي فوالله إنّي لأنظر إلى الجمل الشارد في اللّيلة المظلمة ببركته عليه السلام (١).

١٥ - باب ما جرى بين معاوية وعمرو بن العاص في التحامل على علي عليه السلام

٣٩٣ - **لي:** القطّان عن ابن زكريّا عن ابن حبيب عن عليّ بن زياد عن الهيثم بن عديّ عن الأعمش عن يونس بن أبي إسحاق قال: حدّثنا أبو الصفر عن عديّ بن أرطأة قال: قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله أيّنا أدهى؟ قال عمرو: أنا للبديهة وأنت للرويّة قال معاوية: قضيت لي على نفسك وأنا أدهى منك في البديهة قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف؟ قال: بها غلبتني يا أبا عبد الله أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه؟ قال: والله إنّ الكذب لقبيح فاسأل عمّا بدا لك أصدقك فقال: هل غششتني منذ نصحتني؟ قال: لا قال: بلى والله لقد غششتني أما إنّي لا أقول في كلّ المواطن ولكن في موطن واحد قال: وأيّ موطن؟ قال: يوم دعاني عليّ بن أبي طالب للمبارزة فاستشرتك فقلت: ما ترى يا أبا عبد الله فقلت: كفو كريم فأشرت عليّ بمبارزته وأنت تعلم من هو فعلمت أنّك غششتني قال: يا أمير المؤمنين دعاك رجل إلى مبارزة عظيم الشرف جليل الخطر وكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين إمّا أن تقتله فتكون قد قتلت قتّال الأقران وتزداد به شرفاً إلى شرفك وتخلو بملكك وإمّا أن تعجّل إلى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً قال معاوية: هذه شرّ من الأولى والله إنّي لأعلم أنّي لو قتلته دخلت النّار ولو قتلني دخلت النّار قال له عمرو: فما حملك على قتاله؟ قال: الملك عقيم ولن يسمعها منّي أحد بعدك(٢).

٣٩٤ - **ما:** المفيد عن محمّد بن عمران عن محمّد بن إسحاق عن الوليد بن محمّد بن إسحاق عن أبيه قال: استأذن عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان فلمّا دخل عليه استضحك معاوية فقال له عمرو: ما أضحكك يا أمير المؤمنين أدام الله سرورك؟ قال: ذكرت ابن أبي طالب وقد غشيك بسيفه فاتّقيته وولّيت فقال: أتشمت بي يا معاوية فأعجب من هذا يوم دعاك إلى البراز فالتمع لونك وأطّت أضلاعك وانتفخ سحرك والله لو بارزته لأوجع قذالك وأيتم عيالك وبزّك سلطانك وأنشأ عمرو يقول:

معاوي لا تشمت بفارس بهمة لقى فارساً لا تعتليه الفوارس
معاوي لو أبصرت في الحرب مقبلاً أبا حسن تهوي عليك الوساوس
وأيقنت أنّ الموت حقّ وأنّه لنفسك إن لم تمعن الركض خالس

(١) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٥٤٣ ح ٥. (٢) أمالي الصدوق، ص ٦٩ مجلس ١٧ ح ٥.

دعـاك فـصُـمّـت دونـه الأذن إذ دعـا ونفسُك قد ضاقت عليها الأمالس
أتـشـمـت بـي أن نـالـنـي حـدّ رمـحـه وعـضـني نـاب مـن الـحـرب نـاهـس
فـأيّ امـرئ لاقـاه لـم يـلـق شـلـوه بـمـعـتـرك تـسـفـي عـلـيـه الـرّوامـس
أبـى الله إلا أنّـه لـيـث غـابـة أبـو أشـبـل تـهـدى إلـيـه الـفـرائـس
فإن كـنـت فـي شـكّ فـأرهـج عـجـاجـة وإلا فـتـلـك الـتـرهـات الـبـسـابـس

فقال معاوية مهلاً يا أبا عبد الله ولا كلّ هذا قال: أنت استدعيته(١).

بيان: استضحك لعلّه مبالغة في الضحك أو أراد أنّ يضحك عمرواً. والتمع لونه: ذهب وتغيّر. وأطّ الرّجل ونحوه يئط أطيطاً: صوّت. ويقال للجبان: انتفخ سحرك أي رئتك. وبزّه: سلبه.

وقال الجوهريّ: البهمة بالضمّ: الفارس الّذي لا يدرى من أين يأتي من شدّة بأسه ويقال أيضاً للجيش بهمة ومنه قولهم: فلان فارس بهمة وليث غابة.

وفي القاموس: الإمليس وبهاء: الفلاة ليس بها نبات والجمع أماليس، وأمالس شاذّ. وقال: نهس اللحم كمنع وسمع: أخذ بمقدّم أسنانه ونتفه وقال: الشلو بالكسر: العضو والجسد من كلّ شيء كالشلا. وكلّ مسلوح أكل منه شيء وبقيت منه بقيّة وقال: الروامس: الرياح الدّوافن للآبار وقال: أرهج: أثار الغبار. وقال: العجاج: الغبار وقال: الترهة كقبّرة: الباطل. وقال: الترهات البسابس وبالإضافة: الباطل.

٣٩٥ - **كشف:** لمّا عزم معاوية على قتال عليّ عليه السلام شاور فيه ثقاته وأهل ودّه فقالوا: هذا أمر عظيم لا يتمّ إلا بعمرو بن العاص فإنّه قريع زمانه في الدهاء والمكر وقلوب أهل الشّام مائلة إليه وهو يَخدع ولا يُخدع فقال: صدقتم ولكنّه يحبّ عليّاً فأخاف أن يمتنع فقالوا: رغبه بالمال وأعطه مصر فكتب إليه من معاوية بن أبي سفيان خليفة عثمان بن عفّان إمام المسلمين وخليفة رسول ربّ العالمين ذي النورين ختن المصطفى على ابنتيه وصاحب جيش العُسْرة وبئر رومة المعدوم الناصر الكثير الخاذل المحصور في منزله المقتول عطشاً وظلماً في محرابه المعذب بأسياف الفسقة إلى عمرو بن العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وثقته وأمير عسكره بذات السلاسل المعظم رأيه المفخم تدبيره أمّا بعد فلن يخفى عليك احتراق قلوب المؤمنين وفجعتهم بقتل عثمان وما ارتكبه جاره بغياً وحسداً وامتناعه عن نصرته وخذلانه إيّاه حتّى قتل في محرابه فيا لها مصيبة عمّت النّاس وفرضت عليهم طلب دمه من قتلته وأنا أدعوك إلى الحظّ الأجزل من الثواب والنصيب الأوفر من حسن المآب بقتال من آوى قتلة عثمان.

فكتب إليه عمرو بن العاص: من عمرو بن العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى معاوية بن

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٣٤ مجلس ٥ ح ٢١٧.

أبي سفيان أمّا بعد فقد وصل كتابك فقرأته وفهمته فأمّا ما دعوتني إليه من قتال عليّ فقد دعوتني والله إلى خلع ربقة الإسلام من عنقي والتهوّر في الضلالة معك وإعانتي إيّاك على الباطل واختراط السيف في وجه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّه ووارثه وقاضي دينه ومنجز وعده وزوج ابنته سيّدة نساء العالمين وأبو السبطين سيّدي شباب أهل الجنّة.

وأما قولك: إنّك خليفة عثمان فقد صدقت ولكن تبيّن اليوم عزلك من خلافته وقد بويع لغيره فزالت خلافتك. وأمّا ما عظّمتني به ونسبتني إليه من صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وأني صاحب جيشه فلا أغترّ بالتزكية ولا أميل بها عن الملّة.

وأمّا ما نسبت أبا الحسن أخا رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّه إلى البغي والحسد لعثمان وسمّيت الصحابة فسقة وزعمت أنّه أشلاهم على قتله فهذا كذب وغواية ويحك يا معاوية أما علمت أنّ أبا الحسن بذل نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وبات على فراشه وهو صاحب السبق إلى الإسلام والهجرة وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: هو منّي وأنا منه وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي. وقال فيه يوم الغدير: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

وقال فيه يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

وقال فيه يوم الطير: اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك فلمّا دخل قال: وإليّ وإليّ.

وقال فيه يوم النضير: عليّ إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله.

وقال فيه: عليّ وليكم بعدي. وأكّد القول عليّ وعليك وعلى جميع المسلمين وقال: إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي. وقال أنا مدينة العلم وعليّ بابها.

وقد علمت يا معاوية ما أنزل الله من الآيات المتلوات في فضائله الّتي لا يشركه فيها أحد، كقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾، وكقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وكقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ وكقوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وكقوله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن يكون سلمك سلمي وحربك حربي وتكون أخي ووليّي في الدنيا والآخرة يا أبا الحسن من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك فقد أبغضني ومن أحبّك أدخله الله الجنّة ومن أبغضك أدخله الله النار.

وكتابك يا معاوية الّذي هذا جوابه ليس ممّا ينخدع به من له عقل ودين والسلام.

فكتب إليه معاوية يعرض عليه الأموال والولايات وكتب في آخر كتابه:

جهلت ولم تعلم محلّك عندنا فأرسلت شيئاً من خطاب وما تدري
فثق بالذي عندي لك اليوم آنفاً من العزّ والإكرام والجاه والنّصر

فاكتب عهداً ترتضيه مؤكّداً وأشفعه بالبذل منّي وبالبرّ

فكتب إليه عمرو بأبيات - ليس بالشعر الجيد - يطلب فيها مصر [وأوّلها:]

أبى القلب منّي أن أخادع بالمكر بقتل ابن عفّان أجر إلى الكفر

فكتب له معاوية بذلك وأنفذه إليه ففكّر عمرو ولم يدر ما يصنع وذهب عنه النّوم فقال:

تطاول ليلي بالهموم الطوارق وصافحت من دهري وجوه البوائق

ءأخدعه والخدع منّي سجيّة أم أعطيه من نفسي نصيحة وامق

أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحة لشيخ يخاف الموت في كلّ شارق

فلمّا أصبح دعا مولاه وردان وكان عاقلاً فشاوره في ذلك فقال وردان: إنّ مع عليّ آخرة ولا دنيا معه وهي الّتي تبقى لك وتبقى فيها وإنّ مع معاوية دنيا ولا آخرة معه وهي الّتي لاتبقى على أحد فاختر ماشئت فتبسم عمرو وقال:

يا قاتل الله وردانا وفطنته لقد أصاب الّذي في القلب وردان

لمّا تعرضت الدنيا عرضت لها بحرص نفسي وفي الأطباع ادهان

نفس تعفّ وأُخرى الحرص يغلبها والمرء يأكل نتناً وهو غرثان

أمّا عليّ فدين ليس يشركه دُنياً وذاك له دنياً وسلطان

فاخترت من طمعي دنياً على بصري وما معي بالذي اختار برهان

إنّي لأعرف ما فيها وأبصره وفيّ أيضاً لما أهواه ألوان

لكنّ نفسي تحبّ العيش في شرف وليس يرضى بذلّ العيش إنسان

ثمّ إنّ عمراً رحل إلى معاوية فمنعه ابنه عبد الله ووردان فلم يمتنع فلمّا بلغ مفرق الطريقين الشّام والعراق قال له وردان: طريق العراق طريق الآخرة وطريق الشّام طريق الدنيا فأيّهما تسلك؟ قال: طريق الشّام[1]!

توضيح: قال الجوهريّ: القريع: الفحل والسّيّد، يقال: فلان قريع دهره وقريعك الّذي يقارعك.

وقال في النهاية: فيه ذكر بئر رومة هي بضمّ الرّاء اسم بئر بالمدينة اشتراها عثمان وسبّلها. وفي القاموس: أشلا دابّته: أراها المخلاة لتأتيه. والناقة: دعاها للحلب. والوامق: المحب. والشارق: الشمس. وشرقت الشمس: طلعت والغرثان: الجائع.

٣٩٦ - **نهج:** ولم يبايع حتّى شرط أن يؤتيه على البيعة ثمناً فلا ظفرت يد المبايع وخزيت أمانة المبتاع فخذوا للحرب أهبتها وأعدّوا لها عدّتها فقد شب لظاها وعلا سناها [واستشعروا الصّبر فإنّه أدعى إلى النّصر][2].

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ٢٥٤.

(٢) نهج البلاغة، ص ٨٩ خ ٢٦.

بيان: قوله عليه السلام: «ولم يبايع» قال الشارحون: إشارة إلى ما اشتهر من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا نزل بالكوفة بعد فراغه من البصرة كتب إلى معاوية كتاباً يدعوه إلى البيعة فدعا قوماً من أهل الشّام إلى الطلب بدم عثمان فأجابوه وأشار إليه أخوه بالاستعانة بعمرو بن العاص فلمّا قدم عليه وعرف حاجته إليه تباعد عنه وجعل يمدح عليّاً عليه السلام في وجهه حتّى رضي معاوية أن يعطيه المصر فبايعه فذلك معنى قوله عليه السلام: «أن يؤتيه على البيعة ثمناً» ثمّ أردف ذلك بالدعاء على البائع لدينه وهو عمرو بعدم الظفر في الحرب أو بالثمن أو بشيء ممّا يأمله وألحقه بالتوبيخ للمبتاع وهو معاوية بذكر هوان أمانته عليه وهي بلاد المسلمين وأموالهم. ويحتمل أن يكون إسناد الخزي إلى الأمانة إسناداً مجازياً.

وذهب بعض الشارحين إلى أنّ المراد بالبائع معاوية وبالمبتاع عمرو. وهو ضعيف لأنّ الثمن إذا كان مصراً فالمبتاع هو معاوية كذا ذكره ابن ميثم. وقال ابن أبي الحديد في أكثر النسخ «فلا ظفرت يد المبايع» بميم المفاعلة. والظاهر ما رويناه.

قوله عليه السلام: «فقد شبّ لظاها» أي أُوقدت نارها وأُثيرت وروي بالبناء للفاعل أي ارتفع لهبها. والسنا - بالقصر -: الضوء.

أقول: قال ابن أبي الحديد: روى ابن قتيبة في [كتاب] عيون الأخبار قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً فضحك فقال: ممّ تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك حين إبدائك سوأتك يوم ابن أبي طالب عليه السلام والله لقد وجدته منّاناً ولو شاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو: يا أمير المؤمنين أما والله إنّي لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عيناك وانتفخ سحرك وبدا منك ما أكره ذكره فمن نفسك اضحك أو فدع.

١٦ - باب كتبه عليه السلام إلى معاوية واحتجاجاته عليه ومراسلاته إليه وإلى أصحابه

٣٩٨ - **نهج، ج:** احتجاجه عليه السلام على معاوية في جواب كتاب كتبه إليه - وفي غيره من المواضع - وهو من أحسن الحجاج وأصوبه:

أمّا بعد فقد بلغني كتابك تذكر اصطفاء الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله لدينه وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه فلقد خبّأ لنا الدّهر منك عجباً إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبيّنا فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر أوداعي مسدّده إلى النّضال.

وزعمت أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلان وفلان فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كلّه وإن نقص لم يلحقك ثلمه، وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأوّلين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم؟ هيهات لقد حنّ قدح ليس منها فطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.

ألا تربع أيّها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث أخرك القدر؟ فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وإنّك لذهاب في التّيه روّاغ عن القصد.

ألا ترى - غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث - أنّ قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكلّ فضل حتّى إذا استشهد شهيدنا قيل: سيّد الشهداء وخصّه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه.

أو لا ترى أنّ قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكلّ فضل حتّى إذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل: الطيّار في الجنّة وذو الجناحين.

ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجّها آذان السّامعين فدع عنك من مالت به الرميّة فإنّا صنائع ربّنا والنّاس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزّنا وعاديّ طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك. وأنى يكون ذلك كذلك ومنّا النبيّ ومنكم المكذّب ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف ومنا سيّدا شباب أهل الجنّة ومنكم صبية النّار ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب في كثير ممّا لنا وعليكم.

فإسلامنا ما قد سمع، وجاهليتكم ما لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنّا وهو قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) فنحن مرّة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة.

ولما احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم. وزعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك.

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقلت: «إنّي كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع» ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت وأن تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها.

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأيّنا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله؟ أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه أم من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتّى أتى قدره عليه كلا والله «لقد علم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا» وما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له فربَّ ملوم لاذنب له.

وقد يستفيد الظنة المتنصّح

«وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب».

وذكرت أنّه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف فلقد أضحكت بعد استعبارٍ متى ألفيت بني عبد المطّلب عن الأعداء ناكلين وبالسيوف مخوّفين.

فالبث قليلاً يلحق الهيجا حمل

فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربّهم قد صحبتهم ذرّيّة بدرية وسيوف هاشميّة قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدّك وأهلك وما هي من الظالمين ببعيد[1].

بيان: قال ابن أبي الحديد بعد إيراد هذا الكتاب: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد قلت أرى هذا الجواب منطبقاً على كتاب معاوية الّذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني إلى عليّ عليه السلام فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الّذي ذكره أرباب السيرة وأورده نصر بن مزاحم في كتاب صفّين إذن غير صحيح وإن كان ذاك الجواب فهذا الجواب إذاً غير صحيح ولا ثابت. فقال لي: بل كلاهما ثابت مروي وكلاهما كلام أميرالمؤمنين عليه السلام وألفاظه ثمّ أمرني أن أكتب ما يمليه عليّ فكتبته. قال رحمه الله:

كان معاوية يتسقّط عليّاً عليه السلام ويبغي عليه ما عساه [أن] يذكره من حال أبي بكر وعمر وأنّهما غصباه حقّه ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه والرسالة يبعثها يطلب غرّته لينفث بما في صدره من حال أبي بكر وعمر إمّا مكاتَبَةً أو مراسلة فيجعل ذلك حجّة عليه عند أهل الشّام ويضيفه إلى ما قدّره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم فكان غمصه عندهم بأنّه قتل عثمان أو مالأ على قتله وأنّه قتل طلحة والزبير وأسر عائشة وأراق دماء أهل البصرة وبقيت خصلة واحدة وهو أن يثبت عندهم أنّه يبرأ من أبي بكر وعمر وينسبهما إلى الظلم ومخالفة الرّسول في أمر الخلافة وأنّهما وثبا عليها غَلَبَة وغصباه إيّاها فكانت هذه تكون الطامة الكبرى وليست مقتصرة على إفساد أهل الشّام عليه بل وأهل العراق الّذين هم جنده وبطانته وأنصاره لأنّهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلا القليل الشاذ من خواصّ الشيعة.

فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب عليّاً ويحرجه ويحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر وأنّه أفضل المسلمين إلى أن يرهن خطّه في الجواب بكلمة تقتضي طعناً في

(١) نهج البلاغة، ص ٥١٨ خ ٢٦٦، الاحتجاج للطبرسي، ص ١٧٦.

أبي بكر فكان الجواب مُجَمْجماً غير بيّن ليس فيه تصريح بالتظليم لهما ولا التصريح ببراءتهما وتارة يترحّم عليهما وتارة يقول: أخذا حقّي وقد تركته لهما.

فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأوّل ليستفزا فيه عليّاً عليه السلام ويستخفّاه ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلّقان به في تقبيح حاله وتهجين مذهبه وقال له عمرو: إنّ عليّاً رجل نزق تيّاه ما استطعمت منه الكلام بمثل تقريظ أبي بكر وعمر فاكتب [إليه ثانياً] فكتب كتاباً أنفذه إليه مع أبي أمامة الباهليّ وهو من الصحابة بعد أن عزم على بعثه مع أبي الدرداء ونسخة الكتاب:

من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب أمّا بعد فإن الله تعالى جدّه اصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله لرسالته واختصّه بوحيه وتأدية شريعته فأنقذ به من العماية وهدى به من الغواية ثمَّ قبضه إليه رشيداً حميداً قد بلّغ الشرع ومحق الشرك وأخمد نار الإفك فأحسن الله جزاءه وضاعف عليه نعمه وآلاءه.

ثم إنّ الله سبحانه اختصّ محمداً صلى الله عليه وآله بأصحاب أيّدوه وآزروه ونصروه وكانوا كما قال الله سبحانه لهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1] فكان أفضلهم مرتبة وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة الخليفة الأوّل الّذي جمع الكلمة ولمّ الدعوة وقاتل أهل الرّدة ثم الخليفة الثاني الّذي فتح الفتوح ومصّر الأمصار وأذلّ رقاب المشركين ثمَّ الخليفة الثالث المظلوم الّذي نشر الملّة وطبّق الآفاق بالكلمة الحنيفية.

فلما استوثق الإسلام وضرب بجرانه عدوت عليه فبغيته الغوائل ونصبت له المكائد وضربت له بطن الأمر وظهره ودسّست عليه وأغريت به وقعدت حيث استنصرك عن نصرته وسألك أنْ تدركه قبل أن يمزّق فما أدركته.

وما يوم المسلمين منك بواحد لقد حسدت أبا بكر والتويت عليه ورمت إفساد أمره وقعدت في بيتك عنه واستغويت عصابة من النّاس حتّى تأخروا عن بيعته.

ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدّته وسررت بقتله وأظهرت الشماتة بمصابه حتّى أنّك حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه. ثم لم تكن أشدّ حسداً منك لابن عمّك عثمان نشرت مقابحه وطويت محاسنه وطعنت في فقهه ثمَّ في دينه ثمَّ في سيرته ثمَّ في عقله وأغريت به السّفهاء من أصحابك وشيعتك حتّى قتلوه بمحضر منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد.

وما من هؤلاء إلا من بغيت عليه وتلكّأت في بيعته حتّى حملت إليه قهراً تساق بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش ثمَّ نهضت الآن تطلب الخلافة وقتلة عثمان خلصاؤك وسجراؤك والمحدقون بك وتلك من أماني النفوس وضلالات الأهواء.

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

فدع اللجاج والعنت جانباً وادفع إلينا قتلة عثمان وأعد الأمر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو لله رضاً فلا بيعة لك في أعناقنا ولا طاعة لك علينا ولا عتبى لك عندنا وليس لك ولأصحابك عندي إلا السّيف والّذي لا إله إلا هو لأطلبنّ قتلة عثمان أين كانوا وحيث كانوا حتّى أقتلهم أو تلحق روحي بالله.

فأمّا ما لا تزال تمتّ به من سابقتك وجهادك فإنّي وجدت الله سبحانه يقول: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١). ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشدّ الأنفس امتناناً على الله بعملها وإذا كان الإمتنان على السائل يبطل أجر الصدقة فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد ويجعله ك: ﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

قال النّقيب أبو جعفر: فلمّا وصل هذا الكتاب إلى عليّ عليه السلام مع أبي أمامة الباهليّ كلّم أبا أمامة بنحو ممّا كلّم به أبا مسلم الخولاني وكتب معه هذا الجواب.

قال النّقيب: وفي كتاب معاوية هذا ذكر لفظة الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم وليس في ذلك هذه اللفظة وإنّما فيه «حسدت الخلفاء وبغيت عليهم عرفنا ذلك من نظرك الشزر وقولك الهجر وتنفّسك الصّعداء وإبطاؤك عن الخلفاء» قال: وإنّما كثير من النّاس لا يعرفون الكتابين والمشهور عندهم كتاب أبي مسلم فيجعلون هذه اللفظة فيه والصحيح أنّها في كتاب أبي أمامة ألا تراها عادت في الجواب؟ ولو كانت في كتاب أبي مسلم لعادت في جوابه.

انتهى كلام النقيب أبي جعفر أقول: إنّما أوردت هذا الكتاب على كاتبه وممليه أشدّ العذاب ليتّضح الجواب وليظهر لكلّ عاقل كفر هذا المنافق المرتاب.

قوله عليه السلام: «فلقد خبأ لنا الدّهر» قال في النهاية: خبأت الشيء خبأً إذا أخفيته والخبء كلّ شيء غائب مستور. ولعلّ المعنى أنّ الدّهر أخفى لنا من أحوالك شيئاً عجباً لم نكن نظنّ ذلك حتّى ظهر منك. ويحتمل أن يكون على سبيل التجريد أي أنت أعجب الأشياء في الدهر كنت مخفياً فظهرت من قبيل لقيني منه أسد(٣).

قال ابن ميثم: ووجه العجب أنّه أخبر أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله بحاله وما أنعم الله به عليه مع علمهم البالغ بحاله وكونهم أولى بالإخبار عنها وضرب له في ذلك مثلين وأصل المثل الأوّل أنّ رجلاً قدم من هجر إلى البصرة بمال اشترى به شيئاً للرّبح فلم يجد فيها أكسد من التمر فاشترى بماله تمراً وحمله إلى هجر وادّخره في البيوت ينتظر به السعر فلم يزدد إلا رخصاً حتّى فسد جميعه وتلف ماله فضرب مثلاً لمن يحمل الشيء إلى معدنه لينتفع به فيه وهجر معروفة

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٧. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١٥ ص ١٢٥.

بكثرة التمر حتّى أنّه ربما يبلغ سعر خمسين جلّة بدينار ووزن الجلّة مائة رطل فذلك خمسة آلاف رطل ولم يسمع ذلك في غيرها من البلاد. والثاني أنّه شبّهه بداعي مسدّده وأستاذه في الرمي إلى المراماة ومسدده أولى بأن يدعوه إلى ذلك.

قوله عليه السلام : «إن تمّ اعتزلك كلّه» أي تباعد عنك والمعنى ذكرت أمراً إن تمّ لم ينفعك وإن نقص لم يضرّك بل لا تعلق له بك أصلاً. والثلمة: الخلل في الحائط وغيره. والسّياسة: القيام على الشيء بما يصلحه وليس في هذا الكلام شهادة منه عليه السلام على فضل الخلفاء لما عرفت من المصلحة في هذا الإجمال.

وقال في النهاية: أصل الحنين: ترجيع الناقة صوتها أثر ولدها ومنه كتاب عليّ عليه السلام إلى معاوية: «وأما قولك كيت وكيت فقد حنّ قدح ليس منها» هو مثل يضرب لرجل ينتمي إلى نسب ليس منه أو يدّعي ما ليس منه في شيء. والقدح بالكسر: أحد سهام الميسر فإذا كان من غير جوهر أخواته ثمّ حرّكها المفيض بها خرج له صوت يخالف أصواتها يعرف به.

قال الزمخشريّ في المستقصي: القداح الّتي يضرب بها تكون من نبع فربّما ضاع منها قدح فنحيت على مثاله من غرب أو غيره آخر بالعجلة فإذا احتك معها صوت صوتاً لايشابه أصواتها. فيقال ذلك ثمّ ضربه عمر لعقبة بن أبي معيط حين أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بضرب عنقه يوم بدر فقال: «اقتل من بين قريش» أراد عمر أنّك لست من قريش.

وقيل في بني الحنان وهم بطن من «بلحرث» أنّ جدّهم ألقى قدحاً في قداح قوم يضربون بالميسر وكان يضرب لهم رجل أعمى فلمّا وقع قدحه في يده قال: حنّ قدح ليس منها فلقب الحنان لذلك يضرب لمنتحل نسباً أو فضلاً انتهى.

قوله عليه السلام : «يحكم فيها» أي في هذه القصّة أو القضية من كان الحكم لها عليه لا له. ويجوز إرجاع الضمير إلى الطبقات.

وقال ابن ميثم: يضرب لمن يحكم على قوم وفيهم وهو من أراذلهم وليس للحكم بأهل بل هم أولى منه به.

وقال الجوهريّ يقال: إربع على نفسك وإربع على ظلعك أي ارفق بنفسك وكفّ يقال: ظلعت الأرض بأهلها أي ضاقت بهم من كثرتهم ويقال: ارق على ظلعك أي اربع على نفسك ولاتحمل عليها أكثر ممّا تطيق.

وقال في النهاية فيه: «إنه لايربع على ظلعك» الظلع بالسكون: العرج والمعنى لا يقيم عليك في حال ضعفك. وربع في المكان: إذا أقام به. وفي الصّحاح: أصل الذراع هو بسط اليد ويقال: ضقت بالأمر ذرعاً إذا لم تطقه لم تقو عليه.

وقال ابن ميثم قوله عليه السلام : «حيث أخّره القدر» إشارة إلى مرتبته النازلة الّتي جرى القدر بها أن تكون نازلة عن مراتب السابقين وقد أمره بالتأخّر فيها والوقوف عندها.

قوله عليه السلام: «في التيه» أي في الضلال والتحير أو في التكبّر.

قال في النهاية تاه يتيه تيهاً إذا تحيّر وضلّ وإذا تكبّر. والروّاغ: الميّال. والقصد: المعتدل الّذي لا يميل إلى طرفي الإفراط والتفريط.

قوله عليه السلام: «غير مخبر» أي أتكلّم بكلامي هذا لا لإخباري إيّاك بل للتحدّث بنعمته سبحانه إمّا لأنّ معاوية غير قابل للخطاب والإخبار بهذا الكلام والمقام مقام تحقيره أو لأنّه كان عالماً به أو لأنّه يتراءى من مثل هذا الكلام وإخبار الخصم به المفاخرة بذكر تلك الفضائل فدفع ذلك التوهّم بقول: «لكن بنعمة الله أحدّث» وما بعد لكن بهذا الاحتمال أنسب وإنّ كان قوله عليه السلام: «لك» بالأول ألصق.

قوله عليه السلام: «قيل سيّد الشهداء» قال ابن أبي الحديد: أي في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّ عليّاً عليه السلام مات شهيداً ولا خلاف في أنّه أفضل من حمزة وجعفر وغيرهما بل هو سيّد المسلمين. قوله: «بسبعين تكبيرة» قال ابن ميثم أي في أربع عشرة صلاة وذلك انه كلّما كبّر عليه خمساً حضرت جماعة أُخرى من الملائكة فصلّى بهم عليه أيضاً وذلك من خصائص حمزة رضي الله عنه.

قوله عليه السلام: «لذكر ذاكر» يعني نفسه وإنّما نكّره ولم يأت بالألف واللام ولم ينسبه إلى نفسه لئلا يصرّح بتزكية نفسه. واستعار لفظ «المجّ» لكراهية النفس لبعض ما يكرّر سماعه وإعراضها عنه فإنّها تصير كالقاذف له من الأُذن كما يقذف الماجّ الماء من فيه. كذا قيل. والظاهر أنّه كناية عن أنّها لوضوحها لا يمكن لأحد إنكارها فغير المؤمنين وإن ثقل عليهم سماعها فلا يمكنهم إنكارها.

قوله عليه السلام: «فدع عنك» الخ الرميّة: الصيد يرمى يقال: بئس الرميّة الأرنب أي بئس الشيء ممّا يرمى الأرنب والمعنى دع ذكر من مال إلى الدنيا وأمالته إليها وأمالته عن الطريق المستقيم فإن شأن الصيد الخروج عن الطريق وهي إشارة إلى الخلفاء والكلام في بيان التفاضل سابقاً ولاحقاً.

وقال ابن أبي الحديد: «هذه إشارة إلى عثمان لا إلى أبي بكر وعمر» وهذا ممّا لا يسمن ولا يغني من جوع مع أنّ المذكور في كتاب معاوية لم يكن عثمان وحده كما عرفت.

وقال ابن ميثم رحمه الله: أي فدع عنك أصحاب الأغراض الفاسدة ولا تلتفت إلى ما يقولون في حقّنا كعمرو بن العاص ويحتمل أن يكون الإشارة إلى نفسه على طريقة قولهم: إيّاك أعني واسمعي يا جارة.

واستعار لفظ «الرمية» وكنّى بها عن الأمور الّتي تقصدها النفوس وترميها بقصودها انتهى.

ولا يخفى بعده وأبعد منه ما ذكر الكيدريّ حيث قال: أراد أنّه مطعون في نسبه وحسبه وأنّه أزاله عن مقام التفاخر والتنافر مطاعن شهرت فيه انتهى.

وكأنّه حمل الرميّة على السهام المرمية.

قوله عليه السلام: «فإنا صنائع ربنا» هذا كلام مشتمل على أسرار عجيبة من غرائب شأنهم الّتي تعجز عنها العقول ولنتكلم على ما يمكننا إظهاره والخوض فيه فنقول: صنيعة الملك من يصطنعه ويرفع قدره ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ أي اخترتك وأخذتك صنيعتي لتنصرف عن إرادتي ومحبتي فالمعنى أنّه ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله تعالى أنعم علينا فليس بيننا وبينه واسطة والنّاس بأسرهم صنائعنا فنحن الوسائط بينهم وبين الله سبحانه.

ويحتمل أن يريد بالناس بعض النّاس أي المختار من النّاس نصطنعه ونرفع قدره.

وقال ابن أبي الحديد: هذا مقام جليل ظاهره ما سمعت وباطنه أنّهم عبيد الله والنّاس عبيدهم. وقال ابن ميثم: لفظ الصنائع في الموضعين مجاز من قبيل إطلاق اسم المقبول على القابل والحالّ على المحل يقال: فلان صنيعة فلان إذا اختصّه لموضع نعمته، والنعمة الجزيلة الّتي اختصهم الله بها هي نعمة الرسالة وما يستلزمه من الشرف والفضل حتّى كأنّ النّاس عيالاتهم فيها.

قوله عليه السلام: «وعادي طولنا» قال الجوهريّ: «عاد» قبيلة وهم قوم هود عليه السلام، وشيء عاديّ أي قديم كأنّه منسوب إلى عاد.

وقال ابن أبي الحديد: الطول: الفضل. وقال: الأفعال الجميلة كما تكون عادية بطول المدّة تكون عادية بكثرة المناقب والمآثر والمفاخر وإن كانت المدّة قصيرة ولا يراد بالقديم قديم الزمان بل من قولهم لفلان قديم أثر أي سابقة حسنة. وإنّما جعلنا اللّفظ مجازاً لأنّ بني هاشم وبني أُميّة لم يفترقا في الشرف إلا منذ نشأ هاشم بن عبد مناف ثمّ لم تكن المدة بين نشأ هاشم وإظهار محمّد صلى الله عليه وآله الدعوة إلا نحو تسعين سنة انتهى[1].

وأقول: قد ظهر لك ممّا سبق أنّ بني أُميّة لم يكن لهم نسب صحيح ليشاركوا في الحسب آباءه مع أنّ قديم عزّهم لم ينحصر في النسب بل أنوارهم عليهم السلام أوّل المخلوقات ومن بدء خلق أنوارهم إلى خلق أجسادهم وظهور آثارهم كانوا معروفين بالعزّ والشرف والكمالات في الأرضين والسموات يخبر بفضلهم كلّ سلف خلفاً ورفع الله ذكرهم في كلّ أمّة عزاً وشرفاً.

وقوله عليه السلام: «فعل الأكفاء» منصوب على المصدر بفعل مقدر «المكذّب» أبو سفيان

---

(١) وقال الخوئي في منهاج البراعة ج ١٩ ص ١١٥: ثمّ إنّ كلامه هذا فوق كلام البشر وفوق ما يحوم حوله العبارة، عليه مسحة من العلم الإلهي، ولعمري انه يجري مجرى التأويلات السماوية. وفي التوقيع الصادر عن مولانا صاحب العصر والزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين المروي في غيبة الشيخ الطوسي ص ١٨٤، وفي كتاب احتجاج الطبرسي باب التوقيعات، كتب عليه السلام؛ إلى أن قال: فلن يوحشنا من قعد عنّا ونحن صنايع ربّنا والخلق بعد صنايعنا؛ الخ. [مستدرك السفينة ج ٦ لغة «صنع»].

وقيل أبو جهل. «وأسد الله» حمزة رضي الله عنه وأرضاه «وأسد الأحلاف» هو أسد بن عبد العزّى وقال في القاموس: الحلف بالكسر العهد بين القوم. والصداقة. والصديق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به والجمع: أحلاف. والأحلاف في قول زهير: أسد وغطفان لأنّهم تحالفوا على التناصر. والأحلاف قوم من ثقيف وفي قريش ستّ قبائل عبد الدّار وكعب وجمح وسهم ومخزوم وعدي لأنّهم لمّا أرادت بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي عبد الدار من الحجابة والسقاية وأبت عبد الدّار عقد كلّ قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا فأخرجت بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعتها لأحلافهم وهم أسد وزهرة وتَيْم عند الكعبة فغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا، وتعاقدت بنو عبد الدّار وحلفاؤها حلفاً آخر مؤكّداً فَسُمُّوا الأحلاف انتهى ونحوه قال في النهاية إلا أنّه قال بعد قوله: «فغمسوا أيديهم فيها وتعاقدوا» فَسُمُّوا المطيّبين.

«وصبية النار» إشارة إلى الكلمة الّتي قالها النبيّ ﷺ لعقبة بن أبي معيط حين قتله صبراً يوم بدر وقال كالمستعطف له ﷺ: من للصبية يا محمد؟ قال: النار.

و«حمالة الحطب» هي أُمّ جميل بنت حرب بن أميّة امرأة أبي لهب.

وقوله عليه السلام: «في كثير» متعلّق بمحذوف أي هذا الّذي ذكرنا داخل في كثير ممّا يتضمن ما ينفعنا ويضرّكم. قوله عليه السلام: «وجاهليتنا» أي شرفنا وفضلنا في الجاهلية لا يدفعه أحد. وفي بعض النسخ: «وجاهليتكم» ولعلّه أظهر.

ووجه الاستدلال بالآية الأولى ظاهر لأنه عليه السلام كان أولى الأرحام برسول الله ﷺ وأقربهم إليه وكذا الثانية لأنه كان أقرب الخلق إلى اتّباع رسول الله ﷺ وأوّل من آمن به وصدّقه.

وقال الجوهريّ: الفلج: الظفر والفوز وقد فلج الرّجل على خصمه يفلج فلجاً والاسم الفلج بالضمّ.

قوله عليه السلام: «وتلك شكاة» قال الجوهريّ: يقال هذا أمر ظاهر عنك عاره أي زائل قال الشاعر:

وعيّرها الواشون أنّي أحبّها … وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقال: شكوت فلاناً شكاة إذا أخبرت بسوء فعله. وقال ابن ميثم: البيت لأبي ذؤيب وهو مثل يضرب لمن ينكر أمراً ليس منه في شيء ولايلزمه دفعه.

والخشاش بالكسر الّذي يدخل في عظم أنف البعير وخششت البعير إذا جعلت في أنفه الخشاش. والغضاضة بالفتح: المذلة والمنقصة.

قوله عليه السلام: «وهذه حجّتي إلى غيرك» لعلّ المعنى لست أنت المقصود بها لحقارتك كقوله عليه السلام: «غير مخبر لك» أو لعلمي بأنّك لا تقبل حججي ولا تؤمن بها أو لأنّك عالم بها

ولا فائدة في إخبار العالم بل قصدي بذكرها إلى غيرك من السامعين لعلّه يؤمن بها من أنكرها ويطمئن بها قلب من آمن بها. وقال ابن ميثم: أي لست أنت المقصود بها إذ لست من هذا الأمر في شيء بل القصد منها غيرك أي الّذين ظلموا وإنّما ذكرت منها بقدر ما دعت الحاجة إليه وسنح لي أن أذكره في جوابك.

قوله عليه السلام: «فلك أن تجاب» أي هذه ليست مثل السابقة الّتي لم يكن له السّؤال فيها لأنّك من بني أميّة وبينك وبينه رحم. وقوله عليه السلام: «فأيّنا» ابتداء تقرير الجواب.

«والأعدى» من العداوة أو من العدوان والأوّل أصوب «وأهدى إلى مقاتله» أي لوجوه قتله ومواضعه من الآراء والحيل «أم من بذل» أراد به نفسه المقدّسة فإنّه لمّا اشتدّ الحصار على عثمان بعث عليه السلام إليه وعرض عليه نصرته فقال عثمان: لا أحتاج إلى نصرتك ولكن اقعد وكفّ شرّك وذلك لأنّ عثمان كان متّهماً له عليه السلام بالدخول في أمره وأراد عليه السلام بقوله «من استنصره» معاوية وذلك أنّه بعث عثمان حال حصاره إلى الشّام مستصرخاً بمعاوية فلم يزل يتراخى عنه ويؤخّر الخروج إلى أن قتل لطمعه في الأمر وذكر «القدر» ونسبة القتل إليه هاهنا مناسب لتبرّيه من دمه. والبث: النشر. والمنون: الدهر والمنية أي نشر إليه نوائب الدهر وأسباب المنيّة وقوله عليه السلام: «والله لقد علم الله» اقتباس من قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله هم الّذين [كانوا] يعوّقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله والتعويق: التثبيط «والقائلين لإخوانهم» يعني اليهود قالوا لإخوانهم المنافقين «هلمّ إلينا» أي تعالوا وأقبلوا إلينا ودعوا محمّداً صلى الله عليه وآله. وقيل: القائلون هم المنافقون قالوا لإخوانهم من ضعفة المسلمين: لا تحاربوا وخلّوا محمداً صلى الله عليه وآله فإنا نخاف عليكم الهلاك. «ولا يأتون البأس» أي لا يحضرون القتال. والبأس: الحرب وأصله الشدّة «إلا قليلاً» إلا كارهين يكون قلوبهم مع المشركين.

ولعلّ الغرض من الاقتباس أنّه سبحانه عاب المعوقين والقائلين فالمتراخي مقصّر على تقدير وجوب الحضور كما زعمته.

ويحتمل أن يكون غرضه واقعاً تعويقه عن نصره عليه السلام وإن أوهم ظاهره نصر عثمان.

وقال الجوهريّ: نقمت على الرّجل أنقم بالكسر إذا عتبت عليه.

وقال ابن ميثم في قوله عليه السلام: «فربّ ملوم لا ذنب له» وأنا ذلك الملوم وهو مثل لأكثم بن صيفي يضرب لمن قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون حجّته وعذره فيه وقوله: «وقد يستفيد» الخ يضرب مثلاً لمن يبالغ في النصيحة حتّى يتهم أنّه غاشّ وصدر البيت:

وكم سقت في آثاركم من نصيحة

وقال في الصحاح والقاموس: المتنصح من تشبّه بالنصحاء وهذا المعنى وإن كان محتملاً في كلامه عليه السلام على وجه بعيد لكنّ الظاهر أنّه ليس غرضاً للشاعر والظاهر ما ذكره الخليل

في العين حيث قال: التنصّح: كثرة النصيحة قال أكثم بن صيفي: إيّاكم وكثرة التنصّح فإنّه يورث التهمة انتهى. والظنّة: التهمة.

قوله عليه السلام: «فلقد أضحكت بعد استعبار» قال الجوهريّ: عبرت عينه واستعبرت أي دمعت والعبران: الباكي. وقال ابن ميثم: أي أتيت بشيء عجيب بالغ في الغرابة فإن الضحك بعد البكاء إنّما يكون لتعجب بالغ وذلك كالمثل في معرض الاستهزاء به.

وقيل: معناه لقد أضحكت من سمع منك هذا تعجّباً بعد بكائه على الدين لتصرفك فيه.
وألفيت الشيء: وجدته. قوله عليه السلام: «فالبث قليلاً» قال ابن ميثم: مثل يضرب للوعيد بالحرب وأصله أنّ حمل بن بدر رجل من قُشير أغير على إبل له في الجاهلية في حرب داحس والغبراء فاستنقذها وقال:

لبّث قليلاً يلحق الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا الموت نزل

وقيل: أصله أنّ مالك بن زهير توعّد حمل بن بدر فقال حمل: لبّث قليلاً البيت فأُرسل مثلاً ثمَّ أتى وقتل مالكاً فظفر أخوه قيس بن زهير به وبأخيه حذيفة فقتلهما وقال:

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني

وقال الزمخشريّ في المستقصي تمام البيت:

ما أحسن الموت إذا حان الأجل

وقال: قالوا في حمل: هو اسم رجل شجاع كان يستظهر به في الحرب ولا يبعد أن يراد به حمل بن بدر صاحب الغبراء يضربه من ناصره ورائه انتهى.

ثم اعلم أنّ حملاً في بعض النسخ بالحاء المهملة وفي بعضها بالجيم.

وقال الفيروزآبادي: أرقل: أسرع. والإرقال: ضرب من الخبب. والجحفل بتقديم الجيم على الحاء: الجيش. والقتام: الغبار. وسطع الغبار والرائحة والصّبح: ارتفع. والسّربال: القميص. «وسرابيل الموت» إنّما كناية عن الدروع والأحوال والهيئات الّتي وطّنوا نفوسهم على القتل فيها فكأنها أكفانهم.

وقوله عليه السلام: «ذرية بدرية» أي أولاد البدريّين.

وقد مرّ أنّ أخاه [أي معاوية] حنظلة وخاله الوليد وجدّه عتبة أبو أمّه.

٣٩٨ - ما: المفيد عن محمّد بن عمران عن محمّد بن موسى عن هشام عن أبي مخنف عن عبد الله بن عاصم عن جبر بن نوف قال: لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى الشّام اجتمع إليه وجوه أصحابه فقالوا: لو كتبت يا أمير المؤمنين إلى معاوية وأصحابه قبل مسيرنا إليهم كتاباً تدعوهم إلى الحقّ وتأمرهم بما لهم فيه من الحظّ كانت الحجّة تزداد عليهم قوّة فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه اكتب:

بسم الله الرّحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ومن قبله

من النّاس سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الّذي لا إله إلا هو أمّا بعد فإن لله عباداً آمنوا بالتنزيل وعرفوا التأويل وفقّهوا في الدّين وبيّن الله فضلهم في القرآن الحكيم وأنت يا معاوية وأبوك وأهلك في ذلك الزمان أعداء الرّسول مكذّبون بالكتاب مجتمعون على حرب المسلمين من لقيتم منهم حبستموه أو عذّبتموه أو قتلتموه حتّى إذا أراد الله تعالى إعزاز دينه وإظهار رسوله دخلت العرب في دينه أفواجاً وأسلمت هذه الأُمّة طوعاً وكرهاً فكنتم ممّن دخل في هذا الدّين إمّا رغبة وإمّا رهبة فليس ينبغي لكم أن تنازعوا أهل السّبق ومن فاز بالفضل فإنّه من نازعه منكم فبحوب وظلم فلا ينبغي لمن كان له قلب أن يجهل قدره ولا يَعْدُو طوره ولا يشقي نفسه بالتماس ما ليس له.

إن أولى النّاس بهذا الأمر قديماً وحديثاً أقربهم برسول الله صلى الله عليه وآله وأعلمهم بالكتاب وأقدمهم في الدين وأفضلهم جهاداً وأوّلهم إيماناً وأشدّهم اطّلاعاً بما تجهله الرعيّة عن أمرها فاتّقوا الله الّذي إليه ترجعون ولا تلبسوا الحقّ بالباطل لتدحضوا به الحقّ واعلموا أنّ خيار عبادالله الّذين يعملون بما يَعْلَمون وأن شرّهم الجهلاء الّذين ينازعون بالجهل أهل العلم. ألا وإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وحقن دماء هذه الأمّة فإن قبلتم أصبتم رشدكم وهديتم لحظّكم وإن أبيتم إلا الفرقة وشقّ عصا هذه الأمّة لم تزدادوا من الله إلا بعداً، ولم يزدد عليكم إلا سخطاً والسلام. قال فكتب إليه معاوية أمّا بعد فإنه:

ليس بيني وبين عمرو عتاب غير طعن الكلى وحزّ الرّقاب

فلمّا وقف أمير المؤمنين عليه السلام على جوابه بذلك قال: «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»(١)

بيان: الحز بالحاء المهملة وبالجيم المعجمة: القطع.

٣٩٩ - **ما:** المفيد عن الكاتب عن الأجلح عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحمانيّ قال: كتب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان: أمّا بعد فإن الله أنزل إلينا كتابه ولم يدعنا في شبهة ولا عذر لمن ركب ذنباً بجهالة والتوبة مبسوطة ولا تزر وازرة وزر أخرى وأنت ممّن شرع الخلاف متمادياً في غمرة الأمل مختلف السرّ والعلانية رغبة في العاجل وتكذيباً بعد في الآجل وكأنّك قد تذكرت ما مضى منك فلم تجد إلى الرّجوع سبيلاً.

وكتب صلوات الله عليه إلى عمرو بن العاص: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص أمّا بعد فإن الذي أعجبك ممّا رأيت من الدنيا ووثقت به منها منقلب عنك فلا تطمئن إلى الدّنيا فإنّها غرارة ولو اعتبرت بما مضى حذرت مابقي وانتفعت منها بما وعظت به ولكنك

(١) أمالي الطوسي، ص ١٨٣ مجلس ٧ ح ٣٠٨.

تبعت هواك وآثرته ولولا ذلك لم تؤثر على ما دعوناك إليه غيره لأنّا أعظم رجاء وأولى بالحجّة والسلام.

وكتب عليه السلام إلى أمراء الأجناد: من عبد الله أمير المؤمنين [علي] إلى أصحاب المسالح أمّا بعد فإن حقّاً على الوالي أن لا يغيّره عن رعيّته فضل ناله ولا مرتبة اختصّ بها وأن يزيده ما قسم الله له دنوّاً من عباده وعطفاً عليهم.

ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحجبنّ دونكم سرّاً إلا في حرب ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم ولا أؤخر لكم حقّاً عن محله وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء فإذا فعلت ذلك وجبت لي عليكم البيعة ولزمتكم الطّاعة وأن لا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّ فإن أنتم لم تسمعوا لي على ذلك لم يكن أحد أهون عليّ ممّن خالفني فيه ثمّ أحلّ لكم فيه عقوبته ولاتجدوا عندي فيها رخصة فخذوا هذا من أمرائكم وأعطوا من أنفسكم هذا يصلح أمركم والسلام[1].

بيان: قال الجوهريّ: فلان يباري فلاناً أي يعارضه ويفعل مثل فعله وفلان يباري الريح سخاء [أي يعارضها خيراً وبركة].

أقول: وسيأتي الكتاب الأخير برواية النهج بتغيير ما.

٤٠٠ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية: إنّه بايعني القوم الّذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يردّ وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضىً فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولّى.

ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ النّاس من دم عثمان ولتعلمنّ أنّي كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنّى فتجنّ ما بدا لك والسلام[2].

تنبيه: لعلّ هذا منه عليه السلام إلزام لمعاوية بالإجماع الّذي أثبتوا به خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعدم تمسكه عليه السلام بالنص لعدم التفاتهم إليه في أوّل العهد مع عدم تطاول الأيّام فكيف مع بعد العهد وقوله عليه السلام: «إنما الشورى» الخ أي الشورى الّذي تعتقدونه وتحتجّون به ولا حاجة إلى حمل الكلام على التقيّة كما نقله ابن أبي الحديد من أصحابنا الإماميّة قوله عليه السلام: «كان ذلك لله رضا» أي بزعمهم والعزلة الاسم من الاعتزال. والتجنّي أن يدّعى عليك ذنب لم تفعله.

وقال ابن ميثم رحمه الله: هذا الفصل من كتاب كتبه إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجليّ

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٢١٧ مجلس ٨ ح ٣٨١. (٢) نهج البلاغة، ص ٤٩٥ خ ٢٤٥.

حين نزعه من هَمَدان، وصدره: أمّا بعد فإن بيعتي يا معاوية لزمتك وأنت بالشّام لأنّه بايعني القوم. ثم يتلو قوله: «وولاه الله ما تولى» تمام الآية.

ويتّصل بها أن قال: «وإنّ طلحة والزّبير بايعاني ثمَّ نقضا بيعتي وكان نقضهما كردّتهما فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقّ وظهر أمرالله وهم كارهون فادخل يا معاوية فيما دخل فيه المسلمون فإن أحبّ الأمور إليّ فيك العافية إلا أن تتعرّض للبلاء فإن تعرّضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك. وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه النّاس ثمَّ حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله. وأما هاتيك الّتي تريدها فهي خدعة الصبيّ عن اللّبن.

ثم يتّصل به قوله «ولعمري» إلى قوله «ما بدا لك» ثمَّ يتّصل به «واعلم أنّك من الطلقاء الّذين لا تحل لهم الخلافة ولايعرض فيهم الشورى وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوة إلا بالله.

وقال رحمه الله: وكتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام، من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب: أمّا بعد فلو كنت على ما كان عليه أبو بكر وعمر إذن ما قاتلتك ولا استحللت ذلك ولكنّه إنّما أفسد عليك بيعتي خطيئتك في عثمان بن عفّان وإنّما كان أهل الحجاز الحكّام على النّاس حين كان الحقّ فيهم فلمّا تركوه صار أهل الشّام الحكّام على أهل الحجاز وغيرهم من النّاس ولعمري ما حجّتك على أهل الشّام كحجّتك على أهل البصرة ولا حجّتك عليّ كحجتك على طلحة والزّبير لأنّ أهل البصرة قد كانوا بايعوك ولم يبايعك أهل الشّام وإنّ طلحة والزبير بايعاك ولم أبايعك. وأما فضلك في الإسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعك من بني هاشم فلست أدفعه والسلام.

فكتب عليه السلام في جوابه: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر أمّا بعد فإنّه أتاني كتابك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده قد دعاه الهوى فأجابه وقاده الضلال فاتّبعه فهجر لاغطاً وضلّ خابطاً زعمت أنّه إنّما أفسد على بيعتك خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجعلهم على ضلال ولا يضربهم بعمى.

وأمّا ما زعمت أنّ أهل الشّام الحكام على أهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشّام يقبلان في الشورى أو تحلّ لهما الخلافة فإن زعمت ذلك كذّبك المهاجرون والأنصار وإلا فأنا آتيك بهما من قريش الحجاز.

وأما ما ميّزت بين أهل الشّام وأهل البصرة وبينك وبين طلحة والزّبير فلعمري ما الأمر في ذلك إلا واحد لأنّها بيعة عامة واحدة لايثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار والخارج منها طاعن والمروّي فيها مداهن. وأمّا فضلي في الإسلام وقرابتي من الرّسول وشرفي في بني هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت والسلام.

فلما وصل هذا الكتاب إلى معاوية كتب [إليه]: أمّا بعد فاتّق الله يا عليّ ودع الحسد فإنّه طال ما لم ينتفع به أهله ولا تفسد سابقة قديمك بشرّ من حديثك فإن الأعمال بخواتيمها ولا تلحدنّ بباطل في حقّ من لا حق لك في حقّه فإنّك إن تفعل ذلك لا تضلّل إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك ولعمري إنّ ما مضى لك من السّوابق الحسنة لحقيقة أن تردّك وتردعك عمّا اجترأت عليه من سفك الدماء وإجلاء أهل الحقّ عن الحلّ والحرام فاقرأ سورة الفلق وتعوّذ بالله من شرّ ما خلق ومن شر نفسك الحاسد إذا حسد قفل الله بقلبك وأخذ بناصيتك وعجل توفيقك فإنّي أسعد النّاس بذلك والسّلام.

فكتب عليه السلام: أمّا بعد فقد أتتني منك موعظة موصّلة ورسالة محبّرة نمّقتها بضلالك وأمضيتها بسوء رأيك وكتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حقّ ولولا علمي بك وما قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك ممّا لا مردّ له دون إنفاذه إذاً لوعظتك ولكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب ولم يخف العقاب ولا يرجو لله وقاراً ولم يخف له حذاراً فشأنك وما أنت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة تجد الله في ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعة وتمنّيك الأباطيل وقد علمت ما قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيك وفي أمّك وأبيك والسّلام.

بيان: أقول: قد روى السيّد رحمه الله في النّهج بعض الكتابين اللذين أوردهما ابن ميثم وخلطهما.

قوله عليه السلام: «فهجر» أي هذى. واللغط بالتحريك: الصّوت والجلبة ذكره الجوهريّ وقال: خبط البعير فهو خابط إذا مشى ضالاً فخبط بيديه كلّ ما يلقاه ولا يتوقّى شيئاً. وخبطه: ضربه باليد ومنه قيل: خبط عشواء أي الناقة الّتي في بصرها ضعف.

قوله عليه السلام: «طاعن» قال ابن ميثم: أي في صحّتها فهو طاعن في دين الله فيجب قتاله حتّى يرجع إليها. وروّيت في الأمر: نظرت فيه وفكرت أي الشاكّ فيها مداهن. والمداهنة: نوع من النفاق.

قوله عليه السلام: «موصلة» قال ابن أبي الحديد أي مجموعة الألفاظ من هاهنا وهاهنا وذلك عيب في الكتابة والخطابة وقال: حبرت الشيء تحبيراً: حسّنته وزينته أي المزيّنة الألفاظ يشير عليه السلام إلى أنّه قد كان يظهر عليها أثر التكلّف والتصنّع.

وقال الجوهريّ: نمق الكتاب ينمقه بالضمّ أي كتبه ونمّقه تنميقاً: زيّنه بالكتابة.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النّهج: كتب معاوية في أثناء حرب صفّين إلى أمير المؤمنين عليه السلام: من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب: أمّا بعد فإن الله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] وإنّي أحذّرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشق عصا هذه الأمّة

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

وتفريق جماعتها فاتّق الله واذكر موقف القيامة واقلع عمّا أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبّهم الله على مناخرهم في النّار فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين بَلْهَ ما طحنت رحا حربه من أهل القرآن وذوي العبادة والإيمان من شيخ كبير وشابٍّ غرير كلّهم بالله تعالى مؤمن وله مخلص وبرسوله مقرّ عارف فإن كنت أبا حسن إنّما تحارب على الإمرة والخلافة فلعمري لو صحّت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين ولكنّها لم تصحّ لك وأنى بصحّتها وأهل الشّام لم يدخلوا فيها ولم يرتضوا بها فخف الله وسطواته واتق بأس الله ونكاله واغمد سيفك عن النّاس فقد والله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلا كالثمد في قرارة الغدير والله المستعان.

فكتب عليّ عليه السلام إليه جواباً عن كتابه: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد فقد أتتني منك موعظة موصّلة ورسالة محبّرة نمّقتها بضلالك وأمضيتها بسوء رأيك وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده الضّلال فاتّبعه فهجر لاغطاً وضلّ خابطاً.

فأمّا أمرك لي بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها وأستعيذ بالله من أن أكون من الّذين إذا أمروا بها أخذتهم العزّة بالإثم.

وأما تحذيرك إيّاي أن يحبط عملي وسابقتي في الإسلام فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذّرني ذلك ولكنّي وجدت الله تعالى يقول: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾(١) فنظرنا إلى الفئتين [فأمّا الفئة] الباغية فوجدناها الفئة الّتي أنت فيها لأنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشّام وكما لزمت يزيد أخاك بيعة عمر بالمدينة وهو أمير لأبي بكر على الشّام.

وأما شقّ عصا هذه الأمّة فأنا أحقّ أن أنهاك عنه.

فأمّا تخويفك لي من قتل أهل البغي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بقتالهم وقتلهم وقال لأصحابه: «إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» وأشار إليّ وأنا أولى من اتبع أمره وأمّا قولك: إنّ بيعتي لم تصحّ لأنّ أهل الشّام لم يدخلوا فيها فإنّما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب لا يستثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار [و] الخارج منها طاعن والمروّي فيها مداهن فاربع على ظلعك وانزع سربال غيّك واترك ما لا جدوى له عليك فإنّه ليس لك عندي إلا السّيف حتّى تفيء إلى أمر الله صاغراً وتدخل في البيعة راغماً والسلام.

بيان: قال الجوهريّ: بله كلمة مبنيّة على الفتح مثل كيف ومعناها دع. ويقال: معناها:

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.

سوى وفي الحديث: «أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه».

٣٩٨ - **وقال ابن ميثم**: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: [أما بعد] فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي وتستقبح مواربتي وتزعمني متجبّراً وعن حقّ الله مقصّراً فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيهة إنّي لم أشاغب إلا في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم أتجبّر إلا على باغ مارق أو ملحد منافق ولم آخذ في ذلك إلا بقول الله سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾(١).

وأما التقصير في حقّ الله فمعاذ الله وإنّما المقصّر في حقّ الله جل ثناؤه من عطّل الحقوق المؤكدة وركن إلى الأهواء المبتدعة وأخلد إلى الضلالة المحيّرة.

ومن العجب أن تصف يا معاوية الإحسان وتخالف البرهان وتنكث الوثائق الّتي هي لله عزّ وجلّ طلبة وعلى عباده حجّة مع نبذ الإسلام وتضييع الأحكام وطمس الأعلام والجري في الهوى والتهوّس في الرّدى فاتّق الله فيما لديك وانظر في حقّه عليك وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته فإن للطاعة أعلاماً واضحة وسبلاً نيّرة ومحجّة نهجة وغاية مطّلبة يَرِدُها الأكياس وتخالفها الأنكاس من نكب عنها جار عن الحقّ وخبط في التيه وغيّر الله نعمته وأحلّ به نقمته فنفسك نفسك فقد بيّن الله لك سبيلك وحيث تناهت بك أمورك فقد أجريت إلى غاية خسر ومحلّة كفر وإنّ نفسك قد أوحلتك شراً وأقحمتك غيّاً وأوردتك المهالك وأوعرت عليك المسالك.

ومن ذلك الكتاب: وإنّ للنّاس جماعة يد الله عليها وغضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك فإنّك إلى الله راجع وإلى حشره مهطع وسيبهظك كربه ويحل بك غمّه في يوم لا يغني النادم ندمه ولا يقبل من المعتذر عذره يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً ولا هم ينصرون(٢).

٣٩٩ - **نهج**: فاتّق الله فيما لديك إلى قوله: «وأوعرت عليك المسالك»(٣).

توضيح: قال الفيروزآبادي: الشغب: تهييج الشرّ كالتشغيب وشغبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح: هيّج الشرّ عليهم. وشاغبه: شارّه. وقال: المواربة: المداهاة والمخاتلة. وفي أكثر النسخ: «موازرتي» أي موازرتي عليك. والعضيهة: الإفك والبهتان. وركن إليه كعلم: مال. وأخلدت إلى فلان أي ركنت إليه وأخلد بالمكان: أقام. والطمس: إخفاء الأثر.

وقال الجوهريّ: الهوس: الطوفان باللّيل والهوس: شدّة الأكل. والهوس: السّوق اللّين يقال: هست الإبل فهاست أي ترعى وتسير. والهوس بالتحريك: طرف من الجنون.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم، ج ٤ ص ٣٩٦.
(٣) نهج البلاغة، ص ٥٢٥ خ ٢٦٨.

قوله عليه السلام: «فيما لديك» أي من مال المسلمين وفيئهم أو في نعمة عليك. ومعرفة ما لا يعذر بجهالته معرفة الإمام وطاعته والأعلام: الأئمّة أو الأدلّة والنهج: الطريق الواضح.

«والمطلبة» النسخ المصحّحة متّفقة على تشديد الطاء قال الجوهريّ: طلبت الشيء طلباً وكذا اطّلبته على افتعلته والتطلّب: الطلب مرّة بعد أُخرى انتهى والمعنى غاية من شأنها أن تطلب ويطلبها العقلاء، ويكشف عنه قوله عليه السلام: «يردها الأكياس». وقرأ ابن أبي الحديد بتخفيف الطاء وقال: أي مساعفة لطالبها يقال: طلب فلان منّي كذا فأطلبته أي أسعفته به.

والأنكاس جمع نكس بالكسر وهو الرّجل الضعيف ذكره الجوهريّ والجزري. وقال ابن أبي الحديد وابن ميثم: الدنيّ من الرجال. ونكب عن الطريق: عدل. والخبط: المشي على غير استقامة. قوله عليه السلام: «تناهت بك» يقال: تناهى أي بلغ والباء للتعدية أي بيّن الله لك سبيلك وغايتك الّتي توصلك إليها أعمالك أو المعنى قف حيث تناهت بك أمورك كقولهم: حيث أنت، وقولهم: مكانك فلا يكون معطوفاً ولا متّصلاً بقوله: فقد بيّن الله لك سبيلك.

قوله عليه السلام: «فقد أجريت» هو من إجراء الخيل للمسابقة. وقال في الصّحاح: وحل الرّجل وقع في الوحل وأوحله غيره. والاقتحام: الدّخول في الأمر بشدّة ويقال: جبل وعر ومطلب وعر أي صعب حزن. والرمس بالفتح: القبر. والمهطع: المسرع. وبهظه الأمر: أثقله.

٤٠٠ - وروى ابن أبي الحديد وابن ميثم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى معاوية بن أبي سفيان: أمّا بعد فإن الدّنيا دار تجارة ربحها أو خسرها الآخرة فالسّعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصّالحة ومن رأى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها وإنّي لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك ممّا لا مردّ له دون نفاذه ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدّوا الأمانة وأن ينصحوا الغويّ والرّشيد فاتّق الله ولا تكن ممّن لا يرجولله وقاراً ومن حقّت عليه كلمة العذاب فإن الله بالمرصاد وإنّ دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فانتبه من الغيّ والضّلال على كبر سنّك وفناء عمرك فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل الّذي لا يصلح من جانب إلا فسد من آخر وقد أرديت جيلاً من النّاس كثيراً خدعتهم بغيّك وألقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم ونكصوا على أعقابهم وتولّوا على أدبارهم وعوّلوا على أحسابهم إلا من فاء من أهل البصائر فإنّهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا إلى الله من موازرتك إذ حملتهم على الصّعب وعدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فإن الدنيا منقطعة عنك والآخرة قريب منك والسّلام[1].

٤٠١ - قال ابن أبي الحديد قال أبو الحسن عليّ بن محمّد المدائني: فكتب إليه معاوية: من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب أمّا بعد فقد وقفت على كتابك وقد أبيت على

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦ ص ٢٩٣.

الغيّ إلا تمادياً وإنّي لعالم أنّ الّذي يدعوك إلى ذاك مصرعك الّذي لا بدّ لك منه وإن كنت موائلاً فازدد غياً إلى غيّك فطال ما خفّ عقلك ومنّيت نفسك ما ليس لك والتويت على من هو خير منك ثمّ كانت العافية لغيرك واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك والسلام.

قال: فكتب عليّ عليه السلام إليه: أمّا بعد فإن ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه ممّا أتى به أهلك وقومك الّذين حملهم الكفر وتمني الأباطيل على حسد محمّد صلى الله عليه وآله حتّى صرعوا مصارعهم حيث علمت لم يمنعوا حريماً ولم يدفعوا عظيماً وأنا صاحبهم في تلك المواطن الصّالي بحربهم والفالّ لحدّهم والقاتل لرؤوسهم ورؤوس الضلالة والمتبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم فبئس الخلف خلف اتّبع سلفاً ومحلّه محطّه النّار والسلام.

فكتب إليه معاوية: أمّا بعد فقد طال في الغيّ ما استمررت أدراجك كما طال ما تمادى عن الحرب نكوصك وإبطاؤك تتوعد وعيد الأسد وتروغ روغان الثعلب فحتام تحيد عن اللّقاء ومباشرة الليوث الضارية والأفاعي المقاتلة فلا تستبعدنّها فكلّ ما هو آت قريب إن شاء الله والسلام.

قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام: أمّا بعد فما أعجب ما يأتيني منك، وما أعلمني بما أنت صائر إليه، وليس إبطائي عنك إلا ترقباً لما أنت له مكذب وأنا له مصدق وكأني بك غداً تضجّ من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال وستدعوني أنت وأصحابك إلى كتاب تعظّمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم والسّلام.

قال: فكتب إليه معاوية: أمّا بعد فدعني من أساطيرك واكفف عنّي من أحاديثك واقصر عن تقوّلك على رسول الله وافترائك من الكذب ما لم يقل وغرور من معك والخداع لهم فقد استغويتهم ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ويعلموا أنّ ما جئت به باطل مضمحل والسلام.

قال فكتب إليه عليّ عليه السلام: أمّا بعد فطال ما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الرجيم الحقّ أساطير الأوّلين ونبذتموه وراء ظهوركم وجهدتم في إطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم والله متم نوره ولو كره الكافرون. ولعمري ليتمنّ النور على كرهك ولينفذنّ العلم بصغارك ولتجازينّ بعملك فعث في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك فكأنّك بأجلك قد انقضى وعملك قد هوى ثمّ تصير إلى لظى لم يظلمك الله شيئاً وما ربّك بظلام للعبيد.

قال: فكتب إليه معاوية: أمّا بعد، فما أعظم الرّين على قلبك والغطاء على بصرك الشرّ من شيمتك. إلى آخر ما مرّ برواية أخرى.

قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام: أمّا بعد فإن مساويك مع علم الله فيك حالت بينك وبين أن يصلح أمرك أو أن يرعوي قلبك يا ابن الصّخر اللعين زعمت أن يزن الجبال حلمك ويفصل بين أهل الشكّ علمك وأنت الجلف المنافق الأغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل فإن

كنت صادقاً فيما تسطر ويعينك عليه أخو بني سهم فدع النّاس جانباً وابرز لما دعوتني إليه من الحرب والصّبر على الضّرب واعف الفريقين من القتال لتعلم أيّنا المرين على قلبه المغطّى على بصره فأنا أبو الحسن: قاتل جدّك وأخيك وخالك وما أنت منهم ببعيد والسّلام(١).

إيضاح: أقول: روى السيّد رحمه الله في النهج الكتاب الأوّل من قوله عليه السلام: وأرديت جيلاً إلى آخر هذا الكتاب.

قوله عليه السلام: «ومن رأى» عطف على: «من كانت» أي السعيد من يريد الدّنيا بعينها أي يعرفها بحقيقتها أو يراها بالعين الّتي بها تعرف وهي عين البصيرة ويعلم ما هي عليه من التغيّر والزوال وأنها خلقت لغيرها ليقدرها بمقدارها ويجعلها في نظره لما خلقت له.

قوله عليه السلام: «ممن لايرجو لله وقاراً» أي لايتوقّع لله عظمة فيعبده ويطيعه والوقار الاسم من التوقير وهو التعظيم.

وقيل الرجاء ها هنا بمعنى الخوف. والمهيل: المتداعي في التمزّق ومنه رمل مهيل أي ينهال ويسيل. وأرديت أي أهلكت. والجيل: الصنف وروي بالباء الموحّدة وهو الخلق. وتغشاهم أي تأتيهم وتحيط بهم. وحاروا: عدلوا وتحيروا ونكصوا أي رجعوا. وعوّلوا على أحسابهم أي اعتمدوا على نخوة الجاهليّة وتعصّبهم ورجعوا عن الدّين. إلا من فاء أي رجع والموازرة: المعاونة. والصعب مقابلة الذلول كناية عن الباطل لاقتحامه بصاحبه في المهالك والقياد بالكسر: حبل يقاد به الدابة. وواءل منه على فاعل طلب النجاة ذكره الجوهريّ وقال: صليت اللحم وغيره أصليه صلياً إذا شويته ويقال أيضاً: صليت الرّجل ناراً إذا أدخلته النّار وجعلته يصلاها وصلي فلان النّار بالكسر: احترق وصلي بالأمر: قاسى حرّه وشدّته. وقال: فللت الجيش: هزمته. ويقال: فلّه فانفل أي كسره فانكسر.

قوله عليه السلام: «ومحلّه محطّه» الضمير الأوّل راجع إلى الخلف والثاني إلى السلف والنّار بدل أو عطف بيان لـ[قوله] «محطّه» ولعلّ الأصوب محلّه ومحطّه فالضميران للسّلف. ودرج الرجل: مشى وأدرجت الكتاب: طويته. وقولهم: خل درج الضبّ أي طريقه والجمع الأدراج. وراغ: مال. قوله عليه السلام: «لما أنت به مكذّب» أي ما أخبرني به النبيّ صلى الله عليه وآله من وقت الحرب وشرائطه أو إتمام الحجّة واتباع أمره تعالى في ذلك ونزول الملائكة للنصرة وبكلّ ذلك كان لعنه الله مكذّباً. قوله عليه السلام: «فعث» من عاث يعيث إذا أفسد وفي بعض النسخ «فعش».

أقول: قال ابن أبي الحديد بعد إيراد تلك الكتب: قلت وأعجب وأطرف ما جاء به الدهر - وإن كانت عجائبه وبدائعه جمّة - أن يُفضي الأمر بعليّ عليه السلام إلى أن يصير معاوية نِدّاً له

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٢٩٤.

ونظيراً مماثلاً يتعارضان الكتاب والجواب ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه ولا يقول له عليّ عليه السلام كلمة إلا قال له مثلها وأخشن منها فليت محمّداً صلى الله عليه وآله كان مشاهد ذلك ليرى عياناً لا خبراً أنّ الدعوة الّتي قام بها وقاسى أعظم المشاقّ في تحمّلها وكابد الأهوال في الذبّ عنها وضرب بالسيوف عليها لمّا مهّد دولتها وشيّد أركانها وملأ الآفاق بها خلصت صفواً عفواً لأعدائه الّذين كذّبوه لمّا دعا إليها وأخرجوه عن أوطانه لمّا حضّ عليها وأدموا وجهه وقتلوا عمّه وأهله فكأنّه كان يسعى لهم ويدأب لراحتهم كما قال أبو سفيان في أيّام عثمان وقد مرّ بقبر حمزة فضربه برجله وقال: «يابا عمارة إنّ الأمر الّذي اجتلدنا عليه بالسّيف أمس في يد غلماننا اليوم يتلعبون به» ثمَّ آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية عليّاً كما يتفاخر الأكفاء والنظراء[1].

٤٠٢ - وقال في موضع آخر كتب معاوية إليه عليه السلام: من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب أمّا بعد فإنا بني عبد مناف لم نزل ننزع من قليب واحد ونجري في حلبة واحدة وليس لبعضنا على بعض فضل ولا لقائمنا على قاعدنا فخر كلمتنا مؤتلفة وألفتنا جامعة ودارنا واحدة ويجمعنا كرم العرق ويحوينا شرف الفخار ويحنو قويّنا على ضعيفنا ويواسي غنيّنا فقيرنا قد خلصت قلوبنا من دغل الحسد وطهرت أنفسنا من خبث السجيّة فلم نزل كذلك حتّى كان منك من الإدهان في أمر ابن عمّك والحسد له وتضريب النّاس عليه حتّى قتل بمشهد منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد فليتك أظهرت نصره حيث أشهرت ختره فكنت كالمتعلق بين النّاس بعذر وإن ضعف والمتبري من دمه بدفع وإن وهن ولكنّك جلست في دارك تدسّ إليه الدواهي وترسل عليه الأفاعي حتّى إذا قضيت وطرك منه أظهرت شماتة وأبديت طلاقة وحسرت للأمر عن ساعدك وشمّرت عن ساقك ودعوت إلى نفسك وأكرهت أعيان المسلمين على بيعتك.

ثم كان منك بعد ما كان من قتلك شيخي المسلمين أبي محمّد طلحة وأبي عبد الله الزبير وهما من الموعودين بالجنّة والمبشر قاتل أحدهما بنار الآخرة هذا إلى تشريدك بأمّ المؤمنين عائشة وإحلالها محلّ الهوان مبتذلة بن أيدي الأعراب وفسقة أهل الكوفة فمن بين منتهر لها وبين شامت بها وبين ساخر منها.

أترى ابن عمّك كان بهذا - لو رآه - راضياً أم كان يكون عليك ساخطاً ولك عنه زاجراً أن تؤذي في أهله وتشرّد بحليلته وتسفك دماء أهل ملته.

ثم تركك دار الهجرة الّتي قال رسول الله صلى الله عليه وآله عنها «إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد» فلعمري لقد صحّ وعده وصدق قوله ولقد نفت خبثها وطردت منها من ليس بأهل أن يستوطنها فأقمت بين المصرين وبعدت عن بركة الحرمين ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة وبمجاورة الخورنق والحيرة عوضاً عن مجاورة قبر خاتم النبوّة.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٢٩٥.

ومن قبل ذلك ما عنيت خليفتي رسول الله صلى الله عليه وآله أيّام حياتهما فقعدت عنهما والتويت عليهما وامتنعت من بيعتهما ورمت أمراً لم يرك الله تعالى له أهلاً ورقيت سلّماً وعراً وحاولت مقاماً دحضاً وادّعيت ما لم تجد عليه ناصراً ولعمري لو وليتها حينئذ لما ازددت إلا فساداً واضطراباً ولا أعقبت ولايتكها إلا انتشاراً وارتداداً لأنّك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه المستطيل على النّاس بلسانه ويده وها أنا السّائر إليك في جمع من المهاجرين والأنصار تحفّهم سيوف شاميّة ورماح قحطانيّة حتّى يحاكموك إلى الله فانظر لنفسك والمسلمين وادفع إليّ قتلة عثمان فإنّهم خاصّتك وخلصاؤك والمحدقون بك فإن أبيت إلا سلوك سبيل اللجاج والإصرار على الغي والضّلال فاعلم أنّ هذه الآية نزلت فيك وفي أهل العراق معك ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[1].

فأجاب عليّ عليه السلام كتابه بما رواه السيّد رحمه الله في النهج والطبرسي رحمه الله في الاحتجاج واللّفظ للسيّد قال: [و] من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب منه:

أمّا بعد فإنا كنّا نحن وأنتم على ماذكرت من الألفة والجماعة ففرّق بيننا وبينكم أمس أنا آمنا وكفرتم واليوم أنا استقمنا وفتنتم وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً وبعد أن كان أنف الإسلام كلّه لرسول الله صلى الله عليه وآله حِزباً. وذكرت أنّي قتلت طلحة والزبير وشرّدت بعائشة ونزلت بين المصرين وذلك أمر غبت عنه فلا الجناية عليك ولا العذر فيه إليك.

وذكرت أنّك زائري في المهاجرين والأنصار وقد انقطعت الهجرة يوم أُسِرَ أخوك فإن كان فيك عجل فاسترفه فإنّي إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله إنّما بعثني للنقمة منك وإن تزرني فكما قال أخو بني أسد:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم ... بحاصب بين أغوار وجلمرد

وعندي السيف الّذي أعضضته بجدّك وخالك وأخيك في مقام واحد وإنك والله ما علمت الأغلف القلب المقارب العقل والأولى أن يقال لك: إنّك رقيت سلّماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك لأنّك نشدت غير ضالّتك ورعيت غير سائمتك وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه فما أبعد قولك من فعلك وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة وتمنّي الباطل على الجحود بمحمّد صلى الله عليه وآله فصرعوا مصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيماً ولم يمنعوا حريماً بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماشها الهوينا.

وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه النّاس ثمّ حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله وأمّا تلك الّتي تريد فإنّها خدعة الصبيّ عن اللبن في أوّل الفصال والسلام

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٧ ص ١٧٦ والآية من سورة النحل رقم ١١٢.

[لأهله][(١)].

تبيين: [قوله عليه السلام]: كنّا نحن وأنتم أي قبل البعثة «انا استقمنا» أي على منهاج الحقّ «وبعد أن كان أنف الإسلام كلّه لرسول الله صلى الله عليه وآله حزباً» في أكثر النسخ بالزاء بعد الحاء المهملة المكسورة وفي بعضها بالراء المهملة بعد الحاء المفتوحة وكذلك كان في نسخة ابن أبي الحديد قال أي بعد أن كان أنف الإسلام محارباً لرسول الله صلى الله عليه وآله . وأنف كلّ شيء أوّله وكان أبو سفيان وأهله من بني عبد شمس من أشدّ النّاس على رسول الله صلى الله عليه وآله في أوّل الهجرة إلى فتح مكّة انتهى.

والأظهر ما في أكثر النسخ كما كان في نسخة ابن ميثم قال: أي بعد أن اشتد الإسلام وصار للرسول صلى الله عليه وآله حزب قويّ من الأشراف واستعار لفظ الأنف لهم باعتبار كونهم أعزاء أهله انتهى. أو باعتبار أنّهم مقدمون على غيرهم فإنّهم السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار فيكون هذا الكلام كالدليل على كون إسلامهم عن كره وإجبار. فلا عليك في الاحتجاج فلا الجناية عليك وهو أظهر.

وقال ابن أبي الحديد أجمل عليه السلام ، في الجواب والجواب المفصّل أنّ طلحة والزّبير قتلا أنفسهما ببيعتهما ونكثهما ولو استقاما على الطريقة لسلما ومن قتله الحقّ فدمه هدر.

وأمّا الوعد لهما بالجنّة فمشروط بسلامة العاقبة والكلام في سلامتها.

وأمّا قوله: بشّر قاتل ابن صفيّة بالنّار فقد اختلف فيه فقال قوم من علماء الحديث وأرباب السّيرة هو كلام عليّ غير مرفوع. وقوم منهم جعلوه مرفوعاً وعلى كلّ حال فهو حقّ لأنّ ابن جرموز قتله مولّياً خارجاً من الصفّ وقاتل من هذه حاله فاسق مستحقّ للنار.

وأما عائشة فأيّ ذنب لأمير المؤمنين عليه السلام في ذلك ولو أقامت في منزلها لم تبتذل بين الأعراب وأهل الكوفة. على أنّ عليّاً عليه السلام أكرمها وصانها وعظّم من شأنها ولو كانت فعلت بعمر ما فعلت به ثم ظفر بها لقتلها ومزقها إرباً إرباً ولكن عليّاً عليه السلام كان حليماً كريماً.

وأما قوله: لو عاش رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخره فلعليّ عليه السلام أن يقلب الكلام عليه ويقول: أفتراه لو عاش أكان رضي لحليلته أن تؤذي أخاه ووصيّه.

وأيضاً أتراه لو عاش أكان رضي لك يا ابن أبي سفيان أن تنازع عليّاً الخلافة وتفرّق جماعة هذه الأمّة. وأيضاً أتراه لو عاش أكان رضي لطلحة والزبير أن يبايعا ثمّ ينكثا لا بسبب بل قالوا: جئنا نطلب الدّراهم فقد قيل لنا إنّ بالبصرة مالاً كثيراً.

فأمّا قوله: «ثم تركك دار الهجرة» فلا عيب عليه إذا انتقضت عليه أطراف الإسلام بالبغي

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٠٨ خ ٣٠٢، الاحتجاج ص ١٧٩.

والفساد أن يخرج من المدينة إليها ويهذّب أهلها وليس كلّ من خرج من المدينة كان خبيثاً فقد خرج عنها عمر مراراً إلى الشام.

ثم لعليّ عليه السلام أن يقول: وأنت يا معاوية قد نفتك المدينة أيضاً فأنت إذاً خبيث وكذلك طلحة والزبير وعائشة الّذين تتعصّب لهم وتحتجّ على النّاس بهم.

وقد خرج عن المدينة الصّالحون كابن مسعود وأبي ذرّ وغيرهما وماتوا في بلاد نائية عنها.

وأما قوله بعدت عن بركة الحرمين فكلام إقناعي ضعيف والواجب على الإمام أن يقدم الأهم فالأهم من مصالح الإسلام وتقديم قتال أهل البغي على المقام في الحرمين أولى.

وأمّا ما ذكره من خذلان عثمان وشماتته به وإكراه النّاس على البيعة فكلّه دعوى والأمر بخلافها.

وأمّا قوله: «التويت على أبي بكر وعمر وقعدت عنهما وحاولت الخلافة» فإن عليّاً عليه السلام: لم يكن يجحد ذلك ولا ينكره ولا ريب أنّه [كان] يدّعي الأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه على الجملة إمّا للنص كما تقوله الشيعة أو لأمر آخر كما يقوله أصحابنا.

فأمّا قوله: «لو وليتها حينئذ لفسد الأمر واضطرب الإسلام» فهذا علم غيب لا يعلمه إلا الله ولعلّه لو وليها حينئذ لاستقام الأمر فإنّه ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلا لأنّ أمره هان عندهم بتأخّره عن الخلافة وتقديم غيره عليه فصغر شأنه في النفوس وقرّر من تقدّمه في قلوب النّاس أنّه لا يصلح لها كلّ الصّلوح ولو كان وليها ابتداءً وهو على تلك الجلالة الّتي كان عليها أيّام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وتلك المنزلة الرفيعة والاختصاص الّذي كان له لكان الأمر غير الّذي رأيناه.

وأما قوله: «لأنك الشامخ..» فقد أسرف في وصفه بما وصفه به ولا شكّ أنه عليه السلام كان عنده زهو ولكن لا هكذا وكان عليه السلام مع زهوه ألطف النّاس خلقاً انتهى كلامه.

وأقول على أصولنا لا يستحق الملعون الجواب بما قد ظهر من كفره ونفاقه من كلّ باب وهو عليه السلام كان أعلم بما يأتي به من الحقّ والصواب ولا ريب أنّ الحقّ يؤوب معه حيث آب.

قوله: «وقد انقطعت الهجرة» قال ابن ميثم لمّا أوهم كلامه أنّه من المهاجرين أكذبه بقوله: «وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أبوك» أي حين الفتح وذلك أنّ معاوية وأباه وجماعة من أهله إنّما أظهروا الإسلام بعد الفتح وقد قال صلى الله عليه وآله: لا هجرة بعد الفتح. وسمّى عليه السلام أخذ العبّاس لأبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله [غير مختار] وعرضه على القتل أسراً.

وروي «يوم أُسر أخوك» وقد كان أسر أخوه عمرو بن أبي سفيان يوم بدر فعلى هذه الرواية يكون الكلام في معرض التذكرة له بأنّ من شأنه وشأن أهله أن يؤسروا ولا يسلموا فكيف يدّعون مع ذلك الهجرة فإن الهجرة بهذا الاعتبار منقطعة عنهم ولا يكون «يوم أسر» ظرفاً لانقطاع الهجرة لأنّ الهجرة إنّما انقطعت بعد الفتح انتهى ولا يخفى ما فيه من التكلّف والبعد.

وقال ابن أبي الحديد: «يوم أسر أخوك» يعني يزيد بن أبي سفيان أسر يوم الفتح في باب الخَندَمة وكان خرج في نفر من قريش يحاربون ويمنعون من دخول مكّة فقتل منهم قوم وأسر يزيد بن أبي سفيان أسره خالد بن الوليد فخلصه أبو سفيان منه وأدخله داره فأمن لأنّ رسول الله ﷺ قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

قوله: «فاسترفه» أي اطلب الرفاهية على نفسك في ذلك فإنّك إنّما تستعجل إلى ما يضرّك أو لا ترهق نفسك بالعجل فإنّي أزورك إن لم تزرني فكما قال أخو بني أسد.

قال ابن أبي الحديد: كنت أسمع قديماً أنّ هذا البيت من شعر بشر بن أبي خازم الأسديّ والآن فقد تصفحت شعره فلم أجده ولا وقفت بعد على قائله[1].

«وريح حاصب» تحمل الحصباء وهي صغار الحصا وإذا كانت بين أغوار وهي ما سفل من الأرض وكانت مع ذاك ريح صيف كانت أعظم مشقّة وأشدّ ضرراً على من تلاقيه.

[فأمّا قوله]: «وجلمود» يمكن أن يكون عطفاً على حاصب وأن يكون عطفاً على «أغوار» أي بين أغوار من الأرض وحرّة وذلك أشدّ لأذاها لما تكتسبه الحرّة من لفح السموم ووهجها والوجه الأوّل أليق. انتهى.

وقال الجوهريّ: الجلمد والجلمود: الصّخر. وقال: أعضضته بسيفي أي ضربته به وعض الرّجل بصاحبه يعضّ غضيضاً أي لزمه.

وقال ابن أبي الحديد: أعضضته أي جعلته معضوضاً برؤوس أهلك به وأكثر ما يأتي أفعلت أن تجعله فاعلاً. وهنا من المقلوب أي عضضت رؤوس أهلك به.

وقال ابن ميثم: [قوله: «عضضته» يروى بالضاد المعجمة] أي جعلته عاضّاً لهم وألزمته بهم ويروى «أغصصته» بالغين المعجمة والصادين المهملتين تقول: أغصصت [السيف] بفلان أي جعلته يغصّ به المضروب هو الّذي يغصّ بالسيف أي لا يكاد يسيغه.

وقد مرّ مراراً أنّ [مراده عليه السلام من قوله:] «الجدّ» [جدّ معاوية] عتبة بن ربيعة، والخال الوليد والأخ حنظلة قتلهم عليه السلام يوم بدر.

قوله عليه السلام: «ما علمت» كلمة ما موصولة وهي بصلتها خبر «إن» والأغلف بيان للموصول. ويحتمل أن يكون المعنى ما دمت علمتك واطّلعت عليك وجدتك كذلك.

وقيل: «ما» مصدرية والأغلف القلب من لابصيرة له كأنّ قلبه في غلاف «والمقارب العقل» في أكثر النسخ بصيغة الفاعل وكذا صحّحه الشارحان.

وقال الجوهريّ: شيء مقارب بكسر الراء: بين الجيّد والرديء ولا تقل مقارب بفتح الراء. وفي بعض النسخ المصححة بالفتح فيحتمل أن يكون بالمعنى المذكور أيضاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٧ ص ١٧٧.

وقال في القاموس: شيء مقارب بكسر الراء: بين الجيّد والرديء أو دين مقارب بالكسر ومتاع مقارب بالفتح انتهى.

أو أريد به العقل الّذي قاربه الشيطان ومسّه أي أنت الّذي تخبطه الشيطان من المسّ. قوله: «والأولى أن يقال لك» جواب لقوله: «ورقيت سلّماً» وفي القاموس: طلع الجبل: علاه كطلع بالكسر «عليك لا لك» أي هذا المطلع أو الارتقاء وبال عليك غير نافع لك «ما أبعد قولك» أي دعواك أنّك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين من فعلك وهو الخروج باغياً على الإمام المفترض الطاعة وشقّ عصا المسلمين مع ما ترتكبه من المنكرات والفسوق كلبس الحرير والمنسوج بالذهب وغير ذلك كما ذكره ابن أبي الحديد «وقريب ما أشبهت» ما مصدرية أي قريب شبهك بأعمامك وأخوالك من بني أميّة الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله «بوقع سيوف» متعلّق بصرعوا و«ما خلا» صفة لسيوف و«الوغى» بالتحريك: الجلبة والأصوات ومنه قيل للحرب وغى لما فيها من الصوت والجلبة «ولم تماشها الهوينا» أي لم يلحق ضربنا ووقعها هون ولا سهولة ولم يجر معها وروي «ولم يتماسها» بالسين المهملة أي لم يخالطها شيء من ذلك «والهوينا» موصوفها محذوفة كالضربة والحالة ونحوها.

وأمّا تلك الّتي تريد أي طلبك قتلة عثمان.

٤٠٣ - وقال ابن ميثم وابن أبي الحديد: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية:

أمّا بعد فإن الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب إليها أحد إلا وشغلته بزينتها عمّا هو أنفع له منها وبالآخرة أُمرنا وعليها حثثنا فدع يا معاوية ما يفنى واعمل لما يبقى واحذر الموت الّذي إليه مصيرك والحساب الّذي إليه عاقبتك واعلم أنّ الله إذا أراد بعبد خيراً حال بينه وبين ما يكره ووفّقه لطاعته وإذا أراد بعبد شراً أغراه بالدّنيا وأنساه الآخرة وبسط له أمله وعاقه عمّا فيه صلاحه.

وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك وتنشد غير ضالّتك وتخبط في عماية وتتيه في ضلالة وتعتصم بغير حجّة وتلوذ بأضعف شبهة.

فأمّا سؤالك إليّ المتاركة والإقرار لك على الشّام فلو كنت فاعلاً ذلك اليوم لفعلته أمس. وأما قولك: إنّ عمر ولاكها. فقد عزل عمر من كان ولّاه صاحبه وعزل عثمان من كان عمر ولّاه ولم ينصب للناس إمّام إلا ليرى من صلاح الأمّة ما قد كان ظهر لمن كان قبله أو خفي عنهم غيّه والأمر يحدث بعد الأمر ولكلّ وال رأي واجتهاد.

فسبحان الله ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتّبعة مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق الّتي هي لله طلبة وعلى عباده حجّة. فأمّا إكثارك الحجاج في عثمان وقتله فإنّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له والسلام[1].

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٣٠٦.

٤٠٤ - **ج:** من كتاب له عليه السلام: «فسبحان الله» إلى قوله «والسلام»(١).

بيان: الحقائق هي ما يحقّ للرجل أن يحميه كما يقال: حامي الحقيقة.

وقيل: هي الأمور الّتي ينبغي أن يعتقدها من خلافته عليه السلام ووجوب طاعته. ووثائق الله: عهوده المطلوبة له وهي على عباده حجّة يوم القيامة.

وقال ابن أبي الحديد: وأمّا قوله عليه السلام: «إنما نصرت عثمان» إلخ فقد روى البلاذريّ أنّه لمّا أرسل عثمان إلى معاوية يستمدّه بعث يزيد بن أسد القسري جدّ خالد بن عبد الله أمير العراق وقال: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإنّي أنا الشاهد وأنت الغائب.

قال: فأقام [القسري] بـ«ذي خشب» حتّى قتل عثمان فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد إلى الشّام بالجيش الّذي كان أرسل معه وإنّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه.

وكتب معاوية إلى ابن عبّاس عند صلح الحسن عليه السلام كتاباً يدعوه فيه إلى بيعته ويقول له فيه: ولعمري لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضاً وأن يكون رأياً صواباً فإنّك من السّاعين عليه والخاذلين له والسّافكين دمه وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي ولا بيدك أمان.

فكتب إليه ابن عبّاس جواباً طويلاً يقول فيه: وأمّا قولك: إنّي من السّاعين على عثمان والخاذلين له والسّافكين دمه، فأقسم بالله لأنت المتربّص بعثمان والمحبّ لهلاكه والحابس النّاس قبلك عنه على بصيرة من أمره ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ فما حفلت - حتّى بعثت به معذّراً بأخرة - وأنت تعلم أنّهم لن يدركوه حتّى يقتل فقتل كما كنت أردت ثمّ علمت بعد ذلك أنّ النّاس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه وتقول: قتل عثمان مظلوماً فإن يك قتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين ثمّ لم تزل مصوّباً ومصعّداً وجاثماً ورابضاً تستغوي الجهّال وتنازعنا حقّنا بالسفهاء حتّى أدركت ما طلبت ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾(٢).

بيان: بعثت به أي بالجيش أو الصريخ «معذّراً» بالتشديد وهو المقصّر ومن يبدي عذراً وليس بمحقّ «بأخرة» أي بتأخير وتسويف أو آخراً حيث لا ينفع. قال الجوهريّ: بعته بأخرة: بكسر الخاء وقصر الألف أي بنسئة وجاء فلان بأخرة بفتح الخاء أي أخيراً.

وفي النهاية فيه: «فصعّد في النظر وصوّبه» أي نظر إلى أعلاي وأسفلي يتأمّلني انتهى.

وجثم الطائر: تلبّد بالأرض. وربوض الغنم والكلب مثل بروك الإبل وجثوم الطير فتارة شبّهه بالطيور الخاطفة وتارة بالكلاب الضارية الصايدة.

---

(١) الاحتجاج، ص ١٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٣٠٧، والآية من سورة الأنبياء، رقم ١١١.

٤٠٥ - وقال ابن أبي الحديد: روى نصر بن مزاحم أنّه كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام على من اتبع الهدى فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلا هو، أمّا بعد فإنّك قد رأيت مرور الدنيا وانقضاءها وتصرّمها وتصرّفها بأهلها فيما مضى منها وخير ما اكتسبت [مما] بقي من الدنيا ما أصاب العباد الصالحون فيما مضى منها من التّقوى ومن يقس الدنيا بالآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً واعلم يا معاوية أنّك قد ادّعيت أمراً لست من أهله لا في القديم ولا في الحديث ولا في البقية ولست تقول فيه بأمر بيّن يعرف له أثر ولا عليك منه شاهد ولست متعلّقاً بآية من كتاب الله ولا عهد من رسول الله فكيف أنت صانع إذا تقشّعت عنك غيابة ما أنت فيه من دنياً قد فتنت بزينتها وركنت إلى لذّتها وخلّي بينك وبين عدوّك فيها عدوّ كلب مضلّ جاهد مليح ملحّ مع ما قد ثبت في نفسك من حبّها، دعتك فأجبتها وقادتك فاتّبعتها وأمرتك فأطعتها فاقعس عن هذا الأمر وخذ أهبة الحساب فإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا يجنّك به مجنّ.

ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعيّة أو ولاةً لأمر هذه الأمّة بلا قدم حسن ولا شرف تليد على قومكم فاستيقظ من سنتك وارجع إلى خالقك وشمّر لما سينزل بك ولا تمكّن عدوّك الشيطان من بغيته فيك مع أنّي أعرف أنّ الله ورسوله صادقان - نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء - وإن لاتفعل فإنّي أُعلمك ما أغفلت من نفسك إنّك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدّم في العروق ولست من أئمّة هذه الأُمّة ولا من رعاتها.

واعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلى النّاس أو بأيديهم لَحسدوناه ولامتّوا علينا به ولكنه قضاء ممّن منحناه واختصّنا به على لسان نبيّه الصّادق المصدق لا أفلح من شكّ بعد العرفان والبينة. ربّ احكم بيننا وبين عدوّنا بالحقّ وأنت خير الحاكمين.

قال نصر: فكتب إليه معاوية بالجواب: من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب أمّا بعد فدع الحسد فإنّك طال ما لم تنتفع به[1]. إلى آخر ما مرّ برواية ابن ميثم رحمه الله.

أقول: وجدت في كتاب صفّين لنصر مثله[2].

وروى ابن ميثم رحمه الله كتابه عليه السلام نحواً ممّا مر[3].

٤٠٦ - وذكر السيّد [الرضي] رحمه الله في النهج بعضه فلنذكره للاختلاف الكثير بينهما، قال: ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً:

وكيف أنت صانع إذا تكشّفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥ ص ٦٢. (٢) كتاب صفين، ص ١٠٨.

(٣) شرح النهج لابن ميثم، ج ٤ ص ٣٧١.

بلذّتها دعتك فأجبتها وقادتك فاتّبعها وأمرتك فأطعتها وإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجنّ.

فاقعس عن هذا الأمر وخذ أهبة الحساب وشَمّر لما قَد نَزَل بك ولا تمكّن الغواة من سمعك وإن لا تفعل أُعلمك ما أغفلت من نفسك فإنّك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه وبلغ فيك أمله وجرى منك مجرى الروح والدّم.

ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأمّة بغير قدم سابق ولا شرف باسق ونعوذ بالله من لوازم سابق الشقاء وأحذرك أن تكون متمادياً في غرّة الأمنية مختلف العلانية والسّريرة.

وقد دعوت إلى الحرب فدَع النّاس جانباً واخرج إليّ واعف الفريقين عن القتال لتعلم أيّنا المرين على قلبه والمغطّى على بصره فأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر وذلك السّيف معي وبذلك القلب ألقى عدوّي ما استبدلت ديناً ولا استحدثت نبيّاً وإنّي لعلى المنهاج الّذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين.

وزعمت أنّك جئت ثائراً بعثمان ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالباً. فكأني قد رأيتك تضجّ من الحرب إذا عضّتك ضجيج الجمال بالأثقال وكأني بجماعتك تدعوني جزعاً من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد مصارع إلى كتاب الله وهي كافرة جاحدة أو مبايعة حائدة(١).

بيان: وإنّي أحمد إليك الله أي أحمد الله منهياً إليك قال في النهاية: في كتابه عليه الصلاة والسلام: أمّا بعد فإنّي أحمد إليك الله أي أحمده معك فأقام إلى مقام مع. وقيل: معناه: أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إيّاها.

وقال الجوهريّ: قشعت الرّيح السحاب أي كشفته فانقشع وتقشع وأقشع أيضاً.

وفي القاموس: غيابة كلّ شيء سترك منه ومنه: غيابات الجب وغيبان الشجر.

والجلابيب جمع جلباب وهي الملحفة في الأصل فاستعير لغيرها من الثياب.

[قوله عليه السلام:] قد تبهّجت أي صارت ذات بهجة وحسن أو تكلّفت البهجة.

وقال الجوهريّ: ألاح بسيفه: لمع به. وألاحه: أهلكه.

[قوله]: «أن يقفك واقف» «وقف» جاء لازماً ومتعدياً واستعمل هنا متعدياً ويقال أيضاً: وقفه على ذنبه أي أطلعه عليه والواقف هو الربّ تعالى عند الحساب أو هو عليه السلام في الدّنيا أو عند مخاصمة القيامة. وقيل أي الموت. و«المجنّ» بكسر الميم وفتح الجيم: الترس. والتليد: القديم. وقعس عن الأمر: تأخّر عنه. والأهبة بالضمّ: الاستعداد لما قد نزل بك أي

(١) نهج البلاغة، ص ٤٩٨ خ ٢٤٨.

الابتلاء بسوء العاقبة أو الحرب أو الموت أو القتل وما بعده تنزيلاً لما لا بدّ من وقوعه منزلة الواقع. وتقول: أغفلت الشيء إذا تركته على ذكر منك وتغافلت عنه ومفعول أغفلت ضمير «ما» و«من نفسك» بيان ذلك الضمير وتفسير له.

كذا ذكره ابن ميثم. وقيل: الظرف متعلّق بالإغفال على تضمين معنى الصرف والإبعاد.

والأظهر عندي أنّ «من» للتبعيض وهو حال عن الضمير أي من صفات نفسك وأحوالها. وأترفته النعمة: أطغته.

قوله عليه السلام: «مأخذه» أي تناولك تناوله الكامل المعروف أو أخذ منك الموضع الّذي يمكنه وينفعه أخذه ويروى بالجمع. و [قال الفيروزآبادي] في [مادة «سوس» من كتاب] القاموس سُستُ الرعية سِياسةً: أمرتها ونهيتها.

وسابق الشقاء ماسبق في القضاء. والتمادي تفاعل من المدى وهو الغاية. والغرّة: الغفلة. والأمنية: طمع النفس. وقال الجوهريّ: الرين: الطبع والدنس يقال: ران على قلبه ذنبه: غلب. والشدخ: كسر الشيء الأجوف.

قوله عليه السلام: ولقد علمت حيث وقع أي إن كنت تطلب ثأرك عند من أجلب وحاصر فالذي فعل ذلك طلحة والزبير فاطلب ثأرك من بني تيم وبني أسد بن عبد العزّى وإن كنت تطلبه ممّن خذل فاطلبه من نفسك فإنّك خذلته وكنت قادراً على أن تمدّه بالرجال فخذلته وقعدت عنه بعد أن استغاث بك.

كذا ذكره ابن أبي الحديد. والضجيج: الصياح عند المكروه والمشقة والجزع أي كأنّي شاهد لجزعك من الحرب إذا عضّتك الحرب. وأصل العضّ: اللزوم، ومنه العض بالأسنان أي إذا لزمتك وأثّرت فيك شدّتها تضجّ كما يضجّ الجمل بثقل حمله «ومصارع بعد مصارع» أي من سقوط على الأرض بعد سقوط «وهي كافرة» أي جماعتك والكافرة الجاحدة أصحابه الّذين لم يبايعوا. والمبايعة الحائدة هم الّذين بايعوه ثمّ عدلوا إليه من [قولهم]: حاد عن الشيء إذا عدل ومال. وهذا من إخباره عليه السلام بالغائبات وهو من المعجزات الباهرات.

٤٠٧ - وقال ابن ميثم رحمه الله: روي أنّ معاوية استشار بعمرو بن العاص في أن يكتب إلى عليّ عليه السلام: كتاباً يسأله فيه الصلح فضحك عمرو وقال: أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ قال: ألسنا بني عبد مناف؟ قال: بلى ولكن لهم النبوّة دونك وإن شئت أن تكتب فاكتب فكتب معاوية إليه مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة: أمّا بعد فإنّي أظنّك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعضنا على بعض وإنا وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى ونصلح ما بقي وقد كنت سألتك الشّام على أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك عليّ فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ولا أخاف من القتل إلا ما تخاف وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال وأكلت الحرب العرب إلا حشاشات أنفس بقيت وإنا في

الحرب والرجال سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستذلّ به عزيز ولا يسترق به حرّ والسلام.

فلما قرأ عليّ عليه السلام كتابه تعجّب منه ومن كتابه ثمَّ دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه وقال له: اكتب إليه: أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنّك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وإنا وإيّاك في غاية لم نبلغها بعد وإنّي لو قتلت في ذات الله وحييت، ثمَّ قتلت ثمَّ حييت سبعين مرّة لم أرجع عن الشدّة في ذات الله والجهاد لأعداء الله.

وأما قولك: إنّه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى فإنّي ما نقصت عقلي ولا ندمت على فعلي. وأما طلبك إليّ الشام فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس.

وأما قولك: إنّ الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشة أنفس بقيت ألا ومن أكله الحقّ فإلى الجنّة ومن أكله الباطل فإلى النّار. وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشكّ منّي على اليقين وليس أهل الشّام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة.

وأما قولك إنّا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل فلعمري إنّا بنو أب واحد ولكن ليس أُميّة كهاشم ولا حرب كعبد المطّلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطّليق ولا الصّريح كاللصيق ولا المحقّ كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنّم وفي أيدينا بعد فضل النبوّة الّتي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذّليل ولمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجاً وأسلمت له هذه الأُمّة طوعاً وكرهاً كنتم ممّن دخل في الدين إمّا رغبة وإمّا رهبة على حين فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم فلا تجعلنّ للشيطان فيك نصيباً ولا على نفسك سبيلاً والسلام(١).

توضيح: أقول: روى الكتاب والجواب ابن أبي الحديد وبعض الجواب السّيد رحمه الله في النهج وأنا جمعت بين الروايات.

قال ابن أبي الحديد: يقال: طلب إليّ فلان كذا والتقدير طلب كذا راغباً إلى فلان. والحشاشات: جمع حشاشة وهي بقية الروح في المريض.

قوله عليه السلام: «فلست بأمضى» قال ابن ميثم: أي بل أنا أمضى لأني على بصيرة ويقين وحينئذ تبطل المساواة الّتي ادعاها معاوية انتهى.

وأقول: لعلّه لمّا كان غرضه لعنه الله تخويفه عليه السلام ببقيّة الجنود والرجال لكي يرتدع عليه السلام عن الحرب أجابه عليه السلام بأنّك إذا لم تنزع عن الحرب مع شكّك في حصول ما تطلبه من الدّنيا فكيف أترك أنا الحرب مع يقيني بما أطلبه من الآخرة.

وفي النّهج: «وأما قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أُميّة كهاشم». وقال ابن

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم، ج ٤ ص ٣٤١.

أبي الحديد: الترتيب يقتضي أن يجعل هاشماً بإزاء عبد شمس لأنّه أخوه في قعدد وكلاهما ولد عبد مناف لصلبه وأن يكون أُميّة بإزاء عبد المطّلب وأن يكون حرب بإزاء أبي طالب وأبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السلام ولمّا كان في صفّين بإزاء معاوية جعل هاشماً بإزاء أُميّة بن عبد شمس.

ولم يقل ولا أنا كأنت لأنّه قبيح أن يقال ذلك كما لا يقال: السيف أمضى من العصا بل قبيح به أن يقولها مع أحد من المسلمين كافّة نعم قد يقولها لا تصريحاً بل تعريضاً لأنّه يرفع نفسه عن أن يقيسها بأحد وهاهنا قد عرّض بذلك في قوله: «ولا المهاجر كالطّليق» لأنّ معاوية كان من الطلقاء لأنّ كلّ من دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله في فتح مكّة عَنوَةً بالسيف فملكه ثمَّ منَّ عليه عن إسلام أو عن غير إسلام فهو من الطلقاء فممّن لم يسلم كصفوان بن أُميّة من أسلم ظاهراً كمعاوية بن أبي سفيان وكذلك كلّ من أُسر في الحرب ثمَّ أُطلق بفداء أو بغير فداء فهو طليق.

وأما قوله: ولا الصّريح كاللّصيق أي الصريح في الإسلام الّذي أسلم اعتقاداً وإخلاصاً ليس كاللّصيق الّذي أسلم خوفاً من السّيف أو رغبة في الدنيا انتهى ملخّص كلامه.

والظاهر أنّ قوله: «كاللصيق» إشارة إلى ما هو المشهور في نسب معاوية كما سيأتي وقد بسط الكلام في ذلك في موضع آخر من هذا الشرح وتجاهل هنا حفظاً لناموس معاوية.

وقد ذكر بعض علمائنا في رسالة في الإمامة أنّ أُميّة لم يكن من صلب عبد شمس وإنّما هو عبد من الروم فاستلحقه عبد شمس ونسبه إلى نفسه وكانت العرب في الجاهلية إذا كان لأحدهم عبد وأراد أن ينسبه إلى نفسه أعتقه وزوّجه كريمة من العرب فيلحق بنسبه قال: وبمثل ذلك نسب العوام أبو الزبير إلى خويلد فبنو أُميّة قاطبة ليسوا من قريش وإنّما لحقوا ولصقوا بهم قال: ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام جواباً عن كتابه وادّعائه «إنا بنو عبد مناف»: «ليس المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللّصيق» ولم يستطع معاوية إنكار ذلك انتهى.

وقال في النهاية: المدغل أي المنافق من أدغلت في هذا الأمر إذا أدخلت فيه ما يفسده وقال: هوى يهوي هوياً إذا هبط. وقال: نعشه الله ينعشه نعشاً إذا رفعه.

قوله عليه السلام: «على حين» قال ابن أبي الحديد: قال قوم من النحاة «حين» هنا مبنيّ على الفتح. وقال قوم: منصوب لإضافته إلى الفعل. قوله عليه السلام: «لاتجعلنّ» أي لا تستمرّ على تلك الحال وإلا فقد كان للشيطان فيك أوفر نصيب.

وقال ابن أبي الحديد: ذكر نصر بن مزاحم في كتاب صفّين أنّ هذا الكتاب كتبه عليّ عليه السلام إلى معاوية قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة ثمَّ قال: فلمّا أتي معاوية كتاب عليّ عليه السلام كتمه عمرو بن العاص أيّاماً ثم دعاه فأقرأه إيّاه فشمت به عمرو ولم يكن أحد من قريش أشدّ إعظاماً لعليّ من عمرو بن العاص منذ يوم لقيه وصفح عنه.

٤٠٨ - وقال في موضع آخر: روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين عن عمر بن سعد عن أبي روق قال: جاء أبو مسلم الخولاني في ناس من قرّاء أهل الشّام إلى معاوية قبل مسير أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفّين فقالوا له: يا معاوية علام تقاتل عليّاً عليه السلام، وليس لك مثل صحبته ولا مثل هجرته ولا قرابته ولا سابقته؟ فقال: إنّي لا أدّعي أنّ لي في الإسلام مثل صحبته ولا مثل هجرته ولا قرابته ولكن خبّروني عنكم ألستم تعلمون أنّ عثمان قتل مظلوماً؟ قالوا: بلى قال: فليدفع إلينا قتلته لنقتلهم به ولا قتال بيننا وبينه. قالوا: فاكتب إليه كتاباً يأته به بعضنا.

فكتب [معاوية] مع أبي مسلم الخولاني: من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإن الله اصطفى محمّداً بعلمه وجعله الأمين على وحيه والرسول إلى خلقه واجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام فكان أفضلهم في الإسلام وأنصحهم لله ورسوله الخليفة من بعده ثمَّ خليفة خليفته من بعد خليفته ثمَّ الثّالث الخليفة المظلوم عثمان فكلّهم حسدت وعلى كلّهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك الهجر في تنفّسك الصّعداء وفي إبطائك عن الخلفاء تقاد إلى كلّ منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتّى تبايع وأنت كاره.

ثم لم تكن لأحدٍ منهم بأعظم حسداً منك لابن عمّك عثمان وكان أحقّهم أن لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبّحت محاسنه وألّبت النّاس عليه وبطنت وظهرت حتّى ضربت إليه آباط الإبل وقيدت إليه الخيل العراب وحمل عليه السّلاح في حرم رسول الله صلى الله عليه وآله فقتل معك في المحلّة وأنت تسمع في داره الهائعة لا تردع الظن والتهمة عن نفسك فيه بقول ولا عمل وأُقسم قسماً صادقاً لو قمت فيما كان من أمره مقاماً واحداً تنهنه النّاس عنه ما عدل بك من قبلنا من النّاس أحداً ولمحى ذلك عندهم ماكانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه.

وأُخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين إيواؤك قتلة عثمان فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك وقد ذكر لي أنّك تتنصّل من دمه فإن كنت صادقاً أمكنّا من قتلته لنقتلهم به ونحن من أسرع النّاس إليك وإلا فإنّه ليس لك ولأصحابك إلا السّيف والّذي لا إله إلا هو لنطلبنّ قتلة عثمان في الجبال والرّمال والبرّ والبحر حتّى يقتلهم الله أو لتلحقنّ أرواحنا بالله والسلام.

قال نصر: فلمّا قدم أبو مسلم على عليّ عليه السلام بهذا الكتاب قام فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أمّا بعد فإنّك قد قمت بأمر وليته ووالله ما أُحبّ أنّه لغيرك إن أعطيت الحقّ من نفسك إنّ عثمان قتل مسلماً محرماً مظلوماً فادفع إلينا قتلته وأنت أميرنا فإن خالفك من النّاس أحد كانت أيدينا لك ناصرة وألسنتنا لك شاهدة وكنت ذا عذر وحجّة.

فقال له عليّ عليه السلام: أغد عليّ غداً فخذ جواب كتابك. فانصرف ثمَّ رجع من غد ليأخذ

كتابه فوجد النّاس قد بلغهم الّذي جاء فيه فلبست الشيعة أسلحتها ثمّ غدوا فملأوا المسجد فنادوا كلّنا قتل عثمان وأكثروا من النّداء بذلك وأذن لأبي مسلم فدخل فدفع إليه عليّ عليه السلام جواب كتاب معاوية.

فقال أبو مسلم: لقد رأيت قوماً ما لك معهم أمر قال: وما ذاك؟ قال: بلغ القوم أنّك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح وزعموا أنّهم كلّهم قتلة عثمان. فقال عليّ عليه السلام: والله ما أردت أن أدفعهم إليكم طرفة عين قط لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينه فما رأيته ينبغي لي أن أدفعهم إليك ولا إلى غيرك فخرج أبو مسلم بالكتاب وهو يقول: الآن طاب الضراب.

وكان جواب عليّ عليه السلام: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد فإن أخا خولان قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه محمداً صلى الله عليه وآله وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحي فالحمد لله الّذي صدق الوعد وأيّده بالنّصر ومكّن له في البلاد وأظهره على أهل العداوة والشنآن من قومه الّذين وثبوا عليه وشنفوا له وأظهروا تكذيبه وبارزوه بالعداوة وظاهروا على إخراجه وعلى إخراج أصحابه وأهله وألّبوا عليه العرب وجامعوهم على حربه وجهدوا في أمره كلّ الجهد وقلبوا له الأمور حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون فكان أشدّ النّاس عليه تأليباً وتحريضاً أسرته والأدنى من قومه إلا من عصمه الله منهم.

يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً ولقد قدمت فأفحشت إذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تبارك وتعالى في نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وفينا فكنت في ذلك كجالب التمر إلى هجر أو كداعي مسدّده إلى النضال.

وذكرت أنّ الله تعالى اجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام فكان أفضلهم كما زعمت في الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصدّيق وخليفة الخليفة الفاروق ولعمري ذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كلّه وإن نقص لم يلحقك ثلمه وما أنت والصديق؟ فالصدّيق من صدق بحقّنا وأبطل باطل عدوّنا! وما أنت والفاروق؟ فالفاروق من فرق بيننا وبين أعدائنا.

وذكرت أنّ عثمان كان في الفضل تالياً فإن يكن عثمان محسناً فسيجزيه الله بإحسانه وإن يكن مسيئاً فسيلقى ربّاً غفوراً لا يتعاظمه ذنب أن يغفره.

ولعمري إنّي لأرجو إذا أعطى الله النّاس على قدر فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ولرسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر.

إن محمداً صلى الله عليه وآله لمّا دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له كنا أهل البيت أوّل من آمن به وصدّقه فيما جاء به فلبثنا أحوالاً كاملة مجرّمة تامّة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا. فأراد قومنا قتل نبيّنا واجتياح أصلنا وهمّوا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل ومنعونا

الميرة وأمسكوا عنّا العذب وأحلسونا الخوف وجعلوا علينا الأرصاد والعيون واضطرونا إلى جبل وعر وأوقدوا لنا نار الحرب وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يواكلوننا ولا يشاربوننا ولا يناكحوننا ولا يبايعوننا ولا نأمن فيهم حتّى ندفع إليهم محمداً ﷺ فيقتلوه ويمثّلوا به فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم فعزم الله لنا على منعه والذبّ عن حوزته والرّمياء من وراء جمرته والقيام بأسيافنا دونه في ساعات الخوف باللّيل والنّهار فمؤمننا يرجو بذلك الثّواب وكافرنا يحامي به عن الأصل.

وأما من أسلم من قريش بعد فإنّهم ممّا نحن فيه أخلياء فمنهم الحليف الممنوع ومنهم ذو العشيرة الّتي تدافع عنه فلا يبغيه أحد مثل ما بغانا به قومنا من التّلف فهم من القتل بمكان نجوة وأمن فكان ذلك ما شاءالله أن يكون.

ثمّ أمر الله تعالى رسوله بالهجرة وأذن له بعد ذلك في قتال المشركين فكان إذا احمرّ البأس ودعيت نزال أقام أهل بيته فاستقدموا فوقى أصحابه بهم حدّ الأسنة والسّيوف فقتل عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أحد وجعفر وزيد يوم مؤتة.

وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الّذي أرادوا من الشهادة مع النبيّ ﷺ غير مرّة إلا أنّ آجالهم عجّلت ومنيّته أخّرت والله وليّ الإحسان إليهم والمنّة عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات. فما سمعت بأحد ولا رأيته هو أنصح لله في طاعة رسوله ولا أطوع لنبيّه في طاعة ربّه ولا أصبر على اللأواء والضرّاء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبيّ ﷺ من هؤلاء النفر الّذين سميت لك وفي المهاجرين خير كثير تعرفه جزاهم الله خيراً بأحسن أعمالهم.

وذكرت حسدي الخلفاء وإبطائي عنهم وبغيي عليهم فأمّا البغي [عليهم] فمعاذ الله أن يكون. وأما الإبطاء عنهم والكراهية لأمرهم فلست أعتذر إلى النّاس من ذلك إنّ الله تعالى ذكره لمّا قبض نبيّه ﷺ قالت قريش: منّا أمير. وقالت الأنصار: منّا أمير. فقالت قريش: منّا محمّد فنحن أحقّ بالأمر فعرفت ذلك الأنصار فسلمت لهم الولاية والسلطان.

فإذا استحقّوها بمحمّد دون الأنصار فإن أولى النّاس بمحمّد أحقّ به منهم وإلا فإن الأنصار أعظم العرب فيها نصيباً فلا أدري أصحابي سلموا من أن يكونوا حقي أخذوا أو الأنصار ظلموا بل عرفت أنّ حقّي هو المأخوذ وقد تركته لهم تجاوز الله عنهم.

وأما ما ذكرت من أمر عثمان وقطيعتي رحمه وتأليبي عليه فإن عثمان عمل ما قد بلغك فصنع النّاس به ما رأيت وإنك لتعلم أنّي قد كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنّى فتجنَّ ما بدا لك.

وأمّا ما ذكرت من أمر قتلة عثمان فإنّي نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينه فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك. ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك وشقاقك لتعرفنّهم عن قليل يطلبونك لا يكلّفونك أن تطلبهم في بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل.

وقد كان أبوك قد أتاني حين ولّى النّاس أبا بكر فقال: أنت أحقّ بمقام محمّد وأولى النّاس

بهذا الأمر وأنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك ابسط يدك أبايعك فلم أفعل وأنت تعلم أنّ أباك قد كان قال ذلك وأراده حتّى كنت أنا الّذي أبيت [عليه] لقرب عهد النّاس بالكفر ومخافة الفرقة بين أهل الإسلام فأبوك كان أعرف بحقّي منك فإن تعرف من حقّي ما كان أبوك يعرف تصب رشدك وإن لم تفعل فسيغني الله عنك والسّلام[1].

توضيح: وجدت الكتاب والجواب في أصل كتاب نصر.

وقال في القاموس: شزره وإليه يشزره: نظر منه في أحد شقّيه أو هو نظر فيه إعراض أو نظر الغضبان بمؤخر العين أو النظر عن يمين وشمال.

وقال في النهاية: الخشاش عويد يجعل في أنف البعير يشدّ به الزمام ليكون أسرع لانقياده ومنه حديث جابر «فانقادت معه الشجرة كالبعير المخشوش» هو الّذي جعل في أنفه الخشاش انتهى.

وضرب آباط الإبل كناية عن ركوبها والسير عليها وإيجافها والهائعة: الصوت تفزع منه وتخافه من عدو. ونهنهه عن الأمر: زجره. وتنصّل إليه من الجناية: خرج وتبرأ.

وفي النهاية: شنفوا له أي أبغضوه. وقال الجوهريّ: ألّبت الجيش: جمعته وتألّبوا: تجمعوا. والتّأليب التحريض وهو الحثّ على القتال. وقال: هجر اسم بلد وفي المثل كمبضع التمر إلى هجر. وقال في بعض: أبضعت الشيء واستبضعته أي جعلته بضاعة وفي المثل: كمستبضع تمر إلى هجر. وذلك أنّ هجر معدن التمر.

قوله عليه السلام: أو كداعي مسدّده أي كمن يدعو من يعلّمه الرّمي إلى المناضلة: أي المراماة. قال الجوهريّ: التسديد: التوفيق للسّداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل إلى أن قال: وقد استدّ الشيء أي استقام وقال:

أعلّمه الرماية كلّ يوم   فلمّا اشتدّ ساعده رماني

وقال: حوم مجرّم وسنة مجرمة أي تامّة انتهى والاجتياح: الاستئصال.

قوله عليه السلام: «ومنعونا [الميرة وأمسكوا عنّا العذب]» وفي النهج: «ومنعونا العذب» وقال ابن أبي الحديد: العذب هنا: العيش العذب لا الماء العذب على أنّه قد نُقِل أنّهم منِعوا أيّام الحصار في شعب بني هاشم من الماء العذب.

قوله عليه السلام: «وأحلسونا الخوف» أي ألزموناه والحلس: كساء رقيق يكون تحت برذعة البعير. وأحلاس البيوت: مايبسط تحت حرّ الثياب ولمّا كان حلس البعير وحلس البيت ملازماً لهما قال: وأحلسونا الخوف.

قوله عليه السلام: «إلى جبل وعر» أي غليظ حزن يصعب الصّعود إليه وهذا مثل ضربه لصعوبة مقامهم. ويحتمل الحقيقة لأنّ الشعب الّذي حصروا فيه مضيق بين جبلين.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥ ص ٥٣-٥٦.

وفي النهج: «فعزم الله لنا على الذب عن حوزته والرمي من وراء حرمته مؤمننا يبغي بذلك الأجر». قوله عليه السلام: «فعزم الله لنا» أي وفقنا لذلك وجعلنا عازمين. وقيل: أراد لنا الإرادة اللازمة منه واختار لنا أن نذب عن حوزة الإسلام وحوزة الملك: بيضته. والذبّ: المنع والدفع. والحرمة: ما لا يحل انتهاكه. والرمي من وراء الحرمة كناية عن المحافظة والمحاماة.

والوراء إمّا بمعنى الأمام أو كناية عن الحماية الخفية أو لأنّ الوراء مظنة أن يؤتى منه غفلة. والضميران في «حوزته وحرمته» راجعان إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أو إلى الله تعالى فإن حرمته حرمة الله. و«رمياً» بكسر الراء والميم المشدّدة وتشديد الياء مبالغة في الرّمي قال الجوهريّ: وكانت بينهم رميّاً ثمّ صاروا إلى حجّيزى. وقال: الجمرة: كلّ قبيل انضمّوا فصاروا يداً واحدة ولم يخالفوا غيرهم فهي جمرة. قوله عليه السلام: يحامي عن الأصل أي يدافع عن محمّد صلى الله عليه وآله حمية ومحافظة على النسب.

وفي النهج بعد ذلك: ومن أسلم من قريش خلو ممّا نحن فيه بحلف يمنعه أو عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان أمن. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا احمرّ البأس وأحجم النّاس قدّم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حرّ السيوف والأسنّة فقتل عبيدة بن الحرث يوم بدر وقتل حمزة يوم أحد وقتل جعفر يوم مؤتة وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الّذي أرادوا من الشهادة ولكن آجالهم عجّلت ومنيّته أُخرت.

وقال ابن ميثم: الواو في قوله: «ومن أسلم» للحال أي والحال أنّ من أسلم من قريش عدا بني هاشم وبني عبد المطّلب خالين ممّا نحن فيه من البلاء آمنين من الخوف أو القتل فمنهم من كان له حلف وعهد مع المشركين يمنعه ومنهم من كان له عشيرة تحفظه.

قوله عليه السلام: «إذا احمرّ البأس» قال السيّد الرّضيّ في النّهج: [هذا] كناية عن اشتداد الأمر. وقد قيل في ذلك أقوال أحسنها أنّه شبّه حمي الحرب بالنّار الّتي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها.

وممّا يؤيد ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله: الآن حمي الوطيس. والوطيس: مستوقد النار.

وأحجم النّاس أي نكصوا وتأخّروا. وأراد بقوله: «من لو شئت ذكرت اسمه» نفسه عليه السلام.

أقول: ذكر الرضيّ رحمه الله هذا المكتوب بإسقاط كثير وزاد في آخره بعض الفقرات من مكتوب آخر سيأتي في محلّه ورواه ابن ميثم أيضاً نحواً ممّا روينا عن ابن أبي الحديد ووجدناه في مواضع أُخر فجمعنا بين الرّوايات.

٤٠٩ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية: أمّا بعد فإن الله سبحانه جعل الدّنيا لما بعدها وابتلى فيها أهلها ليعلم أيّهم أحسن عملاً ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسّعي فيها أُمرنا وإنّما وضعنا فيها لنبتلى بها وقد ابتلاني بك وابتلاك بي فجعل أحدنا حجّة على الآخر فعدوت على طلب الدّنيا بتأويل القرآن فطلبتني بما لم تجنِ يدي ولا لساني وعَصَبته أنت وأهل الشّام

بي وألّب عالمك جاهلكم وقائمكم قاعدكم فاتّق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف إلى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعةٍ تَمَسّ الأصل وتقطع الدّابر فإنّي أؤلي بالله ألية غير فاجرة لئن جمعتني وإيّاك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[1].

توضيح: قوله عليه السلام: بالسّعي فيها أي لها وفي تحصيلها. وقيل: أي ما أمرنا بالسّعي فيها لها. وقد ابتلاني بك أي بأن أمرني بنهيك عن المنكر والجهاد معك. وابتلاك بي بأن فرض عليك طاعتي. فجعل أحدنا أي نفسه عليه السلام، وفي الإجمال أنواع البلاغة كما لا يخفى. فعدوت على طلب الدّنيا أي وثبت عليها واختلستها. وقيل «على» هاهنا متعلّقة بمحذوف دلّ عليه الكلام أي تعديت وظلمت مصرّاً على طلب الدنيا. وتأويل القرآن ما كان يموّه به معاوية على أهل الشّام ويقول لهم: أنا وليّ عثمان وقال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ ثمّ يعدهم الظفر والدّولة على أهل العراق بقوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ وعصبته أي ألزمتنيه كما تلزم العصابة وقال الفيروزآبادي: العصب: الشدّ. وألّب عالمكم التأليب: التحريض.

وقال ابن ميثم: أي عالمكم بحالي وقائمكم بجهادي ومنازعتي. [قوله عليه السلام]: «في نفسك» أي [في] أمرها أو بينك وبين الله. والقياد: ما يقاد به الدابة. ومنازعته جذبه وعدم الانقياد له. «واحذر أن يصيبك الله منه» قال ابن أبي الحديد: الضمير في منه راجع إلى الله تعالى ومن لابتداء الغاية.

وقال القطب الراونديّ: أي من البهتان الّذي أتيته ومن للتعليل أي من أجله وهو بعيد. وقال الفيروزآبادي: القارعة: الشديدة من شدائد الدّهر وهي الدّاهية يقال قرعتهم قوارع الدّهر.

«تمسّ الأصل» قال ابن أبي الحديد: أي تقطعه ومنه ماء ممسوس أي يقطع الغلّة انتهى.

وفيه نظر إذ المسّ بمعنى القطع لم يذكره أحد من أهل اللغة وأمّا الماء الممسوس فهو الماء بين العذب والمالح كما ذكره الجوهريّ أو الّذي نالته الأيدي كما ذكره الخليل في العين والفيروزآباديّ أو الماء الّذي يمسّ الغلّة فيشفيها وكلّ ما شفى الغليل والعذب الصافي كما ذكره هو. والظاهر أنّه من المسّ بالمعنى المعروف أي [إحذر] داهية تصيب أصلك كما يقال: أصابه داء أو بلاء فيكون إصابة الأصل كناية عن الاستئصال كالفقرة التالية. والدابر: العقب والنسل والتابع وآخر كلّ شيء. «فإني أولي» أي أحلف والاسم منه الألية. «جوامع الأقدار» قال ابن أبي الحديد: من إضافة الصفة إلى الموصوف للتأكيد وقال: باحة الدار: وسطها. «حتى يحكم الله بيننا» أي بالظفر والنصر.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٩٨ خ ٢٩٣.

٤١٠ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية: أمّا بعد فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور فقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل واقتحامك غرور المين والأكاذيب وبانتحالك ماقد علا عنك وابتزازك لما اختزن دونك فراراً من الحقّ وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك ممّا قد وعاه سمعك وملئ به صدرك فماذا بعد الحقّ إلا الضلال وبعد البيان إلا اللبس. فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها فإن الفتنة طال ما أغدفت جلابيبها وأغشت الأبصار ظلمتها.

وقد أتاني كتاب منك ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السلم وأساطير لم يحكها منك علم ولاحلم أصبحت منها كالخائض في الدهاس والخابط في الديماس وترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام نازحة الأعلام يقصر دونها الأنوق ويحاذى بها العيوق.

وحاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً أو أُجري لك على أحد منهم عقداً أو عهداً فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها فإنّك إن فرطت حتّى ينهد إليك عبادالله أُرتجّت عليك الأمور ومنعت أمراً هو منك اليوم مقبول والسلام[١].

بيان: قال ابن أبي الحديد: هذا الكتاب هو جواب كتاب وصل من معاوية إليه بعد قتل عليّ عليه السلام الخوارج وفيه تلويح بما كان يقوله من قبل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعدني بقتال طائفة أُخرى غير أصحاب الجمل وصفّين وأنّه سمّاهم المارقين فلمّا واقفهم في النهروان وقتلهم في يوم واحد وهم عشرة آلاف فارس أحبّ أن يذكّر معاوية بما كان يقوله من قبل ويَعِد به أصحابه وخواصّه فقال له: قد آن لك أي قرب وحان أن تنتفع بما عاينت وشاهدت معاينة من صدق القول الّذي كنت أقوله للنّاس ويبلغك وتستهزئ به وقال: يقال: قد رأيته لمحاً باصراً أي نظراً بتحديق شديد ومخرجه مخرج رجل لابن وتامر أي ذو لبن وتمر فمعنى باصر أي ذو بصر وعيان الأمور: معاينتها أي قرب أن تنتفع بما تعلمه يقيناً من استحقاقي للخلافة وبراءتي من كلّ شبهة[٢].

وقال ابن ميثم: وصف اللّمح بالباصر مبالغة في الإبصار كقولهم: ليل أليل. والمدرج: المسلك. وقال ابن أبي الحديد: الأباطيل جمع باطل على غير القياس وإقحامك أي إلقاؤك نفسك بلا رويّة في غرور المين وهو الكذب وبانتحالك أي ادّعائك كذباً ماقد علا عنك أي لم تبلغه ولست أهلاً له. وابتزازك أي استلابك لما اختزن دونك أي منعك الله منه من إمرة المسلمين وبيت مالهم من قولهم: اختزن المال أي أحرزه «فراراً» أي فعلت ذلك كلّه فراراً من الحقّ «لما هو ألزم لك» يعني [من] فرض طاعتي عليك.

قال ابن ميثم: لأنهما دائماً في التغيّر والتبدّل بخلاف وجوب الطاعة فإنّه أمر لازم انتهى.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦١٠ الكتاب ٣٠٣. (٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٧ ص ٢١٧.

ويمكن أن يقال لأنّك تفارقهما ولا تفارقه والظاهر أنّ ذلك مجاز عن شدّة اللزوم. «مما قد وعاه سمعك» أي من النصّ وكلمة ما في «ماذا» استفهاميّة أو نافية. «على لبستها» في بعض النسخ بالضمّ وفي بعضها بالكسر قال في النهاية: اللّبسة بالكسر الهيئة والحالة وقال ابن أبي الحديد: اللبسة بالضمّ يقال في الأمر لبسة أي اشتباه وليس بواضح ويجوز أن يكون اشتمالها مصدراً مضافاً إلى معاوية أي اشتمالك إيّاها على اللّبسة أي ادّراعك إيّاها وتقمصك بها على ما فيها من الإبهام والاشتباه ويجوز أن يكون مصدراً مضافاً إلى ضمير الشبهة فقط أي احذر الشبهة واحتوائها على اللبسة الّتي فيها.

وقال: أغدفت المرأة قناعها أي أرسلته على وجهها. وأغشت الأبصار أي جعلتها غشاء وستراً للأبصار وفي بعض النسخ بالعين المهملة وهو سوء البصر باللّيل أو العمى فالظلمة مرفوعة بالفاعلية.

«ذو أفانين» أي أساليب مختلفة لا يناسب بعضها بعضاً.

«ضعفت قواها عن السلم» قال ابن ميثم: أي ليس لها قوّة أن يوجب صلحاً.

وقال ابن أبي الحديد أي عن الإسلام أي لم تصدر تلك الأفانين المختلفة عن مسلم وكان كتب إليه أن يفرده بالشام وأن يولّيه العهد من بعده وأن لا يكلّفه الحضور عنده. وقرأ أبو عمرو ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [وقال:] ليس المعنيّ بهذا الصلح بل الإسلام والإيمان لا غير.

وقال: الأساطير: الأباطيل واحدها أسطورة وإسطارة بالكسر. وحوك الكلام صنعته ونظمه. والحلم: العقل أو الأناة.

وقال ابن ميثم: لأنّ الكتاب كان فيه خشونة وتهوّر وذلك يُنافي الحلم وينافي غرضه من الصّلح.

وقال الجوهريّ: الدّهس والدهّاس مثل اللبث واللباث: المكان السهل اللين لايبلغ أن يكون رملاً وليس هو بتراب ولا طين ولونه الدّهسة.

وقال: الديماس: السرب المظلم تحت الأرض والسرب البيت في الأرض تقول: السرب الوحشي في سربه والغرض عدم استقامة القول. والمرقبة: الموضع العالي أي دعوى الخلافة. والمرام: المقصد وبعده كناية عن الرفعة ونزوح الأعلام [كناية] عن صعوبة الوصول إليها. وفي الصحاح: نزحت الدار نزوحاً: بعدت. وقال: الأنوق على فعول: طائر وهو الرخمة وفي المثل: أعزّ من بيض الأنوق لأنّها تحرزه فلا تكاد يظفر بها لأنّ أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن البعيدة وهي تحمق مع ذلك انتهى.

[قوله عليه السلام:] «وحاش لله» أصله حاشا لله أي معاذ الله وهو فعل ماض على صيغة المفاعلة مأخوذ من «الحشى» أي النّاحية وفاعله «أن تلي» وقال الزجّاج: حاش لله: براءة لله.

والصدر بالتحريك: رجوع الشّاربة عن الماء كالورد بالكسر: الإشراف على الماء.

[قوله عليه السلام]: «فتدارك نفسك» أي تدبّر آخر أمرك. [وقوله عليه السلام:] «حتى ينهد» أي ينهض. [قوله عليه السلام]: «ارتجّت عليك» أي أغلقت.

٤١١ - **نهج:** ومن كتابه عليه السلام: أمّا بعد فإنّي على التردّد في جوابك والاستماع إلى كتابك لموهن رأيي ومخطئ فراستي وإنك إذ تحاولني الأمور وتراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه أحلامه أو المتحيّر القائم بهظه مقامه لايدري أله ما يأتي أم عليه ولست به غير أنّه بك شبيه. وأقسم بالله [أنه] لولا بعض الاستبقاء لوصلت إليك منّي نوازع تقرع العَظم وتهلس اللّحم واعلم أنّ الشيطان قد ثبّطك عن أن تراجع أحسن أمورك وتأذن لمقال نصيحتك والسلام[1].

بيان: [قوله عليه السلام]: «فإني على التردد» قال ابن أبي الحديد: ليس معناه التوقّف بل التردّد والتكرار أي أنا لائم نفسي على أنّي أكرر تارة بعد تارة أجوبتك عمّا تكتبه وأجعلك نظيراً لي أكتب وتجيبني وتكتب وأجيبك وإنّما كان ينبغي أن يكون جواب مثلك السكوت [قوله عليه السلام]: «لموهن رأيي» أي أعدّه واهناً ضعيفاً والغرض المبالغة في عدم استحقاقه للجواب وإلا فلم يكن فعله عليه السلام إلا حقّاً وصواباً.

[قوله عليه السلام]: «وإنك إذ تحاولني الأمور» الظاهر من كلام الشّارحين أنّهما حملا المحاولة على معنى القصد والإرادة وحينئذٍ يحتاج إلى تقدير حرف الجرّ.

ويحتمل أن يكون مفاعلة من حال بمعنى حجز ومنع أي تمانعني الأمور وتراجعني السطور أي بالسطور كالمستثقل النائم قال ابن أبي الحديد: أي كالنّائم يرى أحلاماً كاذبة أو كمن قام بين يدي سلطان أو بين قوم عقلاء ليعتذر عن أمر أو ليخطب لأمر في نفسه «قد بهظه مقامه ذلك» أي أثقله فهو لا يدري هل ينطق بكلام هو له أم عليه فيتحيّر انتهى.

وفي قوله عليه السلام: «إنه بك شبيه» إيذان بأن معاوية أقوى في ذلك ويقال: استبقيت من الشيء أي تركت بعضه واستبقاه أي استحياه ويحتمل أن يكون من أبقيت عليه أي رحمته. «نوازع تقرع العظم» قال ابن أبي الحديد: روي نوازع جمع نازعة أي جاذبة قالعة ويروى «قوارع» بالقاف والراء ويروى «تهلس اللحم» «تلهس» بتقديم اللام فأمّا تهلس بكسر اللام فالمعنى تذيبه حتّى يصير كبدن به الهلاس وهو السّل. وأمّا تلهس فهو بمعنى تلحس أبدلت الحاء هاءً وهو من لحست كذا بلساني بالكسر: ألحسته أي تأتي على اللّحم حتّى تلحسه لحساً لأنّ الشيء إنّما يلحس إذا ذهب وبقي أثره.

ويروى: «وتنهس» بالنون والسّين المهملة والنّهس والنهش بالمهملة والمعجمة هو أخذ اللّحم بمقدّم الأسنان.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦١٩ الكتاب ٣١١.

وأما بعض الاستبقاء الّذي أشار إليه فقال ابن ميثم: لولا بعض المصالح لوصلت إليك منّي قوارع وأراد شدائد الحرب.

وقال ابن أبي الحديد: الإماميّة تقول إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله فوّض إليه أمر نسائه بعد موته وجعل إليه أن يقطع عصمة أيّتهن شاء إذا رأى ذلك وله من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك فقد كان قادراً على أن يقطع عصمة أمّ حبيبة ويبيح نكاحها للرجال عقوبة لها ولمعاوية فإنّها كانت تبغض عليّاً عليه السلام كما يبغضه أخوها ولو فعل ذلك لانتهس لحمه وقد رووا عن رجالهم أنّه تهدد عائشة بضرب من ذلك قال: وأمّا أصحابنا فيقولون: قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله يلعن معاوية بعد إسلامه ويقول: إنّه منافق كافر وإنّه من أهل النّار والأخبار في ذلك مشهورة فلو شاء أن يحمل إلى أهل الشّام خطوطهم وشهاداتهم بذلك وأسمعهم قوله مشافهة لفعل ولكن رأى العدول عن ذلك مصلحة لأمر يعلمه هو عليه السلام.

وقال أبو زيد البصريّ: إنّما أبقى عليه لأنّه خاف أنّ يفعل معاوية كفعله عليه السلام فيقول لعمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أرطأة وأمثالهم: ارووا أنتم عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان يقول في عليّ عليه السلام أمثال ذلك انتهى[1].

وقال الجوهريّ ثبّطه عن الأمر تثبيطاً: شغله عنه، وقال: أذن له أذناً: استمع.

٤١٢ - وروى ابن أبي الحديد من كتاب أبي العبّاس يعقوب بن أبي أحمد الصيمري أنّ معاوية لعنه الله كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد فإنّك المطبوع على قلبك المغطّى على بصرك الشرّ من شيمتك والعتوّ من خليقتك فشمّر للحرب واصبر للضرب فوالله ليرجعن الأمر إلى ما علمت والعاقبة للمتّقين هيهات هيهات أخطأك ما تمنّى وهوى قلبك فيما هوى فاربع على ظلعك وقس شبرك بفترك تعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشّك علمه والسّلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد يا ابن الصخر يا ابن اللّعين يزن الجبال فيما زعمت حلمك ويفصل بين أهل الجهل علمك وأنت الجاهل القليل الفقه المتفاوت العقل الشارد عن الدّين. وقلت: فشمّر للحرب واصبر للضرب. فإن كنت صادقاً فيما تزعم ويعينك عليه ابن النابغة فدع النّاس جانباً واعف الفريقين من القتال وابرز إليّ لتعلم أيّنا المرين على قلبه المغطّى على بصره فأنا أبو الحسن حقّاً قاتل أخيك وخالك وجدّك شدخاً يوم بدر وذلك السيف بيدي وبذلك القلب ألقى عدوّي.

ثم قال: الشدخ: كسر الشيء الأجوف [يقال:] شدخت رأسه فانشدخ.

وهؤلاء الثلاثة حنظلة بن أبي سفيان والوليد بن عتبة وأبوه عتبة بن ربيعة فحنظلة أخوه والوليد خاله وعتبة جدّه وقد قتلوا في غزاة بدر[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٨ ص ٢٤٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٥ ص ٥٩.

٤١٣ - أمّا بعد فما أعجب ما يأتيني منك وما أعلمني بمنزلتك الّتي أنت إليها صائر ونحوها سائر وليس إبطائي عنك إلا لوقت أنا به مصدّق وأنت به مكذّب فكأنّي أراك وأنت تضجّ من الحرب وإخوانك يدعونني خوفاً من السّيف إلى كتاب هم به كافرون وله جاحدون.

ثم قال: ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية قال: وكتب أيضاً عليه السلام:

٤١٤ - أمّا بعد فطال ما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الحقّ أساطير ونبذتموه وراء ظهوركم وحاولتم إطفاءه بأفواهكم: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1]. ولعمري لينفذن العلم فيك وليتمّنّ النّور بصغرك وقمأتك ولتُخسأنّ طريداً مدحوراً أو قتيلاً مثبوراً ولتجزينّ بِعَمَلِك حيث لا ناصر لك ولا مصرح عندك.

وقد أسهبت في ذكر عثمان ولعمري ما قتله غيرك ولا خذله سواك، ولقد تربّصت به الدّوائر وتمنّيت له الأماني طمعاً فيما ظهر منك ودلّ عليه فعلك وإنّي لأرجو أن أُلحقك به على أعظم من ذنبه وأكبر من خطيئته فأنا ابن عبد المطّلب صاحب السيف وإنّ قائمه لفي يدي وقد علمت من قتلت به من صناديد بني عبد شمس وفراعنة بني سهم وجمح ومخزوم وأيتمت أبناءهم وأيّمت نساءهم وأذكّرك ما لست له ناسياً يوم قتلت أخاك حنظلة وجررت برجله إلى القليب وأسرت أخاك عمراً فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً وطلبتك ففررت ولك حصاص فلولا أنّي لا أتبع فارّاً لجعلتك ثالثهما وأنا أؤلي لك بالله أليّة برّة غير فاجرة لئن جمعتني وإيّاك جوامع الأقدار لأتركنّك مثلاً يتمثّل به النّاس أبداً ولأُجعجعنّ بك في مناخك حتّى يحكم الله بيني وبينك وهو خير الحاكمين.

ولئن أنسأ الله في أجلي قليلاً لأُغزينّك سراة المسلمين ولأنهدنّ إليك في جحفل من المهاجرين والأنصار ثم لا أقبل لك معذرة ولا شفاعة ولا أُجيبك إلى طلب وسؤال ولترجعنّ إلى تحيّرك وتردّدك وتلدّدك فقد شاهدت وأبصرت ورأيت سحب الموت كيف هطلت عليك بصيّبها حتّى اعتصمت بكتاب أنت وأبوك أوّل من كفر به وكذب بنزوله، ولقد كنت تفرّستها وآذنتك أنك فاعلها وقد مضى منها ما مضى وانقضى من كيدك فيها ما انقضى وأنا سائر نحوك على اثر هذا الكتاب فاختر لنفسك وانظر لها وتداركها فإنّك إن فرطت واستمررت على غيّك وغلوائك حتّى ينهد إليك عباد الله أُرتجت عليك الأمور ومنعت أمراً هو اليوم منك مقبول.

يا ابن حرب إنّ لجاجك في منازعة الأمر أهله من سفاه الرّأي فلا يطمعنّك أهل الضلال ولا يوبقنّك سفه رأي الجهّال فوالذي نفس عليّ بيده لئن برقت في وجهك بارقة من ذي الفقار لتصعقنّ صعقة لا تفيق منها حتّى ينفخ في الصور النفخة الّتي يئست منها كما يئس الكفّار من أصحاب القبور[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٥ ص ٦٠.

توضيح: قال [ابن الأثير] في النهاية: في حديث أبي هريرة: «إذا سمع الشيطان الأذان ولّى وله حصاص» الحُصاص: شدّة العدو وحدّته وقيل هو أن يمصع بذنبه ويصرّ بأذنيه ويعدو وقيل هو الضراط. وقال جعجع القوم إذا أناخوا بالجعجاع وهي الأرض والجعجاع أيضاً الموضع الضيّق الخشن ومنه كتاب عبيد الله [بن زياد]: وجعجع بحسين وأصحابه أي ضيّق عليهم المكان.

وقال في القاموس: الجعجاع: الأرض عامّة والحرب ومناخ سوء لا يقرّ فيه صاحبه والفحل الشديد الرغاء. والجعجعة: صوت الرحا ونحر الجزور وأصوات الجمال إذا اجتمعت وبروك البعير وتبريكه والحبس والقعود على غير طمأنينة. وتجعجع: ضرب بنفسه الأرض من وجع.

وفي النهاية: السّريّ: النفيس الشريف. وقيل: السّخي ذو المروءة والجمع سراة بالفتح على غير قياس وتضمّ السين.

وفي قوله عليه السلام: «لأغرينك» كأنّه على الحذف والإيصال وفي بعض النسخ بالزاي من أغزاه إذا حمله على الغزو.

وفي القاموس: الجحفل كجعفر: الجيش الكثير.

قوله عليه السلام: «فقد شاهدت» يدلّ على أنّه كان الكتاب بعد الرجوع عن صفّين عند إرادة العود إليه والغلواء بضم الغين وفتح اللّام وقد تسكن: الغلوّ وشرّة الشباب وأوّله.

وقال الجوهريّ: أُرتجت الباب: أغلقته. وأُرتج على القارئ على ما لم يسمّ فاعله إذا لم يقدر على القراءة كأنّه أطبق عليه كما يرتج الباب ولا تقل ارتجّ عليه بالتشديد.

٤١٥ - **كنز الفوائد للكراجكي:** نسخة كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أمّا بعد فإنّ الهوى يضلّ من اتّبعه والحرص يتعب الطالب المحروم وأحمد العاقبتين ما هدى إلى سبيل ومن العجب العجيب ذامّ مادح أو زاهد راغب ومتوكّل حريص كلاماً ضربته لك مثلاً لتدبّر حكمته بجمع الفهم ومباينة الهوى ومناصحة النفس فلعمري يا ابن أبي طالب لولا الرّحم الّتي عطفتني عليك والسّابقة الّتي سلف لك لقد كان اختطفك بعض عقبان أهل الشّام فصعّد بك في الهواء ثم قذفك على دكادك شوامخ الأبصار فأُلفيت كسحيق الفهر على مسنّ الصّلابة لا يجد الذرّ فيك مرتقاً ولقد عزمت عزمة من لا تعطفه رقّة إن لا تذر ولا تباين ما قربت به أملك وطال له طلبك لأُوردنّك مورداً تستمر مذاقه إن فسح لك في الحياة بل نظنّك قبل ذلك من الهالكين وبئس الرّأي رأي يورد أهله المهالك ويمنّيهم العطب إلى حين لات مناص وقد قذف بالحقّ على الباطل وظهر أمرالله وهم كارهون ولله الحجّة البالغة والمنّة الظاهرة والسلام.

جواب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: من عبد الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان.

أمّا بعد فقد أتاني كتابك بتنويق المقال وضرب الأمثال وانتحال الأعمال تصف الحكمة ولست من أهلها وتذكر التقوى وأنت على ضدّها قد اتّبعت هواك فحاد بك [عن] المحجّة ولحج بك عن سواء السبيل فأنت تسحب أذيال لذّات الفتن وتخبط في زهرة الدنيا كأنّك لست توقن بأوبة البعث ولا برجعة المنقلب قد عقدت التاج ولبست الخزّ وافترشت الدّيباج سنّة هرقلية وملكاً فارسياً ثم لم يقنعك ذلك حتّى يبلغني أنّك تعقد الأمر من بعدك لغيرك فيملك دونك وتحاسب دونه. ولعمري لئن فعلت ذلك فما ورثت الضّلالة عن كلالة وإنّك لابن من كان يبغي على أهل الدين ويحسد المسلمين.

وذكرت رحماً عطفتك عليّ فأُقسم بالله الأعزّ الأجلّ أن لو نازعك هذا الأمر في حياتك من أنت تمهّده له بعد وفاتك لقطعت حبله ولبتتّ أسبابه.

وأما تهديدك لي بالمشارب الوبيئة والموارد المهلكة فأنا عبد الله عليّ بن أبي طالب أبرز إليّ صفحتك كلا وربّ البيت ما أنت بأبي عذر عند القتال ولا عند منافحة الأبطال وكأنّي بك لو شهدت الحرب وقد قامت على ساق وكشرت عن منظر كريه والأرواح تختطف اختطاف البازي زغب القطا لصرت كالمولهة الحيرانة تضربها العبرة بالصّدمة لا تعرف أعلا الوادي من أسفله. فدع عنك ما لست من أهله فإنّ وقع الحسام غير تشقيق الكلام فكم عسكر قد شهدته وقرن نازلته ورأيت اصطكاك قريش بين يدي رسول الله ﷺ إذ أنت وأبوك ومن هو أعلا منكما لي تبع وأنت اليوم تهدّدني. فأُقسم بالله أن لو تبدي الأيّام عن صفحتك لنشب فيك مخلب ليث هصور لا يفوته فريسته بالمراوغة كيف وأنّى لك بذلك وأنت قعيدة بنت البكر المخدّرة يفزعها صوت الرعد وأنا عليّ بن أبي طالب الّذي لا أُهدّد بالقتال ولا أُخوّف بالنزال فإن شئت يا معاوية فابرز والسّلام.

فلمّا وصل هذا الجواب إلى معاوية بن أبي سفيان جمع جماعة من أصحابه وفيهم عمرو بن العاص فقرأه عليهم فقال له عمرو: قد أنصفك الرجل كم رجل أحسن في الله قد قتل بينكما ابرز إليه فقال له: أبا عبد الله أخطأت استك الحفرة أنا أبرز إليه مع علمي أنّه ما برز إليه أحد إلا وقتله لا والله ولكنّي سأبرزك إليه[1].

٤١٦ - نسخة كتاب [آخر] من معاوية بن أبي سفيان إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد فإنّا لو علمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نرمّ به ما مضى ونصلح ما بقي وقد كنت سألتك الشّام على أن لا تلزمني لك طاعة فأبيت ذلك عليّ وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ولا تخاف من الفناء إلا ما أخاف وقد والله رقّت الأجناد وذهبت الرجال

(١) كنز الفوائد، ج ٢ ص ٢٠١.

ونحن جميعاً بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض يستذلّ به عزيز ولا يسترقّ به حرّ.

جواب أمير المؤمنين عليه السلام : من عبد الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان.

أمّا بعد، فقد جاء في كتابك تذكر أنّك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض. وإنا وإيّاك نلتمس غايةً منها لم نبلغها بعد. وأمّا طلبك إليّ الشّام فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس. وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشكّ منّي على اليقين ولا أهل الشّام على الدنيا بأحرص من أهل العراق على الآخرة. وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف. فكذلك نحن [و] لكن ليس أُميّة كهاشم ولا حرب كعبد المطّلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحقّ. وفي أيدينا فضل النبوّة الّتي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحرّ والسلام(١).

توضيح: الدكادك جمع الدّكداك وهو من الرمل ما التبد منه بالأرض ولم يرتفع.

والأبصار كأنّه جمع البصر بالضمّ وهو الجانب وحرف كلّ شيء.

[قوله عليه السلام]: «كسحيق الفهر» أي كالشيء الّذي سحقه الفهر.

وفي القاموس: الفهر بالكسر: الحجر قدر ما يدقّ به الجوز أو ما يملأ الكفّ. وقال الصّلاية: مدق الطيب انتهى.

ولعلّ المراد بمسنّها وسطها كمسان الطّريق. والمسنّ بالكسر: حجر يحدّ عليه السّكين.

وفي القاموس: المنوّق كمعظم: المذلّل من الجمال، ومن النّخل: الملقح.

والنواق: رائض الأمور ومصلحها. والنوقة: الحذاقة في كلّ شيء. وتنوّق في مطعمه وملبسه: تجوّد وبالغ. وقال: لحج السيف كفرح: نشب في الغمد. ومكان لحج ككتف: ضيّق والملحج: الملجأ. ولحجه كمنعه: ضربه وإليه لجأ.

«فما ورثت الضلالة» أي لم تأخذ هذه الضلالة من بعيد في النسب بل أخذت من أبيك.

قال الجوهريّ: الكلالة الّذي لاولد له ولا والد، والعرب تقول: لم يرثه كلالة أي لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق قال الفرزدق:

ورثتم قناة الملك غير كلالة عن ابني مناف عبد شمس وهاشم

والوبيئة فعيلة من الوباء وهو الطاعون أو المرض العام يقال: أرض وبيئة أي كثيرة الوباء وقد يخفّف فيشدّد «ما أنت بأبي عُذر» أي لابتدائي بالقتال يقال: فلان أبو عذرها إذا كان هو الّذي افترعها وافتضّها. وقولهم: ما أنت بذي عذر هذا الكلام أي لست بأوّل من افتضه.

ولا يبعد أن يكون بالغين المعجمة والدّال المهملة قال الجوهريّ: رجل ثبت الغدر أي

(١) كنز الفوائد، ج ٢ ص ٢٠١.

ثابت في قتال وكلام. والمنافحة: المدافعة والمضاربة وقرب كلّ من القرنين إلى الآخر بحيث يصل إليه نفحه أي ريحه ونفسه.

وقال الجوهريّ: كشر البعير عن نابه أي كشف عنه. والكشر: التبسّم. وقال: الزّغب الشعيرات الصفر على ريش الفرخ والفراخ زغب وقال: يقال شقّق الكلام إذا أخرجه أحسن مخرج والهصر بالكسر والهصور: الأسد وراغ الرّجل والثعلب روغاً وروغاناً: مال وحاد عن الشيء. وقعيدة الرجل: امرأته والخدر: ستر يمدّ للجارية في ناحية البيت. وبالفتح إلزام البنت الخدر كالإخدار والتخدير وهي مخدورة ومخدّرة ومخدرة.

٤١٧ - **كنز الفوائد:** كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام افتخاراً فقال عليه السلام: أعليّ يفتخر ابن آكلة الأكباد؟ ثم قال لعبيدالله بن أبي رافع: اكتب:

محمّد النبيّ أخي وصنوي ... وحمزة سيّد الشهداء عمّي
وجعفر الّذي يضحي ويمسي ... يطير مع الملائكة ابن أمّي
وبنت محمّد سكني وعرسي ... مساط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ابناي منها ... فأيّكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرّاً ... غلاماً ما بلغت أوان حلمي
وأوجب لي الولاء معاً عليكم ... خليلي يوم دوح غدير خمي

أقول: ذكرها في الديوان مع زيادة وتغيير هكذا:

وأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خمّ
وأوصاني النبيّ على اختيار ... لأمّته رضىً منكم بحكمي
ألا من شاء فليؤمن بهذا ... وإلا فليمت كمداً بغمّ
أنا البطل الّذي لم تنكروه ... ليوم كريهة وليوم سلمي[(١)]

بيان: السكن بالتحريك: كلّ ما سكنت إليه. والعرس بالكسر: امرأة الرجل.

والسّوط: خلط الشيء بعضه ببعض وسوّطه أي خلطه. والدّوح: جمع الدوحة وهي الشجرة العظيمة. والكمد بالتحريك: الحزن المكتوم.

٤١٨ - **ج:** روى أبو عبيدة قال: كتب معاوية إلى عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ لي فضائل كثيرة كان أبي سيداً في الجاهلية وصرت ملكاً في الإسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وخال المؤمنين وكاتب الوحي فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أبالفضائل يبغي عليّ ابن آكلة الأكباد؟ اكتب إليه ياغلام: «محمّد النبيّ أخي وصهري» [وساق الأبيات] إلى قوله:

سَبَقْتُكُمُ إلى الإسلام طُرّاً ... مُقِرّاً بالنبيّ في بَطْنِ أمّي

---

(١) كنز الفوائد، ج ١ ص ١٢٣.

وصَلَّيتُ الصَّلاةَ وكُنْتُ طِفلاً صَغِيراً ما بَلَغتُ أوانَ حُلْمِي

[وساق الأبيات] إلى قوله:

فَوَيْلٌ ثمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِمَنْ يَلْقَى الإلهَ غَداً بِظُلْمِي

فقال معاويةُ: إخْفُوا هذا الكتاب لا يَقْرَؤهُ أهلُ الشام فَيميلوا إلى ابن أبي طالب(١).

٤١٩ - كتاب صفّين لنصر بن مُزاحِم قال: كتب عليّ عليه السلام إلى معاوية:

أصبحتَ منّي يا ابن حرب جاهلاً أن لم نُرام منكُمُ الكواهلا
بالحقّ والحقّ يزيل الباطلا هذا لك العام وعاماً قابلاً(٢)

٤٢٠ - كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ [قال:] رُوِيَ أنّ علياً عليه السلام كتب إلى معاوية: من عبد الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إلى معاوية [وبعد فـ] إنّ الله تبارك وتعالى ذا الجلال والإكرام خَلَقَ الخَلْقَ واختار خِيَرَةً من خَلْقِه واصطفى صفوة من عباده «يَخْلُقُ ما يشاء ويختار، وكان لهم الخِيَرَةُ، سبحان الله وتعالى عمّا يشركون» فأمر الأمر وشرع الدين وقسم القسم على ذلك وهو فاعله وجاعله وهو الخالق وهو المُصطفي وهو المُشرِّعُ وهو القاسم وهو الفاعل لما يشاء له الخَلْقُ وله الأمر وله الخِيَرَةُ والمشيئة والإرادة والقُدْرَةُ والملك والسلطان.

أرسل رسوله خِيَرَتَهُ وصفوته بالهُدى ودين الحقّ وأنزل عليه كتابه فيه تبيان كلّ شيء من شرائع دينه فبيّنه لقوم يعلمون، وفيه فرض الفرائض، وقسم فيه سهاماً أحلَّ بعضها لبعض وحرم بعضها لبعض بيّنها يا معاوية إن كنت تعلم الحجّة؟ وضرب أمثالاً لا يعلمها إلا العالمون فأنا سائلك عنها أو بعضها إن كنت تعلم؟! واتّخذ الحجّة بأربعة أشياء على العالمين فما هي يا معاوية؟ ولمن هي؟ واعلم أنهن حُجّة لنا أهل البيت على من خالفنا ونازعنا وفارقنا وبغى علينا والمستعان الله عليه توكلت وعليه فليتوكل المُتوكلون.

وكان جملة تبليغه رسالة ربّه فيما أمره وشرع وفرض وقسم جملة الدين يقول الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٣) هي لنا أهل البيت ليست لكم.

ثُمَّ نهى عن المنازعة والفرقة وأمر بالتّسليم والجماعة فكنتم أنتم القوم الّذين أقررتم لله ولرسوله فبدا لكم فأخبركم الله أنّ محمّداً لم يك أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين. وقال عزّ وجلّ: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾(٤) فأنت وشركاؤك يا معاوية القوم الّذين انقلبوا على أعقابهم وارتدّوا ونَقَضُوا الأمر والعهد فيما عاهدوا الله ونكثوا البيعة ولم يضرّوا الله شيئاً.

---

(١) الاحتجاج، ص ٢٦٥.
(٢) كتاب وقعة صفين، ص ١٣٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

ألم تعلم يا معاوية أنّ الأئمّة منّا ليست منكم وقد أخبركم الله أنّ أولي الأمر [هم] المستنبطو العلم وأخبركم أنّ الأمر الّذي تختلفون فيه يردّ إلى الله وإلى الرّسول وإلى أولي الأمر المستنبطي العلم فمن أوفى بما عاهد الله عليه يجد الله موفياً بعهده يقول الله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[1] وقال عزّوجلّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[2] وقال للناس بعدهم: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾[3] فتبوأ مقعدك من جهنّم وكفى بجهنّم سعيراً.

[و] نحن آل إبراهيم المحسودون وأنت الحاسد لنا.

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وعلّمه الأسماء كلّها واصطفاه على العالمين فحسده الشيطان فكان من الغاوين. ونوحاً حسده قومه إذ قالوا: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[4]. ذلك حسد منهم لنوح أن يقرّوا له بالفضل وهو بشر.

ومن بعده حسدوا هوداً إذ يقول قومه: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾[5] قالوا ذلك حسداً أن يفضّل الله من يشاء ويختص برحمته من يشاء.

ومن قبل ذلك ابن آدم قابيل قتل هابيل حسداً فكان من الخاسرين.

وطائفة من بني إسرائيل: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[6] فلمّا بعث الله لهم طالوت ملكاً حسدوه وقالوا: أنّى يكون له الملك علينا وزعموا أنّهم أحقّ بالملك منه كلّ ذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق وعندنا تفسيره وعندنا تأويله وقد خاب من افترى ونعرف فيكم شبهه وأمثاله ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[7] فكان نبيّنا صلى الله عليه وآله فلمّا جاءهم [ما عرفوا] كفروا به حسداً من عند أنفسهم: ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[8] حسداً من القوم على تفضيل بعضنا على بعض.

ألا ونحن أهل البيت آل إبراهيم المحسودون حسدنا كما حسد آباؤنا من قبلنا سنّة ومثلاً، وقال الله: وآل إبراهيم وآل لوط وآل عمران وآل يعقوب وآل موسى وآل هارون وآل داود فنحن آل نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله. ألم تعلم يا معاوية ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[9].

ونحن أولو الأرحام قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[10].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.
(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٣٣-٣٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.
(٧) سورة يونس، الآية: ١٠١.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٩٠.
(٩) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.
(١٠) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

نحن أهل بيت اختارنا الله واصطفانا وجعل النبوة فينا والكتاب لنا والحكمة والعلم والإيمان وبيت الله ومسكن إسماعيل ومقام إبراهيم فالملك لنا ويلك يا معاوية.

ونحن أولى بإبراهيم ونحن آله وآل عمران وأولى بعمران وآل لوط ونحن أولى بلوط وآل يعقوب ونحن أولى بيعقوب وآل موسى وآل هارون وآل داوود وأولى بهم وآل محمّد أولى به.

ونحن أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ولكلّ نبيّ دعوة في خاصّة نفسه وذريته وأهله ولكلّ نبيّ وصيّة في آله.

ألم تعلم أنّ إبراهيم أوصى بابنه يعقوب ويعقوب أوصى بنيه إذ حضره الموت وأن محمّداً أوصى إلى آله سنّة إبراهيم والنبيّين اقتداء بهم كما أمره الله ليس لك منهم ولا منه سُنّة في النبيّين وفي هذه الذريّة الّتي بعضها من بعض قال الله لإبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ فنحن الأُمّة المسلمة وقالا: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾.

فنحن أهل هذه الدّعوة ورسول الله منّا ونحن منه بعضنا من بعض وبعضنا أولى ببعض في الولاية والميراث: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وعلينا نزل الكتاب وفينا بعث الرّسول وعلينا تليت الآيات ونحن المنتحلون للكتاب والشهداء عليه والدّعاة إليه والقوّام به ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أفغير الله يا معاوية تبغي ربّاً؟ أم غير كتابه كتاباً؟ أم غير الكعبة بيت الله ومسكن إسماعيل ومقام أبينا إبراهيم تبغي قبلة؟ أم غير ملّته تبغي ديناً أم غير الله تبغي ملكاً؟ فقد جعل الله ذلك فينا فقد أبديت عداوتك لنا وحسدك وبغضك ونقضك عهد الله وتحريفك آيات الله وتبديلك قول الله قال الله لإبراهيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾ أفترغب عن ملّته وقد اصطفاه الله في الدّنيا وهو في الآخرة من الصّالحين؟ أم غير الحكم تبغي حكماً؟ أم غير المستحفظ منّا تبغي إماماً؟ الإمامة لإبراهيم وذرّيته والمؤمنون تبع لهم لا يرغبون عن ملته قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أدعوك يا معاوية إلى الله ورسوله وكتابه وولي أمره الحكيم من آل إبراهيم وإلى الّذي أقررت به زعمت إلى الله والوفاء بعهده: ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم» ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾[1]. فنحن الأمّة الأربى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، اتّبعنا واقتد بنا فإن ذلك لنا آل إبراهيم على العالمين مفترض فإن الأفئدة من المؤمنين والمسلمين تهوي إلينا وذلك دعوة المرء المسلم فهل تنقم منّا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا واقتدينا واتّبعنا ملّة إبراهيم صلوات الله عليه وعلى محمّد وآله.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٣.

فكتب [إليه] معاوية: من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب: قد انتهى إليّ كتابك فأكثرت فيه ذكر إبراهيم وإسماعيل وآدم ونوح والنبيّين وذكر محمّد وقرابتكم منه ومنزلتكم وحقك ولم ترض بقرابتك من محمّد حتّى انتسبت إلى جميع النبيّين ألا وإنّما كان محمّد رسولاً من الرسل إلى النّاس كافة فبلّغ رسالات ربّه لا يملك شيئاً غيره ألا وإنّ الله ذكر قوماً جعلوا بينه وبين الجنّة نسباً وقد خفت عليك أن تضارعهم ألا وإنّ الله أنزل في كتابه أنّه لم يك يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولا وليّ من الذلّ فأخبرنا ما فضل قرابتك وما فضل حقّك وأين وجدت اسمك في كتاب الله وملكك وإمامتك وفضلك ألا وإنّما نقتدي بمن كان قبلنا من الأئمّة والخلفاء الّذين اقتديت بهم فكنت كمن اختار ورضي ولسنا منكم قتل خليفتنا أمير المؤمنين عثمان بن عفّان وقال الله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ فنحن أولى بعثمان وذرّيته وأنتم أخذتموه على رضىً من أنفسكم جعلتموه خليفة وسمعتم له وأطعتم.

فأجابه عليّ عليه السلام: أمّا الّذي عيّرتني به يا معاوية من كتابي وكثرة ذكر آبائي إبراهيم وإسماعيل والنبيّين فإنّه من أحبّ آباءه أكثر ذكرهم فذكرهم حبّ الله ورسوله وأنا أُعيّرك ببغضهم فإن بغضهم بغض الله ورسوله وأعيّرك بحُبّك آباءك وكثرة ذكرهم فإن حبّهم كفر.

وأما الّذي أنكرت من نسبي من إبراهيم وإسماعيل وقرابتي من محمّد صلى الله عليه وآله وفضلي وحقّي وملكي وإمامتي فإنّك لم تزل منكراً لذلك لم يؤمن به قلبك ألا وإنّا أهل البيت كذلك لا يحبنا كافر ولا يبغضنا مؤمن.

والذي أنكرت من قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(١) فأنكرت أن تكون فينا فقد قال الله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾(٢) ونحن أولى به والّذي أنكرت من إمامة محمّد صلى الله عليه وآله وزعمت أنّه كان رسولاً ولم يكن إماماً فإن إنكارك على جميع النبيّين الأئمّة ولكنّا نشهد أنّه كان رسولاً نبيّاً إماماً صلى الله عليه وآله ولسانك دليل على ما في قلبك وقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾(٣) ألا وقد عرفناك قبل اليوم وعداوتك وحسدك وما في قلبك من المرض الّذي أخرجه الله والّذي أنكرت من قرابتي وحقّي فإن سهمنا وحقنا في كتاب الله قسمة لنا مع نبينا فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٤) وقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾(٥) وليس وجدت سهمنا مع

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.
(٣) سورة محمد، الآيتان: ٢٩-٣٠.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

سهم الله ورسوله، وسهمك مع الأبعدين لا سهم لك [إذ] فارقته فقد أثبت الله سهمنا وأسقط سهمك بفراقك.

وأنكرت إمامتي وملكي فهل تجد في كتاب الله قوله لآل إبراهيم: «واصطفاهم على العالمين» فهو فضلنا على العالمين وتزعم أنّك لست من العالمين؟ أو تزعم أنا لسنا من آل إبراهيم فإن أنكرت ذلك لنا فقد أنكرت محمداً صلى الله عليه وآله فهو منّا ونحن منه فإن استطعت أن تفرّق بيننا وبين إبراهيم صلوات الله عليه وآله وإسماعيل ومحمّد وآله في كتاب الله فافعل[١].

بيان: قوله عليه السلام: «جملة الدين» كان يحتمل الجيم والحاء المهملة فعلى الأوّل لعلّه بدل أو عطف بيان أو تأكيد لقوله: «جملة تبليغه» وقوله: «يقول الله» بتأويل المصدر خبر ويمكن أن يقرأ «بقول الله» بالباء الموحدة وعلى الثاني «جملة الدين» خبر.

قوله عليه السلام: «إن أولي الأمر» إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾.

قوله عليه السلام: «دعوة المرء المسلم» لعلّ المراد به إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾، وإنما عبر هكذا للإشارة إلى أنّ قائله أحد اللذين مرّ ذكرهما حيث قالا: «واجعلنا مسلمين لك» الآية.

قوله عليه السلام: واصطفاهم إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٤٢١ - **كتاب:** سليم بن قيس من عينه بالإسناد عن أبان عنه قال: وحدّثني أيضاً عمر بن أبي سلمة وزعم أبو هريرة العبديّ أنّه سمعه عن عمر بن أبي سلمة [قال:] إنّ معاوية دعا أبا الدرداء ونحن مع أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين ودعا أبا هريرة فقال لهما: انطلقا إلى عليّ فأقرئاه منّي السلام وقولا له: والله إنّي لأعلم أنّك أولى النّاس بالخلافة وأحقّ بها منّي لأنّك من المهاجرين الأوّلين وأنا من الطلقاء وليس لي مثل سابقتك في الإسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمك بكتاب الله وسنّة نبيّه عليه وآله السّلام ولقد بايعك المهاجرون والأنصار بعدما تشاوروا قبل ثلاثة أيّام ثم أتوك فبايعوك طائعين غير مكرهين وكان أوّل من بايعك طلحة والزبير ثمّ نكثا بيعتك ظلماً وطلبا ما ليس لهما.

وبلغني أنّك تعتذر من قتل عثمان وتتبرّأ من دمه وتزعم أنّه قتل وأنت قاعد في بيتك وأنّك قد قلت حين قتل: اللّهمّ لم أرض ولم أمالئ وقلت له يوم الجمل حين نادوا يا لثارات عثمان قلت: كبّت قتلة عثمان اليوم لوجوههم إلى النّار أنحن قتلناه إنّما قتله هما وصاحبتهما وأمروا بقتله وأنا قاعد في بيتي وانا ابن عمّ عثمان والمطالب بدمه.

---

(١) كتاب الغارات ص ١٩٥-٢٠٣.

فإن كان الأمر كما قلت فأمكنّا من قتلة عثمان وادفعهم إلينا نقتلهم بابن عمّنا ونبايعك ونسلّم إليك الأمر هذه واحدة.

وأما الثانية فقد أنبأتني عيوني وأتتني الكتب عن أولياء عثمان ممّن هو معك يقاتل وتحسب أنّه على رأيك وراض بأمرك وهواه معنا وقلبه عندنا وجسده معك وأنّك تظهر ولاية أبي بكر وعمر وتترحّم عليهما وتكفّ عن عثمان ولا تذكره ولا تترحّم عليه ولا تلعنه.

وفي رواية أخرى ولا تسبّه ولا تتبرأ منه.

وبلغني أنّك إذا خلوت ببطانتك الخبيثة وشيعتك وخاصّتك الضالّة المغيرة الكاذبة تبرأت عندهم من أبي بكر وعمر وعثمان ولعنتهم وادّعيت أنّك وصيّ رسول الله في أمّته وخليفته فيهم وأن الله [تعالى] جلّ اسمه فرض على المؤمنين طاعتك وأمر بولايتك في كتابه وسنّة نبيّه ﷺ وأنّه أمر محمّداً أن يقوم بذلك في أمّته وأنّه أنزل عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١) فجمع قريشاً والأنصار وبني أميّة بغدير خم - وفي رواية أخرى: فجمع أمّته بغدير خمّ - فبلّغ ما أمر به فيك عن الله وأمر أنّ يبلّغ الشاهد الغائب وأخبرهم أنّك أولى بهم من أنفسهم وأنّك منه بمنزلة هارون من موسى.

وبلغني أنّك لا تخطب خطبة إلا قلت قبل أن تنزل عن منبرك والله إني لأولى بالناس وما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله ﷺ. والله لئن كان ما بلغني عنك حقّاً فلظلم أبي بكر وعمر إيّاك أعظم من ظلم عثمان لأنّه بلغني أنّك تقول: لقد قبض رسول الله ونحن شهود فانطلق عمر وبايع أبا بكر وما استأمرك ولا شاورك ولقد خاصم الرجلان الأنصار بحقّك وحجّتك وقرابتك من رسول الله ﷺ ولو سلّما لك الأمر وبايعاك كان عثمان أسرع النّاس إلى ذلك لقرابتك منه وحقّك عليه لأنّه ابن عمّك وابن عمّتك.

ثم عمد أبو بكر فردّها إلى عمر عند موته ما شاورك ولا استأمرك حين استخلفه وبايع له.

ثم جعلك عمر في الشورى بين ستّة منكم وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار وغيرهم فولّيتم ابن عوف أمركم في اليوم الثالث حين رأيتم النّاس قد اجتمعوا واخترطوا سيوفهم وحلفوا بالله لئن غابت الشمس ولم تختاروا أحدكم لنضربنّ أعناقكم ولننفذ فيكم أمر عمر ووصيته فوليتم أمركم ابن عوف فبايع عثمان وبايعتموه.

ثم حصر عثمان فاستنصركم فلم تنصروه ودعاكم فلم تجيبوه وبيعته في أعناقكم وأنتم يا معشر المهاجرين والأنصار حضور شهود فخلّيتم بينه وبين أهل مصر [فخليتم «خ»] حتّى قتلوه وأعانهم طوائف منكم على قتله، وخذله عامّتكم فصرتم في أمره بين قاتل وآمر وخاذل ثمّ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

بايعك النّاس وأنت أحقّ بها منّي فأمكني من قتلة عثمان حتّى أقتلهم وأُسلم الأمر لك وأُبايعك أنا وجميع من قبلي من أهل الشام.

فلمّا قرأ عليّ عليه السلام كتاب معاوية وبلّغه أبو الدرداء رسالته ومقالته قال عليّ عليه السلام لأبي الدرداء: قد أبلغتماني ما أرسلكما به معاوية فاسمعا منّي ثمّ أبلغاه عنّي وقولا له: إنّ عثمان ابن عفّان لا يعدو أن يكون أحد رجلين إمّا إمام هدى حرام الدّم واجب النصرة لا تحلّ معصيته ولا يسع الأُمّة خذلانه أو إمام ضلالة حلال الدّم لا تحل ولايته ولا نصرته فلا يخلو من إحدى الخصلتين والواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل ضالاً كان أو مهتدياً مظلوماً كان أو ظالماً حلال الدم أو حرام الدم أن لا يعملوا عملاً ولا يحدثوا حدثاً ولا يقدّموا يداً ولا رجلاً ولا يبدأوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً يجمع أمرهم عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنّة يجمع أمرهم ويحكم بينهم ويأخذ للمظلوم من الظالم ويحفظ أطرافهم ويجبي فيئهم ويقيم حجتهم وجمعتهم ويجبي صدقاتهم ثمّ يحتكمون إليه في إمامهم المقتول ظلماً ليحكم بينهم بالحقّ فإن كان إمامهم قتل مظلوماً حكم لأوليائه بدمه وإن كان قتل ظالماً أنظر كيف كان الحكم في هذا.

وإن أوّل ما ينبغي للمسلمين أن يفعلوه أن يختاروا إماماً يجمع أمرهم إن كانت الخيرة لهم ويتابعوه ويطيعوه وإن كانت الخيرة إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله فإن الله قد كفاهم النظر في ذلك والاختيار ورسول الله صلى الله عليه وآله قد رضي لهم إماماً وأمرهم بطاعته واتباعه.

وقد بايعني النّاس بعد قتل عثمان وبايعني المهاجرون والأنصار بعدما تشاوروا بي ثلاثة أيّام وهم الّذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وعقدوا إمامتهم ولي بذلك أهل بدر والسابقة من المهاجرين والأنصار غير أنّهم بايعوهم قبل على غير مشورة من العامة وإنّ بيعتي كانت بمشورة من العامة.

فإن كان الله جل اسمه جعل الاختيار إلى الأُمّة وهم الّذين يختارون وينظرون لأنفسهم واختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها خير لهم من اختيار الله ورسوله لهم وكان من اختاروه وبايعوه بيعته بيعة هدى وكان إماماً واجباً على النّاس طاعته ونصرته فقد تشاوروا فيّ واختاروني بإجماع منهم.

وإن كان الله عزّ وجلّ هو الّذي يختار وله الخيرة فقد اختارني للأمّة واستخلفني عليهم وأمرهم بطاعتي ونصرتي في كتابه المنزل وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله فذلك أقوى بحجّتي وأوجب بحقي. ولو أنّ عثمان قتل على عهد أبي بكر وعمر أكان لمعاوية قتالهما والخروج عليهما للطلب؟ قال أبو هريرة وأبو الدرداء: لا. قال عليّ عليه السلام: فكذلك أنا فإن قال معاوية نعم فقولا [له]: [إذن] يجوز لكلّ من ظلم بمظلمة أو قتل له قتيلاً أن يشقّ عصا المسلمين ويفرّق جماعتهم ويدعو إلى نفسه مع أنّ ولد عثمان أولى بطلب دم أبيهم من معاوية.

قال: فسكت أبو الدرداء وأبو هريرة وقالا: قد أنصفت من نفسك. قال عليّ عليه السلام: ولعمري لقد أنصفني معاوية إن تمّ على قوله وصدق ما أعطاني فهؤلاء بنو عثمان رجال قد أدركوا ليسوا بأطفال ولا مولى عليهم فليأتوا أجمع بينهم وبين قتلة أبيهم فإن عجزوا عن حجّتهم فليشهدوا لمعاوية بأنّه وليّهم ووكيلهم في خصومتهم وليقعدوا هم وخصماؤهم بين يديّ مقعد الخصوم إلى الإمام والوالي الّذين يقرون بحكمه وينفذون قضاءه فأنظر في حجتهم وحجّة خصمائهم فإن كان أبوهم قتل ظالماً وكان حلال الدم أبطلت دمه - وفي رواية أُخرى أهدرت دمه - وإن كان [أبوهم قتل] مظلوماً حرام الدّم أقدتهم من قاتل أبيهم فإن شاؤا قتلوا وإن شاؤا عفوا وإنّ شاؤا قبلوا الدية.

وهؤلاء قتلة عثمان في عسكري يقرّون بقتله ويرضون بحكمي عليهم فليأتني ولد عثمان ومعاوية إن كان وليّهم ووكيلهم فليخاصموا قتلته وليحاكموهم حتّى أحكم بينهم بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وإن كان معاوية إنّما يتجنّى ويطلب الأعاليل والأباطيل فليتجنّ ما بدا له فسوف يعين الله عليه. قال أبو الدرداء وأبو هريرة: قد والله أنصفت من نفسك وزدت على النصفة وأزحت علّته وقطعت حجّته وجئت بحجّة قوية صادقة ما عليها لون.

ثم خرج أبو هريرة وأبو الدرداء فإذا نحو من عشرين ألف رجل مقنّعين في الحديد فقالوا: نحن قتلة عثمان مقرّون راضون بحكم عليّ عليه السلام علينا ولنا فليأتنا أولياء عثمان فليحاكمونا إلى أمير المؤمنين عليه السلام في دم أبيهم وإن وجب علينا القود أو الدية اصطبرنا لحكمه وسلّمنا فقالا: قد أنصفتم ولا يحلّ لعليّ عليه السلام دفعكم ولا قتلكم حتّى يحاكموكم إليه فيحكم بينكم وبين أصحابكم بكتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله.

وانطلق أبو الدرداء وأبو هريرة حتّى قَدِما على معاوية فأخبراه بما قال عليّ عليه السلام وما قال قتلة عثمان وما قال أبو النعمان بن صمان.

فقال معاوية: فما ردّ عليكما في ترحّمه على أبي بكر وعمر وكفّه عن الترحّم على عثمان وبراءته منه في السرّ وما يدّعي من استخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاه وأنّه لم يزل مظلوماً منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله قالا: بلى قد ترحّم على أبي بكر وعمر وعثمان عندنا ونحن نسمع ثمّ قال لنا في ما يقول: إن كان الله جعل الخيار إلى الأُمّة فكانوا هم الّذين يختارون وينظرون لأنفسهم وكان اختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها خيراً لهم وأرشد من اختيار الله واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله فقد اختاروني وبايعوني فبيعتي بيعة هدىً وأنا إمام واجب على النّاس نصرتي لأنّهم قد تشاوروا فيّ واختاروني وإن كان اختيار الله واختيار رسوله خيراً لهم وأرشد من اختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها فقد اختارني الله ورسوله للأمة واستخلفاني عليهم وأمراهم بنصرتي وطاعتي في كتاب الله المنزل على لسان نبيّه المرسل وذلك أقوى بحجّتي وأوجب لحقّي.

ثم صعد المنبر في عسكره وجمع النّاس ومن بحضرته من النواحي والمهاجرين والأنصار

ثمَّ حمدالله وأثنى عليه ثمَّ قال: معاشر النّاس إنّ مناقبي أكثر من أن تحصى وبعد ما أنزل الله في كتابه من ذلك وما قال رسول الله إنّي سأُنبئكم عن خصال سبعة قالها رسول الله أكتفي بها من جميع مناقبي وفضلي أتعلمون أنّ الله فضل في كتابه الناطق السابق إلى الإسلام في غير آية من كتابه على المسبوق وأنّه لم يسبقني إلى الله ورسوله أحد من الأمّة قالوا: اللّهمَّ نعم.

قال أنشدكم الله [أتعلمون ما] سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾[1]. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنزلها الله في الأنبياء وأوصيائهم وأنا أفضل أنبياء الله ورسله ووصيّي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أفضل الأوصياء.

فقام نحو من سبعين بدريّاً جلهم من الأنصار وبقيّتهم من المهاجرين منهم أبو الهيثم بن التّيهان وخالد بن زيد أبو أيوب الأنصاريّ وفي المهاجرين عمّار بن ياسر فقالوا: نشهد أنا قد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك.

قال: فأنشدكم بالله في قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[3] الآية ثم قال: ولم يتّخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة فقال النّاس يا رسول الله أخاصّ لبعض المؤمنين أم عامّ لجميعهم فأمر الله عزّ وجلّ رسوله أن يعلمهم وأن يفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجّهم فنصبني للنّاس بغدير خمّ وقال: إنّ الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أنّ النّاس مكذّبيّ بها فأوعدني لأُبلغنّها أو يعذّبني قم يا عليّ ثمَّ نادى بأعلى صوته بعد أن أمر بلالاً أن ينادي بالصلاة جامعة فصلّى بهم الظهر ثمَّ قال: أيّها النّاس إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فقام إليه سلمان الفارسيّ فقال: يا رسول الله ولاؤه فيما ذا؟ فقال: ولاؤه كولايتي من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه وأنزل الله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[4].

فقال سلمان: يا رسول الله أُنزلت هذه الآيات في عليّ خاصّة؟ فقال: فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة فقال سلمان: يا رسول الله بيّنهم لنا. فقال: عليّ (عليه السلام) أخي ووزيري ووصيّي وصنوي ووارثي وخليفتي في أُمّتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي وأحد عشر إماماً من ولده: الحسن ثمَّ الحسين ثمَّ تسعة من ولد الحسين (عليه السلام) واحد بعد واحد القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه حتى يردوا عليّ الحوض.

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠-١١.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

فقام اثنا عشر رجلاً من البدريّين فقالوا: نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ كما قلت سواء لم تزد حرفاً ولم تنقص حرفاً وقال بقية السّبعين: قد سمعنا ذلك ولم نحفظه كلّه وهؤلاء الاثنا عشر خيارنا وأفضلنا. فقال: صدقتم ليس كلّ النّاس يحفظ بعضهم أحفظ من بعض. فقام من الاثني عشر أربعة: أبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب وعمّار وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقالوا: نشهد أنا قد سمعنا قول رسول الله ﷺ وحفظنا أنّه قال يومئذ - وهو قائم وعليّ عليه السلام قائم إلى جانبه - أيّها النّاس إنّ الله أمرني أن أنصب لكم إماماً يكون وصيّي فيكم وخليفتي في أمّتي وفي أهل بيتي من بعدي والّذي فرض الله على المؤمنين في كتابه طاعته وأمركم فيه بولايته فراجعت ربّي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأوعدني لأبلّغها أو ليعذّبني.

أيها النّاس إنّ الله أمركم في كتابه بالصّلاة وقد بينتها لكم وسننتها والزّكاة والصوم والحجّ فبيّنتها وفسّرتها لكم وأمركم في كتابه بالولاية وإنّي أشهدكم أيّها النّاس أنّها خاصّة لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) والأوصياء من ولدي وولد أخي ووصيّي عليّ أوّلهم ثم الحسن ثم الحسين ثم تسعة من ولد الحسين (عليه السلام) لايفارقون الكتاب حتّى يردوا عليّ الحوض.

أيها النّاس إنّي قد أعلمتكم مفزعكم وإمامكم بعدي ودليلكم وهاديكم وهو أخي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وهو فيكم بمنزلتي فقلّدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم فإنّ عنده جميع ما علّمني الله عزّ وجلّ [و] أمرني الله أن أعلّمه إيّاكم وأعلمكم أنّه عنده فاسألوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده ولا تعلّموهم ولا تتقدّموهم ولا تتخلّفوا عنهم فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم لا يزايلونه ولا يزايلهم.

ثم قال عليّ عليه السلام لأبي الدرداء وأبي هريرة ومن حوله: يا أيّها النّاس أتعلمون أنّ الله تبارك وتعالى أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فجمعني رسول الله ﷺ وفاطمة والحسن والحسين في كساء وقال: اللّهمّ هؤلاء [أحبتي «خ»] وعترتي وحامّتي وأهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً.

فقالت أمّ سلمة: وأنا؟ فقال: إنّك إلى خير وإنّما أُنزلت فيّ وفي أخي عليّ وابنتي فاطمة وابنيّ الحسن والحسين (صلوات الله عليهم) خاصّة ليس معنا غيرنا وفي تسعة من ولد الحسين من بعدي. فقام كلّهم فقالوا: نشهد أنّ أمّ سلمة حدثتنا بذلك فسألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فحدّثنا به كما حدثتنا أمّ سلمة.

ثم قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنّ الله جل اسمه أنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1] فقال سلمان: يا رسول الله أعامّة أم خاصّة فقال: أمّا المأمورون فعامّة لأنّ جماعة المؤمنين أُمروا بذلك وأمّا الصادقون فخاصّة عليّ بن أبي طالب وأوصيائي

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

من بعده إلى يوم القيامة وقلت لرسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك: يا رسول الله لم خلّفتني؟ فقال: إنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا النبوّة فإنّه لا نبي بعدي. فقام رجال ممّن معه من المهاجرين والأنصار فقالوا: نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك.

فقال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ الله أنزل في سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ إلى آخر السورة فقام سلمان فقال يا رسول الله من هؤلاء الّذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على النّاس الّذين اجتباهم الله وما جعل عليهم في الدّين من حرج ملّة أبيهم إبراهيم؟ قال: عني بذلك ثلاثة عشر إنساناً أنا وأخي وأحد عشر من ولدي قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً ولم يخطب بعدها وقال: إنّي قد تركت فيكم أيّها النّاس أمرين لن تضلوا ما تمسّكتم بهما كتاب الله وأهل بيتي فإنّه قد عهد إليّ اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فقالوا: اللّهمّ نعم قد شهدنا ذلك كلّه فقال حسبي الله.

فقام الاثنا عشر فقالوا: نشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين خطب في اليوم الّذي قبض فيه قام عمر بن الخطّاب شبه المغضب فقال: يا رسول الله أكلّ أهل بيتك؟ فقال: لا ولكن أوصيائي منهم عليّ أخي ووزيري ووارثي وخليفتي في أمّتي وولي كلّ مؤمن بعدي هذا أوّلهم وآخرهم ثمّ وصيّي ابني هذا - وأشار إلى الحسن - ثمّ وصيّه هذا - وأشار إلى الحسين - ثمّ وصيّي ابني وسمّي أخي ثمّ وصيّه سميّي ثمّ سبعة من ولده واحد بعد واحد حتّى يردوا على الحوض شهداء لله في أرضه وحججه على خلقه من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله. فقام السّبعون البدريّون ونحوهم من الآخرين فقالوا: أدركنا ما كنّا نسينا نشهد أنا قد سمعنا ذلك من رسول الله.

فلم يَدَع عليه السلام: شيئاً إلا ناشدهم فيه حتّى أتى على آخر مناقبه وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه كلّ ذلك يصدقونه ويشهدون أنّه حقّ.

فلما حدث أبو الدرداء وأبو هريرة معاوية بكلّ ذلك وبما ردّ عليه النّاس وجم من ذلك وقال: يا أبا الدرداء ويا أبا هريرة لئن كان ما تحدّثاني عنه حقّاً لقد هلك المهاجرون والأنصار غيره وغير أهل بيته وشيعته.

ثم كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام: لئن كان ما قلت وادّعيت واستشهدت عليه أصحابك حقّاً لقد هلك أبو بكر وعمر وعثمان وجميع المهاجرين والأنصار غيرك وغير أهل بيتك وشيعتك وقد بلغني ترحّمك عليهم واستغفارك لهم وإنّه لعلى وجهين ما لها ثالث إمّا تقية إنّ أنت تبرأت منهم خفت أن يتفرّق عنك أهل عسكرك الّذين تقاتلني بهم وإن كان الّذي

ادّعيت باطلاً وكذباً فقد جاءني بعض من تثق به من خاصّتك بأنك تقول لشيعتك وبطانتك بطانة السوء: إنّي قد سمّيت ثلاثة من بنيّ أبا بكر وعمر وعثمان فإذا سمعتموني أترحّم على أحد من أئمّة الضلالة فإنّما أعني بذلك بنيّ والدّليل على ذلك - وفي رواية أُخرى: على صدق ما أتوني به ورقوه إليّ - أن قد رأيناك بأعيننا فلا نحتاج أن نسأل عن ذلك غيرنا وإلا فلم حملت امرأتك فاطمة على حمار وأخذت بيد ابنيك الحسن والحسين إذ بويع أبو بكر فلم تدع أحداً من أهل بدر والسّابقة إلا وقد دعوتهم واستنفرتهم عليه فلم تجد منهم إنساناً غير أربعة: سلمان وأبو ذرّ والمقداد والزبير لعمري لو كنت محقّاً لأجابوك وساعدوك ونصروك، ولكن ادّعيت باطلاً وما لا يقرّون به وسمعتك أذناي وأنت تقول لأبي سفيان حين قال لك: غلبك عليه أذلّ أحياء قريش تيم وعدي ودعاك إلى أن ينصرك فقلت: لو وجدت أعواناً أربعين رجلاً من المهاجرين والأنصار من أهل السابقة لناهضت الرّجل فلمّا لم تجد غير أربعة رهط بايعت مكرهاً.

قال: فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد فقد قرأت كتابك فكثر ما يعجبني ممّا خطّت فيه يدك وأطنبت فيه من كلامك ومن البلاء العظيم والخطب الجليل على هذه الأُمّة أن يكون مثلك يتكلّم أو ينظر في عامّة أمرهم أو خاصّته وأنت من تعلم وابن من قد علمت وأنا من قد علمت وابن من تعلم وسأُجيبك فيما قد كتبت بجواب لا أظنّك تعقله أنت ولا وزيرك ابن النابغة عمرو الموافق لك كما وافق شن طبقة فإنّه هو الّذي أمرك بهذا الكتاب وزيّنه لك أو حضركما فيه إبليس ومردة أصحابه - وفي رواية أُخرى ومردة أبالسته - وإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان خبّرني أنّه رأى على منبره اثني عشر رجلاً أئمّة ضلالة من قريش يصعدون على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وينزلون على صورة القرود يردّون أمّته على أدبارهم عن الصّراط المستقيم اللّهمّ وقد خبرني بأسمائهم رجلاً رجلاً وكم يملك كلّ واحد منهم واحد بعد واحد عشرة منهم من بني أُميّة ورجلين من حيّين مختلفين من قريش عليهما مثل أوزار الأُمّة جميعاً إلى يوم القيامة ومثل جميع عذابهم فليس دم يهراق في غير حقه ولا فرج يغشى ولا حكم بغير حقّ إلا كان عليهما وزره.

وسمعته يقول: إنّ بني أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أخي إنّك لست كمثلي إنّ الله أمرني أن أصدع بالحقّ وأخبرني أنّه يعصمني من النّاس فأمرني أن أجاهد ولو بنفسي فقال: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ وقال: ﴿حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۖ﴾ وقد مكثت بمكّة ما مكثت لم أؤمر بقتال ثمّ أمرني بالقتال لأنّه لا يعرف الدّين إلا بي ولا الشرائع ولا السنن والأحكام والحدود والحلال والحرام وإنّ النّاس يدعون بعدي ما أمرهم الله به وما أمرهم فيك من ولايتك وما أظهرت من محبّتك متعمّدين غير جاهلين مخالفة لما أنزل الله فيك فإن وجدت أعواناً عليهم فجاهدهم فإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك واحقن دمك فإنّك إن نابذتهم قتلوك

وإن تابعوك وأطاعوك فاحملهم على الحقّ وإلا فادع النّاس فإن استجابوا لك ووازروك فنابذهم وجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك واحقن دمك واعلم أنّك إن دعوتهم لم يستجيبوا لك فلا تدعن عن أن تجعل الحجّة عليهم إنّك يا أخي لست مثلي إنّي قد أقمت حجّتك وأظهرت لهم ما أنزل الله فيك وإنّه لم يُعلم أنّي رسول الله وأن حقّي وطاعتي واجبان حتّى أظهرت ذلك و[أما] أنت فإنّي كنت قد أظهرت حجّتك وقمت بأمرك فإن سكتّ عنهم لم تأثم غير أنّه أحبّ أن تدعوهم وإن لم يستجيبوا لك ولم يقبلوا منك وتظاهرت عليك ظلمة قريش فدعهم فإنّي أخاف عليك إن ناهضت القوم ونابذتهم وجاهدتهم من غير أن يكون معك فئة تقوى بهم أن يقتلوك، والتقيّة من دين الله ولا دين لمن لا تقيّة له وإنّ الله قضى الاختلاف والفرقة على هذه الأمّة ولو شاء لجمعهم على الهدى ولم يختلف اثنان منها ولا من خلقه ولم يتنازع في شيء من أمره ولم يجحد المفضول ذا الفضل فضله ولو شاء عجّل منه النقمة وكان منه التغيير حين يكذّب الظالم ويعلم الحقّ أين مصيره والله جعل الدّنيا دار الأعمال وجعل الآخرة دار الثواب والعقاب ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ فقلت شكراً لله على نعمائه وصبراً على بلائه وتسليماً ورضىً بقضائه.

ثم قال: يا أخي أبشر فإن حياتك وموتك معي وأنت أخي وأنت وصيّي وأنت وزيري وأنت وارثي وأنت تقاتل على سنتي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه أهله وتظاهروا عليه وكادوا يقتلونه فاصبر لظلم قريش إيّاك وتظاهرهم عليك فإنّها ضغائن في صدور قوم [لهم] أحقاد بدر وترات أُحد وإنّ موسى أمر هارون حين استخلفه في قومه إن ضلّوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم بهم فإن لم يجد أعواناً أن يكفّ يده ويحقن دمه ولا يفرّق بينهم فافعل أنت كذلك إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك واحقن دمك فإنّك إن نابذتهم قتلوك واعلم أنك إن لم تكف يدك وتحقن دمك إذا لم تجد اعواناً تخوّفت عليك أن يرجع النّاس إلى عبادة الأصنام والجحود بأنّي رسول الله فاستظهر بالحجّة عليهم ودعهم ليهلك الناصبون لك والباغون عليك ويسلم العامّة والخاصّة فإذا وجدت يوماً أعواناً على إقامة كتاب الله والسنّة فقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فإنّما يهلك من الأُمّة من نصب لك أو لأحد من أوصيائك وعادى وجحد ودان بخلاف ما أنتم عليه.

ولعمري يا معاوية لو ترحّمت عليك وعلى طلحة والزبير كان ترحّمي عليكم واستغفاري لكم لعنة عليكم وعذاباً وما أنت وطلحة والزبير بأعظم جرماً ولا أصغر ذنباً ولا أهون بدعة وضلالة من اللذين أسّسا لك ولصاحبك الّذي تطلب بدمه ووطّآ لكما ظلمنا أهل البيت وحملاكم على رقابنا قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ

يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[١] فنحن النّاس ونحن المحسودون قال الله عزّوجلّ : ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٢] فالملك العظيم أن جعل منهم أئمّة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله والكتاب والحكمة والنبوة فلمَ يقرّون بذلك في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمّد صلى الله عليه وآله.

يا معاوية فإن تكفر بها أنت وصاحبك ومن قبلك من طغام أهل الشّام واليمن والأعراب أعراب ربيعة ومضر جفاة الأُمة فقد وكل الله بها قوماً ليسوا بها بكافرين.

يا معاوية إنّ القرآن حقّ ونور وهدىً ورحمة وشفاء للمؤمنين والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى.

يا معاوية إنّ الله لم يدع صِنفاً من أصناف الضلالة والدّعاة إلى النّار إلا وقد ردّ عليهم واحتجّ عليهم في القرآن ونهى عن اتّباعهم وأنزل فيهم قرآناً ناطقاً علمه من علمه وجهله من جهله إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما من حرف إلا وله تأويل : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾- وفي رواية أخرى وما منه حرف إلا وله حدّ مطلع على ظهر القرآن وبطنه وتأويله : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ - الراسخون في العلم نحن آل محمّد ، وأمر الله سائر الأمّة أن يقولوا آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذكر إلا أولو الألباب وأن يسلّموا إلينا ويردّوا الأمر إلينا وقد قال الله : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[٣] هم الّذين يسألون عنه ويطلبونه.

ولعمري لو أنّ النّاس حين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله سلّموا لنا واتّبعونا وقلّدونا أمرهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولما طمعت أنت يا معاوية فما فاتهم منّا أكثر ممّا فاتنا منهم. ولقد أنزل الله فيّ وفيك [آيات من] سورة خاصة الأُمّة يؤوّلونها على الظاهر ولا يعلمون ما الباطن وهي في سورة الحاقة : فأمّا من أوتي كتابه بيمينه . . وأمّا من أوتي كتابه بشماله . . وذلك أنّه يدعى بكلّ إمام ضلالة وإمام هدى ومع كلّ واحد منهما أصحابه الّذين بايعوه فيدعى بي وبك يا معاوية وأنت صاحب السلسلة الّذي يقول : ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾[٤] سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك وكذلك كلّ إمام ضلالة كان قبلك أو يكون بعدك له مثل ذلك من خزي الله وعذابه ونزل فيكم قول الله عزّوجلّ : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[٥] وذلك أنّ رسول الله رأى اثني عشر إماماً من أئمّة الضلالة على منبره يردون النّاس على أدبارهم القهقرى رجلان من قريش وعشرة من بني أُميّة أوّل العشرة صاحبك الّذي تطلب بدمه وأنت وابنك وسبعة من ولد الحكم

(١) - (٢) سورة النساء، الآيات: ٥٠-٥٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.
(٤) سورة الحاقة، الآيتان: ٢٥-٢٦.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

ابن أبي العاص أوّلهم مروان وقد لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وطرده وما ولد حين أسمع نبينا رسول الله صلى الله عليه وآله.

إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولم يرض لنا الدّنيا ثواباً وقد سمعت رسول الله أنت ووزيرك وصويحبك يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا كتاب الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً.

يا معاوية إنّ نبيّ الله زكريّا نشر بالمنشار ويحيى ذبح وقتله قومه وهو يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ وذلك لهوان الدّنيا على الله إنّ أولياء الشيطان قد حاربوا أولياء الرحمن قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

يا معاوية إنّ رسول الله قد أخبرني أنّ أمّته سيخضبون لحيتي من دم رأسي وأنّي مستشهد وستلي الأمّة من بعدي وأنّك ستقتل ابني الحسن غدراً بالسمّ وأن ابنك يزيد لعنه الله سيقتل ابني الحسين يلي ذلك منه ابن زانية وأن الأمّة سيليها من بعدك سبعة من ولد أبي العاص وولد مروان بن الحكم وخمسة من ولده تكملة اثني عشر إماماً قد رآهم رسول الله يتواثبون على منبره تواثب القردة يردّون أمّته عن دين الله على أدبارهم القهقرى وأنّهم أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة وأن الله سيخرج الخلافة منهم برايات سود تقبل من المشرق يذلّهم الله بهم ويقتلهم تحت كلّ حجر وأن رجلاً من ولدك ميشوم وملعون جلف جاف منكوس القلب فظّ غليظ قاس قد نزع الله من قلبه الرأفة والرّحمة أخواله من كلب كأنّي أنظر إليه ولو شئت لسمّيته ووصفته وابن كم هو فيبعث جيشاً إلى المدينة فيدخلونها فيسرفون فيها في القتل والفواحش ويهرب منهم رجل من ولدي زكيّ تقيّ الّذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً وإنّي لأعرف اسمه وابن كم هو يومئذٍ وعلامته وهو من ولد ابني الحسين عليه السلام الّذي يقتله ابنك يزيد وهو الثائر بدم أبيه فيهرب إلى مكّة ويقتل صاحب ذلك الجيش رجلاً من ولدي زكياً بريئاً عند أحجار الزيت ثمّ يصير ذلك الجيش إلى مكّة وإنّي لأعلم اسم أميرهم وعدّتهم وأسمائهم وسمات خيولهم فإذا دخلوا البيداء واستوت بهم الأرض خسف بهم قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[2] قال من تحت أقدامهم فلا يبقى من ذلك الجيش أحد غير رجل واحد يقلب الله وجهه من قبل قفاه ويبعث الله للمهديّ أقواماً يجمعون من أطراف الأرض قزع كقزع الخريف والله إنّي لأعرف أسماءهم واسم أميرهم ومناخ ركابهم فيدخل المهدي الكعبة ويبكي ويتضرّع قال عزّ وجلّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[3] هذا لنا خاصّة أهل البيت.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٥١.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.

أما والله يا معاوية لقد كتبت إليك هذا الكتاب وإنّي لأعلم أنّك لا تنتفع به وأنّك ستفرح إذا أخبرتك أنّك ستلي الأمر وابنك بعدك لأنّ الآخرة ليست من بالك وأنّك بالآخرة لمن الكافرين وستندم كما ندم من أسّس هذا الأمر لك وحملك على رقابنا حين لم تنفعه الندامة.

وممّا دعاني إلى الكتاب بما كتبت به أنّي أمرت كاتبي أن ينسخ ذلك لشيعتي وأصحابي لعلّ الله أن ينفعهم بذلك أو يقرأه واحد من قبلك فيخرجه الله به [وبنا] من الضلالة إلى الهدى ومن ظلمك وظلم أصحابك وفتنتكم وأحببت أن أحتج عليك.

فكتب إليه معاوية: هنيئاً لك يا أبا الحسن تملك الآخرة وهنيئاً لنا تملّك الدنيا[1].

بيان: قال الجوهريّ: مالأته على الأمر ممالأة: ساعدته عليه وشايعته وفي الحديث: ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله. وقال: القود: القصاص. وأقدت القاتل بالقتيل أي قتلته به يقال: أقاده السلطان من أخيه واستقدت الحاكم أي سألته أن يقيد القاتل بالقتيل. وقال: زاح الشيء: بعد وذهب. «ما عليها لون» اللّون: الدّقل وهو أردأ التّمر أي ما ذكرت في حجّتك كلّها قويّة ليس فيها كلام ضعيف تشبيهاً بهذا النوع من التمر. وقال الجوهريّ: قولهم: وَافَقَ شنّ طَبَقَة قال ابن السّكيت: هو شنّ بن أفصى بن عبد القيس وطبق حي من أياد وكانت شنّ لا يقام لها فواقعتها طبق فانتصفت منها فقيل وافق شن طبقة وافقه فاعتنقه انتهى. وسيأتي الكلام فيه وفي بعض أجزاء الخبر.

٤٢٢ - **ني:** ابن عقدة ومحمّد بن همّام وعبد العزيز وعبد الواحد ابنا عبد الله بن يونس عن رجالهم عن عبد الرزّاق بن همّام عن معمّر بن راشد عن أبان بن أبي عياش.

وأخبرنا به من غير هذه الطرق هارون بن محمّد عن أحمد بن عبيد الله بن جعفر بن المعلّى الهمدانيّ عن عمرو بن جامع بن عمرو الكنديّ عن عبد الله بن المبارك شيخ لنا كوفي ثقة عن عبد الرزّاق بن همّام عن معمّر عن أبي عيّاش عن سليم.

وذكر أبان أنّه سمعه أيضاً عن عمر بن أبي سلمة.

قال معمر: وذكر ابراهيم العبديّ أنّه أيضاً سمعه عن عمر بن أبي سلمة عن سليم: أنّ معاوية لمّا دعا أبا الدرداء وأبا هريرة ونحن مع أمير المؤمنين صلوات الله عليه في صفّين فحمّلهما الرسالة إلى أمير المؤمنين وأدّياها إليه قال: قد بلغتماني ما أرسلكما به معاوية فاستمعا منّي وأبلغاه عنّي كما بلغتماني قالا: نعم. فأجابه عليّ عليه السلام الجواب بطوله حتّى انتهى إلى ذكر نصب رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاه بغدير خمّ[2].

وساق الحديث نحواً ممّا روينا من كتاب سليم إلى قوله: فانطلق ابو الدرداء وأبو هريرة فحدّثا معاوية بكلّ ما قال عليّ عليه السلام واستشهد عليه وما رد عليه النّاس وشهدوا به.

---

(١) كتاب سلم بن قيس، ص ١٦٥-١٨٣.
(٢) كتاب الغيبة للنعماني، ص ٤٥.

١٧ - باب ما ورد في معاوية وعمرو بن العاص وأوليائهما وقد مضى بعضها في باب مثالب بني أميّة

٤٢٣ - **فس:** ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ نزلت في معاوية لمّا خان أمير المؤمنين عليه السلام [(١)].

بيان: لعلّ المراد أنّ أمير المؤمنين عمل بهذا الحكم في معاوية قال البيضاويّ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ معاهدين خيانة نقض عهد تلوح لك: ﴿فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ فاطرح إليهم عهدهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ على عدل أو طريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فإنّه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد[(٢)].

٤٢٤ - **قب:** المحاضرات عن الرّاغب أنّه قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا يموت ابن هند حتّى يعلّق الصّليب في عنقه. وقد رواه الأحنف بن قيس وابن شهاب الزّهريّ والأعثم الكوفيّ وأبو حيان التوحيدي وأبو الثلاج في جماعة فكان كما قال عليه السلام [(٣)].

٤٢٥ - **فس:** ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ولاية عليّ صلوات الله عليه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ . قال النبيّ صلى الله عليه وآله : يا عليّ أنت قسيم النّار تقول: هذا لي وهذا لك قالوا: فمتى يكون؟ متى ما تعدنا يا محمّد من أمر عليّ والنار؟ فأنزل الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني الموت والقيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ يعني فلاناً وفلاناً وفلاناً ومعاوية وعمرو بن العاص وأصحاب الضغائن من قريش: ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾[(٤)].

٤٢٦ - **فس:** محمّد بن جعفر عن محمّد بن عيسى عن زياد، عن الحسن بن عليّ بن فضال عن ابن بكير عن الحسن بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام : يقول في قوله: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[(٥)] فقال: لا بل والله شرّ أُريد بهم حين بايعوا معاوية وتركوا الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما[(٦)].

٤٢٧ - **ن:** بإسناد التميميّ عن الرضا عليه السلام : عن آبائه عن أمير المؤمنين قال: لقد علم المستحفظون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ أهل صفّين قد لعنهم الله عزّ وجلّ على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وقد خاب من افترى[(٧)].

٤٢٨ - **فس:** ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ فإنّه كان سبب نزولها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا إلى بيعة عليّ يوم غدير خم فلمّا بلغ النّاس وأخبرهم في عليّ ما أراد الله أن يخبرهم به رجعوا النّاس

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٧٧. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٥٨.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٢٥٩. (٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٩.
(٥) سورة الجن، الآية: ١٠. (٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨١.
(٧) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٦٩ باب ٣١ ح ٢٧٥.

فاتكأ معاوية على المغيرة بن شعبة وأبي موسى الأشعريّ ثمَّ أقبل يتمطّى نحو أهله ويقول: والله ما نقرّ لعليّ بالولاية أبداً ولا نصدق محمّداً مقالته فيه فأنزل الله جل ذكره: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ وعيداً للفاسق فصعد رسول الله المنبر وهو يريد البراءة منه فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ فسكت رسول الله ﷺ ولم يسمّه[1].

بيان: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ من الصدق أو التصديق: ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي يتبختر افتخاراً بذلك: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ويل لك.

٤٢٩ - **فس:** دخل رسول الله المسجد وفيه عمرو بن العاص والحكم بن أبي العاص فقال عمرو: يا أبا الأبتر وكان الرّجل في الجاهلية إذا لم يكن له ولد يسمّى أبتراً ثمَّ قال عمرو: وإنّي لأشنأ محمّداً أي أبغضه فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي مبغضك عمرو بن العاص: ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ يعني لا دين له ولا نسب[2].

٤٣٠ - **يب:** ابن طريف عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه عن عليّ عليه السلام، أنّ رسول الله ﷺ نهى أهل مكّة أن يواجروا دورهم وأن يغلقوا عليها أبواباً وقال: «سواء العاكف فيه والباد» قال: وفعل ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام حتّى كان في زمن معاوية[3].

٤٣١ - **مع:** المكتب عن ابن زكريّا عن ابن حبيب عن نصر بن عبيد عن نصر بن مزاحم عن عبد الغفّار بن القاسم عن الأعمش عن عديّ بن ثابت عن البراء بن عازب قال: أقبل ابو سفيان ومعاوية يتبعه فقال رسول الله ﷺ: اللّهمَّ العن التابع والمتبوع اللّهمَّ عليك بالأقيعس. قال ابن البراء لأبيه من الأقيعس؟ قال: معاوية[4].

٤٣٢ - **كتاب صفّين:** مثله[5].

قال الصّدوق رحمه الله: الأُقيعس تصغير الأقعس وهو الملتوي العنق والقعاس التواء يأخذ في العنق من ريح كأنّما يكسره إلى ما وراءه والأقعس العزيز الممتنع ويقال عز أقعس. والقوعس: الغليظ العنق الشديد الظهر من كلّ شيء. والقعوس: الشيخ الكبير. والقعس: نقيض الحدب والفعل قعس يقعس قعساً والجمع قعساوات وقعس. والقعساء من النملة الرافعة صدرها وذنبها والاقعنساس شدّة والتقاعس هو من تقاعس فلان إذا لم ينفذ ولم يمض لما كلّف ومقاعس حيّ من تميم[6].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨٩.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٤٧.
(٣) تهذيب الأحكام، ج ٥ ص ٩٨٥ باب الزيادات ح ١٠٤.
(٤) معاني الأخبار، ص ٣٢٧.
(٥) كتاب صفين، ص ٢١٦.
(٦) معاني الأخبار، ص ٣٢٧.

٤٣٣ - **مع:** ابن الوليد عن محمّد العطّار وأحمد بن إدريس معاً عن الأشعريّ عن السياريّ عن الحكم بن سالم عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله قلنا: صدق الله وقالوا: كذب الله قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتل معاوية عليّ بن أبي طالب وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن عليّ عليه السلام والسفياني يقاتل القائم عليه السلام [(١)].

٤٣٤ - **قب:** كتاب أحمد بن عبد الله المؤذّن عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن سميّ عن أبي صالح عن أبي هريرة وابن عبّاس وفي تفسير ابن جريج عن عطاء عن ابن عبّاس في قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ وقد دخلت الروايات بعضها في بعض أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله انتبه من نومه في بيت أُمّ هانئ فزعاً فسألته عن ذلك فقال: يا أُمّ هانئ إنّ الله عزّ وجلّ عرض عليّ في منامي القيامة وأهوالها والجنّة ونعيمها والنّار وما فيها وعذابها فاطلعت في النّار فإذا أنا بمعاوية وعمرو بن العاص قائمين في حرّ جهنّم ترضخ رؤوسهما الزبانية بحجارة من جمر جهنّم يقولون لهما هل آمنتما بولاية عليّ بن أبي طالب.

قال ابن عبّاس فيخرج عليّ من حجاب العظمة ضاحكاً مستبشراً وينادي: حكم لي وربّ الكعبة فذلك قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فيبعث الخبيث إلى النّار ويقوم عليّ في الموقف يشفع في أصحابه وأهل بيته وشيعته[(٢)].

٤٣٥ - **مع:** ابن المتوكل عن الحميريّ عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن الثماليّ قال: سمعت أبا جعفر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله ومعاوية يكتب بين يديه وأهوى بيده إلى خاصرته بالسيف من أدرك هذا يوماً أميراً فليبقر خاصرته بالسّيف فرآه رجل ممّن سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً وهو يخطب بالشام على النّاس فاخترط سيفه ثمّ مشى إليه فحال النّاس بينه وبينه فقالوا: يا عبد الله ما لك فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من أدرك هذا يوماً أميراً فليبقر خاصرته بالسّيف قال: فقالوا: أتدري من استعمله؟ قال: لا. قالوا: أمير المؤمنين عمر فقال الرجل: سمع وطاعة لأمير المؤمنين[(٣)].

بيان: بقره كمنعه: شقّه ووسعه.

٤٣٦ - **ن:** الحسين بن أحمد البيهقيّ عن محمّد بن يحيى الصّولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن أبيه قال: حلف رجل بخراسان بالطّلاق أنّ معاوية ليس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أيّام كان الرضا عليه السلام بها فأفتى الفقهاء بطلاقها فسئل الرضا عليه السلام فأفتى أنّها لا تطلق فكتب الفقهاء رقعة أنفذوها إليه وقالوا له: من أين قلت يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنّها

---

(١) معاني الأخبار، ص ٣٢٨.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٧.
(٣) معاني الأخبار، ص ٣٢٨.

لم تطلّق فوقّع عليه السلام في رقعتهم: قلت هذا من روايتكم عن أبي سعيد الخدريّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لمسلمة الفتح وقد كثروا عليه: أنتم خير وأصحابي خير ولا هجرة بعد الفتح فأبطل الهجرة ولم يجعل هؤلاء أصحاباً له فرجعوا إلى قوله[(١)].

٤٣٧ - **ل:** ابن موسى عن ابن زكريّا عن ابن حبيب عن نصير بن عبيد عن نصر بن مزاحم عن يحيى بن يعلى عن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن سالم بن أبي الجعد عن أبي حرب ابن أبي الأسود عن رجل من أهل الشّام عن أبيه قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: من شر خلق الله خمسة إبليس وابن آدم الّذي قتل أخاه وفرعون ذو الأوتاد ورجل من بني إسرائيل ردّهم عن دينهم ورجل من هذه الأمّة يبايع على كفر عند باب لدّ قال: ثمّ قال: إنّي لمّا رأيت معاوية يبايع عند لدّ ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله فلحقت بعليّ فكنت معه[(٢)].

٤٣٨ - **كتاب صفّين:** لنصر بن مزاحم عن يحيى بن يعلى مثله[(٣)].

بيان: قال الفيروزآباديّ «لدّ» بالضمّ قرية بفلسطين يقتل عيسى عليه السلام الدّجال عند بابها.

٤٣٩ - **ير:** الحسن بن عليّ عن العبّاس بن عامر عن أبان عن بشير النّبال عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: كنت خلف أبي وهو على بغلته فنفرت بغلته فإذا رجل شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه فقال: يا عليّ بن الحسين اسقني اسقني. فقال الرجل: لا تسقه لا سقاه الله قال وكان الشيخ معاوية[(٤)].

٤٤٠ - **ختص:** أيّوب بن نوح والحسن بن عليّ بن عبد الله بن المغيرة عن العبّاس مثله[(٥)].

٤٤١ - **ير:** محمّد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن الحسين بن أبي العلاء عن هارون ابن خارجة عن يحيى بن أم الطويل قال: صحبت عليّ بن الحسين عليه السلام في المدينة إلى مكّة وهو على بغلته وأنا على راحلة فجزنا وادي ضجنان فإذا نحن برجل أسود في رقبته سلسلة قال: وهو يقول يا عليّ بن الحسين اسقني سقاك الله. قال: فقال عليّ فوضع رأسه على صدره ثمّ حرّك دابته قال: فالتفت فإذا رجل يجذبه وهو يقول: لا تسقه لا سقاه الله قال: فحرّكت راحلتي فلحقت بعليّ بن الحسين عليه السلام قال: فقال لي: أيّ شيء رأيت؟ فأخبرته فقال: ذاك معاوية لعنه الله[(٦)].

٤٤٢ - **جة:** محمّد بن محمّد بن عليّ بن الذياب عن الحسن بن إسحاق بن موهوب عن محمّد بن القاضي عبد الله عن المبارك بن عبد الجبّار، عن أحمد بن عبد الواحد عن عليّ بن محمّد بن عقبة عن سليمان بن الربيع عن نصر بن مزاحم التميميّ في كتاب صفّين قال: كان

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٧ باب ٣٢. (٢) الخصال، ص ٣١٩ باب الخمسة.
(٣) كتاب صفين، ص ٢١٧. (٤) بصائر الدرجات، ص ٢٧٢ ج ٦ باب ٧ ح ١.
(٥) الاختصاص، ص ٣٦٩. (٦) بصائر الدرجات، ص ٢٧٣ ج ٦ باب ٧ ح ٦.

معاوية إذا قنت لعن علياً عليه السلام وابن عبّاس وقيس بن سعد والحسن والحسين عليهما السلام ولم ينكر ذلك عليه إمّا خوفاً من مؤمن أو اعتقاداً من جاهل وكان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كريز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن عمعمة بن حريز بن شقّ بن مصعب بن يشكر بن دهم ابن أفرك بن بدير بن قسر القسري يقول على المنبر: العنوا عليّ بن أبي طالب فإنّه لص ابن لصّ - بضم اللام - فقام إليه أعرابي فقال: والله ما أعلم من أي شيء أعجب من سبّك عليّ بن أبي طالب أم من معرفتك بالعربية(١).

٤٤٣ - **كشف:** من كتاب الموفقيات للزبير بن بكّار الزبيري عن رجاله قال: قال مطرف ابن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي المغيرة على معاوية وكان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب بما يرى منه إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتمّاً فانتظرته ساعة وظننت أنّه لشيء حدث فينا وفي عملنا فقلت: ما لي أراك مغتمّاً منذ الليلة فقال: يا بني جئت من عند أخبث النّاس قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وخلوت به إنّك قد بلغت سنّاً فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه.

فقال: هيهات هيهات ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو بني عديّ فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر ثم ملك عثمان فهلك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه وفعل ما فعل وعمل به ما عمل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به، وإنّ أخا بني هاشم يصاح به في كلّ يوم خمس مرات «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» فأيّ عمل يبقى بعد هذا لا أمّ لك لا والله إلا دَفناً دفناً(٢).

بيان: أي أقتلهم وأدفنهم دفناً أو أدفن وأخفي ذكرهم وفضائلهم وهو أظهر.

٤٤٤ - ٤٤٦ - **كنز:** عن الحسن بن محبوب عن محمّد بن مسكان عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: نزلت سورة الحاقة في أمير المؤمنين عليه السلام وفي معاوية عليه من الله جزاء ما عمله.

ويؤيده ما رواه محمّد بن عبّاس عن الحسن بن أحمد عن محمّد بن عيسى عن رجل عن الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قوله عزّوجلّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ إلى آخر الآيات فهو أمير المؤمنين: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ فالشاميّ لعنه الله وروي عن أبي عبد الله أنّ معاوية صاحب السلسلة وهو فرعون هذه الأمّة(٣).

---

(١) فرحة الغري، ص ٢٤. (٢) كشف الغمة، ج ٢ ص ٤٤.
(٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦٩٣ في تأويل سورة الحاقة.

٤٤٧ - **كا:** احمد بن إدريس عن محمّد بن عبد الجبّار، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان. قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل[(١)].

٤٤٨ - **كا:** العدّة عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن الحسين بن أبي العلاء قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ معاوية أوّل من علّق على بابه مصراعين بمكّة فمنع حاج بيت الله ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾. وكان النّاس إذا قدموا مكّة نزل البادي على الحاضر حتّى يقضي حجّه. وكان معاوية صاحب السّلسلة الّتي قال الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾. وكان فرعون هذه الأمّة[(٢)].

٤٤٩ - **كا:** الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد عن الوشّاء عن أبان بن عثمان عن يحيى ابن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: لم يكن لدور مكّة أبواب وكان أهل البلدان يأتون بقطوانهم فيدخلون فيضربون بها وكان أوّل من بوّبها معاوية[(٣)].

أقول: سيأتي أخبار كثيرة في كتاب الحجّ في أنّ أوّل من ابتدع ذلك معاوية لعنه الله.

٤٥٠ - **يب:** الحسين بن سعيد عن فضالة عن معاوية بن وهب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ أوّل من خطب وهو جالس معاوية واستأذن النّاس في ذلك من وجع كان في ركبتيه وكان يخطب خطبة وهو جالس وخطبة وهو قائم ثم يجلس بينهما[(٤)].

٤٥١ - **د:** كان معاوية يكتب فيما ينزل به يسئل له عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن ذلك فلمّا بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا أهل الشام. فقال: دعني عنك.

٤٥٢ - **ختص:** هلك معاوية لعنه الله وهو ابن ثمانية وسبعين سنة وولي الأمر عشرين سنة[(٥)].

٤٥٣ - **ختص:** ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن عليّ بن أبي المغيرة قال: نزل أبو جعفر عليه السلام بضجنان فقال ثلاث مرات: لا غفر الله لك فلمّا قال ذلك قال: أتدرون لمن قلت أو قال له بعض أصحابنا فقال: مرّ بي معاوية بن أبي سفيان يجرّ سلسلة قد أدلع لسانه يسألني أن أستغفر له ثم قال: إنّه يقال: إنّه واد من أودية جهنّم[(٦)].

أقول: قد أوردنا مثله بأسانيد في باب أحوال البرزخ وباب معجزات الباقر عليه السلام.

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ١١ ح ٣.
(٢) - (٣) الكافي، ج ٤ ص ٤٢٠ باب ١٥٣ ح ١ و٢.
(٤) تهذيب الأحكام، ج ٣ ص ٤٥٧ باب ١ ح ٧٤.
(٥) الاختصاص، ص ١٣١. (٦) الاختصاص، ص ٣٧٠.

٤٥٤ - **كا:** محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لمّا كان سنة إحدى وأربعين أراد معاوية الحجّ فأرسل نجّاراً وأرسل بالآلة وكتب إلى صاحب المدينة أن يقلع منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ويجعلوه على قدر منبره بالشام فلمّا نهضوا ليقلعوه انكسفت الشمس وزلزلت الأرض فكفّوا وكتبوا بذلك إلى معاوية فكتب إليهم يعزم عليهم لمّا فعلوه ففعلوا فمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله المدخل الّذي رأيت[١].

٤٥٥ - **تقريب:** قال ابن الأثير في الكامل: أراد معاوية في سنة خمسين من الهجرة أن ينقل منبر رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة إلى الشّام وقال لا نترك منبر النبيّ صلى الله عليه وآله وعصاه في المدينة وهم قتلة عثمان وطلب العصا وهي عند سعد القرظي فحرّك المنبر فكسفت الشمس حتّى رأيت النّجوم بادية فأعظم النّاس ذلك فتركه.

وقيل أتاه جابر وأبو هريرة فقالا: لا يصلح أن يخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وآله من موضع وضعه فيه وتنقل عصاه إلى الشّام فتركه وزاد فيه ست درجات واعتذر ممّا صنع[٢].

أقول: يظهر من الخبر أنّ هذا اعتذار من القوم له.

٤٥٦ - **كتاب سليم بن قيس:** عن أبان عن سليم وعمر بن أبي سلمة قالا: قدم معاوية حاجّاً في خلافته المدينة بعدما قتل أمير المؤمنين صلوات الله عليه وصالح الحسن - وفي رواية أُخرى بعدما مات الحسن عليه السلام واستقبله أهل المدينة فنظر فإذا الّذي استقبله من قريش أكثر من الأنصار فسأل عن ذلك فقيل: إنّهم يحتاجون ليست لهم دواب فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة فقال: يا معشر الأنصار ما لكم لا تستقبلوني مع إخوانكم من قريش؟ فقال قيس وكان سيّد الأنصار وابن سيدهم: أقعدنا يا أمير المؤمنين أن لم يكن لنا دواب قال معاوية: فأين النواضح؟ فقال قيس: أفنيناها يوم بدر ويوم أحد وما بعدهما في مشاهد رسول الله حين ضربناك وأباك على الإسلام حتّى ظهر أمر الله وأنتم كارهون! قال معاوية: اللّهمَّ غفراً قال قيس: أما إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سترون بعدي أثرة.

ثم قال: يا معاوية تعيّرنا بنواضحنا؟ والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور الله وأن يكون كلمة الشيطان هي العليا ثم دخلت أنت وأبوك كرهاً في الإسلام الّذي ضربناكم عليه! فقال معاوية كأنّك تمنّ علينا بنصرتكم إيّانا فلله ولقريش بذلك المنّ والطول ألستم تمنّون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول الله وهو من قريش وهو ابن عمّنا ومنّا فلَنَا المنّ والطّول أن جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا فهداكم بنا.

فقال قيس: إنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين فبعثه إلى النّاس كافّة وإلى الجنّ

---

(١) الكافي، ج ٤ ص ٥٧٤ باب ٣٤٤ ح ٢.

(٢) الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٢٢٩ في حوادث سنة خمسين.

والإنس والأحمر والأسود والأبيض اختاره لنبوّته واختصه برسالته فكان أوّل من صدّقه وآمن به ابن عمّه عليّ بن أبي طالب وأبو طالب يذبّ عنه ويمنعه ويحول بين كفّار قريش وبين أن يردعوه ويؤذوه وأمر أن يبلّغ رسالة ربّه فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى حتّى مات عمّه أبو طالب وأمر ابنه بموازرته فوازره ونصره وجعل نفسه دونه في كلّ شديدة وكلّ ضيق وكلّ خوف واختص الله بذلك عليّاً عليه السلام من بين قريش وأكرمه من بين جميع العرب والعجم فجمع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع بني عبد المطّلب فيهم أبو طالب وأبو لهب وهم يومئذ أربعون رجلاً فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وخادمه عليّ عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله في حجر عمّه أبي طالب فقال: أيّكم ينتدب أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أمّتي ووليّ كلّ مؤمن من بعدي؟ فأمسك القوم حتّى أعادها ثلاثاً فقال عليّ عليه السلام: أنا يا رسول الله فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه وقال اللّهم املأ جوفه علماً وفهماً وحكماً. ثم قال لأبي طالب: يا أبا طالب اسمع الآن لابنك وأطع فقد جعله الله من نبيّه بمنزلة هارون من موسى وآخى صلى الله عليه وآله بين عليّ وبين نفسه.

فلم يدع قيس شيئاً من مناقبه إلا ذكرها واحتج بها وقال: منهم جعفر بن أبي طالب الطيّار في الجنّة بجناحين اختصه الله بذلك من بين النّاس ومنهم حمزة سيّد الشهداء ومنهم فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة [العالمين «خ ل»] فإذا وضعت من قريش رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وعترته الطيّبين فنحن والله خير منكم يا معشر قريش وأحبّ إلى الله ورسوله وإلى أهل بيته منكم. لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فاجتمعت الأنصار إلى أبي ثم قالوا: نبايع سعداً فجاءت قريش فخاصمونا بحقّه وقرابته فما يعدو قريش أن يكونوا ظلموا الأنصار [أ] وظلموا آل محمّد ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حقّ مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام وولده من بعده. فغضب معاوية وقال يا ابن سعد عمّن أخذت هذا وعمن رويته وعمن سمعته أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته؟ فقال قيس: سمعته وأخذته ممّن هو خير من أبي وأعظم عليّ حقّاً من أبي قال: من؟ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام عالم هذه الأمّة وصدّيقها الّذي أنزل الله فيه: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾(١) فلم يدع [قيس] آية نزلت في عليّ عليه السلام إلا ذكرها قال معاوية: فإن صدّيقها أبو بكر، وفاروقها عمر، «والذي عنده علم الكتاب» عبد الله بن سلام. قال قيس: أحق بهذه الأسماء وأولى بها الّذي أنزل الله فيه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾(٢) والّذي نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم فقال: من كنت مولاه أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه وقال في غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٤٣.
(٢) سورة هود، الآية: ١٧.

وكان معاوية يومئذ بالمدينة فعند ذلك نادى مناديه وكتب بذلك نسخة إلى عماله: ألا برئت الذمّة ممّن روى حديثاً في مناقب عليّ وأهل بيته وقامت الخطبة في كلّ مكان على المنابر بلعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام والبراءة منه والوقيعة في أهل بيته واللعنة لهم بما ليس فيهم عليهم السلام.

ثم إنّ معاوية مرّ بحلقة من قريش فلمّا رأوه قاموا إليه غير عبد الله بن عبّاس فقال له: يا ابن عبّاس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلا لموجدة عليّ بقتالي إيّاكم يوم صفّين يا ابن عبّاس إنّ ابن عمّي عثمان قتل مظلوماً. قال ابن عبّاس: فعمر بن الخطّاب قد قتل أيضاً مظلوماً قال فتسلم الأمر إلى ولده وهذا ابنه قال: إنّ عمر قتله مشرك. قال ابن عبّاس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون! قال: فذلك أدحض لحجّتك وأحلّ لدمه إن كان المسلمون قتلوه وخذلوه فليس إلا بحق. قال: فإنا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته فكف لسانك يا ابن عبّاس واربع على نفسك قال: فتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا. قال: فتنهانا عن تأويله قال: نعم. قال: فنقرأه ولا نسأل عمّا عنى الله به قال: نعم قال: فأيّما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به. قال: فكيف نعمل به حتّى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا؟ قال: يسئل عن ذلك من يتأوّله على غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك قال: إنّما أُنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط واليهود والنصارى والمجوس؟ قال: فقد عدلتني بهؤلاء؟ قال: لعمري ما أعدلك بهم إلا إذا نهيت الأمّة أن يعبدوا الله بالقرآن وبما فيه من أمر أو نهي أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو عام أو خاصّ أو محكم أو متشابه وإن لم تسأل الأمّة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا قال معاوية: فاقرأوا القرآن ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم وممّا قال رسول الله وارووا ما سوى ذلك. قال ابن عبّاس: قال الله تعالى في القرآن: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1] قال معاوية: يا ابن عبّاس اكفني نفسك وكفّ عنّي لسانك وإن كنت لا بدّ فاعلاً فليكن سراً فلا تسمعه أحداً علانية.

ثمّ رجع إلى منزله فبعث إليه بخمسين ألف درهم وفي رواية أُخرى مائة ألف درهم ثمّ اشتد البلاء بالأمصار كلّها على شيعة عليّ وأهل بيته وكان أشدّ النّاس بليّة أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة واستعمل عليها زياداً ضمّها إليه مع البصرة وجمع له العراقين وكان يتبع الشيعة وهو بهم عالم لأنّه كان منهم قد عرفهم وسمع كلامهم أوّل شيء فقتلهم تحت كلّ كوكب وتحت كلّ حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل منهم وصلبهم على جذوع النخل وسمل أعينهم وطردهم وشرّدهم حتّى انتزحوا عن العراق فلم يبق بها أحد منهم إلا مقتول أو مصلوب أو طريد أو هارب.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

وكتب معاوية إلى عماله وولاته في جميع الأرضين والأمصار أن لا يُجيزوا لأحد من شيعة عليّ ولا من أهل بيته ولا من أهل ولايته الّذين يروون فضله ويتحدّثون بمناقبه شهادة وكتب إلى عمّاله: انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل بيته وأهل ولايته الّذين يروون فضله ويتحدّثون بمناقبه فأدنوا مجالسهم وأكرموهم وقرّبوهم وشرّفوهم واكتبوا إليّ بما يروي كلّ واحد منهم فيه باسمه واسم أبيه وممّن هو ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في عثمان الحديث وبعث إليهم بالصلات والكسى وأكثر لهم القطائع من العرب والموالي فكثروا في كلّ مصر وتنافسوا في المنازل والضياع واتّسعت عليهم الدّنيا فلم يكن أحد يأتي عامل مصر من الأمصار ولا قرية فيروي في عثمان منقبة أو يذكر له فضيلة إلا كتب اسمه وقرب وشفع فمكثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله أنّ الحديث قد كثر في عثمان وفشا في كلّ مصر ومن كلّ ناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فدعوهم إلى الرواية في أبي بكر وعمر فإن فضلهما وسوابقهما أحبّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجّة أهل هذا البيت وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله فقرأ كلّ قاض وأمير من ولاته كتابه على النّاس وأخذ النّاس في الروايات فيهم وفي مناقبهم.

ثم كتب نسخة جمع فيها جميع ما روي فيهم من المناقب والفضائل وأنفذه ما إلى عمّاله وأمرهم بقراءتها على المنابر في كلّ كورة وفي كلّ مسجد وأمرهم أنّ ينفذوا إلى معلمي الكتاتيب أن يعلموها صبيانهم حتّى يرووها ويتعلّموها كما يتعلمون القرآن حتّى علّموها بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الدّيوان ولا تجيزوا له شهادة.

ثم كتب كتاباً آخر من اتّهمتموه ولم تقم عليه بيّنة فاقتلوه! فقتلوهم على التهم والظّنّ والشبه تحت كلّ كوكب حتّى لقد كان الرّجل يسقط بالكلمة فيضرب عنقه ولم يكن ذلك البلاء في بلد أكبر ولا أشدّ منه بالعراق ولاسيّما بالكوفة حتّى أنّ الرّجل من شيعة عليّ وممن بقي من أصحابه بالمدينة وغيرها ليأتيه من يثق به فيدخل بيته ثم يلقى عليه ستر فيخاف من خادمه ومملوكه فلا يحدّثه حتّى يأخذ [عليه] الأيمان المغلّظة ليكتمنّ عليه.

وجعل الأمر لا يزداد إلا شدّة وكثر عندهم عدوهم وأظهروا أحاديثهم الكاذبة في أصحابهم من الزّور والبهتان فينشأ النّاس على ذلك ولا يتعلّمون إلا منهم ومضى على ذلك قضاتهم وولاتهم وفقهاؤهم.

وكان أعظم النّاس في ذلك بلاء وفتنةً القرّاء المراءون المتصنّعون الّذين يظهرون لهم الحزن والخشوع والنُسك ويكذبون ويعلمون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويدنو لذلك مجالسهم ويصيبوا بذلك الأموال والقطائع والمنازل حتّى صارت أحاديثهم تلك

ورواياتهم في أيدي من يحسب أنّها حقّ وأنها صدق فرووها وقبلوها وتعلّموها وعلّموها وأحبّوا عليها وأبغضوا وصارت بأيدي النّاس المتديّنين الّذين لا يستحلون الكذب ويبغضون عليه أهله فقبلوها وهم يرون أنّها حقّ ولو علموا أنّها باطل لم يرووها ولم يتديّنوا بها.

فصار الحقّ في ذلك الزمان باطلاً والباطل حقّاً والصدق كذباً والكذب صدقاً وقد قال رسول الله ﷺ: لتشملنكم فتنة يربو فيها الوليد وينشأ فيها الكبير تجري النّاس عليها ويتّخذونها سنّة فإذا غيّر منها شيء قالوا أتى النّاس منكراً غيرت السّنّة. فلما مات الحسن بن عليّ عليه السلام لم يزل الفتنة والبلاء يعظمان ويشتدّان فلم يبق وليّ لله إلا خائفاً على دمه - وفي رواية أُخرى إلا خائفاً على دمه أنّه مقتول - وإلا طريداً [وإلا شريداً: «خ ل»] ولم يبق عدوّ لله إلا مظهراً الحجّة غير مستتر ببدعته وضلالته.

فلما كان قبل موت معاوية بسنة حجّ الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن جعفر فجمع الحسين عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم ومن حجّ منهم ومن الأنصار ممّن يعرفه الحسين وأهل بيته ثمّ أرسل رسلاً لا تدعوا أحداً ممّن حجّ العام من أصحاب رسول الله ﷺ المعروفين بالصّلاح والنّسك إلا اجمعوهم لي فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه عامتهم من التابعين ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبيّ ﷺ فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فإنّ هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم وإنّي أريد أن أسألكم عن شيء فإن صدقت فصدّقوني وإن كذبت فكذبوني وأسألكم بحق الله عليكم وحق رسوله ﷺ وقرابتي من نبيّكم عليه وآله السلام لمّا سترتم مقامي هذا ووصفتم مقالتي ودعوتم أجمعين في أمصاركم من قبائلكم من أمنتم من الناس.

وفي رواية أُخرى بعد قوله: فكذّبوني: اسمعوا مقالتي واكتبوا قولي ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمنتم من النّاس ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقّنا، فإنّي أتخوّف أن يدرس هذا الأمر ويذهب الحقّ ويغلب ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وما ترك شيئاً ممّا أنزل الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسّره ولا شيئاً ممّا قاله رسول الله ﷺ في أبيه وأخيه وأمّه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه وكلّ ذلك يقول أصحابه: اللّهمّ نعم وقد سمعناه وشهدناه ويقول التابع: اللّهمّ قد حدّثني به من أصدّقه وأئتمنه من الصحابة فقال: أنشدكم الله إلا حدّثتم به من تثقون به وبدينه.

قال سليم: فكان فيما ناشدهم الحسين عليه السلام وذكرهم أن قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) كان أخا رسول الله حين آخى بين أصحابه فآخى بينه وبين نفسه وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ اشترى موضع مسجده ومنازله فابتناه ثمّ

ابتنى فيه عشرة منازل تسعة له وجعل عاشرها في وسطها لأبي ثم سدّ كلّ باب شارع إلى المسجد غير بابه فتكلّم في ذلك من تكلم فقال: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه ولكن الله أمرني بسد [أبوابكم] وفتح بابه.

ثم نهى النّاس أن يناموا في المسجد غيره وكان يجنب في المسجد ومنزله في منزل رسول الله ﷺ فولد لرسول الله ﷺ فيه أولاد قالوا اللّهمَّ نعم.

قال: أفتعلمون أنّ عمر بن الخطّاب حرص على كوّة قدر عينه يدعها من منزله إلى المسجد فأبى عليه ثمَّ خطب فقال: إنّ الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً لايسكنه غيري وغير أخي وابنيه قالوا اللّهمَّ نعم. قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ نصبه يوم غدير خمّ فنادى له بالولاية وقال: ليبلّغ الشاهد الغائب قالوا: اللّهم نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال له في غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى وأنت وليّ كلّ مؤمن بعدي؟ قالوا اللّهمَّ نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأت إلا به وبصاحبته وابنيه؟ قالوا: اللّهمَّ نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّه دفع إليه اللّواء يوم خيبر ثمَّ قال لأدفعها إلى رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله كرّار غير فرّار يفتحها الله على يديه؟ قالوا: اللّهم نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ بعثه ببراءة وقال: لا يبلّغ عنّي إلا أنا أو رجل منّي قالوا: اللّهمَّ نعم. قال: أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ لم ينزل به شديدة قطّ إلا قدّمه لها ثقة به وأنّه لم يدعه باسمه قطّ إلا يقول يا أخي وادعوا لي أخي قالوا: اللّهمَّ نعم.

قال: أفتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قضى بينه وبين جعفر وزيد فقال: يا عليّ أنت منّي وأنا منك وأنت وليّ كلّ مؤمن بعدي. قالوا: اللّهمَّ نعم.

قال: أتعلمون أنّه كانت له من رسول الله ﷺ كلّ يوم خلوة وكلّ ليلة دخلة إذا سأله أعطاه وإذا سكت ابتدأه؟ قالوا: اللّهم نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ فضّله على جعفر وحمزة حين قال لفاطمة: زوّجتك خير أهل بيتي أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً وأكبرهم علماً قالوا: اللّهم نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: أنا سيّد ولد آدم وأخي عليّ سيّد العرب وفاطمة سيدة نساء أهل الجنّة والحسن والحسين ابناي سيّدا شباب أهل الجنّة. قالوا: اللّهمَّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ أمره بغسله وأخبره أنّ جبرئيل عليه السلام: يعينه؟ قالوا: اللّهمَّ نعم. قال: أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال في آخر خطبة خطبها إنّي قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي فتمسّكوا بهما لن تضلّوا قالوا: اللّهمَّ نعم.

فلم يدع شيئاً أنزله الله في عليّ بن أبي طالب عليه السلام خاصّة وفي أهل بيته من القرآن ولا

على لسان نبيّه ﷺ إلا ناشدهم فيه فيقول الصحابة: اللّهمّ نعم قد سمعنا. ويقول التابع: اللّهم نعم قد حدّثنيه من أثق به فلان وفلان ثم ناشدهم أنّهم قد سمعوه يقول: من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً فقد كذب ليس يحبّني ويبغض عليّاً فقال له قائل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: لأنّه منّي وأنا منه من أحبّه فقد أحبّني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله فقالوا: اللّهمّ نعم قد سمعنا وتفرّقوا على ذلك(١).

بيان: قوله: اللّهم غفراً أي اللّهمّ اغفر لي غفراً أو اللّهمّ افتتاح للكلام والخطاب لقيس أي اغفر ما وقع منّي أو استر معايبي.

وقال [ابن الأثير] في النهاية: فيه قال للأنصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا» الأثرة بفتح الهمزة والثاء الاسم من أثر يؤثر إيثاراً إذا أعطى أراد أنّه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء. والاستئثار: الانفراد بالشيء.

وقال الجوهريّ: سمل العين: فقؤها يقال: سملت عينه تسمل إذا فقئت بحديدة محماة. وقال: نزحت الدار: بعدت. وبلد نازح وقوم منازيح وقد نزح بفلان إذا بعد عن دياره غيبة بعيدة وتقول: أنت بمنتزح من كذا أي بعيد منه.

قوله عليه السلام: «فولد لرسول الله ﷺ» أي ولد له أولاد من فاطمة كانوا أولاداً لرسول الله ﷺ.

٤٥٧ - **ما:** ابن الصلت عن ابن عقدة عن أحمد بن القاسم عن عبّاد عن عليّ بن عابس عن حصين عن عبد الله بن معقل عن عليّ عليه السلام أنّه قنت في الصبح فلعن معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى وأبا الأعور وأصحابهم(٢).

٤٥٨ - ٤٧٤ - كتاب صفّين لنصر بن مزاحم عن أبي عبد الرحمن عن يونس بن الأرقم عن عوف عن عبد الله عن عمرو [بن هند البجليّ عن أبيه قال] فلمّا نظر عليّ عليه السلام إلى رايات معاوية وأهل الشّام قال والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منّا إلا أنّهم لم يَدَعوا الصلاة.

وعن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: لمّا كان قتال صفّين قال رجل لعمّار: يا أبا اليقظان ألم يقل رسول الله قاتلوا النّاس حتّى يسلموا فإذا أسلموا عصموا منّي دماءهم وأموالهم؟ قال: بلى ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه أعواناً.

وبالإسناد عن حبيب عن منذر الثّوري قال: قال محمّد بن الحنفيّة: لمّا أتاهم رسول

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ١٨٣-١٩٤.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٧٢٥ مجلس ٤٣ ح ١٥٢٥.

الله ﷺ من أعلى الوادي ومن أسفله وملأوا الأودية كتائب - يعني يوم فتح مكّة - استسلموا حتّى وجدوا أعواناً.

وعن الحكم بن ظهير عن إسماعيل عن الحسن و[أيضاً عن] الحكم عن عاصم بن أبي النّجود عن زرّ بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم معاوية ابن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه قال الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا.

وعن عمرو بن ثابت عن إسماعيل عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه.

قال: فحدّثني بعضهم قال: [قال] أبو سعيد الخدري: فلم نفعل ولم نفلح.

وعن يحيى بن يعلى عن الأعمش عن خيثمة قال: قال عبد الله بن عمر: إنّ معاوية في تابوت في الدرك الأسفل من النّار ولولا كلمة فرعون: «أنا ربّكم الأعلى» ما كان أحد أسفل من معاوية.

وعن جعفر الأحمر عن ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : يموت معاوية على غير ملّة الإسلام. وعن جعفر، عن ليث، عن محارب بن زياد، عن جابر ابن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : يموت معاوية على غير ملّتي.

وعن قيس بن الرّبيع وسليمان بن قرم عن الأعمش عن إبراهيم التيميّ عن الحارث بن سويد عن عليّ عليه السلام قال: رأيت النبيّ ﷺ في النوم فشكوت إليه ما لقيت من أمّته من الأود واللّدد فقال: انظر فإذا عمرو بن العاص ومعاوية معلّقين منكسين تشدخ رؤوسهما بالصخر.

وعن يحيى بن يعلى عن عبد الجبّار بن عبّاس عن عمّار الدهني عن أبي المثنّى عن عبد الله ابن عمر قال: ما بين تابوت معاوية وتابوت فرعون إلا درجة وما انخفضت تلك الدرجة إلا لأنّه قال: أنا ربّكم الأعلى.

وعن أبي عبد الرحمن عن العلاء بن يزيد القرشيّ عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: دخل زيد ابن أرقم على معاوية فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السّرير فلمّا رأى ذلك زيد جاء حتّى رمى بنفسه بينهما فقال له عمرو بن العاص أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إنّ رسول الله ﷺ غزا غزوة وأنتما معه فرآكما مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً ثمّ رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث كلّ ذلك يديم النظر إليكما فقال في اليوم الثالث: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرّقوا بينهما فإنّهما لن يجتمعا على خير.

وعن محمّد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: أخبرني أبو هلال أنّه سمع أبا برزة الأسلميّ يقول إنّهم كانوا مع رسول الله ﷺ فسمعوا غناء فتشرّفوا له فقام رجل فاستمع له وذلك قبل أن تحرم الخمر فأتاهم ثمّ رجع فقال هما معاوية وعمرو بن العاص يجيب أحدهما الآخر وهو يقول:

لا يـزال حـواري تـلـوح عـظـامـه زوى الـحـرب عـنـه أن يـجـن فـيـقـبـرا

فرفع رسول الله يديه فقال: اللّهم اركسهم في الفتنة ركساً اللّهم دعّهم إلى النّار دَعّاً.

وعن محمّد بن فضيل عن أبي حمزة الثماليّ عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن عمر قال: إنّ تابوت معاوية في النّار فوق تابوت فرعون وذلك بأن فرعون قال: أنا ربّكم الأعلى.

وعن شريك عن ليث عن طاوس عن عبد الله بن عمر قال: أتيت النبيّ ﷺ فسمعته يقول: يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل يموت حين يموت وهو على غير سنّتي فشقّ ذلك عليّ وتركت أبي يلبس ثيابه ويجيء فطلع معاوية.

وعن تليد بن سليمان عن الأعمش عن عليّ بن الأقمر قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثمّ قلنا: لو مررنا برجل قد شهد رسول الله ﷺ وعاينه فأتينا عبد الله بن عمر فقلنا: يا صاحب رسول الله حدّثنا ما شهدت ورأيت قال: إنّ هذا أرسل إليّ يعني معاوية فقال: لئن بلغني أنّك تحدّث لأضربنّ عنقك فجثوت على ركبتي بين يديه ثم قلت وددت أنّ أحدّ سيف في جندك على عنقي. فقال: والله ما كنت لأقاتلك ولا أقتلك وأيم الله ما يمنعني أن أحدّثكم ما سمعت رسول الله ﷺ [قال فيه، رأيت رسول الله ﷺ أرسل إليه يدعوه] وكان يكتب بين يديه فجاء الرّسول فقال: هو يأكل فأعاد عليه الرّسول الثالثة فقال: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه. فهل ترونه يشبع؟.

قال: وخرج [معاوية] من فجّ - قال: - فنظر إليه رسول الله ﷺ وإلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق فلمّا نظر إليهم رسول الله ﷺ قال: اللّهمَّ العن القائد والسائق والراكب.

قلنا أنت سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم وإلا فصمّتا أُذناي كما عميتا عيناي.

وعن عبد العزيز بن الخطّاب عن صالح بن أبي الأسود عن إسماعيل عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري يخطب فاقتلوه[1].

٤٧٥ - **أقول:** قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة روى أبو الحسن عليّ ابن محمّد بن أبي سيف المدائنيّ في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذّمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليّاً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته.

وساق الخبر نحواً ممّا مرّ إلى أن قال: فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن عليّ عليه السلام: فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا خائف على دمه أو طريد في الأرض.

---

(١) وقعة صفين، ص ٢١٥.

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام وولي عبد الملك بن مروان فاشتد الأمر على الشيعة وولي عليهم الحجّاج بن يوسف فتقرّب إليه أهل النُسك والصلاح والدين ببغض عليّ عليه السلام وموالاة أعدائه [وموالاة من يدّعي من النّاس أنّهم أيضاً أعداؤه] فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من النقص من عليّ عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له حتّى أنّ إنساناً وقف للحجّاج ويقال أنّه جدّ الأصمعيّ عبد الملك بن قريب فصاح به أيّها الأمير إنّ أهلي عقّوني وسمّوني عليّاً وإنّي فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج فتضاحك له الحجّاج وقال: للطف ما توسّلت به قد ولّيتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أميّة تقرّباً إليهم بما يظنون أنّهم يُرغمون به أنف بني هاشم(١).

٤٧٦ - ٤٧٧ - **مد:** من الجمع بين الصّحاح الستّة لرزين العبدري من صحيح النسائيّ بإسناده عن زيد بن وهب قال: مررت على أبي ذرّ بالربذة فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: كنا بالشام فقرأت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية قال معاوية: ما هذه فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب فقلت إنّها فينا وفيهم فكان بيني وبينهم في هذا الكلام فوصل ذلك إلى عثمان فكتب إليّ إن شئت تنحّيت عنه فذلك الّذي أنزلني هنا.

ومن الجمع بين الصحيحين للحميديّ من إفراد مسلم بإسناده عن ابن عبّاس قال: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فتواريت خلف باب فجاء فحطاني حطأة وقال: اذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت: هو يأكل. ثمّ قال: اذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه(٢).

٤٧٨ - **أقول:** رواه في الاستيعاب بإسناده عن ابن عبّاس.

٤٧٩ - وروى العلّامة قدّس سرّه في كشف الحقّ نقلاً عن صحيح مسلم مثله ثمّ قال: قال الحسن بن مثنى: قلت ما معنى حطاني؟ قال: وقذني وقذة وأقول: قال في [مادة «حطا» من] النهاية: في حديث ابن عبّاس: قال: «أخذ النبيّ بقفاي فحطاني حطوة» قال الهرويّ: هكذا جاء به الراوي غير مهموز وقال: قال ابن الاعرابي: الحطو: تحريك الشيء مزعزعاً. وقال: رواه شمر بالهمزة يقال: حطأه يحطؤه حطئاً إذا دفعه بكفّه. وقيل: لا يكون الحطأة إلا ضربة بالكف بين الكتفين انتهى(٣).

٤٨٠ - وروى في المستدرك من الفردوس بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوّل من يختصم من هذه الأمّة بين يدي الرّب عزّ وجلّ: عليّ عليه السلام ومعاوية.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١١ ص ٣٣. (٢) العمدة، ص ٢٣٧ ح ٣٤-٣٥.
(٣) نهج الحق وكشف الصدوق، ص ٣٨٠.

٤٨١ - كتاب عبّاد العصفري عن حمّاد بن عيسى العبسيّ عن بلال بن يحيى عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على المنبر فاضربوه بالسيف، وإذا رأيتم الحكم بن أبي العاص ولو تحت أستار الكعبة فاقتلوه. الخبر.

٤٨٢ - كتاب محمّد بن المثنّى عن جعفر بن محمّد بن شريح عن ذرّيح المحاربي قال: قال الحرث بن المغيرة النضري لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ أبا معقل المزني حدّثني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه صلّى بالناس المغرب فقنت في الركعة الثانية ولعن معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعريّ وأبا الأعور السلمي قال الشيخ عليه السلام: صدق فالعنهم.

٤٨٣ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام: والله ما معاوية بأدهى منّي ولكنّه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر كنت من أدهى النّاس ولكن كلّ غدرة فجرة وكلّ فجرة كفرة ولكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة والله ما أُستغفل بالمكيدة ولا أُستغمز بالشديدة(١).

بيان: قوله: «بأدهى منّي» الدهاء بالفتح: الفطنة وجودة الرأي ويقال: رجل داهية وهو الّذي لم يغلب عليه أحد في تدابير أمور الدنيا.

وقال ابن أبي الحديد: الغدرة بضم الفاء وفتح العين: الكثير الغدر والكفرة والفجرة: الكثير الكفر والفجور وكلّ ما كان على هذا البناء فهو الفاعل فإن سكنت العين فهو المفعول تقول رجل ضحكة أي يضحك وضحكة أي يضحك منه. ويروى غدرة وفجرة وكفرة على فَعْلَة للمرة الواحدة.

وقال ابن ميثم قال بعض الشارحين: وجه لزوم الكفر هاهنا أنّ الغدر على وجه استباحة ذلك واستحلاله كما هو المشهور من حال ابن العاص ومعاوية في استباحة ما علم تحريمه ضرورة وجحده هو الكفر. ويحتمل أن يريد كفر نعم الله وسترها بإظهار معصيته كما هو المفهوم منه لغة.

أقول: إطلاق الكفر على ارتكاب الكبائر واجتناب الفرائض شائع في الأخبار.

قوله عليه السلام: «ما أُستغفل» أي لا يمكن للخصم أن يجعلني غافلاً بكيده بل أعلم مقصوده لكني قد أُعرض عنه للمصلحة وأحكم بظاهر الأمر رعاية للشريعة أولا تجوز المكيدة عليّ كما تجوز على ذوي الغفلة. «ولا أُستغمز» الغمز: العصر باليد والكبس أي لا ألين بالخطب الشّديد بل أصبر عليه. ويروى بالراء المهملة أي لا أُستجهل بشدائد المكاره.

٤٨٤ - **كشف الحقّ:** للعلامة قدّس الله روحه [قال:] روى صاحب كتاب الهاوية أنّ معاوية قتل أربعين ألفاً من المهاجرين والأنصار وأولادهم(٢).

٤٨٥ - **أقول:** قال مؤلّف إلزام النواصب والعلامة رحمه الله في كشف الحقّ: روى أبو المنذر

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣٢ خ ١٩٨. (٢) نهج الحق وكشف الصدق، ص ٣١٢.

هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ في كتاب المثالب: كان معاوية لعمارة بن الوليد المخزوميّ ولمسافر بن أبي عمرو ولأبي سفيان ولرجل آخر سمّاه وكانت هند أمّه من المغلمات وكان أحبّ الرجال إليها السودان وكانت إذا ولدت أسود دفنته وكانت حمامة إحدى جدّات معاوية لها راية في ذي المجاز.

قالا: وذكر أبو سعيد إسماعيل بن عليّ السمعانيّ الحنفي من علماء [أهل] السنّة في مثالب بني أميّة والشيخ أبو الفتوح جعفر بن محمّد الهمدانيّ من علمائهم في كتاب بهجة المستفيد، أنّ مسافر بن عمرو بن أميّة بن عبد شمس، كان ذا جمال وسخاء فعشق هنداً وجامعها سفاحاً واشتهر ذلك في قريش فلمّا حملت وظهر السّفاح هرب مسافر من أبيها إلى الحيرة وكان سلطان العرب عمرو بن هند، وطلب أبوها عتبة أبا سفيان ووعده بمال جزيل وزوّجه هنداً فوضعت بعد ثلاثة أشهر معاوية ثمّ ورد أبو سفيان على عمرو بن هند فسأله مسافر عن حال هند فقال: إنّي تزوّجتها فمرض ومات[1].

٤٨٦ - وقال العلامّة رحمه الله في كشف الحقّ: ادّعى معاوية أخوة زياد وكان له مدّع يقال له أبو عبيدة عبد بني علاج من ثقيف فأقدم معاوية على تكذيب ذلك الرّجل مع أنّ زياداً ولد على فراشه وادعى معاوية أنّ أبا سفيان زنا بوالدة زياد وهي عند زوجها المذكور وأن زياداً من أبي سفيان انتهى[2].

٤٨٧ - وقال العلامة الشيرازيّ في نزهة القلوب: أولاد الزنا نجب لأنّ الرّجل يزني بشهوته ونشاطه فيخرج الو لد كاملاً وما يكون من الحلال فمن تصنّع الرّجل إلى المرأة ولهذا كان عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان من دهاة الناس.

ثم ساق الكلام في بيان نسبهما على ما سيأتي من كتاب ربيع الأبرار ثمّ زاد على ذلك وقال: ومنهم زياد بن أبيه وفيه يقول الشاعر:

ألا أبـلـغ مـعـاويـة بـن حـرب مـغـلـغـلـة مـن الـرّجـل الـيـمـانـي
أتـغـضـب أن يـقـال أبـوك عـفّ وتـرضـى أن يـكـون أبـوك زان

٤٨٨ - كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ عن يوسف بن كليب المسعوديّ عن الحسن بن حمّاد الطّائيّ عن عبد الصمد البارقي قال قدم عقيل على عليّ عليه السلام وهو جالس في صحن مسجد الكوفة فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله قال: وعليك السلام يا أبا يزيد ثمّ التفت إلى الحسن بن عليّ عليه السلام فقال: قم وأنزل عمّك فذهب به وأنزله وعاد إليه فقال له: اشتر له قميصاً جديداً ورداءً جديداً وإزاراً جديداً ونعلاً جديداً فغدا على عليّ عليه السلام في الثياب فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين قال: وعليك السلام يا أبا يزيد.

---

(١) - (٢) نهج الحق وكشف الصدق، ص ٣٠٧.

قال يا أمير المؤمنين ما أراك أصبت من الدّنيا شيئاً إلا هذه الحصبا قال: يا أبا يزيد يخرج عطائي فأعطيكاه.

فارتحل عن عليّ عَلَيْتَكِلاَ إلى معاوية فلمّا سمع به معاوية نصب كراسيه وأجلس جلساءه فورد عليه فأمر له بمائة الف درهم فقبضها فقال له معاوية: أخبرني عن العسكرين؟ قال: مررت بعسكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْتَكِلاَ فإذا ليل كليل النبيّ ﷺ ونهار كنهار النبيّ إلا أنّ رسول الله ﷺ ليس في القوم ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممّن نفّر برسول الله ﷺ ليلة العقبة فقال: من هذا الّذي عن يمينك يا معاوية؟ قال: هذا عمرو بن العاص. قال: هذا الّذي اختصم فيه ستّة نفر فغلب عليه جزّارها، فمن الآخر؟ قال: الضحّاك بن قيس الفهري قال: أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ خسيس النفس فمن هذا الآخر؟ قال أبو موسى الأشعريّ قال: هذا ابن المراقة(١).

فلما رأى معاوية أنّه قد أغضب جلساءه قال: يا أبا يزيد ما تقول فيّ قال: دع عنك قال: لتقولنّ قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة؟ قال: أخبرتك.

ومضى عقيل فأرسل معاوية إلى النسّابة فقال: أخبرني من حمامة؟ قال أعطني الأمان على نفسي وأهلي. فأعطاه قال: حمامة جدّتك وكانت بغيّة في الجاهلية لها راية تؤتى.

قال الشيخ: قال أبو بكر بن زبين هي أمّ أمّ أبي سفيان(٢).

٤٨٩ - وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: معاوية هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأبو سفيان هو الّذي قاد قريشاً في حروبها إلى النبيّ ﷺ وكانت هند تذكر في مكّة بفجور وعهر.

وقال الزمخشريّ في كتاب ربيع الأبرار: كان معاوية يُعزى إلى أربعة إلى مسافر بن أبي عمرو وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة وإلى العبّاس بن عبد المطّلب وإلى الصباح مُغنّ كان لعمارة بن الوليد قال: وكان أبو سفيان دميماً قصيراً وكان الصّباح عسيفاً لأبي سفيان شابّاً وسيماً فدعته هند إلى نفسها فَغشيها وقالوا: إنّ عتبة بن أبي سفيان من الصّباح أيضاً وقالوا: إنّها كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك وفي هذا المعنى يقول حسّان أيّام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله ﷺ قبل عام الفتح:

لمن الصبيّ بجانب البطحاء ... في الترب ملقىً غير ذي مهد
نجلت به بيضاء آنسة ... من عبد شمس صلتة الخدّ

قال ابن أبي الحديد: وولي معاوية اثنتين وأربعين سنة منها اثنتان وعشرون سنة ولي فيها

(١) ابن السرّاقة كما مر في، ج ٤٢. [النمازي]. (٢) الغارات ص ٦٥.

إمارة الشّام مذ مات أخوه يزيد بن أبي سفيان بعد خمس سنين من خلافة عمر إلى أن قتل أمير المؤمنين عليه السلام في سنة أربعين ومنها عشرون سنة خليفة إلى أن مات في سنة ستّين.

وكان أحد كتّاب رسول الله صلى الله عليه وآله واختلف في كتابته له كيف كانت فالذي عليه المحقّقون من أهل السيرة أنّ الوحي كان يكتبه عليّ عليه السلام وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم، وأنّ حنظلة بن الربيع ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل ويكتبان حوائجه بين يديه ويكتبان ما يُجبى من أموال الصدقات ما يقسم له في أربابها.

وكان معاوية على أسّ الدهر مبغضاً لعليّ عليه السلام شديد الانحراف عنه وكيف لا يبغضه وقد قتل أخاه حنظلة يوم بدر وخاله الوليد بن عتبة وشرك عمّه [حمزة] في جدّه وهو عتبة أو في عمّه وهو شيبة على اختلاف الرّواية وقتل من بني عمّه من بني عبد شمس نفراً كثيراً من أعيانهم وأماثلهم ثم جاءت الطّامة الكبرى واقعة عثمان فنسبها كلّها إليه بشبهة إمساكه عنه وانضواء كثير من قتلته إليه فتأكّدت البغضة وثارت الأحقاد وتذكرت تلك الترات الأولى حتّى أفضى الأمر إلى ما أفضى إليه. وقد كان معاوية مع عظم قدر عليّ عليه السلام في النفوس واعتراف العرب بشجاعته وأنّه البطل الّذي لا يقام له يتهدّده وعثمان بعد حيّ بالحرب والمنابذة ويراسله من الشّام رسائل خَشِنَة.

ثم قال ومعاوية مطعون في دينه عند شيوخنا يرمى بالزندقة وقد ذكرنا في نقض السفيانية على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلاميّة عنه من الإلحاد والتّعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وما تظاهر به من الجبر والإرجاء ولو لم يكن شيء من ذلك لكان في محاربته الإمام ما يكفي في فساد حاله لا سيّما على قواعد أصحابنا وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير إلى النّار والخلود فيها إن لم يكفّرها التوبة.

وقال في موضع آخر: معاوية عند أصحابنا مطعون في دينه منسوب إلى الإلحاد قد طعن فيه شيخنا أبو عبد الله البصريّ في كتاب نقض السّفيانيّة على الجاحظ وروى عنه أخباراً تدل على ذلك(١).

٤٩٠ - ٤٩١ - روى ذلك أحمد بن أبي طاهر في كتاب أخبار الملوك أنّ معاوية سمع المؤذّن يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله فقالها فقال: أشهد أنّ محمّداً رسول الله فقال: لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمّة ما رضيت لنفسك إلاّ أن تقرن اسمك باسم ربّ العالمين.

قال: وروى نصر بن مزاحم عن الحكم بن ظهير عن إسماعيل عن الحسن.

قال: وحدَّثنا الحكم أيضاً عن عاصم بن أبي النجود عن زرّ بن حُبيش عن عبد الله بن مسعود قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه. فقال الحسن: فوالله ما فعلوا ولا أفلحوا(٢).

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٢٤٤.

(٢) وقعة صفين، ص ٢١٦.

٤٩٢ - وروى أيضاً في موضع آخر من تاريخ محمّد بن جرير الطبريّ أنّه قال: في هذه السنة: [٢٨٤] عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب يُقرأ على النّاس فخوّفه عبيد الله بن سليمان اضطراب العامّة وأنّه لا يأمن أن تكون فتنة. فلم يلتفت إليه فكان أوّل شيء بدأ به المعتضد من ذلك التّقديم إلى العامة بلزوم أعمالهم وترك الاجتماع والعصبيّة [والشّهادات عند السّلطان إلاّ أن يسألوا] ومنع القصّاص عن القعود على الطّرقات.

وأنشئ هذا [الكتاب] وعملت منه نسخ قُرئت بالجانبين من مدينة السلام في الأرباع والمحالّ والأسواق في يوم الأربعاء لست بقين منها ومنع القصاص من القعود في الجانبين ومنع أهل الحلق في الفتيا [أو غيرهم] من القعود في المسجدين.

ونودي في المسجد الجامع بنهي النّاس عن الاجتماع على قاصّ أو غيره ومنع القصّاص وأهل الحقّ من القعود. ونودي أنّ الذمّة قد برئت ممّن اجتمع من النّاس في مناظرة وجدل. وتقدم إلى الشرّاب الّذين يسقون الماء في الجامعين أن لا يترحّموا على معاوية ولا يذكروه [بخير] وكانت عادتهم جارية بالترحّم. وتحدّث النّاس أنّ الكتاب الّذي قد أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر فلمّا صلّى النّاس [الجمعة] بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ.

وقيل: إنّ عبيد الله بن سليمان صرفه عن قرائته وأنّه أحضر يوسف بن يعقوب القاضي وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم المعتضد عليه فمضى يوسف فكلّم المعتضد في ذلك وقال له: إنّي أخاف أن تضطرب العامّة ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة فقال: إن تحركت العامّة أو نطقت وضعت السيف فيها فقال: يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيّين الّذين يخرجون في كلّ ناحية ويميل إليهم خلق كثير لقرابتهم من رسول الله وما في هذا الكتاب من إطرائهم أو كما قال وإذا سمع النّاس هذا كانوا إليهم أميل وكانوا هم أبسط ألسنة وأثبت حجّة منهم اليوم فأمسك المعتضد فلم يردّ عليه جواباً ولم يأمر بعد ذلك في الكتاب بشيء.

وكان من جملة الكتاب بعد أن قدّم حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ: أمّا بعد فقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة العامّة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم وفساد قد لحقهم في معتقدهم وعصبيّة قد غلبت عليها أهواؤهم ونطقت بها ألسنتهم على غير معرفة ولا رويّة قد قلّدوا فيها قادة الضلالة بلا بيّنة ولا بصيرة وخالفوا السنن المتّبعة إلى الأهواء المبتدعة قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١) خروجاً عن الجماعة ومسارعة إلى الفتنة وإيثاراً للفرقة وتشتيتاً للكلمة وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة وبتَر منه العصمة وأخرجه من الملّة وأوجب عليه

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠.

اللّعنة وتعظيماً لمن صغر الله [حقّه] وأوهن أمره وأضعف ركنه من بني أُميّة الشجرة الملعونة ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة وأسبغ عليهم به النعمة من أهل بيت البركة والرحمة: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(١).

فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ورأى في ترك إنكاره حرجاً عليه في الدين وفساداً لمن قلّده الله أمره من المسلمين وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين وإقامة الحجّة على الشاكّين وبسط اليد على المعاندين.

وأمير المؤمنين يخبركم معاشر المسلمين أنّ الله عزّوجلّ ثناؤه لمّا ابتعث محمّداً صلى الله عليه وآله بدينه وأمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربّه وأنذرهم وبشّرهم ونصح لهم وأرشدهم وكان من استجاب له وصدق قوله واتبع أمره نفر يسير من بني أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربّه وناصر لكلمته وإن لم يتبع دينه إعزازاً له وإشفاقاً عليه فمؤمنهم مجاهد ببصيرته وكافرهم مجاهد بنصرته وحميّته يدفعون من نابذه ويقهرون من عابه وعانده ويتوثقون له ممّن كانفه وعاضده ويبايعون له من سمح له بنصرته ويتجسسون أخبار أعدائه ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأي العين حتّى بلغ المدى وحان وقت الاهتداء فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به بأثبت بصيرة وأحسن هدى ورغبة.

فجعلهم الله أهل بيت الرحمة أهل بيته الّذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً معدن الحكمة وورثة النبوّة وموضع الخلافة أوجب الله لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة.

وكان ممّن عانده وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الأعظم يتلقونه بالضرر والتّثريب ويقصدونه بالأذى والتخويف وينابذونه بالعداوة وينصبون له المحاربة ويصدّون عن قصده وينالون بالتعذيب من اتّبعه.

وكان أشدّهم في ذلك عداوةً وأعظمهم له مخالفة أوّلهم في كلّ حرب ومناصبة ورأسهم في كلّ إجلاب وفتنة لا ترفع على الإسلام راية إلاّ كان صاحبها وقائدها ورئيسها أبا سفيان بن حرب صاحب أُحد والخندق وغيرهما وأشياعه من بني أُميّة الملعونين في كتاب الله ثمّ الملعونين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن عدّة لسابق علم الله فيهم وماضي حكمه في أمرهم وكفرهم ونفاقهم فلم يزل لعنه الله يحارب مجاهداً ويدافع مكايداً ويجلب منابذاً حتّى قهره السّيف وعلا أمرالله وهم كارهون فتعوّذ بالإسلام غير منطوٍ عليه وأسرّ الكفر غير مقلع عنه فقبله وقبل ولده على علم منه بحاله وحالهم ثمّ أنزل الله تعالى كتاباً فيما أنزله على رسوله يذكر فيه شأنهم وهو قوله: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾(٢) ولا خلاف بين أحد أنّه تبارك وتعالى أراد بها بني أميّة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٤. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

وممّا ورد من ذلك في السنّة ورواه ثقات الأُمّة قول رسول الله ﷺ فيه وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه: لعن الله الراكب والقائد والسائق.

ومنه ما روته الرّواة عنه من قوله يوم بيعة عثمان: «تلقّفوها يا بني عبد شمس تلقّف الكرة فوالله ما من جنّة ولا نار» وهذا كفر صراح يلحقه اللعنة من الله كما لحقت ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[1].

ومنه ما يروى من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده: هاهنا دمّينا محمّداً وقتلنا أصحابه. ومنها الكلمة الّتي قالها للعبّاس قبل الفتح - وقد عرضت عليه الجنود -: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً! فقال له العبّاس: ويحك إنّه ليس بملك إنّها النبوّة.

ومنه قوله يوم الفتح وقد رأى بلالاً على ظهر الكعبة يؤذّن ويقول: أشهد أنّ محمّداً رسول الله (ﷺ): لقد أسعد الله عتبة بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد.

ومنها الرّؤيا الّتي رآها رسول الله ﷺ فوجم لها قالوا: فما رئي بعدها ضاحكاً رأى نفراً من بني أُميّة ينزون على منبره نزو القردة ومنها طرد رسول الله ﷺ الحكم بن [أبي] العاص لمحاكاته إيّاه في مشيته وألحقه الله بدعوة رسول الله ﷺ آفة باقية حين التفت إليه فرآه يتخلّج يحكيه فقال: «كن كما أنت» فبقي على ذلك سائر عمره.

هذا إلى ما كان من مروان ابنه وافتتاحه أوّل فتنة كانت في الإسلام واحتقابه كلّ دم حرام سفك فيها أو أريق بعدها.

ومنها ما أنزل الله تعالى على نبيّه ﷺ: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ قالوا: ملك بني أمية. ومنها أنّ رسول الله ﷺ دعا معاوية ليكتب بين يديه فدافع بأمره واعتلّ بطعامه فقال ﷺ: لا أشبع الله بطنه. فبقي لا يشبع ويقول: والله ما أترك الطعام شبعاً ولكن إعياءاً. ومنها أنّ رسول الله ﷺ قال: يطلع من هذا الفجّ رجل من أُمّتي يحشر على غير ملّتي. فطلع معاوية. ومنها أنّ رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

ومنها الحديث المشهور المرفوع أنه ﷺ قال: إنّ معاوية في تابوت من نار في أسفل درك من جهنّم ينادي يا حنّان يا منّان فيُقال له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

ومنها انتزاؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم إليه سبقاً وأحسنهم فيه أثراً وذكراً عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ينازعه حقّه بباطله ويجاهد أنصاره بضُلاّله وأعوانه ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحوده دينه﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ يستهوي أهل الجهالة ويموّه لأهل الغباوة بمكره وبغيه اللذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنهما فقال لعمّار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية تدعوهم

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٨.

إلى الجنّة ويدعونك إلى النار» مؤثراً للعاجلة كافراً بالآجلة خارجاً من طريقة الإسلام مستحلاً للدّم الحرام حتّى سفك في فتنته وعلى سبيل غوايته وضلالته دماء ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذّابين عن دين الله والناصرين لحقّه مجاهداً في عداوة الله مجتهداً في أن يعصى الله فلا يطاع وتبطل أحكامه فلا تقام ويخالف دينه فلا يدان وأن تعلو كلمة الضلال وترتفع دعوة الباطل وكلمة الله هي العليا ودينه المنصور وحكمه النافذ وأمره الغالب وكيد من عاداه وحادّه المغلوب الداحض حتّى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتبعها وتطوّق تلك الدماء وما سفك بعدها وسنّ سنن الفساد الّتي عليه إثمها وإثم من عمل بها وأباح المحارم لمن ارتكبها ومنع الحقوق أهلها وغرّته الآمال واستدرجه الإمهال.

وكان ممّا أوجب الله عليه به اللّعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والدين مثل عمرو بن الحمق الخزاعيّ وحجر بن عديّ الكنديّ فيمن قتل من أمثالهم على أن يكون له العزة والملك والغلبة.

ثم ادعاؤه زياد بن سمية أخاً ونسبته إيّاه إلى أبيه والله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ورسوله يقول: ملعون من ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه.

وقال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فخالف حكم الله تعالى ورسوله جهاراً وجعل الولد لغير الفراش والحجر لغير العاهر فأحلّ بهذه الدعوة من محارم الله ورسوله في أمّ حبيبة أمّ المؤمنين وفي غيرها من النساء من شعور ووجوه قد حرّمها الله وأثبت بها من قربىً قد أبعدها الله ما لم يدخل الدين خلل مثله ولم ينل الإسلام تبديلاً يشبهه.

ومن ذلك إيثاره لخلافة الله على عباده ابنه يزيد السّكير الخمير صاحب الديكة والفهود والقردة وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسّطوة والتوعّد والإخافة والتهديد والرّهبة وهو يعلم سفهه ويطّلع على رهقه وخبثه ويعاين سكراته وفعلاته وفجوره وكفره فلمّا تمكّن قاتله الله فيما تمكن منه طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين فأوقع بأهل المدينة في وقعة الحرّة الوقعة الّتي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش فشفى عند نفسه غليله وظنّ أنّه قد انتقم من أولياء الله وبلغ الثار لأعداء الله فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

قول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ولا يؤمن بالله وبما جاء من عنده.

ثم من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اجترم سفكه دم الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما مع موقعه من رسول الله ﷺ ومكانه ومنزلته من الدّين والفضل والشهادة له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنّة اجتراءً على الله وكفراً بدينه وعداوة لرسوله ومجاهرة لعترته واستهانة بحرمته كأنّما يقتل لعنه الله قوماً من كفرة الترك والدّيلم لا يخاف من الله نقمة ولا يراقب منه

سطوة [فبتر الله عمره] واجتثّ أصله وفرعه وسلبه ما تحت يده وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقّه من الله بمعصيته.

هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكام الله واتّخاذ مال الله بينهم دولاً وهدم بيت الله واستحلال حرامه ونصبهم المجانيق عليه ورميهم بالنيران إليه لا يألون إحراقاً وإخراباً ولما حرّم الله منه استباحة وانتهاكاً ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً ولمن آمنه الله به إخافة وتشريداً حتّى إذا حقّت عليهم كلمة العذاب واستحقّوا من الله الانتقام وملأوا الأرض بالجور والعدوان وعمّوا عباد الله بالظلم والاقتسار وحلّت عليهم السخط ونزلت بهم من الله السطوة أتاح الله لهم من عترة نبيّه وأهل وراثته ومن استخلصه منهم لخلافته مثل ما أتاح من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين فسفك الله دماءهم مرتدين كما سفك بآبائهم دماء آبائهم مشركين وقطع الله دابر الّذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين.

يا أيّها النّاس إنّ الله إنّما أمر ليطاع ومثّل ليتمثّل وحكم ليفعل قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾.

فالعنوا أيّها النّاس من لعنه الله ورسوله وفارقوا من لاتنالون القربة من الله إلاّ بمفارقته.

اللّهمّ العن أبا سفيان بن أُميّة ومعاوية ابنه ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده وولد ولده. اللّهمّ العن أئمّة الكفر وقادة الضلال وأعداء الدّين ومجاهدي الرّسول ومعطّلي الأحكام ومبدّلي الكتاب ومنتهكي الدّم الحرام.

اللّهمّ إنّا نبرأ إليك من موالاة أعدائك ومن الإغماض لأهل معصيتك كما قلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(١).

أيّها النّاس اعرفوا الحقّ تعرفوا أهله وتأمّلوا سُبل الضلالة تعرفوا سابلها فقفوا عند ما وَقَفَكم الله عليه وانفذوا لما أمركم الله به وأميرالمؤمنين يستعصم بالله لكم ويسأله توفيقكم ويرغب إليه في هدايتكم والله حسبه وعليه توكّله ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم(٢).

وقال في موضع آخر: إنّ معاوية لعنه الله أمر النّاس بالعراق والشام وغيرهما بسبّ عليّ صلوات الله عليه والبراءة منه وخطب بذلك على منابر الإسلام وصار ذلك سنّة في أيّام بني أميّة إلى أن قام عمر بن عبد العزيز فأزاله.

وقال الجاحظ: إنّ معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللّهمّ إنّ أبا تراب ألحد في دينك وصدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً وعذّبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات ينادى بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز.

وذكر المبرّد في الكامل أنّ خالد بن عبد الله القسري لمّا كان أمير العراق في خلافة هشام

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٨ ص ٦٢٩.

كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر. وذكر الجاحظ أنّ قوماً من بني أُميّة قالوا لمعاوية: إنّك قد بلغت ما أمّلت فلو كففت عن لعن هذا الرجل؟ فقال: لا والله حتّى يربو عليه الصّغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً. وأراد زياد أن يعرض على أهل الكوفة البراءة من عليّ ولعنه وأن يقتل كلّ من امتنع من ذلك ويخرب منزله فضربه الله ذلك اليوم بالطّاعون فمات بعد ثلاثة أيّام وذلك في أيّام معاوية.

قال: وقال أبو جعفر الإسكافي: وروي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتّى يروي أنّ هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ﴾ فلم يقبل فبذل له مأتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل أربعمائة فقبل وروى ذلك وقال: إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التّابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام فاختلقوا ما أرضاه منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير. قال: وقد روي عن عليّ عليه السلام أنه قال: أكذب النّاس على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدوسي[1].

---

(١) صحيح البخاري ج٧ كتاب النفقات باب ١ في حديث: أنّ أبا هريرة لمّا نقل حديثاً غريباً تعجّب منه السامعون، قيل له: سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، هذا من كيس أبي هريرة. أقول: قال في القاموس: وعبد الرحمن بن صخر رأى النبي صلى الله عليه وآله في كمّه هرّة، فقال: يا أبا هريرة، فاشتهر به، واختلف في اسمه على نيّف وثلاثين قولاً؛ انتهى. وذكر ابن أبي الحديد في الجزء الرابع من شرحه على النهج عن شيخه أبي جعفر الإسكافي: أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه؛ منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة؛ إلى أن قال: وروى الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق أتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ لكل نبي حرماً وإنّ حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأشهد بالله أنّ علياً أحدث فيها. فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة. وقال: قال أبو جعفر: وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضيّ الرواية ضربه عمر بالدرّة وقال: قد أكثرت من الرواية وأحرّ بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله؛ الخ. أقول: كان أبو هريرة يلعب بالشطرنج. قال الدميري: والمروي عن أبي هريرة من اللعب به مشهور في كتب الفقه. وقال الجزري في النهاية في «سدر»: وفي حديث بعضهم قال: رأيت أبا هريرة يلعب السدر. والسدر لعبة يقامر بها، وتكسر سينها وتضم، وهي فارسية معربة عن سدر يعني ثلاثة أبواب؛ إنتهى. وكانت عائشة تتهم أبا هريرة بوضع الحديث، وتردّ ما رواه، ومن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بكتاب عين الإصابة فيما=

قال: وقد روى الواقديّ أنّ معاوية لمّا عاد من العراق إلى الشّام خطب فقال: أيّها النّاس إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدّسة فإن فيها الأبدال وقد اخترتكم فالعنوا أبا تراب، فلعنوه[١].

قال: وروى شيخنا أبو عبد الله البصريّ المتكلم عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: أتينا مسجد رسول الله ﷺ والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام السّاعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا فقال رسول الله ﷺ: لعن الله التابع والمتبوع ربّ يوم لأمّتي من معاوية ذي الأستاه قالوا: يعني كبير العجز.

قال: وروى العلاء بن جرير أنّ رسول الله ﷺ قال لمعاوية: لتتخذنّ يا معاوية البدعة سنّة والقبيح حسناً أكلك كثير وظلمك عظيم.

قال: وروى الحرث بن حصيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ قال: قال عليّ عليه السلام: نحن وآل أبي سفيان قوم تعادوا في الله والأمر يعود كما بدأ.

قال وروي عن عمر بن مرّة عن أبي عبد الله بن سلمة عن عليّ عليه السلام قال: رأيت الليلة رسول الله ﷺ فشكوت إليه فقال: هذه جهنّم فانظر من فيها فإذا معاوية وعمرو بن العاص معلّقين بأرجلهم منكّسين ترضخ رؤوسهما بالحجارة أو قال: تشدخ.

= استدركته عائشة على الصحابة. ولما بلغ عمر أن أبا هريرة يروي بعض ما لا يعرف قال: لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بجبال دوس. فروي عن أبي هريرة قال: ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله ﷺ حتّى قبض عمر. وعن الفائق للزمخشري وغيره قال: أبو هريرة استعمله عمر على البحرين، فلما قدم عليه قال: يا عدو الله وعدو رسوله سرقت من مال الله. فقال: لست بعدوّ الله ولا عدو رسوله، ولكني عدو من عاداهما ما سرقت ولكنها سهام اجتمعت ونتاج خيل، فأخذ منه عشرة آلاف درهم فألقاها في بيت المال؛ الخ. وعن شعبة قال: أبو هريرة كان يدلس. وعن ربيع الأبرار للزمخشري قال: وكان يعجبه ـ أي أبا هريرة ـ المضيرة جدّاً، فيأكلها مع معاوية وإذا حضرت الصلاة صلّى خلف عليّ، فإذا قيل له قال: مضيرة معاوية أدسم وأطيب والصلاة خلف عليّ أفضل، فكان يقال له: شيخ المضيرة. وقال أيضاً: كان أبو هريرة يقول: اللهم ارزقني ضرساً طحوناً، ومعدة هضوماً، ودبراً نثوراً. وحكي عن أبي حنيفة أنه سئل فقيل له: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالف قولك؟ قال: اترك قولي بكتاب الله، فقيل له: إذا كان الصحابي يخالف قولك؟ قال: اترك قولي بجميع الصحابة إلا ثلاثة منهم أبو هريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب. وروي أنه سأله أصبغ بن نباتة في محضر معاوية فقال: يا صاحب رسول الله إني أحلفك بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، وبحق حبيبه محمّد المصطفى ﷺ إلا أخبرتني أشهدت غدير خم؟ قال: بلى شهدته. قلت: فما سمعته يقول في عليّ؟ قال: سمعته يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. قلت له: فأنت إذاً واليت عدوّه وعاديت وليّه. فتنفس أبو هريرة الصعداء وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ إلى غير ذلك [مستدرك السفينة ج ١٠ لغة «هرر»].

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٢٨٩.

قال: وروى صاحب كتاب الغارات عن الأعمش عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله يقول سيظهر على النّاس رجل من أُمّتي عظيم السّرم واسع البلعوم يأكل ولا يشبع يحمل وزر الثقلين يطلب الإمارة يوماً فإذا أدركتموه فابقروا بطنه. قال: وكان في يد رسول الله ﷺ قضيب قد وضع طرفه في بطن معاوية.

توضيح: الواجم: الّذي اشتدّ حزنه وأمسك عن الكلام وتخلّج المفلوج في مشيته بالخاء المعجمة ثمّ الجيم أي تفكّك وتمايل. والسابلة أبناء السبيل.

قوله عليه السلام: «والأمر ويعود كما بدأ» أي يقع الحرب بيني وبينهم كما وقع بين النبيّ وبينهم أو يعودون إلى الكفر أو إشارة إلى السفياني. وقال الجوهريّ: السّرم يعني بالضمّ: مخرج الثُفل وَهُوَ طَرف المَعى المستقيم كلمة مولدة.

٥٠٧ - ما: جماعة عن أبي المفضّل عن محمّد بن هارون بن حميد عن جرير بن أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: كنت عند معاوية وقد نزل بذي طوى فجاءه سعد بن أبي وقّاص فسلّم عليه فقال معاوية: يا أهل الشّام هذا سعد وهو صديق لعليّ قال: فطأطأ القوم رؤوسهم وسبّوا عليّاً عليه السلام. فبكى سعد فقال له معاوية: ما الّذي أبكاك؟ قال: ولم لا أبكي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ يسبّ عندك ولا أستطيع أن أُغير وقد كان في عليّ خصال لأن تكون فيّ واحدة منهن أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها أحدها أنّ رجلاً كان باليمن فجفاه عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: لأشكونّك إلى رسول الله ﷺ فقدم على رسول الله ﷺ فسأله عن عليّ عليه السلام فثنا عليه فقال: أنشدك بالله الّذي أنزل عليّ الكتاب واختصّني بالرسالة أعن سخط [تقول] ما تقول في عليّ عليه السلام:؟ قال: نعم يا رسول الله قال: ألا تعلم أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قال: بلى؟ قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه.

والثانية: أنّه بعث يوم خيبر عمر بن الخطّاب إلى القتال فهزم وأصحابه فقال ﷺ: لأعطين الراية غداً إنساناً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله فغدا المسلمون وعليّ أرمد فدعاه فقال خذ الرّاية فقال: يا رسول الله إنّ عَينيّ كما ترى! فتفل فيها فقام فأخذ الراية ثمّ مضى بها حتّى فتح الله عليه.

والثّالثة: [أنه] خلّفه في بعض مغازيه فقال عليّ عليه السلام: يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله ﷺ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي. **والرابعة:** سدّ الأبواب في المسجد إلاّ باب عليّ.

والخامسة: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فدعا النبيّ ﷺ عليّاً وحسناً وحسيناً وفاطمة عليهم السلام فقال: اللّهمّ هؤلاء أهلي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً[1].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٩٨ مجلس ٢٦ ح ١٢٤٣.

بيان: الثناء بتقديم المثلثة يطلق على المدح والذمّ وفي الأوّل أغلب وبتقديم النون بالعكس.

٥٠٨ - **كنز الكراجكيّ:** بلغ الحسين بن عليّ صلوات الله عليه كلام نافع بن جبير في معاوية وقوله إنّه كان يسكته الحلم وينطقه العلم فقال عليه السلام : بل كان ينطقه البطر ويسكته الحصر[1].

بيان: الحصر بالتحريك العي.

١٨ - باب ما جرى بينه عليه السلام وبين عمرو بن العاص لعنه الله وبعض أحواله

٥٠٩ - **ج:** قال عليه السلام في عمرو جواباً عمّا قال فيه: عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشّام أنّ فيَّ دُعابة وأنّي امرؤ تلعابة أعارس [أعافس «خ»] وأُمارس لقد قال باطلاً ونطق آثماً أما وشرّ القول الكذب إنّه يقول فيكذب ويعد فيخلف ويسأل فيُلحِف ويُسأل فيبخل ويخون العهد ويقطع الإلّ فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم سبّته.

أما والله إنّي ليمنعني من اللعب ذكر الموت وإنّه ليمنعه عن قول الحقّ نسيان الآخرة إنّه لم يبايع معاوية حتّى شرط له أن يؤتيه أتيّةً ويرضخ على ترك الدّين له رضيخةً[2].

٥١٠ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص: عجباً لابن النابغة. وذكر نحوه[3].

بيان: نبغ الشيء: ظهر. قال بعض الشارحين: سمّيت أُمّ عمرو النابغة لشهرتها بالفجور وتظاهرها به وسيأتي وصف نسبه لعنه الله.

وزعم - كنصر - زعماً مثلثة أي قال حقّاً أو باطلاً وأكثر ما يستعمل في الباطل وما يشك فيه. والدّعابة - بالضمّ -: المزاح، والمراد هنا الدعابة الخارجة عن الاعتدال.

وروي أنّه كان يقول لأهل الشام: إنّما أخّرنا عليّاً لأنّ فيه هزلاً لا جدّ معه وتبع في ذلك أثر عمر. حيث قال يوم الشورى لمّا أراد صرف الأمر عنه عليه السلام : لله أنت لولا أنّ فيك دعابة.

ورجل تلعابة بالكسر أي كثير اللّعب. والمعافسة: والعفاس بالكسر: الملاعبة. وفي بعض نسخ [كتاب] الاحتجاج: «أعارس» مكان «أعافس» ولعلّه من «أعرس الرجل» إذا دخل بامرأته عند بنائها، وقد يطلق على الجماع. والممارسة: المزاولة، قال [ابن الأثير] في

---

(١) كنز الفوائد، ج ٢ ص ٣٢. (٢) الاحتجاج، ص ١٨٢.
(٣) نهج البلاغة، ص ١٧٥ خ ٨٣.

[مادة: «مرس» من كتاب] النهاية و[قد] يطلق على الملاعبة ومنه حديث عليّ: «زعم أنني كنت أعافس وأمارس» أي ألاعب النساء.

و«ألحف» أي ألحّ. و«إلّ» بالكسر: العهد والقرابة والحلف والجار. ذكره الفيروزآباديّ [في مادّة «إل» من كتاب القاموس]. والمراد بقطع «الإلّ» هنا قطع الرّحم أو تضييع الحليف والجار. و «المآخذ» على لفظ الجمع وفي بعض النّسخ على المفرد.

وكلمة «كان» الأولى تامّة والإشارة إلى أخذ السيوف مآخذها وهو التحام الحرب ومخالطة السيوف «وأكبر» بالباء الموحّدة وهو أظهر ممّا في بعض النسخ من المثلثة. والمكيدة: المكر والحيلة. و«يمنح» - كيمنع - أي يعطي. و«السبّة» الاست، أي العجز أو حلقة الدبر. والمراد بإعطاء القوم سبّته ما ذكره أرباب السّير ويضرب به المثل من كشفه سوأته شاغراً برجليه لمّا لقيه أمير المؤمنين عليه السلام في بعض أيّام صفّين وقد اختلطت الصفوف واشتعل نار الحرب فحمل عليه السلام عليه فألقى نفسه عن فرسه رافعاً رجليه كاشفاً عورته فانصرف عنه لافتاً وجهه وفي ذلك قال أبو فراس:

ولا خير في دفع الأذى بمذلّة كما ردّها يوماً بسوأته عمرو

والأتيّة: العطيّة. والرضخ: العطاء القليل. والمراد بالأتية والرضيخة ولاية مصر ولعلّ التعبير عنها بالرضيخة لقلّتها بالنسبة إلى ترك الدّين.

٥١١ - **ما:** المفيد عن محمّد بن عمران عن الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير ابن بكار عن عليّ بن محمّد قال: كان عمرو بن العاص يقول: إنّ في عليّ دعابة فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: زعم ابن النابغة أنّي تلعابة مزّاحة ذو دعابة أعافس وأمارس. هيهات يمنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البعث والحساب ومن كان له قلب ففي هذا عن هذا له واعظ وزاجر. أما وشرّ القول الكذب إنّه ليحدّث فيكذب ويعد فيخلف فإذا كان يوم البأس فأيّ زاجر وآمر هو ما لم يأخذ السيوف هام الرجال فإذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم استه[1].

٥١٢ - كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ قال: بلغ عليّاً عليه السلام أنّ ابن العاص ينتقصه عند أهل الشام فصعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: يا عجباً - عجباً لا ينقضي - لابن النابغة يزعم لأهل الشّام إلى آخر الكلام وجمع بين الروايتين[2].

٥١٣ - كتاب سليم بن قيس الهلاليّ عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم قال: إنّ عمرو بن العاص خطب بالشام فقال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله على جيش فيه أبو بكر وعمر فظننت أنّه إنّما بعثني لكرامتي عليه فلمّا قدمت قلت: يا رسول الله أيّ النّاس أحبّ إليك؟ فقال: عائشة.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٣١ مجلس ٥ ح ٢٠٨. (٢) الغارات، ص ٥١٣.

فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها. أيّها النّاس وهذا عليّ يطعن على أبي بكر وعمر وعثمان وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله ضرب بالحقّ على لسان عمر وقلبه وقال في عثمان: إنّ الملائكة لتستحيي من عثمان. وقد سمعت عليّاً وإلاّ فصمتا يعني أذنيه يروي على عهد عمر أنّ نبيّ الله نظر إلى أبي بكر وعمر مقبلين فقال: يا عليّ هذان سيدا كهول أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين ما خلا النبيّين منهم والمرسلين ولاتحدثهما بذلك فيهلكا.

فقام عليّ عليه السلام فقال: العجب لطغاة أهل الشّام حيث يقبلون قول عمرو ويصدّقونه وقد بلغ من حديثه وكذبه وقلّة ورعه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد لعنه سبعين لعنة ولعن صاحبه الّذي يدعو إليه في غير موطن وذلك أنّه هجا رسول الله صلى الله عليه وآله بقصيدة سبعين بيتاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللّهمَّ إنّي لا أقول الشعر ولا أُحلّه فالعنه أنت وملائكتك بكلّ بيت لعنة تترى على عقبه إلى يوم القيامة.

ثم لمّا مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله قام فقال: إنّ محمّداً قد صار أبتر لا عقب له وإنّي لأشنأ النّاس له وأقولهم فيه سوءً فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ يعني أبتر من الإيمان [و] من كلّ خير.

ما لقيت من هذه الأُمّة من كذّابيها ومنافقيها لكأنّي بالقرّاء الضعفة المتهجّدين رووا حديثه وصدقوه فيه واحتجّوا علينا أهل البيت بكذبه أنّا نقول: خير هذه الأُمّة أبو بكر وعمر ولو شئت لسمّيت الثالث!. والله ما أراد بقوله في عائشة وأبيها إلاّ رضا معاوية بسخط الله عزّ وجلّ ولقد استرضاه بسخط الله. وأمّا حديثه الّذي يزعم أنّه سمعه منّي فلا والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة [إنه] ليعلم أنّه قد كذب عليّ يقيناً وأن الله لم يسمعه منّي سراً ولا جهراً. اللّهمَّ العن عمرواً والعن معاوية بصدّهما عن سبيلك وكذبهما على كتابك واستخفافهما بنبيّك صلى الله عليه وآله وكذبهما عليه وعليّ[1].

٥١٤ - **أقول:** قال ابن ميثم رحمه الله: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمرو بن العاص: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص شانئ محمّد وآل محمّد في الجاهليّة والإسلام، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإنّك تركت مروّتك لامرئ فاسق مَهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفّه الحليم بخلطته، فصار قلبك لقلبه تبعاً كما وَافَقَ شنّ طبقة فسَلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك وكان علم الله بالغاً فيك فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما اللّيل دجا أو الصّبح أتى يلتمس فاضل سؤره وحوايا فريسته ولكن لا نجاة من القدر ولو بالحقّ أخذت لأدركت ما رجوت وقد رشد من كان الحقّ قائده.

فإن يمكّن الله منك ومن ابن آكلة الأكباد أُلحقكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ١٥٨.

رسول الله صلى الله عليه وآله وإن تعجزا أو تبقيا بعدي فالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاماً وبعقابه عقاباً والسلام[(١)].

وروى ابن أبي الحديد مثله عن نصر بن مزاحم من كتاب صفّين.

٥١٥ - **ج، نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص:

فإنّك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيّه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفّه الحليم بخلطته فاتّبعت أثره وطلبت فضله اتّباع الكلب للضّرغام يلوذ إلى مخالبه وينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته فأذهبت دنياك وآخرتك ولو بالحقّ أخذت أدركت ما طلبت فإن يمكّن الله منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدّمتما وإن تعجزا وتبقيا فما أمامكما شرّ لكما والسّلام[(٢)].

بيان: إلى الأبتر إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ فإنّه نزل فيه.

قال ابن أبي الحديد: أمّا غيّ معاوية فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه.

وأمّا مهتوك ستره فإنّه كان كثير الهزل والخلاعة صاحب جلساء وسمّار ومعاوية لم يتوقّر ولم يلزم قانون الرّياسة إلاّ منذ خرج على أمير المؤمنين واحتاج إلى الناموس والسّكينة وإلاّ فقد كان في أيّام عثمان شديد التهتّك موسوماً بكلّ قبيح وكان في أيّام عمر يستر نفسه قليلاً منه إلاّ أنّه كان يلبس الحرير ويشرب في آنية الذّهب والفضة ويركب البغلات ذوات السروج المحلاّة بها وعليها جلال الديباج والوشي وكان حينئذٍ شاباً عنده نزق الصبا وأشر الشبيبة وسكر السلطان والإمرة ونقل النّاس عنه في كتب السيرة أنّه كان يشرب الخمر في أيّام عثمان بالشام فأمّا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام واستقرار الأمر له فقد اختلف فيه فقيل إنّه شرب الخمر في سرّ وقيل: لم يشرب ولا خلاف في أنّه سمع الغناء وطرب عليه وأعطى ووصل عليه أيضاً. وأما قوله «يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته» فالأمر كذلك لأنّه لم يكن في مجلسه إلاّ شتم بني هاشم وقذفهم والتعرّض بذكر الإسلام والطعن عليه وإن أظهر الانتماء إليه.

قوله عليه السلام: «كما وافق شن طبقة» قال في مجمع الأمثال قال الشرقي بن القطامي: كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شنّ فقال: والله لأطوفنّ حتّى أجد امرأة مثلي فأتزوجها فبينما هو في بعض مسيره إذا رافقه رجل في الطّريق فسأله شن: أين تريد؟ فقال: موضع كذا وكذا، يريد القرية الّتي يقصدها شنّ فرافقه حتّى إذا أخذا في مسيرهما قال شنّ: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل أنا راكب وأنت راكب فكيف أحملك أم تحملني. فسكت عنه شنّ فسارا حتّى إذا قربا من القرية إذا هما بزرع قد استحصد فقال: أترى هذا الزّرع أُكل أم لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل ترى نبتاً مستحصداً فتقول أُكل أم لا، فسكت

---

(١) شرح نهج البلاغة للبحراني، ج ٥ ص ٨١.

(٢) الاحتجاج، ص ١٨٢، نهج البلاغة، ص ٥٥١ خ ٢٧٧.

عنه شنّ حتّى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة فقال شنّ: أترى صاحب هذا النّعش حيّاً أم ميتاً؟ فقال الرجل: ما رأيت أجهل منك جنازة تسأل عنها أميّت صاحبها أم حيّ فسكت عنه شن فأراد مفارقته فأبى الرجل أن يتركه حتّى يسير به إلى منزله فمضى معه.

وكان للرجل بنت يقال لها طبقة فلمّا دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إيّاه وشكى إليها جهله وحدّثها بحديثه فقالت: يا أبت ما هذا بجاهل. أمّا قوله «أتحملني أم أحملك» فأراد: أتحدّثني أم أحدّثك حتّى نقطع طريقنا.

وأمّا قوله: «أترى هذا الزرع أكل أم لا» فإنّما أراد: هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا؟

وأمّا قوله في الجنازة فأراد: هل ترك عقباً يحيى بهم ذكره أم لا.

فخرج الرّجل فقعد مع شنّ فحادثه ساعة ثمّ قال: أتحب أن أفسّر لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم. ففسّره، فقال شنّ: ما هذا من كلامك فأخبرني من صاحبه؟ فقال: ابنة لي. فخطبها إليه، فزوّجه وحملها إلى أهله فلمّا رأوها قالوا: وافق شنّ طبقة. فذهبت مثلاً يضرب للمتوافقين.

وقال الأصمعيّ: هم قوم كان لهم وعاء أدم فتشنن فجعلوا له طبقاً فوافقه فقيل: وافق شنّ طبقة. وهكذا رواه أبو عبيدة في كتابه وفسره.

وقال ابن الكلبيّ: طبقة قبيلة من أياد كانت لا تطاق فوقعت بها شن بن أقصى بن عبد القيس فانتصفت منها وأصابت فيها فضربتا مثلاً للمتّفقين في الشدّة وغيرها. قال الشاعر:

لقيت شنّ أياد بالقنا طبقاً وافق شنّ طبقة

فزاد المتأخّرون فيه: وافقه فاعتنقه. انتهى.

وقال الجوهريّ: أنى يأني أنياً [وإنى وأناءً] أي حان وأنى [تأنية] أيضاً: أدرك.

وفي بعض النسخ بالتاء. والحوايا: الأمعاء [وهو] جمع حوية.

قوله عليه السلام: «أدركت» أي من الدنيا بقدر كفايتك أو من الآخرة.

قوله عليه السلام: «فإن يمكّن الله» المفعول محذوف أي يمكّنني قوله عليه السلام: «وإن تعجزا» أي غلبتما عليّ. فالمفعول محذوف أيضاً.

ولنذكر هنا نسب هذا الأبتر لعنه الله وصاحبه الأكفر وبعض مثالبه ومثالب أبيه.

اعلم أنّ العاص بن وائل أباه كان من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله والكاشفين له بالعداوة والأذى وفيه وفي أصحابه نزول: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ولقب في الإسلام بالأبتر لقوله: «سيموت هذا الأبتر غداً فينقطع ذكره» يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يشتم رسول الله صلى الله عليه وآله ويضع في طريقه الحجارة ليعثر بها إذا خرج ليلاً للطواف وهو أحد القوم الّذين روّعوا زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله في هودجها حتّى أجهضت جنيناً ميّتاً فلمّا بلغه صلى الله عليه وآله لعنهم.

وعمرو هجا رسول الله ﷺ هجاء كثيراً وكان يعلّمه صبيان مكّة فيُنشدونه ويصيحون برسول الله ﷺ إذا مرّ بهم رافعين أصواتهم بالهجاء في وجهه فقال رسول الله ﷺ وهو يصلّي بالحجر: اللّهمَّ إنّ عمرو بن العاص هجاني ولست بشاعر فالعنه بعدد ما هجاني.

رواه عبد الحميد ابن أبي الحديد عن الواقديّ وغيره من أهل الحديث.

٥١٦ - **قال:** وروى أهل الحديث أنّ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص عمدوا إلى سلى جمل فرفعوه بينهم ووضعوه على رأس رسول الله ﷺ وهو ساجد بفناء الكعبة فسال عليه فصبر ولم يرفع رأسه وبكى في سجوده ودعا عليهم فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام وهي باكية فرفعته عنه فألقته وقامت على رأسه [وهي] باكية فرفع رأسه وقال: اللّهمَّ عليك بقريش قالها ثلاثاً ثمَّ قال رافعاً صوته: إنّي مظلوم فانتصر قالها ثلاثاً ثمَّ قام فدخل منزله وذلك بعد وفاة عمّه أبي طالب بشهرين.

قال: ولشدّة عداوة [عمرو بن العاص لرسول الله ﷺ] أرسله أهل مكّة إلى النجاشيّ ليطرد أصحاب رسول الله ﷺ عن بلاده مهاجرة حبشة وليقتل جعفر بن أبي طالب عنده إن أمكنه فكان منه في أمر جعفر هناك ما هو مشهور في السير.

وقال ابن أبي الحديد: ذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار قال: كانت النابغة أُمّ عمرو ابن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جذعان التّيمي بمكّة فكانت بغيّاً ثمَّ أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب وأميّة بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة المخزوميّ وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل السهميّ في طهر واحد فولدت عمراً فادّعاه كلّهم فحكمت أمه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل وذلك لأنّ العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيراً. قالوا: وكان أشبه بأبي سفيان.

قال: وروى أبو عبيدة معمّر بن المثنّى في كتاب الأنساب أنّ عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان، أبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل. فقيل: لتحكم أمّه. فقالت أمّه: إنّه من العاص بن وائل. فقال أبو سفيان: أما إنّي لا أشكّ أنّي وضعته في رحم أمّه فأبت إلاّ العاص. فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسباً. فقالت: إنّ العاص بن وائل كثير النفقة عليّ وأبو سفيان شحيح. ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافئاً له عن هجاء رسول الله ﷺ:

أبوك أبو سفيان لا شكّ قد بدت ... لنا فيك منه بينات الدلائل
ففاخر به إمّا فخرت فلا تكن ... تفاخر بالعاص الهجين بن وائل
وإنّ الّتي في ذاك يا عمرو حكمت ... فقالت رجاء عند ذاك لنائل
من العاص عمرو تخبر النّاس كلّما ... تجمعت الأقوام عند المحافل[1]

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٣٦٦.

وروى ابن عبد البرّ في الاستيعاب عن ابن الكلبيّ في كتابه في أخبار صفّين أنّ بسر بن أرطاة بارز عليّاً عليه السلام يوم صفّين فطعنه عليّ عليه السلام فانكشف له فكفّ عنه كما عرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص. قال: ولهم فيها أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب.

منها فيما ذكر ابن الكلبيّ والمدائني قول الحارث بن النضر السّهمي:

أفي كلّ يوم فارس ليس ينتهي ... وعورته وسط العجاجة بادية

يكفّ لها عنه عليّ سنانه ... ويضحك منه في الخلاء معاوية

بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه ... وعورة بسر مثلها حذو حاذية

فقولا لعمرو ثمَّ بسر ألا انظرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية

ولا تحمدا إلاّ الحيا وخصاكما ... هما كانتا والله للنفس واقية

ولولاهما لم تنجوا من سنانه ... وتلك بما فيها عن العود ناهية

متى تلقيا الخيل المشيخة صحبة ... وفيها عليّ فاتركا الخيل ناحية

وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا ... نحوركما إنّ التجارب كافية

وروي أنّ معاوية قال لبسر بعد ذلك وكان يضحك: لا عليك يا بسر ارفع طرفك ولا تستحي فلك بعمرو أسوة وقد أراك الله منه وأراه منك.

فصاح فتى من أهل الكوفة: ويلكم يا أهل الشّام أما تستحيون لقد علّمكم عمرو كشف الأستاه ثمَّ أنشد الأبيات.

وروي أنّه قال معاوية لعمرو يوماً بعد استقرار خلافته: يا أبا عبد الله لا أراك إلاّ ويغلبني الضحك. قال: بماذا. قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفّين فأزريت نفسك فرقاً من شبا سنانه وكشفت سوءتك له. فقال عمرو: أنا منك أشدّ ضحكاً، إنّي لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك وربا لسانك في فمك وغصصت بريقك وارتعدت فرائصك وبدا منك ما أكره!! فقال معاوية بعد ما جرى بينهما: الجبن والفرار من عليّ لا عار على أحد فيهما[1].

وكان بسر ممّن يضحك من عمرو فلمّا علم أنّه لا محيص حذا حذوه وصار مضحكة له أيضاً.

وروى ابن أبي الحديد عن البلاذريّ في كتاب أنساب الأشراف قال: قام عمرو بن العاص بالموسم فأطرى معاوية وبني أميّة وتناول بني هاشم وذكر مشاهده بصفّين ويوم أبي موسى فقام إليه ابن عبّاس فقال: يا عمرو وإنك بعت دينك من معاوية فأعطيته ما في يدك ومنّاك ما في يد غيره فكان الّذي أخذ منك فوق الّذي أعطاك وكان الّذي أخذت منه دون الّذي أعطيته وكلّ راض بما أخذ وأعطى. فلمّا صارت مصر في يدك تتبّعك بالنقض عليك والتّعقّب

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٣٨٩.

لأمرك ثمّ بالعزل لك حتّى لو أنّ نفسك في يدك لأرسلتها وذكرت يومك مع أبي موسى فلا أراك فخرت إلاّ بالغدر ولا مننت إلاّ بالفجور والغشّ وذكرت مشاهدك بصفّين فوالله ما ثقلت علينا وطأتك ولا نكأت فينا جرأتك ولقد كنت فيها طويل اللّسان قصير البنان آخر الحرب إذا أقبلت وأوّلها إذا أدبرت. لك يدان، يد لا تقبضها عن شرّ ويد لا تبسطها إلى خير ووجهان، وجه مؤنس ووجه موحش. ولعمري من باع دينه بدنيا غيره لحريّ حزنه على ما باع. وأما إنّ لك بياناً ولكن فيك خطل وإنّ لك لرأياً ولكن فيك فشل وإنّ أصغر عيب فيك لأعظم عيب في غيرك[1]!

١٩ - باب نادر

٥١٧ - **فس:** الحسين بن عبيد الله السكيني عن أبي سعيد البجليّ عن عبد الملك بن هارون عن أبي عبد الله عن آبائه صلوات الله عليهم قال: لمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أمر معاوية عليه اللعنة وأنّه في مائة ألف قال: من أيّ القوم؟ قالوا: من أهل الشام. قال عليه السلام: لا تقولوا من أهل الشّام ولكن قولوا من أهل الشوم وهم من أبناء مصر لعنوا على لسان داود فجعل منهم القردة والخنازير. ثم كتب إلى معاوية: لا تقتل النّاس بيني وبينك ولكن هلمّ إلى المبارزة فإن أنا قتلتك فإلى النّار أنت ويستريح النّاس منك ومن ضلالتك وإن قتلتني فأنا إلى الجنّة ويغمد عنك السّيف الّذي لا يسعني غمده حتّى أردّ مكرك وبدعتك، وأنا الّذي ذكر الله اسمه في التوراة والإنجيل بمؤازرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أوّل من بايع رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الشجرة في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾. فلمّا قرأ معاوية كتابه وعنده جلساؤه قالوا: قد والله لقد أنصفك. فقال معاوية: والله ما أنصفني والله لأرمينّه بمائة ألف سيف من أهل الشّام من قبل أن يصل إليّ ووالله ما أنا من رجاله ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: والله يا عليّ لو بارزك أهل الشرق والغرب لقتلتهم أجمعين.

فقال له رجل من القوم: ما يحملك يا معاوية على قتال من تعلم وتخبر فيه عن رسول الله بما تخبر ما أنت ونحن في قتاله إلاّ على الضّلالة. فقال معاوية: إنّما هذا بلاغ من الله وما استطعت والله ما أستطيع أنا وأصحابي رد ذلك حتّى يكون ما هو كائن.

قال: وبلغ ذلك ملك الرّوم وأخبر أنّ رجلين قد خرجا يطلبان الملك فسأل: من أين خرجا؟ فقيل له: رجل بالكوفة ورجل بالشام. قال: فأمر الملك وزراءه فقال: تخلّلوا هل تصيبون من تجّار العرب من يصفهما لي؟ فأتي برجلين من تجار الشّام ورجلين من تجّار مكّة فسألهم عن صفتهما فوصفوهما له ثمّ قال لخزّان بيوت خزائنه: أخرجوا إليّ الأصنام فأخرجوها فنظر إليها فقال: الشاميّ ضالّ والكوفيّ هادٍ.

ثم كتب إلى معاوية أن ابعث إليّ أعلم أهل بيتك وكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن ابعث

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤١٨.

إليّ أعلم أهل بيتك فأسمع منهما ثمّ أنظر في الإنجيل كتابنا ثمّ أُخبركما من أحقّ بهذا الأمر وخشي على ملكه.

فبعث معاوية يزيد ابنه وبعث أمير المؤمنين الحسن ابنه عليه السلام. فلما دخل يزيد لعنه الله على الملك أخذ بيده وقبّلها ثمّ قبل رأسه ثمّ دخل الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما فقال: الحمد لله الّذي لم يجعلني يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً ولا عابداً للشمس والقمر ولا الصّنم والبقر وجعلني حنيفاً مسلماً ولم يجعلني من المشركين تبارك الله ربّ العرش العظيم والحمد لله ربّ العالمين. ثمّ جلس لا يرفع بصره.

فلمّا نظر ملك الروم إلى الرجلين أخرجهما، ثمّ فرّق بينهما، ثمّ بعث إلى يزيد فأحضره ثمّ أخرج من خزائنه [ثلاث] مائة وثلاثة عشر صندوقاً فيها تماثيل الأنبياء وقد زيّنت بزينة كلّ نبيّ مرسل فأخرج صنماً فعرضه على يزيد فلم يعرفه ثمّ عرض عليه صنم صنم فلا يعرف منها شيئاً ولا يجيب منها بشيء ثمّ سأله عن أرزاق الخلائق وعن أرواح المؤمنين أين تجتمع وعن أرواح الكفّار أين تكون إذا ماتوا فلم يعرف من ذلك شيئاً.

ثمّ دعا الملك الحسن بن عليّ عليه السلام فقال: إنّما بدأت بيزيد بن معاوية كي يعلم أنّك تعلم ما لا يعلم ويعلم أبوك ما لا يعلم أبوه فقد وصف [لي] أبوك وأبوه ونظرت في الإنجيل فرأيت فيه محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله والوزير عليّاً عليه السلام، ونظرت في الأوصياء فرأيت فيها أباك وصيّ محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال له الحسن: سلني عمّا بدا لك فيما تجده في الإنجيل وعما في التوراة وعما في القرآن أُخبرك به إن شاء الله.

فدعا الملك بالأصنام فأوّل صنم عرض عليه في صفة القمر فقال له الحسن عليه السلام: فهذه صفة آدم أبي البشر ثمّ عرض عليه آخر في صفة الشمس فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة حوّاء أم البشر ثمّ عرض عليه آخر في صفة حسنة فقال: هذه صفة شيث بن آدم وكان أوّل من بعث وبلغ عمره في الدّنيا ألف سنة وأربعين عاماً [يوماً «خ»] ثمّ عرض عليه صنم آخر فقال: هذه صفة نوح صاحب السّفينة وكان عمره ألفاً وأربعمائة سنة ولبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ثمّ عرض عليه صنم آخر فقال: هذه صفة إبراهيم عليه السلام: عريض الصدر طويل الجبهة ثمّ عرض عليه صنم فقال هذه صفة إسرائيل وهو يعقوب ثمّ أخرج إليه صنم آخر فقال: هذه صفة اسماعيل ثمّ أُخرج إليه صنم آخر فقال: هذه صفة يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ثمّ عرض عليه صنم آخر فقال: هذه صفة موسى بن عمران وكان عمره مائتين وأربعين سنة وكان بينه وبين إبراهيم خمسمائة عام ثمّ أُخرج إليه صنم آخر فقال: هذه صفة داود صاحب الحرب ثمّ أخرج إليه صنم آخر فقال: هذه صفة شعيب ثمّ زكريّا ثمّ يحيى ثمّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته وكان عمره في الدنيا ثلاثاً وثلاثين سنة ثمّ رفعه الله إلى السّماء يهبط إلى الأرض بدمشق وهو الّذي يقتل الدجّال ثمّ عرض عليه صنم صنم فيخبر باسم نبيّ نبي ثمّ عرض عليه

الأوصياء الوزراء فكان يخبر باسم وصيّ وصي ووزير وزير ثمّ عرض عليه أصنام بصفة الملوك فقال الحسن عليه السلام: هذه أصنام لم نجد صفتها في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن فلعلّها من صفة الملوك.

فقال الملك أشهد عليكم يا أهل بيت محمّد أنكم قد أُعطيتم علم الأوّلين والآخرين وعلم التوراة والإنجيل والزّبور وصحف إبراهيم وألواح موسى.

ثم عرض عليه صنم يلوح فلمّا نظر إليه بكى بكاءً شديداً فقال له الملك: ما يبكيك؟ فقال: هذه صفة جدّي محمّد صلى الله عليه وآله كثّ اللحية عريض الصدر طويل العنق عريض الجبهة أقنى الأنف أفلج الأسنان حسن الوجه قطط الشعر طيّب الريح حسن الكلام فصيح اللّسان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بلغ عمره ثلاثاً وستّين سنة ولم يخلف بعده إلاّ خاتماً مكتوب عليه «لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله» صلى الله عليه وآله وكان يتختّم في يمينه وخلّف سيفه ذو الفقار وقضيبه وجبّة صوف وكساء صوف كان يتسرول به لم يقطعه ولم يخطّه حتّى لحق بالله.

فقال الملك: إنّا نجد في الإنجيل أنّه يكون له ما يتصدق به على سبطيه فهل كان ذلك؟ فقال له الحسن عليه السلام: قد كان ذلك. فقال الملك: فبقي لكم ذلك؟ فقال: لا قال الملك: لهذه أوّل فتنة من هذه الأُمّة غلبا أباكما ثمّ على ملك نبيّكم واختيارهم على ذرّيّة نبيّهم منكم القائم بالحقّ والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

قال: ثمّ سأل الملك الحسن عليه السلام عن سبعة أشياء خلقها الله لم تركض في رحم فقال الحسن: أوّل هذا آدم ثمّ حوّاء ثمّ كبش إبراهيم ثمّ ناقة الله ثمّ إبليس الملعون ثمّ الحية ثمّ الغراب الّذي ذكره الله في القرآن.

قال: ثمّ سأله عن أرزاق الخلائق فقال الحسن عليه السلام: أرزاق الخلائق في السّماء الرابعة تنزل بقدر وتبسط بقدر. ثم سأله عن أرواح المؤمنين أين يكونون إذا ماتوا؟ قال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في كلّ ليلة الجمعة وهو عرش الله الأدنى منها يبسط الله الأرض وإليها يطويها وإليه [ومنها «خ»] المحشر ومنها استوى ربّنا إلى السّماء والملائكة.

ثم سأله عن أرواح الكفّار أين تجتمع؟ قال: تجتمع في وادي حضرموت وراء مدينة اليمن ثمّ يبعث الله ناراً من المشرق وناراً من المغرب ويتبعها بريحين شديدتين فيحشر النّاس عند صخرة بيت المقدس فيحشر أهل الجنّة عن يمين الصخرة ويزلف المتّقين وتصير جهنّم عن يسار الصخرة في تخوم الأرضين السابعة وفيها الفلق والسّجين فيعرف الخلائق من عند الصخرة فمن وجبت له الجنّة دخلها ومن وجبت له النّار دخلها وذلك قوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

فلمّا أخبر الحسن صلوات الله عليه بصفة ما عرض عليه من الأصنام وتفسير ما سأله التفت الملك إلى يزيد بن معاوية لعنه الله وقال: أشعرت أنّ ذلك علم لا يعلمه إلاّ نبيّ مرسل أو وصيّ مؤازر قد أكرمه الله بمؤازرة نبيّه صلى الله عليه وآله أو عترة نبيّ مصطفى وغيره المعادي فقد طبع الله

على قلبه وآثر دنياه على آخرته وهواه على دينه وهو من الظالمين. قال: فسكت يزيد وخمد.

قال: فأحسن الملك جائزة الحسن وأكرمه وقال له: ادع ربّك حتّى يرزقني دين نبيّك فإنّ حلاوة الملك قد حالت بيني وبين ذلك وأظنّه سمّاً مردياً وعذاباً أليماً.

قال: فرجع يزيد إلى معاوية وكتب إليه الملك: إنّه يقال من آتاه الله العلم بعد نبيّكم وحكم بالتوراة وما فيها والإنجيل وما فيه والزّبور وما فيه والفرقان وما فيه فالحقّ والخلافة له. وكتب إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ الحقّ والخلافة لك وبيت النبوّة وفي ولدك فقاتل من قاتلك يعذّبه الله بيدك ثمَّ يخلده في نار جهنّم فإنّ من قاتلك نجده في الإنجيل أنّ عليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين وعليه لعنة أهل السموات والأرضين[1].

بيان: تخللوا أي ادخلوا في خلال النّاس وتجسّسوا. قال الجوهريّ: تخلّلت القوم إذا دخلت بين خللهم وخلالهم. وقوله عليه السلام: «وكان أوّل من بعث» أي من أولاد آدم.

قوله عليه السلام: «أول هذا» أي بحسب الرتبة أو الأولويّة إضافية «وثم» في بعضها أيضاً للترتيب الرّتبي لا الزماني كإبليس.

ولعلّ المراد بالحيّة الحية الّتي أدخلت إبليس الجنّة. وذكر الغراب المخصوص ووصفه بعدم الركض في الرحم لأنّه لم يكن غراباً حقيقة وكان بصورته أو أطلق الرحم على ما يعم البيضة تغليباً. قوله عليه السلام: «منها يبسط الله الارض» أي عند خراب الدنيا منها يأخذ في خراب العمارات وتسيير الجبال وإليها ينتهي إفناء الأرض وإذهابها بعد الحشر أو هما بمعنى الماضي أي منها بسط الأرض في بدء الخلق وإليها رجع البسط فيكون إضافياً بالنسبة إلى ما سوى الكعبة أو أجاب عليه السلام موافقاً لما في كتبهم ويحتمل أن يكون الطي كناية عن حشر النّاس إليها فيكون ما بعده تفسيراً له. واستواء الربّ كناية عن عروج الملائكة منها إلى تنظيم أمور السّماء أو الأخذ بعد الفراغ منها في خلق السّماء.

٥١٨ - **ف:** بعث معاوية رجلاً متنكراً يسأل أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل سأله عنها ملك الروم فلمّا دخل الكوفة وخاطب أمير المؤمنين عليه السلام أنكره فقرّره فاعترف له بالحال فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قاتل الله ابن آكلة الأكباد ما أضلّه وأضلّ من معه قاتله الله لقد أعتق جارية ما أحسن أن يتزوّجها حكم الله بيني وبين هذه الأمّة قطعوا رحمي وصغّروا عظيم منزلتي وأضاعوا أيّامي، ودعا بالحسن والحسين ومحمّد فدعوا فقال: يا أخا أهل الشّام هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا ابني فاسأل أيّهم أحببت فقال الشّامي: أسأل هذا يعني الحسن ثمّ قال: كم بين الحقّ والباطل؟ وكم بين السّماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وعن هذا المحو الّذي في القمر؟ وعن قوس قزح؟ وعن هذه المجرّة؟ وعن أوّل

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤١.

شيء انتضح على وجه الأرض؟ وعن أوّل شيء اهتزّ عليها؟ وعن العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين؟ وعن العين التي تأوي إليها أرواح المشركين؟ وعن المؤنث؟ وعن عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض فقال الحسن عليه السلام : يا أخا أهل الشّام بين الحقّ والباطل أربع أصابع ما رأيت بعينيك فهو الحقّ وقد تسمع بأذنيك باطلاً كثيراً وبين السّماء والأرض دعوة المظلوم ومدّ البصر فمن قال غير هذا فكذّبه وبين المشرق والمغرب يوم مطرد للشمس تنظر إلى الشمس حين تطلع وتنظر إليها حين تغرب فمن قال غير هذا فكذبه.

وأمّا هذه المجرّة فهي أشراج السّماء منها مهبط الماء المنهمر على قوم نوح.

وأمّا قوس قزح فلا تقل: قزح فإنّ قزح شيطان ولكنّها قوس الله وأمان من الغرق.

وأمّا المحو الّذي في القمر فإنّ ضوء القمر كان مثل ضوء الشّمس فمحاه الله وقال في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

وأمّا أوّل شيء انتضح على وجه الأرض فهو وادي دلس.

وأمّا أوّل شيء اهتزّ على وجه الأرض فهي النخلة.

وأمّا العين الّتي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال لها سلمى.

وأمّا العين الّتي تأوي إليها أرواح الكافرين فهي عين يقال لها برهوت.

وأمّا المؤنث فإنسان لا يدرى امرأة هو أم رجل فينتظر به الحلم فإن كانت امرأة بان ثدياها وإن كان رجلاً خرجت لحيته وإلاّ قيل له يبول على الحائط فإن أصاب الحائط بوله فهو رجل وإن نكص كما ينكص بول البعير فهي امرأة.

وأمّا عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض فأشدّ شيء خلق الله الحجر وأشدّ من الحجر الحديد وأشدّ من الحديد النّار وأشدّ من النّار الماء وأشدّ من الماء السّحاب وأشدّ من السحاب الريح وأشدّ من الريح الملك وأشدّ من الملك ملك الموت وأشدّ من ملك الموت الموت وأشدّ من الموت أمر الله قال الشّامي أشهد أنّك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأن عليّاً عليه السلام وصيّ محمّد ثمّ كتب هذا الجواب ومضى به إلى معاوية وأنفذه معاوية إلى ابن الأصفر فلمّا أتاه قال: أشهد أنّ هذا ليس من عند معاوية ولا هو إلاّ من عند معدن النبوّة[1].

توضيح: قوله عليه السلام: «فمن قال غير هذا» أي برأيه. وقال الجوهريّ: اطرد الشيء تبع بعضه بعضاً وجرى تقول: اطرد الأمر إذا استقام. والأنهار تطرد أي تجري انتهى ولعلّ المراد يوم تامّ أو في أيّ وقت وفصل كان.

وفي القاموس: الشرج محرّكة: العرى ومنفسح الوادي ومجرّة السّماء والشرج: مسيل من الحرّة إلى السهل والجمع شراج. وأشدّ من الريح الملك أي الملك الموكّل بالرياح.

---

(١) تحف العقول، ص ١٦٤.

٢٠ - باب نوادر الاحتجاج على معاوية

٥١٩ - **جا:** الحسين بن محمّد التمّار عن محمّد بن القاسم الأنباريّ عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابيّ عن حبيب بن بشار عن أبيه عن عليّ بن عاصم عن الشّعبي قال: لمّا وفد شدّاد بن أوس على معاوية بن أبي سفيان أكرمه وأحسن قبوله ولم يعتبه على شيء كان منه ووعده ومنّاه ثمّ إنّه حضر في يوم حفل فقال له: يا شدّاد قم في النّاس واذكر عليّاً وعبه لأعرف بذلك نيّتك في مودّتي. فقال له شداد: أعفني من ذلك فإن عليّاً قد لحق بربّه وجوزي بعمله وكفيت ما كان يهمّك منه وانقادت لك الأمور على إيثارك فلا تلتمس من النّاس ما لا يليق بحلمك! فقال له معاوية: لتقومنّ بما أمرتك به وإلاّ فالرّيب فيك واقع.

فقام شدّاد فقال: الحمد لله الّذي افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضا خلقه. على ذاك مضى أوّلهم وعليه يمضي آخرهم.

أيها النّاس إنّ الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر وإنّ الدنيا أجل حاضر يأكل منها البرّ والفاجر وإنّ السامع المطيع لله لا حجّة عليه، وإنّ السامع العاصي لا حجّة له وإنّ الله إذا أراد بالعباد خيراً عمل عليهم صلحاؤهم وقضى بينهم فقهاؤهم وجعل المال في أسخيائهم وإذا أراد بهم شرّاً عمل عليهم سفهاؤهم وقضى بينهم جهلاؤهم وجعل المال عند بخلائهم وإنّ من صلاح الولاة [أن يصلح] قُرَناؤها، ونصحك يا معاوية من أسخطك بالحقّ وغشّك من أرضاك بالباطل وقد نصحتك بما قدّمت وما كنت أغشك بخلافه.

فقال له معاوية: اجلس يا شدّاد فجلس فقال له: إنّي قد أمرت لك بمال يغنيك ألست من السمحاء الّذين جعل الله المال عندهم لصلاح خلقه.

فقال له شدّاد: إنّ كان ما عندك من المال هو لك دون مال المسلمين فعمدت جمعه مخافة تفرّقه فأصبته حلالاً وأنفقته حلالاً فنعم وإن كان ممّا شاركك فيه المسلمون فاحتجبته دونهم فأصبته اقترافاً وأنفقته إسرافاً فإن الله جل اسمه يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[1].

فقال معاوية: أظنّك قد خولطت يا شدّاد أعطوه ما أطلقناه له ليخرج إلى أهله قبل أنّ يغلبه مرضه! فنهض شدّاد وهو يقول: المغلوب على عقله بهواه سواي وارتحل ولم يأخذ من معاوية شيئاً[2].

بيان: في يوم حفل أي يوم اجتمع فيه النّاس عنده يقال: حفل القوم حفلاً: اجتمعوا. والمجلس: كثر أهله.

٥٢٠ - **كش:** نصر بن الصباح عن إسحاق بن محمّد البصريّ عن أمير بن عليّ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين يقول: إنّ المحامدة تأبى أن يعصى الله عزّ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.
(٢) أمالي المفيد، ص ١٣٢ مجلس ١١ ح ٧.

وجلّ. قلت ومن المحامدة قال: محمّد بن جعفر ومحمّد بن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة ومحمّد بن أمير المؤمنين عليه السلام.

أما محمّد بن أبي حذيفة هو ابن عتبة بن ربيعة وهو ابن خال معاوية.

وأخبرني بعض رواة العامّة عن محمّد بن إسحاق قال: حدّثني رجل من أهل الشّام قال: كان محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن أنصاره وأشياعه وكان ابن خال معاوية وكان رجلاً من خيار المسلمين فلمّا توفّي عليّ عليه السلام أخذه معاوية وأراد قتله فحبسه في السّجن دهراً ثم قال معاوية ذات يوم: ألا نرسل إلى هذا السّفيه محمّد بن أبي حذيفة فنبكّته ونخبره بضلاله ونأمره أن يقوم فيسبّ عليّاً قالوا: نعم فبعث إليه معاوية فأخرجه من السّجن فقال له معاوية: يا محمّد بن أبي حذيفة ألم يأن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنُصرتك عليّ بن أبي طالب الكذّاب ألم تعلم أنّ عثمان قتل مظلوماً وأن عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه وأن عليّاً هو الّذي دسّ في قتله ونحن اليوم نطلب بدمه. قال محمّد بن أبي حذيفة إنّك لتعلم أنّي أمسّ القوم بك رحماً وأعرفهم بك؟ قال: أجل. قال: فوالله الّذي لا إلّه غيره ما أعلم أحداً شرك في دم عثمان وألّب النّاس عليه غيرك لمّا استعملك ومن كان مثلك فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى ففعلوا به ما بلغك ووالله ما أحد شرك في قتله بدئاً وأخيراً إلاّ طلحة والزبير وعائشة فهم الّذين شهدوا عليه بالعظيمة وألّبوا عليه النّاس وشركهم في ذلك عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وعمّار والأنصار جميعاً. قال قد كان ذلك أي والله إنّي لأشهد أنّك منذ عرفتك في الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد ما زاد الإسلام فيك قليلاً ولا كثيراً وإنّ علامة ذلك فيك لبيّنة تلومني على حبي عليّاً خرج مع عليّ كلّ صوام قوّام مهاجري وأنصاري كما خرج معك أبناء المنافقين والطّلقاء والعتقاء خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنياك والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت وما خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلّوا أنفسهم سخط الله في طاعتك والله لا أزال أحبّ عليّاً لله ولرسوله وأبغضك في الله وفي رسوله أبداً ما بقيت.

قال معاوية: وإنّي أراك على ضلالك بعد ردّوه [إلى السجن فردّوه] فمات في السجن[1].

بيان: فنبكّته التبكيت: التقريع والتأنيب. وبكته بالحجّة أي غلبه وفي بعض النسخ فننكبه على التفعيل من نكب عن الطريق أي عدل أو على بناء المجرّد أي نجعله منكوباً والنكبة إصابة النوائب وفي بعض النسخ: فنبكيه من الإبكاء وهو تصحيف.

٥٢١ - **كش:** محمّد بن مسعود عن عليّ بن أبي عليّ الخزاعيّ عن محمّد بن عليّ العطّار عن عمرو بن عبد الغفار عن أبي بكر بن أبي عيّاش عن عاصم بن أبي النجود عمّن شهد ذلك أنّ معاوية حين قدم الكوفة ودخل عليه رجال من أصحاب عليّ عليه السلام وكان الحسن عليه السلام قد

(١) رجال الكشي، ص ٦٦ ح ٢٠.

أخذ الأمان لرجال منهم مسمّين بأسمائهم وأسماء آبائهم وكان منهم صعصعة فلمّا دخل عليه صعصعة قال معاوية لصعصعة: أما والله إنّي كنت لأبغض أن تدخل في أماني قال: وأنا والله أبغض أن أسمّيك بهذا الاسم ثم سلّم عليه بالخلافة قال: فقال معاوية: إن كنت صادقاً فاصعد المنبر فالعن علياً قال: فصَعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها النّاس أتيتكم من عند رجل قدم شره وأخر خيره وإنّه أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله فضجّ أهل المسجد بآمين فلمّا رجع إليه فأخبره بما قال قال: لا والله ما عنيت غيري ارجع حتّى تسمّيه باسمه فرجع وصعد المنبر ثمَّ قال: أيّها النّاس إنّ أمير المؤمنين أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فالعنوا من لعن عليّ بن أبي طالب قال: فضجّوا بآمين قال: فلمّا خبر معاوية قال: لا والله ما عنى غيري أخرجوه لا يساكنّي في بلد فأخرجوه[1].

بيان: لعلّه أراد أمير المؤمنين أميرهم حقّاً علياً عليه السلام فإنه عليه السلام كان أمر أصحابه باللعن إذا خافوا القتل أو أراد أميرهم المسلّط عليهم جوراً وقوله: «فالعنوا من لعن» أوهم أن المراد فالعنوا من لعنه الأمير وبيّنه بأنّه عليّ ومقصوده ظاهر.

٥٢٢ - **كش:** روي أنّ الأحنف بن قيس وفد إلى معاوية وجارية بن قدامة والحباب بن يزيد فقال معاوية للأحنف: أنت السّاعي على أمير المؤمنين عثمان وخاذل أمّ المؤمنين عائشة والوارد الماء على عليّ بصفّين؟ فقال: يا أمير المؤمنين من ذلك ما أعرف ومنه ما أُنكر.

أما أمير المؤمنين عثمان فأنتم معشر قريش حضرتموه بالمدينة والدّار منّا عنه نازحة وقد حضره المهاجرون والأنصار بمعزل وكنتم بين خاذل وقاتل.

وأما عائشة فإنّي خذلتها في طول باع ورحب سرب وذلك أنّي لم أجد في كتاب الله إلاّ أن تقرّ في بيتها. وأما ورودي الماء بصفّين فإنّي وردت حين أردت أن تقطع رقابنا عطشاً. فقام معاوية وتفرق الناس.

ثم أمر معاوية للأحنف بخمسين ألف درهم ولأصحابه بصلة فقال للأحنف حين ودّعه: حاجتك؟ قال: تدرّ على النّاس عطيّاتهم وأرزاقهم وإن سألت المدد أتاك منّا رجال سليمة الطاعة شديدة النكاية وقيل: إنّه كان يرى رأي العلوية.

ووصل الحباب بثلاثين ألف درهم وكان يرى رأي الأموية فصار الحباب إلى معاوية وقال: يا أمير المؤمنين تعطي الأحنف ورأيه رأيه خمسين ألف درهم وتعطيني ورأيي رأيي ثلاثين ألف درهم فقال: يا حباب إنّي اشتريت بها دينه فقال الحباب: يا أمير المؤمنين تشتري منّي أيضاً ديني. فأتمها وألحقه بالأحنف فلم يأت على الحباب أسبوع حتّى مات وردّ المال بعينه إلى معاوية فقال الفرزدق يرثي الحباب:

---

(١) رجال الكشي، ص ٦٥ ح ١٩.

أتأكل ميراث الحباب ظلامة ... وميراث حرب جامد لك ذائبه
أبوك وعمّي يا معاوية أورثا ... تراثاً فيختار التراث أقاربه
ولو كان هذا الدّين في جاهليّة ... عرفت من المولى القليل جلائبه
ولو كان هذا الأمر في غير ملككم ... لأدّيته أو غصّ بالماء شاربه
فكم من أبٍ لي يا معاوية لم يكن ... أبوك الّذي من عبد شمس يقاربه[1]

إيضاح: قوله «في طول باع» قال السيّد الداماد رحمه الله : الباع قدر مدّ اليدين وما بينهما من البدن وبسط اليد بالمال وطول الباع كناية عن المقدرة والميسرة والاقتدار والشوكة قاله [الزمخشري] في الفائق والأساس و[الفيروز آبادي وابن الأثير في] القاموس والنهاية وقال في الصحاح : الرحب بالضمّ : السّعة تقول : فلان رحب الصدر. والرّحب بالفتح : الواسع تقول منه بلد رحب. وقال : السرب بالفتح : الإبل. والسرب أيضاً الطريق وفلان آمن في سربه - بالكسر - أي في نفسه. وفلان واسع السرب أي رخيّ البال.

وفي المغرب : السّرب بالفتح في قولهم : خلّى سربه أي طريقه ومنه قوله : إذا كان مخلّى السرب أي موسّعاً عليه غير مضيّق عليه.

يعني أنّي لم أخذلها وهي محتاجة إلى الانتصار بل خذلتها وهي في طول باع ورحب سرب أي في مندوحة وفُسحةٍ عن القتال وتجهيز الجيش بأن تقرّ في بيتها موقّرة مكرّمة رحبة الصدر رخيّة البال واسعة السرب لأنّها لم تكن مأمورة بالمسير إلى البصرة وتجهيز الجيش والمطالبة بدم عثمان ومقاتلة عليّ بن أبي طالب على ذلك ولا مضطرّة إلى شيء من ذلك بل كانت في سعة عن ذلك كلّه ومع ذلك فإنّها كانت في طول باع من الشوكة والقدرة واجتماع الجيوش وكثرة الأعوان والأنصار والعدد والعُدَد.

وأيضاً خذلتها لأني لم أجد في كتاب الله تعالى إلاّ أن تقرّ في بيتها إذ قال عز من قائل : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أقول : ويحتمل أن يكون في طول باع ورحب سرب حالاً عن الفاعل أي لم يكن على حرج في ذلك كما يومئ إليه آخر كلامه رحمه الله.

وقوله «جامد لك ذائبه» لعلّه كناية عن أنّه محفوظ لك لم يبطل منه شيء ممّا كان في معرض البُطلان والضياع ولم يتعدّ إلى الغير.

والجلائب : جمع جليبة وهو ما جلب وعبد جليب : مجلوب وامرأة جليب من جلبى وجلائب أي عرفت من المولى القليل الأموال والعبيد أنا أو أنت.

قوله «أو غصّ بالماء شاربه» غصّ بفتح العين المعجمة وإهمال الصاد المشدّدة و«شاربه» بالرّفع على الفاعليّة. والباء [في قوله :] «بالماء» للتعدية.

---

(١) رجال الكشي، ص ٨٤ ح ٢٨.

[وقال ابن الأثير] في النهاية: يقال: غصصت بالماء أغصّ غصصاً فأنا غاصّ وغصان إذا شرقت به أو وقف في حلقك فلم تكد تسيغه والمعنى لو كان هذا الأمر الّذي وقع في غير سلطنتكم لأذّيت فاعل هذا الفعل ولم يكن يقدر أن يبلغه لضعفه.

٥٢٣ - **يل:** قال جابر بن عبد الله الأنصاريّ رضي الله عنه: كنت أنا ومعاوية بن أبي سفيان بالشام فبينا نحن ذات يوم إذ نظرنا إلى شيخ وهو مقبل من صدر البريّة من ناحية العراق فقال معاوية: عرّجوا بنا إلى هذا الشيخ لنسأله من أين أقبل وإلى أين يريد وكان مع معاوية أبو الأعور السلمي وولدا معاوية خالد ويزيد وعمرو بن العاص قال: فعرجنا إليه فقال له معاوية: من أين أقبلت يا شيخ وإلى أين تريد؟ فلم يُجبه الشيخ فقال [له] عمرو بن العاص: لمَ لا تُجيب أمير المؤمنين! فقال الشّيخ: إنّ الله جعل التّحيّة غير هذه! فقال معاوية: صدقت يا شيخ [أصبت] وأخطأنا وأحسنت وأسأنا السّلام عليك يا شيخ. فقال [الشيخ] وعليك السّلام.

فقال معاوية: ما اسمك يا شيخ؟ فقال: إسمي جبل[1] وكان ذلك الشيخ طاعناً في السنّ بيده شيء من الحديد ووسطه مشدود بشريط من ليف المقل وفي رجليه نعلان من ليف المقل وعليه كساء قد سقط لحامه وبقي سدانه وقد بانت شراسيف خدّيه وقد غطّت حواجبه على عينيه.

فقال معاوية: يا شيخ من أين أقبلت وإلى أين تريد؟ قال: أتيت من العراق أريد بيت المقدس قال معاوية: كيف تركت العراق؟ قال: على الخير والبركة والنفاق. قال: لعلّك أتيت من الكوفة من الغريّ؟ قال الشيخ: وما الغري؟ قال معاوية: الّذي فيه أبو تراب. قال الشيخ: من تعني بذلك ومن أبو تراب؟ قال ابن أبي طالب. قال له الشيخ: أرغم الله أنفك ورضّ الله فاك ولعَن الله أمّك وأباك ولم لا تقول: الإمام العادل والغيث الهاطل يعسوب الدين وقاتل المشركين والقاسطين والمارقين وسيف الله المسلول ابن عمّ الرّسول وزوج البتول تاج الفقهاء وكنز الفقراء وخامس أهل العباء والليث الغالب أبو الحسَنَين عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام.

فعندها قال معاوية: يا شيخ إنّي أرى لحمك ودمك قد خالط لحم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ودمه حتّى لو مات عليّ ما أنت فاعل؟ قال: لا أتّهم في فقده ربّي وأجلّل في بعده حزني وأعلم أنّ الله لا يميت سيّدي وإمامي حتّى يجعل من ولده حجّة قائمة إلى يوم القيامة. فقال: يا شيخ هل تركت من بعدك أمراً تفتخر به؟ قال: تركت الفرس الأشقر والحجر والمدر والمنهاج لمن أراد المعراج قال عمرو بن العاص: لعلّه لا يعرفك يا أمير المؤمنين.

---

(١) ولعله جبل بن جوال الذبياني الثعلبي الذي عدوه من مجاهيل الصحابة وهذه تدل على حسن حاله وعقيدته. [النمازي].

فسأله معاوية فقال: يا شيخ أتعرفني قال الشيخ: ومن أنت؟ قال: أنا معاوية بن أبي سفيان أنا الشجرة الزكيّة والفروع العليّة سيّد بني أميّة. فقال له الشيخ: بل أنت اللعين على لسان نبيّه وفي كتابه المبين إن الله قال: «والشجرة الملعونة في القرآن» والشجرة الخبيثة والعروق المجتثّة الخسيسة الّذي ظلم نفسه وربه وقال فيه نبيّه الخلافة محرّمة على ابن أبي سفيان الزنيم ابن الزنيم ابن آكلة الأكباد الفاشي ظلمه في العباد.

فعندها اغتاظ معاوية وحنق عليه فردّ يده إلى قائم سيفه وهمّ بقتل الشيخ ثمّ قال: لولا أنّ العفو حسن لأخذت رأسك ثمّ قال: أرأيت لو كنت فاعلاً ذلك قال الشيخ إذاً والله أفوز بالسعادة وتفوز أنت بالشّقاوة وقد قتل من هو أشرّ منك من هو خير منّي وعثمان شرّ منك.

قال معاوية: يا شيخ هل كنت حاضراً يوم الدار قال: وما يوم الدار؟ قال معاوية: يوم قتل عليّ عثمان فقال الشيخ: تالله ما قتله ولو فعل ذلك لعلاه بأسياف حداد وسواعد شداد وكان يكون في ذلك مطيعاً لله ولرسوله. قال معاوية: يا شيخ هل حضرت يوم صفّين قال: وما غبت عنها قال: كيف كنت فيها؟ قال الشيخ: أيتمت منك أطفالاً وأرملت منك إخواناً وكنت كالليث أضرب بالسّيف تارة وبالرمح أخرى.

قال معاوية هل ضربتني بشيء قط؟ قال الشيخ: ضربتك بثلاثة وسبعين سهماً فأنا صاحب السّهمين اللّذين وقعا في بردتك وصاحب السّهمين اللّذين وقعا في مسجدك وصاحب السّهمين اللّذين وقعا في عضدك ولو كشفت الآن لأريتك مكانهما.

فقال معاوية: يا شيخ هل حضرت يوم الجمل؟ قال: وما يوم الجمل؟ قال معاوية: يوم قاتلت عائشة عليّاً. قال: وما غبت عنها. قال معاوية: يا شيخ الحقّ [كان] مع عليّ أم مع عائشة قال الشيخ: بل مع عليّ. قال معاوية: ألم يقل الله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ وقال النبيّ ﷺ [لها] أمّ المؤمنين! قال الشّيخ: ألم يقل الله تعالى: يا نساء النّبيّ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] وقال النبيّ ﷺ: أنت يا عليّ خليفتي على نسواني وأهلي وطلاقهنّ بيدك أفترى في ذلك معها حقّ حتّى سفكت دماء المسلمين وأذهبت أموالهم فلعنة الله على القوم الظالمين وهما كامرأة نوح في النّار ولبئس مثوى الكافرين.

قال معاوية يا شيخ ما جعلت لنا شيئاً نحتجّ به عليك فمتى ظلمت الأمّة وطفيت عنهم قناديل الرّحمة قال لمّا صرت أميرها وعمرو بن العاص وزيرها.

قال فاستلقى معاوية على قفاه من الضحك وهو على ظهر فرسه فقال: يا شيخ هل من شيء نقطع به لسانك؟ قال: وماذا؟ قال عشرون ناقة حمراء محملة عسلاً وبراً وسمناً وعشرة آلاف درهم تنفقها على عيالك وتستعين بها على زمانك قال الشيخ: لست أقبلها. قال: ولم ذلك.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

قال الشيخ: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: درهم حلال خير من ألف درهم حرام. قال معاوية: لأن أقمت في دمشق لأضربنّ عنقك قال: ما أنا مقيم معك فيها. قال معاوية: ولم ذلك؟ قال الشيخ: لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[١]. وأنت أوّل ظالم وآخر ظالم. ثمّ توجّه الشيخ إلى بيت المقدّس[٢].

توضيح: قال الجوهريّ: التعريج على الشيء الإقامة عليه يقال: عرج فلان على المنزل إذا حبس مطيّته عليه وأقام وانعرج الشيء انعطف.

٥٢٤ - **يل، فض:** قيل: دخل ضرار صاحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على معاوية بن أبي سفيان بعد وفاته عليه السلام فقال له معاوية: يا ضرار صف لي عليّ بن أبي طالب وأخلاقه المرضية قال ضرار: كان والله بعيد المدى شديد القوى ينفجر الإيمان من جوانبه وتنطق الحكمة من لسانه يقول حقّاً ويحكم فصلاً فأُقسم لقد شاهدته ليلة في محرابه وقد أرخى اللّيل سدوله وهو قائم يصلّي قابضاً على لمّته يتململ تململ السليم ويئنّ أنين الحزين ويقول: يا دنيا أبي تعرّضت وإليّ تشوّفت غرّي غيري لا حان حينك أجلك قصير وعيشك حقير وقليلك حساب وكثيرك عقاب فقد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي إليك آه من بعد الطريق وقلّة الزاد. قال معاوية كان والله أمير المؤمنين كذلك وكيف حزنك عليه؟ قال: حزن امرأة ذبح ولدها في حجرها قال فلمّا سمع ذلك معاوية بكا وبكا الحاضرون[٣].

بيان: المدى الغاية أي كان ذا همّة عالية يتوجه إلى تحصيل معالي الأمور وما يعسر تحصيله على أكثر الخلق.

ويقال: نطف الماء ينطُف وينطِف إذا قطر قليلاً قليلاً. والسّدُل جمع السّديل وهو ما يسبل ويرخى على الهودج ويقال: سلمته الحيّة أي لدغته والسّليم اللديغ. وقيل إنّما سمّي سليماً تفؤّلاً بالسّلامة.

ويقال: هو يتململ على فراشه إذا لم يستقرّ من الوجع والاستفهام عن تعرّضها وتشوّفها استفهام إنكار لذلك منها واستحقار لها واستبعاد لموافقته إيّاها على ما تريد وتشوّف إلى الخير: تطلّع. ومن السطح: تطاول ونظر وأشرف. وفي بعض النسخ بالقاف: [تشوّقت]. «غرّي غيري» أي خداعك وغرورك لا يدخل عليّ وليس المراد الأمر بغرور غيره.

وقال الجوهريّ: حان له أن يفعل كذا يحين حيناً أي آن، وحان حينه أي قرب وقته انتهى. وهذا دعاء عليها أي: لاقرب وقت انخداعي بك وغرورك لي.

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٣.
(٢) الفضائل لابن شاذان، ص ٧٧.
(٣) الفضائل لابن شاذان ص ٩٦.

٥٢٥ - **كشف:** حضر جماعة عند معاوية وعنده عديّ بن حاتم وكان فيهم عبد الله بن الزبير فقالوا: يا أمير المؤمنين ذرنا نكلّم عديّاً فقد زعموا أنّ عنده جواباً فقال: إنّي أُحذركموه فقالوا: لا عليك دعنا وإيّاه فقال له ابن الزّبير: يا أبا طريف متى فقئت عينك؟ قال: يوم فرّ أبوك وقتل شرّ قتلة وضربك الأشتر على استك فوقعت هارباً من الزحف وأنشد:

أما وأبي يا ابن الزّبير لو أنّني لقيتك يوم الزحف ما رمت لي سخطا
وكان أبي في طيىء وأبو أبي صحيحين لم تنزع عروقهما القبطا
ولو رمت شتمي عند عدل قضاؤه لرمت به يا ابن الزبير مدى شحطا

فقال معاوية: قد كنت حذّرتكموه فأبيتم(١).

بيان: قال الجوهريّ: الشحط البعد يقال: شحط المزار [أي بعد] وتشحّط المقتول بدمه أي اضطرب فيه.

٥٢٦ - **كشف الحقّ:** للعلامة رحمه الله: روى الجمهور أنّ أروى بنت الحرث بن عبد المطّلب دخلت على معاوية في خلافته بالشام وهي يومئذ عجوز كبيرة فلمّا رآها قال: مرحباً بك يا خالة. قالت: كيف أنت يا ابن أختي لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمّك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقّك بلا بلاء كان منك ولا من أبيك بعد أن كفرتم بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله فأتعس الله منكم الجدود حتّى ردّ الله الحقّ إلى أهله وكانت كلمة الله هي العليا ونبيّنا هو المنصور على كلّ من ناوأه ولو كره المشركون فكنّا أهل البيت أعظم النّاس في هذا الدّين بلاءً وعن أهله غناءً وقدراً حتّى قبض الله نبيّه مغفوراً ذنبه مرفوعة منزلته شريفاً عند الله مرضيّاً فوثب علينا بعده تيمٌ وعدي وبنو أُميّة فأنت تهتدي بهداهم وتقصد لقصدهم فصرنا بحمدالله فيكم أهل البيت بمنزلة قوم موسى في آل فرعون يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وصار سيّدنا منكم بعد نبيّنا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾(٢) فلم يجمع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله شمل ولم يسهل وعث وغايتنا الجنّة وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: أيّتها العجوزة الضالّة أقصري من قولك وغضّي من طرفك. قالت: ومن أنت؟ قال: أنا عمرو بن العاص قالت: يا ابن النابغة اربع على ظلعك واغض لسان نفسك ما أنت من قريش في لباب حسبها ولا صحيح نسبها ولقد ادّعاك خمسة من قريش كلّهم يزعم أنّك ابنه ولطالما رأيت أمّك أيّام منى بمكّة تكسب الخطيئة وتتزن الدّراهم من كلّ عبد عاهر هايج وتسافح عبيدنا فأنت بهم أليق وهم بك أشبه منك تقرع بينهم(٣).

---

(١) كشف الغمة ج ١ ص ٢٤٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.
(٣) نهج الحق وكشف الصدق، ص ٣١٣.

٥٢٧ - **كشف:** من كتاب الموفقيات للزبير بن بكّار الزبيري حدث عن رجاله قال: دخل محفن بن أبي محفن الضبي على معاوية فقال: يا معاوية جئتك من عند ألأم العرب وأعيا العرب وأجبن العرب وأبخل العرب! قال: ومن هو يا أخا بني تميم؟ قال: عليّ بن أبي طالب!! قال معاوية: اسمعوا يا أهل الشّام ما يقول أخاكم العراقي فابتدروه أيّهم ينزله عليه ويكرمه.

فلما تصدّع النّاس عنه قال له: كيف قلت؟ فأعاد عليه فقال له ويحك يا جاهل كيف يكون ألأم العرب وأبوه أبو طالب وجده عبد المطّلب وامرأته فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ وأنى يكون أبخل العرب فوالله لو كان له بيتان بيت تبن وبيت تبر لأنفذ تبره قبل تبنه.

وأنّى يكون أجبن العرب؟ فوالله ما التقت فئتان قطّ إلاّ كان فارسهم غير مدافع.

وأنى يكون أعيى العرب فوالله ما سنّ البلاغة لقريش غيره ولما قامت أمّ محفن عنه الأم وأبخل وأجبن وأعيا لبظر أمّه فوالله لولا ما تعلم لضربت الّذي فيه عيناك فإياك عليك لعنة الله والعود إلى مثل هذا.

قال: والله أنت أظلم منّي فعلى أي شيء قاتلته وهذا محلّه؟! قال: على خاتمي هذا حتّى يجوز به أمري قال: فحسبك ذلك عوضاً من سخط الله وأليم عذابه. قال: لا يا ابن محفن ولكنّي أعرف من الله ما جهلت حيث يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

٥٢٨ - وحدّث الزبير عن رجاله قال: قدم ابن عبّاس على معاوية وكان يلبس أدنى ثيابه ويخفض من شأنه لمعرفته أنّ معاوية كان يكره إظهاره لشأنه وجاء الخبر إلى معاوية بموت الحسن بن عليّ عليه السلام فسجد شكراً لله تعالى وبان السرور في وجهه في حديث طويل ذكره الزبير ذكرت منه موضع الحاجة إليه وأذن للناس وأذن لابن عبّاس بعدهم فدخل فاستدناه وكان قد عرف بسجدته فقال له: أتدري ما حدث بأهلك؟ قال: لا قال: فإن أبا محمّد رحمه الله توفي فعظّم الله أجرك فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون عند الله نحتسب المصيبة برسول الله ﷺ وعند الله نحتسب مصيبتنا بالحسن رحمه الله إنّه قد بلغتني سجدتك فلا أظنّ ذلك إلاّ لوفاته والله لا يسدّ جسده حفرتك ولا يزيد انقضاء أجله في عمرك ولطال ما رزينا بأعظم من الحسن ثمّ جبر الله. قال معاوية كم كان أتى له؟ قال: شأنه أعظم من أن يجهل مولده قال: أحسبه ترك صبية صغاراً؟ قال: كلّنا كان صغيراً فكبر. ثمّ قال: أصبحت سيّد أهلك قال: أمّا ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين بن عليّ فلا. ثمّ قام وعينه تدمع فقال معاوية: لله درّه لا والله ما هيّجناه قط إلاّ وجدناه سيّداً.

ودخل [ابن عبّاس] على معاوية بعد انقضاء العزاء فقال: يا أبا العبّاس أما تدري ما حدث في أهلك؟ قال: لا. قال: هلك أسامة بن زيد فعظم الله أجرك قال: إنّا لله وإنا إليه راجعون رحم الله أسامة وخرج.

---

(١) كشف الغمة، ج ٢ ص ٤٧.

وأتاه بعد أيّام وقد عزم على محاقفته [محافته «خ ل»] فصلّى في الجامع يوم الجمعة واجتمع النّاس عليه يسألونه عن الحلال والحرام والفقه والتفسير وأحوال الإسلام والجاهلية وافتقد معاوية النّاس فقيل: إنّهم مشغولون بابن عبّاس ولو شاء أن يضربوا معه بمائة ألف سيف قبل اللّيل لفعل! فقال: نحن أظلم منه حبسناه عن أهله ومنعناه حاجته ونعينا إليه أحبّته انطلقوا فادعوه فأتاه الحاجب فدعاه فقال: إنّا بنو عبد مناف إذا حضرت الصّلاة لم نقم حتّى نصلّي أصلي إن شاء الله وآتيه فرجع.

وصلّى [ابن عبّاس] العصر وأتاه فقال: حاجتك فما سأله حاجة إلاّ قضاها وقال: أقسمت عليك لمّا دخلت بيت المال فأخذت حاجتك - وإنّما أراد أن يعرف أهل الشّام ميل ابن عبّاس إلى الدنيا فعرف ما يريده - فقال: إنّ ذلك ليس لي ولا لك فإن أذنت أن أُعطي كلّ ذي حقّ حقه فعلت؟! قال: أقسمت عليك إلاّ دخلت فأخذت حاجتك. فدخل فأخذ برنس خزّ أحمر يقال: إنّه كان لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمَّ خرج فقال: يا أمير المؤمنين بقيت لي حاجة قال: ما هي؟ قال: عليّ بن أبي طالب قد عرفت فضله وسابقته وقرابته وقد كفاكه الموت أُحبّ أن لا يشتم على منابركم قال: هيهات يابن عبّاس هذا أمر دين أليس أليس وفعل وفعل فعدّد ما بينه وبين عليّ عليه السلام فقال ابن عبّاس: أولى لك يا معاوية والموعد القيامة ولكلّ نبأ مستقر وسوف تعلمون. وتوجه إلى المدينة[1].

٥٢٩ - وحدث الزبير عن رجاله عن ابن عبّاس أنّ معاوية أقبل عليه وعلى بني هاشم فقال: إنكم تريدون أن تستحقوا الخلافة كما استحققتم النبوّة ولا يجتمعان لأحد حجّتكم في الخلافة شبهة على النّاس تقولون: نحن أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله فما بال خلافة النبيّ في غيرنا وهذه شبهة لأنّها تشبه الحقّ فأمّا الخلافة فتتقلب في أحياء قريش برضى العامّة وشورى الخاصّة فلم يقل النّاس ليت بني هاشم ولّونا ولو أنّ بني هاشم ولّونا لكان خيراً لنا في دنيانا وآخرتنا فلا هم حيث اجتمعوا على غيركم تمنوكم ولو زهدتم فيها أمس لم تقاتلوا عليها اليوم. وأما ما زعمتم أنّ لكم ملكاً هاشمياً ومهدياً قائماً فالمهدي عيسى بن مريم عليه السلام وهذا الأمر في أيدينا حتّى نسلّمه إليه ولعمري لئن ملكتموها ما رايحة عاد وصاعقة ثمود بأهلك للقوم منكم ثمَّ سكت.

فقال له عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه أمّا قولك: إنّا نستحق الخلافة بالنبوّة فإذا لم نستحقها بها فبم نستحقّها. وأما قولك إنّ الخلافة والنبوة لا تجتمعان لأحد فأين قول الله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[2] فالكتاب النبوّة والحكمة السنّة والملك الخلافة ونحن آل إبراهيم أمر الله فينا وفيهم واحد والسنّة لنا ولهم جارية.

وأما قولك إنّ حجّتنا مشتبهة فوالله لهي أضوء من الشمس وأنور من نور القمر وإنك لتعلم

(١) كشف الغمة، ج ٢ ص ٤٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.

ذلك ولكن ثنى عطفك وصعرك قتلنا أخاك وجدّك وأخاه وخالك فلا تبك على أعظم حائلة وأرواح أهل النّار ولا تغضبنّ لدماء أحلها الشرك ووضعها.

فأمّا ترك النّاس أن يجتمعوا علينا فما حرموا منّا أعظم ممّا حرمنا منهم وأمّا قولك: إنّا زعمنا أنّ لنا ملكاً مهدياً فالزعم في كتاب الله شرك قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ وكلّ يشهد أنّ لنا ملكاً ولو لم يبق من الدّنيا إلاّ يوم واحد لبعث الله لأمره منّا من يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً لا تملكون يوماً واحداً إلاّ ملكنا يومين، ولا شهراً إلاّ ملكنا شهرين ولا حولاً إلاّ ملكنا حولين.

وأما قولك إنّ المهديّ عيسى بن مريم فإنّما ينزل عيسى على الدجّال فإذا رآه يذوب كما تذوب الشحمة والإمام منّا رجل يصلّي خلفه عيسى بن مريم ولو شئت سمّيته.

وأما ريح عاد وصاعقة ثمود فإنّهما كانا عذاباً وملكنا والحمد لله رحمة[1].

٥٣٠ - وحدث الزبير قال: حجّ معاوية فجلس إلى ابن عبّاس فأعرض عنه ابن عبّاس فقال: لم تعرض عنّي فوالله إنّك لتعلم أنّي أحقّ بالخلافة من ابن عمّك! قال ابن عبّاس: لم ذاك لأنّه كان مسلماً وكنت كافراً؟ قال: لا ولكن ابن عمّي عثمان قتل مظلوماً! قال ابن عبّاس: وعمر قتل مظلوماً. قال: إنّ عمر قتله كافر وإنّ عثمان قتله المسلمون! قال ابن عبّاس: ذاك أدحض لحجّتك فأسكت معاوية[2].

- ومن كتاب معالم العترة للجنابذي عن ذكوان مولى معاوية قال: قال معاوية: لا أعلمنّ أحداً سمّى هذين الغلامين ابني رسول الله إلاّ فعلت وفعلت ولكن قولوا: ابني عليّ.

قال ذكوان: فلمّا كان بعد ذلك أمرني أن أكتب بنيه في الشرف قال: فكتبت بنيه وبني بنيه وتركت بني بناته ثمَّ أتيته بالكتاب فنظر فيه فقال ويحك لقد أغفلت كبر بنيّ فقلت من؟ قال: أما بنو فلانة - لابنته - بنيّ أما بنو فلانة بنيّ - لابنته؟ - قال: قلت: الله أيكون بنو بناتك بنيك ولايكون بنو فاطمة بني رسول الله ﷺ! قال: ما لك قاتلك الله لا يسمعنّ هذا أحد منك[3].

توضيح: قال [ابن الأثير] في النهاية: البظر - بفتح الباء - الهنة الّتي تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان. وإنّما ذكر هاهنا للاستخفاف به وبنسبه واللاّم للتعليل. «وما قامت عنه» أنّه كناية عنه نفسه. «أليس أليس» أي عدّد ما صدر عنه عليه السلام بالنسبة إليه فقال أليس فعل كذا وأليس فعل كذا وكذا قوله: «وفعل وفعل». وقال الجوهريّ: أولى لك تهديد ووعيد. وقال الأصمعيّ أي قاربه ما يهلكه أي نزل به. وقال: عطفا الرجل: جانباه. وثنى فلان عنّي عطفه إذا أعرض عنك وقال: الصعر: الميل في الخدّ خاصّة وقد صعّر خدّه وصاعر أي أماله من الكبر ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

---

(١) - (٣) كشف الغمة، ج ٢ ص ١٧٦.

[قوله:] «على أعظم حائلة» أي متغيرة بالية «ووضعها» أي جعلها وضيعةً غير محترمة. وفي الصحاح: كبر الشيء معظمه، وقولهم: هو كبر قومه بالضمّ أي هو أقعدهم في النسب.

٥٣١ - **بشا:** محمّد بن أحمد بن شهريار، عن محمّد بن الحسن الخزاعي عن عليّ بن محمّد بن بنان، عن الحسن بن محمّد السّكونيّ عن أحمد بن محمّد بن مسروق عن محمّد بن دينار الضبّي عن عبد الله بن ضحاك عن هشام بن محمّد عن أبيه قال: اجتمع الطرماح وهشام المراديّ ومحمّد بن عبد الله الحميريّ عند معاوية بن أبي سفيان فأخرج بدرة فوضعها بين يديه ثمّ قال: يا معشر شعراء العرب قولوا قولكم في عليّ بن أبي طالب ولا تقولوا إلاّ الحقّ وأنا نفيّ من صخر بن حرب إن أعطيت هذه البدرة إلاّ من قال الحقّ في عليّ.

فقام الطرماح فتكلّم وقال في عليّ ووقع فيه فقال معاوية: اجلس فقد عرف الله نيّتك ورأى مكانك ثمّ قام هشام المراديّ فقال أيضاً ووقع فيه فقال معاوية: اجلس مع صاحبك فقد عرف الله مكانكما فقال عمرو بن العاص لمحمّد بن عبد الله الحميريّ وكان خاصّاً به: تكلّم ولا تقل إلاّ الحقّ ثمّ قال: يا معاوية قد آليت ألا تعطي هذه البدرة إلاّ قائل الحقّ في عليّ؟ قال: نعم أنا نفيّ من صخر بن حرب إن أعطيتها منهم إلاّ من قال الحقّ في عليّ فقام محمّد بن عبد الله فتكلّم ثم قال:

بحقّ محمّد قولوا بحقّ ... فإنّ الإفك من شيم اللئام
أبعد محمّد بأبي وأمّي ... رسول الله ذي الشرف التمام
أليس عليّ أفضل خلق ربّي ... وأشرف عند تحصيل الأنام
ولايته هي الإيمان حقّاً ... فذرني من أباطيل الكلام
وطاعة ربّنا فيها وفيها ... شفاءٌ للقلوب من السقام
عليّ إمامنا بأبي وأمّي ... أبو الحسن المطهّر من حرام
إمام هدى أتاه الله علماً ... به عرف الحلال من الحرام
ولو أنّي قتلت النفس حبّاً ... له ما كان فيها من أثام
يحلّ النّار قوم يبغضوه ... وإن صاموا وصلّوا ألف عام
فلا والله ما تزكو صلاة ... بغير ولاية العدل الإمام
أمير المؤمنين بك اعتمادي ... وبالغرر الميامين اعتصامي
برئت من الّذي عادى عليّاً ... وحاربه من أولاد الحرام
تناسوا نصبه في يوم خمّ ... من الباري ومن خير الأنام
برغم الأنف من يشنأ كلامي عليّ ... فضله كالبحر طام
وأبرا من أناس أخّروه ... وكان هو المقدّم بالمقام
عليّ هزم الأبطال لمّا ... رأوا في كفّه مساح الحسام
على آل النبيّ صلاة ربّي ... صلاة بالكمال وبالتمام

فقال معاوية: أنت أصدقهم قولاً فخذ هذه البدرة[١].

بيان: قال في القاموس: ابن نفيّ كغنيّ نفاه أبوه. وقال: طمى الماء: علا. و[طمى] البحر: امتلأ.

٥٣٢ -٥٣٣ - **يف:** ذكر ابن عبد ربّه في كتاب العقد في قصّة دارمية الحجونية أنّ معاوية قال لها: أتدرين لم بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلاّ الله. قال: بعثت إليك لأسألك على م أحببت عليّاً وأبغضتني وواليته وعاديتني؟ قالت له: أتعفيني؟ قال: لا أعفيك. قالت: أمّا إذا أبيت فإنّي أحببت عليّاً على عدله في الرعيّة وقسمته بالسويّة وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر وطلبك ما ليس لك بحقّ. وواليت عليّاً على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاية وعلى حبّه للمساكين وإعظامه لأهل الدّين وعاديتك على سفك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى[٢].

ومن الكتاب المذكور في وفود أروى بنت الحارث بن عبد المطّلب على معاوية أنّه قال لها: كيف كنت بعدنا؟ فقالت: بخير يا أمير المؤمنين لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمّك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقّك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة لك في الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ فأتعس الله منكم الجدود وأصعر منكم الخدود وردّ الحقّ إلى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هي العليا ونبيّنا هو المنصور فوليتم علينا بعد فأصبحتم تحتجّون على سائر النّاس بقرابتكم من رسول الله ﷺ ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا منكم وكنّا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون وكان عليّ بعد نبيّنا محمّد ﷺ بمنزلة هارون من موسى فغايتنا الجنّة وغايتكم النار[٣].

بيان: أتعسه: أهلكه. والجدود: جمع الجدّ وهو البخت.

٥٣٤ - **أقول:** وجدت في كتاب سليم بن قيس الهلاليّ عن أبان بن أبي عيّاش عنه أنّه قال: دعا معاوية قراء أهل الشّام وقضاتهم فأعطاهم الأموال وبثّهم في نواحي الشّام ومدائنها يروون الروايات الكاذبة ويضعون لهم الأصول الباطلة ويخبرونهم بأن عليّاً قتل عثمان ويتبرّأ من أبي بكر وعمر وأن معاوية يطلب بدم عثمان ومعه أبان بن عثمان وولد عثمان حتّى استمالوا أهل الشّام واجتمعت كلمتهم ولم يزل معاوية على ذلك عشرين سنة ذلك عمله في جميع أعماله حتّى قدم عليه طغاة أهل الشّام وأعوان الباطل المنتزلون له بالطعام والشراب يعطيهم الأموال ويقطعهم القطائع حتّى نشأ عليه الصغير وهرم عليه الكبير وهاجر عليه الأعرابيّ وترك أهل الشّام لعن الشيطان وقالوا لعن عليّ وقاتل عثمان فاستقرّ على ذلك جَهَلة

---

(١) بشارة المصطفى، ص ١٢.
(٢) الطرائف لابن طاووس، ج ١ ص ٤٣.
(٣) الطرائف لابن طاووس، ج ١ ص ٤٤.

الأمّة وأتباع أئمّة الضلالة والدّعاة إلى النّار فحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾(١) ولكن الله يفعل ما يشاء.

أبان عن سليم قال: كان لزياد بن سميّة كاتب يتشيّع وكان لي صديقاً فأقرأني كتاباً كتبه معاوية إلى زياد جواب كتابه إليه: أمّا بعد فإنّك كتبت إليّ تسألني عن العرب من أكرم منهم ومن أهين ومن أقرب ومن أبعد ومن آمن منهم ومن أحذر.

وفي رواية أُخرى: ومن أؤمن منهم ومن أُخيف وأنا يا أخي أعلم النّاس بالعرب انظر إلى هذا الحيّ من اليمن فأكرمهم في العلانية وأهنهم في السرّ فإنّي كذلك أصنع بهم أُكرمهم في مجالسهم وأهينهم في الخلاء إنّهم أسوأ النّاس عندي حالاً ويكون فضلك وعطاؤك لغيرهم سرّاً منهم.

وانظر إلى ربيعة بن نزار فأكرم أمراءهم وأهن عامّتهم فإن عامّتهم تبع لأشرافهم وساداتهم وانظر إلى مضر فاضرب بعضها ببعض فإن فيهم غلظة وكبراً ونخوة شديدة فإنّك إذا فعلت ذلك وضربت بعضهم ببعض كفاك بعضهم بعضاً ولا ترض بالقول منهم دون الفعل ولا بالظنّ دون اليقين.

وانظر إلى الموالي ومن أسلم من الأعاجم فخذهم بسنّة عمر بن الخطّاب فإن في ذلك خزيهم وذلّهم أن ينكح العرب فيهم ولا ينكحونهم وأن يرثوهم العرب ولا يرثوا العرب وأن تقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم وأن يقدّموا في المغازي يصلحون الطريق ويقطعون الشّجر ولا يؤم أحد منهم العرب في صلاة ولا يتقدّم أحد منهم في الصفّ الأوّل إذا حضرت العرب إلاّ أن يتم الصفّ ولا تول أحداً منهم ثغراً من ثغور المسلمين ولا مصراً من أمصارهم ولا يلي أحد منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم فإن هذه سنّة عمر فيهم وسيرته جزاه عن أمّة محمّد وعن بني أُميّة خاصة أفضل الجزاء.

فلعمري لولا ما صنع هو وصاحبه وقوّتهما وصلابتهما في دين الله لكنّا وجميع هذه الأُمة لبني هاشم الموالي ولتوارثوا الخلافة واحداً بعد واحد كما يتوارث أهل كسرى وقيصر ولكن الله عزّوجلّ أخرجها من بني هاشم وصيّرها إلى بني تيم بن مرّة ثمّ خرجت إلى عديّ بن كعب وليس في قريش حيّان أذلّ منهما ولا أنذل فأطمعنا فيها وكنّا أحقّ بها منهما ومن عقبهما لأنّ فينا الثروة والعز ونحن أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الرحم منهما.

ثم نالها صاحبُنا عثمان بشورى ورضاً من العامّة بعد شورى ثلاثة أيّام من الستّة ونالها من نالها قبله بغير شورى. فلما قتل صاحبنا عثمان مظلوماً نلناها به لأنّ من قتل مظلوماً فقد جعل الله لوليه سلطاناً.

ولعمري يا أخي لو كان عمر سنّ دية العبد نصف دية المولى لكان أقرب إلى التقوى ولو

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٥.

وجدت السبيل إلى ذلك ورجوت أن تقبله العامة لفعلت ولكنّي قريب عهد بحرب فأتخوّف فرقة النّاس واختلافهم عليّ وبحسبك ما سنّه عمر فيهم وهو خزي لهم وذلّ.

وفي رواية أخرى: يا أخي لو أنّ عمر سنّ دية الموالي على النصف من دية العربي فذلك أقرب للتقوى لما كان للعرب فضل على العجم فإذا جاءك كتابي هذا فأذلّ العجم وأهنهم وأقصهم ولا تستعن بأحد منهم ولا تقض لهم حاجة فوالله إنّك لابن أبي سفيان خرجت من صلبه وقد كنت حدّثتني وأنت يا أخي عندي صدوق أنّك قرأت كتاب عمر إلى الأشعريّ بالبصرة وكنت يومئذ كاتبه وهو عامل بالبصرة وأنت أنذل النّاس عنده وأنت يومئذ ذليل النفس تحسب أنّك مولى لثقيف ولو كنت تعلم يومئذ يقيناً كيقينك اليوم أنّك ابن أبي سفيان لأعظمت نفسك وأنفت أن تكون كاتباً لدعي الأشعريين وأنت تعلم ونحن [نعلم] يقيناً أنّ أبا سفيان كان يحذو حذو أميّة بن عبد شمس.

وحدّثني ابن أبي المعيط أنّك أخبرته أنّك قرأت كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعريّ وبعث إليه بحبل طوله خمسة أشبار وقال له: اعرض من قبلك من أهل البصرة فمن وجدت من الموالي ومن أسلم من الأعاجم قد بلغ خمسة أشبار فقدّمه فاضرب عنقه فشاورك أبو موسى في ذلك فنهيته وأمرته أن يراجع فراجعه وذهبت أنت بالكتاب إلى عمر وإنما صنعت ما صنعت تعصّباً للموالي وأنت يومئذ تحسب أنّك ابن عبد ثقيف فلم تزل تلتمس حتّى رددته عن رأيه وخوّفته فرقة النّاس فرجع وقلت له يومئذ وقد عاديت أهل هذا البيت: أخاف أن يثوروا إلى عليّ فينهض بهم فيزيل ملكك فكفّ عن ذلك وما أعلم يا أخي ولد مولود من أبي سفيان أعظم شؤماً عليهم منك حين رددت عمر عن رأيه ونهيته عنه.

وخبرني أنّ الّذي صرفت به عن رأيه في قتلهم أنّك قلت إنّك سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: لتضربنكم الأعاجم على هذا الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً.

وقال: ليملأنّ الله أيديكم من الأعاجم وليصيرنّ أسداً لا يفرّون فليضربن أعناقكم وليغلبنّكم على فيئكم.

فقال لك وقد سمع ذلك من عليّ يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: فذلك الّذي دعاني إلى الكتاب إلى صاحبك في قتلهم وقد كنت عزمت على أن أكتب إلى عمّالي في سائر الأمصار. فقلت لعمر: لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنّي لست آمن أن يدعوهم عليّ (عليه السلام) إلى نصرته وهم كثير وقد علمت شجاعة عليّ وأهل بيته وعداوته لك ولصاحبك فرددته عن ذلك فأخبرتني أنّك لم ترده عن ذلك إلاّ عصبيّةً وأنّك لم ترجع عن رأيه جبناً وحدّثتني أنّك ذكرت ذلك لعليّ في إمارة عثمان فأخبرك أنّ أصحاب الرايات السود - وفي رواية أخرى: وخبرتني أنّك سمعت عليّاً في إمارة عثمان يقول: إنّ أصحاب الرايات السّود - الّتي تقبل من خراسان هم الأعاجم وأنّهم الّذين يغلبون بني أميّة على ملكهم ويقتلونهم تحت كلّ كوكب.

فلو كنت يا أخي لم تردّ عمر عن ذلك لجرت سنّة ولاستأصلهم الله وقطع أصلهم وإذاً لاتنست به الخلفاء بعده حتّى لا يبقى منهم شعر ولا ظفر ولا نافخ نار فإنّهم آفة الدين فما أكثر ما قد سنّ عمر في هذه الأمّة بخلاف سنّة رسول الله ﷺ فتابعه النّاس عليها وأخذوا بها فتكون هذه مثل واحدة منهنّ فمنهن تحويله المقام عن الموضع الّذي وضعه فيه رسول الله ﷺ وصاع رسول الله ﷺ ومده حين غيّره وزاد فيه ونهيه الجنب عن التيمّم وأشياء كثيرة شتّى أكثر من ألف باب أعظمها وأحبّها إلينا وأقرّها لأعيننا زيله الخلافة عن بني هاشم وعن أهلها ومعدنها لأنّها لا تصلح إلاّ لهم ولا تصلح الأرض إلاّ بهم فإذا قرأت كتابي هذا فاكتم ما فيه ومزقه.

قال: فلمّا قرأ زياد الكتاب ضرب به الأرض ثمّ أقبل إليّ فقال: ويلي ممّا خرجت وفيما دخلت كنت من شيعة آل محمّد فدخلت في شيعة آل الشيطان وحزبه وفي شيعته من يكتب مثل هذا الكتاب إنّما والله مثلي كمثل إبليس أبى أن يسجد لآدم كبراً وكفراً وحسداً.

قال سليم: فلم أمس حتّى نسخت كتابه فلمّا كان اللّيل دعا بالكتاب فمزّقه وقال: لا يطلّعن أحد من النّاس على ما في هذا الكتاب ولم يعلم أنّي نسخته[١].

ووجدت أيضاً في الكتاب المذكور برواية أبان عن سليم أنّه قال: حدّثني عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب قال: كنت عند معاوية ومعنا الحسن والحسين صلوات الله عليهما وعنده عبد الله بن عبّاس فالتفت إليّ معاوية فقال: يا عبد الله ما أشدّ تعظيمك للحسن والحسين وما هما بخير منك ولا أبوهما خير من أبيك ولولا أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ لقلت ما أمّك أسماء بنت عميس بدونها.

فقلت: والله إنّك لقليل العلم بهما وبأبيهما وأمهما بل والله لهما خير منّي وأبوهما خير من أبي وأمهما خير من أمي يا معاوية إنّك لغافل عمّا سمعته أنا من رسول الله ﷺ يقول فيهما وفي أبيهما وأمهما [مما] قد حفظته ووعيته ورويته.

قال: هات يا ابن جعفر فوالله ما أنت بكذّاب ولا متّهم فقلت: إنّه أعظم ممّا في نفسك! قال: وإن كان أعظم من أحد وحراء جميعاً فلست أبالي إذا قتل الله صاحبك وفرّق جمعكم وصار الأمر في أهله فحدّثنا فما نبالي ما قلتم ولا يضرّنا ما عددتم.

قلت: سمعت رسول الله ﷺ وسئل عن هذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[٢] فقال: إنّي رأيت اثني عشر رجلاً من أئمّة الضلال يصعدون منبري وينزلون يردون أمّتي على أدبارهم القهقرى فيهم رجلين من حيّين من قريش مختلفين وثلاثة من بني أميّة وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص [وسمعته يقول إنّ بني أبي

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ١٥٩-١٦٤. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

العاص] إذا بلغوا خمسة عشر رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً وعباد الله خولاً. يا معاوية إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر وأنا بين يديه وعمرو بن أبي سلمة وأسامة بن زيد وسعد بن أبي وقّاص وسلمان الفارسيّ وأبو ذرّ الغفاريّ والمقداد والزّبير بن العوام وهو يقول: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقلنا: بلى يا رسول الله قال: من كنت مولاه فهذا مولاه أولى به من نفسه وضرب بيده على منكب عليّ عليه السلام اللّهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه. أيّها النّاس أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر وعليّ من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر ثمَّ ابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر.

ثم أعاد فقال: يا أيّها النّاس إذا أنا استشهدت فعليّ أولى بكم من أنفسكم فإذا استشهد عليّ فابني الحسن أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم وإذا استشهد الحسن فابني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم فإذا استشهد الحسين فابني عليّ بن الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر.

ثم أقبل إلى عليّ فقال: يا عليّ إنّك ستدركه فأقرئه منّي السلام فإذا استشهد فابني محمّد أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم وستدركه أنت يا حسين فأقرئه منّي السلام ثمَّ يكون في عقب محمّد رجال واحد بعد واحد وليس منهم أحد إلاّ وهو أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر كلّهم هادون مهتدون.

فقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يبكي فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أتقتل؟ قال: نعم أهلك شهيداً بالسّم وتقتل أنت بالسّيف وتخضب لحيتك من دم رأسك ويقتل ابني الحسن بالسّم ويقتل ابني الحسين بالسّيف يقتله طاغ ابن طاغ دعيّ ابن دعي.

فقال معاوية: يا ابن جعفر لقد تكلّمت بعظيم ولئن كان ما تقول حقّاً لقد هلكت أمّة محمّد من المهاجرين والأنصار غيركم أهل البيت وأوليائكم وأنصاركم فقلت: والله إنّ الّذي قلت بحقّ سمعته من رسول الله صلّى الله عليه آله.

قال معاوية: يا حسن ويا حسين ويا ابن عبّاس ما يقول ابن جعفر؟ فقال ابن عبّاس: إن كنت لا تؤمن بالذي قال فارسل إلى الّذين سماهم فاسألهم عن ذلك.

فأرسل معاوية إلى عمرو بن أبي سلمة وإلى أسامة بن زيد فسألهما فشهدا أنّ الّذي قال ابن جعفر قد سمعناه من رسول الله ﷺ كما سمعه.

فقال معاوية: يا ابن جعفر قد سمعنا في الحسن والحسين وأبيهما فما سمعت في أمّهما؟ ومعاوية كالمستهزئ والمنكر فقلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس في جنّة عدن منزل أشرف ولا أفضل ولا أقرب إلى عرش ربّي من منزلي ومعي ثلاثة عشر من أهل بيتي أوّلهم أخي عليّ وابنتي فاطمة وابناي الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً هداة مهتدون أنا المبلّغ عن الله وهم المبلغون عنّي وهم حجج

الله على خلقه وشهداؤه في أرضه وخزّانه على علمه ومعادن حكمه من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله لا تبقى الأرض طرفة عين إلاّ ببقائهم ولا تصلح إلاّ بهم يخبرون الأمّة بأمر دينهم حلالهم وحرامهم يدلّونهم على رضى ربّهم وينهونهم عن سخطه بأمر واحد ونهي واحد ليس فيهم اختلاف ولا فرقة ولا تنازع يأخذ آخرهم عن أوّلهم إملائي وخطّ أخي عليّ بيده يتوارثونه إلى يوم القيامة أهل الأرض كلّهم في غمرة وغفلة وتيهة وحيرة غيرهم وغير شيعتهم وأوليائهم لا يحتاجون إلى أحد من الأمّة في شيء من أمر دينهم والأمّة تحتاج إليهم هم الّذين عنى الله في كتابه وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسول الله ﷺ فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١) فأقبل معاوية على الحسن والحسين وابن عبّاس والفضل بن عبّاس وعمرو بن أبي سلمة وأسامة بن زيد فقال: كلّكم على ما قال ابن جعفر؟ قالوا: نعم. قال: يا بني عبد المطّلب إنّكم لتدّعون أمراً عظيماً وتحتجون بحجج قوية إن كانت حقّاً وإنّكم لتضمرون على أمر تسرّونه والنّاس عنه في غفلة عمياء وإن كان ما تقولون حقّاً لقد هلكت الأمّة وارتدّت عن دينها وتركت عهد نبيّها ﷺ غيركم أهل البيت ومن قال بقولكم فأولئك في النّاس قليل فقلت: يا معاوية إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(٢) ويقول: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٣) ويقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾(٤) ويقول لنوح: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٥) يا معاوية المؤمنون في النّاس قليل. وإنّ أمر بني إسرائيل أعجب حيث قالت السحرة لفرعون: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا﴾(٦) فآمنوا بموسى وصدّقوه وتابعوه فسار بهم وبمن تبعه من بني إسرائيل فأقطعهم البحر وأراهم الأعاجيب وهم مصدّقون به وبالتوراة مقرّون له بدينه فمرّ بهم على قوم يعبدون أصناماً لهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾(٧) ثم اتخذوا العجل فعكفوا عليه جميعاً غير هارون وأهل بيته وقال لهم السامري: ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾(٨) وقال لهم بعد ذلك: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾(٩) فكان من جوابهم ما قص الله في كتابه: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾(١٠) قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾(١١).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٣.
(٤) سورة ص، الآية: ٢٤.
(٥) سورة هود، الآية: ٤٠.
(٦) سورة طه، الآية: ٧٢.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.
(٨) سورة طه، الآية: ٨٨.
(٩) سورة المائدة، الآية: ٢١.
(١٠) سورة المائدة، الآية: ٢٢.
(١١) سورة المائدة، الآية: ٢٥.

فاحتذت هذه الأُمّة ذلك المثال سواء وقد كانت لهم فضائل وسوابق مع رسول الله ﷺ ومنازل بيّنة قريبة منه مقرّين بدين محمّد والقرآن حتّى فارقهم نبيّهم ﷺ فاختلفوا وتفرّقوا وتحاسدوا وخالفوا إمامهم ووليّهم حتّى لم يبق منهم على ما عاهدوا عليه نبيّهم غير صاحبنا الّذي هو من نبيّنا بمنزلة هارون من موسى ونفر قليل اتّقوا الله عزّوجلّ على دينهم وإيمانهم ورجع الآخرون القهقرى على أدبارهم كما فعل أصحاب موسى عليه السلام باتّخاذهم العجل وعبادتهم إيّاه وزعمهم أنّه ربّهم وإجماعهم عليه غير هارون وولده ونفر قليل من أهل بيته ونبيّنا ﷺ قد نصب لأمّته أفضل النّاس وأولاهم وخيرهم ثم الأئمّة واحداً بعد واحد بغدير خمّ وفي غير موطن واحتجّ عليهم به وأمر بطاعتهم وأخبرهم أنّ أوّلهم عليّ بن أبي طالب منه بمنزلة هارون من موسى وأنّه وليّ كلّ مؤمن من بعده وأنّه من كان هو وليّه ومن أولى به من نفسه فعليّ أولى به وأنّه خليفته فيهم ووصيّه وأن من أطاعه أطاع الله ومن عصاه عصى الله ومن والاه والى الله ومن عاداه عادى الله فأنكروه وجهلوه وتولّوا غيره.

يا معاوية أما علمت أنّ رسول الله حين بعث إلى مؤتة أمّر عليهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام ثمّ قال: إن هلك جعفر فزيد بن حارثة فإن هلك زيد فعبد الله بن رواحة ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم أفكان يترك أمّته ولا يبيّن لهم خليفته فيهم بعده بلى والله ما تركهم في عمى ولا شبهة بل ركب القوم ما ركبوا بعد نبيّهم وكذبوا على رسول الله ﷺ فهلكوا وهلك من شايعهم وضلّ من تابعهم فبعداً للقوم الظالمين.

فقال معاوية: يا ابن عبّاس إنّك لتتفوّه بعظيم والاجتماع عندنا خير من الاختلاف وقد علمت أنّ الأمّة لم تستقم على صاحبك.

فقال ابن عبّاس: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما اختلفت أمّة بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها وإن هذه الأمّة اجتمعت على أمور كثيرة ليس بينها اختلاف ولا منازعة ولا فرقة شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله ﷺ والصّلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحجّ البيت وأشياء كثيرة من طاعة الله ونهي الله مثل تحريم الزنا والسرقة وقطع الأرحام والكذب والخيانة واختلفت في شيئين أحدهما اقتتلت عليه وتفرّقت فيه وصارت فرقاً يلعن بعضها بعضاً ويبرأ بعضها من بعض [والثاني لم تقتتل عليه ولم تتفرق فيه ووسع بعضهم فيه لبعض وهو كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ وما يحدث زعمت أنّه ليس في كتاب الله ولا سنة نبيّه ﷺ وأمّا الّذي اختلفت فيه وتفرقت وتبرّأت بعضها من بعض] فالملك والخلافة زعمت أنّها أحقّ بها من أهل بيت نبيّ الله ﷺ فمن أخذ بما ليس فيه بين أهل القبلة اختلاف وردّ علم ما اختلفوا فيه إلى الله سلم ونجا من النّار ولم يسأله الله عمّا أشكل عليه من الخصلتين اللتين اختلف فيهما ومنّ وفقه الله ومنّ عليه ونور قلبه وعرّفه ولاة الأمر ومعدن العلم أين هو فعرف ذلك كان سعيداً ولله ولياً وكان نبيّ الله ﷺ يقول: رحم الله عبداً قال

حقاً فغنم أو سكت فلم يتكلّم. فالأئمّة من أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومنزل الكتاب ومهبط الوحي ومختلف الملائكة لا تصلح إلاّ فيها لأنّ الله خصها بها وجعلها أهلها في كتابه وعلى لسان نبيّه ﷺ فالعلم فيهم وهم أهله وهو عندهم كلّه بحذافيره باطنه وظاهره ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه.

يا معاوية إنّ عمر بن الخطّاب أرسلني في إمرته إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّي أريد أن أكتب القرآن في مصحف فابعث إلينا ما كتبت من القرآن فقال: تضرب والله عنقي قبل أن تصل إليه. قلت: ولم؟ قال: إنّ الله يقول: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ يعني لا يناله كلّه إلاّ المطهّرون إيّانا نحن عني الّذين أذهب الله عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً وقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فنحن الّذين اصطفانا الله من عباده ونحن صفوة الله ولنا ضرب الأمثال وعلينا نزل الوحي.

فغضب عمر وقال: إنّ ابن أبي طالب يحسب أنّه ليس عند أحد علم غيره فمن كان يقرأ من القرآن شيئاً فليأتنا به فكان إذا جاء رجل بقرآن يقرءه ومعه آخر كتبه وإلاّ لم يكتبه.

فمن قال يا معاوية إنه ضاع من القرآن شيء فقد كذب هو عند أهله مجموع.

ثم أمر عمر قضاته وولاته فقال: اجتهدوا آراءكم واتبعوا ما ترون أنّه الحقّ فلم يزل هو وبعض ولاته قد وقعوا في عظيمة فكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يخبرهم بما يحتجّ به عليهم وكان عمّاله وقضاته يحكمون في شيء واحد بقضايا مختلفة فيجيزها لهم لأنّ الله لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب وزعم كلّ صنف من أهل القبلة أنّهم معدن العلم والخلافة دونهم فبالله نستعين على مَن جحدهم حقّهم وسنّ للناس ما يحتجّ به مثلك عليهم ثم قاموا فخرجوا[1].

بيان: قوله عليه السلام: واختلف في شيئين كذا في أصل الكتاب وفي [كتاب] الاحتجاج «واختلفوا في سنن اقتتلوا فيها وصاروا فرقاً يلعن بعضها بعضاً وهي الولاية.

فأمّا على ما في الأصل فالشيء الآخر إمّا القرآن كما ذكره بعد أو البراءة من خلفاء الجور ولعنهم وتركه للمصلحة والتقيّة.

وقوله: «فمن أخذ» المراد بهم المستضعفون فإنّهم إذا أخذوا بالمجمع عليه من ولاية الأئمّة ومحبّتهم ولم يتبرّؤا من أعدائهم لاختلاف الأمّة فيه ولم يقولوا بإمامة الأئمّة لذلك ولم يكن لهم قوّة في العلم والعقل يمكنهم معرفة ذلك كان يحتمل نجاتهم في الآخرة.

ويؤيده أنّه روى في الاحتجاج في سياق هذه الرواية من كلام الحسن عليه السلام وروى هذه الكلمات أيضاً عنه عليه السلام أنّه قال: إنّما النّاس ثلاثة مؤمن يعرف حقّنا ويسلّم لنا ويأتمّ بنا فذلك ناج محبّ لله ولي. وناصب لنا العداوة يتبرأ منّا ويلعننا ويستحلّ دماءنا ويجحد حقّنا

(١) كتاب سليم بن قيس ص ٢١٣-٢١٩.

ويدين الله بالبراءة منّا فهذا كافر مشرك فاسق وإنّما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما سبّوا الله بغير علم كذلك كثيراً يشرك بالله بغير علم.

ورجل أخذ بما لم يختلف فيه وردّ علم ما أشكل عليه إلى الله مع ولايتنا ولا يأتمّ بنا ولا يعادينا ويعرف حقنا فنحن نرجو أن يغفرالله له ويدخله الجنّة فهذا مسلم ضعيف انتهى.

وقد أوردت الخبر برواية الاحتجاج في موضع آخر يناسبه وإنّما كرّرنا للاختلاف.

٥٣٥ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل عن أحمد بن عبد العزيز عن عليّ بن محمّد بن سليمان عن أبيه عن ربعيّ بن عبد الله بن الجارود عن أبيه قال: قال معاوية لخالد بن معمّر: على ما أحببت عليّاً؟ قال: على ثلاث خصال: على حلمه إذا غضب، وعلى صدقه إذا قال، وعلى عدله إذا ولي.

٥٣٦ - **كا:** حبيب بن الحسن عن محمّد بن عبد الحميد عن بشار عن زيد الشحّام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أُخذ نبّاش في زمن معاوية فقال لأصحابه: ما ترون؟ فقالوا: نعاقبه فنخلّي سبيله. فقال رجل من القوم: ما هكذا فعل عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: فما فعل؟ قال: فقال: يقطع النبّاش وقال هو سارق وهتّاك الموتى[(١)].

٥٣٧ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ رفعه قال: إن النجاشي الشاعر شرب الخمر في شهر رمضان فحده أمير المؤمنين أقامه في سراويل فضربه ثمانين ثمّ زاده عشرين سوطاً وقال: هذا لجرأتك على ربّك وإفطارك في شهر رمضان فغضب ولحق بمعاوية.

فدخل طارق بن عبد الله على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ما كنّا نرى أنّ أهل المعصية والطاعة وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء حتّى رأيت ما كان من صنيعك بأخي الحارث فأوغرت صدورنا وشتّت أمورنا وحملتنا على الجادة الّتي كنا نرى أنّ سبيل من ركبها النّار فقال عليّ عليه السلام ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[(٢)]. يا أخا بني نهد فهل هو إلاّ رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[(٣)]. فخرج طارق ولقيه الأشتر فقال له: أنت القائل لأمير المؤمنين أوغرت صدورنا وشتّت أمورنا؟ قال طارق: أنا قائلها. قال الأشتر: والله ما ذلك كما قلت وإنّ صدورنا له لسامعة وإنّ أمورنا له لجامعة قال فغضب طارق وقال: ستعلم يا أشتر أنّه غير ما قلت. فلمّا جنه اللّيل همس هو والنجاشي وذهبا إلى معاوية فلمّا دخلا عليه نظر معاوية إلى طارق وقال: مرحباً بالمورق غصنه [والمعرق أصله، المسوّد غير المسود] من رجل كانت منه هفوة ونبوة باتّباعه صاحب الفتنة ورأس الضلالة إلى آخر ما قال لعنه الله.

---

(١) الكافي، ج ٧ ص ١٣٢٧ باب ١٤٧ ح ٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨.

فقال طارق: يا معاوية إنّ المحمود على كلّ حال ربّ علا فوق عباده فهم بمنظر ومسمع منه بعث فيهم رسولاً منهم لم يكن يتلو من قبله كتاباً ولا يخطّه بيمينه إذاً لارتاب المبطلون فعليه السلام من رسول كان بالمؤمنين رحيماً، أمّا بعد فإنا كنّا نوضع في رجال من أصحاب النبيّ ﷺ مرشدين مناراً للهدى ومعلماً للدّين سلفاً لخلف مهتدين وخلفاً لسلف مهتدين أهل دين لا دنيا وأهل الآخرة كلّ الخير فيهم أهل بيوتات وشرف ليسوا بناكثين ولا قاسطين فلم تك رغبة من رغب عنهم وعن صحبتهم إلاّ لمرارة الحقّ حيث جُرّعوها ولوعورته حيث سلكوها غلبت عليهم دنيا مؤثرة وهوى متّبع وكان أمر الله قدراً مقدوراً. [وقد فارق الإسلام قبلنا جبلة بن الأيهم فراراً من الضيم وأنفاً من الذلّة] فلا تفخر يا معاوية أن قد شددنا إليك الرّحال وأوضعنا نحوك الركاب فتعلم وتنكر. ثمّ أجلسه معاوية على سريره ودعا له بمقطعات وبرود يضعها عليه ثمّ أقبل عليه بوجهه يحدّثه حتّى قام فلمّا قام خرج طارق فأقبل عليه عمرو بن مرّة وعمرو بن صيفي يلومانه في خطبته إيّاه وفيما عرّض لمعاوية فقال طارق لهما: والله ما قمت حتّى كان بطن الأرض أحبّ إليّ من ظهرها عند إظهار ما أظهر من البغي والعيب والنقص لأصحاب محمّد ﷺ ولمن هو خير منه في العاجلة والآجلة ولقد قمت مقاماً عنده أوجب الله عليّ فيه أن لا أقول إلاّ حقّاً فبلغ عليّاً مقالة طارق فقال: لو قتل أخو بني نهد لقتل شهيداً.

وزعم بعض النّاس أنّ طارق بن عبد الله رجع إلى عليّ عليه السلام ومعه النجاشي[1].

٥٣٨ - ٥٤١ - **كنز الفوائد للكراجكي:** [عن] محمّد بن عليّ بن طالب البلدي عن أبي المفضّل الشيباني عن منصور بن الحسن عن محمّد بن زكريّا بن دينار عن العبّاس بن بكّار عن عبد الواحد بن أبي عمرو الأسديّ عن محمّد بن السائب عن أبي صالح مولى أمّ هانئ قال: دخل ضرار بن ضمرة الكنانيّ على معاوية بن أبي سفيان يوماً فقال له: يا ضرار صف لي عليّاً فقال: أوتعفيني من ذلك؟ قال: لا أعفيك قال: أمّا إذ لا بدّ فإنّه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجّر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة على لسانه يستوحش من الدّنيا وزهرتها ويأنس باللّيل وظلمته.

كان والله غزير الدّمْعَة طويل الفكرة يقلب كفّه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جشب. كان والله معنا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه وكان مع دنوّه لنا وقربه منّا لا نكلّمه هيبة له فإن تبسّم فعن مثل اللّؤلؤ النظيم. يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القويّ في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله.

أشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله وغارت نجومه متماثلاً في

---

(١) الغارات، ص ٥٢٣.

محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السّليم ويبكي بكاء الحزين وكأنّي أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا أبي تعرّضت؟ أم إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات غرّي غيري لا حان حينك قد أبنتك ثلاثاً عمرك قصير وخيرك حقير وخطرك غير كبير آه آه من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فوكفت دموع معاوية على لحيته وجعل يستقبلها بكمّه واختنق القوم جميعاً بالبكاء وقال: هكذا [كان] أبو الحسن عليه السلام فكيف وجدك عليه يا ضرار؟ فقال: وجد أمّ واحد ذبح واحدها في حجرها فهي لا يرقى دمعها ولا يسكن حزنها.

فقال معاوية: لكنّ هؤلاء لو فقدوني لما قالوا ولا وجدوا بي شيئاً من هذا ثمَّ التفت إلى أصحابه فقال: بالله لو اجتمعتم بأسركم هل كنتم تؤدّون عنّي ما أدّاه هذا الغلام عن صاحبه؟ فيقال: إنّه قال له عمرو بن العاص: الصّحابة على قدر الصّاحب.

وقال أيضاً فيه: روي أنّ معاوية بن أبي سفيان قال: إنّي أحبّ أنْ ألقى رجلاً قد أتت عليه سنّ وقد رأى النّاس يخبرنا عمّا رأى فقيل له: هذا رجل بحضرموت فأرسل إليه فأتاه فقال له: ما اسمك؟ فقال: أمد. قال: ابن من؟ قال: ابن لبد. قال: ما أتى عليك من السنين؟ قال: ثلاثمائة وستّون سنة. قال: كذبت ثمّ تشاغل عنه معاوية ثمّ أقبل عليه بعد ذلك فقال له: ما اسمك؟ قال: أمد قال: ابن من؟ قال: ابن لبد قال: ما أتى عليك من السنين؟ قال: ستّون وثلاثمائة قال: أخبرنا عمّا رأيت من الأزمان الماضية إلى زماننا هذا من ذاك؟ قال: يا أمير المؤمنين وكيف تسأل من يكذب؟ قال: إنّي ما كذّبتك ولكن أحببت أعلم كيف عقلك؟ قال: يوم شبيه يوم وليلة شبيهة بليلة يموت ميّت ويولد مولود ولولا من يموت لم تسعهم الأرض ولولا من يولد لم يبق أحد على وجه الأرض. قال: فأخبرني هل رأيت هاشماً؟ قال: نعم رأيت رجلاً طوالاً حسن الوجه يقال إنّ بين عينيه بركة أو غرّة بركة. قال: فهل رأيت أُميّة قال: نعم رأيت رجلاً قصيراً أعمى يقال إنّ في وجهه أشراً أو شوباً قال: فهل رأيت محمداً؟ قال: من محمّد؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ويحك أفلا فخمته كما فخمه الله فقلت: رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فأخبرني ما كانت صناعتك؟ قال: كنت رجلاً تاجراً قال: فما بلغت في تجارتك؟ قال: كنت لا أستر عيباً ولا أرد ربحاً.

قال معاوية: سلني قال: أسألك أن تدخلني الجنّة قال ليس ذلك بيدي ولا أقدر عليه. قال: فأسألك أن تردّ عليّ شبابي قال: ليس ذلك بيدي ولا أقدر عليه. قال: فلا أرى عندك شيئاً من أمر الدنيا ولا أمر الآخرة فردّني من حيث جئت قال: أمّا هذا فنعم ثمَّ أقبل معاوية على جلسائه فقال: لقد أصبح هذا زاهداً فيما أنتم فيه راغبون.

وروي عن عبد الله بن موهب عن بعض أشياخه أنّ مسجد الرملة لمّا حفر أساسه في دهر معاوية بن أبي سفيان انتهى بهم الحفر إلى صخرة فقلعوها فإذا تحتها شاب دهين الرأس موفر الشعر قائم مستقبل القبلة فكلّموه فلم يكلّمهم فكتب بذلك إلى معاوية قال: فخرجنا بالكتاب

في خمسة فأتينا معاوية فأخبرناه بذلك ورفعنا إليه الكتاب فأمر أن تردّ الصخرة على حاله كما كان.

وحدّثهم غير واحد أنّه لمّا أجرى معاوية بن أبي سفيان القناة الّتي في أُحد أمر بقبور الشهداء فنُبشت فضرب رجل بمعوله فأصاب إبهام حمزة رضوان الله عليه فبجس الدم من إبهامه فأُخرج رطباً ينثني وأُخرج عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح وكانا قتلا يوم أُحُد وهم رطاب يتثنون بعد أربعين سنة فدفنا في قبر واحد وكان عمرو بن الجموح أعرج.

فقال أبو سعيد الخدريّ إنّه لشيء لا آمر بعده بمعروف ولا أنهى عن منكر(١).

٥٤٢ - ٥٤٣ - كتاب الغارات لإبراهيم الثقفيّ قال: بلغنا أنّ معاوية قال لهيثم بن الأسود وكان عثمانياً وكانت امرأته علويّة الرّأي تحب علياً وتكتب بأخبار معاوية في أعنّة الخيل فتدفعها بعسكره عليه السلام في صفّين فقال معاوية: يا هيثم أهل العراق كانوا أنصح لعليّ أم أهل الشّام لي قال: أهل العراق قبل أن يضربوا بالبلاء كانوا أنصح لصاحبهم من أهل الشام. قال: ولم ذلك؟ قال: لأنّ القوم ناصحوا علياً عليه السلام على الدّين وناصحك أهل الشّام على الدّنيا وأهل الدّين أصبر وهم أهل بصيرة ونصر وأهل الدنيا أهل يأس وطمع ثم والله ما لبث أهل العراق أن نبذوا الدّين وراء ظهورهم ونظروا إلى الدّنيا [التي] في يدك فما أصابها منهم إلاّ الّذي لحق بك.

قال معاوية: فما منع الأشعث بن قيس أن يطلب ما قبلنا؟ قال: أكرم نفسه أن يكون رأساً في العار وذنباً في الطمع. قال: هل كانت امرأتك تكتب بالأخبار إلى عليّ (عليه السلام) في أعنّة الخيل فتباع؟ قال: نعم.

وعن محارب بن ساعدة الأيادي قال: كنت عند معاوية وعنده أهل الشّام ليس فيهم غيرهم إذ قال: يا أهل الشّام قد عرفتم حبّي لكم وسيرتي فيكم وقد بلغكم صَنيع عليّ بالعراق وتسويته بين الشريف وبين من لا يعرف قدره فقال رجل منهم: لا يهدّ الله ركنك ولا يعدمك ولدك ولا يرينا فقدك قال فما تقولون في أبي تراب؟ فقال رجل منهم ما أراد ومعاوية ساكت وعنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم فتذاكرا علياً عليه السلام بغير الحقّ.

فوثب رجل من آخر المجلس من أهل الكوفة دخل مع القوم فقال: يا معاوية تسأل أقواماً في طغيانهم يعمهون واختاروا الدّنيا على الآخرة والله لو سألتهم عن السنّة ما أقاموها فكيف يعرفون علياً وفضله أقبل عليّ أخبرك ثمّ لا تقدر أن تنكر أنت ولا من عن يمينك يعني عمراً هو والله الرّفيع جاره الطويل عماده دمر الله به الفساد وبار به الشرك ووضع به الشّيطان وأولياءه وضعضع به الجور وأظهر به العدل ونطق زعيم الدّين وأطاب المورد وأضحى الدّاجي

(١) كنز الفوائد، ج ٢ ص ٨٧.

وانتصر به المظلوم وهدم به بنيان النفاق وانتقم به من الظالمين وأعزّ به المسلمين كريح رحمة أثارت سحاباً متفرقاً بعضها إلى بعض حتّى التحكم واستحكم فاستغلظ فاستوى ثمّ تجاوبت نواتقه وتلألأت بوارقه واسترعد خرير مائه فأسقى وأروى عطشانه وتداعت جنانه واستقلّت به أركانه واستكثرت وابله ودام رزازه وتتابع مهطوله فرويت البلاد واخضرّت وأزهرت. ذلك عليّ بن أبي طالب سيّد العرب إمام الأمّة وأفضلها وأعلمها وأجملها وأحكمها أوضح للناس سيرة الهدى بعد السّعي في الردى وهو والله إذا اشتبهت الأمور وهاب الجسور واحمرّت الحدق وانبعث القلق وأبرقت البواتر استربط عند ذلك جاشه وعرف بأسه ولاذ به الجبان الهلوع فنفس كربته وحمى حمايته مستغن برأيه عن مشورة ذوي الألباب برأي صليب وحلم أريب مجيب للصواب مصيب.

فأسكت القوم جميعاً وأمر معاوية بإخراجه فأُخرج وهو يقول: قد جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً. وكان معاوية تعجبه الفصاحة ويصغي للمتكلم حتّى يفرغ من كلامه[1].

بيان: قال الجوهريّ نتقت الغرب من البئر أي جذبته ونتقت المرأة أي كثر ولدها.

وفي القاموس: النّاتق: الفاتق والرافع والباسط ومن الزناد: الواري ومن النوق: الّتي تسرع الحمل ومن الخيل: الّذي ينفض راكبه انتهى. والأكثر مناسب كما يظهر بعد التأمّل.

والخرير: صوت الماء. وتداعى القوم: اجتمعوا. ورزت السّماء: صوتت من المطر. وكان المهطول بمعنى الهاطل أي المطر المتتابع أو الضعيف الدّائم. والأريب: العاقل. وأرب الدّهر: اشتدّ.

٥٥٤ - **كشف:** من كتاب لطف التدبير لمحمّد بن عبد الله الخطيب قال: حكي أنّ معاوية ابن أبي سفيان قال لجلسائه بعد الحكومة: كيف لنا أن نعلم ما تؤول إليه العاقبة في أمرنا؟ قال جلساؤه ما نعلم لذلك وجهاً. قال: فأنا أستخرج علم ذلك من عليّ (صلوات الله عليه) فإنّه لا يقول الباطل فدعا ثلاثة رجال من ثقاته وقال لهم: امضوا حتّى تصيروا جميعاً من الكوفة على مرحلة ثم تواطؤا على أن تنعوني بالكوفة وليكن حديثكم واحداً في ذكر العلّة واليوم والوقت وموضع القبر ومن تولّى الصلاة عليه وغير ذلك حتّى لا تختلفوا في شيء ثمّ ليدخل أحدكم فليخبر بوفاتي ثمّ ليدخل الثاني فيخبر بمثله ثم ليدخل الثالث فيخبر بمثل خبر صاحبيه وانظروا ما يقول عليّ.

فخرجوا كما أمرهم معاوية ثمّ دخل أحدهم وهو راكب مغذ شاحب فقال له النّاس بالكوفة: من أين جئت؟ قال: من الشام. قالوا له: ما الخبر؟ قال: مات معاوية فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: جاء رجل راكب من الشّام يخبر بموت معاوية فلم يحفل عليّ بذلك ثمّ

---

(١) الغارات، ص ٥٤٥.

دخل الآخر من الغد وهو مغذّ فقال له الناس: ما الخبر؟ فقال: مات معاوية وخبر بمثل ما خبر صاحبه فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: رجل راكب يخبر بموت معاوية بمثل ما أخبر صاحبه ولم يختلف كلامهما. فأمسك عليّ عليه السلام.

ثم دخل الآخر في اليوم الثالث فقال الناس: ما وراءك؟ قال: مات معاوية. فسألوه عمّا شاهد فلم يخالف قول صاحبيه فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين صحّ هذا الخبر هذا راكبٌ ثالث قد خبر بمثل خبر صاحبيه فلمّا كثروا عليه قال عليّ صلوات الله عليه كلا أو تخضب هذه من هذه يعني لحيته من هامته ويتلاعب بها ابن آكلة الأكباد فرجع الخبر بذلك إلى معاوية[1].

بيان: الإغذاذ في السير: الإسراع. الشاحب: المتغيّر أي كان عليه لون السّفر. قوله عليه السلام: «ويتلاعب بها» أي بالخلافة والرياسة.

٥٤٥ - ٥٤٦ - **إرشاد القلوب:** بإسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام يتجهّز إلى معاوية ويحرّض النّاس على قتاله إذ اختصم إليه رجلان في فعل فعجل أحدهما في الكلام وزاد فيه فالتفت إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: اخسأ. فإذا رأسه رأس الكلب فبهت من حوله وأقبل الرّجل بإصبعه المسبحة يتضرّع إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويسأله الإقالة فنظر إليه وحرّك شفتيه فعاد كما كان خلقاً سوياً فوثب إليه بعض أصحابه فقال له: يا أمير المؤمنين هذه القدرة لك كما رأينا وأنت تجهّز إلى معاوية فما بالك لا تكفيناه ببعض ما أعطاك الله من هذه القدرة؟ فأطرق قليلاً ورفع رأسه إليهم وقال: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة في طول هذه الفيافي والفلوات والجبال والأودية حتّى أضرب بها صدر معاوية على سريره فأقلبه على أمّ رأسه لفعلت ولو أقسمت على الله عزّ وجلّ أن أوتي به قبل أن أقوم من مجلسي هذا وقبل أن يرتدّ إلى أحد منكم طرفه لفعلت ولكنّا كما وصف الله تعالى في كتابه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[2].

بيان: قال الجوهريّ: خسأت الكلب خسأً: طردته وخسأ الكلب نفسه، يتعدّى ولا يتعدّى.

إرشاد القلوب: بإسناده إلى ميثم التمّار قال: خطب بنا أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة فأطال في خطبته وأعجب النّاس تطويلها وحسن وعظها وترغيبها وترهيبها وإذ دخل نذير من ناحية الأنبار مستغيثاً يقول: الله الله يا أمير المؤمنين في رعيّتك وشيعتك هذه خيل معاوية قد شنّت علينا الغارة في سواد الفرات ما بين هيت والأنبار.

---

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ٢٨٤.

(٢) ارشاد القلوب، ص ٢٤٢.

فقطع أمير المؤمنين عليه السلام الخطبة وقال: ويحك بعض خيل معاوية قد دخل الدسكرة الّتي تلي جدران الأنبار فقتلوا فيها سبع نسوة وسبعة من الأطفال ذكراناً وسبعة إناثاً وشهروا بهم ووطئوهم بحوافر الخيل وقالوا هذه مراغمة لأبي تراب.

فقام إبراهيم بن الحسن الأزديّ بين يدي المنبر فقال: يا أمير المؤمنين هذه القدرة الّتي رأيت بها وأنت على منبرك أنّ في دارك خيل معاوية ابن آكلة الأكباد وما فعل بشيعتك ولم يعلم بها هذا فلم تغضي عن معاوية؟.

فقال له: ويحك يا إبراهيم: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ فصاح النّاس من جوانب المسجد: يا أمير المؤمنين فإلى متى يهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بينة وشيعتك تهلك؟! فقال لهم: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فصاح زيد بن كثير المراديّ وقال: يا أمير المؤمنين تقول بالأمس وأنت تجهّز إلى معاوية وتحرّضنا على قتاله ويحتكم إليك الرجلان في الفعل فتعجّل عليك أحدهما في الكلام فتجعل رأسه رأس الكلب فيستجير بك فتردّه بشراً سويّاً! ونقول لك: ما بال هذه القدرة لا تبلغ معاوية فتكفينا شرّه فتقول لنا: وفالق الحبّة وبارئ النسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة صدر معاوية فأقلبه على أم رأسه لفعلت فما بالك لا تفعل؟ ما تريد إلاّ أن تضعف نفوسنا فنشكّ فيك فندخل النار.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأفعلنّ ذلك ولأعجلنّه على ابن هند فمدّ رجله على منبره فخرجت عن أبواب المسجد وردّها إلى فخذه وقال: معاشر النّاس أقيموا تاريخ الوقت وأعلموه فقد ضربت برجلي هذه السّاعة صدر معاوية فقلبته عن سريره على أم رأسه فظن أنّه قد أُحيط به فصاح يا أمير المؤمنين فأين النظرة فرددت رجلي عنه وتوقّع النّاس ورود الخبر من الشّام وعلموا أنّ أمير المؤمنين لا يقول إلاّ حقاً. فوردت الأخبار والكتب بتاريخ تلك السّاعة بعينها من ذلك اليوم بعينه أنّ رجلاً جاءت من ناحية الكوفة ممدودة متّصلة فدخلت من إيوان معاوية والنّاس ينظرون حتّى ضربت صدره فقلبته عن سريره على أم رأسه فصاح: يا أمير المؤمنين وأين النظرة؟ وردّت تلك الرّجل عنه وعلم النّاس أن ما قال أمير المؤمنين عليه السلام حقاً[1].

بيان: قال الفيروزآبادي: أغضى: أدنى الجفون. وعلى الشيء: سكت.

٥٤٧ - **بشا:** الحسن بن الحسين بن بابويه عن عمّه محمّد بن الحسن عن أبيه الحسين بن الحسين عن عمّه أبي جعفر بن بابويه عن الطّالقاني عن الجلودي عن المغيرة بن محمّد عن رجاء بن أبي سلمة عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة عند منصرفه من نهروان وبلغه أنّ معاوية يسبّه ويعيبه ويقتل أصحابه

---

(١) ارشاد القلوب، ص ٢٤٢.

فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله ﷺ وذكر ما أنعم الله على نبيّه وعليه ثمّ قال: لولا آية في كتاب الله ما ذكرت ما أنا ذاكره في مقامي هذا يقول الله عزّوجلّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ اللّهمّ لك الحمد على نعمك الّتي لا تحصى وفضلك الّذي لا ينسى.

أيها النّاس إنّه بلغني ما بلغني وإنّي أراني قد اقترب أجلي وكأنّي بكم وقد جهلتم أمري وإنّي تارك فيكم ما تركه رسول الله ﷺ كتاب الله وعترتي وهي عترة الهادي إلى النجاة خاتم الأنبياء وسيّد النجباء والنّبي المصطفى.

يا أيّها النّاس لعلّكم لا تسمعون قائلاً يقول مثل قولي بعدي إلاّ مفترياً أنا أخو رسول الله وابن عمّه وسيف نقمته وعماد نصرته وبأسه وشدّته أنا رحى جهنّم الدائرة وأضراسها الطاحنة أنا مؤتم البنين والبنات وقابض الأرواح وبأس الله الّذي لا يردّه عن القوم المجرمين أنا مجدل الأبطال وقاتل الفرسان ومبير من كفر بالرحمان وصهر خير الأنام أنا سيّد الأوصياء ووصي خير الأنبياء أنا باب مدينة العلم وخازن علم رسول الله ﷺ ووارثه أنا زوج البتول سيّدة نساء العالمين فاطمة التقيّة الزكيّة البرّة المهديّة حبيبة حبيب الله وخير بناته وسلالته وريحانة رسول الله ﷺ سبطاه خير الأسباط وولداي خير الأولاد هل أحد ينكر ما أقول.

أين مسلمو أهل الكتاب أنا اسمي في الإنجيل إليا وفي التوراة بريها وفي الزبور أرى وعند الهند كلبن وعند الروم بطريسا وعند الفرس جبير وعند الترك تبير وعند الزنج خبير وعند الكهنة بوى وعند الحبشة تبريك وعند أمّي حيدرة وعند ظئري ميمون وعند العرب عليّ وعند الأرمن فريق وعند أبي زهير.

ألا وإنّي مخصوص في القرآن بأسماء احذروا أنّ تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم يقول الله عزّوجلّ: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أنا ذلك الصّادق.

وأنا المؤذّن في الدنيا والآخرة وقال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(١) أنا ذلك المؤذّن وقال: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾(٢) وأنا ذلك الأذان.

وأنا المحسن يقول الله عزّوجلّ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣).

وأنا ذو القلب يقول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾(٤).

وأنا الذّاكر يقول الله عزّوجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾(٥).

ونحن أصحاب الأعراف أنا وعمّي وأخي وابن عمّي والله فالق الحبّة والنوى لا يلج النّار لنا محبّ ولا يدخل الجنّة لنا مبغض يقول الله عزّوجلّ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٤) سورة ق، الآية: ٣٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

بِسِيمَٰهُمْ﴾[(١)] وأنا الصهر يقول الله عزّوجلّ : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[(٢)]. وأنا الأذن الواعية يقول الله عزّوجلّ : ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

وأنا السالم لرسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله : ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾[(٣)] ومن ولدي مهدي هذه الأمّة.

ألا وقد جعلت محنتكم ببغضي يعرف المنافقون وبمحبّتي امتحن المؤمنون هذا عهد النبيّ الأمّيّ ألا إنّه لا يحبّكم إلاّ مؤمن ولا يبغضكم إلاّ منافق.

وأنا صاحب لواء رسول الله في الدنيا والآخرة ورسول الله فرطي وأنا فرط شيعتي والله لا عطش محبّي ولا خاف [وليّي]، أنا وليّ المؤمنين والله وليّي [وحسب محبّيّ أن يحبّوا ما أحبّ الله] وحسب مبغضيّ أن يبغضوا من أحبّ الله.

ألا وإنّه بلغني أنّ معاوية سبّني ولعنني اللّهمّ اشدد وطأتك عليه وأنزل اللّعنة على المستحقّ آمين ربّ العالمين ربّ اسماعيل وباعث إبراهيم إنّك حميد مجيد.

ثم نزّل صلوات الله عليه عن أعواده فما عاد إليها حتّى قتله ابن ملجم لعنه الله[(٤)].

٥٤٨ - **كا:** عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن يونس عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن مولى لأمير المؤمنين عليه السلام سأله مالاً فقال: يخرج عطائي فأقاسمكه. فقال: لا أكتفي وخرج إلى معاوية فوصله فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره بما أصاب من المال فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام أمّا بعد فإن ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى أهل بعدك وإنّما لك منه ما مهّدت لنفسك فآثر نفسك عن إصلاح ولدك فإنّما أنت جامع لأحد رجلين: إمّا رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت وإمّا رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له، وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك ولا تبرد له على ظهرك فارج لمن مضى رحمة الله وثق لمن بقي برزق الله[(٥)].

بيان: قال في النهاية: برد لي على فلان حقّ أي ثبت.

٥٤٩ - **ختص:** كتب معاوية لعنه الله إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد يا عليّ لأضربنّك بشهاب قاطع لا يذكيه الريح ولا يطفيه الماء إذا اهتزّ وقع وإذا وقع نقب والسّلام.

فلما قرأ عليّ عليه السلام كتابه دعا بدواة وقرطاس ثمّ كتب: بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد يا معاوية فقد كذبت؛ أنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأنا أبو الحسن والحسين قاتل جدّك وعمّك وخالك وأبيك وأنا الّذي أفنيت قومك في يوم بدر ويوم فتح ويوم أحد وذلك السّيف بيدي

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٩.
(٤) بشارة المصطفى، ص ١٤.
(٥) روضة الكافي، ص ٧٠٥ ح ٢٨.

يحمله ساعدي بجرأة قلبي كما خلفه النبيّ ﷺ بكفّ الوصيّ لم أستبدل بالله ربّاً وبمحمد نبيّاً وبالسّيف بدلاً والسّلام على من اتّبع الهدى.

ثم طوى الكتاب ودعا الطرماح بن عديّ الطائيّ وكان رجلاً مفوّهاً طوالاً فقال له: خذ كتابي هذا فانطلق به إلى معاوية وردّ جوابه فأخذ الطرماح الكتاب ودعا بعمامة فلبسها فوق قلنسوته ثمّ ركب جملاً بازلاً فتيقاً مشرفاً عالياً في الهواء فسار حتّى نزل مدينة دمشق فسأل عن قوّاد معاوية فقيل له: من تريد منهم فقال أريد جرولاً وجهضماً وصلادةً وقلادةً وسوادةً وصاعقةً وأبا المنايا وأبا الحتوف وأبا الأعور السّلمي وعمرو بن العاص وشمر بن ذي الجوشن والهدى بن محمّد بن الأشعث الكنديّ فقيل إنّهم مجتمعون عند باب الخضراء فنزل وعقل بعيره وتركهم حتّى اجتمعوا فركب إليهم فلمّا بصروا به قاموا إليه يهزئون به فقال واحد منهم يا أعرابي عندك خبر من السّماء قال: نعم جبرائيل في السّماء وملك الموت في الهواء وعليّ في القفاء فقال له: يا أعرابي من أين أقبلت؟ قال: من عند التقي النقي إلى المنافق الردي قال له: يا أعرابي فما تنزل إلى الأرض حتّى نشاورك. قال: والله ما في مشاورتكم بركة ولا مثلي يشاور أمثالكم قالوا: يا أعرابي فإنّا نكتب إلى يزيد بخبرك وكان يزيد يومئذٍ وليّ عهدهم فكتبوا إليه أمّا بعد يا يزيد فقد قدم علينا من عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام أعرابي له لسان يقول فما يمل ويكثر فلا يكلّ والسّلام. فلمّا قرأ يزيد الكتاب أمر أن يهول عليه وأن يقام له سماطان بالباب بأيديهم أعمدة الحديد فلمّا توسّطهم الطرماح قال: من هؤلاء كأنهم زبانية مالك في ضيق المسالك عند تلك الهوالك؟ قالوا: اسكت هؤلاء أعدّوا ليزيد فلم يلبث أن خرج يزيد فلمّا نظر إليه قال: السلام عليك يا أعرابي قال: الله السلام المؤمن المهيمن على ولد أمير المؤمنين قال: إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام قال: سلامه معي من الكوفة قال: إنّه يعرض عليك الحوائج قال: أمّا أوّل حاجتي إليه فنزع روحه من بين جنبيه وأن يقوم من مجلسه حتّى يجلس فيه من هو أحقّ به وأولى منه قال له: يا أعرابيّ فإنّا ندخل عليه فما فيك حيلة قال: لذلك قدمت فاستأذن له على أبيه.

فلما دخل على معاوية ونظر إلى معاوية والسرير قال: السلام عليك أيّها الملك قال: وما مَنَعَك أن تقول يا أمير المؤمنين قال: نحن المؤمنون فمن أمّرك علينا؟ فقال: ناولني كتابك قال إنّي لأكره أن أطأ بساطك قال: فناوله وزيري قال: خان الوزير وظلم الأمير قال: فناوله غلامي قال: غلام سوء اشتراه مولاه من غير حلّ واستخدمه في غير طاعة الله قال: فما الحيلة يا أعرابي؟ قال: ما يحتال مؤمن مثلي لمنافق مثلك قم صاغراً فخذه.

فقام معاوية صاغراً فتناول منه ثمّ فضّه وقرأه ثمّ قال: يا أعرابيّ كيف خلّفت عليّاً قال: خلّفته والله جلداً حرباً ضابطاً كريماً شجاعاً جوداً لم يلق جيشاً إلاّ هزمه ولا قرناً إلاّ أراده ولا قصراً إلاّ هدمه قال: فكيف خلّفت الحسن والحسين؟ قال: خلّفتهما صلوات الله عليهما

صحيحين فصيحين كريمين شجاعين جوادين شابين طريين يصلحان للدنيا والآخرة قال: فكيف خلّفت أصحاب عليّ؟ قال: خلّفتهم وعليّ بينهم كالبدر وهم كالنّجوم إن أمرهم ابتدروا وإن نهاهم ارتدعوا فقال له: يا أعرابي ما أظنّ بباب عليّ أحداً أعلم منك قال: ويلك استغفر ربّك وصم سنة كفّارة لما قلت كيف لو رأيت الفصحاء الأدباء النطقاء ووقعت في بحر علومهم غرقت يا شقي. قال: الويل لأمّك قال: بل طوبى لها ولدت مؤمناً يغمز منافقاً مثلك قال له: يا أعرابي هل لك في جائزة قال: أرى استنقاص روحك فكيف لا أرى استنقاص مالك فأمر له بمائة ألف درهم فقال: أزيدك يا أعرابي قال: أسد يداً سُدْ أبداً. فأمر له بمائة ألف أُخرى فقال: ثلّثها فإنّ الله فرد ثمّ ثلّثها فقال: الآن ما تقول؟ قال: أحمد الله وأذمّك. قال: ولم ويلك؟ قال: لأنّه لم يكن لك ولا لأبيك ميراثاً إنّما هو من بيت مال المسلمين أعطيتنيه. ثم أقبل معاوية على كاتبه فقال: اكتب للأعرابي جواباً فلا طاقة لنا به فكتب أمّا بعد يا عليّ فلأُوجّهنّ إليك بأربعين حملاً من خردل مع كلّ خردلة ألف مقاتل يشربون الدجلة ويسقون الفرات.

فلما نظر الطرماح إلى ما كتب به الكاتب أقبل على معاوية فقال: سوءة لك يا معاوية فلا أدري أيكما أقلّ حياءً أنت أم كاتبك؟ ويلك لو جمعت الجنّ والإنس وأهل الزّبور والفرقان كانوا لا يقولون بما قلت قال: ما كتبه عن أمري قال: إن لم يكن كتبه عن أمرك فقد استضعفك في سلطانك وإن كان كتبه بأمرك فقد استحييت لك من الكذب أمن أيّهما تعتذر ومن أيّهما تعتبر أما إنّ لعليّ صلوات الله عليه ديكاً أشتر جيداً أخضر يلتقط الخردل بجيشه فيجمعه في حوصلته. قال: ومن ذلك يا أعرابي قال: ذلك مالك بن الحارث الأشتر.

ثم أخذ الكتاب والجائزة وانطلق به إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأقبل معاوية على أصحابه فقال: نرى لو وجّهتكم بأجمعكم في كلّ ما وجّه به صاحبه ما كنتم تؤدّون عنّي عشر عشير ما أدّى هذا عن صاحبه(١).

بيان: الطرماح بكسر الطاء والراء وتشديد الميم. وقال الجوهريّ: فاه بالكلام [على زنة قال - و- تفوه]: لفظ به. والمفوه: المنطيق وقال: بزل البعير: فطر نابه أي انشقّ فهو بازل ذكراً كان أو أنثى وذلك في السّنة التاسعة وربما بزل في السنة الثامنة وقال: يقال: جمل فتيق إذا انفتق سمناً. وفي بعض النسخ بالنون قال الجوهريّ الفنيق: الفحل المكرم. وقال الجرول: الحجارة. والجهضم: الضخم الهامة المستدير الوجه. والأسد. والصلد والصلب: الأملس. ويحتمل أن تكون تلك أسامي خدمه وأن يكون قال ذلك نبزاً واستهزاءاً. والسّماط بالكسر: الصفّ من الناس والنخل. والجلد: الصلابة والجلادة. تقول منه جلد الرّجل بالضّم فهو جلد ذكره الجوهريّ وقال: حرب الرّجل بالكسر: اشتدّ

(١) الاختصاص، ص ١٣٨.

غضبه. ورجل حرب وأسد حرب. «أسد يداً سُدْ أبداً» أي أعط نعمة تكون أبداً سيّداً للقوم. والأجيد: الحسن العنق أو طويله. والأعسر هو الذي يعمل باليد اليسرى. ويقال: إنّه أشدّ شيء رمياً.

٥٥٠ - **أقول:** وجدت الرواية بخطّ بعض الأفاضل باختلاف ما فأحببت إيرادها على هذا الوجه أيضاً قال: قال الشيخ الأديب أبو بكر بن عبد العزيز البستيّ بالأسانيد الصحاح إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا رجع من وقعة الجمل كتب إليه معاوية بن أبي سفيان عليه اللعنة بسم الله الرّحمٰن الرّحيم من عبد الله وابن عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب أمّا بعد فقد اتّبعت ما يضرّك وتركت ما ينفعك وخالفت كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وقد انتهى إليّ ما فعلت بحواري رسول الله صلى الله عليه وآله طلحة والزّبير وأم المؤمنين عائشة فوالله لأرمينّك بشهاب لا تطفيه المياه ولا تزعزعه الرّياح إذا وقع وقب، وإذا وقب ثقب، وإذا ثقب نقب، وإذا نقب التهب، فلا تغرّنك الجيوش واستعدّ للحرب فإنّي ملاقيك بجنود لا قبل لك بها والسّلام.

فلما وصل الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكّه وقرأه ودعى بدواة وقرطاس وكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وابن عبده عليّ بن أبي طالب أخي رسول الله وابن عمّه ووصيّه ومغسّله ومكفّنه وقاضي دينه وزوج ابنته البتول وأبي سبطيه الحسن والحسين إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد فإنّي أفنيت قومك يوم بدر وقتلت عمّك وخالك وجدّك والسيف الّذي قتلتهم به معي يحمله ساعدي بثبات من صدري وقوّة من بدني ونصْرَة من ربّي كما جعله النبيّ صلى الله عليه وآله في كفي فوالله ما اخترت على الله رباً ولا على الإسلام ديناً ولا على محمّد نبيّاً ولا على السيف بدلاً فبالغ من رأيك فاجتهد ولا تقصّر فقد استحوذ عليك الشيطان واستفزّك الجهل والطّغيان وسيعلم الّذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام على من اتّبع الهدى وخشي عواقب الرّدى.

ثم طوى الكتاب وختمه ودعى رجلاً من أصحابه يقال له الطرماح بن عديّ بن حاتم الطائيّ وكان رجلاً جسيماً طويلاً أديباً لبيباً فصيحاً لسناً متكلّماً لا يكلّ لسانه ولا يعيى عن الجواب فعمّمه بعمامته ودعى له بجمل بازل وثيق فاتق أحمر فسوّى راحلته ووجهه إلى دمشق فقال له: يا طرماح انطلق بكتابي هذا إلى معاوية بن أبي سفيان وخذ الجواب.

فأخذ الطرماح الكتاب وكوّر بعمامته وركب مطيّته وانطلق حتّى دخل دمشق فسأل عن دار الإمارة فلمّا وصل إلى الباب قال له الحجّاب من بغيتك؟ قال: أريد أصحاب الأمير أوّلاً ثم الأمير ثانياً فقالوا له: من تريد منهم؟ قال: أريد جعشماً وجرولاً ومجاشعاً وباقعاً[1] - وكان

---

(١) الجعشم: القصير الغليظ والشديد. ولعله أراد الجردل بل الجرول، والجردل: بمعنى الموبق بعمله والمشرف على السقوط. والمجاشع: الشديد الحرص. والباقع: الداهية من الدواهي. [النمازي].

أراد أبا الأعور السلمي وأبا هريرة الدّوسي وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم - فقالوا: هم بباب الخضراء يتنزّهون في بستان.

فانطلق وسار حتّى أشرف على ذلك الموضع فإذا قوم ببابه فقالوا: جاءنا أعرابيّ بدوي دوين إلى السّماء تعالوا نستهزئ به فلمّا وقف عليهم قالوا: يا أعرابي هل عندك من السّماء خبر؟ فقال: بلى الله تعالى في السّماء وملك الموت في الهواء وأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب في القفاء فاستعدّوا لما ينزل عليكم من البلاء يا أهل الشقاوة والشقاء. قالوا: من أين أقبلت؟ قال: من عند حرّ تقي نقيّ زكيّ مؤمن رضيّ مرضيّ. فقالوا: وأيّ شيء تريد؟ فقال: أريد هذا الدعيّ الرديّ المنافق المردي الّذي تزعمون أنّه أميركم فعلموا أنّه رسول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى معاوية فقالوا: هو في هذا الوقت مشغول. قال: بماذا بوعد أو وعيد؟ قالوا: لا ولكنه يشاور أصحابه فيما يلقيه غداً قال: فسحقاً له وبعداً.

فكتبوا إلى معاوية بخبره: أمّا بعد فقد ورد من عند عليّ بن أبي طالب رجل أعرابي بدوي فصيح لسن طلق ذلق يتكلّم فلا يكلّ ويطيل فلا يملّ فأعدّ لكلامه جواباً بالغاً ولا تكن عنه غافلاً ولا ساهياً والسّلام. فلما علم الطرماح بذلك أناخ راحلته ونزل عنها وعقلها وجلس مع القوم الّذين يتحدّثون.

فلما بلغ الخبر إلى معاوية أمر ابنه يزيد أن يخرج ويضرب المصاف على باب داره فخرج يزيد وكان على وجهه أثر ضربة فإذا تكلم كان جهير الصوت فأمر بضرب المصاف ففعلوا ذلك وقالوا للطرماح: هل لك أن تدخل على باب أميرالمؤمنين فقال: لهذا جئت وبه أمرت فقام إليه ومشى فلمّا رأى أصحاب المصاف وعليهم ثياب سود فقال: من هؤلاء القوم كأنّهم زبانية لمالك على ضيق المسالك فلمّا دنى من يزيد نظر إليه فقال: من هذا الميشوم ابن الميشوم الواسع الحلقوم المضروب على الخرطوم؟! فقالوا: مه يا أعرابي ابن الملك يزيد فقال: ومن يزيد لا زاد الله مزاده ولا بلغه مراده ومن أبوه؟ كانا قدماً غائصين في بحر الجلافة واليوم استويا على سرير الخلافة فسمع [يزيد] ذلك واستشاط وهمّ بقتله غضباً ثمّ كره أن يحدث دون إذن أبيه فلم يقتله خوفاً منه وكظم غيظه وخبا ناره وسلّم عليه فقال: يا أعرابي إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام فقال: سلامه معي من الكوفة فقال يزيد: سلني عمّا شئت فقد أمرني أمير المؤمنين بقضاء حاجتك فقال: حاجتي إليه أن يقوم من مقامه حتّى يجلس من هو أولى منه بهذا الأمر! قال: فماذا تريد آنفاً قال: الدّخول عليه فأمر برفع الحجاب وأدخله إلى معاوية وصواحبه.

فلما دخل الطرماح وهو متنعّل قالوا له: اخلع نعليك فالتفت يميناً وشمالاً ثمّ قال: هذا ربّ الواد المقدّس فأخلع نعلي فنظر فإذا هو معاوية قاعد على السرير مع قواعده وخاصّته ومثل بين يديه خدمه فقال: السلام عليك أيّها الملك العاصي فقرب إليه عمرو بن العاص

فقال: ويحك يا أعرابي ما منعك أن تدعوه بأمير المؤمنين؟ فقال الأعرابي: ثكلتك أمّك يا أحمق نحن المؤمنون فمن أمّره علينا بالخلافة.

فقال معاوية: ما معك يا أعرابيّ؟ فقال: كتاب مختوم من إمام معصوم فقال: ناولنيه. قال: أكره أن أطأ بساطك. قال: ناوله وزيري هذا وأشار إلى عمرو بن العاص. فقال: هيهات هيهات ظلم الأمير وخان الوزير. فقال: ناوله ولدي هذا وأشار إلى يزيد. فقال: ما نرضى بإبليس فكيف بأولاده؟ فقال: ناوله مملوكي هذا وأشار إلى غلام له قائم على رأسه. فقال الأعرابي: مملوك اشتريته [من] غير حلّ وتستعمله في غير حقّ! قال: ويحك يا أعرابي فما الحيلة وكيف نأخذ الكتاب؟ فقال الأعرابي: أن تقوم من مقامك وتأخذه بيدك على غير كره منك فإنّه كتاب رجل كريم وسيّد عليم وحبر حليم بالمؤمنين رؤوف رحيم.

فلما سمع منه معاوية وثب من مكانه وأخذ منه الكتاب بغضب وفكّه وقرأه ووضعه تحت ركبتيه ثمّ قال: كيف خلّفت أبا الحسن والحسين؟ قال: خلّفته بحمدالله كالبدر الطالع حواليه أصحابه كالنجوم الثواقب اللّوامع إذا أمرهم بأمر ابتدروا إليه وإذا نهاهم عن شيء لم يتجاسروا عليه وهو من بأسه يا معاوية في تجلّد بطل شجاع سيّد سميدع إن لقي جيشاً هزمه وأرداه وإن لقي قرناً سلبه وأفناه وإن لقي عدوّاً قتله وجزاه.

قال معاوية: كيف خلّفت الحسن والحسين؟ قال: خلّفتهما بحمدالله شابّين نقيّين تقيّين زكيّين عفيفين صحيحين سيّدين طيّبين فاضلين عاقلين عالمين مصلحين في الدّنيا والآخرة.

فسكت معاوية ساعة فقال: ما أفصحك يا أعرابيّ! قال: لو بلغت باب أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام لوجدت الأدباء الفصحاء البلغاء الفقهاء النجباء الأتقياء الأصفياء ولرأيت رجالاً سيماهم في وجوههم من أثر السّجود حتّى إذا استعرت نار الوغى قذفوا بأنفسهم في تلك الشعل لابسين القلوب على مدارعهم قائمين ليلهم صائمين نهارهم لاتأخذهم في الله ولا في وليّ الله عليّ لومة لائم فإذا أنت يا معاوية رأيتهم على هذه الحال غرقت في بحر عميق لاتنجو من لجّته.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية سرّاً: هذا رجل أعرابي بدوي لو أرضيته بالمال لتكلّم فيك بخير. فقال معاوية: يا أعرابيّ ما تقول في الجائزة أتأخذها منّي أم لا؟ قال: بل آخذها فوالله أنا أريد استقباض روحك من جسدك فكيف باستقباض مالك من خزائنك فأمر له بعشرة آلاف درهم ثمّ قال: أتحب أن أزيدك؟ قال: زد فإنّك لاتعطيه من مال أبيك وإنّ الله تعالى وليّ من يزيد قال: أعطوه عشرين ألفاً قال الطرماح: اجعلها وتراً فإن الله تعالى هو الوتر ويحب الوتر قال: أعطوه ثلاثين ألفاً فمدّ الطرماح بصره إلى إيراده فأبطأ عليه ساعة فقال: يا ملك تستهزئ بي على فراشك؟ فقال: لماذا يا أعرابي؟ قال: إنّك أمرت لي بجائزة لا أراها ولاتراها فإنّها بمنزلة الرّيح الّتي تهب من قلل الجبال! فأحضر المال ووضع بين يدي الطّرماح فلمّا قبض المال سكت ولم يتكلّم بشيء.

[ف] قال عمرو بن العاص: يا أعرابي كيف ترى جائزة أمير المؤمنين فقال الأعرابي: هذا مال المسلمين من خزانة ربّ العالمين أخذه عبد من عباد الله الصّالحين.

فالتفت معاوية إلى كاتبه وقال: اكتب جوابه فوالله لقد أظلمت الدّنيا عليّ وما لي طاقة فأخذ الكاتب القرطاس فكتب:

بسم الله الرّحمن الرّحيم من عبد الله وابن عبده معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب أمّا بعد فإنّي أوجّه إليك جنداً من جنود الشّام مقدّمته بالكوفة وساقته بساحل البحر ولأرمينّك بألف حمل من خردل تحت كلّ خردل ألف مقاتل فإن أطفأت نار الفتنة وسلّمت إلينا قتلة عثمان وإلاّ فلا تقل غال ابن أبي سفيان ولا يغرّنك شجاعة أهل العراق واتّفاقهم فإنّ اتّفاقهم نفاق فمثلهم كمثل الحمار الناهق يميلون مع كلّ ناعق والسلام.

فلمّا نظر الطرماح إلى ما يخرج تحت قلمه قال: سبحان الله لا أدري أيّكما أكذب أنت بادّعائك أم كاتبك فيما كتب! لو اجتمع أهل الشرق والغرب من الجنّ والإنس لم يقدروا به على ذلك فنظر معاوية فقال: والله لقد كتب من غير أمري فقال: إن كنت لم تأمره فقد استضعفك وإن كنت أمرته فقد استفضحك.

أو قال: إن كتب من تلقاء نفسه فقد خانك، وإن أمرته بذلك فأنتما خائنان كاذبان في الدّنيا والآخرة ثمّ قال الطرماح: يا معاوية أظنّك تهدد البطّ بالشطّ.

فدع الوعيد فما وعيدك ضائر أطنين أجنحة الذباب يضير

والله إنّ لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لديكاً عليّ الصوت عظيم المنقار يلتقط الجيش بخيشومه ويصرفه إلى قانصته ويحطّه إلى حوصلته فقال معاوية: والله كذلك هو مالك ابن الأشتر النخعيّ ثمّ قال: ارجع بسلام منّي.

وفي رواية أخرى: خذ المال والكتاب وانصرف فجزاك الله عن صاحبك خيراً فأخذ الطرماح الكتاب وحمل المال وخرج من عنده وركب مطيّته وسار.

ثم التفت معاوية إلى أصحابه فقال: لو أعطيت جميع ما أملك لرجل منكم لم يؤدّ عنّي عشر عشير ما أدّى هذا الأعرابيّ عن صاحبه.

فقال عمرو بن العاص: لو أنّ لك قرابة كقرابة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وكان معك الحقّ كما هو معه لأدّينا عنك أفضل من ذلك أضعافاً مضاعفة فقال معاوية: فضّ الله فاك وقطع شفتيك والله لكلامك عليّ أشدّ من كلام الأعرابيّ ولقد ضاقت عليّ الدنيا بحذافيرها.

توضيح: الزعزعة: تحريك الرياح لشجرة ونحوها ذكره الفيروز آباديّ وقال: وقب الظلام: دخل والشمس وقباً ووقوباً: غابت. والوثيق: المحكم. والمصاف: جمع المصف وهو موضع الصف. والسّميدع بفتح السين والميم بعدها مثناة تحتانية: السيّد

الكريم الشريف السخيّ الموطأ الأكناف والشجاع وفي الصحاح: ضاره يضوره ويضيره ضوراً وضيراً أي ضره.

٥٥١ - ٥٥٢ - **أقول:** نقل من خطّ الشهيد قدّس سرّه أنّه قال: [قال] معاوية لأبي المرقع الهمداني: اشتم علياً. قال: بل أشتم شاتمه وظالمه. قال: أهو مولاك؟ قال: ومولاك إن كنت من المسلمين! قال: فادع عليه قال: بل أدعو على من هو دونه. قال: ما تقول في قاتله؟ قال: هو في النّار مع من سرّه ذلك قال: من قومك؟ قال: الزرق من همدان الّذين أسحبوك يوم صفّين.

ومن خطّه أيضاً قال: روى أبوعمر الزاهد في كتاب فائت الجمهرة أنّ رجلاً سأل معاوية يوم صفّين عن مسألة فقال له: سل علياً فإنّه أعلم منّي قال: فقال له الرجل: جوابك أحبّ إليّ من جوابه فقال له: لقد كرهت رجلاً رأيت رسول الله ﷺ يغره [بالعلم غراً] ولقد رأيت عمر إذا أشكل عليه الشيء قال: أهاهنا أبوالحسن؟ قم لا أقام الله رجليك ومحا اسمه من الديوان. قال ابن عبّاس: فكنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءنا الرّجل وقد سبقه خبره إلينا فقال: يا أمير المؤمنين قد جئتك مستأمناً فقال له: أنت صاحب الكلام أنت تعرف معاوية من أنا؟ فكيف رأيت جواب المنافق قم لا أقام الله رجليك. فبقي مذبذباً.

وذكر ابن النّديم في الفهرست أنّ هذا أبا عمر كان نهاية في النصب والميل على عليّ عليه السلام.

٢١ - باب بدء قصة التحكيم والحكمين وحكمهما بالجور رأي العين

وقد مرّ بعض ذلك فيما مضى من قصص صفّين.

٥٥٣ - قال ابن أبي الحديد: قال نصر: روى عمر بن سعد عن مجالد عن الشعبيّ عن زياد ابن النضر أنّ علياً عليه السلام بعث أربع مائة عليهم شريح بن هانئ ومعه عبد الله بن العبّاس يصلّي بهم ومعهم أبو موسى الأشعريّ وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربع مائة ثمّ إنّهم خلّوا بين الحكمين فكان رأي عبد الله بن قيس في [عبد الله بن] عمر بن الخطّاب وكان يقول: والله إن استطعت لأحيين سنّة عمر.

قال نصر: وفي حديث محمّد بن عبيد الله عن الجرجاني قال: لمّا أراد أبو موسى المسير قام إليه شريح بن هانئ فأخذ بيده وقال: يا أبا موسى إنّك قد نصبت لأمر عظيم لا يجبر صدعه ولا يستقال فتنته ومهما تقل من شيء عليك أو لك تثبت حقّه وترى صحّته وإن كان باطلاً وإنّه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم عليّ وقد كانت منك تثبيطة أيّام الكوفة والجمل وإن تشفعها بمثلها يكن الظنّ بك يقيناً والرجاء منك يأساً. فقال أبو موسى: ما ينبغي لقوم اتّهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلاً أو أجرّ إليهم حقاً.

وروى المدائنيّ في كتاب صفّين قال: لمّا اجتمع أهل العراق على طلب أبي موسى

وأحضروه للتحكيم على كره من عليّ عليه السلام له أتاه عبد الله بن العبّاس وعنده وجوه النّاس والأشراف فقال له: يا أبا موسى إنّ النّاس لم يرضوا بك و[لم] يجتمعوا عليك لفضل لاتشارك فيه وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدمين قبلك ولكن أهل العراق أبوا إلاّ أن يكون الحكم يمانياً ورأوا أنّ معظم أهل الشّام يمان وأيم الله إنّي لأظنّ ذلك شراً لك ولنا فإنّه قد ضمّ إليك داهية العرب وليس في معاوية خلّة يستحقّ بها الخلافة فإن تقذف بحقّك على باطله تدرك حاجتك منه وإن يطمع باطله في حقّك يدرك حاجته منك.

واعلم يا أبا موسى أنّ معاوية طليق الإسلام وأنّ أباه رأس الأحزاب وأنّه يدّعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة فإن زعم لك أنّ عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يحميه ما يشتهي ويوجره ما يكره ثمّ استعمله عثمان برأي عمر، وما أكثر ما استعملا ممّن لم يدّع الخلافة واعلم أنّ لعمرو مع كلّ شيء يسرّك خبيثاً يسوؤك، ومهما نسيت فلا تنس أنّ عليّاً عليه السلام بايعه القوم الّذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وأنّها بيعة هدى وأنّه لم يُقاتل إلاّ العاصين والناكثين.

فقال أبو موسى: رحمك الله والله ما لي إمام غير عليّ وإنّي لواقف عند ما رآى وإنّ حقّ الله أحبّ إليّ من رضا معاوية وأهل الشّام وما أنت وأنا إلاّ بالله.

وروى البلاذريّ في كتاب أنساب الأشراف قال: قيل لعبدالله بن العباس: ما منع عليّاً أن يبعثك مع عمرو يوم التحكيم قال: منعه حاجز القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدة أما والله لو كنت لقعدت على مدارج أنفاسه ناقضاً ما أبرم ومبرماً ما نقض أطير إذا أسفّ وأسفّ إذا طار ولكن سبق قدر وبقي أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لأميرالمؤمنين.

قال نصر: وفي حديث عمرو بن شمر قال: أقبل أبو موسى إلى عمرو فقال: يا عمرو هل لك في أمر هو للأمة صلاح، ولصلحاء النّاس رضا نُولّي هذا الأمر عبد الله بن عمر بن الخطّاب الّذي لم يدخل في شيء من هذه الفتنة ولا في هذه الفرقة قال: وكان عبد الله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن الزبير قريبين يسمعان الكلام فقال عمرو: فأين أنت يا أبا موسى عن معاوية فأبى عليه أبو موسى فقال عمرو: ألست تعلم أنّ عثمان قتل مظلوماً ومعاوية وليّ عثمان وقد قال الله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَٰنًا﴾[1] ثمّ إنّ بيت معاوية في قريش ما قد علمت وهو أخو أمّ حبيبة أمّ المؤمنين وزوج النبيّ صلى الله عليه وآله وقد صحبه وهو أحد الصحابة ثمّ عرض له بالسلطان فقال له: إن هو ولي الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحد قط بمثلها.

فقال أبو موسى: اتّق الله يا عمرو فإنّ هذا الأمر ليس على الشرف إنّما هو لأهل الدّين والفضل مع أنّي لو كنت أعطيته أفضل قريش شرفاً لأعطيته عليّ بن أبي طالب.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٣.

وأمّا قولك إنّه وليّ عثمان فإنّي لم أكن أولّيه إيّاه لنسبه من عثمان وأدع المهاجرين الأوّلين. وأما تعريضك لي بالإمرة والسّلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه ما وليته ولا كنت أرتشي في الله ولكنّك إن شئت أحيينا سنّة عمر بن الخطّاب.

وروى أنّه كان يقول غير مرّة: والله إن استطعت لأحيينّ اسم عمر بن الخطّاب.

فقال عمرو بن العاص: إن كنت إنّما تريد أن تبايع ابن عمر لدينه فما يمنعك من ابني عبد الله وأنت تعرف فضله وصلاحه! فقال: إنّ ابنك لرجل صدق ولكنّك قد غمسته في هذه الفتنة.

قال نصر وروي عن النضر بن صالح قال: كنت مع شريح بن هانئ في غزوة سجستان فحدّثني أنّ عليّاً عليه السلام أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص وقال له: قل لعمرو إذا لقيته إنّ عليّاً يقول لك: إنّ أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه وإن نقصه وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحبّ إليه وإن زاده والله يا عمرو إنّك لتعلم أين موضع الحقّ فلم تتجاهل أبأن أوتيت طمعاً يسيراً صرت لله ولأوليائه عدوّاً فكأنّ ما أوتيت قد زال عنك فلا تكن للخائنين خصيماً ولا للظالمين ظهيراً أما إنّي أعلم أنّ يومك الّذي أنت فيه نادم هو يوم وفاتك، وسوف تتمنّى أنّك لم تظهر لي عداوة ولم تأخذ على حكم الله رشوة.

قال شريح: فأبلغته ذلك يوم لقيته فتمعّر وجهه وقال: متى كنت قابلاً مشورة عليّ أو منيباً إلى رأيه أو معتداً بأمره!!!.

فقلت: وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته لقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه فقال: إنّ مثلي لا يكلّم مثلك فقلت بأيّ أبويك ترغب عن كلامي بأبيك الوشيظ أم بأمك النابغة فقام من مكانه وقمت.

قال نصر: وروى أبوجناب الكلبيّ أنّ عمراً وأبا موسى لمّا التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدّم أبا موسى في الكلام ويقول: إنّك صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي وأنت أكبر منّي سنّاً فتكلم أنت ثمّ أتكلّم أنا فجعل ذلك سنّة وعادة بينهما وإنّما كان مكراً وخديعة واغتراراً له بأن يقدمه فيبدأ بخلع عليّ ثمّ يرى رأيه.

قال ابن ديزيل في كتاب صفّين: أعطاه عمرو صدر المجلس وكان لا يتكلّم قبله وأعطاه التقدّم في الصلاة وفي الطعام لايأكل حتّى يأكل وإذا خاطبه فإنّما يخاطبه بأجلّ الأسماء ويقول له: يا صاحب رسول الله حتّى اطمأن إليه وظنّ أنّه لايغشّه فلمّا انمخضت الزبدة بينهما قال له عمرو: أخبرني ما رأيك يا أبا موسى قال: أرى أن أخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون من يشاؤون! فقال عمرو: الرّأي والله ما رأيت.

فأقبلا إلى النّاس وهم مجتمعون فتكلّم أبو موسى فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمّة فقال عمرو: صدق ثمّ قال له: تقدّم يا أبا موسى فتكلّم.

فقام [أبو موسى] ليتكلّم فدعاه ابن عبّاس فقال: ويحك والله إنّي لأظنه خدعك إن كنتما قد اتّفقتما على أمر فقدّمه قبلك ليتكلّم به ثمَّ تكلم أنت بعده فإنّه رجل غدّار ولا آمن أن يكون أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قمت به في النّاس خالفك - وكان أبو موسى رجلاً مغفلاً - فقال: إيهاً عنك إنّا قد اتّفقنا.

فتقدّم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أيّها النّاس إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأمّة فلم نر شيئاً هو أصلح لأمر هؤلاء ولا ألمّ لشعثها من أن لا يبين أمورها وقد اجتمع رأيي ورأي صاحبي على خلع عليّ ومعاوية وأن يُستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين يولون أمورهم من أحبّوا وإنّي قد خلعت عليّاً ومعاوية فاستقبلوا أموركم وولّوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً. [ثمّ تنحّى].

فقام عمرو بن العاص في مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأُثبت صاحبي معاوية في الخلافة فإنّه وليّ عثمان والطالب بدمه وأحقّ النّاس بمقامه. فقال له أبو موسى: ما لك لا وفّقك الله قد غدرت وفجرت إنّما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث.

فقال له عمرو: إنّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنّعه بالسوط وحمل ابن لعمرو على شريح فقنّعه بالسّوط وقام النّاس فحجزوا بينهما فكان شريح بعد ذلك يقول: ما ندمت على شيء ندامتي أن لا أكون ضربت عمراً بالسيف بدل السوط لكن أتى الدهر بما أتى به.

والتمس أصحاب عليّ عليه السلام أبا موسى فركب ناقته ولحق بمكّة فكان ابن عبّاس يقول: قبح الله أبا موسى لقد حذّرته وهديته إلى الرّأي فما عقل وكان أبو موسى يقول: لقد حذّرني ابن عبّاس غدرة الفاسق ولكن اطمأننت إليه [وظننت] أنّه لا يؤثر شيئاً على نصيحة الأمّة.

قال نصر: ورجع عمرو إلى منزله من دومة الجندل فكتب إلى معاوية:

أتتك الخلافة مزفوفةً هنيئاً مريئاً تقرّ العيونا
تزفّ إليك زفاف العروس بأهون من طعنك الدّار عينا

إلى آخر الأبيات.

فقام سعيد بن قيس الهمدانيّ وقال: والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدتما على مانحن الآن عليه وما ضلالكما بلازم لنا وما رجعتما إلاّ بما بدأتما به وإنّا اليوم لعلى ما كنا عليه أمس. وقام كردوس بن هانئ مغضباً وأنشد أبياتاً في الرضا بخلافة عليّ عليه السلام وإنكار خلافة معاوية وحكم الحكمين وتكلم جماعة أخرى بمثل ذلك.

قال نصر: وكان عليّ عليه السلام لمّا سمع ما خدع به عمرو أبا موسى غمّه ذلك وساءه وخطب

النّاس وقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل[1].

إلى آخر ما سيأتي برواية السيّد [الرضيّ] رحمه الله وقال:

ألا إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب وأحييا ما أمات واتّبع كلّ واحد منهما هواه وحكم بغير حجّة ولا بيّنة ولا سنّة ماضية واختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشد الله فاستعدّوا للجهاد وتأهبوا للمسير وأصبحوا في معسكركم يوم كذا.

قال نصر: فكان عليّ عليه السلام بعد الحكومة إذا صلّى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة وسلّم قال: اللّهمَّ العن معاوية وعمراً وأبا موسى وحبيب بن مسلمة وعبد الرحمان بن خالد والضّحاك بن قيس والوليد بن عقبة فبلغ ذلك معاوية فكان إذا صلّى لعن عليّاً وحسناً وحسيناً وابن عبّاس وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر.

وزاد ابن ديزيل في أصحاب معاوية أبا الأعور السّلمي.

وروى ابن ديزيل أيضاً أنّ أبا موسى كتب من مكّة إلى عليّ عليه السلام أمّا بعد فإنّي قد بلغني أنّك تلعنني في الصلاة ويؤمّن خلفك الجاهلون وإنّي أقول كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

بيان: قال في القاموس: الدهاء: النكر وجودة الرّأي والأدب ورجل داه وده وداهية. وقال في النهاية: أسف الطّائر إذا دنى من الأرض. وأسف الرّجل للأمر إذا قاربه. وفي الصّحاح: تمعّر لونه عند الغضب: تغيّر. وفي القاموس: الوشيظ كأمير: الأتباع والخدم والأجلاف ولفيف من النّاس ليس أصلهم واحداً. وهم وشيظة في قومهم: حشو فيهم. وقال: غفل عنه غفولاً: تركه وسها عنه كأغفله والمغفل كمعظم: من لا فطنة له. وقال: إيهاً بالفتح وبالنصب أمر بالسكوت. وقال: قنع رأسه بالسّوط: غشاه بها.

أقول: رجعنا إلى كتاب نصر فوجدنا ما أخرجه ابن أبي الحديد موافقاً له في المعنى.

٥٥٤ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام أجاب به أبا موسى الأشعريّ عن كتاب كتبه إليه من المكان الّذي اتّعدوا فيه للحكومة وذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي:

فإنّ النّاس قد تغيّر كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى وإنّي نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً اجتمع به أقوام أعجبتهم أنفسهم فإنّي أداوي منهم قرحاً أخاف أن يعود علقاً وليس رجل - فاعلم - أحرص على جماعة أمة محمّد صلى الله عليه وآله وألفتها منّي أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب وسأفي بالذي وأيت على نفسي وإن تغيّرت عن صالح ما فارقتني عليه فإنّ الشقيّ من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة وإنّي لأعبد أن يقول قائل بباطل وأن أفسد أمراً قد أصلحه الله فدع ما لا تعرف فإنّ شرار النّاس طائرون إليك بأقاويل السّوء والسّلام[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٢٦.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٢٣ خ ٣١٦.

[قوله عليه السلام] «من حظّهم» أي من الآخرة.

[وقوله عليه السلام]: «منزلاً معجباً». قال ابن أبي الحديد: أي يعجب من رآه أي يجعله متعجباً منه وهذا الكلام شكوى من أصحابه وأنصاره من أهل العراق فإنّه كان اختلافهم عليه واضطرابهم شديداً جدّاً.

والمنزل والنزول هاهنا مجاز واستعارة والمعنى إنّي حصلت في هذا الأمر الّذي حصلت فيه على حال معجبة لمن تأمّلها. وقال الجوهريّ: العجيب: الأمر يتعجّب منه وعجبت من كذا وتعجّبت بمعنى وأعجبني هذا الشيء لحسنه وقد أعجب فلان بنفسه فهو معجب بنفسه وبرأيه والاسم: العجب بالضمّ انتهى.

«فإنّي أداوي منهم قرحاً» قال ابن ميثم: استعار لفظ القرح لما فسد من حاله باجتماعهم على التحكيم ولفظ المداواة لاجتهاده في إصلاحهم وروي «أداري» وكذلك استعار لفظ العلق وهو الدم الغليظ لما يخاف من تفاقم أمرهم وقوله: «فاعلم» اعتراض حسن بين «ليس» وخبرها. بالذي وأيت أي وعدت وضمنت من شرط الصلح على ما وقع عليه. عن صالح ما فارقتني عليه أي من وجوب الحكم بكتاب الله وعدم اتّباع الهوى والاغترار بمقارنة الأشرار.

وقال ابن أبي الحديد: يجوز أن يكون قوله عليه السلام: «وإن تغيّرت» من جملة قوله عليه السلام فيما بعد: «فإنّ الشقيّ» كما تقول: إن خالفتني فإنّ الشقيّ من يخالف الحقّ لكنّ تعلّقه بالسابق أحسن لأنّه أدخل في مدح أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كأنّه يقول: أنا أفي وإن كنت لا تفي والضدّ يظهر حُسْن الضد «وإنّي لأعبد» أي إنّي لآنف من أن يقول غيري قولاً باطلاً فكيف لاآنف ذلك أنا من نفسي.

وقال الجوهريّ: قال أبوزيد: العبد بالتحريك: الغضب والأنف والاسم: العبدة مثل الأنفة وقد عبد أي أنف. «فَدَعْ ما لا تعرف» أي لا تَبْنِ أمرك إلاّ على اليقين. «فإن شرار الناس» أي لاتصغ إلى أقوال الوشاة فإنّ الكذب يخالط أقوالهم كثيراً فلا تصدّق ما عساه يبلغك عنّي فإنّهم سراع إلى أقاويل السّوء.

٥٥٥ - **ما**: المفيد عن عليّ بن مالك النحويّ عن جعفر بن محمّد الحسنيّ عن عيسى بن مهران عن يحيى بن عبد الحميد عن شريك عن عمران بن طفيل عن أبي نجبة قال: سمعت عمّار بن ياسر رحمه الله يعاتب أبا موسى الأشعريّ ويوبّخه على تأخّره عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقعوده عن الدخول في بيعته ويقول له: يا أبا موسى ما الّذي أخرك عن أمير المؤمنين عليه السلام فوالله لئن شككت فيه لتخرجنّ عن الإسلام وأبوموسى يقول له: لاتفعل ودع عتابك لي فإنّما أنا أخوك فقال له عمّار رحمه الله: ما أنا لك بأخ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يلعنك ليلة العقبة وقد هممت مع القوم بما هممت فقال له أبو موسى: أفليس قد استغفر لي؟ قال

عمّار: قد سمعت اللّعن ولم أسمع الاستغفار(١).

٥٥٦ - **نهج** [و] من كلامه عليه السلام لمّا اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة:

أيّها النّاس إنّه لم يزل أمري معكم على ما أحبّ حتّى نهكتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهي لعدوّكم أنهك ولقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهيّاً وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون(٢).

توضيح: قال الجوهريّ: نهَكت الثوب بالفتح نهكاً: لبسته حتّى خلق ونهكت من الطعام: بالغت في أكله. ونهِكته الحمى إذا أجهدته وأضنته ونقضت لحمه وفيه لغة أخرى نهِكته الحمى تنهكه نهكاً ونهكة.

قوله عليه السلام: «وتركت» أي لم يستأصلكم بل فيكم بعد بقيّة وهي لعدوّكم أنهك لأنّ القتل في أهل الشّام كان أشدّ استحراراً والوهن [كان] فيهم أظهر.

قوله عليه السلام: «وليس لي أن أحملكم» أي لا قدرة لي عليه وإن كان يجب عليكم إطاعتي.

٥٥٧ - **نهج**: [و] من كتاب له عليه السلام إلى أهل الأمصار يقصّ فيه ما جرى بينه وبين أهل صفّين:

وكان بدء أمرنا أنّا التقينا والقوم من أهل الشّام والظاهر أنّ ربّنا واحد ونبيّنا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة لانستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق لرسوله صلى الله عليه وآله ولا يستزيدوننا لأمر واحد إلاّ ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء فقلنا: تعالوا نداوي مالا يدرك اليوم بإطفاء النائرة وتسكين العامّة حتّى يشتد الأمر ويستجمع فنقوى على وضع الحقّ في مواضعه فقالوا: بل نداويه بالمكابرة فأبوا حتّى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمشت فلمّا ضرستنا وإيّاهم ووضعت مخالبها فينا وفيهم أجابوا عند ذلك إلى الّذي دعوناهم إليه فأجبناهم إلى ما دعوا وسارعناهم إلى ما طلبوا حتّى استبانت عليهم الحجّة وانقطعت منهم المعذرة فمن تمّ على ذلك منهم فهو الّذي أنقذه الله من الهلكة ومن لجّ وتمادى فهو الراكس الّذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السّوء على رأسه(٣).

توضيح: قوله عليه السلام: «والقوم» عطف على الضمير في «التقينا».

[قوله عليه السلام:] «والظاهر أنّ ربّنا واحد». قال ابن أبي الحديد: لم يحكم لأهل صفّين بالإسلام بل بظاهره. «ولا نستزيدهم» أي لانطلب منهم زيادة في الإيمان في الظاهر «حتى يشتدّ الأمر» أي يستحكم بأن يتمهّد قواعد الخلافة.

وقال الجوهريّ: جنوح الليل: إقباله. وركدت أي دامت وثبتت. ووقدت كوعدت أي

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٨١ مجلس ٧ ح ٣٠٤.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٣٨ خ ٢٠٦.

(٣) نهج البلاغة، ص ٦٠٠ خ ٢٩٦.

اشتعلت. وحمشت أي استقرّت وثبتت. وروي «واستحمشت» وهو أصحّ ذكره ابن أبي الحديد وقال: ومن رواها بالسّين المهملة أراد اشتدّت وصلبت.

وقال الجوهريّ: أحمشت القدر: أشبعت وقودها. وقال: الأحمس: الشديد الصلب وقد حمس بالكسر. «فلما ضرّستنا» أي عضّتنا بأضراسها ويقال: ضرّسهم الدّهر أي اشتدّ عليهم والضرس: العض بالأضراس ولعلّ التشديد هاهنا للمبالغة ويقال: ضرّسته الحرب أي جرّبته وأحكمته. وأنقذت فلاناً من الشرّ واستنقذته وتنقذته وانتقذته خلصته. فنقذ كفرح. والرّكس ردّ الشّيء مقلوباً [و] «ران الله على قلبه» أي طبع وختم. و[قال الطبرسيّ] في مجمع البيان: الدّائرة هي الراجعة بخير أو شرّ ودائرة السّوء: العذاب والهلاك.

وقال ابن أبي الحديد: السّوء المصدر والسوء الاسم والدّوائر أيضاً: الدواهي.

٥٥٨ - **نهج:** [و] من كتاب له عليه السلام إلى معاوية: وإنّ البغي والزّور يوتغان المرء في دينه ودُنياه ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت أنّك غير مدرك ما قد قضي فواته وقد رام أقوام أمراً بغير الحقّ فتأولوا على الله فأكذبهم. فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله ويندم من أمكن الشّيطان من قياده فلم يجاذبه. وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله ولسنا إيّاك أجبنا ولكن أجبنا القرآن إلى حكمه[1].

بيان يوتغان أي يهلكان وفي بعض النسخ: «يذيعان» أي يظهران سرّه ويفضحانه وقال الجوهريّ: الخلل: فساد في الأمر.

قوله عليه السلام: «فتأولوا» قال الراونديّ: معناه قد طلب قوم أمر هذه الأمة فتأوّلوا القرآن كقوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فسمّوا من نصبوه من الأمراء أولي الأمر متحكّمين على الله فأكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة ولا يكون الوالي من قبل الله كذلك.

وقال ابن ميثم: بغوا على سلطان الله وهي الخلافة الحقّة فجعلوا لخروجهم وبغيهم تأويلاً وهو الطلب بدم عثمان ونحوه من الشبه الباطلة فأكذبهم الله بنصره عليهم وردّ مقتضى شبههم والإكذاب كما يكون بالقول يكون بالفعل.

وقال ابن أبي الحديد: في بعض النسخ: «فتألّوا على الله» أي حلفوا أي من أقسم تجبّراً واقتداراً لأفعلنّ كذا أكذبه الله ولم يبلغه أمله. وروي «تأوّلوا على الله» أي حرّفوا الكلام عن مواضعه وتعلّقوا بشبهة في تأويل القرآن انتصاراً لمذاهبهم فأكذبهم الله بأن ظهر للعقلاء فساد تأويلاتهم والأوّل أصحّ.

قوله عليه السلام: يغتبط فيه. أي يتمنّى مثل حاله. من أحمد عاقبة عمله أي وجدها محمودة وقياد الدابة: ما تقاد به.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٦٦ خ ٢٨٦.

وقال ابن ميثم: كتب عليه السلام هذا الكتاب بعد التحكيم أو عند إجابته للتحكيم.

٥٥٩ - **شا:** من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه حين رجع أصحابه عن القتال بصفّين لمّا اغترّهم معاوية برفع المصاحف فانصرفوا عن الحرب:

لقد فعلتم فعلةً ضعضعت من الإسلام قواه وأسقطت منّته، وأورثت وهناً وذلّة، لمّا كنتم الأعلين وخاف عدوّكم الاجتياح واستحرّ بهم القتل ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف ودعوكم إلى ما فيها ليفثأوكم عنها، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم ويتربّصوا بكم ريب المنون خديعةً ومكيدةً فما أنتم إن جامعتموهم على ما أحبّوا وأعطيتموهم الّذي سألوا إلاّ مغرورين وأيم الله ما أظنّكم بعدها موافقي رشد ولا مصيبي حزم[1].

بيان: المنّة بالضم: القوّة. واستحرّ القتل: اشتدّ ذكرهما الجوهريّ وقال: فثأت القدر: سكنت غليانها بالماء. وفثأت الرّجل عنّي إذا كسرته بقول أو غيره وسَكنت غضبه. وريب المنون: حوادث الدهر. والمنون: الموت أيضاً.

٥٦٠ - **شا:** ومن كلامه عليه السلام بعد كتب صحيفة الموادعة والتحكيم وقد اختلف عليه أهل العراق على ذلك فقال:

والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا فإذا أبيتم إلاّ أن ترضوا فقد رضيت وإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التّبديل بعد الإقرار إلاّ أن يعصى الله بنقض العهد ويتعدّى كتابه بحلّ العقد فقاتلوا حينئذٍ من ترك أمر الله.

وأمّا الّذي أنكرتم على الأشتر من تركه أمري بخطّ يده في الكتاب وخلافه ما أنا عليه فليس من أولئك ولا أخافه على ذلك وليت فيكم مثله اثنين بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّكم ما يرى إذاً لخفّت عليّ مؤنتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم وقد نهيتكم عمّا أتيتم وعصيتموني فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

وَهَلْ أنـا إلاّ مِـنْ غَـزِيّـة إنْ غَـوَتْ غَـوَيْـتُ وإنْ تَـرْشُـد غَـزِيـة أرْشُـدُ[2]

بيان: قال الجوهريّ غزية قبيلة قال دريد بن الصمة وذكر البيت.

٥٦١ - **يج، شا:** قال أمير المؤمنين عليه السلام عندما رفع أهل الشّام المصاحف وشك فريق من أصحابه ولجؤا إلى المسالمة ودعوه إليها:

ويلكم إنّ هذه خديعة وما يريد القوم القرآن لأنّهم ليسوا بأهل قرآن فاتّقوا الله وامضوا على بصائركم في قتالهم فإن لم تفعلوا تفرّقت بكم السبل وندمتم حيث لاتنفعكم الندامة.

وكان الأمر كما قال وكفر القوم بعد التحكيم وندموا على ما فرط منهم في الإجابة إليه وتفرق بهم السبل وكان عاقبتهم الدمار[3].

(١) - (٢) الارشاد للمفيد، ص ١٤٣. (٣) الارشاد، ص ١٦٥.

٥٦٢ - قب: روي في معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أنّه كان أبو موسى وعمرو. وروى ابن مردويه بأسانيده عن سويد بن غفلة أنّه قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتّى بعثوا حكمين ضالّين ضالّ من اتّبعهما ولاتنفك أموركم تختلف حتّى تبعثوا حكمين يضلاّن ويضلّ من تبعهما.

[قال سويد:] فقلت: أعيذك بالله أن تكون أحدهما. قال: فخلع قميصه وقال: برّأني الله من ذلك كما برّأني من قميصي.

ولما جرى ليلة الهرير صاحوا: يا معاوية هلكت العرب. فقال: يا عمرو أنفرّ أو نستأمن؟ قال: لنرفع المصاحف على الرّماح ونقرأ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾(١) فإن قبلوا حكم القرآن رفعنا الحرب ورافعنا بهم إلى أجل وإن أبى بعضهم إلاّ القتال فللنا شوكتهم ويقع بينهم الفرقة وأمر بالنداء [وأنْ يُصْرَخ فيهم]: فلسنا ولستم من المشركين ولا المجمعين على الرّدة فإن تقبلوها ففيها البقاء للفرقتين وللبلدة وإن تدفعوها ففيها الفناء وكلّ بلاء إلى مدّة!!.

فقال مسعر بن فدكي وزيد بن حصين الطائيّ والأشعث بن قيس الكندي: أجب القوم إلى كتاب الله. فقال أمير المؤمنين: ويحكم والله إنّهم ما رفعوا المصاحف إلاّ خديعة ومكيدةً حين علوتموهم. وقال خالد بن معمّر السدوسي: يا أمير المؤمنين أحبّ الأمور إلينا ما كفينا مؤنته وأنشد رفاعة بن شداد البَجليّ:

وإن حكموا بالعدل كانت سلامةً   وإلاّ أثرناها بيوم قماطر

فقصد إليه عشرون ألف رجل يقولون: يا عليّ أجب إلى كتاب الله إذا دعيت [إليه] وإلاّ دفعناك برمّتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بعثمان.

قال: فاحفظوا عنّي مقالتي فإنّي آمُرُكُمْ بالقتال فإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم. قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك. فبعث [إليه] يزيد بن هانئ السّبيعيّ يدعوه فقال الأشتر: إنّي قد رجوت أن يفتح الله [لي] لا تعجلني وشدّد في القتال.

فقالوا: حرضته في الحرب فابعث إليه بعزيمتك ليأتيك وإلاّ والله اعتزلناك! [فـ] قال [عليّ عليه السلام]: يا يزيد عد إليه فقل له: عد إلينا فإنّ الفتنة قد وقعت. [فسار إليه يزيد وأبلغه مقال عليّ عليه السلام]: فأقبل الأشتر [وهو] يقول لأهل العراق: يا أهل الذلّ والوهن أحين علوتم القوم وعلموا أنكم لهم قاهرون [فـ] رفعوا لكم المصاحف خديعة ومكراً.

فقالوا: قاتلناهم في الله [ونترك قتالهم الآن في الله].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

فقال: أمهلوني ساعة [فإنّي] أحسست بالفتح وأيقنت بالظفر قالوا: لا قال: أمهلوني عدوة فرسي قالوا: إنّا لسنا نطيعك ولا لصاحبك ونحن نرى المصاحف على رؤوس الرماح ندعى إليها. فقال: خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم.

فقام جماعة من بكر بن وائل فقالوا: يا أمير المؤمنين إن أجبت القوم أجبنا وإن أبيت أبينا. فقال عليه السلام نحن أحقّ من أجاب إلى كتاب الله وإنّ معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحّاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين وقرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالاً ورجالاً . . . في كلام له.

فقال أهل الشام: فإنّا قد اخترنا عمراً فقال الأشعث وابن الكوّاء ومسعر الفدكي وزيد الطائيّ: نحن اخترنا أبا موسى.

فقال أمير المؤمنين: فإنكم قد عصيتموني في أوّل الأمر فلا تعصوني الآن. فقالوا: إنّه قد كان يحذّرنا ممّا وقعنا فيه. فقال أمير المؤمنين: إنّه ليس بثقة قد فارقني وقد خذل النّاس [عنّي] ثمَّ هرب منّي حتّى آمنته بعد شهر ولكن هذا ابن عبّاس أولّيه ذلك. قالوا: والله ما نبالي أنت كنت أم ابن عبّاس! قال: فالأشتر! قال الأشعث: وهل سعّر الحرب غير الأشتر وهل نحن إلاّ في حكم الأشتر!!

قال الأعمش: حدّثني من رأى عليّاً عليه السلام يوم صفّين يصفق بيديه ويقول: يا عجباً أُعصى ويطاع معاوية؟! وقال: قد أبيتم إلاّ أبا موسى؟ قالوا: نعم قال: فاصنعوا ما بدا لكم اللّهمَّ إنّي أبرء إليك من صنيعهم.

وقال الأحنف: إذا اخترتم أبا موسى فأدفئوا ظهره فقال خريم بن فاتك الأسديّ:

لو كان للقوم رأي يرشدون به أهل العراق رموكم بابن عبّاس
لكنّ رموكم بشيخ من ذوي يمن لم يدر ما ضرب أسداس وأخماس

فلمّا اجتمعوا كان كاتب عليّ عليه السلام عبيد الله بن أبي رافع وكاتب معاوية عمير بن عبّاد الكلبيّ فكتب عبيد الله: هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فقال عمرو: اكتبوا اسمه واسم أبيه هو أميركم فأمّا أميرنا فلا.

فقال الأحنف: لا تمح اسم إمارة المؤمنين.

فقال عليّ عليه السلام الله أكبر سنّة بسنّة ومثل بمثل وإنّي لكاتب يوم الحديبية.

وروى أحمد في المسند أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر أن يكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم فقال سهيل ابن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك فافتحه بما نعرفه واكتب باسمك اللّهمَّ فأمر بمحو ذلك وكتب باسمك اللّهمَّ هذا ما اصطلح عليه محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو وأهل مكّة فقال سهيل: لو أجبتك إلى هذا لأقررت لك بالنبوّة فقال: امحها يا عليّ فجعل يتلكّأ ويأبى

فمحاها النبيّ ﷺ وكتب: هذا ما اصطلح عليه محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب وأهل مكّة يقول في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وروى محمّد بن إسحاق عن بريدة بن سفيان عن محمّد بن كعب أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ: فإنّ لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد(١).

بيان: «وإلاّ أثرناها» أي هيّجنا الحرب من أثار الغبار. «بيوم قماطر» بضم القاف أي في يوم شديد قال الجوهريّ: يوم قماطر وقمطرير أي شديد.

٥٦٣ - **كش:** روت بعض العامة عن الحسن البصريّ قال: حدثني الأحنف أنّ عليّاً عليه السلام كان يأذن لبني هاشم وكان يأذن لي معهم قال: فلمّا كتب إليه معاوية إن كنت تريد الصلح فامح عنك اسم الخلافة. فاستشار بني هاشم فقال له رجل منهم انزح هذا الاسم الّذي نزحه الله. قال: فإن كفّار قريش لمّا كان بين رسول الله ﷺ وبينهم ما كان وكتب هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله أهل مكّة كرهوا ذلك وقالوا: لو نعلم أنّك لرسول الله ما منعناك أن تطوف بالبيت قال: فكيف إذاً، قالوا: اكتب هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله أهل مكّة فرضي. [قال الأحنف:] فقلت لذلك الرّجل كلمة فيها غلظة وقلت لعليّ: أيّها الرّجل والله ما لك ما قال رسول الله إنّا ما حابيناك في بيعتنا ولو نعلم أحداً في الأرض اليوم أحقّ بهذا الأمر منك لبايعناه ولقاتلناك معه أقسم بالله إن محوت عنك هذا الاسم الّذي دعوت النّاس إليه وبايعتهم عليه لا نرجع إليه أبداً(٢).

بيان: انزح هذا الاسم من باب الإفعال أي بعد أو على بناء المجرّد من نزح البئر يقال: نزحتني أي أنفدت ما عندي ولعله كان هذا القبيح من القول للتضجر من اضطراب الأمر. وقراءته بصيغة الماضي على الاستفهام الإنكاري فيكون المرفوع في الأوّل والمنصوب في الثاني راجعين إلى معاوية بعيدة.

ويمكن أن يكون بالباء الموحّدة والراء المهملة أي عظّمه وأكرمه أو بالياء والجيم أي أظهره فيكون غلظة الأحنف على القائل الثاني.

٥٦٤ - **ما:** المفيد عن محمّد بن عمران عن محمّد بن [موسى عن محمّد بن] أبي السري عن هشام عن أبي مخنف عن عبد الرحمان بن جندب عن أبيه قال: لمّا وقع الاتفاق على كتب القصّة [القضية «خ ل»] بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين معاوية بن أبي سفيان حضر عمرو بن العاص في رجال من أهل الشّام وعبد الله بن عبّاس في رجال من أهل العراق فقال أمير المؤمنين عليه السلام للكاتب اكتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٣٦٣. (٢) رجال الكشي، ص ٨٥ ح ٢٨.

فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه ولا تسمّه بإمرة المؤمنين فإنّما هو أمير هؤلاء وليس هو بأميرنا. فقال الأحنف بن قيس: لا تمح هذا الاسم فإنّي أتخوّف إن محوته لا يرجع إليك أبداً. فامتنع أمير المؤمنين عليه السلام [من] محوه فتراجع الخطاب فيه مليّاً من النّهار فقال الأشعث بن قيس: امح هذا الاسم نزحه الله.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام الله أكبر سنّة بسنة ومثل بمثل والله إنّي لكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية وقد أملى عليّ: هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو.

فقال له سهيل: امح رسول الله فإنا لا نقرّ لك بذلك ولا نشهد لك به اكتب اسمك واسم أبيك فامتنعت من محوه فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: امحه يا عليّ وستدعى في مثلها فتجيب وأنت على مضض. فقال عمرو [بن العاص]: سبحان الله ومثل هذا يشبه بذلك ونحن مؤمنون وأولئك كانوا كفّاراً؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليّاً وللمسلمين عدوّاً وهل تشبه إلاّ أمّك الّتي دفعت بك فقال عمرو بن العاص: لا جرم لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً فقال أمير المؤمنين عليه السلام والله إنّي لأرجو أن يطهّر الله مجلسي منك ومن أشباهك ثمّ كتب الكتاب وانصرف الناس[(١)].

٥٦٥ - **فس:** في قصة الحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ إنّك أبيت أن تمحو اسمي من النبوّة فوالذي بعثني بالحقّ نبيّاً لتجيبنّ أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد.

فلما كان يوم صفّين ورضوا بالحكمين كتب هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فقال عمرو بن العاص: لو علمنا أنّك أمير المؤمنين ما حاربناك ولكن اكتب: هذا ما اصطلح عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه صدق الله وصدق رسوله أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك[(٢)].

بيان: المضض وجع المصيبة.

٥٦٦ - **ل:** فيما أجاب به أمير المؤمنين عليه السلام اليهوديّ السائل عمّا فيه من خصال الأوصياء قال عليه السلام وأمّا السادسة يا أخا اليهود فتحكيمهم [الحكمين] ومحاربة ابن آكلة الأكباد وهو طليق ابن طليق معاند لله عزّ وجلّ ولرسوله وللمؤمنين منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله إلى أن فتح الله عليه مكّة عنوة فأخذت بيعته وبيعة أبيه لي معه في ذلك اليوم وفي ثلاثة مواطن بعده وأبوه بالأمس أوّل من سلّم عليّ بإمرة المؤمنين وجعل يحثّني على النهوض في أخذ حقي من الماضين قبلي يجدد لي بيعته كلّما أتاني.

وأعجب العجب أنّه لمّا رأى ربّي تبارك وتعالى قد ردّ إليّ حقّي وأقرّه في معدنه وانقطع طمعه أن يصير في دين الله رابعاً وفي أمانة حملناها حاكماً كرّ على العاصي ابن العاص

(١) أمالي الطوسي، ص ١٨٧ مجلس ٧ ح ٣١٥. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٨٩.

فاستماله فمال إليه ثمّ أقبل به بعد إذ أطعمه مصر وحرام عليه أن يأخذ من الفيء دون قسمه درهماً وحرام على الراعي إيصال درهم إليه فوق حقّه فأقبل يخبط البلاد بالظلم ويطأها بالغشم فمن بايعه أرضاه ومن خالفه ناواه.

ثمّ توجه إليّ ناكثاً علينا مغيراً في البلاد شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً والأنباء تأتيني والأخبار ترد عليّ بذلك. فأتاني أعور ثقيف فأشار عليّ أن أولّيه البلاد الّتي هو بها لأداريه بما أولّيه عنها وفي الّذي أشار به الرّأي في أمر الدّنيا لو وجدت عند الله عزّوجلّ في توليته لي مخرجاً وأصبت لنفسي في ذلك عذراً فأعملت الرّأي في ذلك وشاورت من أثق بنصيحته لله عزّوجلّ ولرسوله صلى الله عليه وآله ولي وللمؤمنين فكان رأيه في ابن آكلة الأكباد كرأيي ينهاني عن توليته ويحذّرني أن أدخل في أمر المسلمين يده ولم يكن الله ليراني أتّخذ المضلّين عضداً فوجهت إليه أخا بجيلة مرّة وأخا الأشعريّين مرّة كلاهما ركن إلى الدنيا وتابع هواه فيما أرضاه فلمّا لم أره يزداد فيما انتهك من محارم الله إلاّ تمادياً شاورت من معي من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله البدريين والذين ارتضى الله عزّوجلّ أمرهم ورضي عنهم بعد بيعتهم وغيرهم من صلحاء المسلمين والتابعين فكلّ يوافق رأيه رأيي في غزوه ومحاربته ومنعه ممّا نالت يده.

وإني نهضت إليه بأصحابي أُنفذ إليه من كلّ موضع كتبي وأوجّه إليه رسلي وأدعوه إلى الرجوع عمّا هو فيه والدّخول فيما فيه النّاس معي فكتب [إليّ] يتحكّم عليّ ويتمنّى عليّ الأماني ويشترط عليّ شروطاً لا يرضاها الله عزّوجلّ ورسوله ولا المسلمون ويشترط في بعضها أن أدفع إليه أقواماً من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أبراراً فيهم عمّار بن ياسر وأين مثل عمّار؟ والله لقد رأيتنا مع النبيّ صلى الله عليه وآله ما يعدّ منا خمسة إلاّ كان سادسهم ولا أربعة إلاّ كان خامسهم اشترط دفعهم إليه ليقتلهم ويصلبهم وانتحل دم عثمان ولعمرو الله ما ألّب على عثمان ولا جمع النّاس على قتله إلاّ هو وأشباهه من أهل بيته أغصان الشجرة الملعونة في القرآن.

فلمّا لم أُجب إلى ما اشترط من ذلك كرّ مستعلياً في نفسه بطغيانه وبغيه بحمير لا عقول لهم ولا بصائر فموّه لهم أمراً فاتّبعوه وأعطاهم من الدنيا ما أمالهم به إليه فناجزناهم وحاكمناهم إلى الله عزّوجلّ بعد الإعذار والإنذار.

فلما لم يزده ذلك إلاّ تمادياً وبغياً لقيناه بعادة الله الّتي عوّدنا من النصر على أعدائه وعدوّنا وراية رسول الله بأيدينا لم يزل الله تبارك وتعالى يفلّ حزب الشيطان بها حتّى يقضي الموت عليه وهو معلم رايات أبيه الّتي لم أزل أُقاتلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ المواطن فلم يجد من الموت منجىً إلاّ الهرب فركب فرسه وقلب رايته ولا يدري كيف يحتال.

فاستعان برأي ابن العاص فأشار عليه بإظهار المصاحف ورفعها على الأعلام والدعاء إلى ما فيها وقال إن ابن أبي طالب وحزبه أهل بصائر ورحمة وبقيا وقد دعوك إلى كتاب الله

أولاً وهم مجيبوك إليه آخراً فأطاعه فيما أشار به عليه إذ رأى أنّه لا منجى له من القتل أو الهرب غيره فرفع المصاحف يدعو إلى ما فيها بزعمه.

فمالت إلى المصاحف قلوب من بقي من أصحابي بعد فناء خيارهم وجهدهم في جهاد أعداء الله وأعدائهم على بصائرهم فظنّوا أنّ ابن آكلة الأكباد له الوفاء بما دعا إليه فأصغوا إلى دعوته وأقبلوا بأجمعهم في إجابته فأعلمتهم أنّ ذلك منه مكر ومن ابن العاص معه وأنّهما إلى النكث أقرب منهما إلى الوفاء فلم يقبلوا قولي ولم يطيعوا أمري وأبوا إلاّ إجابته كرهت أم هويت شئت أو أبيت حتّى أخذ بعضهم يقول لبعض: إن لم يفعل فألحقوه بابن عفّان أو ادفعوه إلى ابن هند برمّته.

فجهدت - علم الله جهدي ولم أدع علّة في نفسي إلاّ بلّغتها - في أن يُخلّوني ورأيي فلم يفعلوا وراودتهم على الصّبر على مقدار فواق الناقة أو ركضة الفرس فلم يجيبوا ما خلا هذا الشيخ - وأومأ بيده إلى الأشتر - وعصبة من أهل بيتي فوالله ما منعني أن أمضي على بصيرتي إلاّ مخافة أن يقتل هذان - وأومأ بيده إلى الحسن والحسين - فينقطع نسل رسول الله ﷺ وذرّيته من أمته ومخافة أن يقتل هذا وهذا وأومأ بيده إلى عبد الله بن جعفر ومحمّد بن الحنفية عليهما السلام فإنّي أعلم لولا مكاني لم يقفا ذلك الموقف فلذلك صبرت على ما أراد القوم مع ما سبق فيه من علم الله عزّ وجلّ.

فلما رفعنا عن القوم سيوفنا تحكّموا في الأمور وتخيّروا الأحكام والآراء وتركوا المصاحف وما دعوا إليه من حكم القرآن وما كنت أُحكّم في دين الله أحداً إذ كان التحكيم في ذلك الخطأ الّذي لا شكّ فيه ولا امتراء.

فلما أبوا إلاّ ذلك أردت أن أُحكّم رجلاً من أهل بيتي أو رجلاً ممّن أرضى رأيه وعقله وأثق بنصيحته ومودّته ودينه وأقبلت لا أُسمّي أحداً الا امتنع منه ابن هند ولا أدعوه إلى شيء من الحقّ إلاّ أدبر عنه، وأقبل ابن هند يسومنا عسفاً وما ذاك إلاّ باتّباع أصحابي له على ذلك.

فلما أبوا إلاّ غلبتي على التحكيم تبرّأت إلى الله عزّ وجلّ منهم وفوّضت ذلك إليهم فقلّدوه امرأً فخدعه ابن العاص خديعة ظهرت في شرق الأرض وغربها وأظهر المخدوع عليها ندماً[1].

بيان [قوله عليه السلام]: «وفي أمانة حملناها» إشارة إلى أنّ الأمانة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ هي الخلافة كما مرّ وسيأتي وكونه حاكماً أن يكون بمشورته وكون الأمر شورى كما كان يظهر كثيراً «وخبط البعير الأرض بيده خبطاً» ضربها ومنه قيل: خبط عشواء وهي الناقة الّتي في بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئاً. والغشم: الظلم. ويقال: أبقيت على فلان إذا رعيت عليه ورحمته والاسم منه البقيا قاله الجوهريّ وقال: الرمّة: قطعة

(١) الخصال، ص ٣٦٤ باب السبعة ح ٥٨.

من الحبل بالية ومنه قولهم: دفع إليه الشيء برمّته وأصله أنّ رجلاً دفع إلى رجل بعيراً بحبل في عنقه فقيل ذلك لكلّ من دفع شيئاً بجملته. ويقال: سامه خسفاً أي أورده عليه والعسف: الأخذ على غير الطريق والظلم.

٥٦٧ - **كتاب** سليم بن قيس: قال أمير المؤمنين عليه السلام للحكمين حين بعثهما: احكما بكتاب الله وسنّة نبيّه وإن كان فيهما حزّ حلقي فإنّه من قادها إلى هؤلاء فإن نيّتهم أخبث.

فقال له رجل من الأنصار وفي رواية أُخرى فلقيه صديق له من الأنصار فقال: ما هذا الانتشار الّذي بلغني عنك؟ ما كان أحد من الأمّة أضبط للأمر منك فما هذا الاختلاف والانتشار فقال له عليّ عليه السلام أنا صاحبك الّذي تعرف إلاّ أنّي قد بليت بأخابث من خلق الله أريدهم على الأمر فيأبون فإن تابعتهم على ما يريدون تفرّقوا عنّي[1].

بيان: الحزّ بالحاء المهملة القطع والقرض. «فإنّه من قادها» أي الخلافة.

٥٦٧ - **نهج:** [و] من خطبة له عليه السلام بعد التحكيم: الحمد لله وإن أتى الدّهر بالخطب الفادح والحدث الجليل، وأشهد أن لا إله إلاّ الله لا شريك له ليس معه إله غيره، وأن محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله.

أما بعد فإنّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرّب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يُطاع لقصير أمر فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتّى ارتاب الناصح بنصحه وضنّ الزند بقدحه فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى   فلم تستبينوا النّصح إلاّ ضحى الغد[2]

بيان: الخطب: الأمر العظيم. والفادح: الثقيل.

وقال الجوهريّ: المجرّب الّذي قد جرّبته الأمور وأحكمته فإن كسرت الراء جعلته فاعلاً إلاّ أنّ العرب تكلّمت به بالفتح. قوله عليه السلام: «ونخلت» أي أخلصت وصفّيت من نخلت الدقيق بالمنخل. قوله عليه السلام: «لو كان يطاع..» هو مثل يضرب لمن خالف ناصحه وأصل المثل أنّ قصيراً كان مولى لجذيمة بن الأبرش بعض ملوك العرب وقد كان جذيمة قتل أبا الزّبا ملكة الجزيرة فبعثت إليه ليتزوّج بها خدعة وسألته القدوم عليها فأجابها إلى ذلك وخرج في ألف فارس وخلّف باقي جنوده مع ابن أخته وقد كان قصير أشار عليه بأن لا يتوجّه إليها فلم يقبل فلمّا قرب الجزيرة استقبلته جنود الزبا بالعدة ولم ير منهم إكراماً له فأشار عليه قصير بالرجوع وقال: من شأن النساء الغدر فلم يقبل فلمّا دخل عليها قتلته فعندها قال قصير: لا يطاع لقصير أمر. فصار مثلاً لكلّ ناصح عصي.

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ١٣٩.   (٢) نهج البلاغة، ص ١٠٧ خ ٣٥.

وقال ابن ميثم: وقد يتوهم أنّ جواب لو هاهنا مقدم والحقّ أنّ جوابها محذوف والتقدير: إنّي أمرتكم ونصحت لكم فلو أطعتموني لفعلتم ما أمرتكم به.

قوله عليه السلام: «فأبيتم» إلى آخره في تقدير استثناء لنقيض التالي وتقديره: لكنكم أبيتم عليّ إباء المخالفين انتهى.

ولعلّ الأنسب على تقدير الجواب أن يقال: لو أطعتموني لما أصابتكم حسرة وندامة أو لكان حسناً ونحوهما ويحتمل أن يكون [لو] للتمني فلا يحتاج إلى تقدير جواب على بعض الأقوال. وقال في القاموس: الانتباذ: التنحّي وتحيّز كلّ من الفريقين في الحرب كالمنابذة.

قوله عليه السلام: «حتى ارتاب الناصح» لعلّه محمول على المبالغة أي لو كان ناصح غيري لارتاب. قوله عليه السلام: «وضنّ الزند بقدحه» الزند: العود الّذي يقدح به النّار قيل هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده إذا لم يجد لها قابلاً عارفاً بحقها.

وأخو هوازن هو الدريد بن الصمّة والبيت من قصيدة له في الحماسة وقصّته أنّ أخاه عبد الله بن الصمّة غزا بني بكر بن هوازن فغنم منهم واستاق إبلهم فلمّا كان بمنعرج اللوى قال: والله لا أبرح حتّى أنحر النقيعة وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة فقال أخوه: لا تفعل فإن القوم في طلبك وأبى عليه وأقام ونحر النقيعة وبات فلمّا أصبح هجم القوم عليه وطعن عبد الله بن الصمّة فاستغاث بأخيه دريد فنهنه عنه القوم حتّى طعن هو أيضاً وصرع وقتل عبد الله وحال اللّيل بين القوم فنجا دريد بعد طعنات وجراح فأنشد القصيدة ومطابقة المثل للمضرب ظاهرة.

٥٦٩ - **أقول:** وجدت في بعض نسخ نهج البلاغة من خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين وذمّ أهل الشام: جفاة طغام عبيد أقزام جمعوا من كلّ أوب وتلقّطوا من كلّ شوب ممّن ينبغي أن يفقّه ويؤدّب ويعلّم ويدرّب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا من الّذين تبوّأوا الدّار.

ألا وإنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا يحبّون وإنّكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم ممّا تكرهون وإنّما عهدكم بعبدالله بن قيس بالأمس يقول إنّها فتنة فقطّعوا أوتاركم وشيموا سيوفكم.

فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبدالله بن العبّاس وخذوا مهل الأيّام وحُوطُوا قواصِيَ الإسلام ألا ترون إلى بلادكم تُغزى وإلى صفاتكم تُرمى[1].

بيان: لم يتعرض له الشراح وفي القاموس: القزم محرّكة: الدناءة والقماءة أو صغر

(١) نهج البلاغة، ص ٤٨٢ خ ٢٣٥.

الجسم في الجمال وصغر الأخلاق في النّاس ورذال النّاس، للواحد والجمع والذكر والأنثى وقد يثنّى ويجمع ويذكّر ويؤنث يقال: رجل قزم ورجال أقزام وككتاب: اللئام. وككتف وجبل: الصغير الجثة اللّئيم لا غناء عنده.

وقال: الأوب: الطريق والجهة. والشوب الخلط أي من أخلاط الناس.

قوله عليه السلام: «ويولّى عليه» أي هم من السفهاء الّذين ينبغي أن يتولّى أمورهم غيرهم من الأولياء والحكّام.

وفي القاموس: شام سيفه يشيمه: غمده واستلّه ضدّ. وقال: المهل ويحرك والمهلة بالضمّ: السّكينة والرفق ومهله تمهيلاً: أجّله. والمهل محرّكة: التقدم في الخير. وأمهله: أنظره ولعلّ المعنى اغتنموا المهلة واشتغلوا بحفظ البلاد القاصية وثغور المسلمين عن غارات الكافرين والمنافقين. ولعلّ رمي الصّفاة كناية عن طمعهم فيما لم يكونوا يطمعون قبل ذلك فإنّ الرمي على الصفاة وهي الحجر الأملس لا يؤثر وقد مرّ قريب منه في كلامه عليه السلام.

٢٢ - باب إخبار النبيّ ﷺ بقتال الخوارج وكفرهم

٥٧٠ - **ما:** المفيد عن ابن قولويه عن أبيه عن سعد عن أبي الجوزاء عن ابن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد بن عليّ عن أبيه عن الحسين بن عليّ:

عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليّ إنّ الله تعالى أمرني أن أتّخذك أخاً ووصيّاً فأنت أخي ووصيّي وخليفتي على أهلي في حياتي وبعد موتي من اتّبعك فقد تبعني ومن تخلف عنك فقد تخلّف عنّي ومن كَفَر بك فقد كفر بي ومن ظلمك فقد ظلمني يا عليّ أنت منّي وأنا منك يا عليّ لولا أنت لما قوتل أهل النهر قال: فقلت يا رسول الله ومن أهل النهر؟ قال: قوم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة[1].

بيان: قال في النهاية في حديث الخوارج: «يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة» أي يجوزونه ويخرقونه ويتعدّونه كما يمرق السهم الشيء المرمي به ويخرج منه، وقد تكرر في الحديث ومنه حديث عليّ عليه السلام: «أمرت بقتال المارقين» يعني الخوارج.

وقال في الرميّة بعد ذكر الحديث: الرميّة الصيد الّذي ترميه فتقصده وينفذ فيها سهمك. وقيل هي كلّ دابّة مرميّة.

٥٧١ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل عن محمّد بن جعفر بن ملاس النّميري عن محمّد بن إسماعيل بن عليّة. قال: وحدّثني أبو عيسى جبير بن محمّد الدقّاق عن عمّار بن خالد الواسطيّ عن إسحاق بن يوسف الأزرق عن الأعمش عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: الخوارج كلاب أهل النار[2].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٠٠ مجلس ٧ ح ٣٤١. (٢) أمالي الطوسي، ص ٤٨٧ مجلس ١٧ ح ١٠٦٨.

٥٧٢ - **يج**: روى أبو سعيد الخدريّ أنّ النبيّ ﷺ قسم يوماً قسماً فقال رجل من تميم: اعدل! فقال: ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل قيل نضرب عنقه؟ قال: لا إنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته وصيامه مع صلاتهم وصيامهم يمرقون من الدّين مروق السّهم من الرميّة رئيسُهم رجل أدعج أحد ثدييه مثل ثدي المرأة. قال أبو سعيد: إنّي كنت مع عليّ حين قتلهم والتمس في القتلى بالنهروان فأُتي به على النعت الّذي نعته رسول الله ﷺ[1].

٥٧٣ - **قب**: تفسير القُشيريّ وإبانة العكبريّ عن سفيان عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أنّه سأل ابن الكوا أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ فقال عليه السلام إنّهم أهل حرورا ثمّ قال: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ في قتال عليّ بن أبي طالب عليه السلام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ بولاية عليّ عليه السلام واتخذوا آيات القرآن ﴿وَرُسُلِي﴾ يعني محمداً ﷺ: ﴿هُزُوًا﴾ استهزؤا بقوله: «ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه» وأنزل في أصحابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[2] فقال ابن عبّاس نزلت في أصحاب الجمل.

تفسير الفلكي أبو أمامة قال: [قال] النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ الآية هم الخوارج.

البخاري ومسلم والطبري والثعلبي في كتبهم أنّ ذا الخويصرة التميمي قال للنبيّ: اعدل بالسّوية. فقال: ويحك إن أنا لم أعدل قد خنت وخسرت فمن يعدل؟ فقال عمر: ائذن لي أضرب عنقه. فقال: دعه فإنّ له أصحاباً وذكر وصفه فنزل: «ومنهم من يَلمِزُكَ في الصّدقات».

مسند أبي يعلى الموصلي وإبانة ابن بطة العكبري وعقد ابن عبد ربه الأندلسي وحلية أبي نعيم الإصفهاني وزينة أبي حاتم الرازي وكتاب أبي بكر الشيرازي أنّه ذكر [رجل] بين يدي النبيّ بكثرة العبادة فقال النبيّ ﷺ لا أعرفه فإذا هو قد طلع فقالوا: هو هذا فقال النبيّ ﷺ: أما إنّي أرى بين عينيه سفعة من الشيطان فلما رآه قال له: هل حدّثتك نفسك إذ طلعت علينا أنّه ليس في القوم أحد مثلك؟ قال: نعم ثمّ دخل المسجد فوقف يصلّي.

فقال النبيّ ﷺ: ألا رجل يقتله فحسر أبو بكر عن ذراعيه وصمد نحوه فرآه راكعاً [فرجع] فقال: أقتل رجلاً يركع ويقول: لا إله إلاّ الله فقال عليه السلام اجلس فلست بصاحبه.

ثم قال: ألا رجل يقتله فقام عمر فرآه ساجداً فقال: أقتل رجلاً يسجد ويقول: لا إله إلاّ الله. فقال النبيّ: اجلس فلست بصاحبه قم يا عليّ فإنّك أنت قاتله [إن أدركته] فمضى وانصرف وقال له: ما رأيته فقال النبيّ ﷺ: لو قتل لكان أوّل فتنة وآخرها.

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٦٨ ح ١٢٧. (٢) الآيات من سورة الكهف، ١٠٣-١٠٧.

وفي رواية هذا أوّل قرن يطلع في أُمّتي لو قتلتموه ما اختلف بعدي اثنان.

وقال أبي وأنس بن مالك فأنزل الله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [وهو] القتل: ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾(١) بقتاله عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٢).

بيان: قال في النهاية: السُفعَة نوع من السواد مع لون آخر ومنه حديث أبي اليسر: أرى في وجهك سفعة من غضب أي تغيّراً إلى السواد.

وفي حديث أُمّ سَلَمَة أنّه دخل عليها وعندها جارية بها سفعة فقال: إنّ بها نظرة فاسترقوا لها أي علامة من الشيطان أو ضربة واحدة منه وهي المرّة من السفع: الأخذ.

ومنه حديث ابن مسعود قال لرجل رآه: إنّ بهذا سفعة من الشيطان فقال له الرجل: لم أسمع فما قلت؟ فقال: أنشدتك الله هل ترى أحداً خيراً منك؟ قال: لا. قال: فلهذا قلت ما قلت. جعل ما به من العجب مسّاً من الجنون.

٥٧٤ - **كشف:** ذكر الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث في مسنده المسمّى بالسّنن يرفعه إلى أبي سعيد الخدريّ وأنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: سيكون في أُمّتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة هم شرّ الخلق طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قاتلهم كان أولى بالله منهم(٣).

ونقل مسلم بن حجّاج في صحيحه ووافقه أبو داود بسندهما عن زيد بن وهب أنّه كان في الجيش الّذين كانوا مع عليّ عليه السلام قال [فقال] عليّ: أيّها النّاس إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج قوم من أُمّتي يقرؤن القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرأون القرآن يحسبون أنّه لهم وهو عليهم لا يجاوز قراءتهم تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرميّة لو يعلم الجيش الّذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيّهم لنكلوا عن العمل وآية ذلك أنّ فيهم رجلاً له عضد ليس له ذراع على عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض [أ] فتذهبون إلى معاوية وأهل الشّام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم والله إنّي لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنّهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على سرح النّاس فسيروا.

قال سلمة: فنزلني زيد بن وهب منزلاً منزلاً حتّى قال: مررنا على قنطرة فلمّا التقينا وعلى الخوارج يومئذٍ عبد الله بن وهب الراسبي فقال لهم: ألقوا الرماح وسلّوا السّيوف من جفونها فإنّي أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم أيّام حروراء.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٩.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٣٦٨.
(٣) وفي كتاب التاج الجامع للأصول من كتب العامة ج ٥ ص ٣١١ ذم الخويصرة وإخباره ﷺ عن الخوارج والمارقين. [النمازي].

فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلّوا السيوف وشجرهم النّاس بالرماح قال: وقتل بعضهم على بعض وما أُصيب يومئذ من النّاس إلاّ رجلان.

فقال عليّ عليه السلام التمسوا فيهم المخدج وهو الناقص فلم يجدوه فقام عليّ عليه السلام بنفسه حتّى أتى ناساً وقد قتل بعضهم على بعض قال: أخرجوهم [فأخرجوهم] فوجدوه ممّا يلي الأرض فكبّر ثمّ قال: صدق الله وبلّغ رسوله. قال: فقام إليه عبيدة السلمانيّ فقال: يا أمير المؤمنين الله الّذي لا إله إلاّ هو أسمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: إي والله الّذي لا إله إلاّ هو حتّى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له[1].

٥٧٥ - **مد:** من الجمع بين الصحيحين من أفراد مسلم مثله[2].

بيان أقول: رواه [أيضاً ابن الأثير] في جامع الأُصول من صحيح مسلم وأبي داود عن زيد بن وهب.

لنكلوا عن العمل أي امتنعوا وتركوه اتّكالاً على هذا العمل وثوابه.

فنزلني زيد بن وهب أي ذكر القصّة منزلاً منزلاً وقال الأربلي رحمه الله: يقال: وحش الرّجل إذا رمى بثوبه وسلاحه مخافة أن يلحق. وفي النهاية: أُتي النبيّ صلى الله عليه وآله بمخدج أي ناقص الخلق. والتشاجر بالرماح: التطاعن بها.

٥٧٦ - **كشف:** ونقل البخاريّ ومسلم ومالك في الموطأ أنّ أبا سعيد الخدريّ قال: أشهد أنّي لسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وأشهد أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قاتلهم وأنا معه وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد وأُتي به حتّى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي نعت.

ونقل البخاري والنسائي ومسلم وأبو داود في صحاحهم قال سويد بن غفلة: قال عليّ عليه السلام إذا حدّثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً فوالله لأن أخرّ من السّماء لأحبّ إليّ من أن أكذب عليه - وفي رواية: من أن أقول عليه ما لم يقل - وإذا حدّثتكم فيما بيني وبينكم فإنّ الحرب خدعة وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البريّة يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإنّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة[3].

أقول: أورد ابن الأثير الخبرين في: «جامع الأصول» من الأصول المذكورة[4]. و[رواه] ابن بطريق من صحيح البخاري بسندين.

---

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ١٢٨.
(٢) العمدة، ص ٢٤٢.
(٣) كشف الغمة، ج ١ ص ١٢٩.
(٤) جامع الأصول، ج ١٠ ص ٨٢.

٥٧٧ - **كشف:** ومن مناقب أحمد بن مردويه عن [ابن] أبي اليسر الأنصاريّ عن أبيه قال: دخلت على أمّ المؤمنين عائشة قال: فقالت: من قتل الخارجيّة؟ قال قلت قتلهم عليّ قالت ما يمنعني الّذي في نفسي على عليّ أن أقول الحقّ سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتلهم خير أمّتي من بعدي. وسمعته يقول: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ (عليه السلام).

ومنه عن مسروق قال: دخلت على عائشة فقالت لي: من قتل الخوارج؟ فقلت: قتلهم عليّ عليه السلام قال: فسكتت قال: فقلت يا أمّ المؤمنين أنشدك بالله وبحق نبيّه ﷺ إن كنت سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً أخبرتنيه؟ قال: فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هو شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأعظمهم عند الله تعالى يوم القيامة وسيلة.

ومنه عن مسروق [قال:] قالت لي عائشة: يا مسروق إنّك من أكرم بنيّ عليّ وأحبّهم إليّ فهل عندك علم من المخدج؟ قال: قلت نعم قتله عليّ على نهر يقال لأسفله تامرّاء وأعلاه النهروان بين أخاقيق وطرفاء قال: فقالت: فاتني معك بمن يشهد قال فأتيتها بسبعين رجلاً من كلّ سبع عشرة - وكان النّاس إذ ذاك أسباعاً - فشهدوا عندها أنّ عليّاً عليه السلام قتله على نهر يقال لأسفله تامرّاء وأعلاه النهروان بين أخاقيق وطرفاء قالت: لعن الله عمرو بن العاص فإنّه كتب إليّ أنّه قتله على نيل مصر قال: قلت يا أمّ المؤمنين أخبريني أي شيء سمعت رسول الله ﷺ يقول فيهم؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة.

ومنه عن مسروق أيضاً من حديث آخر حيث شهد عندها الشّهود فقالت: قاتل الله عمرو بن العاص فإنّه كتب إليّ أنّه أصابه بمصر!!

قال يزيد بن زياد: فحدّثني من سمع عائشة وذكر عندها أهل النهر فقالت: ما كنت أحبّ أن يولّيه الله إيّاه! قالوا ولم ذلك؟ قالت: إنّي سمعت من رسول الله ﷺ يقول: اللّهمّ إنّهم شرار أمّتي يقتلهم خيار أمّتي وما كان بيني وبينه إلاّ ما يكون بين المرأة وأحمائها.

وبالإسناد عنه أنّها قالت أكتب لي شهادة من شهد مع عليّ النهروان فكتبت شهادة سبعين ممّن شهدوا ثمّ أتيتها بالكتاب فقلت: يا أمّ المؤمنين لم استشهدت؟ قالت: إنّ عمرو بن العاص أخبر أنّه أصابه على نيل مصر.

قال: [فقلت:] يا أمّ المؤمنين أسألك بحق الله وحق رسوله ﷺ وحقّي عليك إلاّ ما أخبرتيني بما سمعت من رسول الله ﷺ فيه؟ قالت: إن نشدتني فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: هم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة. وفي حديث آخر عنه أنّها سألته فأخبرها أنّ عليّاً قتلهم فقالت أنظر ما تقول؟ قلت: والله لهو قتلهم فقالت مثل ما تقدّم وزادت فيه: وإجابة دعوة.

وأورده صديقنا العزّ المحدث الحنبليّ الموصليّ أيضاً.

وقد ورد هذا عن مسروق عن عائشة بعدة طرق اقتصرنا على ما أوردناه[١].

توضيح: قال الإربلي المصنّف رحمه الله الأخاقيق شقوق في الأرض وفي الحديث وقصت به ناقته في أخاقيق جرذان وقال الأصمعيّ إنّما هو لخاقيق. جمع لخقوق. وقال الأزهريّ: هي صحيحة كما جاءت في الحديث أخاقيق. وذكر نحوه ابن الأثير في النهاية.

٥٧٨ - **مد:** بإسناده إلى أحمد بن حنبل من مسنده بإسناده إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ قوماً يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة يقرأون القرآن لا يجوز تراقيهم طوبى لمن قتلهم وقتلوه.

وبإسناده عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: كنت جالساً عند عليّ عليه السلام فقال: إنّي دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وليس عنده أحد إلاّ عائشة فقال: يا ابن أبي طالب كيف أنت وقوم كذا وكذا؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم قال: قوم يخرجون من المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فيهم رجل مخدوج اليد كأنّ يديه ثدي حبشيّة.

وبإسناده عن طارق بن زياد قال: سار عليّ عليه السلام إلى النهروان فقتل الخوارج فقال: اطلبوا المخدج فإن النبيّ صلى الله عليه وآله قال سيجيء قوم يتكلّمون بكلمة الحكمة لا يجاوز حلوقهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة سيماهم أو فيهم رجل أسود مخدج اليد في ثديه شعرات سود فإن كان فيهم فقد قتلتم شرّ النّاس وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس.

قال: ثمَّ إنّا وجدنا المخدج فخررنا سجّداً وخرّ عليّ عليه السلام ساجداً معنا.

وبإسناده عن أبي الوضيء قال: شهدت عليّاً حين قتل أهل النهروان قال: التمسوا المخدج فطلبوه في القتلى فقالوا: ليس نجده فقال: ارجعوا فالتمسوه فوالله ما كَذبت ولا كُذبت فردّد ذلك مراراً كلّ ذلك يحلف بالله لا كَذبت ولا كُذبت فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين فاستخرجوه فجيء به فقال أبو الوضيء فكأنّي أنظر إليه حبشيّاً عليه ثديان أحد ثدييه مثل ثدي المرأة عليها شعرات مثل شعرات تكون على ذنب اليربوع.

وبإسناد آخر إلى أبي الوضيء قال: كنّا غائرين إلى الكوفة مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلمّا بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاث شذّ منّا ناس كثير فذكرنا ذلك لعليّ عليه السلام فقال: لا يهولنكم أمرهم فإنّهم سيرجعون فذكر الحديث بطوله وقال: فحمد الله عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقال: إنّ خليلي أخبرني أنّ قائد هؤلاء رجل مخدج اليد على حلمة ثديه شعرات كأنّهنّ ذنب اليربوع. فالتمسوه فلم يجدوه فأتيناه فقلنا لم نجده فجاء عليّ عليه السلام بنفسه فجعل يقول: اقلبوا ذا اقلبوا ذا حتّى جاء رجل من أهل الكوفة فقال: هوذا فقال عليّ عليه السلام الله أكبر ولا

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ١٥٨.

ينبّئكم أخبر من الله قال فجعل النّاس يقولون هذا ملك هذا ملك لقول عليّ عليه السلام .

وبسند آخر عنه أنّه قال: أما إنّ خليلي أخبرني أنّهم ثلاثة أخوة من الجنّ هذا أكبرهم والثاني له جمع كثير والثالث فيه ضعف(١).

٥٧٩ - **مد:** من صحيح البخاري بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله إعدل!! فقال: ويلك من يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل.

فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه فقال له: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرميّة ينظر أحدكم إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثمّ ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثمّ ينظر إلى نضيّه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثمّ ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدّم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على خير فرقة من الإسلام.

قال أبو سعيد الخدري: فأشهد أنّي سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرّجل فالتمس فأُتي به حتّى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الّذي نعته(٢). وروي أيضاً بإسناده عن أبي سلمة مثله.

بيان: أورد [ابن الأثير] الخبر في جامع الأصول(٣) وقال: الرصاف: العقب الّذي يكون فوق مدخل النصل في السهم واحدها رصفة.

وقال في النهاية في حديث الخوارج: «فينظر في نضيّه» النّضي: نصل السهم وقيل: هو السهم قبل أن ينحت إذا كان قدحاً وهو أولى لأنّه قد جاء في الحديث ذكر النّصل بعد النّضيّ وقيل: هو من السهم ما بين الريش والنصل قالوا: سمّي نضيّاً لكثرة البري والنحت فكأنّه جعل نضواً أي هزيلاً وقال: القذذ ريش السهم واحدتها قذة.

وفي جامع الأصول: الفرث: السرجين وما يكون في الكرش.

وفي النهاية في حديث ذي الثدية: «مثل البضعة تدردر» أي ترجرج تجيء وتذهب والأصل تتدردر فحُذف إحدى التائين تخفيفاً.

٥٨٠ - **مد:** من صحيح البخاري بإسناده عن عمرو بن مصعب قال: سألت أبي عن قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ قال هم الحرورية لا هم اليهود ولا هم النصارى أمّا اليهود فكذبوا محمداً ﷺ وأمّا النصارى فكفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب والحرورية هم الّذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه وكان سعد يسمّيهم الفاسقين.

---

(١) - (٢) كتاب العمدة، ص ٢٣١ و٢٣٢. (٣) جامع الأصول، ج ١٠ ص ٨٣.

ومن الكتاب المذكور في قول الله عزّوجلّ : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[١] قال: كان ابن عمر يراهم شرار خلق الله تعالى وقال: إنّهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفّار فجعلوها على المؤمنين.

وبإسناده أيضاً عن ابن عمر قال: ذكر الحرورية فقال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية[٢].

٥٨١ - **مد:** من تفسير الثعلبيّ بإسناده عن أبي الطفيل قال: سأل عبد الله بن الكوّاء عليّاً عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ قال أنتم يا أهل حروراء ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أي يظنّون بفعلهم أنّهم مطيعون محسنون ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

وبإسناده أيضاً عن عبد الله بن شداد قال: وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤوس الحرورية بالشام عند باب حصن دمشق فقال لهم: كلاب كلاب مرتين أو ثلاثاً شر قتلى يظل السّماء وخير قتلى قتلاهم ودمعت عين [عينا «خ ل»] أبي أمامة قال فقال رجل: رأيت قولك لهؤلاء القتلى شر قتلى يظلّ السّماء وخير قتلى قتلاهم أشيء من قبل رأي رأيته أو شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله قال [أيكون] من قبل رأي رأيته! إنّي إذاً لجريء لو لم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ مرّة أو مرّتين حتّى عدّ سبع مرات ما حدّثت به فقال الرجل: فإنّي رأيتك دمعت عيناك قال: هي رحمة رحمتهم كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم. ثمّ قرأ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ إلى قوله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [ثم] قال أبو أمامة: هم الحرورية[٣].

بيان: «وخير قتلى قتلاهم» أي الّذين هم قتلوهم.

٥٨٢ - **مد:** ذكر الثعلبيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ بإسناده عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: هم الخوارج[٤].

٥٨٣ - **مد:** من الجمع بين الصّحيحين للحميديّ بإسناده عن عبد الله بن أبي رافع أنّ الحرورية لمّا خرجت على عليّ بن أبي طالب عليه السلام قالوا: لا حكم إلاّ لله. قال عليّ عليه السلام كلمة حقّ أُريد بها باطل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصف لنا ناساً إنّي لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحقّ بألسنتهم لا يجوز تراقيهم وأشار إلى حلقه من أبغض خلق الله [إليه] منهم أسود إحدى يديه لحي شاة أو حلمة ثدي.

فلما قتلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً فقال: ارجعوا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٥. (٢) كتاب العمدة، ص ٢٣٨.
(٣) - (٤) كتاب العمدة، ص ٢٣٩.

فوالله ما كَذبت ولا كُذبت مرتين أو ثلاثاً ثمّ وجدوه في خربة فأتوا به حتّى وضعوه بين يديه فقال عبد الله وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول عليّ عليه السلام فيهم.

ومن الكتاب المذكور من المتّفق عليه من البخاريّ بإسناده عن بشر بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في الحرورية شيئاً قال: سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق: يخرج منه قوم يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية. وفي حديث العوام بن حوشب يليه قوم قبل المشرق محلّقة رؤوسهم(١).

٥٨٤ - وقال ابن أبي الحديد: قد تظاهرت الأخبار حتّى بلغت حد التواتر بما وعد الله تعالى قاتلي الخوارج من الثواب عن لسان رسول الله ﷺ وفي الصحاح المتّفق عليها أنّ رسول الله ﷺ بينا هو يقسم قسماً إذ جاءه رجل من بني تميم يدعى ذا الخويصرة فقال: اعدل يا محمّد فقال ﷺ قد عدلت فقال له ثانية: اعدل يا محمّد فإنّك لم تعدل فقال ﷺ: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل.

فقام عمر بن الخطّاب فقال: يا رسول الله. ائذن لي أضرب عنقه فقال: دعه فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ينظر أحدكم إلى نصله فلا يجد شيئاً فينظر إلى نضيّه [فلا يجد شيئاً] ثمّ ينظر إلى القذذ فكذلك سبق الفرث والدّم يخرجون على خير فرقة من النّاس يحقر صلاتكم في جنب صلاتهم وصومكم عند صومهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم آيتهم رجل أسود أو [قال:] أدعج مخدج اليد إحدى ثدييه كأنها ثدي امرأة أو بضعة تدردر.

وفي بعض الصحاح: إن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وقد غاب الرّجل عن عينه: قم إلى هذا فاقتله فقام ثمّ عاد وقال: وجدته يصلّي!! فقال لعمر مثل ذلك فعاد وقال: وجدته يصلّي! فقال لعليّ عليه السلام مثل ذلك فقال لم أجده. فقال رسول الله ﷺ: لو قتل هذا لكان أوّل فتنة وآخرها أما إنّه سيخرج من ضئضئ هذا. الحديث.

وفي بعض الصحاح: يقتلهم أولى الفريقين بالحقّ.

وفي مسند أحمد بن حنبل عن مسروق قال: قالت لي عائشة: إنك من ولدي ومن أحبّهم إليّ فهل عندك علم من المخدج؟ فقلت: نعم قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام على نهر يقال لأعلاه تامرّاء ولأسفله النّهروان بين لخاقيق وطرفاء قالت: ابغني على ذلك بيّنة فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك قال فقلت لها: سألتك بصاحب القبر ما الّذي سمعت من رسول الله ﷺ فيهم؟ قال: نعم سمعته يقول: إنّهم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة.

---

(١) كتاب العمدة، ص ٢٣٩.

وفي كتاب صفّين للواقدي عن عليّ عليه السلام: لولا أن تبطروا فتدعوا العمل لحدّثتكم بما سبق على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله لمن قتل هؤلاء.

وفيه قال عليّ عليه السلام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام قولهم من خير أقوال البريّة صلاتهم أكثر من صلاتكم وقراءتهم أكثر من قراءتكم لا يجاوز إيمانهم تراقيهم - أو قال: حناجرهم - يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرميّة فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة.

وفي كتاب صفّين أيضاً للمدائني عن مسروق أنّ عائشة قالت له لمّا عرفت أنّ عليّاً قتل ذا الثدية: لعن الله عمرو بن العاص فإنّه كتب إليّ يخبرني أنّه قتله بالإسكندرية ألا إنّه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يقتله خير أمّتي من بعدي[1].

٥٨٥ - **أقول:** وروى في جامع الأصول تلك الأخبار والأخبار السابقة بأسانيد.

وروى عن أبي سعيد الخدريّ قال: بعث عليّ عليه السلام وهو باليمن إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بذهيبة في تربتها فقسمها بين أربعة الأقرع بن حابس وعيينة بن بدر الفزاريّ وعلقمة بن علاثة العامريّ وزيد بن الخيل الطائيّ فتغضبت قريش والأنصار فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا!! قال: إنّما أتألفهم فأقبل رجل غائر العينين ناتئ الجبين كثّ اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس فقال: يا محمّد اتق الله. قال: فمن يطيع الله إذا عصيته أفيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟ فقال رجل من القوم: أقتله أراه خالد بن الوليد فمنعه فلمّا ولى قال: إنّ من ضنضئ هذا قوماً يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرميّة يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد.

وفي رواية أُخرى: قيل: ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق - أو قال التسبيد - فإذا رأيتموهم فأنيموهم[2].

بيان: قال [ابن الأثير] في [مادة «ضأضأ» من كتاب] النّهاية بعد ذكر بعض الخبر: الضئضئ: الأصل يقال: ضئضئ صدق وضُؤضُؤ صدق. وحكى بعضهم ضئضئى بوزن قنديل يريد أنّه يخرج من نسله وعقبه. ورواه بعضهم بالصاد المهملة وهو بمعناه.

وقال في حديث الخوارج: «التسبيد فيهم فاش» هو الحلق واستئصال الشعر. وقيل: هو ترك التدهن وغسل الرأس. وقال: أنيموهم أي اقتلوهم.

ويقال: نامت الشاة وغيرها إذا ماتت والنائمة الميتة.

أقول: الأخبار في ذلك في كتب الخاصّة والعامّة كثيرة تركناها مخافة الإكثار والتكرار.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٤٠.

(٢) جامع الاصول لابن الأثير، ج ١٠ ص ٧٦ رقم ٧٥٤٩.

٥٨٦ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ بإسناده عن أبي عمران الكنديّ قال: قال ابن الكوّاء لأمير المؤمنين عليه السلام: من الأخسرون أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً. قال: كفرة أهل الكتاب فإن أوّليهم كانوا في حقّ فابتدعوا في دينهم فأشركوا بربّهم وهم يجتهدون في العبادة يحسبون أنّهم على شيء فهم الأخسرون أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

ثم رفع صوته وقال: وما أهل النهروان غداً منهم ببعيد. قال ابن الكوّاء: لا أتبع سواك ولا أسأل غيرك قال: إذا كان الأمر إليك فافعل. الخبر[1].

٢٣ - باب قتال الخوارج واحتجاجاته صلوات الله عليه

٥٨٧ - **قال ابن أبي الحديد في شرح النهج:** روى ابن ديزيل في كتاب صفّين عن عبد الرحمان بن زياد عن خالد بن حميد عن عمر مولى غفرة قال: لمّا رجع عليّ عليه السلام من صفّين إلى الكوفة أقام الخوارج حتّى جمّوا ثمّ خرجوا إلى صحراء بالكوفة تسمّى حروراء فتنادوا: لا حكم إلاّ لله ولو كره المشركون ألا إنّ معاوية وعليّاً أشركا في حُكم الله.

فأرسل عليّ عليه السلام إليهم عبد الله بن العبّاس فنظر في أمرهم وكلّمهم ثمّ رجع إلى عليّ عليه السلام فقال له: ما رأيت؟ فقال ابن عبّاس: والله ما أدري ما هم؟ فقال عليه السلام أرأيتهم منافقين؟ فقال: والله ما سيماهم سيماء منافقين إنّ بين أعينهم لأثر السجود [وهم] يتأوّلون القرآن. فقال عليه السلام دعوهم ما لم يسفكوا دماً أو يغصبوا مالاً وأرسل إليهم: ما هذا الّذي أحدثتم وما تريدون؟ قالوا: نريد أن نخرج نحن وأنت ومن كان معنا بصفّين ثلاث ليال ونتوب إلى الله من أمر الحكمين ثمّ نسير إلى معاوية فنقاتله حتّى يحكم الله بيننا وبينه فقال عليّ عليه السلام فهلا قلتم هذا حين بعثنا الحكمين وأخذنا منهم العهد وأعطيناهموه ألا قلتم هذا حينئذٍ قالوا: كنّا قد طالت الحرب علينا واشتدّ البأس وكثر الجراح وكلّ الكراع والسّلاح! فقال لهم: أفحين اشتدّ البأس عليكم عاهدتم فلمّا وجدتم الجمام قلتم ننقض العهد؟! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يفي للمشركين بالعهد أفتأمرونني بنقضه؟

فمكثوا مكانهم لا يزال الواحد منهم يرجع إلى عليّ عليه السلام ولا يزال الآخر منهم يخرج من عند عليّ عليه السلام فدخل واحد منهم على عليّ عليه السلام بالمسجد والنّاس حوله فصاح: لا حكم إلاّ لله ولو كره المشركون فتلفّت النّاس فنادى: لا حكم إلاّ لله ولو كره المتلفّتون! فرفع عليّ عليه السلام رأسه إليه فقال: لاحكم إلاّ لله ولو كره أبو حسن فقال عليه السلام إنّ أبا حسن لا يكره أن يكون الحكم لله ثمّ قال: حكم الله أنتظر فيكم. فقال له الناس: هلاّ ملت يا أمير المؤمنين على هؤلاء فأفنيتهم؟ فقال: إنّهم لا يفنون إنّهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة.

---

(١) كتاب الغارات، ص ١٨٠.

قال: وروى أنس بن عياض المدني عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليه السلام أنّ علياً عليه السلام كان يوماً يؤمّ النّاس وهو يجهر بالقراءة فجهر ابن الكوّاء من خلفه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فلما جهر ابن الكوّاء من خلفه بها سكت عليّ عليه السلام فلمّا أنهاها ابن الكوّاء عاد عليّ عليه السلام فأتمّ قراءته فلمّا شرع عليّ عليه السلام في القراءة أعاد ابن الكوّاء الجهر بتلك الآية فسكت عليّ عليه السلام فلم يزالا كذلك يسكت هذا ويقرأ ذاك مراراً حتّى قرأ عليّ عليه السلام: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ فسكت ابن الكوّاء وعاد عليّ عليه السلام إلى قراءته(١).

قال: وذكر الطبريّ في التاريخ أنّ علياً عليه السلام لمّا دخل الكوفة دخلها معه كثير من الخوارج وتخلّف منهم بالنّخيلة وغيرها خلق كثير لم يدخلوها فدخل حرقوص بن زهير السعدي وزرعة بن برج الطّائيّ وهما من رؤوس الخوارج على عليّ عليه السلام فقال له حرقوص: تب من خطيئتك واخرج بنا إلى معاوية نجاهده.

فقال عليه السلام: إنّي كنت نهيت عن الحكومة فأبيتم ثمّ الآن تجعلوها ذنباً؟ أما إنّها ليست بمعصية ولكنها عجز من الرّأي وضعف في التدبير وقد نهيتكم عنه.

فقال له زرعة: أما والله لئن لم تتُب من تحكيمك الرجال لأقتلنّك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه. فقال له عليّ عليه السلام بؤساً لك ما أشقاك كأنّي بك قتيلاً تسفي عليك الرياح!! قال زرعة: وددت أنّه كان ذلك(٢).

وخرج عليّ عليه السلام يخطب النّاس فصاحوا به من جوانب المسجد: لا حكم إلاّ لله. وصاح به رجل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣). فقال عليّ عليه السلام: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾(٤).

وروى ابن ديزيل في كتاب صفّين قال كانت الخوارج في أوّل ما انصرفت عن رايات عليّ عليه السلام تهدّد النّاس قتلاً قال: فأتت طائفة منهم على النهر إلى جنب قرية فخرج منها رجل مذعوراً آخذاً بثيابه فأدركوه فقالوا له: أرعبناك؟ قال: أجل فقالوا: قد عرفناك أنت عبد الله ابن خبّاب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نعم قالوا: فما سمعت من أبيك يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فحدّثهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ فتنة جائية القاعد منها خير من القائم الحديث.

وقال غيره: بل حدّثهم أنّ طائفة تمرق من الدّين كما يمرق السّهم من الرميّة يقرؤن القرآن صلاتهم أكثر من صلاتكم الحديث.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٦٩.
(٢) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٣٣٢.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٤) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٦٩.

فضربوا رأسه فسال دمه في النهر ما امذقرّ أي ما اختلط بالماء كأنّه شراك ثمّ دعوا بجارية له حبلى فبقروا عمّا في بطنها. وقال: عزم عليّ عليه السلام الخروج من الكوفة إلى الحرورية وكان في أصحابه منجّم فقال له: يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه السّاعة وسر على ثلاث ساعات مضين من النّهار فإنّك إنّ سرت في هذه السّاعة أصابك وأصاب أصحابك أذىً وضرّ شديد وإن سرت في السّاعة الّتي أمرتك بها ظهرت وظفرت وأصبت ما طلبت.

فقال له [علي عليه السلام:] أتدري ما في بطن فرسي هذه أذكر هو أم أنثى قال: إن حسبت علمت. فقال عليه السلام من صدّقك بهذا فقد كذب بالقرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾[1] الآية ثمّ قال عليه السلام: إنّ محمداً صلى الله عليه وآله ما كان يدّعي علم ما ادّعيت علمه أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها وتصرف عن السّاعة الّتي يحيق السوء بمن سار فيها فمن صدّقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله عزّ وجلّ في صرف المكروه عنه وينبغي للموقن بأمرك أن يوليك الحمد دون الله جل جلاله لأنّك بزعمك هديته إلى السّاعة الّتي يصيب النفع من سار فيها وصرفته عن السّاعة الّتي يحيق السّوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتّخذ من دون الله ضدّاً وندّاً اللّهمّ لا طير إلاّ طيرك ولا ضير إلاّ ضيرك ولا إله غيرك.

ثم قال: نخالف ونسير في السّاعة الّتي نهيتنا عنها ثمّ أقبل على النّاس فقال: أيّها النّاس إيّاكم والتعلّم للنّجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البرّ والبحر إنّما المنجم كالكاهن والكاهن كالكافر والكافر في النّار أما والله إن بلغني أنّك تعمل بالنّجوم لأُخلدنّك السجن أبداً ما بقيت ولأحرمنّك العطاء ما كان لي سلطان.

ثم سار في السّاعة الّتي نهاه عنها المنجّم فظفر بأهل النهر وظهر عليهم ثمّ قال: لو لم نسر في السّاعة الّتي نهانا عنها المنجّم لقال الناس: سار في السّاعة الّتي أمر بها المنجّم فظفر وظهر أما إنّه ما كان لمحمّد صلى الله عليه وآله منجّم ولا لنا من بعده حتّى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر أيّها النّاس توكّلوا على الله وثقوا به فإنّه يكفي ممّن سواه.

قال فروى مسلم الضبّي عن حبّة العرنيّ قال: لمّا انتهينا إليهم رمونا فقلنا لعليّ عليه السلام يا أمير المؤمنين قد رمونا فقال كفّوا ثمّ رمونا فقال لنا كفّوا ثمّ الثالثة فقال: الآن طاب القتال احملوا عليهم.

وروى أيضاً عن قيس بن سعد بن عبادة أنّ عليّاً عليه السلام لمّا انتهى إليهم قال لهم: أقيدونا بدم عبد الله بن خبّاب فقالوا: كلّنا قتله فقال: احملوا عليهم.

وذكر أبو هلال العسكريّ في كتاب الأوائل أنّ أوّل من قال: لا حكم إلاّ لله عزّ وجلّ: عروة

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

بن حبير قالها بصفّين وقيل: [أول من قالها] يزيد بن عاصم المحاربيّ قال: وكان أميرهم أوّل ما اعتزلوا ابن الكوّا ثمّ بايعوا عبد الله بن وهب الرّاسبيّ.

وذكر المدائنيّ في كتاب الخوارج قال: لمّا خرج عليّ عليه السلام إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممّن كان على مقدّمته يركض حتّى انتهى إلى عليّ فقال: البشرى يا أمير المؤمنين قال: ما بشراك؟ قال: إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك فأبشر فقد منحك الله أكتافهم. فقال: الله أنت رأيتهم قد عبروا؟ قال: نعم فأحلفه ثلاث مرات في كلّها يقول نعم فقال عليه السلام والله ما عبروا ولن يعبروه وإنّ مصارعهم لدون النطفة والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث ولا قصر بوران حتّى يقتلهم الله وقد خاب من افترى.

قال: ثمّ أقبل فارس آخر يركض فقال كقول الأوّل فلم يكترث عليه السلام بقوله وجاءت الفرسان كلّها تركض وتقول مثل ذلك فقام عليّ عليه السلام فجال في متن فرسه قال: فقال شاب من الناس: والله لأكونن قريباً منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنّ سنان هذا الرمح في عينيه أيدعي علم الغيب؟!

فلمّا انتهى عليّ إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيلهم وجثوا على ركبهم وتحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل.

فنزل ذلك الشاب فقال: يا أمير المؤمنين إنّي كنت شككت فيك آنفاً وإنّي تائب إلى الله وإليك فاغفر لي فقال عليه السلام إنّ الله هو الّذي يغفر الذنوب فاستغفره(١).

وذكر المبرّد في الكامل قال: لمّا واقفهم عليّ عليه السلام بالنهروان قال: لا تبدؤهم بقتال حتّى يبدؤكم فحمل منهم رجل على صف عليّ عليه السلام فقتل منهم ثلاثة فخرج إليه عليه السلام فضربه فقتله فلمّا خالطه سيفه قال: يا حبّذا الرّوحة إلى الجنّة فقال عبد الله بن وهب: والله ما أدري إلى الجنّة أم إلى النار. فقال رجل منهم من بني سعد: إنّما حضرت اغتراراً بهذا الرّجل - يعني عبد الله - وأراه قد شكّ واعتزل عن الحرب بجماعة من النّاس.

ومال ألف منهم إلى جهة أبي أيّوب الأنصاريّ وكان على ميمنة عليّ عليه السلام فقال لأصحابه: احملوا عليهم فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة. فحمل عليهم فطحنهم طحناً [و] قتل من أصحابه عليه السلام تسعة وأفلت من الخوارج ثمانية.

وذكر المبرّد وغيره أيضاً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا وجّه إليهم عبد الله بن العبّاس ليناظرهم قال لهم: ما الّذي نقمتم على أمير المؤمنين قالوا له: قد كان للمؤمنين أميراً فلمّا حكّم في دين الله خرج من الإيمان فليتب بعد إقراره بالكفر نعد إليه.

---

(١) **أقول**: ظاهر الرواية حصر غفران الذنوب التي بين العبد وبين الله تعالى بالله تعالى، لا ما يكون بين الناس بعضهم مع بعض، فإنه يصح أن يغفر بعضهم لبعض. [النمازي].

قال ابن عبّاس: ما ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه بشكّ أن يقرّ على نفسه بالكفر. قالوا: إنّه أمر بالتّحكيم. قال: إنّ الله أمر بالتحكيم في قتل صيد فقال: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا: إنّه قد حكم عليه فلم يرض. قال: إنّ الحكومة كالإمامة ومتى فسق الإمام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لمّا خالفا نبذت أقاويلهما. فقال بعضهم لبعض: اجعلوا احتجاج قريش حجّة عليهم فإن هذا من الّذين قال الله فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ وقال جل ثناؤه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾.

وقال المبرّد: أوّل من حكم عروة بن أديّة وقيل رجل من بني محارب يقال له سعيد. ولم يختلفوا في اجتماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي وأنّه امتنع عليهم وأومى إلى غيره فلم يرضوا إلاّ به فكان إمام القوم وأوّل سيف سلّ من سيوف الخوارج سيف عروة بن أدية وذاك أنّه أقبل على الأشعث فقال له: ما هذه الدنية يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط أوثق من شرط الله عزوجل؟ ثمَّ شهر عليه السيف والأشعث مول فضرب به عجز بغلته.

وعروة [هذا] من الّذين نجوا من حرب النهروان فلم يزل باقياً مدّة في أيام معاوية حتّى أُتي به زياد ومعه مولىً له فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيراً فسأله عن عثمان وأبي تراب فتولّى عثمان ستّ سنين من خلافته ثمَّ شهد عليه بالكفر وفعل في أمر عليّ عليه السلام مثل ذلك إلى أن حكّم ثمَّ شهد عليه بالكفر ثمَّ سأله عن معاوية فسبّه سبّاً قبيحاً ثمَّ سأله عن نفسه فقال له: أوّلك لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص لربّك.

فأمر به [زياد] فضرب عنقه ثمَّ دعا مولاه فقال له: صف لي أموره قال: أُطنب أم أختصر؟ قال: بل اختصر. قال: ما أتيته بطعام بنهار [قطّ] ولا فرشت له فراشاً بليل قطّ.

قال: وسبب تسميتهم الحرورية أنّ عليّاً عليه السلام لمّا ناظرهم بعد مناظرة ابن عبّاس إيّاهم كان فيما قال لهم: ألا تعلمون أنّ هؤلاء القوم لمّا رفعوا المصاحف قلت لكم إنّ هذه مكيدة ووهن ولو أنّهم قصدوا إلى حكم المصاحف لأتوني وسألوني التحكيم أفتعلمون أنّ أحداً كان أكره للتحكيم منّي قالوا صدقت قال: فهل تعلمون أنّكم استكرهتموني على ذلك حتّى أجبتكم إليه فاشترطت أنّ حكمها نافذ ما حكما بحكم الله فمتى خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء وأنتم تعلمون أنّ حكم الله لا يعدوني قالوا اللّهمَّ نعم.

قال: وكان معهم في ذلك الوقت ابن الكوّاء قال: وهذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن خبّاب وإنّما ذبحوه في الفرقة الثانية بكسكر فقالوا له: حكّمت في دين الله برأينا ونحن مقرّون بأنا كنّا كفرنا ولكنّا الآن تائبون فأقرّ بمثل ما أقررنا به وتب ننهض معك إلى الشام.

فقال: أما تعلمون أنّ الله تعالى قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرّجل وامرأته فقال سبحانه: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ وفي صيد أصيب كأرنب يساوي نصف درهم فقال: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فقالوا له: فإن عمراً لمّا أبى عليك أن تقول في كتابك:

«هذا ما كتبه عبد الله عليّ أمير المؤمنين» محوت اسمك من الخلافة وكتبت: «علي بن أبي طالب» فقد خلعت نفسك.

فقال: لي برسول الله ﷺ أسوة حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب «هذا ما كتبه محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو» وقال له: لو أقررت بأنّك رسول الله ﷺ ما خالفتك ولكنّي أقدمك لفضلك فاكتب «محمد بن عبد الله» فقال لي: يا عليّ امح رسول الله قلت لا تشجّعني نفسي على محو اسمك من النبوّة قال: فقفني عليه فمحاه بيده ثمّ قال: اكتب «محمد ابن عبد الله» ثم تبسّم إليّ وقال يا عليّ أما إنّك ستسام مثلها فتعطي.

فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمّعوا بها فقال لهم عليّ: ما نسمّيكم ثمّ قال: أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء.

وروى أهل السّير كافّة أنّ عليّاً عليه السلام لمّا طحن القوم طلب ذا الثدية طلباً شديداً وقلّب القتلى ظهراً لبطن فلم يقدر عليه فساءه ذلك وجعل يقول والله ما كَذبت ولا كُذبت اطلبوا الرّجل وإنّه لفي القوم فلم يزل يتطلّبه حتّى وجده وهو رجل مخدج اليد كأنّها ثدي في صدره.

وروى ابن ديزيل عن الأعمش عن زيد بن وهب قال: لمّا شجرهم عليّ عليه السلام بالرماح قال: اطلبوا ذا الثدية فطلبوه طلباً شديداً حتّى وجدوه في وهدة من الأرض تحت ناسٍ من القتلى فأُتي به وإذا رجل على يديه مثل سبلات السنّور فكبّر عليّ عليه السلام وكبّر النّاس معه سروراً بذلك.

وروى أيضاً عن مسلم الضبّي عن حبّة العرنيّ قال: كان رجلاً أسود منتن الريح له يد كثدي المرأة إذا مدّت كانت بطول اليد الأخرى وإذا تركت اجتمعت وتقلّصت وصارت كثدي المرأة عليها شعرات مثل شوارب الهرّة فلمّا وجدوه قطعوا يده ونصبوها على رمح ثمّ جعل عليّ عليه السلام ينادي صدق الله وبلّغ رسوله لم يزل يقول ذلك هو وأصحابه بعد العصر إلى أن غربت الشمس أو كادت.

وروى أيضاً أنّه قال: لمّا عيل صبر عليّ عليه السلام في طلب المخدج قال: ائتوني ببغلة رسول الله ﷺ فركبها واتبعه النّاس فرأى القتلى وجعل يقول: اقلبوا فيقلبون قتيلاً عن قتيل حتّى استخرجه فسجد عليّ عليه السلام.

وروى كثير من النّاس أنّه لمّا دعى بالبغلة قال: ائتوني بها فإنّها هادية فوقفت به على المخدج فأخرجه من تحت قتلى كثيرين.

وروى العوام بن حوشب عن أبيه عن جدّه يزيد بن رويم قال: قال عليّ عليه السلام: يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثدية فلمّا طحن القوم ورام استخراج ذي الثدية فأتعبه أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة فركب بغلة رسول الله ﷺ وقال: اطرح على كلّ قتيل منهم قصبة فلم أزل كذلك وأنا بين يديه وهو راكب خلفي والنّاس يتبعونه حتّى بقيت في يدي

واحدة فنظرت إليه وإذا وجهه أربد وإذا هو يقول: والله ما كَذبت ولا كُذبت فإذا خرير ماء عند موضع دالية فقال: فتّش هذا ففتّشته فإذا قتيل قد صار في الماء وإذا رجله في يدي فجذبتها وقلت هذه رجل إنسان فنزل عن البغلة مسرعاً فجذب الرّجل الأُخرى وجررناه حتّى صار على التراب فإذا هو المخدج فكبّر عليّ عليه السلام بأعلى صوته ثمّ سجد فكبّر النّاس كلّهم.

وقد روى كثير من المحدّثين أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لأصحابه يوماً: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله قال: لا. فقال عمر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا بل هو خاصف النعل وأشار إلى عليّ عليه السلام.

وقد روى المحدثون أنّ رجلاً تلا بحضرة عليّ عليه السلام: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[1] فقال عليّ عليه السلام: أهل حروراء منهم.

قال المبرّد: ومن شعر أمير المؤمنين الّذي لااختلاف فيه أنّه قاله وكان يردّده أنّهم لمّا ساموه أن يقرّ بالكفر ويتوب حتّى يسيروا معه إلى الشّام فقال: أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله والتفقه في دين الله أرجع كافراً ثمّ قال:

يا شاهد الله عليّ فاشهد ... أنّي على دين النبيّ أحمد

من شكّ في الله فإنّي مهتدي ... يا ربّ فاجعل في الجنان موردي

وروى أيضاً في الكامل أنّ عليّاً عليه السلام في أوّل خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبديّ وقد كان وجّهه إليهم زياد بن النضر الحارثيّ مع عبد الله بن عبّاس فقال لصعصعة بن صوحان: بأيّ القوم رأيتهم أشدّ إطافة؟ فقال بيزيد بن قيس الأرحبي.

فركب عليّ عليه السلام إلى حروراء فجعل يتخلّلهم حتّى صار إلى مضرب يزيد بن قيس فصلّى فيه ركعتين ثمّ خرج فاتّكأ على قوسه وأقبل على النّاس فقال: هذا مقام من فلج فيه فلج إلى يوم القيامة ثمّ كلّمهم وناشدهم فقالوا: إنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم وقد تبنا فتب إلى الله كما تبنا نعد لك. فقال عليّ عليه السلام أنا أستغفر الله من كلّ ذنب.

فرجعوا وهم ستّة آلاف فلمّا استقرّوا بالكوفة أشاعوا أنّ عليّاً عليه السلام رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً وقالوا: إنّما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع ويجبي المال ثمّ ينهض بنا إلى الشام. فأتى الأشعث عليّاً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّ النّاس قد تحدّثوا أنّك رأيت الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفراً. فقام عليّ عليه السلام فخطب فقال: من زعم أنّي رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالاً فقد ضلّ. فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكّمت.

ثم قال ابن أبي الحديد: كلّ فساد كان في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وكلّ اضطراب

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣-١٠٤.

حدث فأصله الأشعث ولولا محاقة أمير المؤمنين عليه السلام في معنى الحكومة في هذه المرّة لم يكن حرب النهروان ولكان عليه السلام ينهض بهم إلى معاوية ويملك الشّام فإنّه صلوات الله عليه حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض والمواربة وفي المثل النبويّ: الحرب خدعة. وذلك أنّهم قالوا: تب إلى الله ممّا فعلت كما تبنا ننهض معك إلى الحرب فقال لهم كلمة مرسلةً يقولها الأنبياء والمعصومون فرضوا بها وعدّوها إجابة لهم إلى سؤالهم وصفت له عليه السلام نيّاتهم واستخلص بها ضمائرهم من غير أن تتضمن تلك الكلمة اعترافاً بكفر أو ذنب فلم يتركه الأشعث وجاء إليه مستفسراً فأفسد الأمر ونقض ما دبّره عليه السلام وعادت الخوارج إلى شبهتها الأولى وهكذا الدّول الّتي تظهر فيها أمارات الزوال يتاح لها أمثال الأشعث من أولي الفساد في الأرض سنّة الله في الّذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

ثم قال: قال المبرّد ثم مضى القوم إلى النهروان وقد كانوا أرادوا المضيّ إلى المدائن فمن طريف أخبارهم أنّهم أصابوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم لأنّه عندهم كافر واستوصوا بالنصراني وقالوا: احفظوا ذمّة نبيكم.

قال ولقيهم عبد الله بن خباب في عنقه مصحف على حمار ومعه امرأته وهي حامل فقالوا له: إنّ هذا الّذي في عنقك ليأمرنا بقتلك! فقال لهم: ما أحياه القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه. فوثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها تورّعاً. وعرض لرجل منهم خنزير فضربه فقتله فقالوا: هذا فساد في الأرض وأنكروا قتل الخنزير! ثمّ قالوا لابن خبّاب: حدّثنا عن أبيك فقال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستكون بعدي فتنة يموت فيها قلب الرّجل كما يموت بدنه يمسي مؤمناً ويصبح كافراً فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل.

قالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى خيراً قالوا: فما تقول في عليّ بعد التحكيم وفي عثمان في السنين السّت الأخيرة فأثنى خيراً. قالوا: فما تقول في التحكيم والحكومة؟ قال: إنّ عليّاً أعلم بالله منكم وأشدّ توقّياً على دينه وأنفذ بصيرة.

فقالوا: إنّك لست بمتّبع الهدى إنّما تتبع الرجال على إيمانهم ثمّ قربوه إلى النهر فأضجعوه وذبحوه. قال: وساوموا رجلاً نصرانيّاً بنخلة له فقال: هي لكم فقالوا: ما كنّا لنأخذها إلاّ بثمن. فقال: وا عجباه أتقتلون مثل عبد الله بن خبّاب ولا تقبلون جنا نخلة.

وروى أبو عبيدة قال: طعن واحد من الخوارج يوم النهروان فمشى في الرمح وهو شاهر سيفه إلى أن وصل إلى طاعنه فقتله وهو يقرأ «وعجلت إليك ربّ لترضى».

قال: استنطقهم عليّ عليه السلام بقتل ابن خبّاب فأقرّوا به فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة فتكتبوا كتائب وأقرّت كلّ كتيبة بما أقرّت به الأُخرى من قتل ابن خبّاب وقالوا: لنقتلنّك كما قتلناه.

فقال: والله لو أقرّ أهل الدنيا كلّهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم لقتلتهم ثمَّ التفت إلى أصحابه فقال: شدّوا عليهم فأنا أوّل من يشدّ عليهم وحمل بذي الفقار حملة منكرة ثلاث مرّات كلّ حملة يضرب به حتّى يعوجّ متنه ثمَّ يخرج فيسوّيه بركبتيه ثمَّ يحمل به حتّى أفناهم.

وروى محمّد بن حبيب قال: خطب عليّ عليه السلام الخوارج يوم النهر فقال لهم: نحن أهل بيت النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرّحمة ومعدن العلم والحكمة نحن أفق الحجاز بنا يلحق البطيء والينا يرجع التائب أيّها النّاس إنّي نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأهضام هذا الوادي[1]. إلى آخر ما أورده السيّد [الرضي] رحمه الله [في المختار ٣٦ من كتاب نهج البلاغة الآتي قريباً].

٥٨٨ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ عن إبراهيم بن المبارك وإبراهيم بن العبّاس عن بكر بن عيسى عن اسماعيل بن خالد البجليّ عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو: عن زرّ بن حبيش قال: سمعت عليّاً يقول: أنا فقأت عين الفتنة ولولا أنا ما قوتل أهل النهروان ولا أصحاب الجمل ولولا أنّي أخشى أن تتكلوا فتدعوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيّكم لمن قاتلهم مبصراً بضلالهم عارفاً للهدى الّذي نحن عليه.

وعن عبيد بن سليمان النخعيّ عن سعيد الأشعريّ قال: استخلف عليّ عليه السلام حين سار إلى النهروان رجلاً من النخع يقال له هانئ بن هوذة فكتب إلى عليّ عليه السلام أنّ غنيّاً وباهلة فتنوا فدعوا الله عليك أن يظفر بك.

قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام أجلهم عدوّك من الكوفة ولا تدع منهم أحداً.

وعن عليّ بن قادم عن شريك بن عبد الله عن ليث عن أبي يحيى قال: سمعت عليّاً يقول: أغدوا خذوا حقكم مع النّاس والله يشهد أنّكم تبغضوني وأنّي أبغضكم[2].

٥٨٩ - **نهج:** قال عليه السلام وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهر: بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم. فقيل له: من غرّهم يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام الشيطان المضلّ والأنفس الأمارة بالسوء غرّتهم بالأماني وفسحت لهم في المعاصي ووعدتهم الإظهار فاقتحمت بهم النار[3].

بيان: «وفسحت» أي أوسعت لهم بالرخصة في المعاصي «ووعدتهم الإظهار» أي أن يظهرهم ويغلبهم علينا.

٥٩٠ - **نهج:** [و] قال عليه السلام لمّا سمع قول الخوارج «لا حكم إلاّ لله»: كلمة حقّ يراد بها باطل[4].

بيان: قال ابن ابي الحديد: قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي إذا أراد الله شيئاً من

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٤٢.
(٢) الغارات، ص ٢١١ ح ٢-٤.
(٣) نهج البلاغة، ص ٧٠٠ قصار الحكم رقم ٣٢٥.
(٤) نهج البلاغة، ص ١١٤ خ ٤٠.

أفعاله فلا بدّ من وقوعه بخلاف غيره من القادرين وتمسّكت الخوارج به في إنكارهم عليه عليه السلام في القول بالتحكيم مع عدم رضاه عليه السلام كما ذكر في السّير وأراد الخوارج نفي كلّ ما يسمّى حكماً وهو باطل لأنّ الله تعالى قد أمضى حكم كثير من المخلوقين في كثير من الشرائع[(١)].

٥٩١ - **نهج:** [و] سمع عليه السلام رجلاً من الحرورية يتهجّد ويقرأ فقال: نوم على يقين خير من صلاة في شكّ[(٢)].

٥٩٢ - **نهج:** [و] من خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان: فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر وبأهضام هذا الغائط على غير بيّنة من ربّكم ولا سلطان مبين معكم قد طوّحت بكم الدار واحتبلكم المقدار.

وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم عليّ إباء المخالفين المنابذين حتّى صرفت رأيي إلى هواكم وأنتم معاشر أخفّاء الهام سفهاء الأحلام ولم آت لا أباً لكم بجراً ولا أردت بكم ضرّاً[(٣)].

بيان: الأهضام: جمع هضم وهو المطمئن من الوادي. والغائط: ما سفلت من الأرض. والسّلطان: الحجّة ولعلّ المراد بالبيّنة الحجّة الشرعيّة وبالسلطان الدّليل العقلي. وقال الجوهريّ: طاح يطوح ويطيح: هلك وسقط وكذلك إذا تاه في الأرض وطوّحه أي توهه وذهب به هاهنا وها هنا والمراد «بالدار» الدنيا «واحتبلكم» أي أوقعكم في الحبال «والمقدار» قضاء الله وقدره «والهام» جمع الهامة وهي الرأس وخفّتها كناية عن قلّة العقل أو عن الطيش وعدم الثبات في الرأي. والأحلام جمع حلم بالكسر وهو الأناة والعقل «ولا أباً لك» كلمة تستعمل في المدح كثيراً وفي الذّم أيضاً، وفي معرض التعجّب والظاهر هنا الذّم أو التعجب «والبُجر): الأمر العظيم والداهية. ويروى «هجراً» وهو السّاقط من القول. ويروى «عراً» والعر والمعرة: الإثم.

٥٩٣ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لمّا سمع قولهم: «لا حكم إلاّ لله» قال: كلمة حقّ يراد بها باطل نعم إنّه لا حكم إلاّ لله ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة وإنّه لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدوّ وتأمن به السّبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتّى يستريح بر ويستراح من فاجر.

وفي رواية أُخرى أنّه لمّا سمع تحكيمهم قال: حكم الله أنتظر فيكم وقال: أمّا الإمرة البرّة

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٩ ص ١١. (٢) نهج البلاغة، ص ٦٤٦ قصار الحكم رقم ٩٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ١٠٩ خ ٣٦.

فيعمل فيها التقيّ وأمّا الإمرة الفاجرة فيتمتّع فيها الشقيّ إلى أن تنقطع مدّته وتدركه منيّته[1].

بيان: قوله عليه السلام: «كلمة حق» الظاهر أنّ المراد بالكلمة قولهم: «لا حكم إلاّ لله» والباطل الّذي أريد بها المعنى الّذي قصدوه لا ما يفهم من كلام بعض الشارحين أنّ دعاء أصحاب معاوية إيّاكم إلى كتاب الله كلمة حقّ لكنّ مقصودهم بها ليس العمل بكتاب الله بل فتوركم عن الحرب وتفرّق أهوائكم ومعناها الحقّ حصر الحكم حقيقة فيه سبحانه إذ حكم غيره تعالى إنّما يجب متابعته لأنّه حكمه تعالى.

قوله عليه السلام: «وإنه لا بدّ للناس» الخ قال بعض الشارحين: الألفاظ كلّها ترجع إلى إمرة الفاجر قال: «يعمل فيها المؤمن» أي ليست بمانعة للمؤمن من العمل «ويستمتع فيها الكافر» أي يتمتّع بمدّته «ويبلغ الله فيها الأجل» لأنّ إمارة الفاجر كإمارة البرّ في أنّ المدة المضروبة فيها تنتهي إلى الأجل الموقت للإنسان.

وقال بعضهم: الضمير في «إمرته» راجع إلى الأمير مطلقاً فالإمرة الّتي يعمل فيها المؤمن الإمرة البرّة والّتي يستمتع فيها الكافر [الإمرة] الفاجرة والمراد بعمل المؤمن في إمرة البرّ عمله على وفق أوامر الله ونواهيه وباستمتاع الكافر في إمرة الفاجر انهماكه في اللّذات الحاضرة «ويبلغ الله فيها الأجل» أي في إمرة الأمير سواء كان برّاً أو فاجراً وفائدتها تذكير العُصاة ببلوغ الأجل وتخويفهم به. ويؤيّد هذا الوجه الرواية الأخرى.

ويمكن أن يكون المعنى أنّه لا بدّ في انتظام أمور المعاش أمير برّ أو فاجر ليعمل المؤمن بما يستوجب به جنّات النّعيم ويتمتّع فيها الكافر ليكون حجّة عليه ولعلّه أظهر لفظاً ومعنىً.

قوله عليه السلام: «حتى يستريح» كلمة حتّى إمّا لبيان الغاية والمعنى تستمرّ تلك الحال حتّى يستريح البرّ من الأمراء وهو الظاهر أو مطلقاً ويستريح النّاس من الفاجر أو مطلقاً بالموت أو العزل وفيهما راحة للبر لأنّ الآخرة خير من الأولى ولايجري الأمور غالباً على مراده ولايستلّذ كالفاجر بالانهماك في الشهوات، وراحة للناس من الفاجر لخلاصهم من جوره وإن انتظم به نظام الكلّ في المعاش.

وإمّا لترتّب الغاية أي حتّى يستريح البرّ من النّاس في دولة البرّ من الأمراء ويستريح النّاس مطلقاً من بغي بعض الفجّار ومن الشرور والمكاره في دولة الأمير مطلقاً براً كان أو فاجراً ولا ينافي ذلك إصابة المكروه من فاجر أحياناً.

قوله عليه السلام: «حكم الله أنتظر» أي جريان القضاء بقتلهم وحلول وقته.

قوله عليه السلام: «إلى أن تنقطع مدته» أي مدّة دولته أو حياته.

٥٩٤ - ٥٩٥ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام كلّم به الخوارج: أصابكم حاصب ولا بقي

---

(١) نهج البلاغة، ص ١١٤ خ ٤٠.

منكم آبر أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله ﷺ أشهد على نفسي بالكفر؟ لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين فأوبوا شرّ مآب وارجعوا على أثر الأعقاب أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً: وسيفاً قاطعاً وأثرة يتّخذها الظالمون فيكم سنّة.

قال السيّد رضي الله عنه قوله عليه السلام: «ولا بقي منكم آبر» يروى على ثلاثة أوجه أحدها بالراء من قولهم رجل آبر للذي يأبر النخل أي يصلحه.

ويروى آثرٌ وهو الّذي يأثر الحديث أي يحكيه ويرويه وهو أصحّ الوجوه عندي كأنّه عليه السلام قال: ولا بقي منكم مخبر. ويروى آبز بالزاء المعجمة وهو الواثب. والهالك أيضاً يقال له: آبز.

وقال عليه السلام لمّا عزم على حرب الخوارج وقيل له: إنّهم [إن القوم «خ»] قد عبروا جسر النهروان: مصارعهم دون النطفة والله لايفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة.

قال الرضيّ رحمه الله: يعني بالنطفة ماء النهر وهو أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جمّاً(١).

بيان: روي أنّه كلّمهم بهذا الكلام لمّا اعتزلوه وتنادوا من كلّ ناحية لا حكم إلاّ لله الحكم لله يا عليّ لالك وقالوا: بان لنا خطاؤنا فرجعنا وتبنا فارجع إليه أنت وتب!!! وقال بعضهم: اشهد على نفسك بالكفر ثمّ تب منه حتّى نطيعك «والحاصب» الريح الشديدة الّتي تثير الحصباء وهي صغار الحصى وإصابة الحاصب كناية عن العذاب. وقيل: أي أصابكم حجارة من السّماء «والأوب» بالفتح «والإياب» بالكسر: الرجوع «والأعقاب» مؤخر الأقدام. وأثرها بالتّحريك: علامتها. والرجوع على العقب هو القهقرى فهو كالتأكيد للسّابق قيل هو أمر لهم بالإياب والرجوع إلى الحقّ من حيث خرجوا منه قهراً كأنّ القاهر يضرب في وجوههم يردّهم على أعقابهم والرجوع هكذا شرّ الأنواع وقيل هو دعاء عليهم بالذلّ وانعكاس الحال.

أقول: ويحتمل أن يكون الأمر على التهديد كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ «والأثرة» بالتحريك الاسم من قولك: فلان يستأثر على أصحابه أي يختار لنفسه أشياء حسنة ويخصّ نفسه بها. والاستئثار: الإنفراد بالشيء. أو من آثر يؤثر إيثاراً إذا أعطى أي يفضل الظالمون غيركم عليكم في نصيبكم ويعطونهم دونكم. وقيل: يجوز أن يكون المراد بالأَثَرَة النمام. والنهروان بفتح النون والراء وجوّز تثليث الرّاء ثلاث قرى أعلى وأوسط وأسفل بين واسط وبغداد.

والصرع: الطرح على الأرض والمصرع يكون مصدراً وموضعاً والمراد هنا مواضع هلاكهم. والإفلات والتفلت والانفلات: التخلّص من الشيء فجأة من غير تمكّث.

(١) نهج البلاغة، ص ١٣١ خ ٥٨-٥٩.

وهذا الخبر من معجزاته عليه السلام المتواترة وروي أنّه لمّا قتل الخوارج وجدُوا المفلت منهم تسعة تفرّقوا في البلاد ووجدوا المقتول من أصحابه عليه السلام ثمانية.

ويمكن أن يكون خفي على القوم مكان واحد من المقتولين أو يكون التّعبير بعدم هلاك العشرة للمشاكلة والمناسبة بين القرينتين.

٥٩٦ - **نهج**: [و] من كلام له عليه السلام لبعض أصحابه لمّا عزم على المسير إلى الخوارج فقال له: يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النّجوم فقال عليه السلام:

أتزعم أنّك تهدي إلى السّاعة الّتي من سار فيها صرف عنه السوء وتخوّف من السّاعة الّتي من سار فيها حاق به الضر فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله تعالى في نيل المحبوب ودفع المكروه. وينبغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربّه لأنّك بزعمك أنت هديته إلى السّاعة الّتي نال فيها النفع وأمن الضرّ.

ثم أقبل عليه السلام على النّاس فقال: أيّها النّاس إيّاكم وتعلّم النّجوم إلاّ ما يهتدى به في برّ أو بحر فإنّها تدعو إلى الكهانة المنجّم كالكاهن والكاهن كالساحر والسّاحر كالكافر والكافر في النّار سيروا على اسم الله وعونه[1].

٥٩٧ - **نهج**: ومن كلام له عليه السلام وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها فما ندري أيّ الأمرين أرشد فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأُخرى ثمّ قال: هذا جزاء من ترك العقدة أما والله لو أنّي حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الّذي يجعل الله فيه خيراً فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قوّمتكم وإن أبيتم تداركتكم لكانت الوُثقى ولكن بمن وإلى من؟ أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي كناقش الشوكة بالشّوكة وهو يعلم أنّ ضلعها معها.

اللّهمّ قد ملّت أطبّاء هذا الداء الدّويّ وكلّت النزعة بأشطان الرّكيّ أين القوم الّذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرؤا القرآن فأحكموه وهُيّجوا إلى الجهاد فولّهوا اللّقاح إلى أولادها وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفّاً صفّاً بعض هلك وبعض نجا لا يبشّرون بالأحياء ولا يعزّون عن الموتى مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الألوان من السّهر على وجوههم غبرة الخاشعين أولئك إخواني الذاهبون فحقّ لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم.

إنّ الشيطان يسنّي لكم طُرقه ويريد أن يحلّ دينكم عُقْدةً عُقْدةً ويعطيكم بالجماعة الفُرقة وبالفرقة الفتنة فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته واقبلوا النّصيحة ممّن أهداها إليكم واعقلوها على أنفسكم[2].

---

(١) نهج البلاغة، ص ١٥٦ خ ٧٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٦١ خ ١٢٠.

إيضاح: قوله عليه السلام: «هذا جزاء من ترك العقدة» أي الرّأي والحزم وقيل مراده عليه السلام هذا جزاؤكم حين تركتم الرّأي الأصوب فيكون هذا إشارة إلى حيرتهم الّتي دلّ عليها قولهم: «فما ندري أيّ الأمرين أرشد» فيكون ترك العقدة منهم لا منه عليه السلام.

ويمكن حمله على ظاهره الألصق بقوله عليه السلام بعد ذلك: «حملتكم على المكروه» الخ ولا يلزم خطاؤه كما توهمه الخوارج بأن يكون المراد كان هذا جزائي حين تركت العقدة أي هذا ممّا يترتّب على ترك العقدة وإن كان تركها اضطراراً لا اختياراً ولا عن فساد رأي كما يدلّ عليه صريح قوله عليه السلام بعد ذلك: «ولكن بمن وإلى من» فإن ترك الأصلح إذا لم يمكن العمل بالأصلح ممّا لافساد فيه، ولاريب في عدم إمكان حربه عليه السلام بعد رفعهم المصاحف وافتراق أصحابه.

قوله عليه السلام: «على المكروه» أي الحرب إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ والمكروه مكروه لهم لا له عليه السلام.

قوله: «وإن اعوججتم» لعلّ المراد بالاعوجاج اليسير من العصيان لا الإباء المطلق، وبالتقويم الإرشاد والتحريض والتشجيع وبالإباء الإباء المطلق، وبالتّدارك الاستنجاد بغيرهم من قبائل العرب وأهل الحجاز وخراسان فإنّ كلّهم كانوا من شيعته عليه السلام كذا ذكره ابن أبي الحديد.

قوله عليه السلام: «ولكن بمن» أي بمن أستعين في هذا الأمر الّذي لا بدّ له من ناصر ومعين وإلى من أرجع في ذلك؟.

قوله عليه السلام: «كناقش الشوكة» هذا مثل للعرب لاتنقش الشوكة بالشوكة فإنّ ضلعها معها أي إذا استخرجت الشوكة بمثلها فكما أنّ الأولى انكسرت في رجلك وبقيت في لحمك كذلك تنكسر الثانية «فإنّ ضلعها» بالتّحريك أي ميلها معها أي طباع بعضكم يشبه طباع بعض ويميل إليها كما تميل الشوكة إلى مثلها.

وقال [ابن الأثير] في [مادّة نقش من] النّهاية: نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه وبه سمي المنقاش الّذي ينقش به.

و «الداء الدوي» الشّديد من دوي إذا مرض «والنزعة» جمع نازع وهو الّذي يستقي الماء «والشطن» هو الحبل و«الركيّ» جمع الركية وهي البئر كأنهم عن المصلحة في قعر بئر عميق وكلّ عليه السلام من جذبهم إليه أو شبه عليه السلام وعظه لهم وقلّة تأثيره فيهم بمن يستقي من بئر عميقة لأرض وسيعة وعجز عن سقيها.

قوله عليه السلام: «فولّهوا اللقاح» اللقاح بكسر اللام: الإبل الواحدة لقوح وهي الحلوب أي جعلوا اللقاح والهةً إلى أولادها بركوبهم إيّاها عند خروجهم إلى الجهاد. وفي بعض النسخ: «فَوَلَهوا وله اللّقاح إلى أولادها» والوله إلى الشيء: الاشتياق إليه.

«وأخذوا بأطراف الأرض» أي أخذوا الأرض بأطرافها كما قيل أو أخذوا على النّاس بأطراف الأرض أي حصروهم يقال لمن استولى على غيره وضيّق عليه: قد أخذ بأطراف الأرض. وأخذوا أطرافها من قبيل أخذت بالخطام. والزّحف: الجيش يزحفون إلى العدو أي يمشون. ويكون مصدراً كالصّفّ ونصبهما على الحاليّة أي زحفاً بعد زحف وصفّاً بعد صفّ في الأطراف أو المصدريّة أي يزحفون زحفاً. قوله: «لا يبشّرون» أي لشدّة ولههم إلى الجهاد لايفرحون ببقاء حيّهم حتّى يبشّروا به ولا يحزنون لقتل قتيلهم حتّى يعزّوا به أو لمّا قطعوا العلائق الدنيوية إذا ولد لأحدهم مولود لم يبشّر به وإذا مات منهم أحد لم يعزّوا عنه والأوّل أظهر لاسيّما على نسخة القيل.

وقال في النهاية المره: مرض في العين لترك الكحل. وقال: الخمص: الجوع والمجاعة ورجل خمص إذا كان ضامر البطن. وذبل أي قل ماؤه وذهبت نضارته. وقال الجوهريّ: يقال: حقّ لك أن تفعل أي خليق بك. وقال: سناه أي فتحه وسهله. ويقال: صدف عن الأمر أي انصرف عنه. ونزغ الشيطان بينهم أي أفسد وأغرى ونفثاته: وساوسه الّتي ينفث بها.

٥٩٨ - **نهج:** [و] من كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائيّ وقد قال [له] بحيث يسمعه «لا حكم إلاّ لله» وكان من الخوارج:

اسكت قبّحك الله يا أثرم فوالله لقد ظهر الحقّ فكنت فيه ضئيلاً شخصك خفيّاً صوتك حتّى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز(١).

بيان: «قبّحك الله» بالتخفيف والتشديد أي نحّاك عن الخير. وقيل: كسرك يقال: قبّحت الجوزة أي كسرتها. والثّرم: سقوط الأسنان. والضّئيل: الدّقيق النّحيف الخفيّ. و«نعر» أي صاح كناية عن ظهور الباطل وقوّة أهله. ونجم: طلع أي طلعت بلا شرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة. والماعز واحد المعز من الغنم وهو خلاف الضأن.

٥٩٩ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ عن إسماعيل بن أبان، عن عبد الغفّار ابن القاسم، عن المنصور بن عمر، عن زر بن حُبَيش.

وعن أحمد بن عمران بن أبي ليلى عن أبيه عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو، عن زرّ بن حبيش قال: خطب عليّ عليه السلام بالنهروان فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس أمّا بعد أنا فقأت عين الفتنة لم يكن أحد ليجتري عليها غيري - وفي حديث ابن أبي ليلى لم يكن ليفقأها أحد غيري - ولو لم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل وأهل النهروان وأيم الله لولا أن تتكلوا وتدعوا العمل لحدّثتكم بما قضى الله على لسان نبيّكم صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم عارفاً للهدى الّذي نحن عليه.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٧٤ خ ١٨٢.

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عمّا شئتم سلوني قبل أنّ تفقدوني إنّي ميت أو مقتول بل قتلاً ماينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم؟ وضرب بيده إلى لحيته.

والذي نفسي بيده لاتسألوني عن شيء فيما بينكم وبين السّاعة ولا عن فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلاّ نبأتكم بناعقها وسائقها. فقام إليه رجل فقال: حدّثنا يا أمير المؤمنين عن البلاء. قال: إنّكم في زمان إذا سأل سائل فليعقل وإذا سُئل مسؤول فليثبّت.

الا وإنّ من ورائكم أموراً أتتكم جللاً مزوجاً وبلاءً مكلحاً ملحاً والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة أن لو قد فقدتموني ونزلت [بكم] كراهية الأمور وحقائق البلاء لقد أطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين وذلك إذا قلّصت حربكم وشمرت عن ساق، وكانت الدنيا بلاء عليكم وعلى أهل بيتي حتّى يفتح الله لبقية الأبرار.

فانصروا أقواماً كانوا أصحاب رايات يوم بدر ويوم حنين تنصروا وتؤجروا ولاتسبقوهم فتصرعكم البلية فقام إليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين حدّثنا عن الفتن. قال: إنّ الفتنة إذا أقبلت شبّهت وإذا أدبرت استقرّت يشبهن مقبلات ويعرفن مدبرات إنّ الفتن تحوم كالرّياح يصبن بلداً ويخطئن أخرى.

ألا إنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أُميّة إنّها فتنة عمياء مظلمة مطينة عمّت فتنتها وخصّت بليّتها وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمي عنها يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتّى تملأ الأرض عدواناً وظلماً وبِدَعاً. الا وإنّ أوّل من يضع جبروتها ويكسر عمدها وينزع أوتادها الله ربّ العالمين.

وأيم الله لتجدنّ بني أُميّة أرباب سوء لكم بعدي كالناب الضروس تعضّ بفيها وتخبط بيديها وتضرب برجليها وتمنع درّها لايزالون بكم حتّى لايتركوا في مصركم إلاّ تابعاً لهم أو غير ضارّ ولايزال بلاؤهم بكم حتّى لايكون انتصار أحدكم منهم إلاّ مثل انتصار العبد من ربّه إذا رآه أطاعه وإذا توارى عنه شتمه. وأيم الله لو فرقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم الله لشر يوم لهم. ألا إنّ من بعدي جماع شتّى ألا إنّ قبلتكم واحدة وحجّكم واحد وعمرتكم واحدة والقلوب مختلفة. ثم أدخل [عليه السلام] أصابعه بعضها في بعض.

فقام رجل فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا هكذا يقتل هذا هذا ويقتل هذا هذا قطعاً جاهليّة ليس فيها هدى ولا علم يرى نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة.

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما نصنع في ذلك الزمان؟ قال: انظروا أهل بيت نبيّكم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استصرخوكم فانصروهم تؤجروا ولا تسبقوهم فتصرعكم البليّة.

فقام رجل آخر فقال: ثمّ ما يكون بعد هذا يا أمير المؤمنين قال: ثمَّ إنّ الله يفرج الفتن برجل منّا أهل البيت كتفريج الأديم - بأبي ابن خيرة الإماء - يسومهم خسفاً ويسقيهم بكأس مصبرة فلا يعطيهم إلاّ السيف هرجاً هرجاً يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر ودّت قريش عند ذلك بالدنيا

وما فيها لو يروني مقاماً واحداً قدر حلب شاة أو جزر جزور لأقبل منهم بعض الّذي يردّ عليهم حتّى تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا فيغريه الله ببني أُميّة فيجعلهم ملعونين أينما ثقفوا [أُخذوا] وقُتّلوا تقتيلاً سنّة الله في الّذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً(١).

بيان: الجلل محركة: الأمر العظيم «مزوجاً» أي مقروناً بمثله. والكلوح: العبوس يقال: كلح وأكلح. و«قلّصت» بالتشديد أي انضمّت واجتمعت وبالتخفيف أي كثرت وتزايدت من قلصت البئر إذا ارتفع ماؤها «وشمرت عن ساق» أي كشفت عن شدّة. وحام الطائر وغيره حول الشيء: دار «مطينة» أي مخفية «والناب» الناقة المسنّة «والضروس» السيئة الخلق تعض حالبها. وجماع النّاس كرمّان: أخلاطهم من قبائل شتّى. وكلّما تجمع وانضمّ بعضه إلى بعض «ولبد» كنصر وفرح: أقام ولزق «كتفريج الأديم» أي الجلد عن اللحم. و«ابن خيرة الإماء» القائم عليه السلام «يسومهم خسفاً» أي يوليهم ذلاً و«كأس مصبرة» ممزوجة بالصبر وفي النهاية: فيه «بين يدي السّاعة هرج» أي قتال واختلاط وأصل الهرج: الكثرة في الشيء والاتّساع.

أقول: وقد مضى بعض هذه الخطبة مشروحاً.

٦٠٠ - **نهج:** من كلام له عليه السلام قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال عليه السلام أكلّكم شهد معنا صفّين قالوا: منّا من شهد ومنّا من لم يشهد. قال عليه السلام فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفّين فرقة ومن لم يشهدها فرقة حتّى أُكلّم كلاً بكلامه ونادى النّاس فقال: أمسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي وأقبلوا بأفئدتكم إليّ فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها ثمّ كلّمهم عليه السلام بكلام طويل منه:

ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلةً ومكراً وخديعةً: إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم! فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان وأوّله رحمة وآخره ندامة فأقيموا على شأنكم والزموا طريقتكم وعضّوا على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق إن أُجيب أضلّ وإن ترك ذَلّ، وقد كانت هذه الفعلة وقد رأيتكم أعطيتموها والله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها ولا حمّلني الله ذنبها ووالله إن جئتها إنّي للمحق الّذي يتّبع وإنّ الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته.

فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ القتل ليدور بين الآباء والأبناء والإخوان والقرابات فما نزداد على كلّ مصيبة وشدّة إلاّ إيماناً ومضيّاً على الحقّ وتسليماً للأمر وصبراً على مضض الجراح ولكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل فإذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثنا ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عمّا سواها(٢).

---

(١) الغارات، ص ٥ ح ١.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٦٢ خ ١٢١.

٦٠١ - ج: «ألم تقولوا» إلى آخر الكلام[1].

توضيح: قوله عليه السلام: «بكلامه» أي بالكلام الّذي يليق به. وقال في النهاية فيه: «نشدتك الله والرحم» أي سألتك بالله وبالرّحم. وقال الجوهريّ: الغيلة بالكسر: الخديعة. ونفّس تنفيساً: فرّج تفريجاً [قوله عليه السلام]: «أوله رحمة» لأنّه كان وسيلةً إلى حقن الدّماء. و«الفعلة» بالفتح المرّة من الفعل والمراد بها الرضا بالحكومة «وفريضتها» ما وجب بسببها وترتب عليها «وإن الكتاب لمعي» أي لفظاً ومعنى. والمضض: وجع المصيبة قوله عليه السلام: «إلى البقيّة» أي إلى بقاء ما بقي فيما بيننا من الإسلام كما ذكره ابن ميثم. والأظهر عندي أنّه من الإبقاء بمعنى الرحم والإشفاق والإصلاح كما في الصحيفة لا تبقى على من تضرع إليها.

وقال في القاموس: أبقيت ما بيننا: لم أبالغ في فساده والاسم البقية: ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ﴾ أي إبقاء.

وقال ابن أبي الحديد: هذا الكلام ليس يتلو بعضه بعضاً ولكنّه ثلاثة فصول لايلتصق أحدها بالآخر آخر الفصل الأوّل قوله عليه السلام: «وإن تُرِك ذل».

وآخر الفصل الثاني قوله: «على مضض الجراح». والفصل الثّالث ينتهي آخر الكلام.

٦٠٢ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام في التحكيم: إنّا لم نحكّم الرجال وإنّما حكّمنا القرآن وهذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدّفتين لاينطق بلسان ولا بدّ له من ترجمان وإنّما ينطق عنه الرجال، ولمّا دعانا القوم إلى أن نحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله تعالى وقد قال الله سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[2] فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه وردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته فإذا حكم بالصّدق في كتاب الله فنحن أحقّ النّاس به وإن حكم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن [أحق النّاس و] أولاهم به.

وأمّا قولكم: «لم جعلت بينك وبينهم أجلاً في التحكيم» فإنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل ويتثبت العالم ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمّة ولا يؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبينّ الحقّ وتنقاد لأوّل الغيّ.

إنّ أفضل النّاس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه - وإن نقصه وكرثه - من الباطل وإن جرّ إليه فائدة وزاده. فأين يُتاه بكم ومن أين أُتيتم استعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحقّ لا يبصرونه وموزعين بالجور لايعدلون عنه جُفاة عن الكتاب نكب عن الطّريق.

ما أنتم بوثيقة يعلق بها ولا زوافر [عزّ] يعتصم إليها لبئس حشاش نار الحرب أنتم أفّ لكم لقد لقيت منكم بَرَحاً يوماً أناديكم ويوماً أناجيكم فلا أحرار صدق عند النّداء ولا إخوان ثقة عند النّجاء[3].

---

(١) الاحتجاج، ص ١٨٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) نهج البلاغة، ص ٢٧٠ خ ١٢٣.

٦٠٣ - **ج:** قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّا لم نحكّم الرجال» إلى قوله «وتنقاد لأوّل الغيّ»[1].

توضيح: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّا لم نحكّم» حاصل الجواب أنّا لم نرض بتحكيم الرجلين مطلقاً بل على تقدير حكمهما بالصّدق في الكتاب والسنّة لأنّ القوم دعونا إلى تحكيم القرآن لا تحكيم الرجلين وإنّما رضينا بتحكيم الرجلين لحاجة القرآن إلى الترجمان فالحاكم حقيقة هو القرآن لا الرجلان فإذا خالف الرجلان حكم الكتاب والسنّة لم يجب علينا قبول قولهما. مع أنّ رضاه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان اضطراراً كما عرفت مراراً.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فإذا حكم بالصدق» أي إذا حكم بالصّدق في الكتاب والسنّة فيجب أن يحكم بخلافتنا لأنّا أحقّ النّاس بالكتاب والسنّة وإذا حكم بالصّدق فيهما فنحن أولى النّاس باتّباع حكمهما فعدم اتّباعنا لعدم حكمهما بالصّدق وإلاّ لاتبعناه وإذا حكم بالصّدق فيهما فنحن أحقّ النّاس بهذا الحكم فيجب عليهم اتّباع قولنا لاعلينا اتباع قولهم.

والضمير في قوله: «أحق النّاس به» عائد إلى الكتاب أو إلى الله أو إلى الحكم وفي [قوله:] «أولاهم به» إلى الرّسول أو إلى الحكم.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليتبيّن الجاهل» أي ليظهر للجاهل وجه الحقّ والتبيّن يكون لازماً ومتعدّياً ويتثبّت العالم بدفع الشبهة ويطمئنّ قلبه.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا يؤخذ بأكظامها» معطوف على «يتبين».

وقال [ابن الاثير] في [«كظم» من كتاب] النّهاية [و] في حديث عليّ «بأكظامها» هي جمع كظم بالتحريك وهو مخرج النّفس من الحلق. «وأوّل الغي» هو أوّل شبهة عرضت لهم من رفع المصاحف. وكرثه الغم وأكرثه أي اشتدّ عليه وبلغ منه المشقّة. وتاه يتيه تيهاً: تحيّر وضلّ أو تكبّر «ومن أين أتيتم» أي هلكتم أو دخل عليكم الشيطان والشبهة والحيلة. وقال الجوهريّ: أوزعته بالشيء أغريته به «لايعدلون به» أي ليس للجور عندهم عديل ويروى: «لا يعدلون عنه» أي لايتركونه إلى غيره. والجفاء: البعد عن الشيء. ونكب عن الطريق ينكب نكباً: عدل. «ما أنتم بوثيقة» أي بعروة وثيقة أو بذي وثيقة. والوثيقة: الثقة وعلق بالشيء كفرح وتعلّق به أي نشب واستمسك. وزافرة الرجل: أنصاره وخاصّته. والحُشاش بضم الحاء وتشديد الشين جمع حاش وهو الموقد للنار وكذلك الحشاش بالكسر والتخفيف وقيل: هو ما يحشّ به النّار أي يوقد. والبرح: الشدّة وفي بعض النسخ بالتاء وهو الحزن «يوماً أناديكم» أي جهراً «ويوماً أناجيكم» أي سرّاً «فلا أحرار» أي لا تنصرون ولا تحمون «ولا إخوان ثقة» أي لا تكتمون السر ولا تعملون بلوازم الإخاء.

٦٠٤ - **نهج** [و] من كلام له عَلَيْهِ السَّلَامُ للخوارج:

---

(١) الاحتجاج، ص ١٨٦.

فإن أبيتم إلاّ أن تزعموا أنّي أخطأت وضللت فلم تضلّلون عامّة أمة محمّد صلى الله عليه وآله بضلالي وتأخذونهم بخطأي وتكفرونهم بذنوبي؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البراءة والسقم وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب وقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني ثمَّ صلّى عليه ثمَّ ورّثه أهله وقتل القاتل وورّث ميراثه أهله وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثمَّ قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم وأقام حقّ الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله.

ثم أنتم شرار النّاس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه. وسَيَهلك فيّ صنفان محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ وخير النّاس فيّ حالاً النمط الأوسط فالزموه والزموا السّواد الأعظم فإنّ يد الله على الجماعة وإيّاكم والفرقة فإنّ الشاذ من النّاس للشيطان كما أنّ الشاذّة من الغنم للذئب.

ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه وإنّما حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن وإحياؤه الاجتماع عليه وإماتته الافتراق عنه، فإن جرّنا القرآن إليهم اتّبعناهم وإن جرّهم إلينا القرآن اتّبعونا فلم آت لا أباً لكم بُجْراً ولا ختلتكم عن أمركم ولا لبّسته عليكم وإنّما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا الحقّ وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصمد للحقّ سوء رأيهما وجور حكمهما[1].

إيضاح: قوله عليه السلام: «وضللت» بكسر اللام وفتحها. أقول: لمّا قالت الخوارج لعنهم الله: إنّ الدار دار كفر لايجوز الكف عن أحد من أهلها قتلوا النّاس حتّى الأطفال وقتلوا البهائم وذهبوا إلى تكفير أهل الكبائر مطلقاً ولذا أكفروا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ومن تبعه على تصويب التحكيم فلذا احتج عليه السلام عليهم بأنّه لو كان صاحب الكبيرة كافراً لما صلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ورثه من المسلم ولا مكّنه من نكاح المسلمات ولا قسم عليهم من الفيء ولأخرجه من [إطلاق] لفظ الإسلام [عليه].

وقوله عليه السلام: «وورث ميراثه» يدلّ ظاهراً على عدم إرث المسلم من الكافر ولعلّه إلزام عليهم. قوله عليه السلام: «ونكحا» أي السارق والزّاني المسلمات ولم يمنعهما رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك.

قوله عليه السلام: «من بين أهله» أي أهل الإسلام. «ومرامي الشيطان» طرق الضلال التي يسوق الإنسان إليها بوساوسه. «وضرب به تيهه» أي وجهه إليه من ضربت في الأرض إذا سافرت والباء للتعدية والتّيه بالكسر والفتح: الحيرة. وبالكسر: المفازة يتاه فيها.

(١) نهج البلاغة، ص ٢٧٢ خ ١٢٥.

وتقييد البغض بالإفراط لعلّه لتخصيص أكمل الأفراد بالذكر أو لأنّ المبغض مطلقاً مجاوز عن الحد أو لأنّ الكلام إخبار [عما] سيوجد منهم مع أنّ فيه رعاية الازدواج والتناسب بين الفقرتين.

وقال في النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: «خير هذه الأمّة النمط الأوسط» النمط: الطريقة من الطرائق والضرب من الضروب يقال ليس هذا من ذلك النمط أي من ذلك الضرب. والنمط الجماعة من النّاس أمرهم واحد. وقال فيه: «عليكم بالسّواد الأعظم» أي جملة النّاس ومعظمهم الّذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك المنهج المستقيم. وقال: إنّ يد الله على الجماعة أي إن الجماعة من أهل الإسلام في كنف الله ويدالله كناية عن الحفظ والدّفاع عنهم.

قوله عليه السلام: «إلى هذا الشعار» قال ابن ميثم أي مفارقة الجماعة والاستبداد بالرأي. وقوله عليه السلام: «ولو كان تحت عمامتي» كناية عن أقصى القرب من عنايته أي ولو كان ذلك الداعي في هذا الحدّ من عنايتي به.

وقال ابن أبي الحديد: كان شعارهم أن يحلقوا وسط رؤوسهم ويبقوا الشعر مستديراً حوله كالإكليل وقال «ولو كان تحت عمامتي» أي ولو اعتصم واحتمى بأعظم الأشياء حرمة فلا تكفّوا عن قتله.

أقول: ويحتمل أن يكون شعارهم قولهم: «لا حكم إلاّ لله» وأن يكون كنّى بقوله «تحت عمامتي» عن نفسه.

قوله عليه السلام. «وإحياؤه الإجتماع عليه» أي ما يحييه القرآن هو الاجتماع عليه وما يميته هو الافتراق عنه أو أنّ الاجتماع على القرآن إحياؤه إذ به يحصل الأثر والفائدة المطلوبة منه والافتراق عنه إماتة له. والبجر بالضمّ والفتح: الداهية والأمر العظيم. والختل: الخداع.

قوله عليه السلام: «وإنّما اجتمع» يظهر منه جوابان عن شبهتهم أحدهما أنّي ما اخترت التحكيم بل اجتمع رأي ملئكم عليه وقد ظهر أنه عليه السلام كان مجبوراً في التحكيم.

وثانيهما أنّا اشترطنا عليهما في كتاب التحكيم أن لايتجاوزا حكم القرآن فلمّا تعدّيا لم يجب علينا اتّباع حكمهما.

والملأ: أشراف النّاس ورؤساؤهم ومقدموهم الّذين يرجع إلى قولهم ذكره في النهاية. الصمد: القصد.

و«سوء رأيهما» مفعول سبق أو الاستثناء أيضاً على التنازع أي ذكرنا أوّلاً أنّا إنّما نتّبع حكمهما إذا لم يختارا سوء الرّأي والجور في الحكم.

٦٠٥ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين: فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يجعجعا عند القرآن ولا يجاوزاه ويكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه

فتاها عنه وتركا الحقّ وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج رأيهما وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحقّ سوء رأيهما وجور حكمهما والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحقّ وأتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم(١).

إيضاح: قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام: «فأخذنا عليهما أن يجعجعا عند القرآن» أي يقيما عنده يقال: جعجع القوم إذا أناخوا بالجعجاع وهي الأرض والجعجاع أيضاً الموضع الضيق الخشن. وقال في القاموس: التّبع - محركة -: التابع يكون واحداً وجمعاً ويجمع على أتباع.

قوله عليه السلام: «والثقة في أيدينا» أي إنّا على برهان وثقة في أمورنا قوله عليه السلام: «بما لا يعرف» أي لا يصدق به.

٦٠٦ - **نهج:** من وصيته عليه السلام لعبد الله بن العبّاس لمّا بعثه للاحتجاج على الخوارج: لاتخاصمهم بالقرآن فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجّهم بالسنّة فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً(٢).

بيان: [قوله عليه السلام]: «ولكن حاجّهم بالسنّة» قال ابن أبي الحديد كقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيثما دار» وغير ذلك من النصوص.

وقال الجوهريّ: يقال: ما عنه محيص أي محيد ومهرب.

٦٠٧ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام وقد أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم قوم من جند الكوفة هموا باللحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه عليه السلام فلمّا عاد إليه الرّجل قال له: أمنوا فَقَطَنوا أم جبنوا فَظَعَنوا؟ فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام:

بُعْداً لهم كما بعدت ثمود أما لو أُشرعت الأسنّة إليهم وصبّت السيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم إنّ الشيطان اليوم قد استفلّهم وهو غداً متبرّئ منهم ومخلّ عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال والعمى وصدّهم عن الحقّ وجماحهم في التيه(٣).

بيان: قطن بالمكان: أقام. وقوله: «بعداً» منصوب على المصدر وهو ضد القرب والهلاك قوله عليه السلام: «قد استقلّهم» في بعض النسخ بالقاف أي حملهم أو اتّخذهم قليلاً وسهل عليه أمرهم. وفي أكثر النسخ بالفاء أي وجدهم فلّاً لاخير فيهم أو مفلولين منهزمين وفي بعضها «استفزّهم» أي استخفهم وفي بعضها «استقبلهم» أي قبلهم. والمراد بالغد اليوم الّذي تصبّ السيوف على هاماتهم أو يوم القيامة.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٥٨ خ ١٧٥.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٢٢ خ ٣١٥.
(٣) نهج البلاغة، ص ٣٦٢ خ ١٧٩.

وقال الجوهري: الركس: ردّ الشيء مقلوباً. وارتكس فلان في أمر كان قد نجا منه وجمح الفرس كمنع: اعترّ فارسه وغلبه. والتّيه: المفازة والضلال.

٦٠٨ - ج: روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أرسل عبد الله بن عبّاس إلى الخوارج وكان بمرأى منهم ومسمع [ليسألهم ماذا الّذي نقموا عليه؟ فقال لهم ابن عبّاس: ماذا نقمتم على أمير المؤمنين؟] قالوا له في الجواب: نقمنا يا ابن العبّاس على صاحبك خصالاً كلّها مكفرة موبقة تدعو إلى النار.

أما أوّلها فإنّه محى اسمه من امرة المؤمنين ثمّ كتب بينه وبين معاوية فإذا لم يكن أمير المؤمنين فنحن المؤمنون فلسنا نرضى أن يكون أميرنا.

وأما الثانية فإنّه شكّ في نفسه حين قال للحكمين: انظرا فإن كان معاوية أحقّ بها فأثبتاه، وإن كنت أولى بها فأثبتاني» فإذا هو شك في نفسه فلم يدر أهو المحقّ أم معاوية فنحن فيه أشدّ شكاً. والثالثة أنّه جعل الحكم إلى غيره وقد كان عندنا أحكم الناس.

والرابعة أنّه حكّم الرجال في دين الله ولم يكن ذلك إليه.

والخامسة أنّه قسم بيننا الكراع والسّلاح يوم البصرة ومنعنا النّساء والذريّة.

والسادسة أنّه كان وصياً فضيّع الوصيّة.

قال ابن عبّاس: قد سمعت يا أمير المؤمنين مقالة القوم فأنت أحقّ بجوابهم فقال: نعم ثمّ قال: يا ابن عبّاس قل لهم: ألستم ترضون بحكم الله وحكم رسوله؟ قالوا نعم. قال أبدأ على ما بدأتم به في بدء الأمر.

ثم قال: كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله الوحي والقضايا والشروط والأمان يوم صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو فكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذا ما اصطلح عليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان وسهيل بن عمرو.

فقال سهيل: إنّا لا نعرف الرّحمان الرحيم ولا نقرّ أنّك رسول الله ولكنّا نحسب ذلك شرفاً لك أن تقدّم اسمك قبل أسمائنا وإن كنّا أسنّ منك وأبي أسنّ من أبيك! فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اكتب مكان «بسم الله الرحمٰن الرحيم» باسمك اللّهمّ فمحوت ذلك وكتبت باسمك اللّهمّ ومحوت «رسول الله» وكتبت «محمّد بن عبد الله» فقال لي: «إنّك تدعى إلى مثلها فتجيب وأنت مكره» وهكذا كتبت بيني وبين معاوية وعمرو بن العاص: «هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية وعمرو بن العاص» فقالا: لقد ظلمناك بأن أقررنا بأنك أمير المؤمنين وقاتلناك ولكن اكتب عليّ بن أبي طالب فمحوت كما محى رسول الله صلى الله عليه وآله فإن أبيتم ذلك فقد جحدتم. فقالوا: هذه لك خرجت منها.

فقال: وأما قولكم: «إني شككت في نفسي حيث قلت للحكمين: انظرا فإن كان معاوية أحقّ بها منّي فأثبتاه» فإن ذلك لم يكن شكاً منّي ولكنّي أنصفت في القول قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١) ولم يكن ذلك شكاً وقد علم الله أنّ نبيّه على الحقّ. قالوا: وهذه لك.

قال: وأمّا قولكم: «إنّي جعلت الحكم إلى غيري وقد كنت عندكم أحكم الناس» فهذا رسول الله ﷺ قد جعل الحكم إلى سعد يوم بني قريظة وقد كان أحكم الناس. وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٢) فتأسيت برسول الله ﷺ. قالوا: وهذه لك بحجّتنا.

قال: وأمّا قولكم: «إنّي حكّمت في دين الله الرجال» فما حكّمت الرجال وإنّما حكّمت كلام ربّي الّذي جعله الله حكماً بين أهله وقد حكّم الله الرجال في طائر فقال: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾(٣) فدماء المسلمين أعظم من دم طائر. قالوا: وهذه لك بحجّتنا.

قال: وأمّا قولكم: «إنّي قسمت يوم البصرة لمّا أظفرني الله بأصحاب الجمل الكراع والسلاح ومنعتكم النساء والذريّة» فإنّي مننت على أهل البصرة كما منّ رسول الله ﷺ على أهل مكّة فإن عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم ولم نأخذ صغيراً بكبير! وبعد فأيّكم كان يأخذ عائشة في سهمه؟! قالوا: وهذه لك بحجّتنا.

قال: وأمّا قولكم: «إنّي كنت وصيّاً فضيّعت الوصية» فأنتم كفرتم وقدّمتم عليّ وأزلتم الأمر عنّي وليس على الأوصياء الدّعاء إلى أنفسهم إنّما يبعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم فيدعون إلى أنفسهم والوصيّ مدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه وذلك لمن آمن بالله ورسوله ﷺ ولقد قال الله عز ذكره: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فلو ترك النّاس الحجّ لم يكن البيت ليكفر بتركهم إيّاه ولكن [الناس] كانوا يكفرون بتركهم [البيت] لأنّ الله تعالى نصبه لهم علماً وكذلك نصبني علماً حيث قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ أنت منّي [بمنزلة هارون من موسى وأنت منّي] بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي» فقالوا: وهذه لك بحجتنا فأذعنوا فرجع بعضهم وبقي منهم أربعة آلاف لم يرجعوا ممّن كانوا قعدوا عنه فقاتلهم فقتلهم(٤).

بيان: قوله عليه السلام: «فدماء المسلمين» لعلّ المراد أنّ تحكيم الرّجال في الطائر لمّا كان لجهل النّاس والاضطرار فالضرورة هنا أشدّ فالكلام على التنزّل فإنه عليه السلام منع أوّلاً تحكيم الرجال وقال بعد التسليم لا فساد فيه ويحتمل أن يكون مؤيداً لأوّل الكلام ردّاً لشبهة أصحاب معاوية بالمقايسة بالطائر أي لم تحكم الرجال لأنّ التحكيم إنّما ورد في الأمور الجزئية الّتي

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٥.
(٤) الاحتجاج، ص ١٨٧.

لا مفسدة كثيراً في الخطأ فيها ولا يمكن مقايسة دماء المسلمين بها فإنّه قياس مع الفارق. [و] لكنّه بعيد ولا يجري في بعض الأخبار الّتي وردت بهذا الوجه.

٦٠٩ - **ب:** اليقطينيّ عن القدّاح عن جعفر عن أبيه عليهما السلام أنّ عليّاً عليه السلام كان يباشر القتال بنفسه وأنّه نادى ابنه محمّد بن الحنفية يوم النهروان: قدّم يا بني اللّواء فقدم ثمّ قال: قدم يا بني اللّواء فقدم ثمّ وقف فقال له: قدّم يا بنيّ فتكعكع الفتى فقال: قدّم يا ابن اللّخناء ثمّ جاء عليّ حتّى أخذ منه اللّواء فمشى به ما شاءالله ثمّ أمسك ثمّ تقدّم عليّ بين يديه فضرب قدماً(١).

إيضاح: قال الجوهريّ. كعكعته فتكعكع أي حبسته فاحتبس وتكعكع أي جبن ورجل كعكع بالضمّ أي جبان ضعيف وقال: لخن السّقاء بالكسر أي أنتن ومنه قولهم: أمة لخناء. ويقال: اللّخناء: الّتي لم تختن. وقال: مضى قدماً: لم يعرّج ولم ينثن.

٦١٠ - **يد:** الدّقاق عن الأسديّ عن البرمكي عن جعفر بن سليمان الجعفريّ عن أبيه عن عبد الله بن الفضل الهاشميّ عن سعد الخفاف عن الأصبغ بن نباتة قال: لمّا وقف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الخوارج ووعظم وذكّرهم وحذّرهم القتال قال لهم: ما تنقمون منّي إلاّ أنّي أوّل من آمن بالله وبرسوله فقالوا: أنت كذلك ولكنّك حكّمت في دين الله أبا موسى الأشعريّ فقال عليه السلام والله ما حكمت مخلوقاً وإنّما حكّمت القرآن ولولا أنّي غلبت على أمري وخولفت في رأيي لما رضيت أن تضع الحرب أوزارها بيني وبين أهل حرب الله حتّى أُعلي كلمة الله وأنصر دين الله ولوكره الجاهلون والكافرون(٢).

٦١١ - **ب:** هارون عن ابن صدقة عن جعفر عن أبيه عليهما السلام أنّ عليّاً عليه السلام كان يدعو على الخوارج فيقول في دعائه: اللّهمّ ربّ البيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور والكتاب المسطور أسألك الظفر على هؤلاء الّذين نبذوا كتابك وراء ظهورهم وفارقوا أُمة أحمد صلى الله عليه وآله عتواً عليك(٣).

٦١٢ - **مد:** بإسناده إلى أحمد بن حنبل من مسنده بإسناده عن زيد بن وهب قال: قدم على عليّ عليه السلام قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له الجعد بن بعجة فقال له: اتق الله يا عليّ فإنّك ميت فقال عليّ عليه السلام بل مقتول قتلاً ضربةً على هذا يخضب هذه - يعني لحيته ورأسه - عهد معهود وقضاء مقضي وقد خاب من افترى. وعاتبه في لباسه فقال: ما يمنعك أنّ تلبس؟ فقال ما لك وللباسي! هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم(٤).

٦١٣ - **ل:** في خبر اليهوديّ السائل أمير المؤمنين عمّا فيه من خصال الأوصياء قال عليه السلام: وأمّا السابعة يا أخا اليهود فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان عهد إليّ أن أُقاتل في آخر

---

(١) قرب الإسناد، ص ٢٧ ح ٩١.
(٢) التوحيد للصدوق، باب ٣٠ ح ٦.
(٣) قرب الإسناد، ص ١٢ ح ٣٧.
(٤) العمدة لابن البطريق، ص ٣٣٣ ح ٨٢١.

الزمان من أيّامي قوماً من أصحابي يصومون النهار ويقومون اللّيل ويتلون الكتاب يمرقون بخلافهم عليّ ومحاربتهم إيّاي من الدين مروق السهم من الرميّة فيهم ذو الثدية يختم لي بقتلهم بالسعادة.

فلمّا انصرفت إلى موضعي هذا - يعني بعد الحكمين - أقبل بعض القوم على بعض باللائمة فيما صاروا إليه من تحكيم الحكمين فلم يجدوا لأنفسهم من ذلك مخرجاً إلاّ أن قالوا: كان ينبغي لأميرنا أنّ لا يتابع من أخطأ وأن يقضي بحقيقة رأيه على قتل نفسه وقتل من خالفه منّا فقد كفر بمتابعته إيّانا وطاعته لنا في الخطأ وأحل لنا بذلك قتله وسفك دمه.

فتجمعوا على ذلك وخرجوا راكبين رؤوسهم ينادون بأعلى أصواتهم «لا حكم إلاّ لله» ثمّ تفرقوا فرقة بالنخيلة وأُخرى بحروراء وأُخرى راكبة رأسها تخبط الأرض شرقاً حتّى عبرت دجلة فلم تمرّ بمسلم إلاّ امتحنته فمن تابعها استحيته ومن خالفها قتلته.

فخرجت إلى الأُولبين واحدة بعد أُخرى أدعوهم إلى طاعة الله عزّوجلّ والرجوع إليه فأبيا إلاّ السيف لا يقنعهما غير ذلك فلمّا أعيت الحيلة فيهما حاكمتهما إلى الله عزّوجلّ فقتل الله هذه وهذه كانوا يا أخا اليهود لولا ما فعلوا لكانوا ركنا قويّاً وسداً منيعاً فأبى الله إلاّ ما صاروا إليه.

ثم كتبت إلى الفرقة الثالثة ووجّهت تترى وكانوا من جلّة أصحابي وأهل التعبّد منهم والزهد في الدنيا فأبت إلاّ اتّباع أُختيها والاحتذاء على مثالهما وأشرعت في قتل من خالفها من المسلمين وتتابعت إليّ الأخبار بفعلهم فخرجت حتّى قطعت إليهم دجلة أُوجّه السفراء والنصحاء وأطلب العتبى بجهدي بهذا مرّة وبهذا مرّة - وأومأ بيده إلى الأشتر والأحنف بن قيس وسعيد بن قيس الأرحبي والأشعث بن قيس الكنديّ - فلمّا أبوا إلاّ تلك ركبتها منهم فقتلهم الله يا أخا اليهود عن آخرهم وهم أربعة آلاف أو يزيدون حتّى لم يفلت منهم مخبر فاستخرجت ذا الثدية من قتلاهم بحضرة من ترى له ثدي كثدي المرأة ثمّ التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين[1].

بيان: [قال الفيروزآبادي] في القاموس: جلّ الشيء وجُلاله بضمّها: معظمه. وقوم جلّة بالكسر عظماء سادة ذوو أخطار.

٦١٤ - **يج:** روي عن أبي حمزة عن عليّ بن الحسين عليهما السلام عن أبيه قال: لمّا أراد عليّ عليه السلام أن يسير إلى النهروان استنفر أهل الكوفة وأمرهم أن يعسكروا بالمدائن فتأخّر عنه شبث بن ربعيّ وعمرو بن حريث والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله وقالوا: ائذن لنا أيّاماً نتخلف عنك في بعض حوائجنا ونلحق بك فقال لهم: قد فعلتموه؟ سوأةً لكم من مشايخ فوالله ما لكم من حاجة تتخلّفون عليها وإنّي لأعلم ما في قلوبكم وسأُبيّن لكم تريدون أن

---

(١) الخصال، ص ٣٨١ باب السبعة ح ٥٨.

تثبّطوا عنّي النّاس وكأنّي بكم بالخورنق وقد بسطتم سفرتكم للطعام إذ يمرّ بكم ضبّ فتأمرون صبيانكم فيصيدونه فتخلعوني وتبايعونه.

ثمّ مضى إلى المدائن وخرج القوم إلى الخورنق وهيّئوا طعاماً فبينما هم كذلك على سفرتهم وقد بسطوها إذ مرّ بهم ضب فأمروا صبيانهم فأخذوه وأوثقوه ومسحوا أيديهم على يده كما أخبر عليّ عليه السلام وأقبلوا على المدائن فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام بئس للظالمين بدلاً ليبعثنكم الله يوم القيامة مع إمامكم الضبّ الّذي بايعتم كأنّي أنظر إليكم يوم القيامة مع إمامكم وهو يسوقكم إلى النار. ثمّ قال: لئن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله منافقون فإنّ معي منافقين أما والله يا شبث ويا ابن حريث لتقاتلان ابني الحسين هكذا أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

٦١٥ - يج: رُوي أنّ عليّاً عليه السلام لمّا سار إلى النهروان شكّ رجل يقال له جندب فقال له عليّ عليه السلام الزمني ولا تفارقني فلزمه فلمّا دنوا من قنطرة النهروان نظر عليّ عليه السلام قبل زوال الشمس إلى قنبر يؤذنه بالصلاة فنزل وقال: ائتني بماء فقعد يتوضأ فأقبل فارس وقال: قد عبر القوم فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما عبروا ولا يعبرونها ولا يفلت منهم إلاّ دون العشرة ولا يقتل منكم إلاّ دون العشرة والله ما كَذبت ولا كُذبت.

فتعجّب النّاس فقال جندب: إن صحّ ما قال عليّ عليه السلام فلا أحتاج إلى دليل غيره فبينما هم كذلك إذ أقبل فارس فقال: يا أمير المؤمنين القوم على ماذكرت لم يعبروا القنطرة فصلّى بالناس الظهر وأمرهم بالمسير إليهم فقال جندب: قلت لايصل إلى القنطرة قبلي أحد فركضت فرسي فإذا هم دون القنطرة وقوف فكنت أوّل من رمى فقتلوا كلّهم إلاّ تسعة وقتل من أصحابنا تسعة. ثم قال عليّ عليه السلام اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فلم يجدوه فقال: اطلبوا فوالله ما كَذبت ولا كُذبت ثمّ قام فركب البغلة نحو قتلى كثير فقال: اقلبوها، فاستخرجوا ذا الثدية فقال: الحمد لله [الذي] عجّلك إلى النّار.

وقد كان الخوارج خرجوا عليه قبل ذلك بجانب الكوفة في حروراء وكانوا إذ ذاك اثني عشر الفاً قال: فخرج اليهم أمير المؤمنين عليه السلام في إزاره وردائه راكباً البغلة! فقيل [له]: القوم شاكون في السلاح أتخرج إليهم كذلك؟ قال: إنّه ليس بيوم قتالهم وصار إليهم بحروراء وقال لهم: ليس اليوم أوان قتالكم وستفترقون حتّى تصيروا أربعة آلاف فتخرجون عليّ في مثل هذا اليوم في مثل هذا الشهر فأخرج إليكم بأصحابي فأقاتلكم حتّى لايبقى منكم إلاّ دون عشرة ويقتل من أصحابي يومئذٍ دون عشرة هكذا أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يبرح من مكانه حتّى تبرأ بعضهم من بعض وتفرّقوا إلى أن صاروا أربعة آلاف بالنهروان(٢).

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢٢٥ ح ٧٠. وهذه الرواية نقلها العامة ولم يذكروا أساميهم كما في إحقاق الحق ج ٧ ص ٥٩٨. [النمازي].

(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢٢٦ ح ٧١.

٦١٦ - **يج**: روي عن جندب بن زهير الأزديّ قال: لمّا فارقت الخوارج عليّاً خرج عليه السلام إليهم وخرجنا معه فانتهينا إلى عسكرهم فإذا لهم دويّ كدوي النّحل في قراءة القرآن وفيهم أصحاب البرانس وذوو الثفنات فلمّا رأيت ذلك دخلني شكّ فتنحّيت ونزلت عن فرسي وركزت رمحي ووضعت ترسي ونثرت عليه درعي وقمت أصلي وأنا أقول في دعائي: اللّهمّ إن كان قتال هؤلاء رضاً لك فأرني من ذلك ما أعرف به أنّه الحقّ وإن كان لك سخطاً فاصرف عنّي إذ أقبل عليّ عليه السلام فنزل عن بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقام يصلّي إذ جاءه رجل فقال: قطعوا النهر ثمّ جاء آخر يشتدّ به دابّته فقال: قطعوه وذهبوا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما قطعوه ولا يقطعونه وليقتلنّ دون النطفة عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وقال لي: يا جندب ترى التل قلت: نعم. قال: [إن] رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثني أنّهم يقتلون عنده ثمّ قال: إنّا نبعث إليهم رسولاً يدعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه فيرشقون وجهه بالنبل وهو مقتول قال: فانتهينا إلى القوم فإذا هم في معسكرهم لم يبرحوا ولم يترحّلوا فنادى النّاس وضمّهم ثمّ أتى الصف وهو يقول: من يأخذ هذا المصحف فيمشي به إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه وهو مقتول وله الجنّة؟ فما أجابه أحد إلاّ شاب من بني عامر بن صعصعة فلمّا رأى حداثة سنه قال له ارجع إلى موقفك ثمّ أعاد فما أجابه أحد إلاّ ذلك الشاب قال: خذه أما إنّك مقتول. فمشى به حتّى إذا دنا من القوم حيث يسمعهم ناداهم إذ رموا [فرموا «خ ل»] وجهه بالنبل فأقبل علينا ووجهه كالقنفذ فقال عليّ عليه السلام دونكم القوم فحملنا عليهم قال جندب: ذهب الشكّ عنّي وقتلت بكفّي ثمانية.

ولما قتل الحرورية قال عليّ عليه السلام: التمسوا في قتلاهم رجلاً مخدوجاً إحدى يديه مثل ثدي المرأة فطلبوه فلم يجدوه فقام فأمر بهم فقلب بعضهم على بعض فإذا حبشيّ إحدى عضديه مثل ثدي المرأة عليه شعرات كسبال السنّور فكبّر وكبّر النّاس معه وقال: هذا شيطان لولا أن تتكلوا لحدّثتكم بما أعد الله على لسان نبيكم لمن قاتل هؤلاء[1].

٦١٧ - **شا**: من كلام أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج حين رجع إلى الكوفة وهو بظاهرها قبل دخوله إيّاها بعد حمدالله والثناء عليه: اللّهمّ إنّ هذا مقام من فلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ومن نطف فيه أو عنت فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً.

نشدتكم بالله أتعلمون أنّهم حين رفعوا المصاحف فقلتم «نجيبهم إلى كتاب الله» قلت لكم: إنّي أعلم بالقوم منكم إنّهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إنّي صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال امضوا على حقّكم وصدقكم إنّما رفعوا القوم لكم هذه المصاحف خديعةً ووهناً ومكيدة فرددتم عليّ رأيي وقلتم: لا بل نقبل منهم فقلت لكم:

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٧٥٥ ح ٧٤.

اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إيّاي فلمّا أبيتم إلاّ الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحيا ما أحياه القرآن وأن يميتا ما أماته القرآن فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب وإن أبيا فنحن من حكمهما براء.

قال بعض الخوارج: فخبّرنا أتراه عدلاً يحكّم [تحكيم «خ ل»] الرجال في الدماء. فقال عليه السلام: إنّا لم نحكّم الرّجال إنّما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين دفّتين لاينطق وإنّما يتكلّم به الرّجال. قالوا له: فخبّرنا عن الاجل الّذي جعلته فيما بينك وبينهم! قال: ليتعلّم الجاهل ويثبّت العالم ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمّة ادخلوا مصركم رحمكم الله ورحلوا من عند آخرهم[1].

بيان: [قوله عليه السلام:] «كان أولى بالفلج» أي من ظفر في هذا الحرب وفي هذه القضيّة لإخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بكون القاتلين أولى بالحقّ من المقتولين وغير ذلك ممّا مرّ أو المعنى أنّ حجّة أهل الحقّ تكون أغلب دائماً وقال الجوهريّ: نطف الرّجل بالكسر إذا اتهم بريبة. ونطف الشيء أيضاً فسد. والنطف: التلطخ بالعيب. وقال العنت: الإثم. وقد عنت الرّجل [أي أثم] والعنت أيضاً: الوقوع في أمر شاق وقد عنت وأعنته غيره.

٦١٨ - **قب:** لمّا دخل أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة جاء إليه زرعة بن البرج الطائيّ وحرقوص بن زهير التميميّ ذو الثدية فقال: لا حكم إلاّ لله فقال عليه السلام: كلمة حقّ يراد بها باطل. قال حرقوص: فتب من خطيئتك وارجع عن قصتك واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتّى نلقى ربّنا فقال عليّ عليه السلام: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشروطاً وأعطينا عليها عهوداً ومواثيقاً وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ الآية فقال حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن نتوب عنه فقال عليّ عليه السلام ما هو بذنب ولكنّه عجز من الرّأي وضعف في العقل وقد تقدّمت فنهيتكم عنه.

فقال ابن الكواء: الآن صحّ عندنا أنّك لست بإمام ولو كنت إماماً لما رجعت فقال عليّ عليه السلام: ويلكم قد رجع رسول الله صلى الله عليه وآله عام الحديبية عن قتال أهل مكّة.

ففارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا: لاحكم إلاّ لله ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وكانوا اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة والبصرة وغيرهما ونادى مناديهم إنّ أمير القتال شبث بن ربعيّ وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّاء والأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واستعرضوا النّاس وقتلوا عبد الله بن خبّاب بن الأرت وكان عامله على النهروان.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن عبّاس امض إلى هؤلاء القوم فانظر ما هم عليه ولماذا

---

(١) الارشاد، ص ١٤٤.

اجتمعوا فلمّا وصل إليهم قالوا: ويلك يا ابن عبّاس أكفرت بربّك كما كفر صاحبك عليّ بن أبي طالب وخرج خطيبهم عتاب بن الأعور الثعلبيّ فقال ابن عبّاس: من بنى الإسلام؟ فقال: الله ورسوله فقال: النبيّ أحكم أموره وبيّن حدوده أم لا؟ قال: بلى قال: فالنبي بقي في دار الإسلام أم ارتحل قال: بل ارتحل قال: فأمور الشرع ارتحلت معه أم بقيت بعده قال: بل بقيت. قال: وهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه؟ قال: نعم الذرية والصحابة. قال: أفعمروها أو خرّبوها؟ قال: بل عمروها قال: فالآن هي معمورة أم خراب؟ قال: بل خراب. قال: خرّبها ذرّيته أم أمّته؟ قال بل أُمته قال: وأنت من الذرّية أو من الأُمّة؟ قال: من الأُمّة قال: أنت من الأُمّة وخرّبت دار الإسلام فكيف ترجو الجنّة؟ وجرى بينهم كلام كثير.

فحضر أمير المؤمنين عليه السلام في مائة رجل فلمّا قابلهم خرج إليه ابن الكوّاء في مائة رجل فقال عليه السلام: أنشدكم الله هل تعلمون حيث رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله فقلت لكم إنّي أعلم بالقوم منكم وذكر مقاله إلى أن قال:

فلا أبيتم إلاّ الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكمه وإن أبيا فنحن منه براء.

فقالوا له: أخبرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنّا لسنا الرجال حكّمنا وإنّما حكّمنا القرآن والقرآن إنّما هو خط مسطور بين دفّتين لا ينطق إنّما يتكلّم به الرجال قالوا: فأخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل ويتثبت العالم ولعلّ الله يصلح في هذه المدة هذه الأُمّة.

وجرت بينهم مخاطبات فجعل بعضهم يرجع.

فأعطى أمير المؤمنين عليه السلام راية أمان مع أبي أيّوب الأنصاريّ فناداهم أبو أيوب: من جاء إلى هذه الراية أو خرج من بين الجماعة فهو آمن فرجع منهم ثمانية آلاف رجل فأمرهم أمير المؤمنين عليه السلام أن يتميّزوا منهم وأقام الباقون على الخلاف وقصدوا إلى نهروان.

فخطب أمير المؤمنين عليه السلام [أهل الكوفة] واستنفرهم فلم يجيبوه فتمثل:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلاّ ضحى الغد

ثمّ استنفرهم فنفر ألفا رجل يقدم عديّ بن حاتم وهو يقول:

إلى شرّ خلق من شراة تحزّبوا وعادوا إله النّاس ربّ المشارق

فوجه أمير المؤمنين عليه السلام نحوهم وكتب إليهم على يدي عبد الله بن أبي عقب:

والسعيد من سعدت به رغبته، والشقي من شقيت به رغبته[1] وخير النّاس خيرهم لنفسه، وشر النّاس شرهم لنفسه وليس بين الله وبين أحد [من خلقه] قرابة، وكلّ نفس بما كسبت

(١) في المصدر: رعيّته في الموضعين.

رهينة. فلما أتاهم أمير المؤمنين فاستعطفهم أبوا إلاّ قتاله وتنادوا أن دعوا مخاطبة عليّ وأصحابه وبارزوا الجنّة وصاحوا: الرّواح الرّواح إلى الجنّة.

و [كان] أمير المؤمنين عليه السلام يُعبّيء أصحابه ونهاهم أن يتقدّم إليهم أحد.

وكان أوّل من خرج [من الخوارج للبراز] أخنس بن العزيز الطّائي وجعل يقول:

ثمانون من حيّي جديلة قتلوا على النهر كانوا يخضبون العواليا
ينادون لا لاحكم إلاّ لربنا حنانيك فاغفر حوبنا والمساويا
هم فارقوا من جار في الله حكمه فكلّ على الرحمان أصبح ثاويا

فقتله أمير المؤمنين عليه السلام. وخرج عبد الله بن وهب الراسبيّ يقول:

أنا ابن وهب الراسبيّ الشاري أضرب في القوم لأخذ الثاري
حتّى تزول دولة الأشرار ويرجع الحقّ إلى الأخيار

وخرج مالك بن الوضّاح وقال:

إنّي لبائع ما يفنى بباقية ولا أريد لدى الهيجاء تربيضا

وخرج إلى أمير المؤمنين عليه السلام الوضاح بن الوضاح من جانب وابن عمّه حرقوص من جانب فقتل [أمير المؤمنين] الوضّاح وضرب ضربة على رأس الحرقوص فقطعه ووقع رأس سيفه على الفرس فشرد ورجله في الركاب حتّى أوقعه في دولاب خراب فصارت الحروريّة كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف.

فكان المقتولون من أصحاب عليّ عليه السلام رؤبة بن وبر البجليّ ورفاعة بن وائل الأرحبي والفياض بن خليل الأزديّ وكيسوم بن سلمة الجمحي وحبيب بن عاصم الأزديّ إلى تمام تسعة. وانفلت من الخوارج تسعة كما تقدّم ذكره وكان [ذلك] لتسع خلون من صفر سنة ثمان وثلاثين.

أبو نعيم الاصفهاني عن سفيان الثوري أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر أن يفتّش عن المخدج بين القتلى فلم يجدوه فقال رجل: والله ما هو فيهم فقال عليه السلام والله ما كَذبت ولا كُذبت.

تاريخ الطبريّ وإبانة ابن بطّة وسنن أبي داود ومسند أحمد عن عبد الله بن أبي رافع وأبي موسى الوايلي وجندب وأبي الوضي واللّفظ له قال: [قال] عليّ عليه السلام: اطلبوا المخدج فقالوا: لم نجده فقال: والله ما كَذبت ولا كُذبت يا عجلان ائتني ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فأتاه بالبغلة فركبها وجال في القتلى ثمّ قال: اطلبوه هاهنا. فاستخرجوه من تحت القتلى في نهر وطين. وفي رواية أبي نعيم عن سفيان: فقيل قد أصبناه فسجد لله تعالى فنصبها.

تاريخ القميّ أنّه رجل أسود عليه شعرات عليه قريطق مخدج اليد إحدى ثدييه كثدي المرأة عليه شعيرات مثل ما يكون على ذنب اليربوع.

وفي مسند الموصليّ حبشيّ مثل البعير في منكبه مثل ثدي المرأة فقال: صدق الله

ورسوله ﷺ. وفي رواية أبي داود وابن بطّة أنّه قال عليّ عليه السلام: من يعرف هذا؟ فلم يعرفه أحد فقال رجل: أنا رأيت هذا بالحيرة فقلت: إلى أين تريد؟ فقال: إلى هذه وأشار إلى الكوفة وما لي بها معرفة فقال عليّ عليه السلام: صدق هو من الجان. وفي رواية [أخرى] هو من الجنّ. وفي رواية أحمد قال أبو الوضيء: لا يأتينكم أحد يخبركم من أبوه؟ قال فجعل النّاس يقولون: هذا ملك هذا ملك هذا ملك ويقول عليّ ابن من؟.

وفي مسند الموصليّ في حديث: من قال من الناس: إنّه رآه قبل مصرعه فإنّه كاذب.

وفي مسند أحمد بإسناده عن أبي الوضيء أنّه قال قال عليّ عليه السلام: أما إن خليلي أخبرني بثلاثة أخوة من الجنّ هذا أكبرهم والثاني له جمع كثير والثالث فيه ضعف.

إبانة ابن بطّة أنّه ذكر المقتول بالنهروان فقال سعد بن أبي وقّاص: هو شيطان الرّدهة.

زاد أبو يعلى في المسند: شيطان ردهة رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب علامة في قوم ظلمة.

محمد بن عبد الله الرعيني بإسناده عن عليّ عليه السلام أنّه لمّا انصرف من صفّين خاض النّاس في أمر الحكمين فقال بعض النّاس ما يمنع أمير المؤمنين عليه السلام من أن يأمر بعض أهل بيته فيتكلم؟ فقال للحسن: قم يا حسن فقل في هذين الرجلين عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص فقام الحسن فقال: أيها النّاس إنّكم قد أكثرتم في أمر عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص فإنّما بعثا ليحكما بكتاب الله فحكما بالهوى على الكتاب ومن كان هكذا لم يسمّ حكماً ولكنّه محكوم عليه وقد أخطأ عبد الله بن قيس في أن أوصى بها إلى عبد الله بن عمر فأخطأ في ذلك في ثلاث خصال في أنّ أباه لم يرضه لها، وفي أنّه لم يستأمره وفي أنّه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الّذين نفّذوها لمن بعده وإنّما الحكومة فرض من الله وقد حكّم رسول الله ﷺ سعداً في بني قريظة فحكم فيهم بحكم الله لا شكّ فيه فنفذ رسول الله ﷺ حكمه ولو خالف ذلك لم يجزه ثمّ جلس.

ثم قال عليّ عليه السلام لعبد الله بن العبّاس قم فتكلم فقام وقال:

أيّها النّاس إنّ للحقّ أهلاً أصابوه بالتوفيق والنّاس بين راض به وراغب عنه وإنّما بعث عبد الله بن قيس بهدى إلى ضلالة وبعث عمرو بن العاص بضلالة إلى الهدى فلمّا التقيا رجع عبد الله عن هداه وثبت عمرو على ضلالته والله لئن حكما بالكتاب لقد حكما عليه وإن حكما بما اجتمعا عليه معاً ما اجتمعا على شيء وإن كانا حكما بما سارا إليه لقد سار عبد الله وإمامه عليّ وسار عمرو وإمامه معاوية فما بعد هذا من غيب ينتظر، ولكنّهم سئموا الحرب وأحبوا البقاء ودفعوا البلاء ورجا كلّ قوم صاحبهم ثمّ جلس.

ثم قال لعبدالله بن جعفر قم فتكلم فقام عبد الله وقال: أيّها النّاس إنّ هذا الأمر كان النظر فيه إلى عليّ والرضا فيه لغيره فجئتم بعبد الله بن قيس فقلتم: لا نرضى إلاّ بهذا فارض به فإنّه

رضانا وأيم الله ما استفدناه علماً ولا انتظرنا منه غائباً ولا أملنا ضعفه ولا رجونا به صاحبه ولا أفسد بما عملا العراق ولا أصلحا الشّام ولا أماتا حقّ عليّ ولا أحييا باطل معاوية ولا يذهب الحقّ رقية راق ولا نفحة شيطان وإنّا اليوم لعلى ما كنا عليه أمس وجلس.

نوف البكالي عن أمير المؤمنين أنّه نادى بعد الخطبة بأعلا صوته الجهاد الجهاد عباد الله ألا وإنّي معسكر في يومي هذا فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج.

قال نوف وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ولقيس بن سعد في عشرة آلاف ولأبي أيّوب الأنصاريّ في عشرة آلاف ولغيرهم على أعداد أخر وهو يريد الرجعة إلى صفّين فما دارت الجمعة حتّى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر[1].

بيان: قال في النهاية: في حديث منصور: وجاء الغلام وعليه قرطق أبيض أي قباء وهو تعريب «كُرتَه» وقد تضم طاؤه وإبدال القاف من الهاء في الأسماء المعرّبة كثير ومنه حديث الخوارج: «كأنّي أنظر إليه حبشيّ عليه قريطق» هو تصغير قرطق.

٦١٩ - **كشف:** قال ابن طلحة: لمّا عاد أمير المؤمنين من صفّين إلى الكوفة بعد إقامة الحكمين أقام ينتظر انقضاء المدة الّتي بينه وبين معاوية ليرجع إلى مقاتلته والمحاربة إذ انخزلت طائفة من خاصّة أصحابه في أربعة آلاف فارس وهم العباد والنسّاك فخرجوا من الكوفة وخالفوا عليّاً عليه السلام وقالوا: لاحكم إلاّ لله ولا طاعة لمن عصى الله.

وانحاز إليهم نيّف عن ثمانية آلاف ممّن يرى رأيهم فصاروا اثني عشر ألفاً وساروا إلى أن نزلوا بحروراء وأمّروا عليهم عبد الله بن الكوّاء.

فدعا عليّ عليه السلام عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه فأرسله إليهم فحادثهم فلم يرتدعوا وقالوا: ليخرج إلينا عليّ بنفسه لنسمع كلامه عسى أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه.

فرجع ابن عبّاس فأخبره فركب في جماعة ومضى إليهم فركب ابن الكوّاء في جماعة منهم فواقفه فقال له عليّ عليه السلام يا ابن الكوّاء إنّ الكلام كثير فابرز إليّ من أصحابك لأكلمك فقال: وأنا آمن من سيفك؟ فقال: نعم فخرج إليه في عشرة من أصحابه فقال له عليّ عليه السلام عن الحرب مع معاوية وذكر له رفع المصاحف على الرماح وأمر الحكمين وقال: ألم أقل لكم إنّ أهل الشّام يخدعونكم بها فإنّ الحرب قد عضّتهم فذروني أُناجزهم فأبيتم.

ألم أرد أن أنصب ابن عمّي حكماً وقلت: إنّه لاينخدع فأبيتم إلاّ أبا موسى؟! وقلتم: رضينا به حكماً فأجبتكم كارهاً ولو وجدت في ذلك الوقت أعواناً غيركم لما أجبتكم وشرطت على الحكمين بحضوركم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته والسنّة الجامعة وأنهما إن لم يفعلا فلا طاعة لهما عليّ كان ذلك أو لم يكن؟

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٣٦٩-٣٧١.

قال ابن الكواء: صدقت قد كان هذا كلّه فلم لا ترجع الآن إلى حرب القوم؟ فقال: حتّى تنقضي المدة الّتي بيننا وبينهم قال ابن الكوّاء: وأنت مجمع على ذلك؟ قال: نعم لا يسعني غيره. فعاد ابن الكوّاء والعشرة الّذين معه إلى أصحاب عليّ عليه السلام راجعين عن دين الخوارج. وتفرق الباقون وهم يقولون: «لا حكم إلاّ لله» وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الرّاسبي وحرقوص بن زهير البجليّ المعروف بذي الثدية وعسكروا بالنّهروان.

وخرج [إليهم عليّ عليه السلام] فسار حتّى بقي على فرسخين منهم وكاتبهم وراسلهم فلم يرتدعوا فأركب إليهم ابن عبّاس وقال: سلهم ما الّذي نقموه وأنا ردفك فلا تخف منهم فلمّا جاءهم ابن عبّاس قال: ما الّذي نقمتم من أمير المؤمنين؟ قالوا: نقمنا أشياء لو كان حاضراً لكفّرناه بها وعلي عليه السلام وراءه يسمع ذلك فقال ابن عبّاس: يا أمير المؤمنين قد سمعت كلامهم وأنت أحقّ بالجواب.

فتقدم وقال: أيّها النّاس أنا عليّ بن أبي طالب فتكلّموا بما نقمتم عليّ؟ فقالوا: نقمنا عليك أولاً أنّا قاتلنا بين يديك بالبصرة فلمّا أظفرك الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرّيّة فكيف حل لنا ما في العسكر ولم تحلّ لنا النساء؟ فقال لهم عليّ عليه السلام: يا هؤلاء إنّ أهل البصرة قاتلونا وبدؤنا بالقتال فلمّا ظفرتم اقتسمتم سلب من قاتلكم ومنعتكم من النساء والذرّيّة فإنّ النساء لم يقاتلن والذرّيّة ولدوا على الفطرة ولم ينكثوا ولا ذنب لهم ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منّ على المشركين فلا تعجبوا أن مننت على المسلمين فلم أسلب نساءهم ولا ذرّيتهم. وقالوا نقمنا عليك يوم صفّين كونك محوت اسمك من إمرة المؤمنين فإذا لم تكن أميرنا فلا نطيعك ولست أميراً لنا.

فقال: يا هؤلاء إنّما اقتديت برسول الله صلى الله عليه وآله حين صالح سهيل بن عمرو.

قالوا: فإنّا نقمنا عليك أنّك قلت للحكمين: «انظرا كتاب الله فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة» فإذا كنت شاكاً في نفسك فنحن فيك أشدّ وأعظم شكّاً!

فقال عليه السلام: إنّما أردت بذلك النصفة فإنّي لو قلت احكما لي وذرا معاوية لم يرض ولم يقبل ولو قال النبيّ صلى الله عليه وآله لنصارى نجران لمّا قدموا عليه: تعالوا حتّى نبتهل وأجعل لعنة الله عليكم لم يرضوا ولكن أنصفهم من نفسه كما أمره الله تعالى فقال: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فأنصفهم من نفسه فكذلك فعلت أنا ولم أعلم بما أراد عمرو بن العاص من خدعه أبا موسى. قالوا: فإنّا نقمنا عليك أنّك حكّمت حكماً في حقّ هولك.

فقال: إنّ رسول الله حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل وأنا اقتديت به فهل بقي عندكم شيء؟. فسكتوا وصاح جماعة منهم من كلّ ناحية التوبة التوبة يا أمير المؤمنين واستأمن إليه ثمانية آلاف وبقي على حربه أربعة آلاف فأمر عليه السلام المستأمنين بالاعتزال عنهم في ذلك الوقت وتقدّم بأصحابه حتّى دنا منهم وتقدّم عبد الله بن وهب وذو الثدية حرقوص

وقالا : ما نريد بقتالنا إيّاك إلاّ وجه الله والدّار الآخرة فقال عليّ عليه السلام : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ .

ثم التحم القتال بين الفريقين واستعر الحرب بلظاها وأسفرت عن زرقة صُبحها وحمرة ضحاها فتجدلوا وتجالدوا بألسنة رماحها وحداد ظباها فحمل فارس من الخوارج يقال له الأخنس الطائيّ وكان شهد صفّين مع عليّ عليه السلام فحمل وشقّ الصفوف يطلب عليّاً عليه السلام فبدره عليّ بضربة فقتله فحمل ذو الثدية ليضرب عليّاً فسبقه عليّ عليه السلام وضربه ففلق البيضة ورأسه فحمله فرسه وهو لما به فألقاه في آخر المعركة في حرف دالية على شط النهروان وخرج من بعده ابن عمّه مالك بن الوضاح وحمل على عليّ عليه السلام فضربه [عليّ] فقتله .

وتقدّم عبد الله بن وهب الراسبي فصاح يا ابن أبي طالب والله لانبرح من هذه المعركة أو تأتي على أنفسنا أو نأتي على نفسك فابرز إليّ وأبرز إليك وذر النّاس جانباً .

فلمّا سمع عليّ عليه السلام كلامه تبسّم وقال : قاتله الله من رجل ما أقلّ حياءه أما إنّه ليعلم أنّي حليف السيف وخدين الرمح ولكنّه قد يئس من الحياة أو أنّه ليطمع طمعاً كاذباً ثمّ حمل على عليّ عليه السلام فضربه [عليّ] وقتله وألحقه بأصحابه القتلى واختلطوا فلم يكن إلاّ ساعة حتّى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف فما أفلت منهم إلاّ تسعة أنفس رجلان هربا إلى خراسان إلى أرض سجستان وبها نسلهما ورجلان صارا إلى بلاد عمان وبها نسلهما ورجلان صارا إلى اليمن وفيها نسلهما وهم الإباضية ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يعرف بالسن والبوازيج وإلى شاطئ الفرات وصار آخر إلى تل موزن .

وغنم أصحاب عليّ عليه السلام غنائم كثيرة وقتل من أصحاب عليّ عليه السلام تسعة بعدد من سلم من الخوارج وهي من جملة كرامات عليّ عليه السلام فإنّه قال : نقتلهم ولا يقتل منّا عشرة ولا يسلم منهم عشرة . فلما قتلوا قال عليّ عليه السلام التمسوا المخدج . فالتمسوه فلم يجدوه فقام عليّ عليه السلام بنفسه حتّى أتى ناساً قد قُتِل بعضهم على بعض فقال : أخروهم فوجدوه ممّا يلي الأرض فكبّر عليّ عليه السلام وقال صدق الله وبلّغ رسوله .

قال أبو الوضيء فكأني أنظر إليه حبشيّ عليه قريطق إحدى يديه مثل ثدي المرأة عليها شعرات مثل شعر ذنب اليربوع . وهذا أبو الوضيء هو عبّاد بن نسيب القيسي تابعي يروي عنه هذا القول أبو داود في سننه كما قال(١) .

بيان: انخزلت : انقطعت . وانحاز القوم : تركوا مركزهم إلى آخر . والخدين الصديق .

وقال [الفيروزآبادي] في القاموس السن جبل بالمدينة وموضع بالريّ وبلد على دجلة وقال : «بوازيج» بلدٌ قرب تكريت .

---

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ٢٦٤ .

٦٢٠ - **إرشاد القلوب:** خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة من مسجد الكوفة متوجّهاً إلى داره وقد مضى ربع من اللّيل ومعه كميل بن زياد وكان من خيار شيعته ومحبّيه فوصل في الطريق إلى باب رجل يتلو القرآن في ذلك الوقت ويقرأ قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]. بصوت شجيّ حزين فاستحسن كميل ذلك في باطنه وأعجبه حال الرّجل من غير أن يقول شيئاً فالتفت صلوات الله عليه وآله إليه وقال: يا كميل لا تعجبك طنطنة الرّجل إنّه من أهل النّار وسأنبئك فيما بعد! فتحيّر كميل لمكاشفته له على ما في باطنه ولشهادته بدخول النّار مع كونه في هذا الأمر وتلك الحالة الحسنة ومضى مدّة متطاولة إلى أن آل حال الخوارج إلى ما آل وقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام وكانوا يحفظون القرآن كما أُنزل فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى كميل بن زياد وهو واقف بين يديه والسيف في يده يقطر دماً ورؤوس أولئك الكفرة الفجرة محلّقة على الأرض فوضع رأس السيف على رأس من تلك الرؤوس وقال: يا كميل «أمن هو قانت آناء اللّيل ساجداً وقائماً» أي هو ذلك الشخص الّذي كان يقرأ القرآن في تلك الليلة فأعجبك حاله فقبل كميل قدميه واستغفر الله وصلّى وعلى مجهول القدر[2].

٦٢١ - **فر:** جعفر بن محمّد الفزاريّ معنعناً عن أبي وائل السهميّ قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلمّا انتهينا إلى النّهروان قال: وكنت شاكاً في قتالهم فضربت بفرسي فأقحمته في أشجار كانت هناك قال: فوالله لكأنه علم ما في قلبي فأقبل يسير على بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى نزل بتلك الاشجار فنزل فوضع فرشه ثمّ جلس عليه ثمّ احتبا بحمائل سيفه فأنا أراه ولا يراني إذ جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما يجلسك فقد عبر القوم النهر؟ قال: كذبت لم يعبروا قال: فرجع ثمّ جاء آخر قال: يا أمير المؤمنين ما يجلسك فقد عبر القوم النهر وقتلوا فلاناً وفلاناً قال: كذبت لم يعبروا والله لا يعبرون حتّى أقتلهم عهد من الله ومن رسوله قال: ثمّ دعا بفرس فركبه فقلت: ما رأيت كاليوم والله لئن كان صادقاً لأضربنّ بسيفي حتّى ينقطع قال: ولمّا جازني اتبعته فانتهينا إلى القوم فإذا هم يريدون العبور فشدّ عليهم رجل يقال له معين أو مغيث فعرض رمحه على القنطرة فردّ القوم ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام صاح بالقوم فتنحوا قال: ثمّ حملوا علينا فانهزمنا وهو واقف ثمّ التفت إلينا فقال: ما هذا ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[3] قلنا أوليس إلى الموت نساق؟ قال: شدّوا الأضراس وأكثروا الدعاء واحملوا على القوم قال ففعلنا فوالله ما انتصف النهار ومنهم أحد يخبر عن أحد.

قال: فلمّا رأى النّاس ذلك عجبوا من قوله فقال: أيّها النّاس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٢) ارشاد القلوب، ص ٢٠١.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦.

أنّ في هؤلاء القوم رجلاً مخدج اليد فأقبل يسير حتّى انتهينا إلى جوبة قتلى فقال: ارفعوهم فرفعناهم فاستخرجنا الرّجل فمددنا المخدجة فاستوت مع الصحيحة ثمّ خليناها فرجعت كما كانت. فلمّا رأى النّاس قد عجبوا قال: أيّها النّاس إنّ فيه علامة أُخرى في يده الصحيحة في بطن عضده مثل ركب المرأة قال: فشققت ثوباً كان عليه بأسناني أنا والأصبغ بن نباتة حتّى رأيناه كما وصف ورأوه الناس[1].

بيان: الجوبة: الحفرة.

٦٢٢ - **كا:** محمّد بن يحيى عن عبد الله بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن أبان بن عثمان عن يحيى بن أبي العلاء عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العبّاس إلى ابن الكوّاء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلّة فلمّا نظروا إليه قالوا يا ابن عبّاس أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللّباس؟ فقال: هذا أوّل ما أُخاصمكم فيه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وقال الله عزّ وجلّ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[2].

٦٢٣ - **كا:** العدّة عن سهل عن محمّد بن عيسى عن صفوان عن يوسف بن إبراهيم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عبد الله بن العبّاس لمّا بعثه أمير المؤمنين إلى الخوارج يواقفهم لبس أفضل ثيابه وتطيّب بأطيب طيبه وركب أفضل مراكبه فخرج فواقفهم فقالوا: يا ابن عبّاس بينا أنت أفضل النّاس إذ أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم؟! فتلا عليهم هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ فالبس وتجمل فإنّ الله جميل يحبّ الجمال وليكن من حلال[3].

٦٢٤ - **ختص:** محمّد بن عليّ عن محمّد بن الحسن عن العكلي الحرمازي عن صالح بن أسود بن صنعان الغنوي عن مسمع بن عبد الله البصريّ عن رجل قال:

لما بعث عليّ بن أبي طالب عليه السلام صعصعة بن صوحان إلى الخوارج قالوا له: أرأيت لو كان عليّ معنا في موضعنا أتكون معه؟ قال: نعم قالوا: فأنت إذاً مقلّد عليّاً دينك ارجع فلا دين لك! فقال لهم صعصعة: ويلكم ألا أُقلد من قلّد الله فأحسن التقليد فاضطلع بأمر الله صدّيقاً لم يزل أولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا اشتدّت الحرب قدّمه في لهواتها فيطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بحدّه مكدوداً في ذات الله عنه يعبر رسول الله والمسلمون فأين تصرفون؟ وأين تذهبون؟ وإلى من ترغبون؟ وعمن تصدفون؟ عن القمر الباهر والسراج الزاهر وصراط الله المستقيم وسبيل الله المقيم قاتلكم الله أنّى تؤفكون أفي الصديق الأكبر

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ١٥٢ ح ١٨٩.
(٢) - (٣) الكافي، ج ٦ ص ١١٣٦ باب ٣٤٣ ح ٦ و٧.

والغرض الأقصى ترمون طاشت عقولكم وغارت حلومكم وشاهت وجوهكم لقد علوتم القلّة من الجبل وباعدتم العلّة من النهل أتستهدفون أمير المؤمنين عليه السلام ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله لقد سوّلت لكم أنفسكم خسراناً مبيناً فبعداً وسحقاً للكفرة الظالمين عدل بكم عن القصد الشيطان وعمّى بكم عن واضح المحجّة الحرمان.

فقال له عبد الله بن وهب الرّاسبي: نطقت يا ابن صوحان بشقشقة بعير وهدرت فأطنبت في الهدير أبلغ صاحبك أنّا مقاتلوه على حكم الله والتنزيل فقال عبد الله بن وهب أبياتاً قال العكلي الحرمازي ولا أدري أهي له أم لغيره:

كي تلزموا الحقّ وحده ونضربكم حتّى يكون لنا الحكم
فإن تتبعوا حكم الإله يكن لكم إذا ما اصطلحنا الحقّ والأمن والسلم
وإلاّ فإنّ المشرفية محذم بأيدي رجال فيهم الدين والعلم

فقال صعصعة كأنّي أنظر إليك يا أخا راسب مرملاً بدمائك يحجل الطير بأشلائك لا تجاب لكم داعية ولا تسمع منكم واعية يستحل ذلك منكم إمام هدى قال الراسبي:

سيعلم الليث إذا التقينا دور الرحا عليه أو علينا

فقال صعصعة: عند الصباح يحمد القوم السرى ثمّ رجع إلى عليّ صلوات الله عليه فأخبره بما جرى بينه وبينهم فتمثل عليّ عليه السلام:

أراد رسولاي الوقوف فراوحا يداً بيد ثمّ اسهما لي على السواء

بؤساً للمساكين يا ابن صوحان أما لقد عُهد إليّ فيهم وإنّي لصاحبهم وما كَذبت ولا كُذبت وإنّ لهم يوماً يدور فيه رحا المؤمنين على المارقين فيا ويحها حتفاً ما أبعدها من روح الله ثمّ قال:

إذا الخيل جالت في الفتى وتكشّفت عوابس لايسألن غير طعان
فكرّت جميعاً ثمّ فرق بينها سقى رمحه منها بأحمر قان
فتى لايلاقي القرن إلاّ بصدره إذا أرعشت أحشاء كلّ جبان

ثمّ رفع رأسه ويده إلى السّماء وقال: اللّهمّ اشهد ثلاثاً قد أعذر من أنذر، وبك العون وإليك المشتكى وعليك التكلان وإيّاك ندرأ في نحورهم أبى القوم إلاّ تمادياً في الباطل ويأبى الله إلاّ الحقّ فأين يذهب بكم عن حطب جهنّم وعن طيّب المغنم وأشار إلى أصحابه وقال: استعدّوا لعدوكم فإنّكم غالبوهم بإذن الله ثمّ قرأ عليهم آخر سورة آل عمران(١).

بيان: [قوله:] «يطأ صماخها بأخمصه» الأخمص من باطن القدم ما لم يبلغ الأرض وهو كناية عن الاستيلاء على الحرب وإذلال أهلها. ولعلّ «المكدود» هنا بمعنى الكاد.

---

(١) الاختصاص، ص ١٢١.

والطيش: الخفة. «وشاهت وجوهكم»: قبحت. والعلّ: الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعاً. والنّهل: محرّكة أوّل الشرب. واستهدف له: دنا منه وانتصب له. وسيف حذم: قاطع. ويقال: حجل الطائر كنصر وضرب إذا نزى في مشيته أو بالخاء المعجمة ثمّ الجيم قال الجوهريّ: الخجل: سوء احتمال الغنى وفي الحديث: إذا شبعتن خجلتن أي أشرتنّ وبطرتن انتهى.

[قوله:] «عند الصباح يحمد القوم السرى» قال الميدانيّ: يضرب للرّجل يحتمل المشقّة رجاء الراحة.

٦٢٥ - **ختص:** المعلى بن محمّد البصريّ عن بسطام بن مرّة عن إسحاق بن حسّان عن الهيثم بن واقد عن عليّ بن الحسن العبديّ عن ابن طريف عن ابن نباتة قال: أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الاحد وتخلّف عمرو بن حريث في سبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمّى الخورنق فقالوا: نتنزه فإذا كان يوم الاربعاء خرجنا فلحقنا عليّاً قبل أن يجمع فبينا هم يتغدّون إذ خرج عليهم ضبّ فصادوه فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفّه فقالوا: بايعوا هذا أمير المؤمنين فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم وارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة وأميرالمؤمنين يخطب ولم يفارق بعضهم بعضاً كانوا جميعاً حتّى نزلوا على باب المسجد.

فلمّا دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أيّها النّاس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ إليّ ألف حديث في كلّ حديث ألف باب لكلّ باب ألف مفتاح وإنّي سمعت الله يقول: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ وإنّي أقسم لكم بالله ليبعثنّ يوم القيامة ثمانية نفر بإمامهم وهو ضبّ ولو شئت أن أسمّيهم فعلت قال: فلو رأيت عمرو بن حريث سقط كما تسقط السعفة وجيباً[1].

بيان: الوجيب الاضطراب.

٦٢٦ - **أقول:** روى الشيخ أحمد بن فهد في المهذّب وغيره في غيره بأسانيدهم عن المعلىّ بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم النيروز هو اليوم الّذي ظفر فيه أمير المؤمنين عليه السلام بأهل النهروان وقتل ذا الثدية.

٢٤ - باب سائر ماجرى بينه وبين الخوارج سوى وقعة النهروان

٦٢٧ - **نهج:** [و] من كلام له عليه السلام لمّا هرب مصقلة بن هُبيرة الشيبانيّ إلى معاوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين وأعتقهم فلمّا طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام: قبّح الله مصقلة فعل فعل السادة وفرّ فرار العبيد! فما أنطق مادحه حتّى أسكته، ولا صدّق واصفه حتّى بكّته، ولو أقام لأخذنا ميسوره وانتظرنا بماله وفوره[2].

---

(١) الاختصاص، ص ٢٧٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ١١٨ خ ٤٤.

توضيح: ٦٢٨ - قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: روى إبراهيم بن محمّد الثقفيّ في كتاب الغارات ووجدته في أصل الكتاب أيضاً عن الحارث بن كعب الأزديّ عن عمّه عبد الله بن قعين قال: كان الخرّيت بن راشد أحد بني ناجية قد شهد مع عليّ عليه السلام صفّين فجاء إليه عليه السلام بعد انقضاء صفّين وبعد تحكيم الحكمين في ثلاثين من أصحابه يمشي بينهم حتّى قام بين يديه فقال: لا والله لا أطيع أمرك ولا أصلّي خلفك وإنّي غداً لمفارق لك.

فقال له [عليّ عليه السلام]: ثكلتك أمّك إذاً تنقض عهدك وتعصي ربّك ولا تضرّ إلاّ نفسك أخبرني لم تفعل ذلك؟ قال: لأنّك حكّمت في الكتاب وضعفت عن الحقّ إذ جد الجدّ وركنت إلى القوم الّذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك رادّ وعليهم ناقم ولكم جميعاً مباين!.

فقال له عليّ عليه السلام: ويحك هلمّ إليّ أدارسك وأناظرك في السنن وأفاتحك أموراً من الحقّ أنا أعلم بها منك فلعلّك تعرف ما أنت الآن له منكر، وتبصر ما أنت الآن عنه غافل وبه جاهل. فقال الخرّيت فأنا غاد عليك غداً. فقال عليه السلام اغد [إلي] ولايستهوينك الشيطان ولايقتحمنّ بك رأي السوء ولا يستخفنّك للجهلات الّذين لايعلمون فوالله إن استرشدتني واستنصحتني وقبلت منّي لأهدينك سبيل الرشاد.

فخرج الخرّيت من عنده منصرفاً إلى أهله. قال عبد الله بن قعين: فعجلت في أثره مسرعاً لأنصحه وأستعلم خبره فرأيته رجع إلى أصحابه وقال لهم: يا هؤلاء إنّي قد رأيت أن أفارق هذا الرجل. فنصحت ابن عمّه ورجعت إلى بيتي فلمّا أصبحت وارتفع النّهار أتيت أمير المؤمنين عليه السلام وأخبرته خبره فقال عليه السلام دعه فإن قبل الحقّ ورجع عرفنا له ذلك وقبلناه منه. فقلت له: يا أمير المؤمنين فلم لاتأخذه الآن فتستوثق منه؟ فقال: إنّا لو فعلنا هذا بكلّ من نتهم من النّاس ملأنا السجون منهم ولا أراني يسعني الوثوب بالناس والحبس لهم وعقوبتهم حتّى يظهروا لي الخلاف فقال لي سرّاً: اذهب إلى منزل الرّجل فاعلم ما فعل؟ فأتيت منزله فإذا ليس في منزله ولا منزل أصحابه داع ولا مجيب.

[فأقبلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام بقصّتهم] فلمّا أخبرته عليه السلام قال: أبعدهم الله كما بعدت ثمود أما والله لو قد أشرعت لهم الأسنّة وصبّت على هامهم السيوف لقد ندموا إنّ الشيطان قد استهواهم وأضلّهم وهو غداً متبرئ منهم ومخلّ عنهم.

فقام إليه زياد بن خصفة فقال: يا أمير المؤمنين إنّه لو لم يكن من مضرّة هؤلاء إلاّ فراقهم إيّانا لم يعظم فقدهم علينا ولكنّا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممّن يقدمون عليهم من أهل طاعتك فائذن لي في اتّباعهم حتّى نردّهم عليك إن شاء الله.

فقال له عليه السلام فاخرج في آثارهم رشيداً ثمّ قال: اخرج رحمك الله حتّى تنزل دير أبي موسى لاتبرحه حتّى يأتيك أمري وسأكتب إلى من حولي من عمّالي فيهم فكتب نسخة واحدة أخرجها إلى العمال: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من قرئ

عليه كتابي هذا من العمّال أمّا بعد فإنّ رجالاً لنا عندهم تبعة خرجوا هراباً نظنّهم خرجوا نحو بلاد البصرة فسل عنهم أهل بلادك واجعل عليهم العيون في كلّ ناحية من أرضك ثمّ اكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم.

فخرج زياد بن خصفة حتّى أتى داره وجمع أصحابه وأخذ معه منهم مائة وثلاثين رجلاً وخرج حتّى أتى دير أبي موسى.

وروى بإسناده عن عبد الله بن وال التيميّ قال: إنّي لعند أمير المؤمنين عليه السلام إذا بيج[1] قد جاءه يسعى بكتاب من قرظة بن كعب الأنصاريّ وكان أحد عمّاله يخبره بأن خيلاً مرّت من قبل الكوفة متوجّهة [نحو «نفر»] وأن رجلاً من دهاقين أسفل الفرات قد أسلم وصلّى يقال له زاذان فرّوخ فلقوه فقالوا له: أمسلم أنت؟ قال: نعم قالوا: فما تقول في عليّ؟ قال: أقول: إنّه أمير المؤمنين عليه السلام وسيّد البشر ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالوا: كفرت يا عدو الله ثمّ حملت عليه عصابة منهم فقطعوه بأسيافهم! وأخذوا معه رجلاً من أهل الذمّة يهودياً فقالوا: خلّوا سبيل هذا لا سبيل لكم عليه.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة الّتي مرّت بعملك فقتلت البرّ المسلم وأمن عندهم المخالف المشرك وإنّ أولئك قوم استهواهم الشيطان فضلّوا كالذين حسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا فأسمع بهم وأبصر يوم يحشر أعمالهم فالزم عملك وأقبل على خراجك فإنّك كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك والسّلام.

وكتب عليه السلام إلى زياد بن خصفة: أمّا بعد فقد كنت أمرتك أن تنزل دير أبي موسى حتّى يأتيك أمري وذلك أنّي لم أكن علمت أين توجّه القوم وقد بلغني أنّهم أخذوا نحو قرية من قرى السواد فاتبع آثارهم وسل عنهم فإنّهم قد قتلوا رجلاً من أهل السّواد مسلماً مصلّياً فإذا أنت لحقت بهم فارددهم إليّ فإن أبوا فناجزهم واستعن بالله عليهم فإنّهم قد فارقوا الحقّ وسفكوا الدم الحرام وأخافوا السّبيل والسّلام.

قال عبد الله بن وال: فأخذت الكتاب منه عليه السلام وأنا يومئذٍ شاب حدث فاستأذنته أن أذهب معه إلى العدوّ فأذن ودعا لي فأتيت بالكتاب إليه ثمّ خرجنا حتّى أتينا الموضع الّذي كانوا فيه [فسألنا عنهم؟ فقيل: أخذوا نحو المدائن] ولحقنا بالمدائن فقال زياد لرئيسهم: ما الّذي نقمت على أمير المؤمنين وعلينا حتّى فارقتنا؟ قال: لم أرض بصاحبكم إماماً ولم أرض بسيرتكم سيرة فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى من النّاس فإذا اجتمع النّاس على رجل هو لجميع الأمّة رضاً كنت مع الناس.

فقال زياد: ويحك وهل يجتمع النّاس على رجل يداني عليّاً عالماً بالله وبكتابه وسنّة

---

(١) في المصدر: فيج. وهو رسول السلطان الذي يسعى على رجليه.

رسوله صلى الله عليه وآله مع قرابته وسابقته في الإسلام؟ فقال له الخرّيت: هو ما أقول لك. فقال [زياد] ففيم قتلتم الرجل المسلم؟ فقال الخريت: ما أنا قتلته إنّما قتلته طائفة من أصحابي. قال: فادفعهم إلينا. قال: ما إلى ذلك من سبيل. قال: أوهكذا أنت فاعل؟ قال: هو ما تسمع.

قال: فدعونا أصحابنا ودعا الخرّيت أصحابه ثمّ اقتتلنا فوالله ما رأيت قتالاً مثله منذ خلقني الله لقد تطاعنّا بالرماح حتّى لم يبق في أيدينا رمح ثمّ اضطربنا بالسيوف حتّى انحنت وعقرت عامّة خيلنا وخيلهم وكثرت الجراح فيما بيننا وبينهم وقتل منّا رجلان مولىً لزياد كانت معه رايته يُدْعى سويداً ورجل آخر يدعى واقداً وصرع منهم خمسة نفر وحال اللّيل بيننا وبينهم فقد والله كرهونا وكرهناهم وهزمونا وهزمناهم وجرح زياد وجرحت ثمّ إنّا بتنا في جانب وتنحوا فمكثوا ساعة من أوّل اللّيل ثمّ مضوا فذهبوا وأصبحنا فوجدناهم قد ذهبوا فوالله ما كرهنا ذلك فمضينا حتّى أتينا البصرة وبلغنا أنّهم أتوا الأهواز فنزلوا في جانب منها وتلاحق بهم ناس من أصحابهم نحو مائتين فأقاموا معهم.

وكتب زياد إلى عليّ عليه السلام أمّا بعد فإنّا لقينا عدوّ الله الناجي وأصحابه بالمدائن فدعوناهم إلى الهدى والحقّ والكلمة السواء فتولّوا عن الحقّ وأخذتهم العزّة بالإثم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فقصدونا وصمدنا صمدهم فاقتتلنا قتالاً شديداً ما بين قائم الظهر إلى أن أدركت الشمس واستشهد منّا رجلان صالحان وأصيب منهم خمسة نفر وخلّوا لنا المعركة وقد فشت فينا وفيهم الجراح ثمّ إنّ القوم لمّا أدركوا اللّيل خرجوا من تحته متنكرين إلى أرض الأهواز وقد بلغني أنّهم نزلوا منها جانباً ونحن بالبصرة نداوي جراحنا وننتظر أمرك رحمك الله والسلام.

فلما أتاه الكتاب قرأه على النّاس فقام إليه معقل بن قيس الرّياحي فقال: أصلحك الله يا أمير المؤمنين إنّما كان ينبغي أن يكون مكان كلّ رجل من هؤلاء الّذين بعثتهم في طلبهم عشرة من المسلمين فإذا لحقوهم استأصلوا شأفتهم وقطعوا دابرهم.

فقال عليه السلام له: تجهّز يا معقل إليهم وندب معه ألفين من أهل الكوفة فيهم يزيد بن المعقل وكتب إلى عبد الله بن العبّاس بالبصرة:

أمّا بعد فابعث رجلاً من قبلك صليباً شجاعاً معروفاً بالصلاح في ألفي رجل من أهل البصرة فليتبع معقل بن قيس فإذا خرج من أرض البصرة فهو أمير أصحابه حتّى يلقى معقلاً فإذا لقيه فمعقل أمير الفريقين فليسمع منه وليطعه ولا يخالفه ومر زياد بن خصفة فليقبل إلينا فنعم المرء زياد ونعم القبيل قبيلته وكتب عليه السلام إلى زياد:

أمّا بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت به الناجي وأصحابه الّذين طبع الله على قلوبهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فهم حيارى عمهون يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر فأمّا أنت وأصحابك فلله سعيكم وعليه جزاؤكم، وأيسر ثواب الله للمؤمن

خير له من الدنيا الّتي يقتل الجاهلون أنفسهم عليها: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

وأما عدوّكم الّذين لقيتم فحسبهم خروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلالة وردّهم الحقّ وجماحهم في التّيه فذرهم وما يفترون ودعهم في طغيانهم يعمهون فأسمع بهم وأبصر فكأنّك بهم عن قليل بين أسير وقتيل فأقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين فقد أطعتم وسمعتم وأحسنتم البلاء والسلام.

قال: ونزل الناجي جانباً من الأهواز واجتمع إليه علوج كثير من أهلها ممّن أراد كسر الخراج ومن اللصوص وطائفة أخرى من الأعراب ترى رأيه.

قال إبراهيم وروي عن عبد الله بن قعين قال: كنت أنا وأخي كعب في ذلك الجيش مع معقل فلمّا أراد الخروج أتاه عليه السلام يودعه فقال له: يا معقل بن قيس اتّق الله ما استطعت فإنّها وصيّة الله للمؤمنين لا تبغ على أهل القبلة ولا تظلم أهل الذمّة ولا تتكبر فإنّ الله لا يحبّ المتكبّرين. فقال معقل: الله المستعان فقال [عليّ عليه السلام هو] خير مستعان.

ثمّ قام [معقل] فخرج وخرجنا معه حتّى نزل الأهواز فأقمنا أياماً حتّى بعث ابن عبّاس خالد بن معدان مع جيش البصرة فدخل على صاحبنا وسلم عليه بالإمرة واجتمعا جميعاً في عسكر واحد ثمّ خرجنا إلى الناجي وأصحابه فأخذوا يرتفعون نحو جبال «رامهرمز» يريدون قلعةً بها حصينة فلحقناهم وقد دنوا من الجبل فصففنا لهم ثمّ أقبلنا نحوهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل وعلى ميسرته منجاب بن راشد.

ووقف الناجي بمن معه من العرب فكانوا ميمنة وجعل أهل البلد والعلوج ومن أراد كسر الخراج وجماعة من الأكراد ميسرة.

وسار فينا معقل يحرّضنا ويقول: يا عباد الله لاتبدؤا القوم وغضّوا الأبصار وأقلّوا الكلام ووطّنوا أنفسكم على الطعن والضرب وأبشروا في قتالهم بالأجر العظيم إنّما تقاتلون مارقة مرقت وعلوجاً منعوا الخراج ولصوصاً وأكراداً فما تنتظرون؟ فإذا حملت فشدّوا شدّة رجل واحد. قال: فمرّ في الصّف يكلّمهم يقول هذه المقالة حتّى إذا مرّ بالناس كلّهم أقبل فوقف وسط الصف في القلب.

ونظرنا إليه ما يصنع فحرّك رايته تحريكتين ثمّ حمل في الثالثة وحملنا معه جميعاً فوالله ما صبروا لنا ساعة حتّى ولّوا وانهزموا وقتلنا سبعين عربياً من بني ناجية ومن بعض من اتبعه من العرب ونحو ثلاثمائة من العلوج والأكراد.

وخرج الخرّيت منهزماً حتّى لحق بسيف من أسياف البحر وبها جماعة من قومه كثير فما زال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف عليّ عليه السلام ويزيّن لهم فراقه ويخبرهم أنّ الهدى في حربه ومخالفته حتّى اتبعه منهم ناس كثير.

وأقام معقل بن قيس بأرض الأهواز وكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالفتح وكنت أنا الّذي قدم بالكتاب عليه وكان في الكتاب: لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من معقل بن قيس سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد فإنّا لقينا المارقين وقد استظهروا علينا بالمشركين فقتلنا منهم ناساً كثيراً ولم نعد فيهم سيرتك لم نقتل منهم مدبراً ولا أسيراً ولم ندفف منهم على جريح، وقد نصرك الله والمسلمين والحمد لله ربّ العالمين.

قال: فلمّا قدمت بالكتاب على عليّ عليه السلام قرأه على أصحابه واستشارهم في الرّأي فاجتمع رأي عامّتهم على قول واحد قالوا: نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس يتبع آثارهم ولا يزال في طلبهم حتّى يقتلهم أو ينفيهم من أرض الإسلام فإنّا لا نأمن أن يفسدوا عليك الناس. قال: فردّني إليه وكتب معي:

أمّا بعد فالحمد لله على تأييده أولياءه وخذله أعداءه جزاك الله والمسلمين خيراً فقد أحسنتم البلاء وقضيتم ما عليكم فاسأل عن أخي بني ناجية فإن بلغك أنّه استقر في بلد من البلدان فسر إليه حتّى تقتله أو تنفيه فإنّه لم يزل للمسلمين عدواً وللفاسقين وليّاً والسّلام.

قال: فسأل معقل عن مسيره والمكان الّذي انتهى إليه فنبئ بمكانه بسيف البحر بفارس وأنّه أفسد من قبله من عبد القيس ومن والاهم من سائر العرب وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفّين ومنعوها في ذلك العام أيضاً. فصار إليهم معقل في ذلك الجيش من أهل الكوفة والبصرة فأخذوا على أرض فارس حتّى انتهوا إلى أسياف البحر.

فلما سمع الخرّيت بمسيره أقبل على من كان معه من أصحابه ممّن يرى رأي الخوارج فأسرّ إليهم إنّي أرى رأيكم وإن عليّاً ما كان ينبغي له أن يحكّم الرجال في دين الله وقال للآخرين من أصحابه مسرّاً إليهم: إنّ عليّاً قد حكّم حكماً ورضي به فخالف حكمه الّذي ارتضاه لنفسه وهذا الرّأي الّذي خرج عليه من الكوفة وقال لمن يرى رأي عثمان وأصحابه: أنا على رأيكم وإنّ عثمان قتل مظلوماً وقال لمن منع الصدقة شدّوا أيديكم على صدقاتكم ثمَّ صلوا بها أرحامكم وعودوا إن شئتم على فقرائكم فأرضى كلّ طائفة بضرب من القول.

وكان فيهم نصارى كثير أسلموا فلمّا رأوا ذلك الاختلاف قالوا: والله لديننا الّذي خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء الّذين لاينهاهم دينهم عن سفك الدماء وإخافة السبل فرجعوا إلى دينهم فلقي الخرّيت أولئك فقال: ويحكم إنّه لاينجّيكم من القتل إلاّ الصبر لهؤلاء القوم ولقتالهم أتدرون ما حكم عليّ فيمن أسلم من النصارى ثمَّ رجع إلى النصرانية لا والله لايسمع له قولاً ولا يرى له عذراً ولا دعوة ولايقبل منه توبة ولا يدعوه إليها وإنّ حكمه فيه أن يضرب عنقه ساعة يستمكن منه؟!.

فما زال حتّى خدعهم فاجتمع إليه ناس كثير وكان منكراً داهياً.

فلما رجع معقل قرأ على أصحابه كتاباً من عليّ عليه السلام فيه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من قُرئ عليه كتابي هذا من المسلمين والمؤمنين والمارقين والنّصارى والمرتدّين سلام على من اتّبع الهدى وآمن بالله ورسوله وكتابه والبعث بعد الموت وافياً بعهد الله ولم يكن من الخائنين أما بعد فإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه وأن أعمل فيكم بالحقّ وبما أمر الله تعالى به في كتابه فمن رجع منكم إلى رحله وكفّ يده واعتزل هذا المارق الهالك المحارب الّذي حارب الله ورسوله والمسلمين وسعى في الأرض فساداً فله الأمان على ماله ودمه، ومن تابعه على حربنا والخروج من طاعتنا استعنّا بالله عليه وجعلناه بيننا وبينه وكفى بالله وليّاً والسّلام.

قال: فأخرج معقل راية أمان فنصبها وقال: من أتاها من النّاس فهو آمن إلاّ الخرّيت وأصحابه الّذين نابذوا أوّل مرّة. فتفرق عن الخرّيت كلّ من كان معه من غير قومه.

وعبّأ معقل أصحابه ثم زحف بهم نحوه وقد حضر مع الخرّيت جميع قومه مسلمهم ونصرانيّهم ومانعو الصّدقة منهم فجعل مسلميهم ميمنة والنّصارى ومانعي الصدقة ميسرة.

وسار معقل يحرّض أصحابه فيما بين الميمنة والميسرة ويقول: أيّها النّاس ما تدرون ما سيق إليكم في هذا الموقف من الأجر العظيم إنّ الله ساقكم إلى قوم منعوا الصّدقة وارتدّوا عن الإسلام ونكثوا البيعة ظلماً وعدواناً إنّي شهيد لمن قتل منكم بالجنّة ومن عاش بأن الله يقر عينه بالفتح والغنيمة.

ففعل ذلك حتّى مرّ بالناس أجمعين ثم وقف بالقلب برايته فحملت الميمنة عليهم ثمّ الميسرة وثبتوا لهم وقاتلوا قتالاً شديداً ثمّ حمل هو وأصحابه عليهم فصَبروا لهم ساعة.

ثم إنّ النعمان بن صهبان بصر بالخرّيت فحمل عليه فضربه فصرعه عن فرسه ثم نزل إليه وقد جرحه فاختلفا بينهما ضربتين فقتله النّعمان وقتل معه في المعركة سبعون ومائة وذهب الباقون في الأرض يميناً وشمالاً.

وبعث معقل الخيل إلى رحالهم فسبى من أدرك فيها رجالاً ونساءاً وصبياناً ثمّ نظر فيهم فمن كان مسلماً خلّاه وأخذ بيعته وخلّى سبيل عياله ومن كان ارتدّ عن الإسلام عرض عليه الرجوع إلى الإسلام أو القتل فأسلموا فخلّى سبيلهم وسبيل عيالاتهم إلاّ شيخاً منهم نصرانيّاً أبى فقتله. وجمع النّاس فقال: أدّوا ما عليكم في هذه السّنين من الصدقة فأخذ من المسلمين عِقالين وعمد إلى النصارى وعيالاتهم فاحتملهم معه وأقبل المسلمون الّذين كانوا معهم يشيّعونهم فأمر معقل بردّهم فلمّا ذهبوا لينصرفوا تصايحوا ودعا الرّجال والنساء بعضهم إلى بعض قال: فلقد رحمتهم رحمة ما رحمتها أحداً قبلهم ولا بعدهم.

وكتب معقل إلى عليّ عليه السلام أمّا بعد فإنّي أخبر أمير المؤمنين عن جنده وعن عدوّهم أنّا دفعنا إلى عدوّنا بأسياف البحر فوجدنا بها قبائل ذات حدّ وعدد وقد جمعوا لنا فدعوناهم إلى الجماعة والطاعة وإلى حكم الكتاب والسنّة وقرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين ورفعنا لهم

راية أمان فمالت طائفة منهم إلينا وثبتت طائفة أُخرى فقبلنا أمر الّتي أقبلت وصمدنا إلى الّتي أدبرت فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم فأمّا من كان مسلماً فإنّا منّنا عليه وأخذنا بيعته لأمير المؤمنين وأخذنا منهم الصدقة الّتي كانت عليهم وأمّا من ارتد فعرضنا عليهم الرجوع إلى الإسلام وإلاّ قتلناهم فرجعوا إلى الإسلام غير رجل واحد فقتلناه.

وأما النصارى فإنّا سبيناهم وأقبلنا بهم ليكونوا نكالاً لمن بعدهم من أهل الذمّة كيلا يمنعوا الجزية ولا يجترئوا على قتال أهل القبلة وهم للصغار والذلّة أهل، رحمك الله يا أمير المؤمنين وأوجب لك جنّات النّعيم والسّلام.

قال: ثمّ أقبل بالأسارى حتّى مرّ على مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ وهو عامل لعليّ عليه السلام على أردشير خرّة وهم خمس مائة انسان فبكى إليه النساء والصبيان وتصايح الرجال يا أبا الفضل يا حامل الثقل يا مأوى الضّعيف وفكاك العناة امنن علينا فاشترنا وأعتقنا.

فقال مصقلة: أُقسم بالله لأتصدّقن عليهم إنّ الله يجزي المتصدّقين فبلغ قوله معقلاً فقال: والله لو أعلمه قالها توجّعاً لهم ووجداً عليهم إزراء عليّ لضربت عنقه وإن كان في ذلك فناء بني تميم وبكر بن وائل.

ثم إنّ مصقلة بعث ذهل بن الحارث إلى معقل فقال: بعني نصارى بني ناجية فقال: أبيعكم بألف ألف درهم فأبى عليه فلم يزل يراوضه حتّى باعه إيّاهم بخمسمائة ألف درهم ودفعهم إليه وقال: عجّل بالمال إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال مصقلة: أنا باعث الآن بصدر منه ثمّ كذلك حتّى لايبقى منه شيء.

وأقبل معقل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره بما كان من الأمر فقال: أحسنت وأصبت ووفّقت. وانتظر عليّ عليه السلام مصقلة أن يبعث بالمال فأبطأ به وبلغ عليّاً عليه السلام أنّ مصقلة خلّى الأسارى ولم يسألهم أن يعينوه في فكاك أنفسهم بشيء فقال: ما أرى مصقلة إلاّ قد حمل حمالة ولا أراكم إلاّ وسترونه عن قريب مُبَلْدِحاً ثمّ كتب إليه: أمّا بعد فإنّ من أعظم الخيانة خيانة الأمّة وأعظم الغشّ على أهل المصر غشّ الإمام وعندك من حقّ المسلمين خمسمائة ألف درهم فابعث بها إليّ حين يأتيك رسولي وإلاّ فأقبل إليّ حين تنظر في كتابي فإنّي قد تقدّمت إلى رسولي أن لا يدعك ساعة واحدة تقيم بعد قدومه عليك إلاّ أن تبعث بالمال والسّلام.

فلما قرأ كتابه أتاه عليه السلام بالكوفة فأقرّه أياماً لم يذكر له شيئاً ثمّ سأله المال فأدّى إليه مائتي ألف درهم وعجز عن الباقي ففرّ ولحق بمعاوية فلمّا بلغ ذلك عليّاً عليه السلام قال: ما له ترحه الله فعل فعل السيّد وفرّ فرار العبد وخان خيانة الفاجر فلو عجز ما زدنا على حبسه فإن وجدنا له شيئاً أخذناه وإن لم نجد له مالاً تركناه.

ثم سار عليّ عليه السلام إلى داره فهدمها وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعة لعليّ عليه السلام مناصحاً

فكتب إليه مصقلة من الشّام مع رجل من نصارى تغلب يقال له حلوان: أمّا بعد فإنّي كلّمت معاوية فيك فوعدك الكرامة ومنّاك الإمارة فأقبل ساعة تلقى رسولي والسّلام.

فأخذه مالك بن كعب الأرحبيّ فسرّح به إلى عليّ عليه السلام فأخذ كتابه فقرأه ثمّ قدّمه فقطع يده فمات وكتب نعيم إلى مصقلة شعراً يتضمّن امتناعه وتعييره.

وحدّثني ابن أبي سيف عن عبد الرحمان بن جندب عن أبيه قال: قيل لعليّ عليه السلام حين هرب مصقلة: اردد الّذين سُبوا ولم يستوف أثمانهم في الرّق فقال: ليس ذلك في القضاء بحقّ قد عتقوا إذ أعتقهم الّذي اشتراهم وصار مالي ديناً على الّذي اشتراهم.

قال إبراهيم: وروى عبد الرحمن بن جندب عن أبيه أنّه لمّا بلغ عليّاً عليه السلام مصاب بني ناجية وقتل صاحبهم قال: هوت أمّه ما كان أنقص عقله وأجرأه! إنّه جائني مرّة فقال: إنّ في أصحابك رجالاً قد خشيت أن يفارقوك فما ترى فيهم؟ فقلت: إنّي لا آخذ على التهمة ولا أعاقب على الظنّ ولا أُقاتل إلاّ من خالفني وناصبني وأظهر العداوة لي ثمّ لست مقاتله حتّى أدعوه وأُعذر إليه فإن تاب ورجع قبلنا منه وإن أبى إلاّ الاعتزام على حربنا استعنّا بالله عليه وناجزناه فكفّ عنّي ماشاء الله حتّى جاءني مرّة أخرى فقال لي: إنّي خشيت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب وزيد بن حصين الطّائيّ إنّي سمعتهما يذكرانك بأشياء لو سمعتهما لم تفارقهما حتّى تقتلهما أو توثقهما فلا يزالان بمحبسك أبداً فقلت له: إنّي مستشيرك فيهما فماذا تأمرني به؟ قال: إنّي آمرك أن تدعوهما فتضرب رقابهما. فعلمت أنّه لا ورع له ولا عقل فقلت له: والله ما أظنّ لك ورعاً ولا عقلاً لقد كان ينبغي لك أن تعلم أنّي لا أقتل من لم يقاتلني ولم يظاهر لي عداوته بالذي كنت أعلمتكه من رأيي حيث جئتني في المرّة الأولى ولقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم أن تقول لي اتق الله بمَ تستحلّ قتلهم ولم يقتلوا أحداً ولم ينابذوك ولم يخرجوا من طاعتك[1].

توضيح: قوله عليه السلام: «أدركت الشمس» لعلّه كناية عن الغروب أي أدركت مغربها كأنها تطلبه وفي بعض النسخ «دلكت» وهو أصوب.

قال في القاموس: دلكت الشمس دلوكاً: غربت واصفرّت أو مالت أو زالت عن كبد السماء. والسّيف بالكسر: ساحل البحر والجمع أسياف. والنكر والنكراء والنكارة: الدهاء والفطنة يقال: رجل نكر كفرح وندب وجنب ومنكر كمكرم أي ذو نكرة. والدّهى: جودة الرّأي كالدهاء يقال: رجل داهية وداه. قوله: «عقالين» أي صدقة عامين قال الفيروزآبادي: العقال ككتاب زكاة عام من الإبل وقال: بلدح: ضرب بنفسه الأرض ووعد ولم ينجز العدة.

وقال ابن الأثير في الكامل: لمّا قتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيبانيّ على

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ٨٩.

عليّ عليه السلام بالدّسكرة في مائتين ثمَّ سار إلى الأنبار فوجّه إليه عليّ عليه السلام الأشرس بن حسان في ثلاثمائة فواقعه فقتل الأشرس في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين.

ثم خرج هلال بن علقمة من بني تيم الرباب ومعه أخوه مجالد فأتى «ماسندان» فوجه إليه عليّ عليه السلام معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مأتين.

ثم خرج أشهب بن بشر وهو من بجيلة في مائة وثمانين رجلاً فأتى المعركة الّتي أصيب فيها هلال وأصحابه وصلّى عليهم ودفن من قدر عليه منهم فوجّه إليه عليّ عليه السلام جارية بن قدامة السعدي وقيل حجر بن عديّ فأقبل إليهم الأشهب فاقتتلوا بجرجرايا فقتل الأشهب وأصحابه. ثم خرج سعيد بن قفل التيميّ في رجب بالبندنيجين ومعه مائتا رجل فأتي درزنجان وهي من المدائن على فرسخين فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم.

ثم خرج أبو مريم السعدي فأتى شهرزور وأكثر من معه من الموالي وقيل لم يكن معه من العرب غير ستّة هو أحدهم واجتمع معه مائتا رجل وقيل أربعمائة وعاد حتّى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة فأرسل إليهم عليّ عليه السلام يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة فلم يفعل وقال: ليس بيننا غير الحرب فبعث عليه السلام إليه شريح بن هانئ في سبعمائة فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا وبقي شريح في مائتين فانحاز إلى قرية فتراجع إليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة.

فخرج عليّ عليه السلام بنفسه وقدّم بين يديه جارية بن قدامة السعدي فدعاهم جارية إلى طاعة عليّ وحذّرهم القتل فلم يجيبوا ولحقهم عليّ عليه السلام أيضاً فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه فقتلهم أصحاب عليّ عليه السلام ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمنوا فآمنهم وكان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى فأمر عليّ عليه السلام بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتّى برئوا.

٢٥ - باب إبطال مذهب الخوارج واحتجاجات الأئمة عليهم السلام وأصحابهم عليهم

٦٢٩ - **قب**: في حلية الأولياء قال أبو مجلز: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام عابوا عليّ تحكيم الحكمين وقد حكّم الله في طائر حكمين.

إبانة أبي عبد الله ابن بطة: ناظر ابن عبّاس جماعة الحرورية فقال: ماذا نقمتم على أمير المؤمنين؟ قالوا: ثلاثاً إنّه حكّم الرجال في دين الله فكفر به، وقاتل ولم يغنم ولم يسب ومحى اسمه من إمرة المؤمنين. فقال: إنّ الله حكّم رجالاً في أمر الله مثل قتل صيد فقال: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ وفي الإصلاح بين الزوجين قال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾.

وأمّا أنّه قاتل ولم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة ثمَّ تستحلون منها ما يستحلّ من

غيرها فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمّكم وإن قلتم ليست بأمّنا فقد كذبتم لقوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ وأمّا أنّه محى اسمه من إمرة المؤمنين فقد سمعتم بأن النبيّ صلى الله عليه وآله أتاه سهيل بن عمرو وأبو سفيان للصلح يوم الحديبية فقال: اكتب هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله القصّة ووالله لرسول الله صلى الله عليه وآله خير من عليّ وما خرج من النبوّة بذلك.

فقال بعضهم: هذا من الّذين قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ وقال: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ قال: ورجع منهم خلق كثير.

وناظر عبد الله بن يزيد الأباضي هشام بن الحكم قبل الرّشيد فقال هشام: إنّه لا مسألة للخوارج علينا فقال الأباضي: كيف ذاك؟ قال: لأنّكم قوم قد اجتمعتم معنا على ولاية رجل وتعديله والإقامة بإمامته وفضله ثمّ فارقتمونا في عداوته والبراءة منه فنحن على إجماعنا وشهادتكم لنا وخلافكم لنا غير قادح في مذهبنا ودعواكم غير مقبولة علينا إذ الاختلاف لا يقابل بالاتفاق وشهادة الخصم لخصمه مقبولة وشهادته عليه مردودة غير مقبولة.

فقال يحيى بن خالد: قد قرب قطعه ولكن جاره شيئاً فقال هشام: ربما انتهى الكلام إلى حدّ يغمض ويدق عن الأفهام، والإنصاف بالواسطة والواسطة إن كان من أصحابي لم يؤمن عليه العصبية لي وإن كان من أصحابك لم أجبه في الحكم عليّ وإن كان مخالفاً لنا جميعاً لم يكن مأموناً عليّ ولا عليك ولكن يكون رجلاً من أصحابي ورجلاً من أصحابك فينظران فيما بيننا قال: نعم فقال هشام: لم يبق معه شيء.

ثم قال: إنّ هؤلاء القوم لم يزالوا معنا على ولاية أمير المؤمنين حتّى كان من أمر الحكمين ما كان فأكفروه بالتحكيم وضلّلوه بذلك، والآن هذا الشيخ قد حكّم رجلين مختلفين في مذهبهما أحدهما يكفّره والآخر يعدّله فإن كان مصيباً في ذلك فأمير المؤمنين أولى بالصواب وإن كان مخطئاً فقد أراحنا من نفسه بشهادته بالكفر عليها والنظر في كفره وإيمانه أولى من النظر في إكفاره عليّاً عليه السلام. فاستحسن الرشيد ذلك وأمر له بجائزة.

وقال الطاقي للضحاك الشاري لمّا خرج من الكوفة محكماً وتسمّى بإمرة المؤمنين: لم تبرأتم من عليّ بن أبي طالب واستحللتم قتاله؟ قال: لأنّه حكم في دين الله قال: وكلّ من حكم في دين الله استحللتم قتله؟ قال: نعم قال: فأخبرني عن الدين الّذي جئت به أُناظرك عليه لأدخل فيه معك إن علت حجّتك حجّتي؟ قال: فمن شهد للمصيب بصوابه لابدّ لنا من عالم يحكم بيننا قال: لقد حكّمت يا هذا في الدين الّذي جئت به أناظرك فيه قال: نعم فأقبل الطاقي على أصحابه فقال: إنّ هذا صاحبكم قد حكّم في دين الله فشأنكم به فضربوا الضحّاك بأسيافهم[1].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٣٢.

٦٣٠ - **قب:** لمّا قيل لأمير المؤمنين عليه السلام في الحكمين: شككت قال عليه السلام أنا أولى بأن لا أشك في ديني أم النبيّ صلى الله عليه وآله وما قال الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(١).

٦٣١ - **شي:** عن يزيد بن رومان قال: دخل نافع بن الأزرق المسجد الحرام والحسين بن عليّ مع عبد الله بن عبّاس في الحجر فجلس إليهما ثمّ قال: يا ابن عبّاس صف لي إلهك الّذي تعبده فأطرق ابن عبّاس طويلاً مستبطئاً بقوله فقال له الحسين إليّ يا ابن الأزرق المتورّط في الضلالة المرتكس في الجهالة أُجيبك عمّا سألت عنه فقال: ما إيّاك سألت فتجيبني فقال له ابن عبّاس: مه سل ابن رسول الله فإنّه من أهل بيت النبوّة ومعه من الحكمة(٢) فقال له: صف لي فقال: أصفه بما وصف به نفسه وأُعرّفه بما عرّف به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب غير ملزق وبعيد غير متقصّ يوحّد ولا يبعّض لا إله إلاّ هو الكبير المتعال.

قال: فبكى ابن الأزرق بكاء شديداً فقال له الحسين عليه السلام ما يبكيك؟ قال: بكيت من حسن وصفك قال يا ابن الأزرق إنّي أُخبرت أنّك تكفّر أبي وأخي وتكفّرني! قال له نافع لئن قلت ذاك لقد كنتم الحكّام ومعالم الإسلام فلمّا بدّلتم استبدلنا بكم فقال له الحسين: يا ابن الأزرق أسألك عن مسألة فأجبني عن قول الله لا إله إلاّ هو: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿كَنْزَهُمَا﴾ من حفظ فيهما؟ قال: أبوهما. قال: فأيّهما أفضل أبوهما أم رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة؟ قال: لا بل رسول الله وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فما حفظنا حتّى حال بيننا وبين الكفر. فنهض [ابن الأزرق] ثمّ نفض ثوبه ثمّ قال: قد نبأنا الله عنكم معشر قريش أنتم قوم خصمون(٣).

٦٣٢ - **شي:** عن إمام بن ربعيّ قال: قام ابن الكوّا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن قول الله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ قال: أولئك أهل الكتاب كفروا بربّهم وابتدعوا في دينهم فحبطت أعمالهم وما أهل النهر منهم ببعيد. وعن أبي الطفيل قال: منهم أهل النّهر وفي رواية أُخرى عن أبي الطفيل: أولئك أهل حروراء وعن عكرمة(٤).

٦٣٣ - **فس:** أبي عن ابن محبوب عن الثماليّ عن أبي الربيع قال: حججت مع أبي جعفر عليه السلام في السنة الّتي حجّ فيها هشام بن عبد الملك وكان معه نافع بن الأزرق مولى عمر ابن الخطّاب فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه النّاس فقال لهشام: يا أمير المؤمنين من هذا الّذي تكفأ عليه الناس؟ قال: هذا نبيّ أهل الكوفة هذا محمّد

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٣٢. (٢) الظاهر: ومعدن الحكمة.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦٣ ح ٦٤ من سورة الكهف.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٧٧ ح ٨٩ من سورة الكهف.

ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيات. فقال نافع: لآتينّه ولأسألنّه عن مسائل لا يجيبني فيها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ قال: فاذهب إليه فاسأله لعلّك تخجله فجاء نافع حتّى اتكأ على النّاس فأشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا محمّد بن عليّ إنّي قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وقد عرفت حلالها وحرامها وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيب فيها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ أو ابن نبيّ فرفع أبو جعفر رأسه فقال: سل عمّا بدا لك قال: أخبرني كم كان بين عيسى ومحمّد من سنة؟ فقال: أُخبرك بقولك أو بقولي؟ قال: أخبرني بالقولين جميعاً. قال: أمّا في قولي فخمسمائة سنة وأمّا في قولك فستّ مائة سنة فقال أخبرني عن قول الله: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[1] من ذا الّذي سأله محمّد وكان بينه وبين عيسى خمسمائة؟ قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ كان من الآيات الّتي أراها الله محمّداً صلى الله عليه وآله حيث أسرى به إلى بيت المقدس أنّه حشر الله الأوّلين والآخرين من النبيّين والمرسلين ثم أمر جبرائيل عليه السلام فأذنّ شفعاً وأقام شفعاً وقال في إقامته حيّ على خير العمل ثم تقدّم محمّد صلى الله عليه وآله فصلّى بالقوم فلمّا انصرف قال الله له: سل يا محمّد من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله [للرّسل] علامَ تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأنّك رسول الله أخذت على ذلك عهودنا ومواثيقنا.

فقال نافع: صدقت يا أبا جعفر فأخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾[2] أي أرض تبدّل؟ فقال أبو جعفر عليه السلام [تبدّل أرضنا] بخبزة بيضاء يأكلون منها حتّى يفرغ الله من حساب الخلائق. فقال نافع: إنّهم عن الأكل لمشغولون. فقال أبو جعفر: أهم حينئذٍ أشغل أم وهم في النّار فقال نافع: بل وهم في النّار قال: فقد قال الله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾[3] ما شغلهم أليم عذاب النّار عن أن دعوا بالطعام فأُطعموا الزقّوم ودعوا بالشراب فسقوا الحميم!

فقال صدقت يا ابن رسول الله وبقيت مسألة واحدة فقال: وما هي قال: أخبرني عن الله متى كان؟ قال: ويلك أخبرني متى لم يكن حتّى أُخبرك متى كان سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ثمّ قال: يا نافع أخبرني عمّا أسألك عنه فقال: هات يا أبا جعفر قال: ما تقول في أصحاب النهروان فإن قلت إنّ أمير المؤمنين قتلهم بحق فقد ارتددت أي رجعت إلى الحقّ وإن قلت: إنّه قتلهم باطلاً فقد كفرت.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٠.

قال: فولّى عنه وهو يقول: أنت والله أعلم النّاس حقّاً حقّاً.

ثم أتى هشام بن عبد الملك فقال له: ما صنعت؟ قال: دعني من كلامك هو والله أعلم النّاس حقّاً حقّاً وهو ابن رسول الله حقّاً حقّاً ويحقّ لأصحابه أن يتّخذوه نبيّاً(١).

٦٣٤ - **ج:** عن الثماليّ عن أبي الربيع مثله(٢).

بيان: قال الفيروزآبادي: كافاه: دافعه قوله عليه السلام: «فقد كفرت» أي لإنكار الخبر المتواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه أمر أمير المؤمنين عليه السلام بقتال الفرق الثلاث وأنّه سماهم مارقين.

٦٣٥ - **ضه، شا، ج:** روي أنّ نافع بن الأزرق جاء إلى محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام فجلس بين يديه يسأله عن مسائل الحلال والحرام فقال له أبو جعفر عليه السلام في عرض كلامه: قل لهذه المارقة بما استحللتم فراق أمير المؤمنين عليه السلام وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقربة إلى الله تعالى بنصرته؟ فسيقولون لك: إنّه حكم في دين الله فقل لهم: قد حكّم الله تعالى في شريعة نبيّه رجلين من خلقه فقال جل اسمه: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ وحكّم رسول الله صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم فيها بما أمضاه الله تعالى أوما علمتم أنّ أمير المؤمنين إنّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه واشترط ردّ ما خالف القرآن من أحكام الرجال وقال حين قالوا له: «حكّمت على نفسك من حكم عليك» فقال: «ما حكّمت مخلوقاً وإنّما حكّمت كتاب الله» فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن واشترط ردّ ما خالفه لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان فقال نافع بن الأزرق هذا والله كلام لم يمرّ بمسمعي قطّ ولا خطر منّي ببال وهو الحقّ إن شاء الله(٣).

٢٦ - باب ما جرى بينه صلوات الله عليه وبين ابن الكوّاء وأضرابه لعنهم الله وحكم قتال الخوارج بعده عليه السلام

٦٣٦ - **ع:** ابن الوليد عن الصفار عن ابن هاشم عن ابن المغيرة عن السكونيّ عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت الحرورية عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: إن خرجوا من جماعة أو على إمام عادل فقاتلوهم وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم فإنّ لهم في ذلك مقالاً(٤).

٦٣٧ - **فس:** كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يصلّي وابن الكوّاء خلفه

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣٦. (٢) الاحتجاج، ص ٣٢٥.

(٣) روضة الواعظين، ص ١٣٥، الارشاد ص ٢٦٥، الاحتجاج ص ٣٢٤.

(٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٩ باب ٣٨٥ ح ٧١.

وأمير المؤمنين عليه السلام يقرأ فقال ابن الكواء: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فسكت أمير المؤمنين عليه السلام حتّى سكت ابن الكوّاء ثمّ عاد في قراءته حتّى فعله ابن الكوّاء ثلاث مرات فلمّا كان في الثالثة قال أمير المؤمنين: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[1].

٦٣٨ - **يج:** [شي «خ ل»]: روي أنّ ابن الكوّاء قال لعليّ عليه السلام أين كنت حيث ذكر الله أبا بكر فقال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ فقال عليه السلام ويلك يا ابن الكوّاء كنت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وقد طرح عليّ ريطته فأقبل عليّ قريش مع كلّ رجل منهم هراوة فيها شوكها فلم يبصروا رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبلوا عليّ يضربوني حتّى تنفّط جسدي وأوثقوني بالحديد وجعلوني في بيت واستوثقوا الباب بقفل وجاءوا بعجوز تحرس الباب فسمعت صوتاً يقول: يا عليّ فسكن الوجع الذي أجده وسمعت صوتاً آخر يقول: يا عليّ فإذا الحديد الّذي عليّ قد تقطّع ثمّ سمعت صوتاً يا عليّ فإذا الباب فتح وخرجت والعجوز لا تعقل[2].

بيان: قال في القاموس: الريطة كلّ ملاءة غير ذات لفقين كلّها نسج واحد وقطعة واحدة أو كلّ ثوب لين رقيق. والهراوة بالكسر: العصا. والنفطة: الجدري والبثرة.

٦٣٩ - **يب:** الحسين بن سعيد عن حمّاد بن عيسى عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ علياً عليه السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوّاء وهو خلفه ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فأنصت عليّ عليه السلام تعظيماً للقرآن حتّى فرغ من الآية ثمّ عاد في قراءته ثمّ أعاد ابن الكوّاء الآية فأنصت عليّ أيضاً ثمّ قرأ فأعاد ابن الكوّاء فأنصت عليّ ثمّ قال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ثم أتمّ السورة ثمّ ركع[3].

٦٤٠ - **نهج:** من كلام له عليه السلام قال للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك: فخفض إليه بصره ثمّ قال عليه السلام له وما يدريك ما عليّ ممّا لي؟ عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك منافق ابن كافر والله لقد أسرك الكفر مرّة والإسلام أُخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وإنّ امرأً دلّ على قومه السّيف وساق إليهم الحتف لحريّ أن يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد.

قال السيّد رحمه الله يريد عليه السلام أنّه أسر في الكفر مرّة وفي الإسلام مرّة[4].

وأما قوله: «دل على قومه السيف» فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٣٧.
(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢١٥ ح ٥٨.
(٣) تهذيب الأحكام، ج ٣ ص ٤٦٥ باب ٣ ح ٣٩.
(٤) نهج البلاغة، ص ٧٦ خ ١٩.

غرّ فيه قومه ومكر بهم حتّى أوقع بهم خالد وكان قومه يسمّونه بعد ذلك عرف النّار وهو اسم للغادر عندهم.

بيان: قال الشرّاح: الكلام الّذي اعترضه الأشعث أنه عليه السلام كان يذكر في خطبته أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه وقال له: «نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا به فما ندري أيّ الأمرين أرشد» فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى وقال: «هذا جزاء من ترك العقدة» وكان مراده عليه السلام هذا جزاؤكم إذ تركتم الرّأي والحزم فظنّ الأشعث أنه عليه السلام أراد هذا جزائي حيث تركت الحزم والرأي.

وقيل: كان مراده عليه السلام هذا جزائي حيث وافقتكم على ما ألزمتموني من التحكيم وكان موافقته عليه السلام لهم خوفاً منهم على أن يقتلوه فجهل الأشعث أو تجاهل أنّ المصلحة قد تترك لأمر أعظم منها فاعترضه.

قوله عليه السلام: «حائك ابن حائك» قيل: كان الأشعث وأبوه ينسجان برود اليَمن.

وقيل إنّه كان من أكابر كندة وأبناء ملوكها وإنّما عبر عنه عليه السلام بذلك لأنّه كان إذا مشى يحرّك منكبيه ويفحج بين رجليه وهذه المشية تعرف بالحياكة وعلى هذا فلعلّ الأقرب أنّه كناية عن نقصان عقله.

وذكر ابن أبي الحديد أنّ أهل اليمن يعيّرون بالحياكة وليس هذا ممّا يخص الأشعث.

وأمّا التعيير بالحياكة فقيل: إنّه لنقصان عقولهم. وقيل: لأنّه مظنّة الخيانة والكذب.

ويمكن أن يكون المراد بالحياكة نسج الكلام فيكون كناية عن كونه كذّاباً. كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه ذكر عنده عليه السلام أنّ الحائك ملعون فقال: إنّما ذاك الّذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله.

قوله عليه السلام: «أسرك» إلى قوله: «فما فداك» أي ما نجّاك من الوقوع فيها مالك ولا حَسَبك. ولم يرد الفداء الحقيقي فإنّ مراداً لمّا قتلت أباه خرج الأشعث طالباً بدمه فأسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير وهذا هو المراد بأسره في الكفر.

وأمّا أسره في الإسلام فإنّه لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ارتدّ بحضرموت ومنع أهلها تسليم الصدقة فبعث أبو بكر إليه زياد بن لبيد ثمّ أردفه بعكرمة بن أبي جهل في جمّ غفير من المسلمين فقاتلهم الأشعث بقبائل كندة قتالاً شديداً فالتجأ بقومه إلى حصنهم وبلغ بهم جهد العطش فبعث إلى زياد يطلب منه الأمان لأهله ولبعض قومه ولم يطلبه لنفسه فلمّا نزل أسره زياد وبعث به مقيداً إلى أبي بكر فأطلقه أبو بكر وزوّجه أخته أمّ فروة.

قوله عليه السلام: «دل على قومه» قال ابن ميثم: إشارة إلى غدره بقومه فإنّ الأشعث لمّا طلب الأمان من زياد طلبه لنفر يسير من وجوه قومه فظنّ الباقون أنّه طلبه لجميعهم فنزلوا على ذلك الظنّ فلمّا دخل زياد الحصن ذكّروه الأمان فقال: إنّ الأشعث لم يطلب الأمان إلاّ لعشرة من قومه فقتل منهم من قتل حتّى وافاه كتاب أبي بكر بالكفّ عنهم وحملهم إليه فحملهم.

وقال ابن أبي الحديد فيما ذكره السيّد لم نعرف في التواريخ هذا ولا شبهه وأين كندة واليمامة، كندة باليمن واليمامة لبني حنيفة ولا أعلم من أين نقله السيّد رضي الله عنه.

٦٤١ - **نهج** وقال عليه السلام لمّا قتل الخوارج فقيل له: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم فقال عليه السلام كلا والله إنّهم نطف في أصلاب الرّجال وقرارات النّساء وكلما نَجَم منهم قرن قطع حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلابين(١).

توضيح: القرار والقرارة بالفتح ما قرّ فيه شيء وسكن. والمراد هنا الأرحام. ونجم كنصر: ظهر وطلع. والقرن كناية عن الرئيس. وهو في الإنسان موضع قرن الحيوان من رأسه، وقطع القرن: استئصال رؤسائهم وقتلهم. واللّصوص بالضمّ جمع لصّ مثلثة. والسلب: الاختلاس.

روي أنّ جماعة من الخوارج لم يحضروا القتال ولم يظفر بهم أمير المؤمنين عليه السلام وأمّا المفلتون من القتل فانهزم اثنان منهم إلى عمان واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى تلّ موزن فظهرت بدعهم في البلاد وصاروا نحواً من عشرين فرقة.

وكبارها ست: الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق وهم أكبر الفرق غلبوا على الأهواز وبعض بلاد فارس وكرمان في أيّام عبد الله بن الزبير.

والنجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي.

والبيهسيّة أصحاب أبي بيهس هيصم بن جابر وكان بالحجاز وقتل في زمن الوليد.

والعجاردة أصحاب عبد الكريم بن عجرد.

والأباضية أصحاب عبد الله بن أباض قتل في أيّام مروان بن محمّد.

والثعالبة أصحاب ثعلبة بن عامر وتفصيل خرافاتهم مذكور في كتب المقالات.

٦٤٢ - **نهج:** وقال عليه السلام في الخوارج: لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه - يعني معاوية وأصحابه -(٢).

بيان: لعلّ المراد: لا تقتلوا الخوارج بعدي ما دام ملك معاوية وأضرابه كما يظهر من التعليل وقد كان يسبّه عليه السلام ويبرأ منه في الجمع والأعياد ولم يكن إنكاره للحقّ عن شبهة كالخوارج ولم يظهر منهم من الفسوق ما ظهر منه ولم يكن مجتهداً في العبادة وحفظ قوانين الشرع مثلهم فكان أولى بالجهاد.

٦٤٣ - **نهج:** روي أنه عليه السلام كان جالساً في أصحابه إذ مرّت به امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السلام إنّ أبصار هذه الفحول طوامح، وإنّ ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فَلْيَلْمس أهله فإنّما هي امرأة كامرأة. فقال رجل من الخوارج: قاتله

(١) نهج البلاغة، ص ١٣٢ خ ٦٠.
(٢) نهج البلاغة، ص ١٣٢ تتمة الخطبة ٦٠.

الله كافراً ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام رويداً إنّما هو سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب(١).

بيان: طمح بصره: امتدّ وعلا ذكره في النهاية وقال: هب التيس أي هاج للسّفاد يقال هبّ يهبّ هبيباً وهباباً.

٦٤٤ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ عن زيد بن وهب قال: قدم على عليّ عليه السلام وفد من أهل البصرة فيهم رجل من رؤساء الخوارج يقال له الجعد بن نعجة وقال له في لباسه فقال: هذا أبعد لي من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم. فقال له اتّق الله فإنّك ميت قال: ميت بل والله قتلاً ضربة على هذه تخضب هذه قضاءاً مقضياً وعهداً معهوداً وقد خاب من افترى(٢).

٢٧ - باب ما ظهر من معجزاته بعد رجوعه صلوات الله عليه من قتال الخوارج

٦٤٥ - **ما:** المفيد عن عليّ بن بلال عن إسماعيل بن عليّ الخزاعيّ عن أبيه عن عيسى بن حميد الطائيّ عن أبيه عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال للناس: إنّها الزوراء فسيروا وجنّبوا عنها فإنّ الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة فلمّا أتى موضعاً من أرضها قال: ما هذه الأرض؟ قيل: أرض «نجرا» فقال: أرض سباخ جنّبوا ويمّنوا فلمّا أتى يُمنة السواد إذا هو براهب في صومعة فقال له: يا راهب أنزل ها هنا؟ فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك. قال: ولم؟ قال: لأنّه لا ينزلها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ بجيشه يقاتل في سبيل الله عزّ وجلّ: هكذا نجد في كتبنا. فقال أمير المؤمنين عليه السلام فأنا وصيّ سيّد الأنبياء وسيّد الأوصياء. فقال له الراهب: فأنت إذن أصلع قريش ووصيّ محمّد صلى الله عليه وآله فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أنا ذلك فنزل الراهب إليه فقال: خذ عليّ شرائع الإسلام إنّي وجدت في الإنجيل نعتك وأنّك تنزل أرض براثا بيت مريم وأرض عيسى عليه السلام فقال أمير المؤمنين عليه السلام قف ولا تخبرنا بشيء ثمّ أتى موضعاً فقال: الكزوا هذا فلكزه برجله عليه السلام فانبجست عين خرّارة فقال: هذه عين مريم الّتي أُنبعت لها ثمّ قال: اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً فكشف فإذا بصخرة بيضاء فقال عليه السلام على هذه وضعت مريم عيسى من عاتقها وصلّت هاهنا فنصب أمير المؤمنين عليه السلام الصخرة وصلّى إليها وأقام هناك أربعة أيّام يتم

---

(١) نهج البلاغة، ص ٧٢٠ قصار الحكم رقم ٤١٥. (٢) كتاب الغارات، ص ١٠٨.

الصلاة وجعل الحرم في خيمة من الموضع على دعوة ثمَّ قال: أرض براثا هذا بيت مريم عليها السلام هذا الموضع المقدس صلّى فيه الأنبياء.

قال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام ولقد وجدنا أنّه صلّى فيه إبراهيم قبل عيسى عليه السلام [(١)].

توضيح: [قال الفيروزآبادي] في القاموس: الزوراء: دجلة وبغداد لأنّ أبوابها الدّاخلة جعلت مزوّرة عن الخارجة والبعيدة من الأراضي. وقال: الصلع محركة: انحسار شعر مقدم الرأس. وقال: براثا قرية من نهر الملك أو محلّة عتيقة بالجانب الغربيّ وجامع براثا معروف. واللّكز: الدفع بالكف استعمل هنا مجازاً في الضرب بالرجل.

وقال في النهاية: فيه: وإذا بعين خرارة أي كثيرة الجريان.

قوله: «على دعوة» أي مقدار ما يسمع دعاء رجل رجل.

٦٤٦ - **يب:** روى جابر بن عبد الله الأنصاريّ أنّه قال: صلّى بنا عليّ عليه السلام ببراثا بعد رجوعه من قتال الشراة ونحن زهاء مائة ألف رجل فنزل نصراني من صومعته فقال: أين عميد هذا الجيش؟ فقلنا: هذا فأقبل إليه فسلّم عليه ثم قال: يا سيّدي أنت نبيّ؟ قال: لا النبيّ سيّدي قد مات. قال: فأنت وصيّ نبيّ قال: نعم ثمَّ قال: اجلس كيف سألت عن هذا؟ قال: إنّما بنيت هذه الصومعة من أجل هذا الموضع وهو براثا وقرأت في الكتب المنزلة أنّه لا يصلي في هذا الموضع بذا الجمع إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ وقد جئت أن أسلم فأسلم وخرج معنا إلى الكوفة. فقال له عليّ عليه السلام فمن صلّى هاهنا؟ قال: صلّى عيسى بن مريم وأمّه فقال له عليه السلام فأُفيدك من صلّى هاهنا؟ قال: نعم قال: الخليل عليه السلام [(٢)].

بيان: قال الجوهريّ: الشراة: الخوارج الواحد شار سمّوا بذلك لقولهم: إنّا شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنّة حين فارقنا الأئمّة الجائرة. وقال: هم زهاء مائة أي قدر مائة. وقال عميد القوم وعمودهم: سيّدهم.

٦٤٧ - **كنز:** محمّد بن العبّاس عن أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن عبد الله بن يحيى عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي المقدام عن جُوَيْرِيَّة بن مسهر قال: أقبلنا مع أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعد قتل الخوارج حتّى إذا صرنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر فنزل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل النّاس فقال: أيّها النّاس إنّ هذه أرض ملعونة وقد عذّبت من الدهر ثلاث مرات وهي إحدى المؤتفكات وهي أوّل أرض عبد فيها وثن وإنّه لايحلّ لنبيّ ولا وصيّ نبيّ أن يصلّي بها فأمر النّاس فمالوا إلى جنبي الطريق يصلّون وركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فمضى عليها.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٩٩ مجلس ٧ ح ٣٤٠.

(٢) تهذيب الأحكام، ج ٣ ص ٥٨١ باب ٢٥ ح ٦٧.

قال جويرية: فقلت والله لأتبعنّ أمير المؤمنين ولأقلدنّه صلاتي اليوم قال: فمضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سوراء حتّى غابت الشمس قال: فسببته أو هممت أن أسبّه قال فالتفت وقال: جويرية؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال: فنزل ناحية فتوضأ ثمَّ قام فنطق بكلام لا أحسبه إلاّ بالعبرانية ثمَّ نادى بالصلاة قال: فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من جبلين لها صرير فصلّى العصر وصلّيت معه فلمّا فرغنا من صلاتنا عاد اللّيل كما كان فالتفت إليّ فقال: يا جويرية إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ وإني سألت الله سبحانه باسمه العظيم فرد عليّ الشمس(١).

أقول: سيأتي تلك الأخبار بأسانيد جمة في أبواب معجزاته.

٢٨ - باب سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه

٦٤٨ - **ب:** أبو البختريّ عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليه السلام عن مروان بن الحكم قال: لمّا هزمنا عليّ بالبصرة ردّ على النّاس أموالهم من أقام بيّنة أعطاه ومن لم يقم بيّنة على ذلك حلّفه فقال له قائلون: يا عليّ اقسم الفيء بيننا والسبي قال: فلمّا كثروا عليه قال: أيّكم يأخذ أمّ المؤمنين في سهمه فسكتوا(٢).

٦٤٩ - **ع:** أبي عن سعد عن الحميريّ عن مسعدة بن زياد عن جعفر عن أبيه عليهما السلام مثله(٣).

٦٥٠ - **ع:** أبي عن سعد عن النهديّ عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّما أشار عليّ عليه السلام بالكف عن عدوّه من أجل شيعتنا لأنّه كان يعلم أنّه سيظهر عليهم بعده فأحب أن يقتدي به من جاء بعده فيسير فيهم بسيرته ويقتدي بالكفّ بعده(٤).

٦٥١ - **ع:** عليّ بن حاتم عن محمّد بن جعفر الرازيّ عن ابن أبي الخطّاب عن ابن بزيع عن يونس عن بكار بن أبي بكر الحضرميّ قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لسيرة عليّ بن أبي طالب عليه السلام في أهل البصرة كانت خيراً لشيعته ممّا طلعت عليه الشمس إنّه علم أنّ للقوم دولة فلو سباهم سبيت شيعته قال: قلت: فأخبرني عن القائم عليه السلام يسير بسيرته؟ قال: لا إنّ علياً سار فيهم بالمنّ لما علم من دولتهم وإنّ القائم يسير فيهم بخلاف تلك السّيرة لأنّه لا دولة لهم(٥).

٦٥٢ - **ع:** أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن معروف عن حمّاد عن حريز عن زرارة عن

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦٩٥ في تأويل الآية ٥٢ من سورة الحاقة.
(٢) قرب الإسناد، ص ١٣٢ ح ٤٦١. (٣) علل الشرائع، ج ٢ باب ٣٨٥ ح ٦٩.
(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٧٦ باب ١٢٢ ح ١.
(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٨٠ باب ١٢٢ ح ٩.

أبي جعفر عليه السلام قال: لولا أنّ علياً عليه السلام سار في أهل حربه بالكفّ عن السّبي والغنيمة للقيت شيعته من النّاس بلاءً عظيماً ثمّ قال: والله لسيرته كانت خيراً لكم ممّا طلعت عليه الشمس[١].

٦٥٣ - **ع:** ابن الوليد عن الصّفار عن ابن عيسى عن عليّ بن الحكم عن الربيع بن محمد عن عبد الله بن سليمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّ الناس يروون أنّ علياً عليه السلام قتل أهل البصرة وترك أموالهم فقال: إنّ دار الشرك يحلّ ما فيها ودار الإسلام لا يحل ما فيها فقال: إنّ علياً عليه السلام إنّما منّ عليهم كما منّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكّة وإنّما ترك عليّ عليه السلام أموالهم لأنّه كان يعلم أنّه سيكون له شيعة وأن دولة الباطل ستظهر عليهم فأراد أن يقتدى به في شيعته وقد رأيتم آثار ذلك هوذا يسار في النّاس بسيرة عليّ عليه السلام ولو قتل عليّ عليه السلام أهل البصرة جميعاً وأخذ أموالهم لكان ذلك له حلالاً لكنّه منّ عليهم ليمنّ على شيعته من بعده.

وقد روي أنّ النّاس اجتمعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة فقالوا: يا أمير المؤمنين اقسم بيننا غنائمهم قال: أيّكم يأخذ أُمّ المؤمنين في سهمه[٢].

٦٥٤ - **ع، ما:** أبي عن سعد عن ابن عيسى عن الحسن بن عليّ بن فضال عن ثعلبة بن ميمون عن الحسن بن هارون قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فسأله المعلى بن خنيس أيسير القائم بخلاف سيرة أمير المؤمنين؟ فقال: نعم وذلك أنّ علياً عليه السلام سار فيهم بالمنّ والكفّ لأنّه علم أنّ شيعته سيظهر عليهم عدوّهم من بعده وإنّ القائم عليه السلام إذا قام سار فيهم بالبسط والسبي وذلك أنّه يعلم أنّ شيعته لن يظفر عليهم من بعده أبداً[٣].

٦٥٥ - **ف:** سأل يحيى بن أكثم عن علّة اختلاف سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في أهل صفّين وفي أهل الجمل، فكتب أبو الحسن الثالث عليه السلام: وأمّا قولك: إنّ علياً عليه السلام قتل أهل صفّين مقبلين ومدبرين وأجاز على جريحهم وأنّه يوم الجمل لم يتبع مولّياً ولم يُجز على جريح ومن ألقى سلاحه آمنه ومن دخل داره آمنه فإن أهل الجمل قتل إمامهم ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها وإنّما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين رضوا بالكف عنهم فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم والكفّ عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه أعواناً وأهل صفّين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام يجمع لهم السّلاح: الدروع والرماح والسيوف ويسني لهم العطاء ويهيّئ لهم الأنزال يعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم ويردّهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم فلم يساو

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٨٠ باب ١٢٢ ح ١٠.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٨٥ باب ١٢٣ ح ١-٢.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٤٨ باب ١٥٨ ح ١.

بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتال أهل التوحيد لكنّه شرح ذلك لهم فمن رغب عرض على السّيف أن يتوب من ذلك[1].

بيان: الأنزال: جمع النزل وهو ما يهيّأ للنزيل والحاسر: الّذي لا مغفر عليه ولا درع.

٦٥٦ - **قب:** في ليلة الهرير لم تكن صلواتهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء عند وقت كلّ صلاة إلاّ التكبير والتهليل والتّسبيح والتّحميد والدّعاء فكانت تلك صلاتهم لم يأمرهم بإعادتها. وكان عليه السلام لا يتبع مولّيهم ولا يجيز على جريحهم ولم يسب ذراريهم وكان لا يمنع من مناكحتهم وموارثتهم.

[قال] أبو علي الجبّائيّ في كتاب الحكمين: الّذي روي أنه عليه السلام سبا قوماً من الخوارج أنّهم كانوا قد ارتدّوا وتنصّروا.

وكان عليان المجنون مقيماً بالكوفة وكان قد ألف دكّان طحّان فإذا اجتمع الصبيان عليه وآذوه يقول: قد حمي الوطيس وطاب اللقاء وأنا على بصيرة من أمري ثمَّ يثب ويحمحم وينشد:

أريـنـي سـلاحـي لا أبـاً لـك إنّـنـي ... أرى الـحـرب لا تـزداد إلاّ تـمـاديـا

ثمَّ يتناول قصبة ليركبها فإذا تناولها يقول:

أشـدّ عـلـى الـكـتـيـبـة لا أبـالـي ... أحـتـفـي كـان فـيـهـا أو سـواهـا

قال فينهزم الصبيان بين يديه فإذا لحق بعضهم يرمي الصبي بنفسه إلى الأرض فيقف عليه ويقول: عورة مسلم وحمى مؤمن ولولا ذلك لتلفت نفس عمرو بن العاص يوم صفّين ثمَّ يقول: لأسيرن فيكم سيرة أمير المؤمنين لا أتبع مولّياً ولا أُجيز على جريح ثمَّ يعود إلى مكانه ويقول:

أنـا الـرّجُـلُ الـضَـرْبُ الّـذي تـعـرفـونـه ... خـشـاش كـرأس الـحـيّـة الـمُـتـوقـد[2]

إيضاح: قال في النهاية: في حديث حُنين «الآن حمي الوطيس» الوطيس شبه التنور. وقيل هو الضراب في الحرب. وقيل: هو الوطء الّذي يطس النّاس أي يدقّهم.

وقال الأصمعيّ: هي حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها.

ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبيّ صلى الله عليه وآله وهو من فصيح الكلام عبّر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق انتهى.

والحمحمة: صوت الفرس. والحتف: الموت. والحمى: ما يمنع منه أي حرمة المؤمن وقال الجوهريّ: الضرب: الرّجل الخفيف اللحم قال طرفة: «أنا الرجل..» البيت. وقال: قال أبو عمرو: رجل خشاش بالفتح وهو الماضي من الرّجال ثمَّ ذكر البيت أيضاً.

---

(١) تحف العقول، ص ٣٥٥.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٢٠.

٦٥٧ - **كا:** عليّ عن أبيه عن عمرو بن عثمان عن محمّد بن عذافر عن عقبة بن بشير عن عبد الله بن شريك عن أبيه قال: لمّا هزم النّاس يوم الجمل قال أمير المؤمنين عليه السلام لا تتبعوا مولياً ولا تجهزوا على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن.

فلما كان يوم صفّين قتل المقبل والمدبر وأجاز على الجريح.

فقال أبان بن تغلب لعبد الله بن شريك: هذه سيرتان مختلفتان فقال: إنّ أهل الجمل قتل طلحة والزبير وإنّ معاوية كان قائماً بعينه وكان قائدهم[1].

٦٥٨ - **كا:** العدّة عن سهل عن جعفر بن محمّد الأشعريّ عن ابن القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دعا رجل بعض بني هاشم إلى البراز فأبى أن يبارزه فقال له أمير المؤمنين: ما منعك أن تبارزه؟ قال: كان فارس العرب وخشيت أن يغلبني فقال له أمير المؤمنين: فإنّه بغى عليك ولو بارزته لغلبته ولو بغى جبل على جبل لَهُدّ الباغي.

وقال أبو عبد الله عليه السلام إنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام دعا رجلاً إلى المبارزة فعلم به أمير المؤمنين عليه السلام فقال لئن عدت إلى مثل هذا لأعاقبنّك ولئن دعاك أحد إلى مثلها فلم تجبه لأعاقبنّك أما علمت أنّه بغي[2].

بيان: الهدّ: الهدم الشديد والكسر ولعلّه كان لتعليم الغير مع أنّه مكروه بدون إذن الإمام كما ذكره الأصحاب وليس بمحرّم.

٦٥٩ - **كا:** عليّ عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي حمزة عن عقيل الخزاعي أنّ أمير المؤمنين كان إذا حضر الحرب يوصي المسلمين بكلمات فيقول: تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقرّبوا بها فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً وقد علم ذلك الكفّار حين سُئلوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ وقد عرف حقّها من طرقها وأُكرم بها من المؤمنين الّذين لا يشغلهم عنها زين متاع ولا قرة عين من مال ولا ولد يقول الله عزّ وجلّ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾[3].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله منصباً لنفسه بعد البشرى له بالجنّة من ربّه فقال عزّ وجلّ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[4] وكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه.

ثم إنّ الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام على أهل الإسلام ومن لم يعطها طيّب النفس بها يرجو بها من الثواب ما هو أفضل منها فإنّه جاهل بالسنّة مغبون الأجر ضالّ العمر طويل الندم بترك أمر الله عزّ وجلّ والرّغبة عمّا عليه صالحوا عبادالله يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ من الأمانة فقد خسر من ليس من أهلها وضلّ عمله.

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٨ باب ١٠ ح ٥. (٢) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٩ باب ١٢ ح ٢.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٧. (٤) سورة طه، الآية: ١٣٢.

عرضت على السّموات المبنيّة والأرض المهاد والجبال المنصوبة فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم لو امتنعن من طول أو عرض أو عظم أو قوّة أو عزّة امتنعن ولكن أشفقن من العقوبة.

ثم إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام وهو قوام الدّين والأجر فيه عظيم مع العزّة والمنعة وهو الكرّة فيه الحسنات والبشرى بالجنّة بعد الشهادة وبالرزق غداً عند الرّب والكرامة يقول الله عزّوجلّ : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

ثم إنّ الرعب والخوف من جهاد المستحقّ للجهاد والمتوازرين على الضّلال ضلال في الدين وسلب للدّنيا مع الذلّ والصغار وفيه استيجاب النّار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال يقول الله عزّوجلّ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ فحافظوا على أمر الله عزّوجلّ في هذه المواطن الّتي الصّبر عليها كرم وسعادة ونجاة في الدنيا والآخرة من فظيع الهول والمخافة فإن الله عزّوجلّ لا يعبأ بما العباد مقترفون ليلهم ونهارهم لطف به علماً وكلّ ذلك: ﴿فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ فاصبروا وصابروا واسئلوا النصر ووطّنوا أنفسكم على القتال واتّقوا الله عزّوجلّ فإنّ الله مع الّذين اتقوا والّذين هم محسنون.

وفي حديث يزيد بن إسحاق عن أبي صادق: قال: سمعت عليّاً صلوات الله عليه يحرّض النّاس في ثلاثة مواطن الجمل وصفين ويوم النهر يقول:

عباد الله اتّقوا الله وغضّوا الأبصار واخفضوا الأصوات ووطّنوا أنفسكم على المنازلة والمجادلة والمبارزة والمناضلة والمنابذة والمعانقة والمكادمة واثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[1].

٦٦٠ - **كتاب صفّين:** لنصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن إسماعيل بن يزيد عن أبي صادق [عن] الحضرميّ مثله وزاد في آخره: اللّهمّ ألهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر وأعظم لهم الأجر[2].

٦٦١ - **كا:** وفي حديث عبد الرحمان بن جندب عن أبيه إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كلّ موطن لقينا فيه عدوّنا فيقول: لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤكم فإنّكم بحمد الله على حجّة وترككم إيّاهم حتّى يبدؤكم حجّة أخرى لكم فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا لهم مدبراً ولا تجيزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيل[3].

بيان: روى ابن أبي الحديد الخبر الثاني من كتاب نصر بن مزاحم عن عمرو بن سعد عن إسماعيل بن يزيد عن أبيه عن أبي صادق. وروى السيّد الرضيّ رحمه الله الحديث الأوّل في

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦١٠ باب ١٥ ح ١. (٢) وقعة صفين، ص ٢٠٤.
(٣) الكافي، ج ٥ ص ٦١١ باب ١٥ ح ٣.

النهج هكذا - بعد ما ساق أوّل الخطبة إلى قوله: «كتاباً موقوتاً» -: ألا تسمعون إلى جواب أهل النّار حين سُئلوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ وإنّها لتحتّ الذنوب حتّ الورق وتطلقها إطلاق الربق.

وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحَمّة تكون على باب الرّجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن وقد عرف حقها. [وساقه] إلى قوله: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنّة لقول الله سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه.

ثم إنّ الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام فمن أعطاها [وساق الكلام] إلى قوله عليه السلام: ولكن أشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو أضعف منهنّ وهو الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً. إن الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم لطف به خبراً وأحاط به علماً، أعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده، وضمائركم عيونه وخلواتكم عيانه انتهى.

قوله عليه السلام: «من طرقها» لعلّه من الطروق بمعنى الإتيان باللّيل أي واظب عليها في اللّيالي وقيل أي جعلها دأبه وصنعته من قولهم هذا طرقة رجل أي صنعته.

ولا يخفى ما فيه ولا يبعد أن يكون تصحيف طُوّق بها على المجهول أي أُلزمها كالطوق بقرينة: «أُكرم بها» على بناء المجهول أيضاً.

وفي النهج: «وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الّذين لايشغلهم عنها زينة متاع ولاقرة عين من ولد ولا مال».

وقال الجوهريّ: نصب الرّجل - بالكسر - نصباً: تعب وأنصبه غيره قوله عليه السلام: «على أهل الإسلام» الظاهر أنّه سقط هنا شيء.

وفي النهج: قرباناً لأهل الإسلام فمن أعطاها طيّب النفس بها فإنّها تجعل له كفارة ومن النّار حجازاً ووقاية فلا يُتْبِعنها أحد نفسه ولا يكثرنّ عليها لَهَفَهُ فإن من أعطاها غير طيّب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها فهو جاهل بالسنّة مغبون الأجر ضالّ العمل طويل الندم. ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها إنّها عرضت على السموات المبنيّة والأرضين المدحوّة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا أطول ولا أعرض ولا أعلا ولا أعظم منها ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوّة أو عز لامتنعن ولكن أشفقن من العقوبة. إلى آخر ما مر.

قوله عليه السلام: «من الأمانة» لعلّه بيان لسبيل المؤمنين أي المراد بسبيل المؤمنين ولاية أهل البيت عليهم السلام وهي الأمانة المعروضة والأصوب [هو] ما في النّهج.

وقال ابن ميثم: ذكر كون السموات مبنيّة وغيرها تنبيه للإنسان على جرأته على المعاصي وتضييع هذه الأمانة إذ أهّل لها وحملها وتعجّب منه في ذلك.

وقوله: «ولو امتنع شيء» الخ إشارة إلى أنّ امتناعهنّ لم يكن لعزّة وعظمة أجساد ولا استكبار عن الطاعة وأنّه لو كان كذلك لكانت أولى بالمخالفة لأعظميّة أجرامها بل إنّما ذلك عن ضعف وإشفاق من خشية الله وعقلهنّ ما جهل الإنسان.

قيل: إنّ الله تعالى عند خطابها خلق فيها فهماً وعقلاً وقيل: إنّ إطلاق العقل مجاز في سببه وهو الامتناع عن قبول هذه الأمانة.

قوله عليه السلام: «وهو الكرّة» أي الحملة على العدوّ وهي في نفسها أمر مرغوب فيه أو ليس هو إلاّ مرّة واحدة وحملة فيها سعادة الأبد.

ويمكن أن يقرأ «الكره» بالهاء أي هو مكروه للطباع فيكون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ ولعلّه أصوب.

وقال الجوهريّ: زحف إليه زحفاً: مشى. والزحف: الجيش يزحفون إلى العدو.

قوله عليه السلام: «الطف به» الضمير راجع إلى الموصول في قوله: «ما العباد مقترفون» وكدم الصيد: طرده. والفشل: الجبن.

٦٦٢ - **نهج:** في حديثه عليه السلام أنّه شيع جيشاً يغزيه فقال: «أعذبوا عن النساء ما استطعتم».

[قال السيّد الرضي:] ومعناه اصدفوا عن ذكر النّساء وشغل القلب بهن وامتنعوا من المقاربة لهنّ لأنّ ذلك يفتّ في عضد الحمية ويقدح في معاقد العزيمة ويكسر عن العدوّ ويلفت عن الإبعاد في الغزو، وكلّ من امتنع عن شيء فقد أعذب عنه، والعاذب والعذوب: الممتنع عن الأكل والشرب[(١)].

٦٦٣ - **كا:** أحمد بن محمّد الكوفيّ عن ابن جمهور عن أبيه عن محمّد بن سنان عن مفضّل ابن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام.

وعن [عبد الله بن] عبد الرحمان الأصمّ عن حريز عن محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: إذا لقيتم عدوّكم في الحرب فأقلّوا الكلام واذكروا الله عزّ وجلّ ولا تولّوهم الأدبار فتسخطوا الله تبارك وتعالى وتستوجبوا غضبه وإذا رأيتم من إخوانكم المجروح ومن قد نكل به أو من قد طمع عدوكم فيه فقوه بأنفسكم[(٢)].

٦٦٤ - **كا:** العدّة عن سهل عن جعفر بن محمّد عن ابن القدّاح عن أبيه الميمون عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد القتال قال هذه الدّعوات: اللهم إنّك أعلمت سبيلاً من سبلك جعلت فيه رضاك وندبت إليه أولياءك وجعلته أشرف سبلك عندك

(١) نهج البلاغة، ص ٦٨٤ فضل غريب الحكم رقم ٧.

(٢) الكافي، ج ٥ ص ٦١٢ باب ١٥ ح ٥.

ثواباً وأكرمها لديك مآباً وأحبها إليك مسلكاً ثمّ اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليك حقاً فاجعلني ممّن اشترى فيه منك نفسه ثمّ وفى لك ببيعه الّذي بايعك عليه غير ناكث ولا ناقض عهد ولا مبدّل تبديلاً بل استيجاباً لمحبّتك وتقرّباً به إليك، فاجعله خاتمة عملي وصيّر فيه فناء عمري وارزقني فيه لك وبه مشهداً توجب لي به منك الرضا وتحُط به عنّي الخطايا وتجعلني في الأحياء المرزوقين بأيدي العداة والعصاة تحت لواء الحقّ وراية الهدى ماضياً على نصرتهم قدماً غير مولّ دبراً ولا محدث شكاً. اللّهمّ وأعوذ بك عند ذلك من الجبن عند موارد الأهوال ومن الضعف عند مساورة الأبطال، ومن الذنب المحبط للأعمال فأُحجم من شكّ أو أمضي بغير يقين فيكون سَعْيي في تباب وعملي غير مقبول(١).

بيان: قوله عليه السلام: «وبه» عطف على فيه ولعلّه زيد من النساخ.

وفي كتاب الإقبال «وارزقني فيه لك وبك مشهداً» وهو أصوب.

وفي الصحاح: قدماً بضم الدال: لم يعرّج ولم ينثن. وقال: ساوره أي واثبه. وقال حجمته فأحجم أي كففته فكفّ. وقال: التّباب: الخسران والهلاك.

٦٦٥ - **كا:** عليّ عن أبيه عن أحمد البزنطيّ [عن معاوية بن عمار] عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان شعارنا يوم صفّين يا نصر الله(٢).

٦٦٦ - **ع:** ابن الوليد عن الصفار عن معاوية بن حكيم عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن يحيى بن أبي العلا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عليّ لا يقاتل حتّى تزول الشمس ويقول: تفتح أبواب السّماء وتقبل التوبة وينزل النّصر ويقول: هو أقرب إلى اللّيل وأجدر أن يقلّ القتل ويرجع الطالب ويفلت المهزوم(٣).

٦٦٧ - **كا:** عليّ عن أبيه عن ابن أبي عمير مثله. «ج ٥ ص ٦١٥ باب ٢١ ح ٥».

٦٦٨ - **نهج:** وقال لابنه الحسن عليه السلام: لا تدعونّ إلى مبارزة وإن دعيت إليها فأجب فإنّ الداعي باغ والباغي مصروع(٤).

بيان: مصروع أي مستحق لأن يصرع ويهلك وبعيد من نصر الله سبحانه.

٦٦٩ - **نوادر الراونديّ:** بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال الحسن بن عليّ عليه السلام كان عليّ عليه السلام يباشر القتال بنفسه ولا يأخذ السلب(٥).

٦٧٠ - **كا:** عليّ عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال: قال أمير

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦١٥ باب ٢٠ ح ١. (٢) الكافي، ج ٥ ص ٦١٥ باب ٢١ ذيل ح ١.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٩ باب ٣٨٥ ح ٧٠.

(٤) نهج البلاغة، ص ٦٧٦ قصار الحكم رقم ٢٣٥. (٥) نوادر الراوندي، ص ١٣٨ ح ١٨٤.

المؤمنين عليه السلام لولا أنّ المكر والخديعة في النّار لكنت أمكر الناس(١).

٦٧١ - **كا**: عليّ عن أبيه عن عليّ بن أسباط عن عمّه عن يعقوب بن سالم عن أبي الحسن العبديّ عن سعد بن طريف عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة: يا أيّها النّاس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى النّاس ألا إنّ لكلّ غدرة فجرة ولكلّ فجرة كفرة ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار(٢).

٦٧٢ - **نهج**: ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في وقت الحرب: وأي امرئ منكم أحسّ من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلاً فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته الّتي فضّل بها عليه كما يذبّ عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله.

إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، إنّ أكرم الموت القتل والّذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش.

ومنه: وكأني أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب لا تأخذون حقّاً ولا تمنعون ضيماً قد خُلّيتم والطّريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوّم.

ومنه: فقدّموا الدارع وأخروا الحاسر وعضّوا على الأضراس فإنّه أنبى للسّيوف عن الهام والتووا في أطراف الرماح فإنّه أمور للأسنّة وغضّوا الأبصار فإنّه أربط للجأش وأسكن للقلوب وأميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها إلاّ بأيدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم فإن الصّابرين على نزول الحقائق هم الّذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها ووراءها وأمامها لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها.

أجزأ امرؤ قرنه وآسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه.

وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة أنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم إنّ في الفرار موجدة الله والذلّ اللازم والعار الباقي وإنّ الفارّ لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه.

من رائح إلى الله كالظمآن يرد الماء؟ الجنّة تحت أطراف العوالي اليوم تبلى الأخبار والله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم. اللّهمّ فإن ردّوا الحقّ فافضض جماعتهم وشتّت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم إنّهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر السواعد والأقدام وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الكتائب وحتى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحر أرضهم وبأعنان مساربهم ومسارحهم.

قال الشريف [الرضيّ]: الدعق: الدّق أي تدق الخيول بحوافرها أرضهم [و] «نواحر

---

(١) - (٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٠٥ باب المكر والغدر ح ١ و٦.

أرضهم» متقابلاتها يقال: منازل بني فلان تتناحر أي تتقابل(١).

تبيين: قوله عليه السلام : «أحسّ من نفسه» أي علم ووجد و«رباطة الجأش» شدّة القلب. والذبّ: الدفع. والنجدة: الشجاعة «كما يذب عن نفسه» أي بنهاية الاهتمام والجد «لجعله مثله» أي مثل أخيه في الجبن أو أخاه مثله في الشجاعة. والحثيث: السريع. والمقيم للموت: الراضي به كما أنّ الهارب عنه الساخط له «أهون من ميتة» إمّا مطلقاً أو عنده عليه السلام لما يعلم ما فيه من الدرجات.

وقال في النهاية: كشيش الأفعى: صوت جلدها إذا تحرّكت وقد كشت تكش وليس صوت فمها لأنّ ذلك فحيحها ومنه حديث عليّ عليه السلام : «كأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب».

وقال ابن أبي الحديد: أي كأنّكم لشدّة خوفكم واجتماعكم من الجبن كالضباب المجتمعة الّتي تحكّ بعضها بعضاً قال الراجز:

كشيش أفعى أجمعت لعضّ   وهي تحكّ بعضها ببعض

«واقتحم عقبة أو وهدة»: رمى بنفسه فيها. والتلوّم: الانتظار والتوقف.

قوله: «أجزأ امرؤ» قال ابن أبي الحديد: من النّاس من يجعل هذا أو نحوه أمراً بلفظ الماضي كالمستقبل في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ .

ومنهم من قال: معنى ذلك هلا أجزأ فيكون تحضيضاً محذوف الصيغة للعلم بها «وأجزأ» أي كفى. وقرنك: مقارنك في القتال ونحوه «وآسى أخاه بنفسه» بالهمزة أي جعله أسوة لنفسه ويجوز واسيت زيداً بالواو وهي لغة ضعيفة. والموجدة: الغضب والسخط قوله عليه السلام : «والذل اللازم» قيل: يروى «اللاذم» بالذال المعجمة بمعناه. و«الرائح» المسافر وقت الرواح أو مطلقاً كما قاله الأزهري ويناسب الأوّل ما مرّ من أنّ قتاله عليه السلام كان غالباً بعد الزوال.

قوله عليه السلام : «تحت أطراف العوالي» يحتمل أن يكون المراد بالعوالي الرّماح قال [ابن الأثير:] في النّهاية: العالية: ما يلي السّنان من الرمح والجمع: العوالي. أو [المراد منه] السّيوف كما يظهر من ابن أبي الحديد فيحتمل أن يكون من علا يعلو إذا ارتفع أي السّيوف الّتي تعلو فوق الرّؤوس. أو من علوته بالسيف إذا ضربته به ويؤيّده قول النبيّ صلى الله عليه وآله : الجنّة تحت ظلال السيوف.

قوله عليه السلام : «تبلى الأخبار» بالباء الموحّدة أي تختبر الأفعال والأسرار كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ . وفي بعض النسخ بالياء المثنّاة التحتانية أي تمتاز الأخيار من الأشرار.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٦٧ خ ١٢٢.

قوله عليه السلام : «إلى لقائهم» أي الأعداء لقتالهم. والفضّ: التفريق. وأبسلت فلاناً: أسلمته إلى الهلكة.

قوله عليه السلام : «طعن دراك» أي متابع يتلو بعضه بعضاً. «ويخرج منه النسيم» أي لسعته وروي «النّسم» أي طعن يخرق الجوف بحيث يتنفّس المطعون من الطعنة وروي «القشم» بالقاف والشين المعجمة وهو اللحم والشحم. «الفلق»: الشق. وطاح الشيء: سقط أو هلك أو تاه في الأرض وأطاحه غيره. وأندره: أسقطه.

قال ابن أبي الحديد: يمكن أن يفسّر «النواحر» بآمر آخر وهو أن يراد به أقاصي مرضهم من قولهم لآخر ليلة من الشهر: ناحرة. وقد مرّ تفسير بعض أجزاء الخطبة في مواضعها.

٦٧٤ - **نهج**: من وصيّته عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدوّ بصفّين: لا تقاتلوهم حتّى يبدأوكم فإنكم بحمدالله على حجّة وترككم إيّاهم حتّى يبدأوكم حجّة أخرى لكم عليهم فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً ولا تجهزوا على جريح.

ولا تهيّجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فإنّهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول إن كنا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وإنّهن لمشركات وإن كان الرّجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعيّر بها وعقبه من بعده[1].

إيضاح: قال ابن ميثم رحمه الله : روي أنه عليه السلام كان يوصي أصحابه في كلّ موطن يلقون العدوّ فيه بهذه الوصيّة وزاد [في روايته عن نصر بن مزاحم] بعد قوله: «ولا تجهزوا على جريح [قوله:] «ولا تكشفوا لهم عورة ولا تمثّلوا بقتيل» فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلاّ بإذن ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ولا تهيجوا النساء» إلى آخر ما مر.

قوله عليه السلام : «حجة أخرى» قال ابن ميثم: [وبيان هذه] من وجهين: أحدهما أنّه دخول في حرب الله وحرب رسوله صلى الله عليه وآله لقوله صلى الله عليه وآله : «يا عليّ حربك حربي» وتحقّق سعيهم في الأرض بقتلهم النفس الّتي حرّم الله فتحقق دخولهم في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾[2] الآية.

وثانيها دخولهم في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾.

قوله عليه السلام : «ولا تصيبوا معوراً» قال ابن ميثم: أعور الصيد أمكن من نفسه. وأعور الفارس: ظهر فيه موضع خلل للضرب ثمّ قال: أي لا تصيبوا الّذي أمكنتكم الفرصة في قتله بعد انكسار العدو كالمعور من الصّيد.

وقال ابن أبي الحديد: هو الّذي يعتصم منك في الحرب بإظهار عورته لتكفّ عنه ويجوز

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٠٣ خ ٢٥٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

أن يكون المعور هنا المريب الّذي يظن أنّه من القوم وأنّه حضر للحرب وليس منهم لعلّه حضر لأمر آخر.

وقال في النهاية: كلّ عيب وخلل في شيء فهو عورة. ومنه حديث عليّ عليه السلام: «ولا تصيبوا معوراً» أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب «وإن» في قوله عليه السلام: «إن كنا» مخففة من المثقلة وكذا في قوله: «وإن كان» والواو في قوله «وإنّهن» للحال. والفهر بالكسر: الحجر ملء الكفّ. وقيل مطلقاً. والهراوة بالكسر: العصا. والتناول بهما كناية عن الضّرب بهما وقوله عليه السلام: «وعقبه» عطف على الضمير المستكن المرفوع في [قوله:] فيعيّر ولم يؤكّد للفصل بقوله: «بها» كقوله تعالى: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾.

٦٧٥ - **نهج:** وكان يقول عليه السلام لأصحابه عند الحرب: لاتشتدنّ عليكم فرّة بعدها كرّة ولا جولة بعدها حملة وأعطوا السيوف حقوقها ووطّئوا للجنوب مصارعها، واذمروا أنفسكم على الطعن الدّعسيّ والضرب الطّلحفي وأميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل. والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعواناً أظهروه(1).

بيان: «لاتشتدن عليكم» أي لا تستصعبوا ولا يشقّ عليكم فرار بعده رجوع إلى الحرب. والجولة: الدوران في الحرب والجائل الزائل عن مكانه، وهذا حضّ لهم على أن يكرّوا ويعودوا إلى الحرب إن وقعت عليهم كرّة أو المعنى إذا رأيتم المصلحة في الفرار لجذب العدوّ إلى حيث تتمكنوا منه فلا تشتدّ عليكم ولا تعدّوه عاراً.

[قوله عليه السلام:] «ووطئوا للجنوب مصارعها» وفي بعض النسخ: [وَوطّنوا] بالنون أي اجعلوا مصارع الجنوب ومساقطها وطناً لها أو وطيئاً لها أي استعدّوا للسقوط على الأرض والقتل [والكلام] كناية عن العزم على الحرب وعدم الاحتراز عن مفاسدها. وقال الجوهريّ: ذمرته ذمراً: حثثته.

وقال ابن أبي الحديد: الطّعن الدعسي: الّذي يحشى به أجواف الأعداء. وأصل الدّعس: الحشو يقال: دعست الوعاء أي حشوته.

[قوله عليه السلام:] «وضرب طلحفي» - بكسر الطاء وفتح اللام - أي شديد واللام زائدة والياء للمبالغة «وأميتوا الأصوات» أي لا تكثروا الصياح. والفشل: الفزع والجبن والضعف. [قوله عليه السلام:] «ولكن استسلموا» أي انقادوا خوفاً من السيف.

٦٧٦ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام وصّى به شريح بن هانئ لمّا جعله على مقدمته إلى الشام: اتّق الله في كلّ مساء وصباح وخف على نفسك الدّنيا الغرور ولا تأمنها على حال واعلم أنّك إن لم تردع نفسك عن كثير ممّا تحبّ مخافة مكروهه سمت بك الأهواء إلى كثير

(1) نهج البلاغة، ص ٥٠٤ خ ٢٥٤.

من الضرر فكن لنفسك مانعاً رادعاً ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً[(١)].

بيان: «سمت بك» قال ابن أبي الحديد: أي أفضت بك. وفي النهاية: فلان يسمو إلى المعالي إذا تطاول إليها. والنزوة: الوثبة. والحفيظة: الغضب. وقال الجوهريّ: وقمه أي ردّه. وقال أبو عبيدة: أي قهره.

٦٧٧ - وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج عن نصر بن مزاحم - ووجدته في أصل كتابه أيضاً - عن عمر بن سعد بإسناده عن عبد الله بن جندب عن أبيه أنّ عليّاً عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوّه فيقول:

لا تقاتلوا القوم حتّى يبدأوكم فهي حجّة أُخرى لكم عليهم فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تُمثّلوا بقتيل فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلاّ بإذن ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم. ولا تهيجوا امرأة بأذىً وإن شتمن أعراضكم وتناولن أمراءكم وصلحاءكم فإنّهن ضعاف القوى والأنفس والعقول ولقد كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات وإن كان الرّجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة والحديد فيعير بها عقبه من بعده[(٢)].

٦٧٨ - وقال ابن ميثم رحمه الله روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا اشتدّ القتال ذكر اسم الله حين يركب ثمَّ يقول: الحمد لله على نعمه علينا وفضله العميم سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربّنا لمنقلبون. ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه ويقول: اللّهمَّ إليك نقلت الأقدام وأفضت القلوب ومدّت الأعناق وشخصت الأبصار وأُنضيت الأبدان. اللّهمّ قد صرح مكنون الشنآن، وجاشت مراجل الأضغان. اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين.

ثم يقول سيروا على بركة الله ثمَّ يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله والله أكبر يا الله يا أحد يا صمد يا رب محمد. بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم إيّاك نعبد وإيّاك نستعين اللّهمَّ كف عنّا أيدي الظالمين. وكان هذا شعاره بصفّين[(٣)].

٦٧٩ - **نهج:** [و] كان يقول إذا لقي العدو محارباً: «اللّهمّ إليك أفضت القلوب».

[وساق الدعاء] إلى قوله: «وأنت خير الحاكمين» [و] جعل قوله: «ونقلت الأقدام» بعد قوله: «وشخصت الأبصار»[(٤)].

بيان: [قال] الخليل في العين: أفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه وأصله أنّه صار في فضائه.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٩٩ خ ٢٩٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٢٥٧.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم، ج ٤ ص ٣٣٨.
(٤) نهج البلاغة، ص ٥٠٤ خ ٢٥٣.

وقال ابن أبي الحديد: أفضت القلوب أي دنت وقربت ويجوز أن يكون أفضت أي بسرها فحذف المفعول انتهى.

ويحتمل أن يكون من أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء أي خرجت إلى فضاء رحمتك بسؤالك. وشخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف وأنضيت الأبدان أي أهزلت ومنه النضو وهو البعير المهزول. وصرّح أي انكشف. والشنآن: البغضة. وجاشت القدر أي غلت. والمراجل: القدور. وتشتّت أهوائنا أي تفرّق آرائنا واختلاف آمالنا وقال في النهاية: فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما والفاتح الحاكم.

٢٩ - باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام ووصاياه إلى عمّاله وأمراء أجناده

٦٨٠ - **ف:** وصيّته لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدّمته إلى صفّين: اتّق الله في كلّ ممسى ومصبح وخف على نفسك الغرور ولا تأمنها على حال من البلاء، واعلم أنّك إن لم تزع نفسك عن كثير ممّا تحب مخافة مكروهه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضر حتّى تطعن، فكن لنفسك مانعاً وازعاً عن الظلم والغي والبغي والعدوان.

قد ولّيتك هذا الجند فلا تستذلّنهم ولا تستطل عليهم فإنّ خيركم أتقاكم تعلّم من عالمهم وعلّم جاهلهم واحلم عن سفيههم فإنّك إنّما تدرك الخير بالعلم وكفّ الأذى والجهل.

ثم أردفه عليه السلام بكتاب يوصيه فيه ويحذّره [وهذا نصّه:] «اعلم أنّ مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فإذا أنت خرجت من بلادك ودنوت من عدوّك فلا تسأم من توجيه الطلائع في كلّ ناحية وفي بعض الشعاب والشجر والخمر وفي كلّ جانب حتّى لا يغترّكم عدوّكم ويكون لكم كمين.

ولا تسيّر الكتائب والقبائل من لدن الصباح إلى المساء إلاّ على تعبئة فإن دهمكم أمر أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبئة وإذا نزلتم بعدو نزل بكم فليكن معسكركم في إقبال الشراف أو في سفاح الجبال وأثناء الأنهار كي ما تكون [لكم ردءاً ودونكم مردّاً ولتكن] مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين.

واجعلوا رقباء في صياصي الجبال وبأعلى الشراف وبمناكب الأنهار يرتوون لكم لئلا يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن. وإذا نزلتم فانزلوا جميعاً وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً.

وإذا غشيكم اللّيل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة واجعلوا رماتكم يلون ترستكم كيلا تصاب لكم غرة ولا تلقى لكم غفلة واحرس عسكرك بنفسك وإيّاك أن ترقد إلى أن تصبح إلاّ غراراً أو مضمضة ثمّ ليكن ذلك شأنك ودأبك حتّى تنتهي إلى عدوك.

وعليك بالتؤدة في حربك وإيّاك والعجلة إلاّ أن تمكنك فرصة وإيّاك أن تقاتل إلاّ أن يبدأوك أو يأتيك أمري والسلام عليك ورحمة الله[1].

بيان: [قوله عليه السلام:] حتّى تطعن بضم العين أي تكبر من قولهم: طعن في السن وقد مضى شرحها وإنّما كررنا للاختلاف بين الروايات.

٦٨١ - **يب:** سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن إبراهيم بن عمران الشيبانيّ عن يونس بن إبراهيم عن يحيى بن الأشعث الكنديّ عن مصعب بن يزيد الأنصاريّ قال: استعملني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على أربعة رساتيق المدائن: البهقباذات ونهر شيريا ونهر جوير ونهر الملك وأمرني أن أضع على كلّ جريب زرع غليظ درهماً ونصفاً وعلى كلّ جريب وسط درهماً وعلى كلّ جريب زرع رقيق ثلثي درهم وعلى كلّ جريب كرم عشرة دراهم وعلى كلّ جريب نخل عشرة دراهم وعلى كلّ جريب البساتين الّتي تجمع النخل والشجر عشرة دراهم وأمرني أن أُلقي كلّ نخل شاذ عن القرى لمارة الطريق وابن السبيل ولا آخذ منه شيئاً وأمرني أن أضع على الدهاقين الّذين يركبون البراذين ويتختمون بالذهب على كلّ رجل منهم ثمانية وأربعين درهماً وعلى أوساطهم والتجار منهم على كلّ رجل أربعة وعشرين درهماً وعلى سفلتهم وفقرائهم اثني عشر درهماً على كلّ إنسان منهم قال: فجبيتها ثمانية عشر ألف ألف درهم في سنة[2].

إيضاح: قال محمّد بن إدريس رحمه الله في كتاب السرائر: «بهر سير» بالباء المنقطة من تحتها نقطة واحدة والسين غير المعجمة هي المدائن والدليل على ذلك أنّ الراوي قال: استعملني على أربعة رساتيق ثمّ عد خمسة فذكر المدائن ثمّ ذكر من جملة الخمسة «بهر سير» فعطف على اللّفظ دون المعنى. فإن قيل: لا يعطف الشيء على نفسه قلنا: إنّما عطف على اللفظة دون المعنى وهذا كثير في القرآن والشعر قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

فكلّ هذه الصفات راجعة إلى موصوف واحد وقد عطف بعضها على بعض لاختلاف ألفاظها. ويدل على ما قلناه أيضاً ما ذكره أصحاب السير في كتاب صفّين قالوا: لمّا سار أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفّين قالوا: ثمّ مضى نحو ساباط حتّى انتهى إلى مدينة «بهر سير» وإذا رجل من أصحابه ينظر إلى آثار كسرى وهو يتمثل بقول ابن يعفور السهمي:

جرت الرياح إلى محل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام أفلا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ الآية.

---

(١) تحف العقول، ص ١٣٣.

(٢) تهذيب الأحكام، ج ٤ ص ٦٧٢ باب ٣٤ ح ٣.

وأما البهقباذات فهي ثلاثة البهقباذ الأعلى وهي ستّة طساسيج طسوج بابل وخطرنيّة والفلوجة العليا والسفلى والنّهرين وعين التمر.

والبهقباذ الاوسط أربعة طساسيج طسّوج الجبة والبداوة وسور ابريسما ونهر الملك وبارسوما. والبهقباذ الأسفل خمسة طساسيج منها طسّوج فرات وبارقلي وطسّوج السيلحين الّذي فيه الخورنق والسدير ذكر ذلك عبد الله بن خردادبه في كتاب الممالك والمسالك.

أقول: إنه رحمه الله بنى كلامه على ما نقله من كتاب المقنعة وفيه: «والبهقباذات» مع العطف. وعلى ما في [كتاب] التهذيب الظاهر إضافة الرّساتيق إلى المدائن فيحتمل أن يكون «بهر سير» عطفاً على أربعة ويكون «البهقباذات» بياناً لأربعة رساتيق المدائن أي استعملني على البهقباذات وعلى بهر سير. وأن يكون معطوفاً على رساتيق أي استعملني على أربعة أشياء أحدها رساتيق المدائن وهي البهقباذات والثاني بهر سير وهكذا. وأن يكون معطوفاً على «البهقباذات» إحدى الرساتيق والمحلّ الّذي يجري فيه نهر شيربا ثانيها. ثم اختلف في قراءة «بهر سير» فقد قرأ ابن إدريس كما عرفت ويؤيّده ما نقله ونقلنا أيضاً في موضع آخر من كتاب صفين.

وقرأ بعض الأفاضل «نهر سير» بالنون والسين المهملة وبعضهم «نهر شير» بالنون والشين المعجمة وقال: هو النهر الّذي عمله فرهاد لشبرين وهو من أعمال المدائن ومنهم من قرأ «بهر شير» بالباء والشين المعجمة أي المعمول لأجل اللبن. وهو بعيد ومنهم من قرأ «نهر سر» بإسقاط الياء من بين المهملتين أي النهر الأعلى وكذا اختلف النسخ في «نهر جوير» ففي بعضها بالجيم فالواو فالياء المثناة التحتانية فالراء المهملة وفي بعضها بإبدال الياء باء موحّدة. وفي بعضها بإبدال الرّاء نوناً. وقال الفيروزآبادي: الطسوج كسفّود: الناحية. وفي النهاية: هو استخراج المال من مظانّه.

٦٨٢ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى أمرائه على الجيوش: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح أمّا بعد فإن حقّاً على الوالي أن لا يغيره على رعيّته فضل ناله ولا طول خص به وأن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوّاً من عباده وعطفاً على إخوانه.

ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سرّاً إلاّ في حرب ولا أطوي دونكم أمراً إلاّ في حكم ولا أؤخّر لكم حقّاً عن محله ولا أقف به دون مقطعه وأن تكونوا عندي في الحقّ سواءً فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وأن لا تنكصوا عن دعوة ولا تفرّطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّ فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحد أهون عليّ ممّن اعوجّ منكم ثمّ أُعظم له العقوبة ولا يجد عندي فيها رخصةً فخذوا هذا من أمرائكم وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم[1].

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٦٨ خ ٢٨٨.

٦٨٣ - **ما:** المفيد عن الكاتب عن الأجلح عن جندب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن زيد الحمانيّ قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أمراء الأجناد وذكر نحوه وفيه: «فضل ماله ولا مرتبة اختص بها» وفيه: «فإذا فعلت ذلك وجبت لي عليكم البيعة ولي منكم الطاعة» وفيه: «لم يكن أحد أهون عليّ ممّن خالفني فيه، ثمّ أحل بكم فيه عقوبته ولا تجدوا عندي» إلى قوله عليه السلام : «وأعطوا من أنفسكم هذا يصلح أمركم»(1).

بيان: قال [ابن الأثير] في [مادة: «سلح» من كتاب] النهاية: المسلحة: القوم الّذين يحفظون الثغور من العدو، وسمّوا مسلحة لأنّهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنّهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب [يكون] فيه أقوام يرقبون العدو لأن لا يطرقهم على غفلة [فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له] وجمع المسلح: مسالح.

قوله عليه السلام : «أن لا يغيره» أي لا يصير الفضل الّذي ناله الوالي والطول الّذي خصه الله به وهو الولاية سبباً لتغيره على رعيته بالخروج عن العدل والجفاء عليهم.

[قوله عليه السلام :] «أن لا أحتجز» قال ابن ميثم: أي لا أمنع. [و] قال ابن أبي الحديد: أي لاأستتر. وكلاهما غير موجودين في كلام أهل اللغة وإن كان ما ذكره الجوهريّ من أنّه يقال: احتجز الرّجل بإزاره أي شد إزاره على وسطه قريباً ممّا ذكره ابن أبي الحديد لكنّه بهذا المعنى غير متعد وكذا استتر كما ذكره في تفسيره والمناسب [هو] ما ذكره ابن ميثم وإن كان غير موجود في كلامهم. واستثناء الحرب لأنّه خدعة ولا يناسب إفشاء الآراء فيه.

«ولا أطوي دونكم أمراً» أي أظهركم على كلّ ما في نفسي ممّا يحسن إظهاركم عليه، فأمّا الأحكام الشرعيّة والقضاء على أحد الخصمين فإنّي لا أُعلمكم قبل وقوعها ولا أُشاوركم فيها كيلا تفسد القضية بأن يحتال ذلك الشخص لصرف الحكم عنه، ولعدم توقف الحكم على المشاورة.

وقال ابن أبي الحديد: ثمّ ذكر أنّه لا يؤخر لهم حقاً عن محله يعني العطاء وأنّه لايقف دون مقطعه، والحق هاهنا غير العطاء بل الحكم قال زهير:

فإن الحقّ مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

أي متى تعين الحكم حكمت به وقطعت ولا أقف ولا أتحبس انتهى.

ويحتمل تعميم الحقّ في الموضعين أي ما يلزم لكم عليّ من عطاء أو حكم لا أؤخره عن محله ولا أُقصر في الإتيان به، فالوقوف به قبل مقطعه ترك السعي في الإتيان به قبل تمامه.

٦٨٤ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج: أمّا بعد فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها.

---

(1) أمالي الطوسي، ص ٢١٧ مجلس ٨ ح ٣٨١.

واعلموا أنّ ما كلّفتم يسير وأن ثوابه كثير ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه فأنصفوا النّاس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فإنّكم خزان الرعية ووكلاء الأمّة وسفراء الأئمّة ولاتحشموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابّة يعتملون عليها ولا عبداً.

ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمسن مال أحد من النّاس مصلّ ولا معاهد إلاّ أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على أهل الإسلام فإنّه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه.

ولا تدّخروا أنفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة ولا الرعيّة معونة ولا دين الله قوّة وأبلوا في سبيله ما استوجب عليكم فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا وأن نتصره ممّا بلغت قوتنا ولا قوّة إلاّ بالله العليّ [العظيم][1].

توضيح: «ما يحرزها» أي يحفظ نفسه من عذاب الله ما لا عذر في ترك طلبه لأنّه نفع عظيم مقدور على تحصيله فالتفريط في طلبه قبيح.

وقال الجوهري: السفير: الرّسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء. وقال: قال أبو زيد: حشمت الرّجل وأحشمته بمعنى وهو أن يجلس إليك فتؤذيه وتغضبه. وقال ابن الأعرابي: حشمته: أخجلته. وأحشمته: أغضبته.

وفي بعض النسخ [ولا تحسموا أحداً] بالسين المهملة من الحسم بمعنى القطع. والمعاهد: الذمّي وكلّ من دخل بأمان. وقال الجوهريّ: العداء: تجاوز الحدّ والظلم يقال: عدا عليه عدواً وعُدُوّاً وعداءاً: [ظلمه].

و [قال ابن الأثير] في [مادة «شوك» من كتاب] النهاية: شوكة القتال: شدته وحدته.

[قوله عليه السلام]: «ولا تدخروا أنفسكم» أي لا تمنعوا عن أنفسكم نصيحة وارعوا ما فيه صلاحها. وفي النهاية: الإبلاء: الإنعام والإحسان. وفي حديث برّ الوالدين: «أبل الله تعالى عذراً في برها» أي أعطه وأبلغ العذر فيها إليه والمعنى أحسن فيما بينك وبين الله ببرّك إيّاهما. وقال: الاصطناع: افتعال من الصّنيعة وهي العطية والكرامة والإحسان.

قوله عليه السلام: «أن نشكره» أي اصطنع إلينا لأن نشكره أو جعل شكره بجهدنا ونصره بقوّتنا صنيعة ومعروفاً عندنا وعندكم.

٦٨٥ - **نهج:** من كتابه إلى أمرائه في الصلاة: أمّا بعد فصلوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مربض العنز، وصلّوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين

(١) نهج البلاغة، ص ٥٦٩ خ ٢٨٩.

يسار فيها فرسخان، وصلّوا بهم المغرب حين يفطر الصّائم ويدفع الحاجّ، وصلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث اللّيل، وصلّوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلوا بهم صلاة أضعفهم ولا تكونوا فتانين(١).

إيضاح: لعلّ الابتداء بالظهر لأنّها أوّل ما فرضت من الصلوات «حين تفيء» أي يزيد ويرجع ظلّ الشمس بعد غاية نقصانه.

[قوله:] «مثل مربض العنز» أي الأنثى من المعز وهو قريب من القدمين وقت النافلة وهو أوّل وقت الفضيلة المختص بالظهر لا آخره كما فهمه الراونديّ ﷺ.

[قوله:] «والشمس بيضاء» أي لم تصفرّ للمغيب وحياتها استعارة لظهورها في الأرض. والعضو بالضمّ والكسر: واحد الأعضاء. والظرف خبر للشّمس أو متعلّق بـ«صلّوا» والمراد بقاء جزء معتد به من النهار.

وقال في النهاية: فيه أنّه دفع من عرفات أي ابتدأ السير ودفع نفسه منها ونحّاها أو دفع ناقته وحملها على السّير. والفتّان: من يفتن النّاس عن الدين وإطالة الصلاة مستلزمة لتخلّف العاجزين والضّعفاء والمضطرّين.

٦٨٦ - **نهج:** ومن كتاب له ﷺ إلى عثمان بن حنيف الأنصاريّ وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنّه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها يستطاب لك الألوان وتنقل إليك [عليك «خ»] الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفّو وغنيّهم مدعوّ فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه [فالقطه «خ»] وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه. ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه.

ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ولا ادخرت من غنائمها وفراً ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً [ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلاّ كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة]. بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلته السّماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله. وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لضغطها [لأضغطها «خ»] الحجر والمدر وسد فرجها التراب المتراكم وإنّما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق.

(١) نهج البلاغة، ص ٥٧٠ خ ٢٩٠.

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ولعلّ بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع أو أن أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى أو أن أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال [لي]: أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أُسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها أو المرسلة شغلها تقممها تكترش من أعلافها وتلهو عمّا يراد بها أو أُترك سدى أو أُهمل عابثاً أو أجّر حبل الضلالة أو أعتسف طريق المتاهة.

وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان. ألا وإنّ الشجرة البرية أصلب عوداً والروائع الخضرة أرق جلوداً والنابتات العذية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً.

وأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو والذراع من العضد.

والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها ولو أمكنت [الفرص «خ»] من رقابها لسارعت إليها. وسأجهد في أن أُطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتّى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد.

إليك عنّي يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وأفلتّ من حبائلك، واجتنبت الذهاب في مداحضك، أين القرون [القوم «خ»] الّذين غررتهم بمداعبك؟ أين الأمم الّذين فتنتهم بزخارفك؟ ها هم [فها هم «خ»] رهائن القبور ومضامين اللحود! والله لو كنت شخصاً مرئيّاً وقالباً حسياً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني وأمم ألقيتهم في المهاوي وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء إذ لا وردّ ولا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن ازورّ عن حبالك وفق والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه.

اعزبي عني فوالله ولا أسلس لك فتقوديني. وأيم الله - يميناً أستثني فيها بمشيئة الله - لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القُرْص إذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً ولأدَعَنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها مُستفرغة دموعها أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك؟ وتشبع الربيضة من عشبها فتربض؟ ويأكل عليّ من زاده فيهجع؟ قَرّت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعيّة.

طُوبى لنفسٍ أدّت إلى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهَجَرَتْ في اللّيل غُمْضَها حتّى إذا غلب الكَرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفّها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم

وتجافت عن مضاجعهم جُنُوبهم وهممت [وهمهمت «خ»] بذكر ربّهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم «أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون».

فاتق الله يا ابن حنيف ولتَكْفِفكَ أقراصُك ليكون من النّار خلاصُك(١).

إيضاح: عثمان بن حنيف هو الّذي أخرجه طلحة والزبير من البصرة حين قدماها [قوله عليه السلام :] «من فتية أهل البصرة» قال ابن أبي الحديد: [أي من فتيانها] أو من شبانها وأسخيائها ويروى «أن رجلاً من قطان البصرة» أي سكانها وقال في النهاية: المأدُبَة بضم الدال: الطعام يدعى إليه القوم وقد جاءت بفتح الدال أيضاً يقال: أدب فلان القوم يأدبهم بالكسر أي دعاهم إلى طعامه والآدب: الداعي. «يستطاب لك الألوان» يطلب لك طيبها ولذيذها.

وقال الجوهريّ: الجفنة كالقصعة والجمع الجفان. والعائل: الفقير والجفاء: نقيض الصلة والمجفوّ: المبعد.

ثم اعلم أنّ ظاهر كلامه عليه السلام النّهي عن إجابة مثل هذه الدعوة من وجهين: أحدهما أنّه طعام قوم عائلهم مجفوّ وغنيّهم مدعوّ فهم من أهل الرياء والسمعة وعدم إجابة دعوتهم أولى.

وثانيهما أنّه ممّا يظنّ تحريمه فالأولى الاحتراز عن أكله فيمكن أن يكون النهي عاماً ومثل تلك الإجابة مكروهاً أو يكون خاصاً بالولاة كما يشعر به قوله عليه السلام في كلامه لعاصم بن زياد حيث قال عليه السلام [له:] «إنّي لست كأنت إنّ الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة النّاس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره» وحينئذ يكون المخاطب بقوله عليه السلام: «ألا وإنّ إمامكم» وقوله «وأعينوني» هم الولاة فالنّهي إمّا للتحريم أو للتنزيه ولا ينافي الأوّل قوله: «ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك» فإن الظاهر أنّه إشارة إلى الاكتفاء من الثوب بالطمرين ومن الطعم بالقرصين.

وعلى الثاني تكون الكراهة بالنظر إلى الولاة أشدّ. ويحتمل أن يكون للأعمّ من الحرمة والكراهة ويكون لكلّ من الولاة وغيرهم حكمه فالخطاب عام. ويمكن أن يستفاد من قوله عليه السلام: «يستطاب لك الألوان» وجه آخر من النهي وهو المنع من إجابة دعوة المسرفين والمبذرين إما تحريماً مع عموم الخطاب أو خصوصه ونظيره النّهي للولاة عن أخذ الهدايا ولعلّه يشعر بذلك قوله: «يستطاب لك وتنقل إليك» أو تنزيهاً فيكون بالنظر إليهم أشدّ أو الأعمّ منهما كما ذكر.

والاحتمالات الأخيرة مبنيّة على انقسام الإسراف مطلقاً إلى المحرّم والمكروه.

والقضم: الأكل بأطراف الأسنان. والطمر بالكسر: الثوب الخلق. والطمران: الإزار والرداء. والقرصان للغداء والعشاء.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٨ خ ٢٨٣.

وقوله عليه السلام : «بورع واجتهاد» الورع : اجتناب المحرّمات . والاجتهاد : أداء الواجبات أو الورع يشمل ترك المكروهات أيضاً . والاجتهاد الإتيان بالسنن الأكيدة أيضاً ويمكن أن يكون التنوين فيهما للتقليل أي بما تستطيعون منهما والإعانة على الشفاعة أو على إجراء الأحكام والآداب بين الناس والأول أظهر .

وقال الجوهريّ : التبر من الذهب ما كان غير مضروب فإذا ضرب دنانير فهو عين ولا يقال تبر إلاّ للذهب وبعضهم يقول للفضة أيضاً انتهى .

والوفر : المال الكثير . والمراد بالبالي : المندرس . وبالطمر ما لم يبلغ ذلك .

وفي نسخة الراونديّ بعد ذلك : «ولا ادخرت من أقطارها شبراً» و«فدك» ينصرف بتأويل الموضع ولا ينصرف بتأويل البلدة أو القرية .

والنفوس الشاحّة أبو بكر وعمر وأتباعهم والساخية نفوس أهل البيت عليهم السلام أو من لم يرغب في هذا الغصب ولم يرض به والأوّل أظهر .

وفي الصحاح : مظنّة الشيء : موضعه ومألفه الّذي يظن كونه فيه ، والجمع المظان وقال : الجدث : القبر وقال : ضغطه يضغطه ضغطاً : زحمه إلى حائط ونحوه ، ومنه ضغطة القبر . وفي بعض النسخ «لأضغطها» قال ابن أبي الحديد : أي جعلها ضاغطة . والهمزة للتعدية ويروى : «لضغطها» والمتراكم : المجتمع . «وإنما هي نفسي» كأنّ الضمير راجع إلى النفس . وقيل أي إنّما همتي وحاجتي رياضة نفسي ويقال : رضت الدابّة - كقلت - : أي ذللتها وأدبتها .

والمراد بالمزلق : الصّراط أو طريق الحقّ [قوله عليه السلام :] «ولو شئت لاهتديت» قال ابن أبي الحديد : وقد روي «ولو شئت لاهتديت إلى هذا العسل المصفى ولباب هذا البرّ المنقى فضربت هذا بذاك حتّى ينضج وقوداً ويستحكم معقوداً» . والقمح : البر . قاله الجوهريّ .

وقال : القز : الأبريسم معرب . وقال : الجشع : أشدّ الحرص . وقال : الاختيار : الاصطفاء وكذلك التخير . وقال : المبطان : الّذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل .

وقال : الغرث : الجوع وقد غرث بالكسر يغرث . وقال : الحرة بالكسر : العطش ومنه قولهم : «أشد العطش حرة على قرة» إذا عطش في يوم بارد والحران : العطشان والأنثى حرى مثل عطشى . قوله عليه السلام : «أو أكون» الهمزة للاستفهام و«الواو» للعطف والبيت للحاتم الطائيّ المشهور . والبطنة : بالكسر هو أن يمتلئ من الطعام امتلاءاً شديداً و«القد» بالكسر سيّر يقد من جلد غير مدبوغ والاشتياق إلى القد لشدّة الجوع .

قوله عليه السلام : «ولا أشاركهم» الواو للحال أو العطف على أقنع أو يقال فيحتمل الرفع والنصب . وقوله عليه السلام : «أو أكون» معطوف على أشاركهم أو على «أقنع» .

وقال الجوهريّ : طعام جشب ومجشوب أي غليظ ، ويقال : هو الّذي لا أدم معه .

قوله عليه السلام : «كالبهيمة المربوطة» الخ . قال ابن ميثم فإن الاشتغال بها إن كان غنياً أشبه

المعلوفة في اهتمامه بما يعتلفه من طعامه الحاضر، وإن كان فقيراً كان اهتمامه بما يكتسبه كالسمائة «والتقمم» أكل الشاة ما بين يديها بمقمتها أي شفتها. وقيل تتبع القمامة.

قوله عليه السلام: «تكترش» أي تملأ بها كرشها والكرش بالكسر وككتف لكلّ مجتر بمنزلة المعدة للإنسان و«تلهو عمّا يراد بها» أي من ذبح واستخدام.

و«أترك» في بعض النسخ بالضمّ عطفاً على «أقنع» وبالنصب عطفاً على «يقال» أو «يشغلني» وكذا [قوله:] «أهمل وأجر وأعتسف وأجر حبل الضلالة» أي أجر أتباعي إليها. ويحتمل التشبيه بالبهيمة الّتي انقطع مقودها أو تركت سدى. والاعتساف: العدول عن الطريق. والمتاهة: محل التيه والضّلال والحيرة.

والباء في «قعد به» للتّعدية وفي القاموس: النزال بالكسر: أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيضاربوا وقد تنازلوا. والرتع: الاتساع في الخصب وكلّ خصب مرتع. ويظهر من بعض الشرّاح أنّه قرأ «الروايع» بالياء المثّناة التحتانية من راعه بمعنى أعجبه وفيما رأينا من النسخ بالتاء. والعذي بكسر العين وسكون الذال: الزرع لا تسقيه إلاّ ماء المطر.

[قوله عليه السلام]: «كالصّنو من الصِنو» الصِنو: المثل وأصله أن تطلع النّخلتان من عرق واحد. وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ من نور واحد.

وفي كثير من النسخ «كالضوء من الضوء» أي كالضوء الحاصل أو المنعكس من الضوء لكون علمه وكمالاته من النبيّ صلى الله عليه وآله ولذا كنّى الله عن النبيّ صلى الله عليه وآله في القرآن بالشّمس وعنه عليه السلام بالقمر والتشبيه بالذراع من العضد لأنّ العضد أصل للذراع والذراع وسيلة إلى التصرّف والبطش بالعضد.

وسمّى معاوية معكوساً لانعكاس عقيدته ومركوساً لكونه تاركاً للفطرة الأصلية ويحتمل أن يكون تشبيهاً له بالبهائم.

وإنما قال عليه السلام: «الشخص والجسم» ترجيحاً لجانب البدن أو لكونه تابعاً لشهواته البدنية تاركاً لمقتضيات روحه وعقله فكأنّه ليس هذا إلاّ الجسم المحسوس وقال الجوهريّ: الركس: ردّ الشيء مقلوباً «والله أركسهم بما كسبوا» أي ردهم إلى كفرهم قوله عليه السلام: «حتى تخرج [المدرة من بين حبّ الحصيد]» قال ابن ميثم: أي حتّى يخرج معاوية من بين المؤمنين ويخلّصهم من وجوده بينهم كما يفعل من يصفّي الغلّة.

وقال ابن أبي الحديد: كما أنّ الزرّاع يجتهدون في إخراج الحجر والمدر والشوك ونحوه من بين الزرع كيلا يفسد مبانيه فيفسد ثمرته.

وفيه نظر لأنّه لا معنى لإخراج الطين من الزّرع لأنّ لفظ حبّ الحصيد لا يفهم منه ذلك.

وقال الجوهريّ: الغارب ما بين السنام والعنق. ومنه قولهم: «حبلك على غاربك» أي اذهبي حيث شئت وأصله أنّ الناقة إذا رعت وعليها الخطام ألقي على غاربها لأنّها إذا رأت الخطام لا يهنأها شيء.

والانسلال: الانطلاق في استخفاء. والمخلب كمنبر: ظفر كلّ سبع وأفلت الطائر وغيره: تخلّص وأفلته غيره. والحبائل جمع حبالة بالكسر وهي ما يصاد بها من أيّ شيء كان. والمداحض: المزالق والمراد هنا مواضع الشبهة وكلّ ما يؤدّي إلى حرام. والمداعب من الدّعابة وهي المزاح.

وفي النهاية: الزخرف في الأصل: الذهب وكمال حسن الشيء. وقال: المضامين: جمع مضمون، ومضمون الشيء: ما احتوى واشتمل ذلك الشيء عليه.

والقالب بالفتح قالب الخفّ ونحوه وما يفرغ فيه الجواهر. وبالكسر البسر الأحمر «حسّياً» أي مدركاً بالحس وفي بعض النسخ «جِنسيّاً» أي منسوباً إلى جنس من الأجناس الموجودة المشاهدة.

وقال الجوهريّ هوى بالفتح يهوي: سقط إلى أسفل والمهوى والمهواة: ما بين الجبلين و«الصّدر» بالتحريك: الرجوع عن الماء خلاف الورد والمعنى أوردتهم مهالك ليست من محال الصدور والورود ولا يرجى النجاة منها.

ودحضت رجله: زلقت ولجّة الماء ولُجه: معظمه وركوبها كناية عن ركوب أهوالها وفتنها أو طلب العلوّ فيها. و«ازور عنه»: عدل وانحرف.

وقال ابن أبي الحديد: ضيق المناخ: كناية عن شدائد الدنيا كالفقر والمرض والحبوس والسّجون ولا يبالي بها لأنّ كلّ ذلك حقير في جنب السلامة من فتنة الدنيا «كيوم حان انسلاخه» أي قرب انقضاؤه «ولا أسلس لك» أي لا أنقاد.

والاستثناء من اليمين بمشيئة الله تعليقها بالمشيئة بقول: إن شاء الله وهو مستحب في سائر الأمور وقال [ابن الأثير] في النهاية «هشّ لهذا الأمر يهشّ هشاشة» إذا فرح بذلك واستبشر وارتاح له وخف. وقال: نضب الماء غار ونفد.

وقال الجوهريّ: ماء معين أي جار أي أبكي حتّى لا يبقى في عيني ماء.

وقال ابن أبي الحديد: الرعي بكسر الراء الكلأ. وقال الجوهريّ: ربض الغنم مأواها. وربوض الغنم والبقر والفرس والكلب مثل بروك الإبل والربيض: الغنم برعاتها المجتمعة في مربضها. وقال الهجوع: النوم ليلاً. وقال: الهمل بالتحريك: الإبل بلا راع يقال: إبل همل وهاملة ويقال: فلان يعرك الأذى بجبنه أي يحتمله ذكره الفيروزآباديّ وقال: ما اكتحلت غمضاً أي ما نمت. والكرى: النعاس. افترشت أرضها أي اكتفت بها فراشاً. وتوسّدت كفّها أي جعلتها وسادة واكتفت بها مع أنّه مستحب. والهمهمة: الصوت الخفيّ ويدلّ على استحباب إخفاء الذكر. وتقشّعت أي تفرّقت وزالت وذهبت كما يتقشّع السّحاب.

٦٨٧ - **نهج**: ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله: أمّا بعد فإنّك ممّن أستظهر به على إقامة الدّين وأقمع به نخوة الأثيم وأسدّ به لهاة الثّغر المخوف فاستعن بالله على ما أهمك

واخلط الشدّة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق أرفق واعتزم بالشدّة حين لا يغني عنك إلاّ الشدّة واخفض للرعية جناحك وألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية حتّى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييئس الضّعفاء من عدلك والسّلام[١].

بيان: الاستظهار: الاستعانة. والقمع: القهر والتذليل. والنخوة: الكبر. والأثيم: المذنب. وقال في النهاية: اللَّهَوات: جمع لهاة وهي اللحمات في سقف أقصى الفم انتهى. ولعلّه أريد بها هنا الفم مجازاً. والضغث: بالكسر: قطعة حشيش مختلطة الرطب باليابس وفي تشبيه اللين بالضغث لطف فإنّه لا يكون إلاّ ليناً.

وقال ابن أبي الحديد: المراد مزج الشدّة بشيء من اللين فاجعلهما كالضغث. وفيه بُعْد. وقال الجوهريّ: اعتزمت على كذا وعزمت بمعنى. والاعتزام: لزوم القصد في المشي. انتهى. ولعلّ المراد هنا المعنى الثاني إشارة إلى أنّه مع الاضطرار إلى الشدّة ينبغي عدم الإفراط فيه. وخفض الجناح كناية عن الرفق أو الحراسة. وإلانة الجانب: ترك الغلظة والعنف في المعاشرة. «وآس بينهم» أي اجعلهم أسوة. وروي «وساو بينهم» والمعنى واحد. واللحظة: المراقبة وقيل: النظر بمؤخّر العين.

٦٨٨ - **نهج:** من كتاب له عليه السلام: أمّا بعد فإنّ الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلاّ فتحت له حرصاً عليها ولهجاً بها، ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما أبرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلام[٢].

بيان: المشغلة كمرحلة: ما يشغلك. وفي بعض النسخ: «مُشْغِلَة» على بناء الإفعال فلو صحّت الرواية بطل ما حكم به الأكثر من رداءة «أشغله» واللهج بالشيء: الولوع به.

قوله عليه السلام: «ولو اعتبرت» قال ابن أبي الحديد: أي لو اعتبرت بما مضى من عمرك لحفظت باقيه أن تنفقه في الضلال وطلب الدنيا وتضيعه.

٦٨٨ - رواه السيّد الرضيّ رضي الله تعالى عنه في المختار من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة، قال: ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً.

وقال ابن ميثم: أي لو اعتبرت بما مضى من القرون الخالية لحفظت ما بقي من السعادة الأُخروية أقول: قال ابن أبي الحديد: قد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب وقال إنه عليه السلام كتبه إلى عمرو بن العاص وفيه زيادة لم يذكرها الرضيّ.

٦٨٩ - **نهج:** من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيّام خلافته: أمّا بعد فإنّما مَثَل الدنيا مثل الحية ليّن مسّها قاتل سمّها فأعرض عمّا يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٦٤ خ ٢٨٤.
(٢) نهج البلاغة، ص ٥٦٧ خ ٢٨٧.

عنك همومها لما أيقنت به من فراقها وكن آنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها ، فإنّ صاحبها كلّما اطمأنّ فيها إلى سرور أشخصته عنه إلى محذور أو إلى إيناس أزالته عنه إلى إيحاش[1] .

بيان: [قوله عليه السلام :] لقلّة ما يصحبك منها أي لقلّة ما تستفيد من لذّتها والانتفاع بها والتعبير بالقلّة على سبيل التنزّل أي لأنّك لا تصحب منها شيئاً . وقيل : المراد بما يصحبه منها : الكفن . وقيل : القبر .

٦٩٠ - **نهج:** روي أنّ شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى داراً على عهده بثمانين ديناراً فبلغه ذلك واستدعاه وقال له : بلغني أنّك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت كتاباً وأشهدت شهوداً فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين قال : فنظر إليه نظر مغضب ثمّ قال : يا شريح أما إنّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بيّنتك حتّى يخرجك منها شاخصاً ويسلمك إلى قبرك خالصاً فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلّ لك فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة أما إنّك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه والنسخة هذه :

هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت قد أُزعج للرحيل اشترى منه داراً من دار الغرور من جانب الفانين وخطّة الهالكين وتجمع هذه الدار حدود أربعة : الحد الأوّل : ينتهي إلى دواعي الآفات . والحدّ الثاني : ينتهي إلى دواعي المصيبات . والحدّ الثالث : ينتهي إلى الهوى المردي . والحدّ الرّابع ينتهي إلى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدار .

اشترى هذا المغترّ بالأمل من هذا المزعج بالأجل هذه الدار بالخروج من عزّ القناعة والدخول في ذلّ الطلب والضراعة فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر وتبّع وحمير ومن جمع المال على المال فأكثر ومن بنى وشيّد وزَخْرفَ ونجّد وادّخر واعتقد ونظر بزعمه للولد إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب إذا وقع الأمر بفصل القضاء وخسر هنالك المبطلون شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا[2] .

أقول: سيأتي برواية أُخرى مع شرحه في أبواب خطبه ومواعظه .

٦٩١ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى العمّال الّذين يطأ عملهم الجيش : من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من مرّ به الجيش من جباة الخراج وعمّال البلاد أمّا بعد فإنّي قد سيّرت جنوداً هي مارّة بكم إن شاء الله وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الأذى وصرف

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦١٤ خ ٣٠٦. (٢) نهج البلاغة، ص ٤٩١ خ ٢٤١.

الشذى وأنا أبرأ إليكم وإلى ذمّتكم من معرّة الجيش إلاّ من جوعة المضطرّ لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه فنكّلوا من تناول منهم ظلماً عن ظلمهم وكفّوا أيدي سفهائكم عن مضارّتهم والتعرّض لهم فيما استثنيناه منهم وأنا بين أظهر الجيش فارفعوا إليّ مظالمكم وما عراكم ممّا يغلبكم من أمرهم وما لا تطيقون دفعه إلاّ بالله وبي أغيّره بمعونة الله[1].

بيان: يطأ عملهم أي يسيرون في أرضهم والبلاد الّتي تحت عملهم وحكمهم. وقال الجوهريّ: جبيته جباية وجبوته جباوة: جمعته وقال: الشذى مقصوراً: الأذى والشرّ [قوله:] «وإلى ذمتكم» قال ابن أبي الحديد: أي اليهود والنصارى الّذين بينكم قال ﷺ: «من آذى ذمتي فكأنما آذاني».

وقال ابن ميثم: أي إلى ذمّتكم التي أخذتها من إسارة الجيش فإنّه ليس بأمري من ذلك إلاّ معرّة جوعة المضطرّ والمعرّة: الإثم والأمر القبيح المكروه والأذى [وهذا] ويدلّ على أنّه يجوز للجائع المضطر من الجيش الأخذ بقدر الشبع.

و [قال ابن الأثير] في النهاية التنكيل: المنع والتنحية و«وأنا بين أظهر الجيش» أي أنا قريب منهم وسائر على أثرهم. وقال ابن ميثم: «كناية عن كونه مرجع أمرهم» «وعراه يعروه» غشيه أو قصده. وتغيير ما عراهم: دفع الظلم عنهم.

٦٩٢ - **نهج:** [و] من كتاب [له عليه السلام] كتبه - لمّا استخلف - إلى أمراء الأجناد: أمّا بعد فإنّما أهلك من كان قبلكم أنّهم منعوا النّاس الحقّ فاشتروه وأخذوهم بالباطل فاقتدوه[2].

إيضاح: «فاشتروه» قال ابن أبي الحديد: أي فاشترى النّاس الحقّ منهم بالرّشا والأموال أي لم يضعوا الأمور مواضعها ولا ولّوا الولايات مستحقيها وكانت أمورهم تجري على وفق الهوى والأغراض الفاسدة فاشترى النّاس منهم الميراث والحقوق كما يشترى السلع بالأموال!! وروي «فاستروه» بالسين المهملة أي اختاروه تقول استريت خيار المال أي اخترته ويكون الضمير عائداً إلى الظلمة لا إلى النّاس أي منعوا النّاس حقّهم من المال واختاروه لأنفسهم واستأثروا به وأخذوهم بالباطل أي حملوهم على الباطل فجاء الخَلَف من بعد السّلف فاقتدوا بآبائهم وأسلافهم في ارتكاب ذلك الباطل ظنّاً منهم أنّه حقّ لما قد ألفوه ونشأوا عليه.

وقال ابن ميثم: اشتروه أي باعوه وتعوّضوا عنه بالباطل لمّا منعوا منه كقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ وكذلك قوله عليه السلام: «أخذوهم بالباطل فاقتدوه» أي اقتدوا الباطل وسلكوا فيه مسلك من أخذهم به كقوله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ انتهى.

قيل: ويحتمل إرجاع الضمير المرفوع في قوله عليه السلام: «اشتروه» إلى النّاس والمنصوب

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٠٢ خ ٢٩٨. (٢) نهج البلاغة، ص ٦٢٤ خ ٣١٧.

إلى المنع المذكور في ضمن قوله «منعوا» أي إنّما أهلك من كان قبلكم أنّ الظالمين منهم تصرّفوا في أمورهم وصاروا خلفاء فيهم حكّاماً بينهم وهو معنى منعهم الحقّ فرضوا بذلك وتعوّضوا به عن الحقّ وخلفائه فالاشتراء كناية عن الرضا أو استعارة لتعوضهم أو مجاز فيه.

وأمّا الضمير المنصوب في قوله عليه السلام: «فاقتدوه» فيحتمل الإرجاع إلى الأخذ فيكون نظيراً لسابقه أو إلى الباطل.

أقول: وفي بعض النسخ «فافتدوه» بالفاء أي أخذوهم بأحكام الجور فأعطوا الفداء ليتخلّصوا منهم فالضمير راجع إلى الباطل ولعلّه أنسب.

٦٩٣ - **نهج:** وقال عليه السلام لزياد بن أبيه وقد استخلفه لعبد الله بن العبّاس على فارس وأعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج: استعمل العدل واحذر العسف والحيف، فإنّ العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو إلى السيف(١).

بيان: قال في القاموس: عسف السّلطان: ظلم وفلاناً استخدمه والحيف: الميل والجور والظلم فيحتمل أن يكون المراد بالحيف الميل إلى بعض الرعايا بالإعزاز والاحترام وتفضيل بعضهم على بعض فإنّ ذلك يورث العداوة بينهم وعدم طاعة بعضهم للوالي فيكون داعياً إلى القتال. أو المراد بالعسف الاستخدام كما هو دأب الملوك في استخدام الرعايا وأخذ دوابّهم فالحيف بمعنى الظّلم أي سائر أنواعه.

وقال ابن أبي الحديد: كانت عادة أهل فارس في أيّام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراج أملاكهم قبل بيع الثمار على وجه الاستلاف وكان ذلك يجحف بالناس.

٦٩٤ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله: أمّا بعد فإنّ دهاقين أهل بلدك شكوا منك قسوة وغلظة واحتقاراً وجفوة فنظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم ولا أن يُقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدّة وداول لهم بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصار إن شاء الله(٢).

بيان: الدهقان: بالضمّ والكسر: رئيس القرية وهو معرّب والقسوة: الصلابة. والجفوة: نقيض الصلة.

قوله عليه السلام: «فلم أرهم» أي لا تقرّبهم إليك قرباً كاملاً لشركهم ولا تبعدهم عنك بعداً كاملًا لأنّهم معاهدون وأهل الذّمة فعاملهم بين المعاملتين. والجلباب: الإزار والرداء أو الملحفة أو المقنعة. والطرف بالتحريك الطائفة من الشيء. والمداولة: المناوبة أي كن قاسياً مرّة وليناً أخرى.

٦٩٥ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن العبّاس

---

(١) نهج البلاغة، ص ٧٣١ قصار الحكم رقم ٤٦٩.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٠٧ خ ٢٥٧.

على البصرة وعبدالله يومئذٍ عامل أمير المؤمنين عليه السلام عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان: وإنّي أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنّك خُنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدّنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر والسّلام(١).

إيضاح: قال ابن ميثم: زياد هو ابن سميّة أمّ أبي بكرة دعيّ ابي سفيان وروي أنّ أوّل من دعاه ابن أبيه عائشة حين سُئلت لمن يُدْعى وكان كاتب المغيرة بن شعبة ثمّ كتب لأبي موسى ثمّ كتب لابن عامر ثمّ كتب لابن عبّاس وكان مع عليّ عليه السلام فولاه فارس وكتب إليه معاوية يتهدّده فكتب إليه: أتتوعّدني وبيني وبينك ابن أبي طالب أما والله لئن وصلت إليّ لتجدني أحمر ضرّاباً بالسّيف ثمّ دعاه معاوية أخاً له وولاه بعد أمير المؤمنين عليه السلام البصرة وأعمالها وجمع له بعد المغيرة بن شعبة العراقين وكان أوّل من جمعا له.

وقال الجوهريّ: الكورة: المدينة والصقع [والصقع: الناحية] والجمع كورٌ. وقال: الفارس: الفرس وبلادهم وقال: الشدّة بالفتح الحملة الواحدة. وقال: الوفر: المال الكثير أي تفقرك بأخذ ما أخذت من أموال المسلمين: «ثقيل الظهر» بالأوزار والتبعات وقيل كناية عن الضعف وعدم النهوض لما يحتاج إليه. الضئيل: الحقير أي تسلب جاهك بسلب مالك.

٦٩٦ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد أيضاً:

فدع الإسراف مقتصداً واذكر في اليوم غداً وأمسك من المال بقدر ضرورتك وقدّم الفضل ليوم حاجتك. أترجو أن يؤتيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبّرين؟ وتطمع وأنت متمرّغ في النّعيم تمنعه الضّعيف والأرملة أن يُوجب لك ثواب المتصدّقين؟ وإنّما المرء مجزيٌ بما أسلف وقادمٌ على ما قدّم والسلام(٢).

بيان: الإسراف: التبذير. وقيل: ما أُنفق في غير طاعة. وقيل: مجاوزة القصد. والاقتصاد: التوسّط في الأمور. وفي النهاية: التمرّغ: التقلّب في التراب وقال: الأرامل: المساكين من نساء ورجال ويقال لكلّ واحد من الفريقين على انفراده أرامل وهو بالنساء أخص وأكثر استعمالاً الواحدة أرمل وأرملة فالأرمل الّذي ماتت زوجته والأرملة الّتي مات زوجها سواء كانا غنيّين أو فقيرين انتهى وأن يوجب «مفعول تطمع».

٦٩٧ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى قُثم بن العبّاس: أمّا بعد فإنّ عيني بالمغرب كتب إليّ يعلمني أنّه وجّه إلى الموسم أناس من أهل الشّام العُمي القلوب الصمّ الأسماع الكُمه الأبصار الّذين يلتمسون الحقّ بالباطل ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درّها بالدين ويشترون عاجلها بآجل الأبرار المتّقين ولن يفوز بالخير إلاّ عامله ولا يجزى جزاء الشرّ إلاّ فاعله. فأقم على ما في يديك قيام الحازم الصّليب والناصح اللّبيب والنافع

---

(١) - (٢) نهج البلاغة، ص ٥٠٨ خ ٢٥٨ و٢٥٩.

لسلطانه المطيع لإمامه وإيّاك وما يعتذر منه، ولا تكن عند النعماء بطراً ولا عند البأساء فشلاً[١].

بيان: قال ابن ميثم: كان معاوية قد بعث إلى مكّة دعاة في السرّ يدعون إلى طاعته ويثبّطون العرب عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه إمّا قاتل لعثمان أو خاذل له وينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم فكتب أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكتاب وقثم بن العبّاس بن عبد المطّلب لم يزل والياً لعليّ عليه السلام على مكّة حتّى قتل [علي] عليه السلام فاستشهد قثم بسمرقند في زمن معاوية. وقيل: إنّ الّذين بعثهم [معاوية كان] بعض السّرايا الّتي كان يبعثها للإغارة على أعمال عليّ عليه السلام.

والعين الجاسوس أي أصحاب أخباره [عليه السلام] عند معاوية ويسمى الشّام مغرباً لأنّه من الأقاليم المغربية. والموسم كمجلس: الوقت الّذي يجتمع فيه الحاجّ كلّ سنة. والأكمه: الّذي يولد أعمى. «الذين يلتمسون الحقّ بالباطل» قال ابن أبي الحديد: أي يطلبون الحقّ بمتابعة معاوية فإنّهم كانوا يظهرون ناموس العبادة وفي بعض النسخ «يلبسون الحق» أي يخلطونه وقوله عليه السلام: «درّها» منصوب بدلاً من «الدنيا» وشراؤهم عاجل الدنيا بآجل الأبرار كناية عن استعاضتهم الآخرة بالدّنيا. والحازم: ذو الحزم الراسخ في الدين. والصّليب: الشديد «وما يعتذر منه» المعصية والزلّة وقال [ابن الأثير] في النهاية: البطر: الطغيان عند النعمة وطول الغناء. وقال: الفشل: الفزع والجبن والضّعف.

٦٩٨ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس: أمّا بعد فإنّ العبد ليفرح بالشيء الّذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الّذي لم يكن ليصيبه فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذّة أو شفاء غيظ ولكن إطفاء باطل أو إحياء حقّ وليكن سرورك بما قدّمت وأسفك على ما خلّفت وهمّك فيما بعد الموت والسلام[٢].

٦٩٩ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى ابن عبّاس وهو عامله على البصرة: اعلم أنّ البصرة مهبط إبليس ومغرس الفتن فحادث أهلها بالإحسان واحلل عقدة الخوف من قلوبهم وقد بلغني تنمّرك لبني تميم وغلظتك عليهم وإنّ بني تميم لم يغب لهم نجم إلاّ طلع آخر وإنّهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام وإنّ لهم بنا رحماً ماسّة وقرابة خاصّة نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها. فاربع أبا العبّاس رحمك الله فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر فإنا شريكان في ذلك وكن عند صالح ظنّي بك ولا يفيلنّ رأيي فيك[٣].

تبيين: قال ابن ميثم رحمه الله: روي أنّ ابن عبّاس كان قد أضرّ ببني تميم حين ولي أمر

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٤٤ خ ٢٧١.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦١٢ خ ٣٠٤.
(٣) نهج البلاغة، ص ٥٠٦ خ ٢٥٦.

البصرة من قبل عليّ عليه السلام للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لأنّهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة فحمل عليهم ابن عبّاس فأقصاهم وتنكّر عليهم وعيّرهم بالجمل حتّى كان يسميهم شيعة الجمل وأنصار عسكر وهو اسم جمل عائشة وحزب الشيطان فاشتدّ ذلك على نفر من شيعة عليّ عليه السلام من بني تميم منهم حارثة بن قدامة وغيره فكتب بذلك حارثة إلى عليّ عليه السلام يشكو إليه ابن عبّاس.

فكتب عليه السلام إلى ابن عبّاس: أمّا بعد فإنّ خير النّاس عند الله غداً أعملهم بطاعته فيما عليه وله وأقواهم بالحقّ وإن كان مرّاً ألا وإنّه بالحقّ قامت السموات والأرض فيما بين العباد فلتكن سريرتك فعلاً وليكن حكمك واحداً وطريقتك مستقيمة.

واعلم أنّ البصرة مهبط إبليس ومغرس الفتن إلى آخر ما مرّ.

قوله عليه السلام: «فيما بين العباد» حال عن الحقّ أو ظرف للقيام لكونه عبارة عمّا ينفع العباد ويصير سبباً لانتظام أمورهم.

[قوله عليه السلام:] «فلتكن سريرتك فعلاً» أي لا تضمر خلاف ما تفعل ولا تخدع الناس.

قوله عليه السلام: «ومغرس الفتن» قال ابن أبي الحديد: أي موضع غرسها. ويروى بالعين المهملة وهو الموضع الّذي ينزل فيه القوم آخر الليل.

«فحادث أهلها» أي تعهدهم بالإحسان قال في النهاية: فيه: «حادثوا هذه القلوب بذكر الله» أي اجلوها واغسلوا الدرن عنها وتعاهدوها بذلك كما يحادث السيف بالصقال.

وفي الصحاح: قال الأصمعيّ: تنمّر له أي تنكّر له وتغير وأوعده لأنّ النمر لا يلقاه أبداً إلاّ متنكّراً غضبان. وتنمّروا: تشبهوا بالنمر «لم يغب لهم نجم» أي لم يمت لهم سيّد إلاّ قام آخر مقامه وقال ابن ميثم: الوغم: التِرَة والأوغام: الترات أي لم يهدر لهم دم في جاهلية ولا في إسلام يصفهم بالشجاعة والحميّة فالمضاف محذوف أي لم يسبقوا بشفاء حقد من عدوّ.

ويحتمل أن يكون المعنى أنّهم لم يسبقهم أحد إلى الترات والأحقاد لشرف نفوسهم بقلّة احتمالهم للأذى وذلك لأنّ المهين الحقير في نفسه لا يكاد يغضب ويحقد بما يفعل به من الأذى وإن غضب في الحال إلاّ أنّه لا يدوم ذلك الغضب ولا يصير حقداً أو لم يسبقهم أحد ولم يغلب عليهم بالقهر والبطش.

وفي وصفهم بذلك إشارة إلى وجه المصلحة في الإحسان إليهم مع نوع من المدح والاستمالة والرحم الماسّة لاتصالهم عند إلياس بن مضر.

وقال ابن أبي الحديد: «مأزورون» أصله موزورون ولكنّه جاء بالهمزة لتحاذي بها همزة «مأجورون».

قوله عليه السلام: «فاربع» أي توقّف وتثبّت فيما تفعل والمراد بالشرّ الضرر لا الظلم وإن احتمله. قوله عليه السلام: «فإنا شريكان» هو كالتعليل لحسن أمره له بالتثبت لأنّه لمّا كان والياً من

قبله فكلّ حسنة أو سيّئة يحدثها في ولايته فله عليه السلام شركة في إحداثها إذ هو السبب البعيد. وأبو العباس كنية ابن عبّاس. وقال الجوهريّ: فال الرّأي يفيل فيولة: [ضعف وأخطأ] ورجل فال [وفائل] أي ضعيف الرّأي مخطئ الفراسة.

٧٠٠ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى [عبد الله] ابن عبّاس وكان ابن عبّاس يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام: أمّا بعد فإنّ المرء قد يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً وليكن همك فيما بعد الموت[1].

بيان: أوّل الكلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[2].

والدرك محركة: لحاق الشيء والوصول إليه بعد طلبه. واسم «لم يكن» ضمير «المرء» والغرض عدم الإكثار في الفرح بالنّعم بحيث يؤدّي إلى الاغترار بالدنيا والغفلة عن العقبى وعدم الحزن المفرط في المصيبة بحيث يفضي إلى عدم الرضا بالقضاء وترك ما يجب أو يستحبّ فعله. قوله عليه السلام: «بما نلت من آخرتك» أي من أسباب آخرتك والطاعات الّتي توجب حصول الدرجات الأخروية «ولا تأس» أي لا تحزن.

٧٠١ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة:

وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم ورفعت السّيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم فإن خطت بكم الأمور المردية وسفه الآراء الجائرة إلى منابذتي وخلافي فها أنا ذا قد قربت جيادي ورحلت ركابي وإن ألجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا تكون يوم الجمل إليها إلاّ كلعقة لاعق. مع أنّي عارف لذي الطاعة منكم فضله ولذي النصيحة حقّه غير متجاوز مُتّهماً إلى بريء ولا ناكثاً إلى وفيّ[3].

إيضاح: الحبل: العهد والميثاق والأمان وكلّ ما يتوصّل به إلى شيء وانتشاره كناية عن تشتّت الآراء أو عدم الثبات على العهود وقيل: أي نشركم حبل الجماعة.

قال الجوهريّ: غَبِيت عن الشيء وغَبِيته أيضاً أغبى غباوةً إذا لم يفطن له وغبي عليّ الشيء كذلك إذا لم تعرفه.

قوله عليه السلام: «وقبلت من مقبلكم» أي الّذي لم يفرّ وجاء معتذراً.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٠٩ خ ٢٦٠.
(٢) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢-٢٣.
(٣) نهج البلاغة، ص ٥٢٤ خ ٢٦٧.

وقال ابن أبي الحديد: خطا فلان خطوة يخطو وهو مقدار ما بين القدمين فهذا لازم فإن عدّيته قلت: أخطيت بفلان وخطوت به وقد عداه عليه السلام بالباء أقول: المعنى إن ذهبت بكم الأمور المهلكة. والسّفه محركة: خفة الحلم.

«والآراء» في بعض النسخ على زنة آجال على القلب وفي بعضها على الأصل. والجور: العدول عن القصد. وقال الجوهريّ: جاد الفرس أي صار رائعاً يجود جودة بالضّم فهو جواد للذكر والأنثى من خيل جياد وأجياد وأجاويد.

والركاب: الإبل الّتي يركب عليها والواحدة راحلة ورحلت البعير أرحله رحلاً إذا شددت على ظهره الرحل وهو أصغر من القتب وفي بعض النسخ بالتشديد.

وأوقعت بهم أي بالغت في قتالهم والوقعة بالحرب: الصدمة بعد الصّدمة قوله: «إلاّ كلعقة لاعق» قال ابن أبي الحديد: هو مثل يضرب للشيء الحقير التافه وروي بضم اللّام وهي ما تأخذه الملعقة. وفي النهاية لعق الأصابع والصحْفَة: لطع ما عليها من أثر الطعام. قوله عليه السلام غير متجاوز متهماً أي لا أجاوز في العقوبة من المتهم أي الّذي ثبت عليه الذنب إلى بريء بأن لا أعاقبه وأعاقب البريء «والناكث» من نقض البيعة «والوفيّ» من وفى بها وإنّما قال عليه السلام ذلك لئلا ينفروا عنه يأساً من عدله ورأفته.

٧٠٢ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العبّاس وهو عامله على مكة: أمّا بعد فأقم للناس الحجّ وذكّرهم بأيام الله واجلس لهم العصرين فافتِ المستفتي وعلّم الجاهل وذاكر العالم. ولا يكن لك إلى النّاس سفيرٌ إلاّ لسانك ولا حاجبٌ إلاّ وجهك ولا تحجبنّ ذا حاجةٍ عن لقائك بها فإنّها إن ذيدت عن أبوابك في أوّل وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها.

وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع المفاقر والخلات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا ومر أهل مكّة أن لا يأخذوا من ساكن أجراً فإن الله سبحانه يقول: ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ فالعاكف المقيم به والبادي الّذي يحجّ إليه من غير أهله وفّقنا الله وإياكم لمحابّه والسلام[1].

بيان: [قوله عليه السلام]: «بأيام الله» أي إنعامه وأيّام انتقامه روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

«واجلس لهم العصرين» قال ابن ميثم: لكونهما أطيب الأوقات بالحجاز. وقال الجوهريّ: العصران الغداة والعشيّ ومنه سمّيت صلاة العصر وقال: السفير: الرّسول والمصلح بين القوم «إن ذيدت» أي دفعت ومنعت و«وردها»: سؤالها. والمجاعة بالفتح الجوع. وقال ابن الأثير: المفاقر: جمع فقر على غير قياس كالمشابه والملامح ويجوز أن

---

(١) أقول: دال الزمان: دار وانقلب من حال إلى حال، والدهر دول أي لا ثبات فيه ولا قرار. [النمازي].

يكون جمع مفقر. والخلة: الحاجة والمحاب: جمع المحبّة بمعنى الحبّ أي الأعمال المحبوبة.

٧٠٣ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس: أمّا بعد فإنّك لست بسابق أجلك ولا مرزوق ما ليس لك واعلم بأنّ الدهر يومان يوم لك ويوم عليك وأن الدنيا دار دول[1] فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك[2].

٧٠٤ - **نهج:** ومن وصيّة له عليه السلام لعبد الله بن العبّاس عند استخلافه إيّاه على البصرة: سع النّاس بوجهك ومجلسك وحكمك وإيّاك والغضب فإنّه طيرة من الشيطان واعلم أنّ ما قربك من الله يباعدك من النّار وما باعدك من الله يقرّبك من النار[3].

بيان: سع الناس: أي لا تخصّ بعض النّاس بشيء من ذلك بل ساوهم فيها «ومجلسك» أي تقرّبهم منك في المجلس «طيرة من الشيطان» في بعض النسخ بفتح الطاء وسكون الياء وفي بعضها بكسر الطاء وفتح الياء. وقال الجوهريّ في فلان طيرة وطيرورة أي خفّة وطيش. والطيرة مثال العتبة وهو ما يتشأم به من الفال الرديء انتهى.

والأوّل هنا أظهر وعلى الثاني فيمكن أن يكون المراد أنّ ذلك فال رديء ناشئ من الشيطان يدلّ على أنّ صاحبه بعيد من رحمة الله.

٧٠٥ - **نهج:** [و] من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العبّاس: أمّا بعد فإنّي كنت أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي وأداء الأمانة إليّ فلمّا رأيت الزّمان على ابن عمّك قد كلب والعدوّ قد حرب وأمانة النّاس قد خزيت وهذه الأمّة قد فتكت وشغرت قلبت لابن عمّك ظهر المجنّ ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخُنته مع الخائنين فلا ابن عمّك آسيت ولا الأمانة أدّيت وكأنّك لم تكن الله تريد بجهادك وكأنّك لم تكن على بيّنة من ربّك وكأنّك إنّما كنت تكيد هذه الأمّة عن دنياهم وتنوي غرّتهم عن فيئهم فلمّا أمكنتك الشدّة في خيانة الأمّة أسرعت الكرة وعاجلت الوثبة فاختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثّم من أخذه كأنك لا أباً لغيرك حدرت على أهلك تراثك من أبيك وأمّك.

فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد؟ أوما تخاف من نقاش الحساب؟ أيّها المعدود كان عندنا من ذوي الألباب كيف تسيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنّك تأكل حراماً وتشرب حراماً؟ وتبتاع الإماء وتنكح النّساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الّذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦١٣ خ ٣٠٥.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦١٩ خ ٣١٠.
(٣) نهج البلاغة، ص ٦٢٢ خ ٣١٤.

فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم فإنّك إن لم تفعل ثمّ أمكنني الله منك لأعذرنّ إلى الله فيك ولأضربنّك بسيفي الّذي ما ضربت به أحداً إلاّ دخل النار. ووالله لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل فعلك الّذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا منّي بإرادة حتّى آخذ الحقّ منهما وأزيح الباطل عن مظلمتهما. وأقسم بالله ربّ العالمين ما يسرّني أنّ ما أخذته من أموالهم حلال لي أتركه ميراثاً لمن بعدي.

فضحّ رويداً فكأنك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك أعمالك بالمحلّ الّذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنى المضيع الرّجعة فيه ولات حين مناص[1].

إيضاح: قال ابن أبي الحديد: قد اختلف النّاس في المكتوب إليه هذا الكتاب فقال الأكثرون إنّه عبد الله بن العبّاس رضي الله عنه ورووا في ذلك روايات واستدلّوا عليه بألفاظ من ألفاظ الكتاب كقوله: «أشركتك في أمانتي وجعلتك بطانتي وشعاري وإنّه لم يكن في أهلي رجل أوثق منك».

وقوله: «على ابن عمّك قد كلب» ثمّ قال ثانياً «قلبت لابن عمّك ظهر المجن» ثمّ قال ثالثاً «فلا ابن عمّك آسيت» وقوله: «لا أباً لغيرك» وهذه كلمة لا تقال إلاّ لمثله فأمّا غيره من أفناء النّاس فإنّ عليّاً عليه السلام كان يقول له لا أباً لك. وقوله أيّها المعدود كان عندنا من أولي الألباب. وقوله «والله لو أنّ الحسن والحسين عليهما السلام» وهذا يدلّ على أنّ المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجري مجراهما عنده.

وقد روى أرباب هذا القول أنّ عبد الله بن عبّاس كتب إلى عليّ عليه السلام جواباً عن هذا الكتاب قالوا: وكان جوابه: أمّا بعد فقد أتاني كتابك تعظّم عليّ ما أصبت من بيت مال البصرة ولعمري إنّ حقي في بيت المال لأكثر ممّا أخذت والسلام.

قالوا فكتب إليه عليّ عليه السلام: أمّا بعد فإنّ من العجب أن تزيّن لك نفسك أنّ لك في بيت مال المسلمين من الحقّ أكثر ممّا لرجل من المسلمين فقد أفلحت إن كان تمنّيك الباطل وادّعاؤك ما لا يكون ينجيك من المأثم ويحلّ لك المحرّم إنّك لأنت المهتدي السّعيد إذاً.

وقد بلغني أنّك اتّخذت مكّة وطناً وضربت بها عطناً تشتري بها مولّدات مكّة والمدينة والطائف تختارهنّ على عينك وتعطي فيهنّ مال غيرك. فارجع هداك الله إلى رشدك وتب إلى الله ربّك واخرج إلى المسلمين من أموالهم فعمّا قليل تفارق من ألفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الأرض غير موسّد ولا ممهّد قد فارقت الأحباب وسكنت التراب وواجهت الحساب غنيّاً عمّا خلفت فقيراً إلى ما قدّمت والسلام.

قالوا فكتب إليه عبد الله بن عبّاس: أمّا بعد فإنّك قد أكثرت عليّ ووالله لأن ألقى الله قد

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٢ خ ٢٧٩.

احتويت على كنوز الأرض كلّها من ذهبها وعقيانها ولجينها أحبّ إليّ من أن ألقاه بدم امرئ مسلم والسّلام. وقال آخرون وهم الأقلّون: هذا لم يكن ولا فارق عبد الله بن عبّاس عليّاً عليه السلام ولا باينه ولا خالفه ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل عليّ عليه السلام.

قالوا: ويدلّ على ذلك ما رواه أبو الفرج عليّ بن الحسين الإصبهانيّ من كتابه الّذي كتبه إلى معاوية من البصرة لمّا قتل عليّ عليه السلام وقد ذكرناه من قبل.

قالوا: وكيف يكون ذلك ولم يختدعه معاوية ويجرّه إلى جهته فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام واستمالهم إليه بالأموال فمالوا وتركوا أمير المؤمنين عليه السلام فما باله وقد علم النبوة الّتي حدثت بينهما لم يستمل ابن عبّاس ولا اجتذبه إلى نفسه وكلّ من قرأ السّير وعرف التواريخ يعرف مشاقة ابن عبّاس لمعاوية بعد وفاة عليّ عليه السلام وما كان يلقاه به من قوارع الكلام وشديد الخصام وما كان يثني به على أمير المؤمنين ويذكر خصائصه وفضائله ويصدع به من مناقبه ومآثره فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان به الأمر كذلك بل كانت الحال تكون بالضدّ ممّا اشتهر من أمرهما وهذا عندي هو الأمثل والأصوب.

وقد قال الراونديّ المكتوب إليه هذا الكتاب هو عبيد الله بن العبّاس لاعبدالله وليس ذلك بصحيح فإن عبيد الله كان عامل عليّ عليه السلام على اليمن وقد ذكرنا قصّته مع بُسر بن أرطأة فيما تقدّم ولم ينقل عنه أنّه أخذ مالاً ولا فارق طاعة.

وقد أشكل عليّ أمر هذا الكتاب فإن أنا كذّبت النقل وقلت هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام خالفت الرّواة فإنّهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه وقد ذكر في أكثر كتب السيرة وإنّ صرفته إلى عبد الله بن العبّاس صدّني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين في حياته وبعد وفاته وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام والكلام يشعر بأن الرّجل المخاطب من أهله ومن بني عمّه فأنا في هذا الموضع من المتوقفين. انتهى.

وقال ابن ميثم: هذا مجرّد استبعاد ومعلوم أنّ ابن عبّاس لم يكن معصوماً وعلي عليه السلام لم يكن ليراقب في الحقّ أحداً ولو كان أعزّ أولاده بل يجب أن تكون الغلظة على الأقرباء في هذا الأمر أشدّ ثمّ إنّ غِلظَة عليّ وعتابه لا يوجب مفارقته إيّاه. ولنرجع إلى الشرح.

قوله عليه السلام: «كنت أشركتك في أمانتي» أي جعلتك شريكاً في الخلافة الّتي ائتمنني الله عليها والأمانة الثانية ما تعارفه الناس. وقال [ابن الأثير] في النهاية: بطانة الرجل: صاحب سرّه وداخلة أمره الّذي يشاوره في أحواله.

«والمواساة»: المشاركة والمساهمة وأصله الهمزة قلبت تخفيفاً والموازرة: المشاركة في حمل الأثقال والمعاونة في إمضاء الأمور.

وقال في [حرب وكلب من] النهاية: في حديث عليّ عليه السلام كتب إلى ابن عبّاس حين أخذ

مال البصرة: «فلما رأيت الزمان على ابن عمّك قد كلب» أي اشتدّ يقال: كلب الدهر على أهله إذا ألح عليهم واشتد وقال: «والعدوّ قد حرب» أي غضب يقال منه: حرب يحرب حرباً بالتحريك. انتهى.

«قد خزيت» أي هانت وذلّت، والمراد عدم اهتمام النّاس بحفظها. وقال الجوهريّ: الفتك أن يأتي الرّجل صاحبه وهو غارّ حتّى يشدّ عليه فيقتله وقد فتك به يفتِك ويفتُك [على زنة يضرب وينصر] والفاتك: الجريء. وقال: شغر البلد أي خلا من النّاس وفي القاموس: شغرت الأرض لم يبق أحد يحميها ويضبطها. والشغر: البعد والتفرقة.

وقال ابن أبي الحديد: أي خلت من الخير.

وقال في قوله عليه السلام: «قلبت لابن عمك» أي كنت معه فصرت عليه وأصل ذلك أنّ الجيش إذا لقوا العدوّ كانت ظهور مجانّهم إلى وجه العدوّ وبطونها إلى عسكرهم فإذا فارقوا رئيسهم عكسوا. [قوله عليه السلام:] «على بيّنة من ربك» أي لم يكن إيمانك عن حجّة وبرهان. وقال الجوهريّ شيء شديد: بيّن الشدّة والشدّة بالفتح الحملة الواحدة وقد شدّ عليه في الحرب انتهى.

«والكرة» الحملة والعود إلى القتال. وقال في النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: «اختطاف الذئب الأزل» الأزل في الأصل الصغير العجز وهو في صفات الذئب الخفيف وقيل هو من قولهم زلّ زليلاً إذا عدى وخصّ الدامية لأنّ من طبع الذئب محبّة الدم حتّى أنّه يرى ذئباً دامياً فيثب عليه ليأكله.

وفي الصحاح المعز من الغنم خلاف الضأن وهو اسم جنس وكذلك المعزى.

قوله: «رحيب الصدر» أي واسعه طيّب النفس. وقال الجوهريّ: الإثم: الذنب وتأثم أي تحرج عنه وكف. وقال: حدرت السفينة أي أرسلتها إلى أسفل. انتهى.

وأما قوله عليه السلام: «لا أباً لغيرك» فقال في النهاية: لا أباً لك أكثر ما يستعمل في معرض المدح أي لا كافي لك غير نفسك وقد يذكر في معرض الذمّ كما يقال: لا أمّ لك وقد يذكر في معرض التعجب دفعاً للعين انتهى.

فعلى الأوّل يكون «لا أباً لغيرك» ذمّاً له بمدح غيره وعلى الثاني مدحاً له وتلطّفاً مع إشعار بالذم وعلى الثالث يكون إبعاداً عن التعجّب من سوء فعله تلطفاً أو ذماً له بالتعجب من حسن فعل غيره دون فعله. والأنسب بالمقام أن يكون الغرض لا أباً لك للذم فعبّر هكذا لنوع ملاطفة وقد يقال مثله في الفارسيّة يقال إن مات عدوّك والغرض إن مت.

وفي النهاية فيه: «من نوقش في الحساب عذب» أي من استقصي في محاسبته وحوقق ومنه حديث عليّ عليه السلام [«يوم يجمع الله الأوّلين والآخرين لنقاش] الحساب» وهو مصدر منه وأصله المناقشة من نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه.

قوله عليه السلام: «أيها المعدود كان عندنا» أدخل عليه السلام لفظة «كان» تنبيهاً على أنّه لم يبق كذلك فإن الظاهر من المعدود المعدود في الحال.

وقيل لعله عليه السلام لم يقل يا من كان عندنا من ذوي الألباب إشعاراً بأنّه معدود في الحال أيضاً عند النّاس منهم وفي التعبير بالمعدود إشعار بأنّه لم يكن قبل ذلك أيضاً منهم.

وفي الصّحاح مكّنه الله من الشيء وأمكنه منه بمعنى. وفي القاموس. «أعذر» أبدى عذراً وأحدث وثبت له عذر وبالغ وفي النهاية: الهوادة الرخصة والسكون والمحاباة وفي الصحاح: الهوادة: الصلح والميل قوله عليه السلام: «بإرادة» أي بمراد. وقال الجوهريّ زاح أي ذهب وبعد وأزاحه غيره. وقال: الظلامة والمظلمة: ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك وقال الزمخشريّ في المستقصى: ضحّ رويداً أي ترفق في الأمر ولا تعجل وأصله أنّ الأعراب في باديتها تسير بالظعن فإذا عثرت على لُمَع من العشب قالت ذلك وغرضها أن ترعى الإبل الضحاء قليلاً قليلاً وهي سائرة حتّى إذا بلغت مقصدها شبعت فلما كان من التّرفّق في هذا توسعوا فقالوا في كلّ موضع ضحّ بمعنى أرفق والأصل ذاك وقال الجوهريّ قوله تعالى: ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قال الأخفش: شبّهوا «لات» بليس وأضمروا فيها اسم الفاعل وقال: لا تكون «لات» إلاّ مع «حين» وقد جاء حذف حين في الشعر وقرأ بعضهم «ولات حين مناص» برفع «حين» وأضمر الخبر قال أبو عبيد: «هي لا والتاء إنّما زيدت في حين وكذلك في تلان واوان» وإن كتبت مفردة. وقال المورّج: زيدت التاء في «لات» كما زيدت في ثمت وربت.

٧٠٦ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبديّ وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله: أمّا بعد فإنّ صلاح أبيك غرّني منك وظننت أنّك تتبع هديه وتسلك سبيله فإذا أنت فيما رقّي إليّ عنك لا تدع لهواك انقياداً ولا تبقي لآخرتك عتاداً. أتعمر دنياك بخراب آخرتك؟ وتصل عشيرتك بقطيعة دينك؟ ولئن كان ما بلغني عنك حقّاً لجمل أهلك وشسع نعلك خيرٌ منك [و] من كان بصفتك فليس بأهل أن يسدّ به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى به قدر أو يشرك في أمانة أو يؤمن على جباية فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله.

[قال الشريف الرضيّ] والمنذر بن الجارود هو الّذي قال فيه أمير المؤمنين: إنّه لَنظارٌ في عِطفَيه مختالٌ في برْدَيه تفّالٌ في شراكيه(١).

إيضاح: الهدي بالفتح: السيرة الحسنة: «فيما رقّي» بالتشديد أي فيما رفع إليّ وأصله أن يكون الإنسان في موضع عال فيرقى إليه شيء وكأنّ العلوّ هاهنا هو علو الرتبة بين الإمام والأمير نحو قولهم تعال باعتبار علو رتبة الآمر على المأمور.

كذا ذكره ابن أبي الحديد وقال اللام في [قوله عليه السلام:] «لهواك» متعلق بمحذوف دلّ عليه

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦١٨ خ ٣٠٩.

«انقياداً» لأنّ المتعلق من حروف الجرّ بالمصدر لا يجوز أن يتقدم على المصدر. والعتاد: العدّة. وقال: العرب تضرب المثل بالجمل في الهوان.

وقال ابن ميثم: جمل الأهل ممّا يتمثّل به في الهوان وأصله فيما قيل أنّ الجمل يكون لأبي القبيلة فيصير ميراثاً لهم يسوقه كلّ منهم ويصرفه في حاجته فهو ذليل حقير بينهم.

«وشسع نعلك» قال الجوهريّ: هي الّتي تشدّ إلى زمامها. وقال ابن أبي الحديد: المثل بها في الاستهانة مشهور لابتذالها ووطئها الأقدام في التراب.

[قوله عليه السلام:] «أو يشرك في أمانة» قال ابن ميثم: الخلفاء أمناء الله في بلاده فمن ولّوه من قبلهم فقد أشركوه في أمانتهم. [قوله عليه السلام]: «أو يؤمن على جباية» قال ابن أبي الحديد: أي على استجباء الخراج وجمعه وهذه الرواية الّتي سمعناها ومن النّاس من يرويها «خيانة» بالخاء المعجمة والنون وهكذا رواها القطب الراونديّ ولم يرو الرواية الصحيحة الّتي ذكرناها نحن وقال: «على» تكون متعلّقة بمحذوف أو بيؤمن نفسها وهذا بعيد وتكلف.

وقال ابن ميثم: «أي تؤمن حال خيانتك لأنّ كلمة «على» تفيد الحال» انتهى.

وأقول: يمكن أن يقدّر فيه مضاف أي على إزالة خيانة أو يراد بالخيانة المال الّذي هو بمعرضها. [قوله عليه السلام:] «النظار في عطفيه» أي ينظر كثيراً في جانبيه تارة هكذا وتارة هكذا لإصلاح ثوبه أو إعجابه بنفسه.

وقال ابن أبي الحديد: الشراك: السير الّذي يكون في النعل على ظهر القدم. والتفل بالسكون مصدر تفل أي بصق. والتفل محركة: البصاق نفسه، والمختال إنّما يفعله في شراكيه ليذهب عنهما الغبار والوسخ يتفل فيهما فيمسحهما ليعودا كالجديدين.

وقال ابن الأثير: التفل نفخ معه أدنى بزاق وهو أكثر من النفث.

٧٠٧ - **نهج**: [و] من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمدانيّ: وتمسّك بحبل القرآن وانتصحه وأحلّ حلاله وحرم حرامه وصدّق بما سلف من الحقّ واعتبر بما مضى من الدّنيا ما بقي منها فإن بعضها يشبه بعضاً وآخرها لاحق بأوّلها وكلها حائل مفارق.

وعظّم اسم الله أن لا تذكره إلاّ على حقّ وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت ولا تتمن الموت إلاّ بشرط وثيق. واحذر كلّ عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكره لعامّة المسلمين واحذر كلّ عمل يعمل به في السرّ ويستحيى منه في العلانية واحذر كلّ عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره أو اعتذر منه ولا تجعل عرضك غَرَضاً لنبال القول.

ولا تحدّث النّاس بكلّ ما سمعت فكفى بذلك كذباً، ولا تردّ على النّاس كلّ ما حدّثوك به فكفى بذلك جهلاً. واكظم الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند القدرة واصفح مع الدّولة تكن لك العاقبة واستصلح كلّ نعمة أنعمها الله عليك ولا تضيعنّ نعمة من نعم الله عندك ولُيَر عليك أثر ما أنعم الله به عليك. واعلم أنّ أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله

فإنّك ما تقدّم من خير يبق لك ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره واحذر صحابة من يفيل رأيه وينكر عمله فإنّ الصاحب معتبر بصاحبه. واسكن الأمصار العظام فإنّها جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلّة الأعوان على طاعة الله. واقصر رأيك على ما يعنيك وإيّاك ومقاعد الأسواق فإنّها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن.

وأكثر أن تنظر إلى من فُضّلت عليه فإن ذلك من أبواب الشكر ولا تسافر في يوم جمعة حتّى تشهد الصّلاة إلاّ فاصلاً في سبيل الله أو في أمر تعذر به وأطع الله في جمل أمورك فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها. وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها إلاّ ما كان مكتوباً عليك من الفريضة فإنّه لا بدّ من قضائها وتعاهدها عند محلها. وإياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربّك في طلب الدنيا. وإياك ومصاحبة الفساق فإن الشرّ بالشر ملحق. ووقر الله وأحبب أحبّاءه واحذر الغضب فإنّه جند عظيم من جنود إبليس والسلام[1].

إيضاح: [قوله عليه السلام]: «بحبل القرآن» لعلّ الإضافة بيانيّة كما قال صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض «وانتصحه» أي عدّه لك ناصحاً فيما أمرك به ونهاك عنه «وأحلّ حلاله» أي اعتقده كذلك واعمل به «وصدّق بما سلف» أي صدّق بما تضمّنه القرآن من أيّام الله ومثلاته في الأيّام السالفة والنبيين والمرسلين وما جاؤا به أو بما ظهر لك من حقيته من الأمور السّالفة من ابتداء العالم وحدوثه وبعث النبيّين وأحوالهم وغيرها سواء ظهر من الكتاب أو السنّة أو البرهان العقلي «وكلها حائل» أي متغير «إلاّ على حقّ» أي على حقّ عظيم معتدّ به من الأموال أو مطلقاً مالاً أو غيره أو الغرض عدم الحلف على الباطل «ولا تتمن الموت» أي لا تطلبه إلاّ مقروناً ومشروطاً بأن يكون صلاحك فيه وتدخل الجنّة بعده وتكون مغفوراً مبروراً وقال ابن أبي الحديد: أي إلا وأنت واثق من أعمالك الصّالحة أنّها تؤدّيك إلى الجنّة وتنقذك من النّار وهذا معنى قوله تعالى لليهود: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[2]. انتهى وأقول: على هذا لعلّه يرجع إلى النهي عن تمني الموت مطلقاً فإن ذلك الوثوق ممّا لا يكاد يحصل لأحد سوى الأنبياء والأئمة عليهم السلام. «ولا تجعل عرضك غرضاً» أي اتّق مواضع التهم. والغرض: الهدف. والنبل: السهام العربية ولا واحد له من لفظه. والنبال جمع الجمع. والصفح مع الدولة: العفو عند الغلبة على الخصم «واستصلح كلّ نعمة» أي استدم نعم الله تعالى بشكرها وتضييعها بترك الشكر أو بصرفها في غير مصارفها المشروعة. ورؤية أثر النعمة باستعمالها كلبس الفاخر من الثياب وإطعام الطعام. والتقدمة من النفس: بذلها في الجهاد وإتعابها وإذابتها بالصيام والقيام، ومن الأهل ببعث الأولاد والعشيرة إلى الجهاد

(١) نهج البلاغة، ص ٦١٧ خ ٣٠٨.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٩٤-٩٥.

وعدم المبالاة بما أصابهم في سبيل الله والرضا بقضاء الله في مصائبهم، ومن المال بإنفاقه في طاعة الله.

[وقوله عليه السلام:] «فإنك ما تقدم» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1] وقال الجوهريّ: فال رأيه: ضعف ورجل فال أي ضعيف الرّأي مخطئ الفراسة.

[قوله عليه السلام:] «فإنّ الصاحب معتبر» قال ابن ميثم فإنّك تقاس بصاحبك وينسب فعلك إلى فعله ولأن الطبع مع الصحبة أطوع للفعل منه للقول فلو صحبته لشابه فعلك فعله.

وفي القاموس: صحبه كسمعه صحابة ويكسر. وفي الصحاح: الجماع: ما جمع شيئاً يقال: الخمر جماع الإثم.

«واحذر منازل الغفلة» كالقرى والبوادي وكلّ منزل يكون أهله غافلين عن الله جافين لأوليائه باعدين عن الآداب الحسنة غير معينين على طاعة الله «على ما يعنيك» أي يهمّك.

والمعاريض: جمع معرض بفتح الميم أو كسرها وهو محل عروض الشيء وظهوره قال الجوهريّ: المعرض: ثياب تحلّى فيها الجواري. «إلاّ فاصلاً» أي شاخصاً قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾. «أو في أمر تُعذَر به» أي لضرورة تكون عذراً شرعاً.

[قوله عليه السلام:] «في جمل أمورك» أي في جملتها وكلها «وخادع نفسك» أي بأخذ عفوها ونشاطها وترغيبها إلى العبادة بذكر الوعد والوعيد وصحبة العباد والنظر إلى أطوارهم الحسنة من غير قهر وجبر حتّى يملّ ويضجر بل بأن يتلطّف لها ولا يحملها فوق طاقتها وقال الجوهريّ: عفو المال: ما يفضل عن النفقة. «فإن الشرّ بالشرّ» لعلّ المراد بالشرّ الثاني صحبة الفاسق وبالأول سوء العاقبة أو بالأول ما تكتسبه النفس من تلك المصاحبة وقيل الشرّ يقوى بالشر كالنّار تقوى بالنار فمخالطتهم جاذبة لك إلى مساعدتهم وفي بعض النسخ «ملحق» بصيغة اسم الفاعل أي يلحقك الشرّ بالشرّ.

٧٠٨ - **نهج**: ومن كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان: أمّا بعد فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل فليكن أمر النّاس عندك في الحقّ سواء فإنّه ليس في الجور عِوَضٌ من العدل فاجتنب ما تنكر أمثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجياً ثوابه ومتخوفاً عقابه. واعلم أنّ الدنيا دار بليّة لم يفرغ صاحبها قطّ فيها ساعة إلاّ كانت فَرْغَتُه عليه حسرة يوم القيامة وأنّه لن يغنيك عن الحقّ شيء أبداً. ومن الحقّ عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك فإنّ الّذي يصل إليك من ذلك أفضل من الّذي يصل بك والسّلام[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٠.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٠١ خ ٢٩٧.

بيان: قوله عليه السلام : «إذا اختلف هواه» كما إذا لم يكن الخصمان عنده سواء بل كان هواه وميله إلى أحدهما أكثر ظلم وجار. [قوله عليه السلام :] «ما تنكر أمثاله» أي إذا فعله غيرك.

وابتذال الثوب وغيره امتهانه قاله الجوهريّ وقال: البلية والبلاء والبلوى واحد والفرغة المرّة من الفراغ وقال الجوهريّ: احتسبت عليه كذا إذا أنكرت عليه. قاله ابن دريد. «فإنّ الّذي يصل إليك» أي النفع الّذي يصل إلى نفسك من الثواب أفضل من الّذي يصل إلى رعيّتك بسببك وهو عدلك وإحسانك.

٧٠٩ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس عامل آذربيجان: وإنّ عملك ليس لك بطعمة ولكنّه في عُنقك أمانة وأنت مسترعى لمن فوقك. ليس لك أن تفتات في رعيّة ولا تخاطر إلاّ بوثيقة وفي يديك مال من مال الله عزّوجلّ وأنت من خزّاني حتّى تسلمه إليّ ولعلّي أن لا أكون شر ولاتك لك والسّلام[1].

بيان: قال ابن ميثم رحمه الله وغيره: روي عن الشّعبيّ أنه عليه السلام لمّا قدم الكوفة وكان الأشعث بن قيس على ثغر آذربيجان من قبل عثمان فكتب إليه بالبيعة وطالب بمال آذربيجان مع زياد بن مرحب الهمدانيّ وصورة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس أمّا بعد فلولا هنات وهنات كنّ منك كنت المقدّم في هذا الأمر قبل النّاس ولعلّ آخر أمرك يحمل أوله وبعضها بعضاً إن اتّقيت الله عزّوجلّ وقد كان من بيعة النّاس إياي ما قد بلغك وكان طلحة والزبير أوّل من بايعني ثم نقضا بيعتي عن غير حدث وأخرجا عائشة فساروا بها إلى البصرة فصرت إليهم في المهاجرين والأنصار فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البقية واعلم أنّ عملك. إلى آخر ما مر. وكتب عُبَيد الله بن أبي رافع في شعبان سنة ستّ وثلاثين.

وروي أنّه لمّا أتاه كتابه عليه السلام دعا بثقاته وقال لهم: إنّ عليّ بن أبي طالب قد أوجسني وهو آخذي بمال آذربيجان على كلّ حال وأنا لاحق بمعاوية. فقال له أصحابه: الموت خير لك من ذلك تدع مصرك وجماعة قومك فتكون ذنباً لأهل الشام؟ فاستحيى من ذلك وبلغ قوله أهل الكوفة فكتب عليه السلام إليه كتاباً يوبّخه فيه ويأمره بالقدوم عليه وبعث حجر بن عديّ فلامه حجر على ذلك وناشده الله وقال: أتدع قومك وأهل مصرك وأمير المؤمنين وتلحق بأهل الشام. ولم يزل به حتّى أقدمه إلى الكوفة فعرض عليه عليه السلام ثقله فوجد فيها مائة ألف درهم وروي أربعمائة ألف درهم فأخذها وكان ذلك بالنخيلة فاستشفع الأشعث بالحسن والحسين عليهما السلام وبعبد الله بن جعفر فأطلق له منها ثلاثين الفاً فقال: لايكفيني فقال: لست بزائدك درهماً وأيم الله لو تركتها لكان خيراً لك وما أظنها تحلّ لك ولو تيقّنت ذلك لما بلغتها من عندي فقال الأشعث: خذ من جذعك ما أعطاك.

(١) نهج البلاغة، ص ٤٩٤ خ ٢٤٣.

وأقول: الأذربيجان اسم أعجمي غير مصروف والألف مقصورة والذال ساكنة ومنهم من يقول آذربيجان بمدّ الهمزة وضم الدال وسكون الراء.

ولعلّ المراد بالهنات - أي الأمور القبيحة - ما كان من ارتداده وموافقته لخلفاء الجور في جورهم أي لولا تلك الأمور لكنت في هذا الأمر متقدّماً على غيرك في الفضل والسابقة.

ويحتمل أن يراد بالهنات ما في قلبه من النفاق والحقد والعداوة أي لولا تلك الأمور لكان ينبغي أن تكون متقدماً على غيرك في بيعتي ومتابعتي «ولعلّ آخر أمرك» يؤيّد الأوّل أي لعلّه صدر منك في آخر الأمر أشياء تصير سبباً للتّجاوز عمّا صدر منك أوّلاً «وبعضها» أي بعض أمورك من الخيرات «يحمل بعضاً» أي سائرها من السّيئات. والبقية: الإبقاء والشفقة. وقال في النهاية: الطعمة بالضمّ شبه الرزق والطعمة بالكسر والضم: وجه الكسب يقال: هو طيّب الطعمة وخبيث الطعمة وهي بالكسر خاصّة حالة الأكل «واسترعاه» اطلب منه الرعاية أي أنت راع من قبل سلطان هو فوقك.

قوله عليه السلام: «أن تقتات» في بعض النسخ بالقاف من القوت يقال قتّه فاقتات أي رزقته فارتزق وفي بعضها بالفاء والالف من الفوت بمعنى السّبق يقال: تفوت فلان على فلان في كذا وافتات عليه إذا انفرد برأيه في التصرف فيه ولمّا ضمن معنى التغليب عدّي بـ «على». وقال ابن ميثم: بالهمزة ولعله [منه] سهو.

قوله عليه السلام: «ولاتخاطر» أي ولا أن تخاطر في شيء من الأمور إلاّ بوثيقة أي لاتقدم على أمر مخوف ممّا يتعلّق بالمال الّذي تتولاّه إلاّ بعد أن تتوثق لنفسك يقال أخذ فلان بالوثيقة في أمره أي احتاط ويقال: خاطر بنفسه أي أشفى بها على خطر.

وقال الزمخشريّ في المستقصى في قولهم «خذ من جذع ما أعطاك» هو جذع بن عمرو الغساني أتاه سبطة بن المنذر السّليحي يسأله دينارين كان بنو غسّان يؤدّونهما إتاوة في كلّ سنة من كلّ رجل إلى ملوك سليح فدخل منزله وخرج مشتملاً على سيفه فضربه به حتّى سكت ثمّ قال ذلك وامتنعت بعد غسان عن الإتاوة [والإتاوة: الخراج]. وقال الفيروزآبادي: الجذع هو ابن عمرو الغسّاني ومنه: «خذ من جذع ما أعطاك» كان غسّان تؤدي إلى ملك سليح دينارين من كلّ رجل وكان يلي ذلك سبطة بن المنذر السّليحي فجاء سبطة يسأله الدينارين فدخل جذع منزله فخرج مشتملاً بسيف فضرب به سبطة حتّى برد وقال خذ من جذع ما أعطاك. أو أعطى بعض الملوك سيفه رهناً فلم يأخذه وقال: اجعل من كذا في كذا فضربه به وقتله وقال: يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل. وفي الصحاح قال: اجعل هذا في كذا من أمّك.

٧١٠ - **نهج:** [و] من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله:

أمّا بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك وعصيت إمامك وأخزيت

أمانتك بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك فارفع إليّ حسابك واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس[1].

بيان: «وأخزيت أمانتك» أي ذللتها وأهنتها «أنك جردت الأرض» أي أخربت الضياع وأخذت حاصلها لنفسك يقال جردت الشيء كنصرت أي أقشرته وأزلت ما عليه ومنه سمّي الجراد لأنّه يجرد الأرض.

٧١١ - **نهج:** [و] من كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزوميّ وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه: أمّا بعد فإنّي قد ولّيت النعمان بن العجلان على البحرين ونزعت يدك من غير ذمّ لك ولا تثريب عليك فلقد أحسنت الولاية وأدّيت الأمانة فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متّهم ولا مأثوم فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشّام وأحببت أن تشهده معي فإنّك ممّن أستظهر به على جهاد العدوّ وإقامة عمود الدين[2].

بيان: عمر هو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله أمه أمّ سلمة.

والنعمان هو من الأنصار وقال في الاستيعاب: كان لسان الأنصار وشاعرهم والزرقي كجهني نسبة إلى زريق. والتثريب: التعيير والاستقصاء في اللوم والظّنين: المتهم. وفي القاموس: أثمه الله في كذا كمنعه ونصره: عدّه عليه إثماً فهو مأثوم. والاستظهار: الاستعانة.

٧١٢ - **نهج:** [و] من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ وهو عامله على أردشير خرة: بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وأغضبت إمامك [بَلَغني] أنّك تقسم فيء المسلمين الّذي حازته رماحهم وخيولهم وأُريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقّاً لتجدنّ بك عليّ هواناً ولتخفنّ عندي ميزاناً فلا تستهن بحق ربّك ولاتصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالاً.

ألا وإنّ حقّ من قبلنا وقبلك من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون عنه والسّلام[3].

بيان: «أردشير خرة» بضم الخاء وتشديد الراء المفتوحة كورة من كور فارس «أنك تقسم» في بعض النسخ بفتح الهمزة بدلاً من: «أمر» وفي بعضها بالكسر بتقدير حرف الاستفهام ليلائم قوله عليه السلام: «إن كنت فعلته» وقوله: «لئن كان ذلك حقاً» وقال في النهاية: اعتام الشيء يعتامه إذا اختاره. وعيمة الشيء بالكسر: خياره.

وقال ابن أبي الحديد: وروي «فيمن اعتماك» على القلب والمشهور الصحيح الأوّل والمعنى قسمة الفيء فيمن اختاروك سيّداً لهم «لتجدنّ بك» أي لك أو بسبب فعلك.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٢ خ ٢٧٨. (٢) نهج البلاغة، ص ٥٥٥ خ ٢٨٠.
(٣) نهج البلاغة، ص ٥٥٦ خ ٢٨١.

و«ميزاناً» منصوب على التميز وهو كناية عن صغر منزلته ويقال: صدرت عن الماء أي رجعت والاسم: الصدر بالتحريك خلاف الورد وفيه تشبيه للفيء بالماء الّذي تتعاوره الإبل العطاش.

٧١٣ - **نهج**: ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أنّ معاوية قد كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه: وقد عرفت أنّ معاوية كتب إليك يستزلّ لبّك ويستفل غربك فاحذره. فإنّه الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويَسْتلب غرّته وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطّاب فلتة من حديث النفس ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحقّ بها إرث والمتعلّق بها كالواغل المدفع والنّوط المذبذب.

فلمّا قرأ زياد كتابه قال: شهد بها وربّ الكعبة ولم تزل في نفسه حتّى ادّعاه معاوية.

قال السيّد [الرضي] رحمه الله قوله عليه السلام: «كالواغل المدفّع» الواغل: الّذي يهجم على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعاً محاجزاً والنّوط المذبذب هو الّذي يناط برحل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك فهو أبداً يتقلقل إذا حثّ ظهره واستعجل سيره[1].

تبيين: قال ابن أبي الحديد: أمّا زياد فهو زياد بن عبيد فمن النّاس من يقول عبيد بن فلان وينسبه إلى ثقيف والأكثرون يقولون: إنّ عبيداً كان عبداً وإنّه بقي إلى أيّام زياد فابتاعه وأعتقه ونسب زياد إلى غير أبيه لخمول أبيه وللدعوة الّتي استلحق بها فقيل تارة زياد بن سمية وهي كانت أمة للحارث بن كلدة الثقفيّ وكانت تحت عبيد وقيل تارة زياد بن أبيه وتارة زياد بن أمّه، ولمّا استلحق قال له الاكثر زياد بن أبي سفيان لأنّ النّاس مع الملوك ثمّ روى عن ابن عبد البرّ والبلاذريّ والواقديّ عن ابن عبّاس وغيره أنّ عمر بعث زياداً في إصلاح فساد وقع باليمن فلمّا رجع خطب عند عمر خطبة لم يسمع مثلها وأبو سفيان حاضر وعليّ عليه السلام وعمرو بن العاص فقال عمرو: لله أبو هذا الغلام لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان: إنّه لقرشي وإنّي لأعرف الّذي وضعه في رحم أمّه فقال عليّ عليه السلام ومن هو؟ قال: أنا فقال: مهلاً يا أبا سفيان. فقال أبو سفيان:

أمـا والله لـولا خـوف شـخـص	يـرانـي يـا عـلـيّ مـن الأعـادي
لأظـهـر أمـره صـخـر بـن حـرب	ولـم يـخـف الـمـقـالـة فـي زيـاد
وقـد طـالـت مـجـاملـتي ثـقـيـفـاً	وتـركـي فـيـهـم ثـمـر الـفـؤاد

عنى بقوله: «لولا خوف شخص» عمر بن الخطّاب وفي رواية أُخرى: قال: أتيت أمّه في الجاهلية سفاحاً فقال عليّ عليه السلام [مه] يا أبا سفيان فإن عمر إلى المساءة سريع قال: وعرف زياد ما دار بينهما فكانت في نفسه.

وفي [رواية] أُخرى قال له عمرو بن العاص: فَهلّا تستلحقه؟ قال: أخاف هذا العير

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٧ خ ٢٨٢.

الجالس أن يخرق عليّ إهابي. قال: وروى المدائنيّ أنّه لمّا كان زمن عليّ عليه السلام ولّى زياداً فارس أو بعض أعمال فارس فضبطها ضبطاً صالحاً وجبا خراجها وحماها وعرف ذلك معاوية فكتب إليه:

أمّا بعد فإنّه غرّتك قلاع تأوي إليها ليلاً كما يأوي الطير إلى وكرها وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك منّي ما قاله العبد الصالح: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جملته:

تنسى أباك وقد شالت نعامته   إذ تخطب النّاس والوالي لهم عمر

فلمّا ورد الكتاب على زياد قام فخطب النّاس وقال: العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق يتهدّدني وبيني وبينه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج سيّدة نساء العالمين وأبو السبطين وصاحب الولاء والمنزلة والإخاء في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين إليّ لوجدني أحمر مخشّاً ضراباً بالسيف ثمّ كتب إلى عليّ عليه السلام وبعث بكتاب معاوية في كتابه.

فكتب إليه عليّ عليه السلام أمّا بعد فإنّي قد وليتك ما وليتك وأنا أراك لذلك أهلاً وإنّه قد كانت من أبي سفيان فلتة في أيّام عمر من أماني التّيه وكذب النفس لم تستوجب بها ميراثاً ولم تستحقّ بها نسباً وإنّ معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذره ثمّ احذره والسّلام.

قال: وروى أبو جعفر محمّد بن حبيب رحمه الله قال: كان عليّ عليه السلام قد ولى زياداً قطعة من أعمال فارس واصطنعه لنفسه فلمّا قتل عليّ عليه السلام بقي زياد في عمله وخاف معاوية جانبه وأشفق من ممالأته الحسن بن عليّ عليه السلام فكتب إليه كتاباً يهدّده ويوعده ويدعوه إلى بيعته فأجابه زياد بكتاب أغلظ منه. فشاور معاوية في ذلك المغيرة بن شعبة فأشار عليه بأن يكتب إليه كتاباً يستعطفه فيه ويذهب المغيرة بالكتاب إليه فلمّا أتاه أرضاه وأخذ منه كتاباً يظهر فيه الطاعة بشروط فأعطاه معاوية جميع ما سأله وكتب إليه بخطّ يده ما وثق به فدخل إليه الشّام وقرّبه وأدناه وأقرّه على ولايته ثمّ استعمله على العراق.

وقال المدائني: لمّا أراد معاوية استلحاق زياد وقد قدم عليه الشّام جمع النّاس وصعد المنبر وأصعد زياداً معه على مرقاة تحت وحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها النّاس إنّي قد عرفت شبهنا أهل البيت في زياد فمن كانت عنده شهادة فليقم بها.

فقام ناس فشهدوا أنّه ابن أبي سفيان وأنّهم سمعوه أقرّ به قبل موته.

فقام أبو مريم السّلولي وكان خمّاراً في الجاهلية فقال: أشهد يا أمير المؤمنين أنّ أبا سفيان قدم علينا بالطائف فأتاني فاشتريت له لحماً وخمراً وطعاماً فلمّا أكل قال: يا أبا مريم أصب لي بغياً فخرجت فأتيت بسميّة فقلت لها إنّ أبا سفيان من قد عرفت شرفه وجوده وقد

أمرني أن أُصيب له بغياً فهل لك؟ فقال: نعم يجيء الآن عبيد بغنمه وكان راعياً فإذا تعشّى ووضع رأسه أتيته فرجعت إلى أبي سفيان فأعلمته فلم يلبث أن جاءت تجرّ ذيلها فَدَخَلت معه فلم تزل عنده حتّى أصبحت فقلت له لمّا انصرفت: كيف رأيت صاحبتك؟ فقال: خير صاحبة لولا ذَفَرٌ في إبطيها. فقال زياد من فوق المنبر: يا أبا مريم لا تشتم أمّهات الرجال فتشتم أمّك.

فلمّا انقضى كلام معاوية ومناشدته قام زياد فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها النّاس إنّ معاوية والشهود قد قالوا ما سمعتم ولست أدري حقّ هذا من باطله وهو والشهود أعلم بما قالوا وإنّما عبيد أب مبرور ووالٍ مشكور ثمّ نزل. انتهى كلام ابن أبي الحديد[1].

أقول: وإنّما أوردت تلك القصص لتعلم أنّ ما صدر من زياد وولده لعنة الله عليهما إنّما نشأ من تلك الأنساب الخبيثة وتزيد إيماناً ويقيناً بأنّه لا يبغضهم إلاّ من ولد من الزّنا كما تواتر عن أئمّة الهدى.

ولنرجع إلى شرح الكتاب قال في النهاية: الغرب: الحدة ومنه غرب السيف. والفلّ: الكسر والفلّة الثلمة في السيف ومنه حديث عليّ عليه السلام: «يستفل غربك» من الفلّ: الكسر قوله عليه السلام: «ليقتحم غفلته» أي ليلج ويهجم عليه وهو غافل جعل اقتحامه إيّاه اقتحاماً للغفلة نفسها. كذا ذكره ابن أبي الحديد وقال: ليس المراد باستلاب الغرّة أن يأخذ الغرّة لأنّه لو كان كذلك لصار ذلك الغافل لبيباً عاقلاً وإنّما المعنى ما يعنيه النّاس بقولهم: أخذ فلان غفلتي وفعل كذا أي أخذ ما يستدل به على غفلتي كذا انتهى.

وأقول: لو كان الإسناد مجازياً كما حمل عليه الفقرة الأولى لم يفد هذا المعنى لأنّه يكون حينئذ من قبيل إسناد الشيء إلى الحالة الّتي المفعول عليها كما يسند إلى الزمان والمكان فيكون المفاد: لاستلاب وقت الغرّة ولاقتحام وقت الغفلة وإنّما نسب إليهما مبالغة لبيان أنّ علّة الاستلاب والاقتحام لم يكن إلاّ الغرة والغفلة فكأنهما وقعا عليهما.

ويمكن أن يكون المفعول محذوفاً ويكون الغرة والغفلة منصوبتين بنزع الخافض أي يقتحم عليه في حال غفلته ويستلب لبّه في حال غرّته.

والفلتة الأمر الّذي يصدر فجأة من غير تدبّر وروية «ونزغ الشيطان بينهم» أفسد وعدم ثبوت النسب بها لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وفي النهاية الشرب بفتح الشين وسكون الراء: الجماعة يشربون الخمر وقال في حديث عليّ عليه السلام: «المتعلّق بها كالنوط المذبذب» أراد ما يناط برحل الراكب من قعب أو غيره فهو أبداً يتحرّك إذا حثّ ظهره أي دابّته.

وقال في المستقصى: شالت نعامتهم أي تفرّقوا وذهبوا لأنّ النعامة موصوفة بالخفّة

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٦ ص ٣٢٣.

وسرعة الذهاب والهرب. وقيل: النعامة: جماعة القوم. وقال الجوهريّ: النّعامة: الخشبة المعترضة على الزرنوقين ويقال للقوم إذا ارتحلوا عن منهلهم أو تفرّقوا: قد شالت نعامتهم والنّعامة ما تحت القدم.

٧١٤ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاريّ وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية بن أبي سفيان: أمّا بعد فقد بلغني أنّ رجالاً ممّن قبلك يتسلّلون إلى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيّاً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحقّ وإيضاعهم إلى العمى والجهل وإنّما هم أهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون إليها قد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا أنّ الناس عندنا في الحقّ أسوة فهربوا إلى الأثرة فَبُعداً لهم وسُحقاً إنّهم والله لم ينفروا من جَورٍ ولم يلحقوا بعدلٍ وإنّا لنطمع في هذا الأمر أن يذلّل الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه، إن شاءالله والسّلام عليك[1].

بيان: [قوله:] «في معنى قوم» أي في شأنهم وأمرهم «يتسلّلون» أي يخرجون إلى معاوية هاربين في خفية واستتار قال الفيروزآبادي: انسلّ وتسلّل انطلق في استخفاء. وقال الجوهريّ: انسلّ من بينهم: خرج وتسلل مثله. وقال: وضع البعير وغيره أي أسرع في سيره وأوضعه راكبه وفي النهاية: الإهطاع: الإسراع في العدو وأهطع إذا مدّ عنقه وصوّب رأسه «في الحقّ أسوة» أي لانفضّل بعضهم على بعض في العطاء كما يفعل معاوية. وفي النهاية: فيه أنّه قال للأنصار: إنّكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا. الأثرة بفتح الهمزة والثاء الاسم من آثر يؤثر إيثاراً إذا أعطى أراد أنّه يستأثر عليكم فيفضّل غيركم في نصيبه من الفيء. والاستئثار: الانفراد بالشيء. والسحق: بالضم: البعد. والحزن من الأرض ضد السهل.

٧١٥ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعيّ - وهو عامله على هيت - ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدوّ طالباً للغارة: أمّا بعد فإن تضييع المرء ما ولي وتكلّفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر وإنّ تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك الّتي ولّيناك ليس لها من يمنعها ولا يردّ الجيش عنها لرأي شعاع فقد صِرْت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر لعدو شوكة ولا مغن عن أهل مصره ولا مجز عن أميره[2].

بيان: قال ابن أبي الحديد: كان كميل من صحابة عليّ عليه السلام وشيعته وخاصّته وقتله الحجّاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة وكان عامل عليّ عليه السلام على هيت وكان ضعيفاً يمرّ عليه سرايا معاوية بنهب أطراف العراق فلا يردّها ويحاول أن يجبر ما عنده من الضعف

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦١٧ خ ٣٠٨. (٢) نهج البلاغة، ص ٦٠٣ خ ٢٩٩.

بأن يغير على أطراف أعمال معاوية مثل قرقيسيا وما يجري مجراها من القرى الّتي على الفرات فأنكر عليه السلام ذلك من فعله.

[قوله عليه السلام :] «ما ولي» على صيغة المعلوم المجرّد من وليت الأمر كرضيت ولاية إذا تولّيته واستبددت به وفي بعض النسخ على صيغة المجهول من التفعيل من قولهم: ولّيته البلد إذا جعلته والياً عليه. والتكلّف: التجشم. والتكلف: التعريض لما لا يعنيه «وكفاه مؤنته» أي قام بأمره.

[قوله عليه السلام :] «متبّر» قال في النهاية أي مهلك يقال: تبّره تتبيراً أي كسّره وأهلكه والتّبار: الهلاك. وقال: التعاطي التناول والجرأة على الشيء من عطا الشيء يعطوه إذا أخذه وتناوله. «وقرقيسيا» في النسخ بالفتح مقصوراً وفي القاموس: قرقيسياء بالكسر ويقصر: بلد على الفرات. ويقال: شعاع أي متفرّق. وشدّة المنكب كناية عن القوّة والحميّة. وهيبة الجانب [كناية] عن شدّة البطش. والثغرة: الثلمة. «ولا مجزٍ عن أميره» أي كاف ومغن والأصل مجزئ بالهمزة فخفف.

٧١٦ - **نهج:** [و] من حلفٍ كتبه عليه السلام بين اليمن وربيعة نقل من خطّ هشام بن الكلبيّ:

هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها أنّهم على كتاب الله يدعون اليه ويأمرون به ويجيبون من دعا إليه وأمر به لا يشترون به ثمناً [قليلاً «خ»] ولا يرضون به بدلاً وأنّهم يدٌ واحدةٌ على من خالف ذلك وتركه أنصار بعضهم لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوماً ولا لمسبّة قوم قوماً على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وجاهلهم ثمّ إنّ عليهم بذلك عهدالله وميثاقه إنّ عهد الله كان مسئولاً. وكتب عليّ بن أبي طالب عليه السلام (١).

بيان: قال ابن أبي الحديد: الحلف: العهد. وقال: اليمن كلّ من ولده قحطان نحو حمير وعكّ وجذام وكندة والأزد وغيرهم وربيعة هو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهم بكر وتغلب وعبد القيس. والحاضر: ساكن الحضر والبادي: ساكن البادية «أنهم على كتاب الله» أي مجتمعون عليه «لا يشترون ثمناً» أي لا يتعوّضون عنه بثمن «وأنّهم يد واحدة» أي لا تخالف بينهم وفعلهم فعل واحد. وقال الجوهريّ: عتب عليه أي وجد عليه يعتب وتعتّب عتباً ومعتباً والاسم المعتَبة والمعتِبة. «ولا لمسبّة قوم» أي لأنّ إنساناً منهم سب وهجا بعضهم والمسبّة والسب: الشتم. والحليم: العاقل بقرينة الجاهل أو ذو الأناة فإن ترك الأناة من الجهل «إن عهد الله كان مسئولا» أي مطلوباً يطلب من العاهد أن لا يضيعه ويفي به أو مسئولاً عنه يسئل الناكث ويعاتب عليه وقيل: أي إنّ صاحب العهد كان مسئولاً.

(١) نهج البلاغة، ص ٦٢٠ خ ٣١٢.

وقال ابن ميثم في رواية: وكتب عليّ بن أبو طالب وهي المشهورة عنه ووجهها أنّه جعل هذه الكنية علماً بمنزلة لفظة واحدة لا يتغيّر إعرابها.

٧١٧ - **نهج:** ومن وصيّة له صلوات الله عليه كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وإنّما ذكرنا منها جُمَلاً ليعلم أنّه عليه السلام كان يقيم عماد الحقّ ويشرع أمثلة العدل في صغير الأمور وكبيرها ودقيقها وجليلها:

انطلق على تقوى الله وحده لاشريك له ولا تروعنّ مسلماً ولاتجتازنّ عليه كارهاً ولا تأخذنّ منه أكثر من حقّ الله في ماله فإذا قدمت على الحيّ فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثمّ امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقول بينهم فتسلّم عليهم ولاتخدج بالتحيّة لهم ثمّ تقول: عباد الله أرسلني إليكم وليّ الله وخليفته لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه فإن قال قائل: لا فلا تراجعه وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّة وإن كانت له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلاّ بإذنه فإن أكثرها له فإذا أتيتها فلا تدخلها دخول متسلّط عليه ولا عنيف به، ولا تنفرن بهيمة ولا تُفْزِعَنّها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثمّ خيّره فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختار ثمّ اصدع الباقي صدعين ثمّ خيّره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختار فلا تزال كذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحقّ الله في ماله فاقبض حقّ الله منه.

فإن استقالك فأقله ثمّ اخلطهما ثمّ اصنع مثل الّذي صنعت أوّلاً حتّى تأخذ حقّ الله في ماله. ولا تأخذنّ عوداً ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تأمننّ عليها إلاّ من تثق بدينه رافقاً بمال المسلمين حتّى يوصله إلى وليّهم فيقسمه بينهم ولا توكّل بها إلاّ ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولامتعب. ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك نصيّره حيث أمر الله به.

فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يَمْصُرَ لبنها فيضرّ ذلك بولدها ولا يجهدنّها ركوباً وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه على اللاغب وليستأن بالنقب والظالع وليوردها ما تمرّ به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطرق وليروحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتّى يأتينا بها بإذن الله بُدناً منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك إن شاء الله تعالى[1].

[قوله عليه السلام:] «على تقوى الله» حال أي مواظباً على التقوى ومعتمداً عليها «ولا تروعن» بالتخفيف وفي بعض النسخ بالتشديد والروع: الخوف أو شدّته يقال: رعت فلاناً كقلت وروعته فارتاع.

(١) نهج البلاغة، ص ٥١٢ خ ٢٦٣.

قوله: «ولا تجتازن» أي لاتمرّن ببيوت المسلمين وهم يكرهون مرورك عليها.

وروي بالخاء المعجمة والراء المهملة: أي لا تقسم ماله وتختار أحد القسمين بدون رضاه. والضمير في «عليه» راجع إلى «مسلماً» والحي القبيلة ومن عادة العرب أن تكون مياههم بارزة عن بيوتهم.

قوله عليه السلام: «ولا تخدج بالتحية» الباء زائدة وفي بعض النسخ بدونها أي لا تنقصها من قولهم: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوانه «وأنعم لك» أي قال نعم قوله: «أو تعسفه» أي لا تطلب منه الصدقة عسفاً أي جبراً وظلماً وأصله الأخذ على غير الطريق وقال الجوهريّ: يقال: لا ترهقني لا أرهقك الله أي لا تعسرني ولا أعسرك الله. [قوله عليه السلام:] «من ذهب أو فضة» أي إذا وجبت عليه زكاة أحد النقدين أو حد من زكاة الغلات نقداً إذا أعطاك القيمة. والمراد بالماشية هنا: الغنم والبقر وسؤت الرّجل أي ساءه ما رأى مني. والصدع: الشقّ. والعود بالفتح: المسنّ من الإبل والهرمة أيضاً المسنّة لكنها أكبر من العود. والمكسورة الّتي انكسرت إحدى قوائمها أو ظهرها. والمهلوسة: المريضة الّتي قد هلسها المرض وأفنى لحمها والهلاس: السِلّ. والعوار بفتح العين وقد يضمّ: العيب.

قوله عليه السلام: «ولا مجحف» أي الّذي يسوق المال سوقاً عنيفاً فيجحف به أي يهلكه أو يذهب بكثير من لحمه ويحتمل أن يكون المراد من يخون فيه ويستلبه. واللغوب: التعب والاعياء ولغبت على القوم ألغب بالفتح فيهما: أفسدت عليهم. واحدره: أرسله. وأوعزت إليه في كذا وكذا أي تقدّمت والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه. والمصر: حلب ما في الضرع جمعه والفعل كنصر. والجهد: المشقّة يقال جهد دابّته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. قوله عليه السلام: «وليعدل» أي لا يخص بالركوب واحدة بعينها ليكون ذلك أروح لهنّ وقال الجوهريّ: استأنى به أي انتظر به. وقال: نقب البعير بالكسر إذا رقّت أخفافه. وقال الجزريّ: في حديث عليّ عليه السلام: «وليستأن بذات النقب والظالع» أي بذات الجرب والعرجاء. والظّلع بالسكون: العرج. والغدر جمع غدير الماء «وليروحها» أي يتركها حتّى تستريح في الأوقات المناسبة لذلك. أو من الرواح ضدّ الغدوّ أي يسيّرها في ساعات الرواح ويتركها في حرّ الشمس حتّى تستريح. والنطاف: جمع النطفة وهي الماء الصافي القليل. والبدن بالتشديد: السمان واحدها بادن والنقي: مخّ العظم وشحم العين من السّمن وأنقت الإبل أي سمنت وصار فيها نقي وكذلك غيرها ذكرها الجوهريّ.

أقول: أخرجته من الكافي في كتاب أحواله عليه السلام بتغيير ما[1].

٧١٨ - [و] رواه [أيضاً إبراهيم بن محمّد الثقفي] في كتاب الغارات عن يحيى بن صالح

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ٢٧٩ باب ٢٩٦ ح ١.

عن الوليد بن عمرو عن عبد الرحمان بن سليمان عن جعفر بن محمّد قال: بعث عليّ عليه السلام مصدّقاً من الكوفة إلى باديتها فقال: عليك يا عبد الله بتقوى الله ولا تؤثرن دنياك على آخرتك وكن حافظاً لما ائتمنتك عليه راعياً لحقّ الله حتّى تأتي نادي بني فلان فإذا قدمت عليهم فانزل بفنائهم من غير أن تخالط أبياتهم.

ثم ساق الحديث نحواً ممّا مرّ إلى قوله عليه السلام: «وأقرب لرشدك فينظر الله إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما نظر الله إلى وليّ يجهد نفسه لإمامه بالطّاعة والنصيحة إلاّ كان معنا في الرفيق الأعلى[1].

٧١٩ - **نهج**: ومن عهد له عليه السلام إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة في مثله: أمره بتقوى الله في سرائر أموره وخفيّات أعماله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه.

وأمره أن لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ ومن لم يختلف سرّه وعلانيته وفعله ومقالته فقد أدى الأمانة وأخلص العبادة وأمره أن لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضّلاً بالإمارة عليهم فإنّهم الإخوان في الدين والأعوان على استخراج الحقوق. وإنّ لك في هذه الصّدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وإنا موفّوك حقّك فوفّهم حقوقهم وإلاّ فإنّك من أكثر النّاس خصوماً يوم القيامة وبؤساً لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل. ومن استهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم ينزّه نفسه ودينه عنها فقد أحل بنفسه الذلّ والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذلّ وأخزى وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأمّة وأفظع الغشّ غشّ الأئمّة والسلام[2].

بيان: قوله عليه السلام: «حيث لا شهيد» كأنّه إشارة إلى موضع إسرار العمل وإخفاء الأمور. وقيل يعني يوم القيامة. والشهيد: الشاهد والحاضر والوكيل: من يفوّض إليه الأمور أو الشاهد والحفيظ كما فسّر به قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

[قوله عليه السلام:] «فقد أدّى الأمانة» أي أمانة الله الّتي أخذها على العباد في عبادته.

[قوله عليه السلام:] «أن لا يجبههم» قال في النهاية أي لا يواجههم بما يكرهونه وأصل الجبه لقاء الجبهة أو ضربها فلمّا كان المواجه غيره بالكلام القبيح كالضارب جبهته به سمّي ذلك جبهاً. وقال الجوهريّ: عضهه عضهاً: رماه بالبهتان وقد أعضهت أي جئت بالبهتان.

[قوله عليه السلام:] «ولا يرغب عنهم» أي عن مخالطتهم ومعاشرتهم تحقيراً لهم.

وقوله: «أهل مسكنة» منصوب بكونه صفة «للشركاء» وقيل بدل «وبؤساً» قال ابن أبي الحديد هو بؤسى على وزن فعلى والبؤس: الخضوع وشدّة الحاجة.

---

(١) الغارات، ص ٢٠٨ ح ٧٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥١٥ خ ٢٦٤.

و[المذكور في] النسخ [بؤساً] بالتنوين. وكذا صحّحه الراونديّ فيكون انتصابه على المصدر كما يقال سحقاً لك وبعداً لك ويقال: خصمه أي غلبه في الخصومة: «والسائلون» قيل المراد بهم هنا الرقاب وهم المكاتبون يتعذر عليهم مال الكتابة فيسألون وقيل: هم الأسارى. وقيل العبيد تحت الشدّة. والمدفوعون هم الّذين عناهم الله بقوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم فقراء الغزاة والمدفوع الفقير لأنّ كلّ أحد يكرهه ويدفعه عن نفسه.

وقيل هم الحجيج المنقطع بهم لأنّهم دفعوا عن إتمام حجّهم أو دفعوا عن العود إلى أهلهم.

وفي بعض النسخ: «المدقعون» بالقاف قال في القاموس: المدقع كمحسن الملصق بالدقعاء وهو التراب.

وأما سهم العاملين فقد ذكره عليه السلام بقوله: «وإنّا موفوك حقك» مع أنّ العامل لا يخاصم نفسه وأقول هذه التكلفات إنّما نحتاج إليها إذا حملنا الكلام على استيفاء الأقسام ولا ضرورة فيه فيمكن أن يكون المراد بالسائلين والمدفوعين أو المدقعين الموصوفين بتلك الصفات من أصناف المستحقّين للصدقات. ورتع كمنع أي أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة.

قوله عليه السلام: «فقد أحلّ بنفسه» قال ابن أبي الحديد: أي جعل نفسه محلاً للذل والخزي. ويروى «فقد أخلّ بنفسه» بالخاء المعجمة ولم يذكر الذلّ والخزي ومعناه جعل نفسه فقيراً يقال: خل الرّجل إذا افتقر وأخل به وبغيره أي جعله فقيراً ويروى «أحلّ بنفسه» بالحاء المهملة ولم يذكر الذلّ والخزي أي أباح دمه والرواية الأولى أصحّ لقوله عليه السلام بعدها «وهو في الآخرة أذل وأخزى» قوله عليه السلام خيانة الأمّة مصدر مضاف إلى المفعول [به] لأنّ الساعي إذا خان فقد خان الأمّة كلّها وكذا إذا غشّ في الصدقة فقد غشّ الإمام..

وجوز بعضهم أنّ يكون مضافاً إلى الفاعل فالمراد حينئذٍ أنّ إغماض الأئمّة وترك النهي عن مثل تلك الخيانة أفظع الغشّ فلا يطمع العاملون في الإغماض فيها.

أبواب الأمور والفتن الحادثة بعد الرجوع عن قتال الخوارج

٣٠ - باب الفتن الحادثة بمصر وشهادة محمّد بن أبي بكر ومالك الأشتر رضي الله عنهما وبعض فضائلهما وأحوالهما وعهود أمير المؤمنين عليه السلام إليهما

٧٢٠ - قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: روى إبراهيم بن محمّد الثقفيّ في كتاب الغارات ووافق ما رأيته في أصل كتابه روى بإسناده عن الكلبيّ أنّ محمّد بن حذيفة هو الّذي حرّض المصريين على قتل عثمان وندبهم إليه وكان حينئذٍ بمصر فلمّا ساروا إلى عثمان

وحصروه وثب هو بمصر على عامل عثمان عليها وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح فطرده عنها وصلّى بالناس فخرج ابن أبي سرح من مصر ونزل على تخوم أرض مصر ممّا يلي فلسطين وانتظر ما يكون من أمر عثمان فلمّا وصل إليه خبر قتله لحق بمعاوية.

وولى عليّ عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة مصر وقال له: صر إلى مصر فقد ولّيتكها واخرج إلى ظاهر المدينة واجمع ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتّى تأتي مصر ولك جند فإن ذلك أرعب لعدوّك وأعزّ لوليّك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن وشدّ على المريب وارفق بالعامّة والخاصّة فإن الرفق يمن.

فقال قيس: رحمك الله يا أمير المؤمنين قد فهمت ما ذكرت فأمّا الجند فإنّي أدعه لك فإذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك وإن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا لك عدّة ولكنّي أسير إلى مصر بنفسي وأهل بيتي وأمّا ما أوصيتني به من الرفق والإحسان فالله تعالى هو المستعان على ذلك. قال: فخرج قيس في سبعة نفر من أهل بيته حتّى دخل مصر فصعد المنبر وأمر بكتاب معه يقرأ على النّاس فيه: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى من بلغه كتابي من المسلمين سلام عليكم فإنّي أحمد الله إليكم الّذي لا إله إلاّ هو.

أما بعد فإن الله بحسن صنعه وقدره وتدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله وبعث به أنبياءه إلى عباده فكان ممّا أكرم الله هذه الأُمّة وخصهم به من الفضل أن بعث محمّداً صلى الله عليه وآله إليهم فعلّمهم الكتاب والحكمة والسنّة والفرائض وأدّبهم لكيما يهتدوا وجمعهم لكيما لا يتفرّقوا وزكّاهم لكيما يتطهروا فلمّا قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه فعليه صلوات الله وسلامه ورحمته ورضوانه.

ثم إنّ المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين أحييا السّيرة ولم يعدوا السنّة ثمّ توفّيا فوُلّي بعدهما من أحدث أحداثاً فوجدت الأُمّة عليه مقالاً فقالوا ثمّ نقموا عليه فغيّروا ثمّ جاؤني فبايعوني وأنا أستهدي الله للهدى وأستعينه على التقوى.

ألا وإنّ لكم علينا العمل بكتاب الله وسنّة رسوله والقيام بحقّه والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل. وقد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاريّ أميراً فوازروه وأعينوه على الحقّ وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدّة على مريبكم والرفق بعوامّكم وخواصكم وهو ممّن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصحه نسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً وثواباً جزيلاً ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وكتب عبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين.

فلما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: الحمد لله الّذي جاء بالحقّ وأمات الباطل وكبت الظالمين أيّها النّاس إنّا بايعنا خير من نعلم بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله فقوموا وبايعوا على كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله فإن نحن لم نعمل فيكم بكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فلا بيعة لنا عليكم.

فقام النّاس فبايعوا واستقامت مصر وأعمالها لقيس وبعث عليها عمّاله إلاّ أنّ قرية منها قد أعظم أهلها قتل عثمان وبها رجل من بني كنانة يقال له يزيد بن الحارث فبعث إلى قيس: إنّا لا نأتيك فابعث عمالك فالأرض أرضك ولكن أقرّنا على حالنا حتّى ننظر إلى ما يصير أمر الناس. ووثب مسلمة بن مخلد الأنصاريّ به فنعي ودعا إلى الطلب بدم عثمان فأرسل إليه قيس ويحك أعلي تثب والله ما أحبّ أنّ لي ملك الشّام ومصر وأنّي قتلتك فاحقن دمك فأرسل إليه مسلمة إنّي كافّ عنك ما دمت أنت والي مصر.

وكان قيس ذا رأي وحزم فبعث إلى الّذين اعتزلوا إنّي لا أكرهكم على البيعة ولكنّي أدعكم وأكفّ عنكم فهادنهم وهادن مسلمة بن مخلّد وجبى الخراج وليس أحد ينازعه.

قال إبراهيم: وخرج عليّ عليه السلام إلى الجمل وقيس على مصر ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه وكان أثقل خلق الله على معاوية لقرب مصر وأعمالها من الشّام فكتب معاوية إلى قيس وعلي عليه السلام يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفّين: من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد [فإنكم] إن كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها أو ضربة سوط رأيتموه ضربها أو في شتمه أو تمييزه أحداً أو في استعماله الفتيان من أهله فإنّكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أنّ دمه لم يحل لكم بذلك فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجئتم شيئاً إدّاً فتب يا قيس إلى ربّك إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تغني شيئاً وأمّا صاحبك فقد استيقنّا أنّه أغرى النّاس به وحملهم على قتله حتّى قتلوه وأنّه لم يسلم من دمه عظم قومك فإن استطعت يا قيس أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فافعل وبايعنا على عليّ في أمرنا هذا ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيت ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان وسلني من غير هذا تجب ممّا تحب فإنّك لا تسألني من شيء إلاّ أوتيته واكتب إليّ برأيك فيما كتبت إليك والسلام.

فكتب إليه [قيس] أمّا بعد فقد وصل إليّ كتابك وفهمت الّذي ذكرت من أمر عثمان وذكر أمر لم أُقاربه وذكرت أنّ صاحبي هو الّذي أغرى النّاس بعثمان ودسّهم إليه حتّى قتلوه وهذا أمر لم أطّلع عليه وذكرت لي أنّ عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري إنّ أولى النّاس كان في أمره عشيرتي. وأما ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدمه وما عرضته عليّ فقد فهمته وهذا أمر لي فيه نظرٌ وفكر وليس هذا ممّا يعجل إلى مثله وأنا كافّ عنك وليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتّى ترى ونرى إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلاّ مقارباً مباعداً ولم يأمن أن يكون مخادعاً مكايداً فكتب إليه أمّا بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدّك سلماً ولم أرك تتباعد فأعدّك حرباً أراك كخيل الحرون وليس مثلي من يصانع بالخدائع ولا يخدع بالمكائد ومعه عدد الرجال وأعنّة الخيل فإن قبلت الّذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك وإن أنت لم تفعل ملأت مصر عليك خيلاً ورجالاً والسلام.

فلما قرأ قيس كتابه وعلم أنّه لا يقبل منه المدافعة والمطاولة أظهر له ما في نفسه.

فكتب إليه من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد فالعجب من استسقاطك رأيي والطمع في أن تسومني - لا أباً لغيرك - الخروج من طاعة أولى النّاس بالأمر وأقولهم بالحقّ وأهداهم سبيلاً وأقربهم من رسول الله ﷺ وسيلةً وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد النّاس من هذا الأمر وأقولهم بالزّور وأضلّهم سبيلاً وأنآهم من رسول الله ﷺ وسيلة ولديك قوم ضالّون مضلّون طواغيت من طواغيت إبليس.

وأما قولك: إنّك تملأ عليّ مصر خيلاً ورجالاً فلئن لم أشغلك عن ذلك حتّى يكون منك إنّك ذو جد والسلام.

فلما أتى معاوية كتاب قيس أيس منه وثقل مكانه عليه وكان أن يكون مكانه غيره أعجب إليه لما يعلم من قُوّته وبأسه ونجدته فاشتدّ أمره على معاوية فأظهر للنّاس أنّ قيساً قد بايعكم فادعوا الله له وقرأ عليهم كتابه الّذي لان فيه وقاربه واختلق كتاباً نسبه إلى قيس فقرأه على أهل الشام. فشاع في الشّام كلّها أنّ قيساً صالح معاوية وأتت عيون عليّ عليه السلام إليه بذلك فأعظمه وأكبره وتعجّب له ودعا ابنيه حسناً وحسيناً وابنه محمّداً وعبدالله بن جعفر فأعلمهم بذلك وقال ما رأيكم فقال عبد الله بن جعفر: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل قيساً من مصر. قال عليّ عليه السلام والله إنّي غير مصدّق بهذا على قيس فقال عبد الله: اعزله يا أمير المؤمنين فإن كان حقّاً ما قد قيل لا يعتزلك إن عزلته.

قال: فإنّهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد [وفيه]: أمّا بعد فإنّي أخبرك يا أمير المؤمنين أكرمك الله وأعزك أنّ قبلي رجالاً معتزلين سألوني أن أكفّ عنهم وأدعهم على حالهم حتّى يستقيم أمر النّاس وترى ويرون وقد رأيت أن أكفّ عنهم ولا أعجل بحربهم وأن أتألّفهم فيما بين ذلك لعلّ الله أن يقبل بقلوبهم ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله والسلام فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين إنّك إن أطعته في تركهم واعتزالهم استشرى الأمر وتفاقمت الفتنة وقعد عن بيعتك كثير ممّن تريده على الدخول فيها ولكن مره بقتالهم فكتب إليه: أمّا بعد فسر إلى القوم الّذين ذكرت فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلاّ فناجزهم والسلام.

فلما أتى هذا الكتاب قيساً فقرأه لم يتمالك أن كتب إليه: أمّا بعد، يا أمير المؤمنين فالعجب لك تأمرني بقتال قوم كافين عنك لم يمدّوا يداً للفتنة ولا أرصدوا لها فأطعني يا أمير المؤمنين وكفّ عنهم فإن الرّأي تركهم والسلام.

فلما أتاه الكتاب قال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين ابعث محمّد بن أبي بكر إلى مصر واعزل قيساً فبلغني والله أنّ قيساً يقول: إنّ سلطاناً لا يتم إلاّ بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء والله ما أُحبّ أنّ لي سلطان الشّام مع سلطان مصر وأنّي قتلت ابن مخلد.

وكان عبد الله أخا محمّد لأمه وكان يحبّ أنّ يكون له إمرة وسلطان.

فاستعمل عليّ عليه السلام محمّد بن أبي بكر على مصر لمحبته له ولهوى عبد الله بن جعفر أخيه فيه وكتب معه كتاباً إلى أهل مصر.

فسار حتّى قدمها فقال له قيس: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام ما غيّره فغضب وخرج عنها مقبلاً إلى المدينة ولم يمض إلى عليّ عليه السلام بالكوفة.

فلما قدم المدينة جاءه حسّان بن ثابت شامتاً به وكان عثمانياً فقال له: نزعك عليّ بن أبي طالب وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر فزجره قيس وقال: يا أعمى القلب يا أعمى البصر والله لولا أن ألقى بيني وبين رهطك حرباً لضربت عنقك ثمَّ أخرجه من عنده ثمَّ إنّ قيساً وسهل بن حنيف خرجا حتّى قدما على عليّ عليه السلام الكوفة فخبره قيس الخبر وما كان بمصر فصدقه وشهد مع عليّ عليه السلام بصفّين هو وسهل بن حنيف وكان قيس طوالاً أطول النّاس وأمدهم قامة وكان سناطاً أصلع شجاعاً مجرباً مناصحاً لعليّ عليه السلام ولولده ولم يزل على ذلك إلى أن مات[1].

أقول: هذه الأخبار مختصر ممّا وجدته في كتاب الغارات وقال فيه: [و] كان قيس عاملاً لعليّ عليه السلام على مصر فجعل معاوية يقول: لا تسبّوا قيساً فإنّه معنا فبلغ ذلك عليّاً فعزله وأتى المدينة فجعل النّاس يغرونه ويقولون له: نصحت فعزلك. فلحق بعلي عليه السلام.

وبايعه إثنا عشر ألفاً على الموت [بعدما] أُصيب عليّ عليه السلام وصالح الحسن معاوية فقال لهم قيس إن شئتم دخلتم فيما دخل فيه النّاس فبايعه من معه إلاّ خثيمة الضبّي.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان قيس بن سعد بن عبادة مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام على مقدّمته ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم.

أقول: وجدت في بعض الكتب أنّ عزل قيس عن مصر ممّا غلب أمير المؤمنين عليه السلام عليه أصحابه واضطرّوه إلى ذلك ولم يكن هذا رأيه كالتحكيم ولعله أظهر وأصوب.

ثم قال إبراهيم: وكان عهد عليّ عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر: هذا ما عهد عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبي بكر حين ولاه مصر أمره بتقوى الله في السرّ والعلانية وخوف الله تعالى في المغيب والمشهد.

وأمره باللين على المسلم والغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمّة وبالإنصاف للمظلوم وبالشدّة على الظالم وبالعفو عن النّاس وبالإحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين ويعذّب المجرمين. وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة فإن لهم في ذلك من العافية وعظم المثوبة ما لا يقدّر قدره ولا يعرف كنهه وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينتقص ولا يبتدع ثمَّ يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل وإن لم تكن لهم حاجة.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٢١٢-٢١٨.

وأمره أن يلين لهم جناحه وأن يواسي بينهم في مجلسه ووجهه ليكون القريب والبعيد عنده في الحقّ سواء وأمره أن يحكم بين النّاس بالحقّ وأن يقوم بالقسط وأن لا يتّبع الهوى وأن لا يخاف في الله لومة لائم فإنّ الله مع من اتّقاه وآثر طاعته وأمره على من سواه. وكتب عبيد الله ابن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ بغرّة شهر رمضان سنة ست وثلاثين[1].

أقول: روى [الحسن بن عليّ بن شعبة] في تحف العقول هذا العهد نحواً ممّا ذكر.

ثم قال إبراهيم: ثمّ قام محمّد بن أبي بكر خطيباً فحمدالله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فالحمدلله الّذي هدانا وإيّاكم لما اختلف فيه من الحقّ وبصّرنا وإياكم كثيراً ممّا عمي عنه الجاهلون ألا وإنّ أمير المؤمنين ولاّني أموركم وعهد إليّ بما سمعتم وأوصاني بكثير منه مشافهة ولن آلوكم جهداً ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب فإن يكن ما ترون من آثاري وأعمالي طاعة لله وتقوى فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فإنّه هو الهادي إليه وإن رأيتم من ذلك عملاً بغير الحقّ فارفعوه إليّ وعاتبوني عليه فإنّي بذلك أسعد وأنتم بذلك مأجورون وفقنا الله وإياكم لصالح العمل.

قال: وكتب محمّد بن أبي بكر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو إذ ذاك بمصر عاملها يسأله جوامع من الحلال والحرام والسنن والمواعظ فكتب إليه: لعبدالله أمير المؤمنين من محمّد بن أبي بكر سلام عليك فإنّي أحمد الله الّذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد فإن رأى أمير المؤمنين - أرانا الله وجماعة المسلمين فيه أفضل سرورنا وأملنا فيه - أن يكتب لنا كتاباً فيه فرائض وأشياء ممّا يبتلى به مثلي من القضاء بين النّاس فعل فإن الله يعظم لأمير المؤمنين الأجر ويحسن له الذخر.

فكتب إليه عليّ عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إلى محمّد بن أبي بكر وأهل مصر سلام عليكم فإنّي أحمد الله الّذي لا إله إلاّ هو.

أما بعد فقد وصل إليّ كتابك فقرأته وفهمت ما سألتني عنه فأعجبني اهتمامك بما لا بدّ منه وما لا يصلح المؤمنين غيره، وظننت أنّ الّذي دعاك إليه نيّة صالحة ورأي غير مدخول ولا خسيس وقد بعثت إليك أبواب الأقضية جامعاً لك ولا قوّة إلاّ بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل. وكتب إليه بما سأله عنه من القضاء وذكر الموت والحساب وصفة الجنّة والنّار وكتب في الإمامة وكتب في الوضوء وكتب إليه في مواقيت الصلاة وكتب إليه في الركوع والسجود وكتب إليه في الأدب وكتب إليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتب إليه في الاعتكاف وكتب إليه في الزنادقة وكتب إليه في نصراني فجر بمسلمة وكتب إليه في أشياء كثيرة لم نحفظ منها غير هذه الخصال وحدثنا ببعض ما كتب إليه.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٢١٨. (٢) تحف العقول، ص ١٢٣.

قال إبراهيم وحدّثني يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الأسديّ عن الحسن بن إبراهيم عن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن عباية قال: كتب عليّ صلوات الله عليه إلى أهل مصر لمّا بعث محمّد بن أبي بكر إليهم كتاباً يخاطبهم به ويخاطب محمّداً أيضاً فيه: أمّا بعد فإنّي أوصيكم بتقوى الله في سرّ أمركم وعلانيته وعلى أيّ حال كنتم عليها وليعلم المرء منكم أنّ الدنيا دار بلاء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء فمن استطاع أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى فليفعل فإن الآخرة تبقى والدنيا تفنى رزقنا الله وإياكم تبصراً [بصراً] لما بصّرنا وفهماً لما فهمنا حتّى لا نقصر فيما أمرنا ولا نتعدى إلى ما نهانا.

واعلم يا محمّد أنّك وإن كنت محتاجاً إلى نصيبك من الدّنيا إلاّ أنّك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن عرض لك أمران أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة ولتعظم رغبتك في الخير ولتحسن فيه نيّتك فإن الله عزّوجلّ يعطي العبد على قدر نيّته وإذا أحبّ الخير وأهله ولم يعمله كان إن شاء الله كمن عمله، فإن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال حين رجع من تبوك «إن بالمدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا هبطتم من وادٍ إلاّ كانوا معكم ما حبسهم إلاّ المرض» يقول: كانت لهم نية.

ثم اعلم يا محمّد أنّي ولّيتك أعظم أجنادي أهل مصر وإذ ولّيتك ما ولّيتك من أمر النّاس فإنّك محقوق أن تخاف فيه على نفسك وتحذر فيه على دينك ولو كان ساعة من نهار، فإن استطعت أن لا تسخط ربّك لرضا أحد من خلقه فافعل فإن في الله خلفاً من غيره وليس في شيء غيره خلف منه، فاشتدّ على الظالم ولن لأهل الخير وقرّبهم إليك واجعلهم بطانتك وإخوانك والسلام.

وبهذا الإسناد قال: كتب عليّ صلوات الله عليه إلى محمّد وأهل مصر:

أمّا بعد فإنّي أوصيكم بتقوى الله والعمل بما أنتم عنه مسؤولون فأنتم به رهن وأنتم إليه صائرون فإن الله عزّوجلّ يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(١) وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾(٢) وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾(٣).

فاعلموا عباد الله أنّ الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم والكبير فإن يعذب فنحن الظالمون وإن يغفر ويرحم فهو أرحم الراحمين.

واعلموا أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الرحمة والمغفرة حينما يعمل بطاعة الله ومناصحته في التوبة فعليكم بتقوى الله عزّوجلّ فإنّها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها خير الدنيا وخير الآخرة يقول الله سبحانه: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٨. (٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢-٩٣.

رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١) واعلموا عباد الله أنّ المؤمن يعمل لثلاث: إمّا لخير الدنيا فإن الله يثيبه بعمله في الدنيا قال الله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٢) فمن عمل لله تعالى أعطاه أجره في الدنيا والآخرة وكفاه المهمّ فيهما وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣) فما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٤) فالحسنى الجنّة والزيادة الدّنيا.

وإما لخير الآخرة فإنّ الله يكفر عنه بكلّ حسنة سيئة يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ حتّى إذا كان يوم القيامة حسبت لهم حسناتهم وأعطوا بكلّ واحدة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فهو الّذي يقول: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ ويقول عزّوجلّ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾(٥) فارغبوا فيه واعملوا به وتحاضّوا عليه. واعلموا عباد الله أنّ المؤمنين المتّقين قد ذهبوا بعاجل الخير وآجله شركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم يقول الله عزّوجلّ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٦) سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أُكلت شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون وشربوا من أفضل ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون وسكنوا بأفضل ما يسكنون وتزوّجوا بأفضل ما يتزوّجون وركبوا من أفضل ما يركبون أصابوا لذّة الدنيا مع أهل الدنيا [وتيقّنوا] أنّهم غداً من جيران الله عزّوجلّ ويتمنون عليه ما يردّ لهم دعوة ولا ينقص لهم لذة أما في هذا ما يشتاق إليه من كان له عقل ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

واعلموا عباد الله أنّكم إن اتقيتم ربّكم وحفظتم نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد وذكرتموه بأفضل ما ذكر وشكرتموه بأفضل ما شكر وأخذتم بأفضل الصبر وجاهدتم بأفضل الجهاد وإن كان غيركم أطول صلاة منكم وأكثر صياماً إذا كنتم أتقى لله وأنصح لأولياء الله من آل محمّد ﷺ وأخشع. واحذروا عباد الله الموت ونزوله وخذوا له عدته فإنّه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شر أبداً أو شر لا يكون معه خير أبداً فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها. وليس أحد من النّاس يفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أيّ المنزلتين يصير إلى الجنّة أم إلى النّار أعدوّ هو لله أم وليّ له، فإن كان ولياً فتحت له أبواب الجنّة وشرع له طريقها ونظر إلى ما أعدّ الله عزّوجلّ لأوليائه فيها [و] فرغ من كلّ شغل ووضع عنه كلّ ثقل.

(١) سورة النحل، الآية: ٣٠.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٧.
(٣) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٤) سورة يونس، الآية: ٢٦.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٣٧.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

وإن كان عدوّاً لله فتحت له أبواب النّار وسهل له طريقها ونظر إلى ما أعد الله فيها لأهلها واستقبل كلّ مكروه وفارق كلّ سرور قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

واعلموا عباد الله أنّ الموت ليس منه فوت فاحذروه [قبل وقوعه] وأعدّوا له عدّته فإنّكم طرداء الموت إن أقمتم أخذكم وإن هربتم أدرككم وهو ألزم لكم من ظلّكم معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات فإنّه كفى بالموت واعظاً وقد قال رسول الله ﷺ: أكثروا ذكر الموت فإنّه هادم اللّذات.

واعلموا عباد الله أنّ ما بعد الموت أشدّ من الموت لمن لا يغفر الله له ويرحمه واحذروا القبر وضمّته وضيقه وظلمته فإنّه الّذي يتكلّم كلّ يوم يقول: أنا بيت التراب وأنا بيت الغربة وأنا بيت الدود. والقبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار. إن المسلم إذا مات قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً قد كنت ممّن أحبّ أن تمشي على ظهري فإذا وليتك فستعلم كيف صنعي بك فيتّسع له مدّ بصره. وإذ دفن الكافر قالت له الأرض لا مرحباً ولا أهلاً قد كنت ممّن أبغض أن تمشي على ظهري فإذا وليتك فستعلم كيف صنعي بك فتنضمّ عليه حتّى تلتقي أضلاعه. واعلموا أنّ المعيشة الضنك الّتي قال الله سبحانه: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ هي عذاب القبر وأنّه يسلّط على الكافر في قبره حيّات تسعة وتسعين تنّيناً عظام تنهش لحمه حتّى يبعث لو أنّ تنيناً منها نفخ في الأرض ما أنبتت الزرع ريعها أبداً. واعلموا عباد الله أنّ أنفسكم وأجسادكم الرقيقة الناعمة الّتي يكفيها اليسير من العقاب ضعيفة عن هذا فإن استطعتم أن ترحموا أنفسكم وأجسادكم عمّا لا طاقة لكم به ولا صبر عليه فتعملوا بما أحبّ الله سبحانه وتتركوا ما كره فافعلوا ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

واعلموا عباد الله أنّ ما بعد القبر أشدّ من القبر يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير ويسقط فيه الجنين وتذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت. واحذروا يوماً عبوساً قمطريراً كان شره مستطيراً أما إنّ شر ذلك اليوم وفزعه استطار حتّى فزعت منه الملائكة الّذين ليست لهم ذنوب والسّبع الشداد والجبال الأوتاد والأرضون المهاد وانشقت السّماء فهي يومئذٍ واهية وتتغير فكانت وردة كالدهان وتكون الجبال سراباً مهيلاً بعدما كانت صماً صلاباً يقول الله سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2] فكيف من يعصيه بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن إن لم يغفر الله ويرحم.

واعلموا عباد الله أنّ ما بعد ذلك اليوم أشدّ وأدهى على من لم يغفر الله له من ذلك اليوم نار قعرها بعيد وحرّها شديد وعذابها جديد ومقامعها حديد وشرابها صديد لا يفتر عذابها ولا

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٢٨-٢٩. (٢) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

يموت ساكنها دار ليست لله سبحانه فيها رحمة ولا يسمع فيها دعوة. واعلموا عباد الله أنّ مع هذا رحمة الله الّتي وسعت كلّ شيء لا تعجز عن العباد جنّة عرضها كعرض السموات والأرض خير لا يكون بعده شر أبداً وشهوة لا تنفد أبداً ولذة لا تفنى أبداً ومجمع لا يتفرق أبداً قوم قد جاوروا الرحمان وقام بين أيديهم الغلمان بصحاف من ذهب فيها الفاكهة والريحان.

فقال رجل[1]: يا رسول الله إنّي أحبّ الخيل [فهل] في الجنّة خيل؟ قال: نعم والّذي نفسي بيده إنّ فيها خيلاً من ياقوت أحمر عليها يركبون فتدفّ بهم خلال ورق الجنّة [فـ] قال رجل: يا رسول الله إنّي يعجبني الصوت الحسن أفي الجنّة الصوت الحسن؟ قال: نعم والّذي نفسي بيده إنّ الله ليأمر لمن أحبّ ذلك منهم بشجر يسمعه صوتاً بالتسبيح ما سمعت الآذان بأحسن منه قط. [فـ] قال رجل: يا رسول الله إنّي أحبّ الإبل أفي الجنّة إبل؟ قال: نعم والّذي نفسي بيده إنّ فيها نجائب من ياقوت أحمر عليها رحال الذّهب قد أُلحفت بنمارق الديباج يركبون فتزف بهم خلال ورق الجنّة وإنّ فيها صور رجال ونساء يركبون مراكب أهل الجنّة فإذا أعجب أحدهم الصورة قال: اجعل صورتي مثل هذه الصورة فيجعل صورته عليها وإذا أعجبته صورة المرأة قال: ربّ اجعل صورة فلانة زوجته مثل هذه الصورة فيرجع وقد صارت صورة زوجته على ما أشتهي وإنّ أهل الجنّة[2] يزورون الجبّار سبحانه في كلّ جمعة فيكون أقربهم منه على منابر من نور والذين يلونهم على منابر من ياقوت والذين يلونهم على منابر من زبرجد والّذين يلونهم على منابر من مسك فبينا هم كذلك ينظرون إلى نور الله جل جلاله وينظر الله في وجوههم إذ أقبلت سحابة تغشاهم فتمطر عليهم من النعمة واللّذة والسرور والبهجة ما لا يعلمه إلاّ الله سبحانه ومع هذا ما هو أفضل منه رضوان الله الأكبر.

أما إنّا لو لم نخوّف إلاّ ببعض ما خوفنا به لكنّا محقوقين أن يشتدّ خوفنا ممّا لا طاقة لنا به ولا صبر لقوّتنا عليه وأن يشتد شوقنا إلى ما لا غناء لنا عنه ولا بد لنا منه. وإن استطعتم عباد الله أن يشتدّ خوفكم من ربّكم ويحسن به ظنّكم فافعلوه فإن العبد إنّما تكون طاعته على قدر خوفه وإنّ أحسن النّاس لله طاعة أشدّهم له خوفاً. وانظر يا محمّد صلاتك كيف تصلّيها فإنّما أنت إمام ينبغي لك أن تتمّها وأن تخفّفها وأن تصلّيها لوقتها فإنّه ليس من إمام يصلّي بقوم فيكون في صلاته وصلاتهم نقص إلاّ كان إثم ذلك عليه ولا ينقص ذلك من صلاتهم شيئاً.

---

(١) من قوله عليه السلام: فقال الرجل إلى قوله على ما أشتهي لم يكن في كتاب ابن أبي الحديد، ولعله أسقطه لما فيه من التشويش وعدم الإنطباق [منه قدس سره].

(٢) وقوله: إن أهل الجنة إلى قوله: ينظرون إلى نور الله غير موجود في رواية الشيخ ولا رواية ابن أبي الحديد. فإن نهض سند الحديث لإثباته وثبت صدوره عن أمير المؤمنين، لا بدّ من تأويله كما ذكروه، وفي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وذلك للأدلة العقلية والأخبار المتواترة عن أهل بيته على استحالة رؤية الله تعالى [منه قدس سره].

واعلم أنّ كلّ شيء من عملك يتبع صلاتك فمن ضيّع الصلاة فهو لغيرها أشدّ تضييعاً ووضوؤك من تمام الصلاة فأت بها على وجهه فإنّ الوضوء نصف الإيمان وانظر صلاة الظهر فصلّها لوقتها لا تعجل بها عن الوقت لفراغ ولا تؤخرها عن الوقت لشغل فإن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله عن وقت الصلاة فقال النبيّ ﷺ أتاني جبرئيل فأراني وقت الصلاة فصلّى الظهر حين زالت الشمس ثمّ صلّى العصر وهي بيضاء نقيّة ثمّ صلّى المغرب حين غابت الشمس ثمّ صلّى العشاء حين غاب الشفق ثمّ صلّى الصبح فأغلس بها والنجوم مشتبكة كان النبيّ ﷺ كذا يصلّي قبلك فإن استطعت - ولا قوّة إلاّ بالله - أن تلتزم السنّة المعروفة وتسلك الطريق الواضح الّذي أخذه ولعلك تقدم عليهم غداً. ثم انظر ركوعك وسجودك فإن النبيّ ﷺ كان أتمّ النّاس صلاة وأحفظهم لها وكان إذا ركع قال: سبحان ربّي العظيم وبحمده ثلاث مرات وإذا رفع صلبه قال: سمع الله لمن حمده اللّهمّ لك الحمد ملء سماواتك وملء أرضك وملء ما شئت من شيء فإذا سجد قال: سبحان ربّي الأعلى وبحمده ثلاث مرّات.

أسأل الله الّذي يرى ولايُرى وهو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا وإيّاك ممّن يحبّه الله ويرضاه حتّى يبعثنا على شكره وذكره وحسن عبادته وأداء حقّه وعلى كلّ شيء اختاره لنا في دنيانا وديننا وأُولانا وأُخرانا وأن يجعلنا من المتّقين الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

فإن استطعتم يا أهل مصر ولا قوة إلاّ بالله أن تصدق أقوالكم أفعالكم وأن يتوافق سرّكم وعلانيتكم ولاتخالف ألسنتكم قلوبكم فافعلوا عصمنا الله وإيّاكم بالهدى وسلك بنا وبكم المحجّة العظمى. وإيّاكم ودعوة الكذّاب ابن هند وتأملوا واعلموا أنّه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى ووصيّ النبيّ عليه السلام وعدو النبيّ جعلنا الله وإيّاكم ممّن يحبّ ويرضى، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّي لا أخاف على أُمّتي مؤمناً ولا مشركاً أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه وأمّا المشرك فيخزيه الله بشركه ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق عالم اللّسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون. [وقد] قال النبيّ ﷺ من سرّته حسناته وساءته سيّئاته فذلك المؤمن حقّاً وقد كان يقول خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت ولافقه في سنة.

واعلم يا محمّد أنّ أفضل الفقه الورع في دين الله والعمل بطاعته أعاننا الله وإيّاك على شكره وذكره وأداء حقّه والعمل بطاعته فعليك بالتقوى في سرّ أمرك وعلانيته وعلى أيّ حال كنت عليها جعلنا الله وإيّاك من المتّقين. أُوصيك بسبع هنّ جوامع الإسلام اخش الله ولا تخش النّاس في الله وخير القول ما صدّقه العمل ولا تقض في أمر واحد بقضائين مختلفين فيتناقض أمرك ويزيغ عن الحقّ وأحبّ لعامة رعيّتك ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك والزم الحجّة عند الله فأصلح أحوال رعيّتك وخض الغمرات إلى الحقّ ولا تخف في الله لومة لائم وانصح لمن استشارك واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم.

وعليك بالصوم وإنّ رسول الله ﷺ عكف عاماً في العشر الأول من شهر رمضان وعكف العام المقبل في العشر الأوسط من شهر رمضان فلمّا كان العام الثالث رجع من بدر وقضى اعتكافه فنام فرأى في منامه ليلة القدر في العشر الأواخر كأنّه يسجد في ماء وطين فلمّا استيقظ رجع من ليلته إلى أزواجه وأناس معه من أصحابه ثمّ إنّهم مطروا ليلة ثلاث وعشرين فصلّى النبيّ ﷺ حين أصبح فرئي في وجه النبيّ ﷺ الطين فلم يزل يعتكف في العشر الأواخر من شهر رمضان حتّى توفاه الله.

وقال النبيّ ﷺ من صام رمضان ثمّ صام ستّة أيّام من شوّال فكأنما صام السنة جعل الله خلّتنا ووُدّنا خلّة المتّقين وودّ المخلصين وجمع بيننا وبينكم في دار الرضوان إخواناً على سرر متقابلين إن شاء الله.

قال إبراهيم: حدّثني عبد الله بن محمّد بن عثمان عن عليّ بن محمّد بن أبي سيف عن أصحابه أنّ علياً لمّا كتب إلى محمّد بن أبي بكر هذا الكتاب كان ينظر فيه ويتأدّب به فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه.

فقال الوليد بن عقبة - وقد رأى إعجابه به - مُر بهذه الأحاديث أن تحرق فقال معاوية: مه فإنّه لا رأي لك فقال الوليد: أفمن الرّأي أن يعلم النّاس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها؟ قال معاوية: ويحك أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله؟ فقال: لولا أنّ أبا تراب قتل عثمان ثمّ أفتانا لأخذنا عنه ثمّ سكت هنيئة ثمّ نظر إلى جلسائه فقال: ألا لا نقول: إنّ هذه من كتب عليّ بن أبي طالب ولكن نقول هذه من كتب أبي بكر كانت عند ابنه محمّد فنحن ننظر فيها ونأخذ منها. قال: فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أُميّة حتى ولي عمر بن عبد العزيز فهو الّذي أظهر أنّها من أحاديث عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال إبراهيم: فلمّا بلغ علياً عليه السلام أنّ ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتد عليه حزناً.

وروى عن عبد الله بن سلمة قال: صلّى بنا عليّ صلوات الله عليه فلمّا انصرف قال:

لقد عثرت عثرة لا أعتذر سوف أكيس بعدها وأستمرّ
وأجمع الأمر الشتيت المنتشر

فقلنا ما بالك يا أمير المؤمنين؟ قال: إنّي استعملت محمّد بن أبي بكر على مصر فكتب إليّ أنّه لا علم لي بالسنّة فكتبت إليه كتاباً فيه أدب وسنّة فقتل وأُخذ الكتاب.

قال إبراهيم فلم يلبث محمّد بن أبي بكر شهراً كاملاً حتّى بعث إلى أولئك المعتزلين الّذين كان قيس بن سعد موادعاً لهم فقال: يا هؤلاء إمّا أن تدخلوا في طاعتنا وإمّا أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا إليه إنّا لا نفعل فدعنا حتّى ننظر إلى ما يصير أمر النّاس فلا تعجل علينا فأبى

عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم ثمّ كانت وقعة صفّين وهم لمحمّد هائبون، فلمّا أتاهم خبر معاوية وأهل الشّام ثمّ صار الأمر إلى الحكومة [و] أنّ عليّاً وأهل العراق قد قفلوا عن معاوية والشام إلى عراقهم اجترؤا على محمّد وأظهروا المنابذة له فلمّا رأى محمد ذلك بعث إليهم ابن جمهان البلوي ومعه يزيد بن الحرث الكنانيّ فقاتلاهم فقتلوهما ثمّ بعث إليهم رجلاً من كلب فقتلوه أيضاً.

وخرج معاوية بن خديج من السكاسك يدعو إلى الطلب بدم عثمان فأجابه القوم وأناس كثير آخرون وفسدت مصر على محمّد بن أبي بكر فبلغ عليّاً عليه السلام توثبهم عليه فقال: ما أرى لمصر إلاّ أحد الرجلين صاحبنا الّذي عزلناه بالأمس يعني قيس بن سعد أو مالك بن الحارث الأشتر وكان عليّ حين رجع عن صفّين رد الأشتر إلى عمله بالجزيرة وقال لقيس بن سعد: أقم أنت معي على شرطتي حتّى نفرغ من أمر هذه الحكومة ثمّ اخرج إلى آذربيجان فكان قيس مقيماً على شرطته فلمّا انقضى أمر الحكومة كتب عليه السلام إلى الأشتر وهو يومئذ بنصيبين كتاباً وطلبه[1].

أقول: لمّا روى المفيد رحمه الله في المجالس هذه القصّة وهذا الكتاب قريباً ممّا أورده أخرجته منه لكونه أبسط وأوثق إلاّ أنّ في رواية الثقفيّ أنّ بعث الأشتر كان قبل شهادة محمّد.

٧٢١ - **قال المفيد:** أخبرني الكاتب عن الزعفراني عن الثقفيّ عن محمّد بن زكريّا عن عبد الله بن الضحّاك عن هشام بن محمّد قال: لمّا ورد الخبر على أمير المؤمنين عليه السلام بمقتل محمّد بن أبي بكر رضي الله عنه كتب إلى مالك بن الحارث الأشتر رحمه الله وكان مقيماً بنصيبين: أمّا بعد فإنّك ممّن أستظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به الثغر المخوف وقد كنت وليت محمّد بن أبي بكر رحمه الله مصر فخرج عليه خوارج وكان حدثاً لا علم له بالحروب فاستشهد رحمه الله فأقدم عليّ لننظر في أمر مصر واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك.

فاستخلف مالك على عمله شبيب بن عامر الأزديّ وأقبل حتّى ورد على أمير المؤمنين عليه السلام فحدثه حديث مصر وأخبره عن أهلها وقال له ليس لهذا الوجه غيرك فاخرج فإنّي إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمّك واخلط الشدّة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ واعتزم على الشدّة متى لم يغن عنك إلاّ الشدّة.

قال: فخرج مالك الأشتر فأتى رحله وتهيأ للخروج إلى مصر وقدم أمير المؤمنين أمامه كتاباً إلى أهل مصر: بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الّذي لا إله إلاّ هو وأسأله الصلاة على نبيّه محمّد وآله وإنّي قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف ولا ينكل عن الأعداء حذر الدوائر من أشدّ عبيد الله بأساً وأكرمهم حسباً أضر على

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٢١٩-٢٢٥.

الفجار من حريق النّار وأبعد النّاس من دنس أو عار وهو مالك بن الحارث الأشتر لا نابي الضريبة ولا كليل الحد حليم في الحذر رزين في الحرب ذو رأي أصيل وصبر جميل فاسمعوا له وأطيعوا أمره فإن أمركم بالنفير فانفروا وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنّه لا يقدم ولا يحجم إلاّ بأمري فقد آثرتكم به على نفسي نصيحة لكم وشدّة شكيمة على عدوّكم عصمكم الله بالهدى وثبتكم بالتقوى ووفقنا وإياكم لما يحبّ ويرضى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولما تهيّأ مالك الأشتر للرحيل إلى مصر كتب عيون معاوية بالعراق إليه يرفعون خبره فعظم ذلك على معاوية وقد كان طمع في مصر فعلم أنّ الأشتر إن قدمها فاتته وكان أشدّ عليه من ابن أبي بكر فبعث إلى دهقان من أهل الخراج بالقلزم أنّ عليّاً قد بعث بالأشتر إلى مصر وإن كفيتنيه سوّغتك خراج ناحيتك ما بقيت فاحتل في قتله بما قدرت عليه.

ثم جمع معاوية أهل الشّام وقال لهم: إنّ عليّاً قد بعث بالأشتر إلى مصر فهلموا ندعو الله عليه يكفينا أمره ثمّ دعا ودعوا معه.

وخرج الأشتر حتّى أتى القلزم فاستقبله ذلك الدهقان فسلّم عليه وقال: أنارجل من أهل الخراج ولك ولأصحابك عليّ حقّ في ارتفاع أرضي فانزل عليّ أقم بأمرك وأمر أصحابك وعلف دوابكم واحتسب بذلك لي من الخراج فنزل عليه الأشتر فأقام له ولأصحابه بما احتاجوا إليه وحمل إليه طعاماً دس في جملته عسلاً جعل فيه سمّاً فلمّا شربه الأشتر قتله ومات وبلغ معاوية خبره فجمع أهل الشّام وقال لهم: أبشروا فإن الله قد أجاب دعاءكم وكفاكم الأشتر وأماته فسروا بذلك واستبشروا به.

ولما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام وفاة الأشتر جعل يتلهف ويتأسّف عليه ويقول: لله درّ مالك لو كان من جبل لكان أعظم أركانه ولو كان من حجر كان صلداً أما والله ليهدّنّ موتك عالماً فعلى مثلك فلتبك البواكي. ثمّ قال: إنّا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين إنّي أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر فرحم الله مالكاً فقد وفى بعهده وقضى نحبه ولقي ربّه مع أنّا قد وطّنا أنفسنا أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله فإنّها أعظم المصيبة[1].

أقول: [و] في رواية الثقفيّ في كتابه عليه السلام إلى الأشتر: «وهو غلام حدث السن» وليس فيه ذكر شهادة محمّد فلا ينافي ما يظهر من روايته أنّ بعث الاشتر كان قبل شهادته، وما أورده السيّد من الاعتذار من محمّد لبعث الأشتر يدلّ على ذلك أيضاً وهو أشهر عند أرباب التواريخ ولكن رواية الاختصاص أيضاً مؤيدة لهذه الرواية.

٧٢٢ - رجعنا إلى رواية الثقفيّ روى بإسناده عن عاصم بن كليب عن أبيه أنّ معاوية لمّا

---

(١) أمالي المفيد، ص ٥٦ مجلس ٩ ح ٤.

بلغه خبر الأشتر بعث رسولاً يتبعه إلى مصر وأمره باغتياله فحمل معه مزودين فيهما شراب فاستسقى الأشتر يوماً فسقاه من أحدهما فاستسقى يوماً آخر فسقاه من الآخر وفيه سم فشربه ومال عنقه فطلب الرّجل ففاته.

وعن مغيرة الضبي أنّ معاوية دس للأشتر مولى لآل عمر فلم يزل المولى يذكر للأشتر فضل عليّ وبني هاشم حتّى اطمأن إليه فقدم الأشتر يوماً ثقله واستسقى ماء فسقاه المولى شربة سويق فيها سم فمات.

قال: وقد كان معاوية قال لأهل الشّام لمّا دس له مولى عمر: ادعوا على الأشتر فدعوا عليه فلمّا بلغه موته قال: ألا ترون كيف استجيب لكم. وقد روي من بعض الوجوه أنّ الأشتر قتل بمصر بعد قتال شديد والصحيح أنّه سقي سماً فمات قبل أن يبلغ مصر.

وعن عليّ بن محمّد المدائنيّ أنّ معاوية أقبل يقول لأهل الشام: أيّها النّاس إن عليّاً قد وجه الأشتر إلى مصر فادعوا الله أن يكفيكم فكانوا يدعون عليه في دبر كلّ صلاة وأقبل الّذي سقاه السم إلى معاوية فأخبره بهلاك الأشتر فقام معاوية لعنه الله خطيباً فقال: أمّا بعد فإنّه كان لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان فقطعت إحداهما يوم صفّين وهو عمّار بن ياسر وقد قطعت الأخرى اليوم وهو مالك الأشتر.

وقال إبراهيم: فلمّا بلغ عليّاً عليه السلام موت الأشتر قال: إنّا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين اللّهمّ إنّي أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر.

ثم قال: رحم الله مالكاً فلقد وفى بعهده وقضى نحبه ولقي ربّه مع أنّا قد وطّنا أنفسنا أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله فإنّها من أعظم المصيبات.

وعن معاوية الضبي قال: لم يزل أمر عليّ عليه السلام شديداً حتّى مات الأشتر وكان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة. وعن جماعة من أشياخ النخع قالوا: دخلنا على أمير المؤمنين عليه السلام حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهّف ويتأسف عليه ثمّ قال: لله درّ مالك وما مالك لو كان من جبل لكان فنداً ولو كان من حجر لكان صلداً أما والله ليهدّن موتك عالماً وليفرحن عالماً! على مثل مالك فلتبك البواكي وهل مرجوّ كمالك؟ وهل موجود كمالك؟

قال علقمة بن قيس النخعي: فما زال عليّ يتلهّف ويتأسّف حتّى ظننّا أنّه المصاب به دوننا وعرف ذلك في وجهه أيّاماً.

قال إبراهيم: وحدّثنا محمّد بن عبد الله عن المدائنيّ عن رجاله أنّ محمّد بن أبي بكر لمّا بلغه أنّ عليّاً عليه السلام قد وجه الأشتر إلى مصر شقّ عليه فكتب عليّ عليه السلام إليه عند مهلك الأشتر: أمّا بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك ولم أفعل ذلك استبطاء لك عن الجهاد ولا استزادة لك منّي في الجد ولو نزعت ما حوت يداك من سلطانك لولّيتك ما هو أيسر مؤنة عليك وأعجب ولاية إليك إلاّ أنّ الرّجل الّذي كنت ولّيته مصر كان رجلاً لنا

مناصحاً وعلى عدوّنا شديداً فرحمة الله عليه فقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب وأحسن له المآب.

فاصحر لعدوّك وشمر للحرب وادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكرالله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهمّك ويعنك على ما ولاّك أعاننا الله وإيّاك على ما لا ننال إلاّ برحمته والسّلام.

فكتب محمد رحمه الله إلى عبد الله أمير المؤمنين عليه السلام من محمّد بن أبي بكر سلام عليك فإنّي أحمد اليك الله الّذي لا إله إلاّ هو.

أما بعد، [فقد] انتهى إليّ كتاب أمير المؤمنين وفهمته وعرفت ما فيه وليس أحد من النّاس أشدّ على عدو أمير المؤمنين ولا أرقّ خرجت فعسكرت وأمّنت النّاس إلاّ من نصب لنا حرباً وأظهر لنا خلافاً وأنا أتبع [متبع «خ ل»] أمر أمير المؤمنين وحافظه ولاجئ إليه وقائم به والله المستعان على كلّ حال والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

وعن أبي جهضم الأسديّ قال: إنّ أهل الشّام لمّا انصرفوا عن صفّين وأتى بمعاوية خبر الحكمين وبايعه أهل الشّام بالخلافة لم يزدد إلاّ قوّة ولم يكن له هم إلاّ مصر فدعا عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أرطأة والضحّاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد وشرحبيل بن السمط وأبا الأعور السلمي وحمزة بن مالك فاستشارهم في ذلك فقال عمرو بن العاص: نعم الرّأي رأيت في افتتاحها عزك وعز اصحابك وذل عدوّك وقال آخرون: نرى ما رأى عمرو.

فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاريّ وإلى معاوية بن خديج الكنديّ وكانا قد خالفا عليّاً عليه السلام فدعاهما إلى الطلب بدم عثمان فأجابا وكتبا إليه عجّل إلينا بخيلك ورجلك فإنا ننصرك ويفتح الله عليك.

فبعث معاوية عمرو بن العاص في ستّة آلاف فسار عمرو في الجيش حتّى دنا من مصر فاجتمعت إليه العثمانية فأقام وكتب إلى محمّد بن أبي بكر: أمّا بعد فتنحّ عنّي بدمك يا ابن أخي فإنّي لا أحبّ أن يصيبك منّي ظفر وإنّ النّاس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك وهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان فاخرج منها إنّي لك من الناصحين والسلام.

قال: وبعث عمرو مع هذا الكتاب كتاب معاوية إليه وهو: أمّا بعد فإن غب الظلم والبغي عظيم الوبال وإنّ سفك الدّم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا والتبعة الموبقة في الآخرة وما نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياً ولا أسوأ له عيباً ولا أشدّ عليه خلافاً منك سعيت عليه في الساعين وساعدت عليه مع المساعدين وسفكت دمه مع السّافكين ثمّ تظنّ أنّي نائم عنك فأتيت بلدة فتأمن فيها وجل أهلها أنصاري يرون رأيي ويرفعون قولك ويرقبون

عليك وقد بعثت إليك قوماً حناقاً عليك يستسفكون دمك ويتقرّبون إلى الله عزّوجلّ بجهادك وقد أعطوا الله عهداً ليقتلنّك ولو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم من أوليائه وأنا أحذرك وأنذرك فإن الله مقيد منك ومقتصّ لوليّه وخليفته بظلمك له وبغيك عليه ووقيعتك فيه وعدوانك يوم الدّار عليه تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه وأوداجه ومع هذا إنّي أكره قتلك ولا أحبّ أن أتولّى ذلك منك ولن يسلّمك الله من النقمة أين كنت أبداً فتنح وانج بنفسك والسلام.

قال: فطوى محمّد بن أبي بكر كتابيهما وبعث بهما إلى عليّ عليه السلام وكتب إليه: أمّا بعد يا أمير المؤمنين فإن العاصي ابن العاص قد نزل أداني مصر واجتمع عليه من أهل البلد كلّ من كان يرى رأيهم وهو في جيش جرّار وقد رأيت ممّن قبلي بعض الفشل فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمددني بالأموال والرجال والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه [أميرالمؤمنين] عليه السلام: أمّا بعد فقد أتاني رسولك بكتابك تذكر أنّ ابن العاص قد نزل أداني مصر في جيش جرار وأن من كان على مثل رأيه قد خرج إليه وخروج من كان على رأيه خير لك من إقامته عندك.

وذكرت أنّك قد رأيت ممّن قبلك فشلاً فلا تفشل وإن فشلوا حصن قريتك واضمم إليك شيعتك وأذكِ الحرس في عسكرك واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والتجربة والبأس وأنا نادب إليك النّاس على الصعب والذّلول فاصبر لعدوّك وامض على بصيرتك وقاتلهم على نيّتك وجاهدهم محتسباً لله سبحانه وإن كان فئتك أقل الفئتين فإن الله تعالى يعين القليل ويخذل الكثير.

وقد قرأت كتاب الفاجرين المتحابين على المعصية والمتلائمين على الضلالة والمرتبئين [المرتشين «خ ل»] في الحكومة والمتكبّرين على أهل الدين الّذين استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الّذين من قبلهم بخلاقهم فلا يضرّنك إرعادهما وإبراقهما وأجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله فإنّك تجد مقالاً ما شئت والسلام.

قال: فكتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه: أمّا بعد فقد أتاني كتابك تذكر من أمر عثمان أمراً لا أعتذر إليك منه وتأمرني بالتنحّي عنك كأنك لي ناصح وتخوّفني بالحرب كأنّك عليّ شفيق وأنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم وأن يخذلكم الله في الوقعة وأن ينزل بكم الذلّ وأن تولّوا الدّبر فإن يكن لكم الأمر في الدنيا فكم وكم لعمري من ظالم قد نصرتم وكم من مؤمن قد قتلتم ومثّلتم به وإلى الله المصير وإليه ترد الأمور وهو أرحم الراحمين والله المستعان على ما تصفون.

قال: وكتب محمّد بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص جواب كتابه: أمّا بعد فقد فهمت كتابك وعلمت ما ذكرت وزعمت أنّك لا تحبّ أن يصيبني منك ظفر فأشهد بالله أنّك لمن

المبطلين وزعمت أنّك لي ناصح وأُقسم إنّك عندي ظنين وزعمت أنّ أهل البلد قد رفضوني وندموا على اتباعي فأولئك حزبك وحزب الشيطان الرجيم وحسبنا الله ربّ العالمين وتوكلت على الله العزيز الرحيم ربّ العرش العظيم.

قال إبراهيم: فحدّثنا محمّد بن عبد الله عن المدائنيّ قال: فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمّد بن أبي بكر في النّاس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد يا معاشر المسلمين فإن القوم الّذين كانوا ينتهكون الحرمة ويغشون أرض الضّلالة قد نصبوا لكم العداوة وساروا إليكم بالجنود فمن أراد الجنّة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله انتدبوا رحمكم الله مع كنانة بن بشر ومن يجيب معه من كندة.

ثم ندب معه ألفي رجل وتخلّف محمّد في ألفين واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدّمة محمّد فلمّا دنا عمرو من كنانة سرّح إليه الكتائب كتيبة بعد كتيبة فلم تأته كتيبة من كتائب أهل الشّام إلاّ شدّ عليها بمن معه فيضربها حتّى يلحقها بعمرو ففعل ذلك مراراً فلمّا رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن خديج الكنديّ فأتاه في مثل الدهم فلمّا رأى كنانة ذلك الجيش نزل عن فرسه ونزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه وهو يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[1] فلم يزل يضاربهم بالسيف حتّى استشهد ﷺ.

فلما قتل كنانة أقبل ابن العاص نحو محمّد وقد تفرّق عنه أصحابه فخرج محمّد فمضى في طريق حتّى انتهى إلى خربة فأوى إليها وجاء عمرو بن العاص حتّى دخل الفسطاط.

وخرج ابن خُديج في طلب محمّد حتّى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق فسألهم هل مرّ بكم أحد تنكرونه قالوا: لا قال أحدهم إنّي دخلت تلك الخربة فإذا أنا برجل جالس قال ابن خديج: هو هو وربّ الكعبة فانطلقوا يركضون حتّى دخلوا على محمّد فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً فأقبلوا به نحو الفسطاط.

فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص وكان في جنده فقال: لا والله لا يقتل أخي صبراً ابعث إلى معاوية بن خديج فانهه عن قتله.

فأرسل عمرو بن العاص إلى معاوية أن ائتني بمحمّد فقال معاوية أقتلتم كنانة بن بشر ابن عمّي وأخلّي عن محمّد هيهات ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾[2] فقال لهم محمد: اسقوني قطرة من ماء فقال له ابن خديج: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً إنّكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتّى قتلتموه صائماً محرماً فسقاه الله من الرحيق المختوم والله لأقتلنّك يا ابن أبي بكر وأنت ظمآن ويسقيك الله من الحميم والغسلين.

فقال محمد: يا ابن اليهودية النّساجة ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان إنّما ذلك إلى الله

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.
(٢) سورة القمر، الآية: ٤٣.

يسقي أولياءه ويظمئ أعداءه وهم أنت وقرناؤك ومن تولاك وتوليته والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم منّي ما بلغتم. فقال له معاوية بن خديج أتدري ما أصنع بك أُدخلك جوف هذا الحمار الميّت ثمَّ أحرقه عليك بالنار.

قال: إن فعلتم ذلك بي فطال ما فعلتم ذلك بأولياء الله وأيم الله إنّي لأرجو أن يجعل الله هذه النّار الّتي تخوفني بها برداً وسلاماً كما جعلها الله على إبراهيم خليله وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وعلى أوليائه وإنّي لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية وهذا - أشار إلى عمرو بن العاص - بنار تلظّى عليكم كلّما خبت زادها الله عليكم سعيراً فقال معاوية بن خديج: إني لا أقتلك ظلماً إنّما أقتلك بعثمان بن عفّان! قال محمد: وما أنت ورجل عمل بالجور وبدل حكم الله والقرآن وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1] فنقمنا عليه أشياء عملها فأردناه أن يختلع من عملنا فلم يفعل فقتله من قتله من النّاس فغضب ابن خديج فقدّمه فضرب عنقه ثمَّ ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار.

فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وقنتت في دبر كلّ صلاة تدعو على معاوية ابن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن خديج وقبضت عيال محمّد أخيها وولده إليها فكان القاسم بن محمّد في حجرها.

قال: وكان ابن خديج ملعوناً خبيثاً يسب علياً عليه السلام فقد روي عن داود بن أبي عوف قال: دخل معاوية بن خديج على الحسن بن عليّ عليه السلام في مسجد المدينة فقال له الحسن: ويلك يا معاوية أنت الّذي تسب أمير المؤمنين علياً؟! أما والله لئن رأيته يوم القيامة - ولا أظنك تراه - لترينه كاشفاً عن ساق يضرب وجوه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الإبل.

وعن محمّد بن عبد الله بن شداد قال: حلفت عائشة [أن] لا تأكل شواءاً أبداً بعد قتل محمّد فلم تأكل شواءاً حتّى لحقت بالله وما عثرت قط إلا قالت: تعس معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن خديج.

ويروى عن كثير النوّا: أنّ أبا بكر خرج في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة فرأت أسماء بنت عميس وهي تحته كأنّ أبا بكر متخضب بالحناء رأسه ولحيته وعليه ثياب بيض فجاءت إلى عائشة فأخبرتها فبكت عائشة وقالت: إن صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر، إنّ خضابه الدم وإنّ ثيابه أكفانه. فدخل النبيّ صلى الله عليه وآله وهي كذلك فقال: ما أبكاها؟ فذكروا الرؤيا فقال عليه السلام ليس كما عبرت عائشة ولكن يرجع أبو بكر صالحاً فتحمل منه أسماء بغلام تسميه محمّداً يجعله الله غيظاً على الكافرين والمنافقين. قال: فكان كما أخبر عليه السلام.

(١) الآيات من سورة المائدة، ٤٤-٤٥ و٤٧.

وعن الحارث بن كعب عن حبيب بن عبد الله قال: والله إنّي لعند عليّ عليه السلام جالساً إذ جاءه عبيد الله بن قعين من قبل محمّد بن أبي بكر يستصرخه قبل الوقعة فقام عليّ عليه السلام فنادى في الناس: الصلاة جامعة. فاجتمع النّاس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فهذا صريخ محمّد بن أبي بكر واخوانكم من أهل مصر قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدو من والاه ووليّ من عادى الله، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشدّ اجتماعاً على باطلهم منكم على حقكم، فكأنكم بهم قد بدأوكم وإخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر.

عباد الله إنّ مصر أعظم من الشّام خيراً وخيرٌ أهلاً فلا تغلبوا على مصر فإن بقاء مصر في أيديكم عزّ لكم وكبت لعدوكم، اخرجوا إلى الجرعة - والجرعة بين الحيرة إلى الكوفة - لنتوافى هناك كلنا غداً إن شاء الله.

قال: فلمّا كان الغد خرج يمشي فنزلها بكرةً فأقام بها حتّى انتصف النهار فلم يوافه مائة رجل فرجع!! فلمّا كان العشي بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر وهو كئيب حزين فقال: الحمد لله على ما قضى من أمر وقدّر من فعل وابتلاني بكم أيتها الفرقة الّتي لا تطيع إذا أمرتها ولا تجيب إذا دعوتها، لا أباً لغيركم ماذا تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم؟! الموت خير من الذل في هذه الدنيا لغير الحقّ، والله إن جاءني الموت - وليأتيني فليفرقن بيني وبينكم - لتجدنني لصحبتكم قالياً.

ألادين يجمعكم؟ ألا حميّة تغيظكم؟ ألا تسمعون بعدوكم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم. أوليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطغام الظلمة فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة فيجيبونه في السنة المرة والمرتين والثلاث إلى أيّ وجه شاء، ثمّ أنا أدعوكم وأنتم أُولو النهى وبقية النّاس [فـ] تختلفون وتفترقون عنّي وتعصوني وتخالفون عليّ؟! فقام إليه مالك بن كعب الأرحبي فقال: يا أمير المؤمنين اندب النّاس معي فانه لاعطر بعد عروس، لمثل هذا اليوم [كنت أدّخر نفسي] وإنّ الأجر لا يأتي إلاّ بالكرة. ثمّ التفت إلى النّاس وقال: اتقوا الله وأجيبوا إمامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوكم إنّا نسير إليهم يا أمير المؤمنين.

فأمر عليّ سعداً مولاه أن ينادي: ألا سيروا مع مالك بن كعب إلى مصر. وكان وجهاً مكروهاً فلم يجتمعوا إليه شهراً فلمّا اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك فعسكر بظاهر الكوفة وخرج معه عليّ فنظر فإذا جميع من خرج نحو من ألفين فقال عليّ عليه السلام سيروا والله ما أنتم؟! ما أخالكم تدركون القوم حتّى ينقضي أمرهم.

فخرج مالك بهم وسار خمس ليال فقدم الحجّاج بن غزية الأنصاريّ من مصر فأخبره بما عاين من هلاك محمد. وقدم عبد الرحمان بن شبيب وكان عيناً لعليّ عليه السلام وأخبره أنّه لم يخرج من الشّام حتّى قدمت البشرى من قبل عمرو بن العاص يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر

وقتل محمّد بن أبي بكر وقال: يا أمير المؤمنين ما رأيت يوماً قط سروراً مثل سرور رأيته بالشام حين أتاهم قتل محمد.

فقال عليّ عليه السلام أما إنّ حزننا على قتله على قدر سرورهم به، لابل يزيد أضعافاً. فرد عليه السلام مالكاً من الطريق وحزن على محمّد حتّى رئي ذلك فيه وتبين في وجهه وقام خطيباً فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: ألا وإنّ مصر قد افتتحها الفجرة أولياء الجور والظلم الّذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجاً، ألا وإنّ محمّد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه وعندالله نحتسبه، أما والله لقد كان - ما علمت - ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب سمت المؤمن، وإنّي والله ما ألوم نفسي على تقصير ولاعجز، وإنّي لمقاساة الحرب مجدّ [خ ل: لجد] بصير، إنّي لأقدم على الحرب وأعرف وجه الحزم وأقوم بالرأي المصيب، فأستصرخكم معلناً، وأناديكم مستغيثاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولاتطيعون [لي] أمراً، حتّى تصير الأمور إلى عواقب المساءة، وأنتم القوم لايدرك بكم الثار ولا ينقص بكم الأوتار.

دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فجرجرتم عليّ جرجرة الجمل الأسر وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من لا نية له في الجهاد ولا رأي له في اكتساب الأجر، ثمّ خرج إليّ منكم جنيد متذائب ضعيف كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون! فأف لكم.

ثم نزل فدخل رحله.

قال إبراهيم: فحدّثنا محمّد بن عبد الله عن المدائنيّ قال: كتب عليّ عليه السلام إلى عبد الله بن العبّاس وهو على البصرة: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عبّاس: سلام عليك ورحمة الله وبركاته أمّا بعد، فإن مصر قد افتتحت وقد استشهد محمّد بن أبي بكر وعندالله عزّ وجلّ نحتسبه، وقد كنت أوعزت إلى النّاس وتقدمت إليهم في بدء الأمر، وأمرتهم بإعانته قبل الوقعة، ودعوتهم سراً وجهراً، وعوداً وبدءاً، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتل كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً. أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً وأن يريحني منهم عاجلاً، فوالله لولا طمعي عند لقاء العدو في الشهادة وتوطيني نفسي عند ذلك لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً، عزم الله لنا ولك على تقواه وهداه إنّه على كلّ شيء قدير والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فكتب إليه عبد الله بن عبّاس: لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من عبد الله بن عبّاس: سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمّد بن أبي بكر وأنّك سألت ربّك أن يجعل لك من رعيّتك الّتي ابتليت بها فرجاً ومخرجاً، وأنا أسأل الله أن يعلي كلمتك وأن يأتي بما تحبه عاجلاً، وأعلم أنّ الله صانع لك ومقر دعوتك وكابت عدوك، وأخبرك يا أمير المؤمنين أنّ النّاس ربما قبضوا ثمّ نشطوا فارفق

بهم يا أمير المؤمنين ودارهم ومنّهم واستعن بالله عليهم، كفاك الله المهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. قال المدائني: وروي أنّ عبد الله بن عبّاس قدم من البصرة على عليّ فعزّاه بمحمّد بن أبي بكر.

وعن مالك بن الجون الحضرميّ أنّ عليّاً عليه السلام قال: رحم الله محمّداً كان غلاماً حدثاً لقد كنت أردت أن أولّي المرقال هاشم بن عتبة مصر فإنّه والله لو وليها لما خلّى لابن العاص وأعوانه العرصة ولا قتل إلاّ وسيفه في يده بلا ذمّ لمحمّد فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه.

قال المدائني: وقيل لعليّ عليه السلام لقد جزعت على محمّد بن أبي بكر جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين فقال: وما يمنعني إنّه كان لي ربيباً وكان لبنيّ أخاً وكنت له والداً أعدّه ولداً.

وروى ابراهيم [الثقفي] عن رجاله عن عبد الرحمان بن جندب عن أبيه قال: دخل عمرو بن الحمق وحجر بن عديّ وحبّة العرنيّ والحارث الأعور وعبدالله بن سبأ على أمير المؤمنين بعدما افتتحت مصر وهو مغموم حزين فقالوا له: بيّن لنا ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال لهم عليّ عليه السلام هل فرغتم لهذا؟! وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي بها قد قتلت، أنا مخرج إليكم كتاباً أخبركم فيه عمّا سألتم وأسألكم أن تحفظوا من حقي ما ضيّعتم فاقرأوه على شيعتي وكونوا على الحقّ أعواناً وهذه نسخة الكتاب: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين السلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الّذي لا إله إلاّ هو.

أما بعد فإن الله بعث محمّداً نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل وشهيداً على هذه الأمّة، وأنتم معاشر العرب يومئذٍ على شرّ دين وفي شرّ دار، منيخون على حجارة خشن، وجنادل صم، وشوك مبثوث في البلاد، تشربون الماء الخبيث، وتأكلون الطعام الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقتلون أولادكم، وتقطعون أرحامكم، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل، سبلكم خائفة، والأصنام فيكم منصوبة، ولا يؤمن أكثركم بالله إلاّ وهم مشركون، فمنّ الله عزّ وجلّ عليكم بمحمّد صلى الله عليه وآله فبعثه إليكم رسولاً من أنفسكم وقال فيما أنزل من كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[3] وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

فكان الرّسول إليكم من أنفسكم بلسانكم فعلمكم الكتاب والحكمة والفرائض والسنّة وأمركم بصلة أرحامكم وحقن دمائكم وصلاح ذات البين، وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ٤.

وأن توفوا بالعهد ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وأمركم أن تعاطفوا وتبارّوا وتباشروا وتباذلوا وتراحموا، ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسد والتباغي والتقاذف، وعن شرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان، وتقدّم إليكم فيما تلا عليكم أن لا تزنوا ولا تربوا ولا تأكلوا أموال اليتامى، وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ولا تعثوا في الأرض مفسدين ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين. فكل خير يدني إلى الجنّة ويباعد من النّار أمركم به، وكلّ شر يدني إلى النّار ويباعد من الجنّة نهاكم عنه.

فلما استكمل مدّته من الدنيا توفّاه الله إليه سعيداً حميداً فيا لها مصيبة خصّت الأقربين وعمّت جمع المسلمين ما أُصيبوا قبلها بمثلها ولن يعاينوا بعدها أختها.

فلما مضى لسبيله ﷺ تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر على بالي أنّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمّد عن أهل بيته، ولا أنّهم مُنَحّوه عنّي من بعده، فما راعني إلاّ انثيال النّاس على أبي بكر وإجفالهم إليه ليبايعوه، فأمسكت يدي ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمّد ﷺ وملة محمّد ﷺ في النّاس ممّن تولّى الأمر بعده.

فلبثت بذلك ما شاء الله حتّى رأيت راجعة من النّاس رجعت عن الإسلام تدعو إلى محق دين الله وملة محمّد فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً يكون المصيبة بهما عليّ أعظم من فوات ولاية أموركم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل ثمَّ يزول ما كان منها كما يزول السراب وكما ينقشع السحاب فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتّى زاغ الباطل وزهق وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون.

فتولى أبو بكر تلك الأمور وسدّد ويسّر وقارب واقتصد فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً وما طمعت أن لو حدث به حدث وأنا حيّ أن يرد إليّ الأمر الّذي بايعته فيه طمع مستيقن ولا يئست منه يأس من لا يرجوه، فلولا خاصة ما كان بينه وبين عمر لظننت أنّه لا يدفعها عنّي. فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وناصحنا وتولّى عمر الأمر فكان مرضي السيرة ميمون النقيبة حتّى إذا احتضر قلت في نفسي: لن يعدلها عنّي ليس بدافعها عنّي فجعلني سادس ستة!!.

فما كانوا لولاية أحد أشدّ كراهية منهم لولايتي عليهم فكانوا يسمعوني عند وفاة الرسول ﷺ أحاج أبا بكر وأقول: يا معشر قريش إنّا أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم أما كان فينا من يقرأ القرآن ويعرف السنّة ويدين بدين الحقّ.

فخشي القوم إن أنا وليت عليهم أن لا يكون لهم من الأمر نصيب مابقوا فأجمعوا إجماعاً واحداً فصرفوا الولاية إلى عثمان وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يئسوا أن ينالوها من قبلي ثمَّ قالوا: هلم بايع وإلاّ جاهدناك.

فبايعت مستكرهاً وصبرت محتسباً فقال قائلهم: يا ابن أبي طالب إنّك على هذا الأمر

لحريص، فقلت: إنّهم أحرص منّي وأبعد، أيّنا أحرص؟ أنا الّذي طلبت تراثي وحقي الّذي جعلني الله ورسوله أولى به أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه وتحولون بيني وبينه؟! فبهتوا والله لا يهدي القوم الظالمين.

اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش فإنّهم قطعوا رحمي وأصغوا إنائي وصغّروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به منهم فسلبونيه ثمَّ قالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه وفي الحقّ أن تمنعه فاصبر كمداً أو مت أسفاً وحنقاً.

فنظرت فإذا ليس معي رافد ولا ذابّ ولا ناصر ولامساعد إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى وتجرّعت ريقي على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار.

حتى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثمَّ جئتموني لتبايعوني فأبيت عليكم وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني، وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، وازدحمتم عليّ حتّى ظننت أنّ بعضكم قاتل بعض أو أنكم قاتليّ فقلتم: بايعنا لا نجد غيرك ولا نرضى إلاّ بك بايعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتنا، فبايعتكم ودعوت النّاس إلى بيعتي فمن بايع طوعاً قبلته منه ومن أبى لم أكرهه وتركته.

فبايعني فيمن بايعني طلحة والزبير ولو أبيا ما أكرهتهما كما لم أُكره غيرهما فما لبثنا إلاّ يسيراً حتّى بلغني أنّهما قد خرجا من مكّة متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل إلاّ قد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة.

فقدما على عاملي وخزان بيت مالي وعلى أهل مصري الّذين كلّهم على بيعتي وفي طاعتي فشتتوا كلمتهم وأفسدوا جماعتهم، ثمَّ وثبوا على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة صبراً، وطائفة منهم غضبوا لله ولي فشهروا سيوفهم وضربوا بها [خ ل: غضبوا بأسيافهم فضاربوا] حتّى لقوا الله صادقين فوالله لو لم يصيبوا منهم إلاّ رجلاً واحداً متعمدين لقتله لحل لي به قتل ذلك الجيش بأسره فدع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدَّة الّتي دخلوا بها عليهم وقد أدال الله منهم فبعداً للقوم الظالمين.

ثم إنّي نظرت في أمر أهل الشّام فاذا أعراب وأهل طمع جفاة طغاة، يجتمعون من كلّ أوب، ومن كان ينبغي أن يؤدب أو يولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين بإحسان فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة فأبوا إلاّ شقاقاً وفراقاً، ونهضوا في وجوه المسلمين ينظمونهم بالنبل ويشجرونهم بالرماح فهناك نهدت إليهم بالمسلمين فقاتلتهم فلمّا عضّهم السلاح ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى مافيها فأنبأتكم أنّهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن وأنّهم رفعوها غدراً ومكيدة وخديعة ووهناً وضعفاً فامضوا على حقكم وقتالكم فأبيتم عليّ وقلتم اقبل منهم فإن أجابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحقّ وإن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم.

فقبلت منهم وكففت عنهم إذ ونيتم وأبيتم وكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين يحييان ما أحيا القران ويميتان ما أمات القرآن فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا ما في حكم القرآن وخالفا ما في الكتاب فجنبهما السداد ودلاهما في الضلالة فنبذا حكمهما وكانا أهله.

فانخزلت فرقة منّا فتركناهم ما تركونا حتّى إذا عثوا في الأرض يقتلون ويفسدون أتيناهم فقلنا: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا ثمَّ كتاب الله بينا وبينكم؟ قالوا: كلنا قتلهم وكلنا استحل دماءهم ودماءكم. وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع الظالمين.

فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم فقلتم: كلّت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً، فارجع بنا إلى مصرنا لنستعدّ بأحسن عدتنا فاذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدّة من هلك منّا وفارقنا فإن ذلك أقوى لنا على عدوّنا. فأقبلت بكم حتّى إذا أظللتم على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة وأن تلزموا معسكركم وأن تضمّوا قواصيكم وأن توطنوا على الجهاد أنفسكم ولا تكثروا زيارة أبنائكم ونسائكم، فإن أهل الحرب المصابروها، وأهل التشمير فيها الّذين لا ينقادون من سهر ليلهم ولا ظمأ نهارهم ولا خمص بطونهم ولا نصب أبدانهم، فنزلت طائفة منكم معي معذرة، ودخلت طائفة منكم المصر عاصية، فلا من بقي منكم صبر وثبت، ولا من دخل المصر عاد إليّ ورجع فنظرت إلى معسكري وليس فيه خمسون رجلاً.

فلما رأيت ما أتيتم دخلت إليكم فلم أقدر إلى أن تخرجوا إلى يومنا هذا.

فما تنتظرون؟! أما ترون أطرافكم قد انتقصت؟ وإلى مصركم قد فتحت وإلى شيعتي بها قد قتلت وإلى مسالحكم تعرى وإلى بلادكم تغزى؟! وأنتم ذوو عدد كثير وشوكة وبأس، فما بالكم! لله أنتم! من أين تؤتون؟ وما لكم تسحرون؟! وأنى تؤفكون؟ ولو أعزمتم وأجمعتم لم تراموا. ألا إن القوم قد اجتمعوا وتناشبوا وتناصحوا وأنتم قد ونيتم وتغاششتم وافترقتم، ما أنتم إنّ أتممتم عندي على هذا بمنقذين، فانتهوا عمّا نهيتم وأجمعوا على حقكم وتجرّدوا لحرب عدوكم، قد أبدت الرغوة عن الصريح، وبيّن الصبح لذي عينين، إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء وأولي الجفاء ومن أسلم كرهاً فكان لرسول الله ﷺ أنف الإسلام كلّه حرباً، أعداء الله والسنّة والقرآن وأهل البدع والأحداث، ومن كانت بوائقه تتقى، وكان على الإسلام وأهله مخوفاً، وأكلة الرشا وعبدة الدنيا.

[و] لقد انتهى إليّ أنّ ابن النابغة لم يبايع معاوية حتّى أعطاه وشرط له أن يؤتيه أتيّة هي أعظم ممّا في يده من سلطانه، ألا صفرت يد هذا البايع دينه بالدنيا وخزيت أمانة هذا المشتري نصرة فاسق غادر بأموال المسلمين.

وإن فيهم من قد شرب فيكم الخمر وجلد الحدّ يعرف بالفساد في الدين والفعل السيئ، وإنّ فيهم من لم يسلم حتّى رضخ له على الإسلام رضيخة، فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت

ذكر مساويه من قادتهم مثل من ذكرت منهم بل هو شرّ منهم، ويودّ هؤلاء الّذين ذكرت لو ولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر والفساد والكبر والفجور والتسلّط بالجبرية، واتبعوا الهوى وحكموا بغير الحقّ.

ولأنتم على ما كان فيكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلاً فيكم العلماء والفقهاء النجباء والحكماء وحملة الكتاب والمتهجّدون بالأسحار وعمّار المساجد بتلاوة القرآن أفلا تسخطون وتهتمّون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والأشرار الأراذل منكم.

فاسمعوا قولي هداكم الله إذا قلت وأطيعوا أمري إذا أمرت فوالله لئن أطعتموني لا تغوون وإن عصيتموني لا ترشدون خذوا للحرب أهبتها وأعدّوا لها عدّتها وأجمعوا إليها فقد شبّت نارها وعلا شنارها وتجرّد لكم فيها الفاسقون كي يعذبوا عباد الله ويطفئوا نور الله!! ألا إنّه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء بأولى بالجدّ في غيّهم وضلالهم وباطلهم من أولياء الله أهل البرّ والزّهادة والإخبات بالجدّ في حقّهم وطاعة ربّهم ومناصحة إمامهم. إني والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما باليت ولا استوحشت وإنّي من ضلالتهم الّتي هم فيها والهدى الّذي نحن عليه لعلى ثقة وبيّنة ويقين وبصيرة وإنّي إلى لقاء ربّي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر ولكن أسفاً يعتريني وحزناً يخامرني من أن يلي أمر هذه الأمّة سفهاؤها وفجّارها فيتّخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً والفاسقين حزباً وأيم الله لولا ذلك لما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم ولتركتكم إذا ونيتم وأبيتم حتّى ألقاهم بنفسي متى حمّ لي لقاؤهم فوالله إنّي لعلى الحقّ وإنّي للشهادة لمحب فـ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخسف وتبوؤا بالذلّ ويكن نصيبكم الأخسر إنّ أخا الحرب اليقظان الأرق من نام لم ينم عنه ومن ضعف أودى ومن ترك الجهاد في الله كان كالمغبون المهين.

اللّهمّ اجمعنا وإياهم على الهدى وزهدنا وإيّاهم في الدنيا واجعل الآخر خيراً لنا ولهم من الأولى والسلام[2].

توضيح: قوله: «والمرتشين» في بعض النسخ «المرتبئين» أي المنتظرين المترصدين للحكومة أيّهما يأخذها قال الجوهريّ: المَرْبأ: المرقبة وكذلك المِرْبأ والمُرتبأ. ورَبأت القوم رَبْئاً وارتبأتهم أي راقبتهم وذلك إذا كنت لهم طليعة فوق شرف يقال: ربأ لنا فلان وارتبأ إذا اعتان وربأت المربأة وارتبأتها أي علوتها قال أبو زيد: ربأت الشيء مرابأة إذا حذرته واتقيته وقال: الدهم: العدد الكثير.

قوله: «فإنه لا عطر بعد عروس» قال الزمخشريّ بعد إيراد المثل ويروى: «لا مخبأ لعطر

(١) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٢١٦-٢٤٣.

بعد عروس» وأصله أنّ رجلاً أهديت إليه امرأة فوجدها تفلة فقال لها : أين الطّيب فقالت : خبأته . فقال ذلك . وقيل : عروس اسم رجل مات فحملت امرأته أواني العطر فكسرتها على قبره وصبّت العطر فوبّخها بعض معارفها فقالت ذلك، يضرب على الأوّل في ذم ادّخار الشيء وقت الحاجة إليه وعلى الثاني في الاستغناء عن ادّخار الشيء لعدم من يدّخر له .

وقال الميدانيّ : قال المفضّل أوّل من قال ذلك امرأة من عذرة يقال لها أسماء بنت عبد الله وكان لها زوج من بني عمها يقال له عروس فمات عنها فتزوّجها رجل من قومها يقال له نوفل وكان أعسر أبخر بخيلاً دميماً فلمّا أراد أن يظعن بها قالت له : لو أذنت لي فرثيت ابن عمّي وبكيت عند رمسه فقال : افعلي فقالت : أبكيك يا عروس الأعراس يا ثعلباً في أهله وأسداً عند الباس مع أشياء ليس يعلمها الناس .

قال : وما تلك الأشياء؟ قالت : كان عن الهمة غير نعاس ويعمل السيف صبيحات الباس . ثمّ قالت : يا عروس الأغر الأزهر الطيّب الخيم الكريم المحضر مع أشياء له لا تذكر . قال وما تلك الأشياء؟ قالت : كان عيوفاً للخنا والمنكر طيّب النكهة غير أبخر أيسر غير أعسر . فعرف الزّوج أنّها تعرّض به فلمّا رحل بها قال : ضمّي إليك عطرك ونظر إلى قشوة عطرها مطروحة فقالت : لا عطر بعد عروس فذهبت مثلاً يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس .

قوله عليه السلام : «لقد كان ما علمت» أي ما دمت علمته وعرفته أو علمت حاله أو صرت عالماً بتنزيله منزلة اللازم .

ويحتمل أن تكون «ما» موصولة بتقدير الباء أي بالذي علمت منه أو بجعله خبر «كان» والأفعال بعده بدله أو اسم «كان» والأفعال خبره أي كان الّذي علمت منه تلك الصفات والأوّل لعلّه أظهر وانثال : انصبّ . والإجفال : الإسراع .

قوله عليه السلام : «فكان مرضي السيرة» أي ظاهراً عند النّاس وكذا ما مرّ في وصف أبي بكر وآثار التقيّة والمصلحة في الخطبة ظاهرة بل الظاهر أنّها من إلحاقات المخالفين .

قوله عليه السلام : «فبهتوا» في بعض النسخ «فهبّوا» أي انتبهوا ولكن لم ينفعهم الانتباه .

وقال الجوهريّ : صغا يصغو ويصغى صَغْواً أي مال . وأصغيت إلى فلان إذا ملت بسمعك نحوه وأصغيت الإناء : أملته يقال : فلان مصغي إناؤه إذا نُقِص حقه وقال : الكمد : الحزن المكتوم . وقال : جاؤوا من كلّ أوب أي من كلّ ناحية .

قوله عليه السلام : «أو يولّى عليه» أي من كان لقلّة عقله وسفاهته حرّياً لأن يقوم عليه وليّ يتولّى أموره .

وقال الجوهريّ نظمت اللّؤلؤ أي جمعته في سلك . وطعنه فانتظمه أي اختلّه وقال : يقال : نصل السهم إذا خرج منه النصل ونصل السهم إذا ثبت نصله في الشيء فلم يخرج وهو من الأضداد ونصلت السّهم تنصيلاً نزعت نصله . وقال : القصدة بالكسر : القطعة من الشيء إذا انكسر والجمع قِصَدٌ يقال القنا قِصَدٌ وقد انقصد الرّمح وتقصّدت الرماح : تكسّرت .

وقال الفيروزآبادي: رمح قصد ككتف وقصيد وأقصاد: متكسر. وقال: أطلّ على الشيء: أشرف.

قوله عليه السلام: «وإلى مسالحكم تعرى» أي ثغوركم خالية عن الرجال والسلاح. والصريح: اللبن الخالص إذا ذهبت رغوته. ذكره الجوهريّ وقال: أنف كلّ شيء: أوله. وأنف البرد: أشدة. وقال المخامرة: المخالطة. وقال: حمّ الشيء أي قدر. وأحمّ أي حان وقته. وقال: أودى فلان أي هلك فهو مود.

٧٢٣ - ج، كتب محمّد بن أبي بكر رضي الله عنه إلى معاوية احتجاجاً عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد بن أبي بكر إلى الباغي معاوية بن صخر سلام الله على أهل طاعة الله ممّن هو أهل دين الله وأهل ولاية الله أمّا بعد فإن الله بجلاله وسلطانه خلق خلقاً بلا عبث منه ولا ضعف به في قوّة ولكنّه خلقهم عبيداً فمنهم شقيّ وسعيد وغويّ ورشيد ثمّ اختارهم على علم منه واصطفى وانتخب منهم محمّداً صلى الله عليه وآله واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة. فكان أوّل من أجاب وأناب وأسلم وسلّم أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام فصدّقه بالغيب المكتوم وآثره على كلّ حميم ووقاه كلّ مكروه وواساه بنفسه في كلّ خوف وقد رأيتك تساويه وأنت أنت وهو هو المبرّز السابق في كلّ خير وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل وتجتهدان على إطفاء نور الله تجمعان الجموع على ذلك وتبذلان فيه الأموال وتحالفان عليه القبائل على ذلك مات أبوك وعليه خلفته أنت فكيف لك الويل تعدل عن عليّ وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّه وأوّل النّاس له اتباعاً وآخرهم به عهداً وأنت عدوّه وابن عدوّه فتمتع بباطلك ما استطعت، وتبدّد بابن العاص في غوايتك فكأن أجللك قد انقضى وكيدك قد وهى ثمّ تستبين لمن تكون العاقبة العليا والسلام على من اتبع الهدى.

فأجابه معاوية إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر سلام على أهل طاعة الله.

أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه مع كلام ألفته ورصفته لرأيك فيه ذكرت حقّ عليّ وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله ونصرته ومواساته إيّاه في كلّ خوف وهول وتفضيلك عليّاً وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك فالحمدلله الّذي صرف ذلك عنك وجعله لغيرك.

[ف] قد كنا وأبوك معنا في زمان نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله نرى حقّ عليّ لازماً لنا وسبقه مبرزاً علينا فلمّا اختار الله لنبيّه صلى الله عليه وآله ما عنده وأتم له ما وعده وقبضه إليه فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه [حقه] وخالفه، على ذلك اتفقا ثمّ دعواه إلى أنفسهما فأبطأ عليهما فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم فبايع وسلم لأمرهما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما حتّى قضى الله من أمرهما ما قضى.

ثم قام بعدهما ثالثهما يهدي بهديهما ويسير بسيرتهما فعبته أنت وأصحابك حتّى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي حتّى بلغتمامنه مناكم [وكان] أبوك مهّد مهاده فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله وإن يكن جوراً فأبوك سنّه ونحن شركاؤه وبهديه اقتدينا.

ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا علياً ولسلمنا له ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك فأخذنا بمثاله فعب أباك أو دعه والسلام على من تاب وأناب[1].

بيان: قوله: «تبدد بابن العاص» التبدد: التفرق وتبدّدوا الشيء: اقتسموه حصصاً. ولا يناسبان المقام إلاّ بتكلّف والأظهر: وليمدّك ابن العاص كما سيأتي. وزريت عليه: عبته. والرّصف: الشد والضمّ.

٧٢٤ - **ختص:** كتاب محمّد بن أبي بكر رحمه الله إلى معاوية لعنه الله من محمّد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان سلام على أهل طاعة الله ممّن هو سلم لأهل ولاية الله.

أما بعد فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عبث منه ولا ضعف في قوّة ولا من حاجة به إليهم ولكنّه خلقهم عبيداً فجعل منهم غويّاً وشقيّاً وسعيداً ثمّ اختارهم على علمه فاصطفاه وانتجب منهم محمداً صلى الله عليه وآله فانتجبه واصطفاه برسالاته وأرسله بوحيه وائتمنه على أمره وبعثه رسولاً مصدّقاً ودليلاً.

فكان أوّل من أجاب وأناب وصدق وآمن وأسلم وسلم أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب صدّقه بالغيب المكتوم وآثره على كلّ حميم ووقاه كلّ هول وواساه بنفسه في كلّ خوف حارب من حاربه وسالم من سالمه ولم يزل باذلاً نفسه في ساعات الخوف والجوع والجد والهزل حتّى أظهر الله دعوته وأفلج حجّته [فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل والهلوع حتّى برز سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه ولامقارب له في فعل «خ ل»] وقد رأيتك أيّها الغاوي تساميه وأنت أنت وهو المبرز السابق في كلّ حين أوّل النّاس إسلاماً وأصدق النّاس نية وأطيب النّاس ذرّيّة وأفضل النّاس زوجة رسول الله ابن عمّه وهو وصيّه وصفيّه، وأخوه الشاري نفسه يوم مؤتة وعمّه سيّد الشهداء يوم أحد وأبوه الذابّ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وعن حوزته وأنت اللّعين ابن اللّعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان على رسول الله صلى الله عليه وآله الغوائل وتجهدان على إطفاء نور الله وتجمعان عليه الجموع وتؤلّبان عليه القبائل وتبذلان فيه المال هلك أبوك على ذلك وعلى ذلك خلفك والشاهد عليك بفعلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق وأهل الشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته.

والشاهد لعليّ بن أبي طالب عليه السلام بفضله المنير المبين وسبقه القديم أنصاره الّذين معه الّذين ذكروا بفضلهم في القرآن وأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار فهم معه كتائب

(١) الاحتجاج، ص ١٨٣.

وعصائب من حوله يجالدون بأسيافهم ويهرقون دماءهم دونه يرون الفضل في اتباعه والشقاء في خلافه فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلي وعليّ أخو رسول الله ﷺ ووصيّه وأبو ولده وأوّل النّاس له اتباعاً وآخرهم به عهداً يخبره بسرّه ويشركه في أمره وأنت عدوّه وابن عدوّه فتمتّع ما استطعت بباطلك وليمدّك ابن العاصي في غوايتك وكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثمّ تستبين لمن تكون العاقبة العليا واعلم أنّك إنّما تكايد ربّك الّذي قد أمنت كيده في نفسك وأيست من روحه وهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور وبالله ورسوله وأهل رسوله عنك الغناء والسلام على من اتبع الهدى.

فلما قرأ معاوية لعنه الله كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان إلى محمّد بن أبي بكر الزاري على أبيه أمّا بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه ما الله أهله من سلطانه وقدرته وما اصطفى به رسوله مع كلام ألفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف ولأبيك فيه تعنيف وذكرت فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته لرسول الله ﷺ ونصرته له ومواساته إيّاه في كلّ خوف وهول فكان احتجاجك عليّ وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد ربّاً صرف ذلك الفضل عنك وجعله لغيرك.

فقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا ﷺ نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا وفضله مبرّزاً علينا حتّى اختار الله لنبيّه ما عنده فأتم له وعده وأظهر له دعوته وأفلج له حجّته ثمّ قبضه الله إليه فكان أوّل من ابتزه حقّه أبوك وفاروقه وخالفاه في أمره، على ذلك اتفقا واتّسقا ثمّ دعواه ليبايعهما وأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم ثمّ إنّه بايع لهما وسلّم فلم يشركاه في أمرهما ولم يطلعاه على سرّهما حتّى قبضا على ذلك.

ثم قام ثالثهما من بعدهما عثمان بن عفّان فاقتدى بهديهما فعبته أنت وصاحبك حتّى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي وبطنتما له وأظهرتما له العداوة حتّى بلغتما فيه مُناكما فخذ حذرك يا ابن أبي بكر فسترى وبال أمرك وقس شبرك بفترك فكيف توازي من لا يوازن الجبال حلمه ولا تعب من مهّد له أبوك مهاده وطرح لملكه وساده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك فيه أوّل ونحن فيه تبع، وإن يكن جوراً فأبوك أوّل من أسّس بناه فبهديه اقتدينا وبفعله احتذينا ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا عليّاً ولسلمنا إليه ولكن عب أباك بما شئت أو دعه والسلام على من أناب ورجع عن غوايته وتاب[1].

أقول: روى الكتاب والجواب نصر بن مزاحم في كتاب صفّين بأدنى اختلاف أومأنا إلى بعضه.

٧٢٥ - **نهج:** [و] من كلام له عليه السلام - لمّا قلّد محمّد بن أبي بكر مصر فملكت عليه وقتل -:

---

(١) الاختصاص، ص ١٢٦.

وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة ولو ولّيته إيّاها لما خلّى لهم العرصة، ولا أنهز لهم الفرصة بلا ذم لمحمّد بن أبي بكر فلقد كان إليّ حبيباً وكان لي ربيباً[١].

بيان: [قوله:] «لما قلد» أي جعله واليها كأنّ ولايتها قلادة في عنقه لأنّه مسؤول عن خيرها وشرّها. ويقال ملكه عليه أي أخذه منه قهراً واستولى عليه. وإنهاز الفرصة إمّا تأكيد لتخلية العرصة والمراد بهما تمكين العدوّ وعدم التدبير في دفعه كما ينبغي أو التخلية كناية عن الفرار والإنهاز عن تمكين الأعداء. وعدم استحقاق الذم لكون هذا التمكين عن عجزه لا عن التقصير والتواني «وكان إليّ حبيباً» أي كنت أحبّه ومحبوبه عليه السلام لا يستحق الذّم وربيب الرجل: ابن امرأته من غيره وأم محمّد أسماء بنت عميس كانت عند جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله، ولما استشهد جعفر تزوّجها أبو بكر فولدت له محمّداً ثمَّ تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام ونشأ محمّد في حجره ورضع الولاء والتشيّع وكان جارياً عنده عليه السلام مجرى بعض ولده.

وأما هاشم فهو ابن عتبة بن أبي وقّاص وهو المرقال سمّي به لأنّه كان يرقل في الحرب أي يسرع قتل بصفّين رحمه الله.

٧٢٦ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر: فاخفض لهم جناحك وألِنْ لهم جانبك، وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتّى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم وإنّ الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فإن يعذب فأنتم أظلم وإن يعف فهو أكرم. واعلموا عباد الله أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدّنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أُكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون وأخذوا منها ما أخذت الجبابرة المتكبرون ثمَّ انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح [المربح «خ ل»] أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا أنّهم جيران الله غداً في آخرتهم لا تردّ لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذّة.

فاحذروا عباد الله الموت وقُربه وأعدوا له عدّته فإنّه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شرّ أبداً أو شرّ لا يكون معه خير أبداً فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها ومن أقرب إلى النّار من عاملها وإنكم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم وهو ألزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم. فاحذروا ناراً قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تُسمع فيها دعوة ولا تفرّج فيها كربة.

وإن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من الله وأن يحسن ظنّكم به فاجمعوا بينهما فإنّ العبد إنّما

(١) نهج البلاغة، ص ١٤٢ خ ٦٨.

يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربّه وإنّ أحسن النّاس ظنّاً بالله أشدّهم خوفاً لله.

واعلم يا محمّد بن أبي بكر أنّي قد ولّيتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر فأنت محقوق أن تخالف على نفسك وأن تنافح عن دينك ولو لم يكن لك إلاّ ساعة من الدهر فلا تسخط الله برضاء أحد من خلقه فإنّ في الله خلفاً من غيره وليس من الله خلف في غيره، صلّ الصلاة لوقتها الموقّت ولا تعجّل وقتها لفراغ ولا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال واعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلاتك.

ومنه: فإنّه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى ووليّ النبيّ وعدوّ النبيّ ولقد قال لي رسول الله ﷺ إنّي لا أخاف على أمّتي مؤمناً ولا مشركاً أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان عالم اللسّان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون(١).

بيان: قوله عليه السلام: «وآس بينهم» قال [ابن الأثير] في [مادة] «أسا» من [النهاية: الأسوة والمؤاساة: المساهمة والمشاركة في المعاش والرزق وأصلها الهمزة فقلبت واواً تخفيفاً ومنه حديث عليّ عليه السلام: «آس بينهم في اللّحظة والنظرة» أي اجعل كلّ واحد منهم أسوة خصمه وقال ابن أبي الحديد: نبه بذلك على وجوب أن يجعلهم أسوة في جميع ما عدا ذلك من العطاء والإنعام والتقريب كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

وقال في قوله عليه السلام: «في حيفك لهم» الضمير في لهم راجع إلى رعيته لا إلى العظماء وقد كان سبق ذكرهم في أوّل الخطبة أي حتّى لا يطمع العظماء في أن تتحيّف الرعية وتظلمهم وتدفع أموالهم إليهم ويجوز أن يرجع الضمير إلى العظماء أي حتّى لا يطمع العظماء في جورك في القسم الّذي إنّما تفعله لهم ولأجلهم. انتهى. والحيف يكون بمعنى الميل عن القصد وبمعنى الظلم والثاني بالأوّل والأوّل بالثاني أنسب.

قوله عليه السلام: «فأنتم أظلم» أي من أن لا تعذبوا أو لا تستحقوا العقاب «وإن يعف فهو أكرم» من أن لا يعفو أو يستغرب منه العفو.

أو المعنى أنّه سبحانه إن عذّب فظلمكم أكثر من عذابه ولا يعاقبكم بمقدار الذنب، وإن يعف فكرمه أكثر من ذلك العفو ويقدر على أكثر منه وربّما يفعل أعظم منه.

وقال ابن أبي الحديد أي أنتم الظالمون كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. وكقولهم: الله أكبر. وقال ابن ميثم: ويحتمل أن يكون قد سمّى ما يجازيهم من العذاب ظلماً مجازاً لمشابهة الظلم في الصورة كما في قوله عليه السلام: ﴿فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فصدق إذن اسم التفضيل لابتدائهم بالمعصية انتهى.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥١٦ خ ٢٦٥.

وقوله: «سكنوا الدنيا» بيان لقوله: «ذهبوا» وقال ابن ميثم وإنّما كان ما فعلوا أفضل لأنّهم استعملوها على الوجه الّذي ينبغي لهم وأُمروا باستعمالها عليه وظاهر أنّ ذلك أفضل الوجوه وهو الأخذ من لذات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم وحاجتهم بل نقول: انّ لذّتهم بما استعملوا منها أتمّ وأكمل وذلك أنّ كلّ ما استعملوه من مأكول ومشروب ومنكوح ومركوب إنّما كان عند الحاجة والضرورة وكلما كان الحاجة إلى الملذّات أتمّ كانت اللّذّة أقوى وأعظم.

أقول: ويحتمل أن تكون الأفضلية باعتبار أنّ المتّقين لمّا كان مصروفهم من الحلال لا يخافون عليه عقاباً وغيرهم لمّا كان ما ينتفعون به حراماً أو مخلوطاً يخشون العقوبة عليه وهذا ممّا يكدر عيشهم وعامل الجنّة من يعمل الأعمال المؤدية إليها وكذا عامل النّار.

والطرداء بضم الطاء وفتح الراء: جمع طريد أي يطردكم عن أوطانكم ويخرجكم منها. وقال في النهاية: فيه «كنت أطارد حية» أي أخادعها لأصيدها ومنه طراد الصيد.

قوله عليه السلام: «معقود بنواصيكم» أي ملازم لكم.

قوله عليه السلام: «وإن أحسن النّاس ظناً» التلازم بينهما لكونهما لازمين للمعرفة فكلّما صارت هذه المعرفة أكمل والعلم بجلالته سبحانه أتمّ كان حسن الظن والخوف أبلغ.

قوله عليه السلام: «أعظم أجنادي» أي عساكري وأعواني وأقاليمي وبلداني. قال ابن أبي الحديد: يقال للأقاليم والأطراف: أجناد.

وقال الجوهريّ: الجند: الأعوان والأنصار والشام خمسة أجناد دمشق وحمص وقنسرين وأردن وفلسطين يقال: لكلّ مدينة منها جند والظاهر هو الأوّل لقوله: أهل مصر. «فأنت محقوق» أي حقيق وجدير.

وقال في النهاية: المنافحة والمكافحة: المدافعة والمضاربة ومنه حديث عليّ عليه السلام [في صفّين] «نافحوا بالظبى» أي قاتلوا بالسّيف وأصله أن يقرب أحد المتقاتلين من الآخر بحيث يصل نفح كلّ واحد منهما إلى صاحبه وهي ريحه ونفسه وقال: اللّهمّ أعط كلّ منفق خلفاً أي عوضاً. والمراد بإمام الردّى معاوية كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ وكذا هو المراد بعدو النبيّ قال ابن أبي الحديد لأنّ عدوه عليه السلام عدو النبيّ لقوله صلى الله عليه وآله «وعدوك عدوي وعدوي عدو الله» ولأنّ دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من أفعاله وفلتات لسانه.

٧٢٧ - **كش:** محمّد بن مسعود عن عليّ بن محمّد القميّ عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن رجل عن عمر بن عبد العزيز عن جميل بن درّاج عن حمزة بن محمّد الطيّار قال: ذكرنا محمّد بن أبي بكر عند أبي عبد الله عليه السلام فقال أبو عبد الله عليه السلام: رحمه الله وصلّى عليه قال لأمير المؤمنين عليه السلام يوماً من الأيام: ابسط يدك أبايعك فقال: أوما فعلت؟ قال: بلى فبسط

يده فقال: أشهد أنّك إمام مفترض طاعتك وأن أبي في النّار فقال أبو عبد الله عليه السلام كانت النجابة من قبل أمّه أسماء بنت عميس رحمة الله عليها لا من قبل أبيه(١).

٧٢٨ - **ختص:** عن ابن الطيّار مثله(٢).

٧٢٩ - **كش:** حمدويه بن نصير عن محمّد بن عيسى عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّ محمّد بن أبي بكر بايع علياً عليه السلام على البراءة من أبيه(٣).

٧٣٠ - **ختص:** أحمد بن هارون الفاميّ عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن يزيد عن ابن أبي عمير مثله. «ص ٦٥».

٧٣١ - **كش:** حمدويه وإبراهيم عن محمّد بن عبد الحميد عن أبي جميلة عن ميسر بن عبد العزيز عن أبي جعفر عليه السلام قال: بايع محمّد بن أبي بكر على البراءة من الثاني(٤).

٧٣٢ - **كش:** حمدويه عن محمّد بن عيسى عن يونس عن موسى بن مصعب عن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من أهل بيت إلاّ ومنهم نجيب من أنفسهم وأنجب النجباء من أهل بيت سوء محمّد بن أبي بكر(٥).

٧٣٣ - **ف:** كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر بعد تسيير محمد بن أبي بكر ما هذا مختصره: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبي بكر وأهل مصر سلام عليكم أمّا بعد فقد وصل إليّ كتابك وفهمت ما سألت عنه وأعجبني اهتمامك بما لا بدّ لك منه وما لا يصلح المسلمين غيره، وظننت أنّ الّذي أخرج ذلك منك نيّة صالحة ورأي غير مدخول.

أما بعد فعليك بتقوى الله في مقامك ومقعدك وسرّك وعلانيتك وإذا قضيت بين النّاس فاخفض لهم جناحك وليّن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللّحظ والنظرة حتّى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم وأن تسأل المدّعي البيّنة وعلى المدعى عليه اليمين.

ومن صالح أخاه على صلح فأجز صلحه إلاّ أن يكون صلحاً يحرّم حلالاً أو يحلل حراماً. وآثر الفقهاء وأهل الصدق والوفاء والحياء والورع على أهل الفجور والكذب والغدر وليكن الصالحون الأبرار إخوانك والفاجرون الغادرون أعداءك فإن أحبّ إخواني إليّ أكثرهم لله ذكراً وأشدهم منه خوفاً وأنا أرجو أن تكون منهم إن شاء الله.

وإني أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسؤولون وعمّا أنتم إليه صائرون فإن الله قال في كتابه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٦) وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾(٧) وقال:

---

(١) رجال الكشي، ص ٦١ ح ١٦. (٢) الاختصاص، ص ٦٥.

(٣) - (٥) رجال الكشي في ترجمة محمد بن أبي بكر ص ٦١.

(٦) سورة المدثر، الآية: ٣٨. (٧) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (١) فعليكم بتقوى الله فإنّها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها من خير الدنيا وخير الآخرة قال الله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢) اعلموا عباد الله أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الخير وآجله شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم قال الله عزّوجلّ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (٣) سكنوا الدّنيا بأحسن ما سكنت فأكلوها بأحسن ما أكلت.

واعلموا عبادالله أنّكم إذا اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهله فقد عبدتموه بأفضل عبادته وذكرتموه بأفضل ما ذكر وشكرتموه بأفضل ما شكر وقد أخذتم بأفضل الصّبر والشكر واجتهدتم بأفضل الاجتهاد وإن كان غيركم أطول منكم صلاةً وأكثر منكم صياماً وصدقة إذ كنتم أنتم أوفى لله وأنصح لأولياء الله ومن هو وليّ الأمر من آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

واحذروا عباد الله الموت وقربه وكربه وسكراته وأعدوا له عدته فإنّه يأتي بأمر عظيم بخير لا يكون معه شرّ وبشر لا يكون معه خير أبداً فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها؟ وأقرب إلى النّار من أهلها فأكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أكثروا ذكر هادم اللذات واعلموا أنّ ما بعد الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه أشدّ من الموت.

واعلم يا محمّد أنّي ولّيتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر وأنت محقوق أن تخاف على نفسك وأن تحذر فيه على دينك وإن لم يكن [لك] إلاّ ساعة من النهار فإن استطعت أن لا تسخط ربّك برضا أحد من خلقه فافعل فإن في الله خلفاً من غيره ولا في شيء خلف من الله.

اشدد على الظالم وخذ على يديه ولن لأهل الخير وقرّبهم منك واجعلهم بطانتك وإخوانك. ثم انظر صلاتك كيف هي فإنّك إمام وليس من إمام يصلّي بقوم فيكون في صلاتهم تقصير إلاّ كان عليه أوزارهم ولا ينتقص من صلاتهم شيء ولا يتممها إلاّ كان له مثل أجورهم ولا ينتقص من أجورهم شيء.

وانظر الوضوء فإنّه تمام الصلاة ولا صلاة لمن لا وضوء له، واعلم أنّ كلّ شيء من عملك تابع لصلاتك واعلم أنّه من ضيع الصلاة فإنّه لغير الصلاة من شرائع الإسلام أضيع.

وإن استطعتم يا أهل مصر أن يصدّق قولكم فعلكم وسرّكم علانيتكم ولا تخالف ألسنتكم أفعالكم فافعلوا و[قد] قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّي لا أخاف على أُمّتي مؤمناً ولا مشركاً أمّا

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢-٩٣.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

المؤمن فيمنعه الله بإيمانه وأمّا المشرك فيخزيه الله ويقمعه بشركه ولكن أخاف عليكم كلّ منافق حلو اللّسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون ليس به خفاء.

وقد قال النبيّ ﷺ من سرته حسناته وساءته سيّئاته فذلك المؤمن حقاً.

وكان يقول ﷺ: خصلتان لا تجتمعان في منافق: حسن سمت وفقه في سنّة.

واعلم يا محمّد بن أبي بكر أنّ أفضل الفقه الورع في الله والعمل بطاعة الله أعاننا الله وإيّاك على شكره وذكره وأداء حقّه والعمل بطاعته إنّه سميع قريب.

واعلم أنّ الدنيا دار بلاء وفناء والآخرة دار بقاء وجزاء فإن استطعت أن تؤثر ما يبقى على ما يفنى فافعل. رزقنا الله بصر ما بصّرنا وفهم ما فهّمنا حتّى لا نقصر عمّا أمرنا ولا نتعدى إلى ما نهانا عنه فإنّه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فإن عرض لك أمران: أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة وإن استطعت أن تعظم رغبتك للخير وتحسن فيه نيّتك فافعل فإن الله يعطي العبد على قدر نيّته إذا أحبّ الخير وأهله وإن لم يفعله كان إن شاء الله كمن فعله.

ثم إنّي أوصيك بتقوى الله ثمّ بسبع خصال هنّ جوامع الإسلام تخشى الله ولا تخشى النّاس في الله وإن خير القول ما صدّقه الفعل ولا تقض في أمر واحد بقضائين فيختلف عليك أمرك وتزلّ عن الحقّ وأحبّ لعامة رعيّتك ما تحبّ لنفسك وأهل بيتك واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك والزم الحجّة عند الله وأصلح رعيّتك وخض الغمرات إلى الحقّ ولا تخف في الله لومة لائم وأقم وجهك وانصح للمرء المسلم إذا استشارك واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[١].

أقول: سيأتي مع شرحه إن شاء الله بإسناد آخر في باب مواعظه صلوات الله عليه بتغيير وزيادة وقد مرّ برواية ابن أبي الحديد أيضاً.

٧٣٤ - **ختص:** الحسين بن أحمد العلويّ المحمدي وأحمد بن عليّ بن الحسين بن زنجويه جميعاً عن حمزة بن القاسم العلويّ عن بكر بن عبد الله بن حبيب عن سمرة بن عليّ عن أبي معاوية الضرير عن مجالد عن الشعبيّ:

عن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين قال: لمّا جاء عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه مصاب محمّد بن أبي بكر حيث قتله معاوية بن خديج السّكونيّ بمصر جزع عليه جزعاً شديداً وقال: ما أخلق مصر أن يذهب آخر الدهر فلوددت أنّي وجدت رجلاً يصلح لها فوجهته إليها فقلت: تجد فقال من؟ قلت الأشتر قال: ادعه لي فدعوته فكتب له عهده وكتب معه:

---

(١) تحف العقول، ص ١٢٣-١٢٦.

بسم الله الرحمن الرحيم من عليّ بن أبي طالب إلى الملأ من المسلمين الّذين غضبوا لله حين عصي في الأرض وضرب الجور بأرواقه على البرّ والفاجر فلا حقّ يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الّذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد فقد وجهت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر أشدّ على الفجار من حريق النّار وهو مالك بن الحرث الأشتر أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا فإنّه سيف من سيوف الله لا نابي الضريبة ولا كليل الحد فإن أمركم أن تنفروا فانفروا وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا وإن أمركم أن تحجموا فأحجموا فإنّه لا يقدم ولا يحجم إلاّ بأمري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدّة شكيمته على عدوّكم عصمكم ربّكم بالهدى وثبّتكم باليقين.

ثم قال له: لا تأخذ على السماوة فإنّي أخاف عليكم معاوية وأصحابه ولكن الطريق الأعلى في البادية حتّى تخرج إلى أبلة ثمّ ساحل مع البحر [حتى] تأتيها ففعل فلمّا انتهى إلى أيلة وخرج منها صحبه نافع مولى عثمان بن عفّان فخدمه وألطفه حتّى أعجبه شأنه فقال: ممّن أنت؟ قال: من أهل المدينة قال: من أيّهم؟ قال: مولى عمر بن الخطّاب قال: وأين تريد؟ قال: مصر قال: وما حاجتك بها؟ قال: أريد أن أشبع من الخبز فإنا لا نشبع بالمدينة فرقّ له الأشتر وقال له: الزمني فإنّي سأجيبك بخبز فلزمه حتّى بلغ القلزم وهو من مصر على ليلة فنزل على امرأة من جهينة فقالت: أي الطعام أعجب بالعراق فأعالجه لكم؟ قال: الحيتان الطرية فعالجتها له فأكل وقد كان ظلّ صائماً في يوم حار فأكثر من شرب الماء فجعل لا يروى فأكثر منه حتّى نغر يعني انتفخ بطنه من كثرة شربه فقال له نافع إنّ [هذا] الطعام [الذي أكلت] لا يقتل سمه إلاّ العسل فدعا به من ثقله فلم يوجد قال له نافع: هو عندي فآتيك به؟ قال نعم فأتني به فأتى رحله فحاضر شربة من عسل بسمّ قد كان معه أعده له فأتاه بها فشربها فأخذه الموت من ساعته وانسل نافع في ظلمة الليل فأمر به الأشتر أن يطلب فطلب فلم يصب.

قال عبد الله بن جعفر وكان لمعاوية بمصر عين يقال له مسعود بن رجرجة فكتب إلى معاوية بهلاك الأشتر فقام معاوية خطيباً في أصحابه فقال: إنّ علياً كان له يمينان قطعت إحداهما بصفين يعني عماراً والأُخرى اليوم إنّ الاشتر مرّ بأيلة متوجهاً إلى مصر فصحبه نافع مولى عثمان فخدمه وألطفه حتّى أعجبه واطمأن إليه فلمّا نزل القلزم حاضر له شربة من عسل بسمّ فسقاها له فمات ألا وإنّ لله جنوداً من عسل[1].

بيان: قال الجوهريّ: الأرواق: الفساطيط يقال: ضرب فلان روقه بموضع كذا إذا نزل به وضرب خيمته. وفي الحديث «حين ضرب الشيطان روقه ومدّ أطنابه» يقال: ألقى فلان عليك أرواقه وشراشره وهو أن يحبه حبّاً شديداً. وقال: السّاحل: شاطئ البحر وقد ساحل القوم إذا أخذوا على الساحل.

---

(١) الاختصاص، ص ٧٩ ح ١٣٥.

قوله: «حتى نغر» في بعض النسخ بالغين المعجمة قال في النهاية: نغرت القدر تنغر غلت. وفي القاموس: نغر من الماء كفرح: أكثر. وفي بعضها بالمهملة من نعر بمعنى صوت والأوّل أظهر ولعلّ ما في الخبر بيان لحاصل المعنى.

٧٣٥ - **ختص:** أحمد بن عليّ عن حمزة بن القاسم العلويّ عن بكر بن عبد الله بن حبيب عن سمرة بن عليّ عن المنهال بن جبير الحميريّ عن عوانة قال: لمّا جاء هلاك الأشتر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام صعد المنبر فخطب النّاس ثمّ قال: ألا إنّ مالك بن الحارث قد قضى نحبه وأوفى عهده ولقي ربّه فرحم الله مالكاً لو كان جبلاً لكان فنداً ولو كان حجراً لكان صلداً لله مالك! وما مالك؟ وهل قامت النساء عن مثل مالك؟ وهل موجود كمالك؟ قال: فلمّا نزل ودخل القصر أقبل عليه رجال من قريش فقالوا: لشدّ ما جزعت عليه ولقد هلك قال: أما والله هلاكه قد أعزّ أهل المغرب وأذل أهل المشرق قال وبكى عليه أياماً وحزن عليه حزناً شديداً وقال: لا أرى مثله بعده أبداً[١].

٧٣٦ - **نهج:** وقال عليه السلام لمّا بلغه قتل محمّد بن أبي بكر: إنّ حزننا عليه على قدر سرورهم به إلاّ أنّهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً[٢].

٧٣٧ - وقال عليه السلام وقد جاءه نعي الأشتر: مالك وما مالك؟ لو كان جبلاً لكان فنداً [ولو كان حجراً لكان صلداً] لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطائر[٣].

قوله عليه السلام: «الفنْد» هو المنفرد من الجبال.

توضيح: قال في النهاية: الفند من الجبل أنفه الخارج منه ومنه حديث عليّ عليه السلام: «لو كان جبلاً لكان فنداً» وقيل هو المنفرد من الجبال.

وقال ابن أبي الحديد: إنّما قال عليه السلام: «لو كان جبلاً لكان فنداً» لأنّ الفند قطعة من الجبل طولاً وليس الفند القطعة من الجبل كيف ما كانت ولذلك قال عليه السلام: «لا يرتقيه الحافر» لأنّ القطعة المأخوذة من الجبل طولاً في دقة لا سبيل للحافر إلى صعودها ولو أُخذت عرضاً لأمكن صعودها ثمّ وصف عليه السلام تلك القطعة بالعلو العظيم فقال: «ولا يوفي عليه الطائر» أي لا يصعد عليه يقال أوفى فلان على الجبل أي أشرف.

٧٣٨ - **كش:** ذكر أنّه لمّا نعي الأشتر إلى أمير المؤمنين عليه السلام تأوّه حزناً ثمّ قال: رحم الله مالكاً وما مالك؟ عز عليّ به هالكاً لو كان صخراً لكان صلداً ولو كان جبلاً لكان فنْداً وكأنه قُدَّ منّي قدّاً[٤].

---

(١) الاختصاص، ص ٨١.
(٢) نهج البلاغة، ص ٧٠٠ قصار الحكم رقم ٣٢٧.
(٣) نهج البلاغة، ص ٧٢٤ قصار الحكم رقم ٤٣٧.
(٤) رجال الكشي في ترجمة مالك الأشتر.

٧٣٩ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر رضي الله عنه لمّا بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ثمّ توفّي الأشتر في توجّهه إلى مصر قبل وصوله إليها: وقد بلغتني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك وإنّي لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازدياداً لك في الجدّ ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤنة وأعجب إليك ولاية. إن الرّجل الّذي كنت ولّيته أمر مصر كان رجلاً لنا ناصحاً وعلى عدوّنا شديداً ناقماً فرحمه الله فلقد استكمل أيّامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له. فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك وشمّر لحرب من حاربك وادع إلى سبيل ربّك وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمّك ويعنك على ما ينزل بك إن شاء الله(١).

توضيح: التوجد: الحزن. والموجدة: الغضب ولعلّ المراد بها أيضاً هنا الحزن. والتسريح: الإرسال. والاستبطاء: عدّ الشيء بطيئاً. والجهد بالضم: الوسع والطاقة وبالفتح: المشقّة. والمؤونة: الثقل. والإعجاب بالشيء: عدّه حسناً. والولاية بالكسر: السلطنة. وتقول نقمت عليه أمره ونقمت منه كضربت وعلمت إذا عبته وكرهته أشدّ الكراهة لسوء فعله. «واستكمل أيّامه» أي أتمّ عمره. والحمام ككتاب: الموت وقيل قضاء الموت وقدره من قوله: حمّ كذا أي قدر «أولاه الله رضوانه» أي أوصله إليه وقربه منه وقيل: أي أعطاه.

قوله عليه السلام: «فأصحِر لعدوّك» قال في النهاية أي كن من أمره على أمر واضح منكشف من أصحر الرّجل إذا خرج إلى الصحراء.

وقال ابن أبي الحديد: أي ابرز له ولا تسترعنه في المدينة الّتي أنت فيها.

وقال ابن ميثم: السبب في إرسال هذا الكتاب أنّ محمّد بن أبي بكر رضي الله عنه كان يضعف عن لقاء العدوّ ولم يكن في أصحاب عليّ عليه السلام أقوى بأساً في الحرب من الأشتر رحمه الله وكان معاوية بعد وقائع صفّين قد تجرّد للإغارة على أطراف بلاد المسلمين وقد كانت مصر جعلت طعمة لعمرو بن العاص وعلم عليه السلام أنّها لا تتحفّظ إلاّ بالأشتر فكتب له العهد الّذي يأتي ذكره ووجهه إليها فبلغه أنّ محمّداً تألّم من ذلك ثمّ إنّ الأشتر مات قبل وصوله إليها فكتب عليه السلام إلى محمّد هذا الكتاب وهو يؤذن بإقراره على عمله واسترضائه وتعريفه وجه عذره في تولية الاشتر لعمله وأنّه لم يكن ذلك لموجدة عليه ولا تقصير منه.

٧٤٠ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العبّاس بعد مقتل محمّد بن أبي بكر بمصر: أمّا بعد فإن مصر قد افتتحت ومحمّد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً و[قد] كنت حثثت النّاس على لحاقه وأمرتهم

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٤٥ خ ٢٧٢.

بغيائه قبل الوقعة ودعوتهم سرّاً وجهراً وعوداً وبدءاً فمنهم الآتي كارهاً ومنهم المعتلّ كاذباً ومنهم القاعد خاذلاً أسأل الله تعالى أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوّي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنيّة لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً ولا ألتقي [بهم] أبداً(١).

إيضاح: أستشهد على بناء المجهول: أي قتل في سبيل الله. وقال في النهاية: الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدّ وإنّما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه لأنّ له حينئذ أن يعتدّ بعمله فجعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتدّ به والاحتساب في الأعمال الصالحات، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالصبر والتسليم أو باستعمال أنواع البرّ والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجوّ منها ومنه الحديث: «من مات له ولد فاحتسبه» أي احتسب الأجر بصبره على مصيبته يقال: احتسب فلان ابناً له إذا مات كبيراً وافترطه إذا مات صغيراً ومعناه اعتد مصيبته به في جملة بلايا الله الّتي يثاب على الصبر عليها انتهى. والكدح: العمل والسعي قاله الجوهريّ وقال: ركن الشيء: جانبه الأقوى وهو يأوي إلى ركن شديد أي عزّ ومنعة وقال: لحقه ولحق به لحاقاً بالفتح: أي أدركه. وقال: استغاثني فأغثته والاسم الغياث: صارت الواو ياءاً لكسرة ما قبلها.

قوله عليه السلام: «ومنهم المعتلّ» أي قعد واعتل بعلة كاذبة قوله عليه السلام: «ولا ألتقي» معطوف على [قوله] «لأحببت أن أبقى» كما أنّ في بعض النسخ بالنصب وفي بعضها بالرفع.

٧٤١ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لمّا ولى عليهم الأشتر رحمه الله: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى القوم الّذين غضبوا لله حين عصي في أرضه وذُهب بحقّه فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه.

أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروح أشدّ على الفجار من حريق النّار وهو مالك بن الحارث أخو مذحج فاستمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ فإنّه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة فإن أمركم أن تنفروا فانفروا وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنّه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخّر ولا يقدم إلاّ عن أمري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدّة شكيمته على عدوّكم(٢).

٧٤٢ - **كتاب الغارات:** عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر قال: لمّا هلك الأشتر وجدنا في ثقله رسالة عليّ إلى أهل مصر وذكر نحوه وزاد في آخره عصمكم الله بالحقّ وثبتكم باليقين والسلام عليكم(٣).

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٤٦ خ ٢٧٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٤٩ خ ٢٧٦.

(٣) الغارات، ص ٢٦٦.

بيان: قوله عليه السلام: «إلى القوم الّذين غضبوا لله» قال ابن أبي الحديد: هذا الفصل يشكل تأويله عليّ لأنّ أهل مصر هم الّذين قتلوا عثمان بالعصيان وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام بأنّهم غضبوا لله حين عصي الله في أرضه فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان وإتيان المنكر.

ثم أجاب بتأويلات ركيكة لا تقبل الجواب. وقال الجوهريّ: كلّ بيت من كرسف فهو سرادق. وفي القاموس: استراح إليه: سكن واطمأن. وفي النهاية: ظبة السّيف حدّه وطرفه. وفي القاموس: الضريبة: السّيف وحدّه. وفي الصحاح: نبا السّيف إذا لم يعمل في الضريبة وقال: فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النّفس أنفاً أبيّاً وفلان ذو شكيمة إذا كان لا ينقاد.

٧٤٣ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى [أهل] مصر مع مالك الأشتر لمّا ولاه إمارتها:

أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين فلمّا مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر على بالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ولا أنّهم منحّوه عنّي من بعده فما راعني إلاّ انثيال النّاس على فلان يبايعونه فأمسكت بيدي حتّى رأيت راجعة النّاس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشّع السّحاب فنهضت في تلك الأحداث حتّى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه.

ومنه: إنّي والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت وإنّي من ضلالهم الّذي هم فيه والهدى الّذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربّي وإنّي إلى لقاءالله لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج ولكنّي آسى أن يلي هذه الأمّة سفهاؤها وفجّارها فيتّخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً فإن منهم الّذي شرب فيكم الحرام وجلد حداً في الإسلام وإنّ منهم من لم يُسلم حتّى رضخت له على الإسلام الرّضائخ فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم إذ أبيتم ونيتم. ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت وإلى أمصاركم قد افتتحت وإلى ممالكم تزوى وإلى بلادكم تغزى انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوّكم ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخسف وتبوؤا بالذلّ ويكون نصيبكم الأخسّ إنّ أخا الحرب الأرق، ومن نام لم ينم عنه [والسلام](١).

توضيح: [قوله عليه السلام:] ومهيمناً: أي شاهداً على المرسلين يشهد لهم في الآخرة

(١) نهج البلاغة، ص ٦٠٤ خ ٣٠٠.

وأصله من آمن غيره من الخوف لأنّ الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته. وقيل: هو الرقيب. وقيل: المؤتمن وقيل: القائم بأمور الخلق. وقيل: أصله المؤيمن فأبدلت الهاء من الهمزة وهو مفيعل من الأمانة والمراد بالأمر الخلافة.

والروع بالضمّ القلب أو سواده. وقيل: الذهن والعقل. وأزعجه: قلعه عن مكانه. ونحّاه أي أزاله ولعلّ الغرض إظهار شناعة هذا الأمر وأنّه ممّا لم يكن يخطر ببال بظاهر الحال فلا ينافي علمه بذلك بإخبار الرسول ﷺ.

[قوله عليه السلام]: «فما راعني» قال ابن أبي الحديد: تقول للشيء يفجؤك بغتة: ما راعني إلاّ كذا. والروع بالفتح الفزع كأنّه يقول: ما أفزعني شيء بعد ذلك السكون الّذي كان عندي والثقة الّتي اطمأننت إليها إلاّ وقوع ما وقع من انثيال النّاس أي انصبابهم من كلّ وجه - كما ينثال التراب - على أبي بكر والاسم كان مذكوراً في كتاب الأشتر صريحاً وإنّما النّاس يكتبونه على فلان تذمّماً من ذكر الاسم.

[قوله عليه السلام:] «حتى رأيت راجعة الناس» أي الطائفة الرّاجعة من النّاس الّتي قد رجعت عن الإسلام يعني أهل الرّدة كمسيلمة وسجاح وطليحة بن خويلد.

ويحتمل أن يكون المراد بهم المنافقين المجتمعين على أبي بكر فإنّهم كانوا يغتنمون فتنة تصير سبباً لارتدادهم عن الدّين رأساً [قوله عليه السلام]: «كما يتقشع» أي يتفرق وينكشف.

وتنهنه أي انزجر عن الاضطراب والحركة وقال الجوهريّ: نهنهت الرّجل عن الشيء فتنهنه أي كففته وزجرته فكفّ. وفي النهاية: طلاع الأرض ذهباً أي ما يملؤها حتّى يطلع عنها ويسيل. والاستيحاش: ضدّ الاستئناس وهنا كناية عن الخوف. آسى: أي أحزن «مال الله دولاً» في الصحاح أنّ دولاً جمع دولة بالضمّ فيهما وفي القاموس الدولة: انقلاب الزمان والعقبة في المال ويضمّ أو الضم فيه والفتح في الحرب أو هما سواء أو الضم في الآخرة والفتح في الدنيا والجمع دول مثلثة. وفي النهاية: كان عباد الله خولاً أي خدماً وعبيداً يعني أنّهم يستخدمونهم ويستعبدونهم.

[قوله عليه السلام:] «والصّالحين حرباً» أي عدواً و«الفاسقين حزباً» أي ناصراً وجنداً.

وقال ابن أبي الحديد: المراد بمن شرب الخمر الوليد بن عقبة وأمّا الّذي رضخت له على الإسلام الرّضائخ فمعاوية وأبوه وأخوه وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وغيرهم وهم قوم معروفون لأنّهم من المؤلّفة قلوبهم الّذين رغبوا في الإسلام والطاعة بجمالٍ وشاء دفعت إليهم للأغراض الدنياوية والطمع ولم يكن إسلامهم عن أصل ويقين.

وقال القطب الراونديّ «يعني عمرو بن العاص» وليس بصحيح لأنّ عمراً لم يسلم بعد الفتح وأصحاب الرّضائخ كلّهم صونعوا عن الإسلام بغنائم حنين ولعمري إنّ إسلام عمرو كان مدخولاً أيضاً إلاّ أنّه لم يكن عن رضيخة وإنّما كان لمعنى آخر والرضيخة شيء قليل

يعطاه الإنسان يصانع به عن أمر يطلب منه كالأجرة انتهى. والتأليب: التحريض. والتأنيب: أشدّ اللوم. والونى الضّعف والفتور. وإلى ممالككم تزوى أي تقبض «ولا تثّاقلوا» بالتشديد والتخفيف معاً إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الآية وقال الفيروزآبادي: تثاقل عنه: تباطأ. والقوم: لم ينهضوا للنجدة وقد استنهضوا لها. وقال في النهاية: الخسف: النقصان والهوان. وقال: أصل البواء: اللزوم، وأبوء أي أقرّ وألتزم وأرجع. وقال: الأرق هو السهر ورجل أرق إذا سهر لعلّة فإن كان السهر من عادته قيل: أرق بضم الهمزة والراء. وأخو الحرب: ملازمه «ومن نام لم ينم عنه» لأنّ العدو لا يغفل عن عدوه.

٧٤٤ - **نهج**: من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله [لما ولّاه] على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمّد بن أبي بكر رحمه الله وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن: هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولّاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسُنَنه التي لا يسعد أحد إلاّ باتباعها ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها وأن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فإنّه جل اسمه قد تكفّل بنصر من نصره وإعزاز من أعزّه. وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فإن النفس أما رة بالسوء إلاّ ما رحم الله.

ثم اعلم يا مالك أنّي قد وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وأن النّاس ينظرون من أمورك في مثل [الذي] ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنّما يُستدلّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة والمحبّة لهم واللطف بهم ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان إمّا أخ لك في الدّين وإمّا نظير لك في الخلق يفرط منهم الزّلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنّك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاّك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم.

[و] لا تنصبنّ نفسك لحرب الله فإنّه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته.

ولا تندمنّ على عفو ولا تبجحنّ بعقوبة ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولنّ إنّي مؤمّر آمر فأُطاع فإنّ ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدّين وتقرّب من الغير.

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سُلطانك أُبّهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله سبحانه فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك ويكفّ

عنك من غربك ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك. إيّاك ومساماة الله في عظمته والتشبّه به في جبروته فإنّ الله يذلّ كلّ جبّار ويهين كلّ مختال.

أنصف الله وأنصف النّاس من نفسك ومن خاصّة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيّتك فإنّك إنّ لا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض حجّته وكان لله حرباً حتّى ينزع ويتوب.

وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله [سميع «خ»] يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ وأعمّها في العدل وأجمعها لرضى الرعيّة فإن سخط العامّة يجحف برضى الخاصّة وإنّ سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة وليس أحد من الرعيّة أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف وأقل شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عن المنع وأضعف صبراً عند ملمّات الدهر من أهل الخاصة وإنّما عمود الدين وجماع المسلمين والعُدّة للأعداء العامة من الأمّة فليكن صغْوك لهم وميلك معهم.

وليكن أبعد رعيّتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب النّاس فإنّ في النّاس عيوباً الوالي أحقّ من سترها فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيّتك.

أطلق عن النّاس عقدة كلّ حقد واقطع عنك سبب كلّ وتر وتغاب عن كلّ ما لا يضح لك ولا تعجلنّ إلى تصديق ساع فإنّ الساعي غاش وإن تشبّه بالناصحين. ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظنّ بالله.

[إن] شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكوننّ لك بطانة فإنّهم أعوان الأثمّة وإخوان الظلمة وأنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم [وآثامهم] ممّن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه أولئك أخفّ عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك إلفاً فاتّخذ أولئك خاصّةً لخلواتك وحفلاتك ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك وأقلّهم مساعدة فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه واقعاً ذاك من هواك حيث وقع.

والصق بأهل الورع والصدق ثمّ رُضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من الغرّة. ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ وال برعيّته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤنات

عنهم وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظنّ برعيّتك فإنّ حسن الظن يقطع عنك نَصَباً طويلاً وإنّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده وإنّ أحقّ من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده.

ولا تنقض سنّة صالحةً عمل بها صدور هذه الأُمّة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليه الرّعيّة ولا تحدثنّ سنّة تضرّ بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها. وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به النّاس قبلك. واعلم أنّ الرعيّة طبقات لا يصلح بعضها إلاّ ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنودالله. ومنها كتّاب العامّة والخاصّة. ومنها قضاة العدل. ومنها عمّال الإنصاف والرفق. ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة الناس. ومنها التجار وأهل الصناعات.

ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلّ قد سمّى الله [له] سهمه ووضع على حدّه وفريضته في كتابه أو سنّة نبيّه ﷺ عهداً منه عندنا محفوظاً. فالجنود بإذن الله حصون الرعيّة وزين الولاة وعز الدين وسُبُل الأمن وليس تقوم الرعيّة إلاّ بهم.

ثمّ لا قوام للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج الّذي يقوون به في جهادهم عدوّهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم.

ثم لا قوام لهذين الصنفين إلاّ بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتّاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواصّ الأمور وعوامها ولا قوام لهم جميعاً إلاّ بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ممّا لا يبلغه رفق غيرهم.

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الّذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكلّ سعة ولكلّ على الوالي حقّ بقدر ما يصلحه وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك إلاّ بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحقّ والصّبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل. فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك أنقاهم جيباً وأفضلهم حلماً ممّن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرؤف بالضعفاء وينبو على الأقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثمّ الصق بذوي [المروءات و] الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثمّ أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنّهم جماع من الكرم وشعب من العرف.

ثم تفقّد من أمورهم ما يتفقّده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمنّ في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقّرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قلّ فإنّه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظنّ بك ولا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتّى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدو فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلّة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدّتهم فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم فإن كثرة الذكر لحسن فعالهم تهزّ الشجاع وتحرض الناكل إن شاءالله تعالى. ثم اعرف لكلّ امرى منهم ما أبلى ولا تضمّن بلاء امرئ إلى غيره ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً.

واردد إلى الله ورسوله ما يظلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه لقوم أحبّ إرشادهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1] فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه والردّ إلى الرّسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرقة.

ثم اختر للحكم بين النّاس أفضل رعيّتك في نفسك ممّن لا تضيق به الأمور ولا يمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلّة ولا يحصر من الفيء إلى الحقّ إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلّهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشيف الأمور وأصرمهم عند إيضاح الحكم ممّن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل ثمّ أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علّته وتقل معه حاجته إلى النّاس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك واستعملهم اختياراً ولا تولّهم محاباةً وأثرةً فإنّهما جماع من شعب الجور والخيانة. وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة فإنّهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل في المطامع إشرافاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجّة عليهم إنّ خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك.

ثم تفقّد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فإنّ تعاهدك في السّر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعيّة.

وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثمَّ نصبته بمقام المذلّة ووسمته بالخيانة وقلّدته عار النهمة.

وتفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم لأنّ النّاس كلّهم عيال على الخراج وأهله.

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأنّ ذلك لا يدرك إلاّ بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلاّ قليلاً فإن شكوا ثقلاً أو علّة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يثقلنّ عليك شيء خفّفت به المؤونة عنهم فإنّه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيّبة أنفسهم به فإنّ العمران محتمل ما حمّلته وإنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها وإنّما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنّهم بالبقاء وقلّة انتفاعهم بالعبر.

ثم انظر في حال كُتّابك فول على أمورك خيرهم واخصص رسائلك الّتي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممّن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جواباتها على الصّواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل.

ثم لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك واستنامتك وحسن الظنّ منك فإنّ الرجال يتعرّضون لفراسات الولاة بتصنّعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصّالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامّة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً فإنّ ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن ولّيت أمره.

واجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتّت عليه كثيرها ومهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت عنه أُلزمته.

ثم استوص بالتّجار وذوي الصّناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفّق ببدنه فإنّهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاّبها من المباعد والمطارح في برّك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم النّاس لمواضعها ولا يجترؤن عليها فإنّهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته. وتفقّد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع

ذلك أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحّاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكّماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ﷺ منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إيّاه فنكّل به وعاقب في غير إسراف.

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الّذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً واحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كلّ بلد فإنّ للأقصى منهم مثل الّذي للأدنى وكلّ من قد استرعيت حقّه فلا يشغلنّك عنهم بطر فإنّك لا تعذر بتضييع التافه لإحكامك الكثير المهمّ فلا تشخص همّك عنهم ولا تصعّر خدّك لهم.

وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه فإنّ هؤلاء من بين الرعيّة أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وكلّ فأعذر إلى الله تعالى في تأدية حقّه إليه.

وتعهّد أهل اليتم وذي الرّقّة في السنّ ممّن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحقّ كلّه ثقيل وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم.

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع [فيه] لله الّذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتّى يكلمك متكلّمهم غير متعتع فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: «لن تقدّس أمّة لا يؤخذ للضّعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع» ثمّ احتمل الخرق منهم والعيّ ونحّ عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وإعذار.

ثم أمور من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها منها إجابة عمّالك بما يعيا عنك كُتّابك.

ومنها إصدار حاجات النّاس عند ورودها عليك ممّا تحرج به صدور أعوانك.

وأمض لكلّ يوم عمله فإن لكلّ يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلّها لله إذا صلحت فيها النيّة وسلمت منها الرعيّة.

وليكن في خاصّة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه الّتي هي له خاصّة فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووفّ ما تقرّبت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ. وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكوننّ منفّراً ولا مضيعاً فإن في النّاس من به العلّة وله الحاجة وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجّهني إلى اليمن كيف أُصلّي بهم فقال: صلّ بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً.

وأمّا بعد هذا فلا تطوّلن احتجابك من رعيّتك فإن احتجاب الولاة عن الرعيّة شعبة من الضّيق وقلّة علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحقّ بالباطل.

وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه النّاس به من الأمور وليست على الحقّ سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب.

وإنما أنت أحد رجلين: إمّا امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحقّ ففيم احتجابك من واجب حقّ تعطيه؟ أو فعل كريم تسديه؟ أو مبتلىً بالمنع فما أسرع كفّ النّاس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك مع أنّ أكثر حاجات النّاس إليك ما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة. ثم إنّ للوالي خاصّة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلّة إنصاف [في معاملة] فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال.

ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وحامّتك قطيعة ولا يطمعنّ منك في اعتقاد عقدة تضرّ بمن يليها من النّاس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدّنيا والآخرة.

وألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فإنّ مغبّة ذلك محمودة.

وإن ظنّت الرعيّة بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم بإصحارك فإن في ذلك [رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيّتك و] إعذاراً تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحقّ.

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوّك لله فيه رضىً فإنّ في الصّلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ولكنّ الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه فإنّ العدوّ ربما قارب ليتغفّل فخذ بالحزم وأتهم في ذلك حسن الظنّ.

وإن عقدت بينك وبين عدوّ لك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحُط عهدك بالوفاء وارع ذمّتك بالأمانة واجعل نفسك جنّة دون ما أعطيت فإنّه ليس من فرائض الله سبحانه شيء النّاس أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرّق أهوائهم وتشتيت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرنّ بذمّتك ولا تخيسنّ بعهدك ولا تختلن عدوّك فإنّه لا يجترئ على الله إلاّ جاهل شقيّ وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه.

ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولنّ على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة.

ولا يدعونّك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحقّ فإنّ صبرك على ضيق ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك.

إيّاك والدّماء وسفكها بغير حلّها فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإنّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأنّ فيه قود البدن.

وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك ويدك بعقوبة فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم.

وإيّاك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحبّ الإطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسن.

وإيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك أو التزيّد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتُتبع موعودك بخلفك فإنّ المنّ يبطل الإحسان والتزيّد يذهب بنور الحقّ والخلف يوجب المقت عند الله وعند النّاس قال الله سبحانه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إيّاك والعجلة بالأمور قبل أوانها أو التساقط فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكّرت أو الوهن عنها إذا استوضحت فضع كلّ أمر موضعه وأوقع كلّ عمل موقعه وإيّاك والاستئثار بما النّاس فيه أسوة، والتغابي عمّا تعنى به ممّا قد وضح للعيون فإنّه مأخوذ منك لغيرك وعمّا قليل تتكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم.

املك حميّة أنفك وسورة حدّك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كلّ ذلك بكفّ البادرة وتأخير السطوة حتّى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك.

والواجب عليك أن تتذكّر ما مضى لمن تقدّمك من حكومة عادلة أو سنّة فاضلة أو أثر عن نبيّنا ﷺ أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت ممّا عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتّباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجّة لنفسي عليك لكي لا تكون لك علّة عند تسرع نفسك إلى هواها.

ومن هذا العهد وهو آخره: وأنا أسأل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كلّ رغبة أن يوفّقني وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد وإتمام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يختم لي ولك بالسعادة والشّهادة إنّا إليه راغبون والسلام على رسوله وآله كثيراً وسلّم تسليماً[1].

تبيين: قال الجوهريّ: قال الكسائي: جَبَيْت الماء في الحوض وجَبَوْتُهُ أي جمعته وجَبَيْتُ الخراج جِبَايةً وجَبَوْته جِبَاوَةً ولا يهمز وأصله الهمز.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٧١ خ ٢٩١.

و [قال الفيروزآبادي] في القاموس: جبا [الخراج] كسعى ورمى جبوةً وجباء وجباوة [جمعه] وجبايةً بكسرهنّ انتهى.

وقال الكيدري: الجبوة بالفتح للمرّة وبالكسر للهيئة والنصب على البدلية أو على أنّه مفعول لـ: [قوله:] «وَلاهُ» ولعلّ المراد بالخراج هنا كلّ ما يأخذه الوالي.

[قوله عليه السلام:] «وأن ينصر الله سبحانه بيده» كالجهاد بالسيف وضرب من احتاج إليه في النهي عن المنكر مثلاً.

و [المراد من قوله: «بـ] قلبه» في الاعتقادات والإنكار القلبي للآتي بالمنكرات والعزم على إجراء الأحكام والعبادات.

وتكفله سبحانه بقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ وأمثالها.

والكسر من النفس كناية عن كفّها عن بعض ما تشتهيه وقال الجوهريّ: وزعته أزعه: كففته فاتّزع هو أي كفّ. وقال: جمح الفرس إذا اعتز فارسه وغلبه والجموح من الرجال: الّذي يركب هواه فلا يمكن رده. وجمح أي أسرع. قال أبو عبيد في قوله تعالى: ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾. وقال الدّولة بالفتح في الحرب يقال: كانت لنا عليهم الدّولة وبالضمّ المال يقال: صار الفيء دولة بينهم: يتداولونه يكون مرّة لهذا ومرّة لهذا والجمع دولات ودول. وقال بعضهم: كلتاهما تكون في الحرب والمال.

قوله عليه السلام: «إن النّاس ينظرون» أي كما كنت تمدح قوماً من الولاة وتذمّ قوماً كذلك من يسمع أخبارك يمدحك بأفعالك الحسنة ويذمّك بأعمالك القبيحة فاحذر أن تكون ممّن عاب ويذمّ. [قوله عليه السلام:] «ذخيرة العمل الصّالح» في بعض النسخ برفع «ذخيرة» والإضافة وفي بعضها بالنّصب على التمييز ورفع «العمل الصالح». [قوله عليه السلام:] «فيما أحببت وكرهت» أي عند الشهوة والغضب أو في الأفعال والتروك.

[قوله عليه السلام:] «وأشعر قلبك الرحمة» أي اجعلها شعاره «واللّطف بهم» في بعض النسخ بالتحريك وهو الاسم من لطف كنصر لطفاً بالضمّ إذا رفق ودنا. وقال الجوهريّ: ضري الكلب بالصيد ضراوةً أي تعود وكلب ضار وكلبة ضارية وأضراه صاحبه أي عوّده وأضراه به أيضاً أي أغراه «وإمّا نظير لك» أي إنسان مثلك «يفرط منهم الزلل» أي ليسوا معصومين يقال: فرط إليه منه قول أي سبق. والعلل الأمراض المعنوية أي أسباب المعاصي ودواعيها.

قوله عليه السلام: «ويؤتى على أيديهم» قال ابن أبي الحديد: هذا مثل قولك يؤخذ على أيديهم أي يؤدّبون ويمنعون يقال: خذ على يد هذا السّفيه وقد حجر الحاكم على فلان وأخذ على يده.

وقال ابن ميثم كناية عن كونهم غير معصومين بل هم ممّن يؤتون من قِبَل العمد والخطأ وتأتي على أيديهم أوامر الولاة والمؤاخذات فيما يقع منهم من عمد أو خطأ انتهى.

وأقول: [إنّ الفعل في قوله: «يؤتى»] في بعض النسخ بصيغة الخطاب، وفي بعضها بصيغة الغيبة فعلى الأوّل يحتمل أن يكون الغرض بيان احتياجه إليهم وتضرّره من ناحيتهم أي تهلك بسبب ما يجري على أيديهم عمداً أو خطأ من قولهم: أتى عليه الدهر أي أهلكه. وقولهم: أُتي من جهة كذا إذا أتاه الضرر من تلك الجهة.

وعلى الثاني الظرف قائم مقام الفاعل أي يهلك الحاكم والولاة أيديهم كناية عن منعهم عن التصرّفات ومؤاخذتهم بما عملته أيديهم فيرجع إلى بعض ما مرّ ويمكن أن يكون القائم مقام الفاعل الضمير الراجع إلى الوالي بقرينة المقام فيؤول إلى ما أفادته النسخة الأُخرى.

أو المعنى أنّهم ربما صدر منهم بعض القبائح بإضلال غيرهم فكأنّه جرى فعل المضلّ بأيديهم فهم مستحقون للصفح عنهم.

[قوله عليه السلام:] «وقد استكفاك» الضمير المرفوع راجع إلى الله أو إلى الموصول في «من ولّاك» أي طلب منك كفاية أمورهم وامتحنك بهم. ونصب النفس لحرب الله كناية عن مبارزته [إيّاه] بالمعاصي. قوله عليه السلام: «لا يدي لك» قال ابن أبي الحديد: اللام مقحمة والمراد الإضافة ونحوه قوله لا أباً لك.

وقال ابن ميثم وحذف النون [من يدين] لمضارعته المضاف وقيل لكثرة الاستعمال.

وقال [ابن الأثير] في [حرف الياء في مادّة «يد» من] النهاية فيه: «قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم» أي لا قدرة ولا طاقة يقال ما لي بهذا الأمر يد ولا يدان لأنّ المباشرة والدفاع إنّما يكون باليد فكأنّ يديه معدومتان لعجزه عن دفعه. وفي بعض النسخ «لا يدا لك».

وقال الجوهريّ: البجح: الفرح. وقال: البادرة: الحدّة وبدرت منه بَوادر غضب أي خطأ وسقطات عندما احتدّ. والبادرة: البديهة. والمندوحة: السعة. والتأمير: تولية الإمارة يقال: هو أمير مؤمَّر والإدغال: إدخال الفساد «ومنهكة» أي ضعف وسقم. وقال الجزريّ: فيه «من يكفر الله يلقى الغير» أي تغيّر الحال وانتقالها عن الصّلاح إلى الفساد والغير الاسم من قولك غيّرت الشيء فتغيّر وقال: الأبّهة العظمة. والمخيلة: الكبر. وقال الفيروزآبادي: طامن الأمر: سكن وقال الطماح ككتاب: النشوز والجماح و[قوله:] «إليك» متعلق [بقوله:] «يطامن» على تضمين معنى القبض أو الجذب و«من» للتبعيض.

وقال الكيدري: ضمّن «يُطامن» معنى يردّ فلذا عدّاه بإلى أي يردّ إليك سورة غضبك واعتلائك ولا يخلّيها تتجاوز عنك إلى غيرك وقال: إنّ «إلى» يتعلق «بطماحك» وهو من قولهم؟ طمح بصره إلى الشيء أي ارتفع أي يسكن ذلك بعض نظرك نفسك بعين العجب والكبرياء والغرب بالفتح: الحدّة. وبالكسر: البعد «ويفيء إليك» أي يرجع إليك بما بعد عنك من عقلك «والمساماة» مفاعلة من السّمو وهو العلو.

[قوله عليه السلام:] «أنصف الله» أي بالقيام بما فرض عليك «وأنصف الناس» بالقيام بحقوقهم

ومعاملتهم بالعدل «دون عباده» أي فقط لو كان الله هو الحقيق بأن يسمّى خصماً فإن مخاصمة العباد مضمحلة في جنب مخاصمته وانتقامه.

وقال الجوهريّ: دحضت حجّته دحوضاً: بطلت وأدحضه الله: [أبطله] وقال: أنا حرب لمن حاربني أي عدو. وقال: نزع عن الأمور نزوعاً: انتهى عنها.

أقول: يحتمل أن يكون أداء حقوق النّاس إليهم من التوبة أو يكون نزوعه عبارة عن أداء حقوقهم وتوبته عن ندمه فإنّه ما دام حابساً لحقوقهم [فهو] ظالم فلم يكن تاركاً للظلم منتهياً عنه «والمرصاد»: الطريق والموضع يرصد فيه العدوّ.

وقال في النهاية: كلّ خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان فهي وسط بين الطرفين وفيه: الوالد أوسط أبواب الجنّة أي خيرها.

قوله عليه السلام: «الرضا الرعيّة» أي العامة «يجحف برضى الخاصّة» أي يبطله ولا يجدي نفعاً عند سخط العامّة من قولهم: أجحف به أي ذهب به ولعلّ المراد بالخاصّة أعيان أهل البلد وذوو المروءة منهم ومن يلازم الوالي وصار كالصديق له «يغتفر» أي يستر ولا يضرّ عند رضا العامة. [قوله عليه السلام: «وليس أحد من الرعيّة] أثقل على الوالي مؤنةً» لسؤال المطالب والشفاعات «وأقلّ معونة له في البلاء» كوقت الحاجة وعند العزل والنكبة لعدم حصول متمنّياتهم وألحف السائل: ألحّ. «وأقل شكراً عند الإعطاء» لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامّة «وأبطأ عذراً عند المنع» أي إن منعهم الوالي ولم يعطهم لم يقبلوا منه عذراً. و«ملمات الدهر»: نوازله ومصائبه.

[قوله عليه السلام:] «من أهل الخاصّة» متعلق «بأثقل» وما عطف عليه وجماع الشيء: مجمعه ومظنّته وقال الجوهريّ: يقال: صِغوه معك وصُغوُه معك وَصَغاه معك أي مَيْلُهُ وفي بعض النسخ: [صفوه] بالفاء أي خالص ودّك. والشناءة مثل الشناعة: البغض. وإطلاق عقدة الحقد: إخراجه من القلب أي لا تحقد على أحد فتكون الجملة التالية كالتفسير لها.

ويحتمل أن يكون المراد إخراج الحقد على نفسه عن قلوب النّاس بحسن الخلق أو حقد بعضهم على بعض بالموعظة ونحوها فتكون الجملة التالية مؤسّسة.

وقال في النهاية: السبب في الأصل: الحبل ثمّ استعير لكلّ ما يتوصل به إلى شيء.

وفي الصحاح: الوتر بالكسر: الفرد وبالفتح: الذّحل: أي الحقد والعداوة هذه لغة أهل العالية. فأمّا لغة أهل الحجاز فبالضدّ منهم. وأما تميم فبالكسر فيهما. وقال: تغابى تغافل. أي لا تتعرّض لأمر لم يتضح لك من أمورهم الّتي توجب حدّاً أو تعزيراً أو عتاباً وتعييراً «والساعي» من يسعى إلى الوالي بذمّ النّاس وجرائمهم. والباء في [قوله:] «يعدل بك» للتعدية. والفضل: الاحسان. و «يعدك الفقر» أي يخوّفك منه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾.

وقوله: «بالجور» متعلّق بالشره فالجور جور المأمور أو بالتزيين فالمراد جور الآمر «والشره» غلبة الحرص. والجور: الميل عن القصد.

[قوله عليه السلام:] «يجمعها سوء الظن» أي هو ملزومها أو معنى مشترك بينها «وبطانة الرجل» بالكسر: صاحب سرّه ومحلّ مشورته. الواو في قوله: «وأنت واجد» يحتمل العطف والحالية «ومنهم» متعلّق باسم التفضيل مقدّم عليه «وممن» بيان لـ [قوله:] «خير الخلف» ويقال: رجل نافذ في أمره أي ماض. والآصار جمع «الإصر» بالكسر وهو الذنب والثقل. والحنو: العطف والشفقة «وحفلاتك» أي مجامعك ومحفل القوم: مجتمعهم.

وقوله عليه السلام: «واقعاً منصوب على الحاليّة أي في حال وقوع ذلك القول منه والنصيحة وقلّة المساعدة حيث وقع من هواك سواء كان في هوى عظيم أو حقير أو حيث وقع هواك أي سواء كان ما تهواه عظيماً أو ليس بعظيم.

ويحتمل أن يريد واقعاً ذلك الناصح من هواك ومحبّتك حيث وقع أي يجب أن يكون له من هواك موقعاً كذا ذكره ابن ميثم. وقيل: يحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما يكون منك أي سواء كان ذلك الفعل الصّادر عنك ممّا تهواه هوى عظيماً أم لا.

والأظهر أنّ المعنى أنّ الناصح يقول وينصح ويمنع سواء كان علمه موافقاً لهواك ورضاك أم لا فقوله: «حيث وقع» أي من الموافقة والمخالفة.

[قوله عليه السلام:] «والصق» على بناء المجرد وفي بعض النسخ على بناء الإفعال أي ألصق نفسك بهم وعلى التقديرين المعنى اجعلهم خاصّتك وخلصاءك «ثم رضهم» أي ربّهم وعوّدهم أن لا يمدحوك في وجهك.

وقال الجوهريّ البجح: الفرح وبجّحته أنا تبجيحاً فتبجّح أي أفرحته ففرح. والتوصيف بقوله: «لم تفعله» ليس للتخصيص بل المعنى لا يفرحوك بمدحك بما لم تفعله فإنّه باطل كما قال سبحانه: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ والزهو: الكبر والفخر. والعزّة بالعين المهملة والزاي بمعنى القوّة والغلبة والشدّة أي يقربك إلى أن يقوى الشيطان ونفسك الأمارة ويغلبا عليك أو إلى أن يقسو قلبك فتغلب الرعية وتظلمهم.

وفي بعض النسخ بالغين المعجمة والراء المهملة أي الغفلة عن الحقّ والاغترار بالباطل. والتزهيد: خلاف الترغيب. والتدريب: التعويد.

[قوله عليه السلام:] «وألزم كلاً منهم» أي فجاز المحسن بالإحسان والمسيء بالإساءة. والنصب: التعب وهو هنا: اغتمامه حذراً من أن يصيبه منهم مكروه أو لا يطيعوه. والبلاء يطلق على الخير والشرّ كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ والمراد هنا بالأول الأوّل وبالثاني الثاني.

وقال الجوهريّ: صدر كلّ شيء: أوّله. والصلاح: ضدّ الفساد والفعل كدخل وحَسُن.

والمنافثة: المحادثة. وفي الحديث: «إن الروح الأمين نفث في روعي» وفي بعض النسخ: «مثافنة الحكماء» بتقديم المثلثة على النون وهي المعاونة.

وقال الراوندي رحمه الله: اشتقاقه من ثفنة البعير وهي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استنيخ كأنّك ألصقت ثفنة ركبتك ركبته. قوله عليه السلام: «من أهل الذمّة» قال ابن ميثم: لف ونشر ويحتمل أن يكون بياناً لأهل الخراج فإنّ للإمام أن يقبل أرض الخراج من سائر المسلمين وأهل الذمّة. والتجّار بالضمّ والتشديد وبالكسر والتخفيف جمع تاجر.

والصناعة بالكسر: حرفة الصانع والضميران في «حدّه» و«فريضته» إمّا راجعان إلى «الله» أو إلى «كل». والمراد: «بالعهد» الحكم الخاصّ بكلّ منهم.

وقوام الشيء بالكسر: ما يقوم به وينتظم به أمره. قوله عليه السلام: «ويكون من وراء حاجتهم» أي فيما يحتاجون إليه «الوراء» إمّا بمعنى الخلف كأنّه ظهر لحاجتهم ومحلّ لاعتمادهم أو بمعنى القدّام كما قيل في قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ فكأنّه يسعى بين يدي حاجتهم لكفاية أمورهم والأوّل أظهر «ويحكمون» بصيغة الإفعال.

قوله عليه السلام: «من مرافقهم» أي مرافق الرعيّة أو التجار وذوي الصناعات أي المرافق الحاصلة بهم وكذلك الضمير في «أسواقهم» والمرفوع في «يكفونهم» راجع إلى التجّار وما عطف عليه وكذا ضمير «بأيديهم» و«غيرهم».

وقال الجوهريّ المرفق من الأمر هو ما ارتفقت به وانتفعت به. وقال: حقّ الشيء يحقّ أي وجب وقال: الرفد: العطاء والصّلة.

قوله عليه السلام: «وفي الله» أي في جوده وعنايته فليعتمدوا على الله في تدبير أمورهم أو في حكمه وشريعته وما قرّر لكلّ منهم في كتابه وسنّة نبيّه.

[قوله عليه السلام:] «بقدر ما يصلحه» الضمير راجع إلى الكلّ وقيل إلى الوالي وهو بعيد.

[قوله عليه السلام:] «فولّ من جنودك» أي اجعل الوالي على جندك من كان كذلك «أنقاهم جيباً» أي أطهرهم جيباً أي عفيفاً أميناً ويكنّى عن العفّة والأمانة بطهارة الجيب لأنّ الّذي يسرق يجعل المسروق في جيبه وهذه الوصيّة في ولاة الجيش لأجل الغنائم كذا ذكره ابن أبي الحديد. وقال ابن ميثم: ناصح الجيب كناية عن الأمين. ولعله لم يكن في نسخته لفظة «أنقاهم» وقال الجوهريّ: رجل ناصح الجيب: أمين. ويحتمل أن يكون المراد بطهارة جيبه أو نصحه كونه محبّاً للإمام عليه السلام غير مبطن لعداوة أو نفاق.

[قوله عليه السلام:] «ويستريح إلى العُذر» أي يسكن عند العُذر ويميل إليه فيقبله.

ويحتمل أن يكون من قولهم: عذرته عذراً فيما صنع فالعُذر بمعنى قبول العذر.

[قوله عليه السلام:] «وينبو على الأقوياء» كذا في أكثر النسخ المصححة أي يعلو على الأقوياء ويدفع ظلمهم عن الضعفاء من النباوة وهي الأرض المرتفعة.

وفي بعض النسخ: «عن الأقوياء» أي يتجافى ويبعد عنهم ولا يميل إليهم، من قولهم: نبا بصره عن الشيء إذا تجافى عنه.

[قوله عليه السلام:] «وممن لا يثيره» عطف على قوله «ممن يبطئ» أي لا يكون له عنف فيثيره ولو كان له عنف بمقتضى طبعه يطفيه بعقله أو أنّه لو عنف به أحد تحلّم وصبر.

ولعل المراد بالإلصاق بذوي الأحساب تفويض الولايات والأمور إليهم أو تفقد أحوالهم وتربيتهم وحفظهم عن الضياع «والحسب» بالتحريك ما يعدّ من المآثر وقيل: الشرف الثابت له ولآبائه. والسوابق: الفضائل الّتي يسبق لها.

وقال الجوهريّ: النجدة: الشجاعة ولاقى فلان نجدة أي شدة. والسماحة بالفتح: موافقة الرّجل على ما أُريد منه أو الجود والعطاء.

[قوله عليه السلام:] «فإنهم جماع من الكرم» أي مجمع من مجامع الكرم أو تلك الصفات من الصفات الجامعة من جملة صفات الكرم وفي إتيان ضمير ذوي العقول تجوز كقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقال ابن أبي الحديد: أي مجمع الكرم ومنه الحديث: الخمر جماع الإثم «ومن» هاهنا زائدة وإن كان في الإيجاب على مذهب الأخفش.

[قوله عليه السلام:] «وشعب من العرف» أي شعب العرف أي أقسامه وأجزاؤه أو من المعروف لأنّ غيرها أيضاً من الكرم والمعروف نحو العدل والفقه.

[قوله عليه السلام:] «ثم تفقّد من أمورهم» أي أمور الجنود أو ذوي الأحساب ومن بعده أو الرعيّة مطلقاً والتفقد: طلب الشيء عند غيبته.

وقال الجوهريّ: تفاقم الأمر: عظم. والتاء في «داعية» للمبالغة.

[قوله عليه السلام:] «اتكالاً على جسيمها» أي اعتماداً على تفقد عظيمها «ومن واساهم» أي الجنود «من جدته» أي غناه «ومن خلوف أهليهم» أي من يخلفونه من أولادهم وأهليهم «إلاّ بحيطتهم» في أكثر النسخ المصححة بفتح الحاء وتشديد الياء وليس موجوداً فيما ظفرنا به من كتب اللغة بل فيها الحيطة بكسر الحاء وسكون الياء كما في بعض النسخ قال الجوهريّ: الحيطة بالكسر: الحياطة وهما من الواو وقد حاطه يحوطه حوطاً وحياطة وحِيطة: أي كلأه ووعاه. ومع فلان حيطة لك [ولا تقل عليك] أي تحنّن وتعطف.

وقال ابن أبي الحديد: وأكثر النّاس يروونها بتشديد الياء وكسرها والصحيح بكسر الحاء وتخفيف الياء.

[قوله عليه السلام:] «وقلّة استثقال دولهم» أي بأن كانوا راضين بدولتهم ولا يعدّوها ثقيلاً ولا يتمنوا زوالها. والاستبطاء: عدّ الشيء بطيئاً.

[قوله عليه السلام:] «وواصل في حسن الثناء عليهم» أي كرّره حتّى كأنّك وصلت بعضه ببعض أو واصلهم وتحبّب إليهم بذلك.

وفي بعض النسخ: «من حسن». وتعديد البلاء: كثرة إظهاره وقال في النهاية فيه «عسى أن يؤتى هذا من لا يبلي بلائي» أي لا يعمل مثل عملي في الحرب كأنّه يريد أفعل فعلاً أُختبر فيه ويظهر خيري وشري. «والهز»: التحريك. والتحريض: الترغيب «ثم اعرف» أي اعلم مقدار بلاء كلّ امرئ منهم وجازه بذلك المقدار «ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه» أي بأن تذكر بعضه أو تحقره ولا تجازيه بحسبه.

[قوله عليه السلام :] «ما يضلعك» في بعض النسخ بالضاد وفي بعضها بالظاء [وقال ابن الأثير] في [مادة «ضلع» من كتاب] النهاية: فيه «أعوذ بك من [الكسل و] ضلع الدّين» أي ثقله والضَلَعُ الاعوجاج أي يثقله حتّى يميل صاحبه عن الاستواء والاعتدال يقال ضَلِع بالكسر يضلع ضلعاً بالتحريك وضَلَعَ بالفتح يَضْلع ضَلْعاً بالتسكين أي مال ومن الأوّل حديث عليّ عليه السلام : «واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب» أي يثقلك.

وقال في الظاء [في مادة «ظلع»]: الظلع بالسكون: العرج. وظَلَعوا أي انقطعوا وتأخّروا لتقصيرهم. وأخاف ظَلَعهم بفتح اللام أي ميلهم عن الحقّ وضعف إيمانهم. وقيل: ذنبهم. وأصله داء في قوائم الدابّة يغمز منها. ورجل ظالع أي مائل. وقيل إنّ المائل بالضاد. وقال ابن أبي الحديد: الرواية الصحيحة بالضاد، وإن كان للرواية بالظاء وجه.

[قوله عليه السلام :] «بسنّته الجامعة» أي الّتي تصير أهواؤهم ونيّاتهم بالأخذ بها واحدة ولا يتفرقون عن طاعة الله وعبادته.

[قوله عليه السلام :] «ثم اختر [للحكم بين الناس .]» هو وصيّة في نصب القضاء. «في نفسك» أي اعتقادك. والباء في «تضيق به» للتعدية. «ولا يمحكه الخصوم» كذا في النسخ المعتبرة على صيغة المجرد إمّا بالياء أو بالتاء والّذي يظهر من كلام أهل اللغة هو أنّ محك لازم.

والذي رواه ابن الأثير في النهاية هو «تمحكه» بضم التاء من باب الإفعال وقال: في حديث عليّ عليه السلام : «لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم» [قال:] المحك اللجاج وقد محك يمحك وأمحكه غيره. انتهى. وفي بعض النسخ: «يمحّكه» على بناء التفعيل.

وقال ابن ميثم [في شرح قوله:] «ممن لا يمحكه الخصوم» أي [لا] يغلبه على الحقّ باللجاج. وقيل ذلك كناية عمّن يرتضيه الخصوم فلا تُلاجّه ويقبل [منه] بأوّل قوله.

[قوله عليه السلام :] «ولا يتمادى في الزلة» أي لا يستمرّ في الخطأ بل يرجع بعد ظهور الحقّ. وقال الجوهريّ: الحصر: العي يقال: حصر الرّجل يحصر حصراً مثل تعب تعباً والحصر أيضاً: ضيق الصّدر يقال: حصرت صدورهم. وكلّ من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حصر عنه وحصرت الرّجل فهو محصور أي حبسته وحصره العدوّ يحصرونه إذا ضيّقوا عليه انتهى.

والمعنى لا يضيق صدره ولا يشكل عليه الرجوع إلى الحقّ بعد معرفته ولا يحبس نفسه

عنه. والتبرّم: «التضجر والملال أي لا يمل من معاودة الكلام رجاء ظهور الحقّ «وأصرمهم»: أقطعهم وأمضاهم. وقال الجوهريّ: زهاه وازدهاه: استخفّه وتهاون به ومنه قولهم: فلان لا يزدهي بخديعة. والإطراء: المدح. والإغراء: التحريض.

[قوله عليه السلام:] «ثم أكثر تعاهد قضائه» أي ابحث واستخبر ما يقضي ويحكم به هل هو موافق للحقّ ثم أمره بأن يفرض له عطاء واسعاً يملأ عينه ويتعفّف به عن الرشوة وقال الجوهريّ: زاح الشيء يزيح زيحاً أي بعد وذهب وأزحت علّته فزاحت.

وقال ابن ميثم ما في قوله: «ما يزيح علته» يحتمل أن يكون بدلاً من «البذل» وأن يكون مفعولاً لفعل محذوف دلّ عليه «البذل» أي فتبذل له ما يزيح علّته وأن يكون مفعولاً لـ [قوله] «افسح» [من] فسح: وسّع له ما يكفيه من المال أو في معنى مصدر «افسح» أي افسح له فسحاً يزيل علّته انتهى.

والاغتيال في الأصل أن تقتل رجلاً خدعة وهاهنا كناية عن ذمّ النّاس له وتقبيح ذكره عند الوالي حتّى ينحرف عنه.

[قوله عليه السلام:] قد كان أسيراً أي في زمن من تقدّم من الخلفاء.

[قوله عليه السلام:] «والعمّال» هم المنصوبون لجباية الخراج والجزية والصّدقات «فاستعملهم اختياراً» في بعض النسخ بالمثناة أي انصب من عمّالك من كان مختاراً عندك. والاختيار: الاصطفاء. أو من تختاره بعد التأمّل والتفكّر. وفي بعضها بالموحّدة أي بعد اختيارك وامتحانك لهم. وقال الجوهريّ: حباه يحبوه أي أعطاه.

وقال ابن أبي الحديد: أي لا تولّهم محاباة لهم أو لمن يشفع لهم ولا أثرةً وإنعاماً عليهم.

وقال في القاموس حاباه محاباة وحباءً: نصره واختصه ومال إليه. «فإنّهما» أي المحاباة والأثرة كما هو مصرح به في بعض النسخ بدل الضمير، وفي بعض النسخ «فإنهم». والتوخّي: التحري والقصد قاله الجوهريّ.

وقال: القدم: واحد الأقدام. والقدم: السابقة في الأمر يقال: لفلان قدم صدق أي أثرة حسنة. وقال الفيروزآبادي: فالقدم بمعنى الرّجل مؤنثة. وقول الجوهريّ: «[القدم]» واحد الأقدام سهو، صوابه: واحدة.

وقال في النهاية: الأعراض جمع العرض وهو موضع المدح والذمّ من الإنسان سواء كان في نفسه أو في سلفه أو من يلزمه أمره. وقيل: هو جانبه الّذي يصونه من نفسه وحسبه ويحامي عنه أن ينتقص ويثلب وقال ابن قتيبة: عرض الرجل: نفسه وبدنه لا غير.

وقال ابن أبي الحديد: الإشراف شدّة الحرص على الشيء.

[قوله عليه السلام:] «ما تحت أيديهم» أي من أموال المسلمين ممّا أُمروا بجبايتها «أو ثلموا أمانتك» كناية عن الخيانة. والثلمة: الخلل في الحائط وغيره.

[قوله عليه السلام :] «وابعث العيون» أي من يراقبهم ويطّلع عليهم. والعين: الجاسوس والدّيدبان. «حدوة لهم» أي باعث ومحرّض لهم والحدو في الأصل: سوق الإبل والغناء لها.

[قوله عليه السلام :] «وتحفظ من الأعوان» أي من خيانة أعوان الولاة أو أعوانك في ذكر أحوال العمّال بأغراضهم الفاسدة أو الأعوان هم الحاضرون عنده الّذين يبعثهم إلى المواضع القريبة وضمير «بها» راجع إلى الخيانة.

و «اكتفيت» جزاء الشرط. وأخذه بما أصاب من عمله: استعادة ما أخذه خيانة. وقال الجوهريّ وسمته وَسْماً وسِمةً إذا أثرت فيه بسمة وكيّ. والهاء عوض عن الواو «وقلّدته عار التهمة» أي جعلت العار كالقلادة في عنقه.

[قوله عليه السلام :] «لأن ذلك» أي الخراج أو استجلابه «فإن شكوا ثقلاً» أي ثقل الخراج المضروب عليهم أو ثقل وطأة العامل أو علّة كالجراد والبرد ونحوهما. والشرب بالكسر: الحظّ من الماء وقال الجوهريّ والجزري يقال: لا تبلّك عندي بالّة أي لا يصيبك منّي ندىً ولا خيرٌ. وقال ابن ميثم: البالّة القليل من الماء تبلّ به الأرض. وقال: أحالت الأرض: تغيّرت عمّا كانت عليه من الاستواء فلا نتجت زرعها ولا أثمرت نخلها.

وقال ابن أبي الحديد: أو بالّة يعني المطر.

وقال في النهاية: حالت الناقة وأحالت إذا حملت عاماً ولم تحمل عاماً وقال في الحديث «إنه جعل على كلّ جريب عامر أو غامر درهماً وقفيزاً» الغامر ما لم يزرع ممّا يحتمل الزراعة من الأرض سمّي غامراً لأنّ الماء يغمره فهو [غامر] والغامر فاعل بمعنى مفعول انتهى.

[قوله عليه السلام :] «أو أجحف بها» أي ذهب بها والمعنى أتلفها عطش بأن لا يكفيها الماء الموجود في الشرب أو لتقصير أو مانع. «حسن نياتهم» أي صفاء باطنهم وميلهم بالقلوب. وفي بعض النسخ ثنائهم. واستفاضة العدل انتشاره.

وقوله: «معتمداً» حال من ضمير خففت أي قاصداً. «والإجمام» الترفيه.

وقوله «والثقة» النسخ متّفقة على جرها فيكون معطوفاً على قوله: «أو إجمامك».

وقال ابن ميثم: «فضل» نصب بالمفعول من «معتمداً» «والثقة» معطوف على المفعول المذكور. ولعلّه قرأ بالنصب.

[قوله عليه السلام] «فربما حدث من الأمور» كاحتياجك إلى مساعدة مال يقسّطونه عليهم قرضاً لك أو معونة محضة. والإعواز: الفقر. [قوله عليه السلام :] «على الجمع» أي جمع المال لأنفسهم أو للسلطان «وسوء ظنّهم بالبقاء» أي الإبقاء على العمل لخوف العزل أو يظنّون طول البقاء وينسون الموت والزوال أي بالبقاء. وفي النهاية: العبر جمع عبرة وهي كالموعظة ممّا يتّعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره.

[قوله عليه السلام] «فولّ على أمورك» لعلّ المراد بها ما يكون لها نهاية الاختصاص بالوالي من

الأمور الكليّة دون الجزئية المتعلّقة بالقرى ونحو ذلك فالمراد بخيرهم خير كتّاب الوالي، ويمكن أن يراد بها مطلق أموره فالضمير في: «خيرهم» عائد إلى مطلق الكتاب والأوّل أظهر.

[قوله عليه السلام] «مكائدك» أي تدابيرك الخفيّة والمعنى اجعل رسائلك المذكورة مخصوصة بمن كان منهم أشدّ جمعاً للأخلاق الصالحة كالعلم بوجوه الآراء المصلحة والوفاء والنصيحة والأمانة وغيرها. والبطر: الطغيان عند النعمة.

[قوله عليه السلام :] «ولا تقصر به» أي لاتجعله الغفلة مقصّراً وقوله: «وفيما» لعلّه معطوف على قوله: «عن إيراد». «يأخذ لك» كالخراج أو المكاتيب الّتي تكون حجّة لك. «ويعطي منك» كسهام الجند أو المكاتيب الّتي تكون حجّة لغيرك.

قوله عليه السلام : «ولا يضعف» أي إن عقد لك عقداً قوّاه وأحكمه، وإن عقد خصومك عليك عقداً اجتهد في إدخال ما يمكن به حلّه ونقضه عند الحاجة فالمراد بالإطلاق إمّا ترك التقييد أو حل العقد. وفي بعض النسخ «لا يعجز» بصيغة الإفعال أي لا يعجزك.

واستنامتك أي ميل قلبك إليه قال الجوهريّ: استنام إليه أي سكن إليه واطمأن.

[قوله عليه السلام :] «فإنّ الرّجال يتعرّضون» قال ابن أبي الحديد: ويروى «يتعرّفون» أي يجعلون أنفسهم بحيث تعرف بالمحاسن بتصنّعهم «فاعمد لأحسنهم كان» أي اقصد لمن كان في زمن الصالحين قبلك أحسنهم. [قوله عليه السلام :] «ولمن وليت أمره» أي لإمامك.

[قوله عليه السلام :] «واجعل لرأس كلّ أمر» قال ابن أبي الحديد: نحو أن يكون أحدهم للرسائل إلى الأطراف والأعداء والآخر لأجوبة عمّال السواد والآخر لخاصته ونفقاته.

[قوله عليه السلام :] «لا يقهره كبيرها» أي لا يعجز عن القيام بحقّه «ولا يتشتت عليه» أي لا يتفرّق لكثرته وضميرا «كبيرها وكثيرها» راجعان إلى الأمور.

[قوله عليه السلام :] «ألزمته» أي يأخذك الله والإمام بتغافلك.

[قوله عليه السلام :] «ثمّ استوص» قال ابن أبي الحديد: أي أوص نحو قرّ في المكان واستقرّ يقول: استوص بالتجّار خيراً أي أوص نفسك بذلك ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وآله : استوصوا بالنساء خيراً. ومفعولا «استوص» «وأوص» هاهنا محذوفان للعلم بهما. ويجوز أن يكون [معنى] استوص أي اقبل الوصيّة منّي بهم وأوص بهم أنت غيرك. «والمضطرب» يعني المسافر والضرب: السير في الأرض قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ .

[قوله عليه السلام :] «المترفّق ببدنه» أي أهل الصّنائع فإنّهم يتكلفون نفع النّاس ونفع أنفسهم بتجشّم العمل وإتعاب البدن. والمرافق: ما ينتفع بها. والمطارح: المواضع البعيدة قال الجوهريّ: الطرح بالتحريك المكان البعيد. «وحيث» قال ابن أبي الحديد: ويروى بحذف الواو أي من مكان لا يجتمع النّاس لمواضع تلك المنافع منه ولا يجترئون عليها فيه كالبحار والجبال ونحوهما. والضمير في «مواضعها وعليها» يعود إلى المنافع.

[قوله عليه السلام :] «فإنهم سلم» أي ولو أسلم وصلح لا يتخوّف منهم إفساد في دولة ولا خيانة في مال. والبائقة: الداهية. وقيل الظلم. والغائلة: الشر. وحواشي البلاد: أطرافها. والشحّ: البخل أو الحرص. والحكر: الجمع والإمساك. والاحتكار: الحبس انتظاراً للغلاء وسيأتي أحكام الاحتكار في محلّها.

وقال في القاموس: تحكم في الأمر: جار فيه حكمه وقال: البياعة بالكسر: السلعة والجمع بياعات و[لفظ]: «وعيب» في بعض النسخ [مذكور] بالرفع عطفاً على «باب» وفي بعضها بالجر عطفاً على «مضرة» وسمح بكذا سمحاً بالفتح أي جاد وأعطى أو وافق على ما أُريد منه والمراد هنا إمّا ترك البخس في المكيال والميزان فالمراد بقوله: «بموازين عدل» عدم النقص في أصل الميزان ويحتمل التأكيد. أو المراد بالسّمح إعطاء الراجح قليلاً أو الرفق بالمشتري وترك الخشونة على الاستحباب وإن كان الظاهر الوجوب «وقارفه» أي قاربه وخالطه والمراد بالتنكيل والمعاقبة في غير إسراف التعزير على قدر المصلحة.

[قوله عليه السلام :] «ثم الله الله» أي اذكر الله واتّقه. والحيلة: الحذق في تدبير الأمور «وأهل البؤسى» لفظ «أهل» غير موجود في أكثر النسخ والبؤسى مصدر كالنّعمى وهي شدّة الحاجة فلا يصح عطفه على المساكين والمحتاجين إلاّ بتقدير وأمّا «الزّمنى» فهو جمع زمن فيكون معطوفاً على «أهل البؤسى» لا «البؤسى» وسيأتي تفسير القانع والمعترّ «واحفظ لله» أي اعمل بما أمر الله به في حقّهم أو اعمل بما أمرك به من ذلك لله.

وقال في النهاية: الصوافي الأملاك والأراضي الّتي جلى عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها واحدها صافية. قال الأزهري يقال للضّياع الّتي يستخلصها السّلطان لخاصته الصوافي وبه أخذ من قرأ «فاذكروا اسم الله عليها صوافي» أي خالصة لله تعالى انتهى.

ولعل المراد بالقسم من بيت المال [في قوله عليه السلام واجعل لهم قسماً من بيت مالك] هو السّهم المفروض لهم من الزكوات والأخماس وبالقسم من غلات الصوافي ما يكفيهم لسدّ خلّتهم من خاصّة الإمام عليه السلام من الفيء والأنفال تبرعاً ويحتمل شموله لبيت المال أيضاً.

والمراد بالأقصى من بعد من بلد الوالي وقيل من بعد من جهة الأنساب والأسباب منه. وقيل أي لا تصرف ما كان من الصوافي في بعض البلاد على مساكين ذلك البلد خاصّة فإنّ لغيرهم فيها مثل حقّهم «وكل قد استرعيت حقّه» أي أمرك الله برعاية حقّه.

قوله عليه السلام : «ولا يشغلنّك عنهم نظر» أي تفكّر في أمر آخر واهتمام به. وفي بعض النسخ «بطر» بالباء والطاء المهملة أي مرح وطغيان. والتافه الحقير.

[قوله:] «لإحكامك» في أكثر النسخ بفتح الهمزة ويمكن أن يُقرأ بالكسر ولعله أنسب كما لا يخفى. والإشخاص الإخراج «ولا تصعّر خدّك لهم» أي لا تمل وجهك عن النّاس تكبرا «ممن تقتحمه العيون» أي تزدريه وتحتقره و«تحقر» بالتخفيف وكسر القاف أي تستحقره. وفي

بعض النسخ على التفعيل «ففرّغ لأولئك ثقتك» أي عيّن لرفع أمورهم إليك رجلاً من أهل الخشية لله والتواضع لهم أو لله أو الخشية لله والتواضع للإمام أو لك «ثم اعمل فيهم» أي اعمل في حقهم بما أمر الله به بحيث تكون ذا عذر عنده إذا سألك عن فعلك بهم.

[قوله عليه السلام: «وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممّن لا حيلة له»] قال الجوهريّ: الرقق محركة: الضعف ورجل رقيق أي ضعيف وقال ابن ميثم أي المشايخ الّذين بلغوا في الشيخوخة إلى أن رقّ جلدهم ثمّ ضعف حالهم عن النُهُوض فلا حيلة لهم. وقال الكيدريّ أي الّذين بلغوا في السن غاية يرق لهم ويرحم عليهم «ولا ينصب نفسه» أي حياء أو ثقة بالله.

[قوله عليه السلام:] «والعاقبة» في بعض النسخ بالقاف والباء الموحدة، وفي بعضها بالفاء والياء المثناة «فصبروا أنفسهم» بالتخفيف والتشديد. قال في النهاية: أصل الصبر: الحبس وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾. وقال الفيروزآبادي: صبّره: طلب منه أن يصبر.

قوله عليه السلام: «قِسْماً» أي من أوقاتك «تفرّغ لهم فيه شَخْصَك» أي لا تشتغل فيه بسائر الأشغال «وتقعد عنهم جندك» أي تنهاهم عن التعرّض لهم والدخول في أمورهم. والأحراس جمع حارس أي الحفظة. وقال في النهاية: شرط السّلطان نخبة أصحابه الّذين يقدّمهم على غيرهم من جنده. والشرطة أوّل طائفة من الجيش تشهد الوقعة.

وأيضاً قال ابن الأثير في مادة «تَعْتَعَ» من النهاية: فيه «حتى يؤخذ للضعيف حقّه غير متعتع» بفتح التاء أي من غير أن يصيبه أذىً يقلقله ويزعجه يقال: تعتعته فتتعتع و«غير» منصوب لأنّه حال من الضعيف انتهى.

[قوله عليه السلام:] «لن تقدس» أي لن تطهر عن العيوب والنقائص وهو على المجهول من التفعيل والمعلوم من التفعل «والخرق»: الجهل وكذلك «العيّ» أي تحمّل عنهم ولا تعاتبهم «والضيق» التضييق عليهم في الأمور أو البخل أو ضيق الصدر بما يرد من الأمور أو العجز «والأنف» بالتحريك: الامتناع من الشيء استكباراً. والكنف بالتحريك: الجانب والناحية. والإعطاء الهنيء ما لم يكن مشوباً بالمنّ والأذى ونحو ذلك ويقال: أجملت الصّنيعة عند فلان وأجمل في صنيعه. ذكره الجوهريّ. وأعذر أي أبدى عذره.

وقوله: «أمور» [مبتدأ] خبره محذوف أي هناك أمور. وفي الصحاح: وعيي إذا لم يهتد لوجهه والعيّ خلاف البيان وقد عيَّ في منطقه وعيي أيضاً. وقال: مكان حَرِجٌ وحَرَج أي ضيق وقد حرج صدره يحرج حَرَجاً.

[قوله عليه السلام:] «بالغاً من بدنك» أي: وإن أتعبك ذلك تعباً كثيراً.

[قوله عليه السلام:] «فلا تكوننّ منفّراً» أي بالتطويل الّذي يوجب نفرة النّاس «ولا مضيعاً» بالتأخير عن أوقات الفضيلة والتقصير في الآداب والتعليل للأوّل.

[وقوله عليه السلام:] «وكن بالمؤمنين رحيماً» من تتمة الحديث النبوي أو من كلامه عليه السلام، ورجّح ابن أبي الحديد الثاني. قوله عليه السلام: «من الضيق» أي البخل أو ضيق الخلق أو غيرهما ممّا تقدّم «وقلّة علم» أي سبب لها «والاحتجاب منهم» الضمير للولاة أي الناشئ منهم أو للرعية فمن بمعنى عن وضمير «عنهم» للولاة قطعاً وكذا ضمير «عندهم» أي يصير سبباً لأن يتوهموا كبير الأمور بتسويل الأعوان وأصحاب الأغراض صغيراً وكذا العكس «ما توارى عنه الناس» أي استتر والضمير في «عنه» راجع إلى الوالي وفي «به» إلى «ما» و«من الأمور» بيان له.

[قوله عليه السلام:] «وليست على الحقّ سمات» أي ليست على الحقّ والباطل من الكلام علامات يعرفان بها بمجرّد السّماع فلا بد من التجسّس حتّى يتميّزا.

وفي النهاية: أسدى وأولى وأعطى بمعنى. والمظلمة ما تطلبه من الظالم وهو اسم ما أُخذ منك. والاستئثار: الاستبداد بالأمور. والتطاول: الترفع. والحامة الخاصة. وحامة الرجل: أقرباؤه. وفي النهاية: الإقطاع يكون تمليكاً وغير تمليك. وفي الصحاح أقطعه قطيعة أي طائفة من أرض الخراج وفي القاموس: القطيعة: محالّ ببغداد أقطعها المنصور أناساً من أعيان دولته.

[قوله عليه السلام:] «ولا يطمعنّ» فاعله [ضمير] «أحد» [المتقدم].

«والعقيدة» بالضمّ: الضيعة والعقار الّذي اعتقده صاحبه ملكاً والعقدة: المكان الكثير الشّجر أو النخل كذا في كتب اللغة.

وقال ابن ميثم: اعتقد الضيعة اقتناها. وقال ابن أبي الحديد: اعتقدت عقدة أي ادّخرت ذخيرة.

ولم نجدها في كلام أهل اللغة ولا يخفى عدم مناسبة ما ذكره ابن أبي الحديد. وقال في النهاية كلّ أمر يأتيك من غير تعب فهو هنيء ولك المهنأ والمهنّأ.

[قوله عليه السلام:] «وكن في ذلك» قال ابن ميثم: الواو في «وكن» للحال وكذا «واقعاً» حال.

[أقول:] وفي الأوّل نظر والحاصل: ألزم الحقّ كلّ من لزم عليه أيّ حقّ كان من ظلامة أو حدّ أو قصاص وعلى أيّ امرئ كان من قرابتك وخواصّك «وابتغ عاقبته» أي عاقبة ذلك الإلزام. وفي القاموس: الغبّ بالكسر: عاقبة الشيء كالمغبة بالفتح.

[قوله عليه السلام:] «فأصحر لهم» أي أظهر لهم عذرك يقال: أصحر الرّجل إذا خرج إلى الصحراء وأصحر به إذا أخرجه «وأعدل عنك» في بعض النسخ بقطع الألف على بناء الإفعال، وفي بعضها بالوصل على بناء المجرد فعلى الأوّل من «عدل» بمعنى حاد. وعلى الثاني من «عدله» أي نحّاه «فإنّ في ذلك إعذاراً» أي إظهاراً للعذر. والدعة الخفض وسعة العيش والهاء عوض عن الواو.

ومقاربة العدوّ إظهاره المودّة وطلبه الصلح «ويتغفل» أي يطلب غفلتك والحزم: الأخذ في الأمر بالثقة. واتهام حسن الظنّ ترك العمل بمقتضاه.

وفي النهاية: العقدة: البيعة المعقودة. وقال حاطه يحوطه: حفظه وصانه.

[قوله عليه السلام:] «واجعل نفسك جُنَّة» أي لا تغدر ولو ذهبت نفسك.

«فإنه ليس من فرائض الله شيء»: قال ابن أبي الحديد: شيء اسم «ليس» وجاز ذلك وإن كان نكرة لاعتماده على النفي، ولأنّ الجارّ والمجرور قبله في موضع الحال كالصفة فتخصّص بذلك [وقرب من المعرفة] والنّاس مبتدأ وأشدّ خبره وهذه الجملة المركّبة من مبتدأ وخبره في موضع رفع لأنّها صفة شيء. وأما خبر المبتدأ الّذي هو «شيء» فمحذوف [و] تقديره «في الوجود»، كما حذف الخبر في قولنا لا إله إلاّ الله. ويمكن أيضاً أن يكون «من فرائض الله» في موضع رفع لأنّه خبر المبتدأ وقد تقدّم عليه ويكون موضع «النّاس» وما بعده رفعاً لأنّه صفة المبتدأ الّذي هو «شيء» كما قلناه أولاً. وليس يمتنع أيضاً أن يكون «من فرائض الله» منصوب الموضع لأنّه حال ويكون موضع «النّاس أشدّ» رفعاً لأنّه خبر المبتدأ الّذي هو «شيء».

[قوله عليه السلام:] «وقد لزم ذلك» أي لزم المشركون مع شركهم الوفاء بالعهود وصار ذلك سنّة لهم فالمسلمون أولى باللزوم والوفاء.

[قوله عليه السلام:] «لما استوبلوا» أي عدّوا عواقب الغدر وبالاً.

قال في النهاية: الوبال في الأصل: الثقل والمكروه. واستوبلوا المدينة أي استوخموها. وقال: فيه «إنّي لا أخيس بالعهد» أي لا أنقضه يقال: خاس بعهده يخيس وخاس بوعده إذا أخلفه وقال: ختله يختله: خدعه وراوغه.

وقال ابن ميثم: أفضاه: بسطه. واستفاض الماء: سال. وقال في القاموس: فضا المكان فضاءً وفضوّاً: اتّسع والمنعة بالتحريك: العز وقد يسكن.

قوله عليه السلام «وحريماً يسكنون إلى مَنعته ويستفيضون إلى جواره» قال ابن أبي الحديد: «إلى» هاهنا متعلق بمحذوف كقوله تعالى: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي مرسلاً إليه أي جعل [الله] ذمّته أمناً ينتشرون في طلب حوائجهم ساكنين إلى جواره. وفي الصحاح: الدغل بالتحريك: الفساد يقال: قد أدغل في الأمر إذا أدخل فيه ما يخالفه ويفسده. وقال المدالسة كالمخادعة [قوله عليه السلام:] «تجوز فيه العلل» أي يتطرق إليه التأويلات والمعاذير وفي النهاية: اللحن: الميل عن جهة الاستقامة يقال: لحنت لفلان إذا قلت له قولاً يفهمه ويخفى على غيره لأنّك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم. والمعنى: لا تنقض العهود والمواثيق تمسّكاً بالتأويلات أو لا تقبل من الخصم ذلك ويحتمل الأعمّ. والانفساخ في بعض النسخ بالخاء المعجمة من الفسخ وهو النقض وفي بعضها بالمهملة وهو الاتساع.

[قوله عليه السلام:] «لا تستقيل فيها» أي لا تكون لك إقالة في الدّنيا ولا في الآخرة.

[قوله عليه السلام:] «وانقطاع مدّة» كمدّة العمر والسلطنة وسعة العيش «وينقله» أي إلى غيرك. والقود: القصاص. والوكز: الضرب بجمع الكفّ أو مطلقاً والمعنى: [أنه] قد يؤدّي أمثالها إلى القتل.

وقال الجوهريّ: طمح بصره إلى الشيء ارتفع وكلّ مرتفع فهو طامح وأطمح فلان بصره: رفعه والمعنى لا يمنعك كبر السلطنة عن أداء الدية وظاهره ثبوت الدية في الخطأ في إقامة الحد والتعزير مطلقاً واختلف فيه الأصحاب فقيل: لا يضمن مطلقاً. وقيل: يضمن في بيت المال إذا كان الحد للناس فلو كان لله لم يضمن وقد يقال: الخلاف إنّما هو في التعزير - فإنّ تقديره منوط بالاجتهاد - لا الحدّ فإنّه مقدّر وسيأتي تمام الكلام فيه في محلّه.

وأُعجب فلان بنفسه على بناء المفعول إذا ترفع وسرّ بما رأى من نفسه. وأطريت فلاناً مدحته بأحسن ما فيه وقيل: جاوزت الحدّ في مدحه.

[قوله عليه السلام:] «من أوثق فرص الشيطان في نفسه» أي اعتماد الشيطان في الإضلال بزعمه على هذا النوع من الفرصة أشدّ من اعتماده على سائر الأنواع. والمحق الإبطال. والتزيّد في الحديث: الكذب والمراد هنا أن تعطي أحداً واحداً فتقول أعطيته عشرة. أو التساقط فيها: قال ابن أبي الحديد: هذا عبارة عن النهي عن الحرص والجشع قال الشنفرى:

وإن مدّت الأيدي إلى الزّاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

و[هذا] أخذه من قول الجوهريّ: تساقط على الشيء أي ألقى نفسه عليه إلاّ أنّه عدّاه بعلى كما ترى وحينئذ لا يكون مقابلاً للفقرة الأولى بل عينها ولا يخلو عن بعده بقرينة ما بعدها والظاهر أنّ التساقط في الأمور التقصير والتكاسل فيها كما ذكره ابن ميثم.

وقال الفيروزآبادي: التنكّر: التغير عن حال تسرّك إلى حال تكرهها والاسم النكير.

وقال الجوهريّ: استوضحت الشيء إذا وضعت يدك على عينك تنظر هل تراه واستوضحته الأمر إذا سألته أن يوضحه لك انتهى.

فعلى ما في بعض النسخ من بناء المجهول فالمعنى واضح أي إذا تأمّلت فيها واستعملته وتيقنته. وفي بعضها على بناء المعلوم.

وقال ابن أبي الحديد أي وضحت وانكشفت. ولم أجده في كلام أهل اللغة.

[قوله عليه السلام:] «والتغابي عمّا تعنى به» أي التغافل عمّا تفعله خواصّك أو مُطلقاً من الأمور المنكرة فإنّك تقصد به وتؤخذ منك للمظلوم وتعاقب عليه «ممّا قد وضح للعيون» لعلّ تخصيص هذا النوع لكونه أشنع أو لأنّه لا ينبغي للوالي تجسّس العيوب والمعاصي الخفية.

وقال ابن ميثم: أي التغافل عمّا يجب العلم والعناية به من حقوق النّاس المأخوذة ظلماً ممّا قد وضح للعيون إهمالك انتهى.

ولا يخفى أنّه إنّما يستقيم [تفسير ابن ميثم] إذا كان «يعني» بصيغة المذكّر الغائب لا بالخطاب كما فيما عندنا من النسخ.

«ومأخوذ منك لغيرك» أي تعاقب عليه مع أنّك لم تنتفع به بل انتفع به غيرك. ويمكن أن يكون المراد بالغير المظلوم «وعما قليل» أي مجاوزاً عن زمان قليل و«ما» زائدة أو نكرة موصوفة «ينتصف منك» أي ينتقم بالعدل وقال في النهاية: في حديث معقل بن يسار «فحمي من ذلك أنفاً» يقال: أنف من الشيء يأنف أنفاً إذا كرهه وشرفت نفسه عنه وأراد به هاهنا أخذته الحميّة من الغيرة والغضب وقيل: هو أنفاً بسكون النون للعضو أي اشتدّ غضبه وغيظه من طريق الكناية كما يقال للمتغيّظ: ورم أنفه والسورة: الحدّة والشدّة والإضافة للمبالغة.

والسطوة الصّولة. والبادرة من الكلام: الّذي يسبق من الإنسان في الغضب.

والأثر بالتحريك اسم من أثرت الحديث أي نقلته. واستوثقت أي استحكمت.

وتسرّع إلى الأمر: عجّل.

«على إعطاء كلّ رغبة». قال ابن أبي الحديد: [الرغبة] مصدر رغب في كذا كأنّه قال: القادر على إعطاء كلّ سؤال أي كلّ سائل ما سأله. وروي «وكل رغيبة» أي ما يرغب فيه من الإقامة على العذر [و] لعلّ المعنى على الجواب الواضح في كلّ ما سألنا الله عنه من حقوقه وحقوق خلقه وصاحب العذر بهذا المعنى لا يكون مذنباً.

وقال ابن ميثم: يحتمل أن يكون العذر اسماً من الإعذار إلى الله وهو المبالغة في الإتيان بأوامره فكأنّه قال: من الإقامة على المبالغة إليه في أداء أوامره انتهى.

وفي كون العذر اسماً من «أعذر» كما ذكره إشكال. «وتمام النعمة» عطف على قوله: «ما فيه» أي لتمام نعمته عليّ وتضاعف كرامته لديّ وتوفيقنا للأعمال الصالحة الّتي نستوجبها بهما. كذا قيل والأظهر أنّه عطف على «حسن الثناء» وإنّما اكتفينا بهذا القدر من البيان إيثاراً للاختصار وإلاّ فالمجلدات لا تفي بشرحه.

٧٤٥ - **جش:** ابن نوح عن عليّ بن الحسين بن سفيان عن عليّ بن أحمد بن عليّ بن حاتم عن عبّاد بن يعقوب عن عمروبن ثابت عن جابر قال: سمعت السّبيعيّ ذكر ذلك عن صعصعة قال: لمّا بعث عليه السلام مالكاً الأشتر [والياً على أهل مصر] كتب إليهم: من عبد الله أمير المؤمنين إلى نفر من المسلمين سلام عليكم إنّي أحمد إليكم الله الّذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد فإنّي قد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله لا ينام أيّام الخوف ولا ينكل عن الأعداء حرّاز الدّوائر لا ناكل من قدم ولا واهن في عزم من أشدّ عباد الله بأساً وأكرمهم حَسَباً أضرّ على الكفّار من حريق النّار وأبعد النّاس من دنس أو عار وهو مالك بن الحرث أخا مذحج حسام صارم لا نابي الضريبة ولا كليل الحدّ عليم في الجدّ رزين في الحرب ذو رأي أصيل وصبر جميل فاسمعوا له وأطيعوا أمره فإن أمركم بالنفر فانفروا وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنّه لا يقدم

ولا يحجم إلاّ بأمري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدّة شكيمته على عدوّكم عصمكم الله بالتقوى وزيّنكم بالمغفرة ووفقنا وإياكم لما يحبّ ويرضى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

بيان [قوله عليه السلام :] «حرّاز الدوائر» في أكثر النسخ بالحاء المهملة ثمَّ الراء المهملة ثمَّ المعجمة أي الحارس في الدوائر أو جلابها من قولهم: أحرز الأجر إذا حازه. والدّائرة: الغلبة بالنصر والظفر. وفي بعضها بالجيم والمهملتين وهو أنسب وفي بعضها بالجيم ثمَّ المعجمة ثمَّ المهملة وهو أيضاً مناسب أي القتّال في الدوائر.

٧٤٦ - وروى هذا المكتوب [الثقفي رحمه الله] في كتاب الغارات عن الشعبيّ عن صعصعة وفيه: «حذار الدوائر» وهو أظهر وفيه: «وهو مالك بن الحارث الأشتر حسام صارم لا نابي الضّريبة ولا كليل الحد حليم في السّلم رزين في الحرب» إلى قوله: «وقد آثرتكم به على نفسي نصيحةً لكم وشدّة شكيمة على عدوّكم عصمكم الله بالهدى وثبّتكم بالتقوى ووفقنا»[2].

(١) رجال النجاشي، ص ٢٨١.
(٢) الغارات، ص ٢٦٠.



الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الرابع والثلاثون

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب: ٧١٢٠

٣١ - باب سائر ما جرى من الفتن من غارات أصحاب معاوية على أعماله عليه السلام وتثاقل أصحابه عن نصره وفرار بعضهم عنه إلى معاوية وشكايته عليه السلام عنهم وبعض النوادر

٩٠١ - **قال عبد الحميد بن أبي الحديد:** إنّ قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان، يعظمون قتله، لم يكن لهم نظام ولا رأس، فبايعوا لعليّ عليه السلام على ما في أنفسهم، وعامل عليّ عليه السلام على صنعاء يومئذٍ عبيد الله بن العباس، وعامله على الجَنَد سعيد بن نمران. فلمّا اختلف الناس على عليّ بالعراق، وقتل محمّد بن أبي بكر بمصر، وكثرت غارات أهل الشام، تكلّموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان، ومنعوا الصّدقات، وأظهروا الخلاف، فكتب عبيد الله وسعيد ذلك إلى أمير المؤمنين فلمّا وصل كتابهما ساء عليّاً عليه السلام وأغضبه وكتب إليهما: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن العبّاس وسعيد بن نمران: سلام الله عليكما، فإنّي أحمد إليكما الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد: فإنّه أتاني كتابكما تذكران فيه خروج هذه الخارجة، وتعظّمان من شأنها صغيراً، وتكثران من عددها قليلاً، وقد علمت أنّ نخب أفئدتكما، وصغر أنفسكما، وتَبَابَ رأيكما، وسوء تدبيركما، هو الذي أفسد عليكما من لم يكن عليكما فاسداً، وجَرّأ عليكما من كان عن لقائكما جباناً، فإذا قدم رسولي عليكما، فامضيا إلى القوم حتى تقرءا عليهم كتابي إليهم، وتدعواهم إلى حظّهم وتقوى ربّهم، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم، وإن حاربوا استعنا بالله عليهم ونابذناهم على سواء، إن الله لا يحبّ الخائنين.

فكتب عليه السلام إليهم: من عبيد الله عليّ أمير المؤمنين، إلى من شاقّ وغدر من أهل الجَنَد وصنعاء:

أما بعد: فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، الذي لا يعقّب له حكم، ولا يردّ له قضاء، ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين. «أمّا بعد: بلغني تحزُّ بكم وشقاقكم وإعراضكم عن دينكم بعد الطاعة وإعطاء البيعة والألفة، فسألت أهل الدين الخالص، والورع الصّادق، واللبّ الراجح، عند بدء مخرجكم، وما نويتم به وما أحمشكم له، فحُدثت عن ذلك بما لم أرَ لكم في شيء منه عذراً مبيناً، ولا مقالاً جميلاً، ولا حجّة ظاهرة، فإذا أتاكم رسولي فتفرّقوا وانصرفوا إلى رحالكم أعفُ عنكم، واتقوا الله وارجعوا إلى الطاعة، وأصفحُ عن جاهلكم، وأحفظ عن قاصيكم، وأقوم فيكم بالقسط، وأعمل فيكم بحكم الكتاب. فإن لم تفعلوا، فاستعدوا لقدوم جيش جمّ الفرسان، عظيم الأركان، يقصد لمن طغى فتُطحنوا كطحن الرّحى فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾. وإلاّ فلا يحمد حامد إلاّ ربه، ولا يلم لائم إلاّ نفسه، والسلام عليكم ورحمة الله.

ووجّه الكتاب مع رجل من هَمْدان، فقدم عليهم الكتاب فلم يجيبوه إلى خير، فرجع فأخبره عليه السلام.

وكتبت تلك العصابة إلى معاوية يخبرونه بما جرى، وبطاعتهم له. فلما قدم كتابهم، دعا معاوية بسر بن أرطأة العامري ويقال: ابن أبي أرطأة - وكان قاسي القلب، فظاً، سفّاكاً للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة، وأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكّة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة عليّ، إلاّ بسطت عليهم لسانك، حتى يروا أنّهم لا نجاء لهم وأنّك محيط بهم، ثم اكفف عنهم، وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة عليّ حيث كانوا.

وفي رواية أُخرى، بعث بسراً في ثلاثة آلاف وقال: سر حتى تمرّ بالمدينة، فاطرد الناس، وأخف من مررت به، وانهب أموال كلّ من أصبت له مالاً ممن لم يكن في طاعتنا، فإذا دخلت المدينة فأرهم أنّك تريد أنفسهم، وأخبرهم أنّه لا براءة لهم عندك ولا عذر، حتى إذا ظنّوا أنّك موقع بهم، فاكفف عنهم. ثم سر حتى تدخل مكّة، ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب الناس عنك فيما بين مكّة والمدينة، واجعلها شردات، حتى تأتي صنعاء والجَنَد، فإنّ لنا بهما شيعة، وقد جاءني كتابُهُمْ.

فسار بسر حتى أتى المدينة، وصعد المنبر وهدّدهم وأوعدهم، وبعد الشفاعة أخذ منهم البيعة لمعاوية، وجعل عليها أبا هريرة، وأحرق دوراً كثيرة.

وخرج إلى مكّة، فلمّا قرب منها هرب قثم بن العبّاس عامل عليّ عليه السلام عليها، ودخلها بسر فشتم أهل مكة وأنّبهم، ثم خرج عنها واستعمل عليها شيبة بن عثمان، وأخذ فيها سليمان وداود ابني عبيد الله بن العبّاس فذبحهما، وقتل فيما بين مكة والمدينة رجالاً وأخذ أموالاً.

ثم خرج من مكّة وكان يسير ويفسد في البلاد، حتى أتى صنعاء، وهرب منها عبيد الله وسعيد، فدخلها وقتل فيها ناساً كثيراً، وكان هكذا يفسد في البلاد.

فندب عليّ عليه السلام أصحابه لبعث سريّة في أثر بسر فتثاقلوا، وأجابه جارية بن قدامة، فبعثه في ألفين، فشخص إلى البصرة، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم يمن، وسأل عن بسر فقيل: أخذ على بلاد بني تميم، فقال: أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم.

وبلغ بسراً مسير جارية فانحدر إلى اليمامة، وأغذّ جارية السّير، ما يلتفت إلى مدينة مرّ بها، ولا أهل حصن، ولا يعرج على شيء؛ إلاّ أن يرمل بعض أصحابه من الزاد، فيأمر أصحابه بمواساته، أو يسقط بعير رجل، أو تحفى دابّته، فيأمر أصحابه بأن يعقبوه، حتى انتهى إلى اليمن، فهربت شيعة عثمان، حتى لحقوا بالجبال، واتبعهم شيعة عليّ عليه السلام، وتداعت عليهم من كلّ جانب، وأصابوا منهم.

ومر جارية نحو بسر، وبسر يفرّ من جهة إلى جهة، حتى أخرجه من أعمال عليّ عليه السلام كلّها. فلمّا فعل ذلك به، أقام جارية بحرس نحواً من شهر، حتى استراح وأراح أصحابه.

ووثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية، لسوء سيرته وفظاظته وظلمه وغشمه. وأصاب بنو تميم ثقلاً من ثقله في بلادهم.

فلمّا رجع بسر إلى معاوية قال: احمد الله يا أمير المؤمنين، إنّي سرت في هذا الجيش أقتل عدوّك ذاهباً وجائياً، لم ينكب رجل منهم نكبة. فقال معاوية: الله فعل ذلك لا أنت، وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك، ثلاثين ألفًا، وحرّق قوماً بالنار.

قال: ودعا عليّ عليه السلام على بسر فقال: اللّهمّ إنّ بسراً باع دينه بالدّنيا، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر، آثر عنده من طاعتك، اللّهمّ فلا تمته حتى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك، ولا ساعة من النهار. اللّهمّ العن بسراً وعمراً ومعاوية، ولْيحلّ عليهم غضبك، ولْتنزل بهم نقمتك، ولْيصبهم بأسك ورجزك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين.

فلم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً، حتى وسوس وذهب عقله. وكان يهذي بالسّيف ويقول: أعطوني سيفاً أقتل به. لا يزال يردّد ذلك حتى اتّخذ له سيف من خشب، وكانوا يدنون منه المرفقة، فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات[1].

بيان: قال ابن الأثير في مادّة: «نخب» من النهاية: «بئس العون على الدّين قلب نخيب، وبطن رغيب». النخيب: الجبان الذي لا فؤاد له. وقيل: الفاسد العقل.

قوله عليه السلام: «لا يعقب له حكم» تضمين لقوله تعالى: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾[2].

وقال البيضاوي: أي لا رادّ له. وحقيقته الذي يعقب الشيء بالإبطال. ومنه قيل لصاحب الحقّ: معقّب، لأنه يقفو غريمه للاقتضاء. انتهى[3]. وأحمشت الرجل: أغضبته.

قوله عليه السلام: «وأحفظ عن قاصيكم» أي أذبّ وأدفع عن حريم مَن بَعُدَ وغاب.

قال في القاموس: المحافظة: الذّب عن المحارم. والحفيظة: الحميّة والغضب. وقال: قصي عنه: بَعُدَ، فهو قصيّ وقاص.

«والشّردات» لم يذكر في اللغة هذا الجمع والشرد: التفريق وفي بعض النسخ: «سروات» وهو جمه سراة. وهو الطريق، أي وسطه. كناية عن جعلها خراباً خالية عن أهلها، وقال في القاموس: الجند بالتحريك: بلد باليمن. وقال: أرملوا، أي: نفد زادهم، وقال: الحفا: رقّة القدم والخفّ والحافر. حفي يحفى حفاً فهو حفٍ وحافٍ. وقال: أعقب زيد عمراً: ركبا بالنوبة. وقال: تداعى العدو: أقبل.

أقول: وذكر الثقفي في كتاب الغارات مفصّل القصص التي أوردناها مجملة.

وروي عن الوليد بن هشام، قال: خرج بسر من مكّة، واستعمل عليها شيبة بن عثمان، ثم مضى يريد اليمن، فلمّا جاوز مكّة رجع قُثَمُ بن العبّاس إلى مكّة فغلب عليها.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٢٥٩. (٢) سورة الرعد، الآية: ٤١.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٤٨.

وكان بسر إذا قرب من منزل، تقدم رجل من أصحابه حتى يأتي أهل الماء فيسلّم فيقول: ما تقولون في هذا المقتول بالأمس عثمان؟ فإن قالوا قتل مظلوماً، لم يعرض لهم. وإن قالوا كان مستوجباً للقتل. قال: ضعوا السلاح فيهم. فلم يزل على ذلك حتى دخل صنعاء. فهرب منه عبيد الله بن العبّاس، وكان والياً لعليّ عليه السلام، واستخلف عمر بن أراكة فأخذه بسر، فضرب عنقه. وأخذ ابني عبيد الله فذبحهما على درج صنعاء، وذبح في آثارهما مائة شيخ من أبناء فارس. وذلك أنّ الغلامين كانا في منزل أمّ النعمان بنت بزرج، امرأة من الأبناء[1].

وبإسناده عن الكلبي ولوط بن يحيى، أنّ ابن قيس قدم على عليّ عليه السلام فأخبره بخروج بسر، فندب عليّ عليه السلام الناس فتثاقلوا عنه، فقال:

أتريدون أن أخرج بنفسي في كتيبة تتبع كتيبة في الفيافي والجبال؟ ذهب والله منكم أولو النُهى والفضل، الذين كانوا يُدعون فيجيبون، ويُؤمرون فيُطيعون، لقد هممت أن أخرج عنكم، فلا أطلب بنصركم ما اختلف الجديدان.

فقدم جارية بن قدامة فقال: أنا أكفيكم يا أمير المؤمنين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أنت لعمري لميمون النقيبة، حسن النيّة، صالح العشيرة. وندب معه ألفين، وقال بعضهم: ألفاً وأمره أن يأتي بالبصرة ويضمّ إليه مثلهم.

فشخص جارية، وخرج معه عليّ عليه السلام يشيّعه، فلمّا ودّعه قال: اتّق الله الذي إليه تصير، ولا تحتقر مسلماً ولا معاهداً، ولا تغصبنّ مالاً ولا ولداً ولا دابّة، وإن حفيت وترجّلت، وصلّ الصّلاة لوقتها.

فقدم جارية البصرة، وضمّ إليه مثل الذي معه، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن، ولم يغصب أحداً، ولم يقتل أحداً إلاّ قوماً ارتدّوا باليمن، فقتلهم وحرّقهم، وسأل عن طريق بسر، فقالوا: أخذ على بلاد بني تميم، فقال: أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم. فانصرف جارية فأقام بحرس.

قال إبراهيم: ومن حديث الكوفيّين عن نمير بن وعلة عن أبي الودّاك قال: قدم زرارة بن قيس فخبّر عليّاً عليه السلام علي السلام بالقدمة التي خرج فيها بسر، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أمّا بعد، أيّها الناس! إنّ أوّل فرقتكم، وبدء نقصكم، ذهاب أولي النّهى وأهل الرأي منكم، الذين كانوا يلقون فيصدقون، ويقولون فيعدلون، ويُدعون فيجيبون، وأنا والله قد دعوتكم عوداً وبدءاً وسرّاً وجهاراً وفي الليل والنهار، والغدوّ والآصال، فما يزيدكم دعائي إلاّ فراراً وإدباراً. أما تنفعكم العِظَة والدعاء إلى الهدى والحكمة؟! وإنّي عالم بما يصلحكم

(١) الغارات للثقفي، ص ٥٨٠ ح ٢٤٠ و٢٥٩.

ويقيم أودكم. ولكني والله لا أُصلحكم بفساد نفسي، ولكن أمهلوني قليلاً، فكأنكم والله بامرئ قد جاءكم، يحرمكم ويعذّبكم، فيُعذّبه الله كما يعذّبكم.

إنّ من ذلّ المسلمين وهلاك الدين، أنّ ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجاب، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار، وتدافعون، ما هذا بفعل المتّقين.

إن بسر بن أبي أرطأة وجّه إلى الحجاز، وما بسر لعنه الله؟! لينتدب إليه منكم عصابة حتى تردّوه عن سننه، فإنّما خرج في ستمائة أو يزيدون.

قال: فأسكت القوم مليّاً لا ينطقون. فقال: ما لكم مخرسون لا تكلّمون؟

فذكر عن الحارث بن حصيرة، عن مسافر بن عفيف، قال: قام أبو بردة بن عوف الأزدي، فقال: إن سرت يا أمير المؤمنين، سرنا معك!! فقال: اللّهم ما لكم ما سددتم لمقال الرشد «أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج؟! إنّما يخرج في مثل هذا، رجل ممّن ترضون من فرسانكم وشجعانكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق الناس، ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى في فلوات وشف الجبال، هذا والله الرأي السوء. والله لولا رجائي الشهادة عند لقائهم، لو قد حمّ لي لقاؤهم، لقرّبت ركابي، ثم لشخصت عنكم، فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال، فوالله إنّ فراقكم لراحة للنفس والبدن.

فقام إليه جارية بن قدامة السعدي رحمه الله، فقال: يا أمير المؤمنين، لا أعدمنا الله نفسك، ولا أرانا فراقك، أنا لهؤلاء القوم، فسرّحني إليهم. قال: فتجهّز فإنّك ما علمت ميمون النقيبة.

وقام إليه وهب بن مسعود الخثعمي فقال: أنا أنتدب إليهم يا أمير المؤمنين، قال: فانتدب بارك الله فيك.

فنزل عليه السلام عن المنبر ودعا جارية فأمره أن يسير إلى البصرة فخرج منها في ألفين، وندب مع الخثعمي من الكوفة ألفين وقال لهما: اخرجا في طلب بسر حتى تلحقاه، وأينما لحقتماه فناجزاه، فإذا التقيتما، فجارية على الناس. فخرجا في طلب بسر، والتقيا بأرض الحجاز، فذهبا في طلب بسر.

وعن الحارث بن حصيرة، عن عبد الرحمن بن عبيد قال: لمّا بلغ عليّاً عليه السلام دخول بسر الحجاز، وقتله ابني عبيد الله بن العبّاس، وقتل عبد الله بن عبد المدان ومالك بن عبد الله، بعثني بكتاب في إثر جارية بن قدامة، قبل أن يبلغه أنّ بسراً ظهر على صنعاء وأخرج عبيد الله منها وابن نمران، فخرجت بالكتاب حتى لحقت بجارية ففضّه فإذا فيه:

أمّا بعد، فإنّي بعثتك في وجهك الذي وجّهت له، وقد أوصيتك بتقوى الله، وتقوى ربّنا جماع كلّ خير، ورأس كلّ أمر، وتركت أن أُسمّي لك الأشياء بأعيانها، وإنّي أُفسّرها حتى تعرفها، سر على بركة الله، حتى تلقى عدوّك، ولا تحتقر من خلق الله أحداً، ولا تسخرنّ

بعيراً ولا حماراً، وإن ترجّلت وحبست، ولا تستأثرنّ على أهل المياه بمياههم، ولا تشربنّ من مياههم إلاّ بطيب أنفسهم، ولا تسبي مسلماً ولا مسلمة، ولا تظلم معاهداً ولا معاهدة، وصلّ الصلاة لوقتها، واذكر الله بالليل والنهار، واحملوا راجلكم، وتأسوا على ذات أيديكم وأغذ السير حتى تلحق بعدوّك فتجليهم عن بلاد اليمن وتردهم صاغرين إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وعن فضيل بن خديج قال: كان وائل بن حجر عند عليّ عليه السلام بالكوفة، وكان يرى رأي عثمان، فاستأذن علياً عليه السلام ليذهب إلى بلاده، ثم يرجع إليه عن قريب، فخرج إلي بلاد قومه، وكان عظيم الشان فيهم، وكان الناس بها أحزاباً، فشيعة ترى رأي عثمان، وأخرى ترى رأي عليّ عليه السلام. فكان وائل هناك، حتى دخل بسر صنعاء، فكتب إليه:

أمّا بعد، فإن شيعة عثمان ببلادنا شطر أهلها، فاقدم علينا فإنّه ليس بحضرموت رجل يردّك عنها. فأقبل إليها بسر بمن معه حتى دخلها، فزعم أنّ وائلاً استقبل بسراً، فأعطاه عشرة آلاف، وأنّه كلّمه في حضرموت، فقال له: ما تريد؟ قال: أريد أن أقتل ربع حضرموت، قال: إن كنت تريد ذلك فاقتل عبد الله بن ثوابة؛ لرجل فيهم، كان من المقاولة العظام. وكان له عدواً، في رأيه مخالفاً. فجاءه بسر حتى أحاط بحصنه، وكان بناءً معجباً لم ير في ذلك الزمان مثله، فدعاه إليه فنزل، وكان للقتل آمناً، فلمّا نزل قال: اضربوا عُنقه. قال له: أتريد قتلي؟ قال: نعم. قال فدعني أتوضّأ وأصلّي ركعتين. قال: افعل ما أحببت فاغتسل وتوضّأ، ولبس ثياباً بيضاء، وصلّى ركعتين، ثم قال: اللّهم إنّك عالم بأمري. فقدّم فضرب عنقه وأُخذ ماله.

وبلغ علياً عليه السلام، مظاهرة وائل بن حجر شيعة عثمان على شيعته، ومكاتبته بسراً، فحبس ولديه عنده.

وعن عبد الرحمن بن عبيد، أن جارية أغذّ السير في طلب بسر، ما يلتفت إلى مدينة مرّ بها، ولا أهل حصن، حتى انتهى إلى بلاد اليمن، فهربت شيعة عثمان فلحقوا بالجبال، واتبعه عند ذلك شيعة عليّ وتداعت عليهم من كلّ جانب وأصابوا منهم.

وخرج جارية في أثر القوم، وترك المدائن أن يدخلها، ومضى نحو بسر. فمضى بسر من حضرموت حين بلغه أنّ الجيش قد أقبل وأخذ طريقاً على الجوف، وترك الطريق الذي أقبل منه. وبلغ ذلك جارية فاتّبعه حتى أخرجه من اليمن كلّها، وواقعه في أرض الحجاز. فلمّا فعل ذلك به أقام بجرس نحواً من شهر، حتى استراح وأراح أصحابه، وسأل عن بسر فقيل إنّه بمكّة فسار نحوه.

ووثب الناس ببسر حين انصرف؛ لسوء سيرته، واجتنبه الناس بمياه الطريق، وفرّ الناس عنه لغشمه وظلمه. وأقبل جارية حتى دخل مكّة، وخرج بسر منها يمضي قِبل اليمامة، فقام جارية على منبر مكة، وقال:

بايعتم معاوية؟ قالوا: أكرهنا. قال: أخاف أن تكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾(١) قوموا فبايعوا. قالوا: لمن نبايع رحمك الله، وقد هلك أمير المؤمنين عليه السلام، ولا ندري ما صنع الناس بعد؟ قال: وما عسى أن يصنعوا، إلاّ أن يبايعوا للحسن بن علّي، قوموا فبايعوا. ثم اجتمعت عليه شيعة علّي فبايعوا. وخرج منها ودخل المدينة، وقد اصطلحوا على أبي هريرة يصلّي بالناس، فلمّا بلغهم مجيء جارية، توارى أبو هريرة. فجاء جارية وصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى عليه، ثم قال:

أيّها الناس! إن عليّاً عليه السلام يوم ولد ويوم توّفاه الله، ويوم يبعث حيّاً، كان عبداً من عباد الله الصالحين، عاش بقدر، ومات بأجل. فلا يهنأ الشامتون، هلك سيّد المسلمين، وأفضل المهاجرين، وابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله. أما والذي لا إله إلاّ هو، لو أعلم الشامت منكم، لتقرّبت إلى الله عزّ وجلّ بسفك دمه، وتعجيله إلى النار، قوموا فبايعوا الحسن بن عليّ. فقام الناس فبايعوا. وأقام يومه ذلك، ثم غدا منها منصرفاً إلى الكوفة، وغدا أبو هريرة يصلّي بالناس، ورجع بسر فأخذ على طريق السماوة حتى أتى الشام.

قال: وأقبل جارية، حتى دخل على الحسن بن علّي عليه السلام، فضرب على يده فبايعه وعزّاه. وقال: ما يجلسك؟ سر يرحمك الله إلى عدوّك قبل أن يسار إليك.

فقال: لو كان الناس كلّهم مثلك، سرت بهم.

وعن القاسم بن الوليد، أنّ عبيد الله بن العبّاس، وسعيد بن نمران، قدما على علّي عليه السلام، وكان عبيد الله عامله على صنعاء، وسعيد عامله على الجَنَد، خرجا هاربين من بسر، وأصاب [بُسْر] ابني عبيد الله، لم يدركا الحنث، فقتلهما.

قال: وكان أمير المؤمنين يجلس كلّ يوم في موضع المسجد الأعظم، يسبّح به بعد الغداة إلى طلوع الشمس، فلمّا طلعت، نهض إلى المنبر، فضرب بإصبعيه على راحته وهو يقول: ماهي إلاّ الكوفة أقبضها وأبسطها ثم أنشد:

لعمر أبيك الخير يا عمرو إنّني ... على وضر من ذا الإناء قليل

ومن حديث بعضهم أنّه قال: إن لم تكوني إلاّ أنت تهبّ أعاصيرك فقبّحك الله. ثم قال: أيّها الناس! ألا أن بسراً قد أطلع اليمن وهذا عبيد الله بن العباس، وسعيد بن نمران، قدما عليّ هاربين، ولا أرى هؤلاء إلاّ ظاهرين عليكم؛ لاجتماعهم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم، وطاعتهم إمامهم، ومعصيتكم إمامكم، وأدائهم الأمانة إلى صاحبهم، وخيانتكم إيّاي، ولّيت فلاناً فخان وغدر، واحتمل فيء المسلمين إلى مكّة، وولّيت فلاناً فخان وغدر،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤.

وفعل مثلها، فصرت لا أئتمنكم على علاقة سوط. وإن ندبتكم إلى السّير إلى عدوكم في الصّيف، قلتم أمهلنا ينسلخ الحرّ عنا، وإن ندبتكم في الشتاء، قلتم أمهلنا ينسلخ القرّ عنّا.

اللهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شرّ لهم مني. اللهمّ أمث قلوبهم ميث الملح في الماء.

وعن عبد الله بن الحارث بن سليمان عن أبيه قال: قال عليّ عليه السلام:

لا أرى هؤلاء القوم إلاّ ظاهرين عليكم بتفرّقكم عن حقكم، واجتماعهم على باطلهم، فإذا كان عليكم إمام يعدل في الرعيّة، ويقسم بالسّوية، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنّ الناس لا يصلحهم إلاّ إمام برّ أو فاجر. فإن كان برّاً فللراعي والرعيّة، وإن كان فاجراً عبد المؤمن ربّه فيها، وعمل فيها الفاجر إلى أجله. ألا وإنّكم ستعرضون بعدي على سبّي والبراءة منّي، فمن سبّني فهو في حلّ من سبّي، ولا يتبرأ مني، فإنّ ديني الإسلام.

وعن أبي عبد الرحمن السّلمي، أنّ الناس تلاقوا وتلاوموا، ومشت الشيعة بعضها إلى بعض، ولقي أشراف الناس بعضهم بعضاً، فدخلوا على عليّ عليه السلام، فقالوا: يا أمير المؤمنين، اختر منّا رجلاً، ثم ابعث إلى هذا الرجل جنداً، حتى يكفيك أمره، ومرنا بأمرك فيما سوى ذلك، فإنّك لن ترى منّا شيئاً تكرهه ما صحبتنا، قال: فإني قد بعثت رجلاً إلى هذا الرجل، لا يرجع أبداً حتى يقتل أحدهما صاحبه أو ينفيه، ولكن استقيموا لي فيما آمركم به، وأدعوكم إليه من غزو الشام وأهله.

فقام إليه سعيدُ بن قيس الهمداني، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لو أمرتنا بالمسير إلى قسطنطينية روميّة، مشاة، حفاة، على غير عطاء ولا قوة، ما خالفتك أنا ولا رجل من قومي. قال: فصدقتم جزاكم الله خيراً.

ثم قام زياد بن خصفة، ووعلة بن مخدوع وقالا: نحن شيعتك يا أمير المؤمنين، التي لا تعصيك، ولا تخالفك، فقال: أجل أنتم كذلك. فتجهّزوا إلى غزو الشام.

فقال الناس سمعاً وطاعةً. فدعا أمير المؤمنين معقل بن قيس الرياحي، وسرّحه في حشر الناس من السواد إلى الكوفة، فخرج معقل لإنفاذ أمره عليه السلام، وامتثل ما أمره به، ثمّ كرّ راجعاً إلى الكوفة، ولم يصل إليها حتى أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: ورُوي أنّه اجتمع ذات يوم بسر وعبيد الله بن العبّاس عند معاوية، فقال ابن عباس لمعاوية: أنت أمرت هذا القاطع البعيد الرحم، القليل الرّحم بقتل ابنيّ؟ فقال معاوية: ما أمرته ولا هويت. فغضب بسر، ورمى بسيفه وقال: قلّدتني هذا السّيف، وقلت اخبط به الناس، حتى إذا بلغت من ذلك، قلت: ما هويت، ولا أمرت. فقال معاوية: خذ سيفك، إنّك لعاجز حين تلقي سيفك بين يدي رجل من بني عبد مناف، وقد قتلت ابنيه. فقال ابن عباس: أراني كنت قاتله بهما؟ فقال ابن لعبيد الله: ما كنّا نقتل بهما إلاّ يزيد وعبد الله ابني معاوية، فضحك معاوية وقال: ما ذنب يزيد وعبد الله؟

بيان: قال الجوهري: النقيبة: النفس. يقال: فلان ميمون النقيبة، إذا كان مبارك النفس. وقال ابن السّكيت: إذا مكان ميمون الأمر، ينجح فيما حاول ويظفر. وقال ثعلب: إذا كان ميمون المشورة. انتهى.

وراغ الثعلب روغاً: ذهب يمنةً ويسرةً في سرعة وخديعة. وسخّره تسخيراً: كلّفه عملاً بلا أجرة وكذلك تسخره. والإغذاذ في السير: الإسراع. وتداعت الحيطان للخراب، أي: تهادمت.

٩٠٢ - **وقال ابن أبي الحديد**: كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه عليّ عليه السلام، حين بلغه خذلان أهل الكوفة وتقاعدهم به: لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من عقيل بن أبي طالب: سلام الله عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو:

أمّا بعد، فإنّ الله جارك من كلّ سوء، وعاصمك من كلّ مكروه، وعلى كلّ حال. إنّي خرجت إلى مكّة معتمراً، فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم. فقلت: إلى أين يا أبناء الشانئين، أبمعاوية تلحقون؟ عداوة والله منكم قديماً، غير مستنكرة، تريدون بها إطفاء نور الله، وتبديل أمره؟. فأسمعني القوم، وأسمعتهم.

فلمّا قدمت مكّة، سمعت أهلها يتحدّثون أنّ الضحاك بن قيس، أغار على الحيرة، فاحتمل من أموالها ما شاء، ثم انكفأ راجعاً سالماً. فأفٍّ لحياةٍ في دهر جرّأ عليك الضحّاك، وما الضحّاك؟! فقعٌ بقرقر، وقد توهّمت حيث بلغني ذلك، أنّ شيعتك وأنصارك خذلوك، فاكتب إليّ يا ابن أمّي برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحمّلت إليك ببني أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا متّ، فوالله ما أُحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً، وأُقسم بالأعزّ الأجلّ، إنّ عيشاً نعيشه بعدك في الحياة، لغير هنيء ولامريء ولا نجيع والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين، إلى عقيل بن أبي طالب، سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو:

أمّا بعد، كلأنا الله وإيّاك كلاءة من يخشاه بالغيب، إنّه حميد مجيد. قد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي، تذكر فيه أنّك لقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح، مقبلاً من قديد في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء، متوجّهين إلى جهة الغرب، وإن ابن أبي سرح، طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله ويغاها عوجاً، فدع ابن أبي سرح، ودع عنك قريشاً وخلّهم وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق.

ألا وإنّ العرب قد اجتمعت على حرب أخيك اليوم، اجتماعاً على حرب النبيّ صلى الله عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقّه، وجحدوا فضله وبادءوه العداوة، ونصبوا له الحرب،

وجهدوا عليه كلّ الجهد، وجرّوا إليه جيش الأحزاب، اللهم فاجز قريشاً عنّي الجوازي؛ فقد قطعت رحمي، وتظاهرت عليّ، ودفعتني عن حقّي، وسلبتني سلطان ابن أمّي، وسلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول، وسابقتي في الإسلام، إلاّ أن يدّعي مدّع ما لا أعرفه، ولا أظنّ الله يعرفه، والحمد لله على كل حال.

وأمّا ما ذكرت من غارة الضحّاك على أهل الحيرة، فهو أقلّ وأذلّ من أن يلمّ بها، أو يدنو منها، ولكنّه قد كان أقبل في جريدة خيل، فأخذ على السماوة، حتى قرَّ بواقصة وشراف والقطقطانة، ممّا والى ذلك الصقع، فوجّهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك فرّ هارباً، فاتبعوه، فلحقوه ببعض الطريق، وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوش القتال قليلاً كلا ولا، فلم يصبر لوقع المشرفية، وولّى هارباً، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، بعدما أخذ منه بالمخنق، فلأياً بلأي ما نجا.

وأمّا ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه، فإنّ رأيي جهاد المحلّين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس معي عزّة، ولا تفرّقهم عنّي وحشة؛ لأنّي محقّ والله مع المحقّ، ووالله ما أكره الموت على الحقّ، وما الخير كلّه إلاّ بعد الموت، لمن كان محقّاً.

وأمّا ما عرضت به مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً، فوالله ما أحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبنّ ابن أمّك - وإن أسلمه الناس- متخشعاً، ولا متضرّعاً، إنّه لكما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنّني صبور على ريب الزّمان صليب
يعزّ عليّ أن ترى بي كآبةً فيشمت عادٍ أو يساء حبيب[1]

٩٠٣ - **أقول:** روى السّيد تَتِئْ في النهج، بعض هذا الكتاب هكذا:

فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك، شمّر هارباً ونكص نادماً. فلحقوه ببعض الطريق، وقد طَفَلت الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئاً كلا ولا، فما كَانَ إلاّ كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ، حتى نَجا، [جَرِيضاً] بَعْدَمَا أُخِذ مِنْهُ بالْمُخنَّق، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غيرَ الرَّمَقِ، فلأياً بِلأيٍ ما نَجا. فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وتَرْكَاضَهُمْ في الضّلالِ، وتَجوالهم في الشّقَاقِ، وجماحَهم في التّيه، فإنّهُمْ قَدْ أجْمَعُوا عَلَى حَرْبي، كإجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله قَبْلي. فَجَزَتْ قُرَيْشاً عنّي الجوازي فَقَدْ قَطعوا رَحمي، وَسَلبُوني سُلْطَانَ ابن أُمّي.

وأمّا ما سَأَلت عَنْهُ مِنْ رأيي في القِتَالِ، فإنّ رأيي قِتَالُ الْمُحلّينَ حَتى أَلْقَى الله، لاَ يَزيدُني كثرة الناس حَوْلي عزّةً، ولاَ تَفرّقهم عنّي وَحْشَةً، ولاَ تَحْسَبنّ ابْنَ أبيك - ولَوْ أَسْلَمَهُ النّاسُ - مُتَضَرّعاً مُتَخَشّعاً، ولاَ مُقِرّاً للضّيْمِ وَاهناً، ولاَ سَلِسَ الزّمامِ للقَائِدِ ولاَ وَطِيءَ الظّهْرِ للرّاكِبِ

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٣٤١.

الْمُقْتَعِدِ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ: ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَيْنِ[(١)].

بيان: قوله: «فقع بقرقر» لعلّه خبر «إنّ» وقوله: «وما الضحّاك» معترضة.

وقال الجوهري: الفَقْعُ: ضرب من الكمأة. وكذلك الفِقع بالكسر. وشبّه به الرّجل الذليل فيقال: هُوَ فَقْعٌ؛ لأنّ الدّوابّ تنجله بأرجلها. قال النابغة يهجو النعمان بن المنذر:

حدّثوني بني الشقيقة ما يمنع فقعاً بقرقر أن يزولا

وقال: القرقر: القاع الأملس. والفواق بالفتح والضم: ما بين الحلبتين من الوقت. والتركاض والتجوال بفتح التاء فيهما: مبالغتان في الركض والجولان. والركض: تحريك الرجل، وركضت الفرس برجلي: حثثته ليعدو، ثم كثر حتى قيل: ركض الفرس إذا عدا. والواو فيهما يشبه أن يكون بمعنى مع، ويحتمل العاطفة.

واستعار لفظ الجماح، باعتبار كثرة خلافهم للحقّ، وحركاتهم في تيه الجهل، والخروج عن طريق العدل، من قولهم: جمح الفرس إذا اعتزّ راكبه وغلبه، ويحتمل أن يكون من جمح، بمعنى أسرع كما ذكره الجوهري.

وقوله عليه السلام: «فجزت قريشاً عني الجوازي» الجوازي: جمع جازية، أي: جزت قريشاً عني بما صنعت كلّ خصلة من نكبة، أو شدّة، أو مصيبة، أي: جعل الله هذه الدّواهي كلّها، جزاء قريش بما صنعت.

وقال ابن أبي الحديد: «سلطان ابن أمّي»: يعني به الخلافة، وابن أمّه، هو رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن مخزوم، أمّ عبد الله وأبي طالب، ولم يقل سلطان ابن أبي، لأنّ غير أبي طالب من الأعمام، تشركه في النسبة إلى عبد المطلب.

وقال الراوندي: يعني نفسه، لأنّه ابن أمّ نفسه، ولا يخفى ما فيه.

وقيل: لأنّ فاطمة بنت أسد كانت تربّي رسول الله صلى الله عليه وآله حين كفله أبو طالب، فهي كالأمّ له. ويحتمل أن يكون المراد «سلطان أخي»: مجازاً ومبالغة في تأكد الأخوّة التي جرت بينه وبين النّبي صلى الله عليه وآله، وإشارة إلى حديث المنزلة، وقوله تعالى حكايةً عن هارون: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي﴾[(٢)] وقد مرّ بعض ما يؤيّد هذا الوجه.

وواقصة: موضع بطريق الكوفة، واسم مواضع أخرى. وشراف كقطام: موضع وماء لبني أسد أو جبل عال. وكغراب: ماء. والقطاقط والقطقط والقطقطانة بضمّهما موضع الأصرة بالكوفة، كانت سجن النعمان بن المنذر.

قوله عليه السلام: «فما والى ذلك» أي: قاربه. ويقال: أمعن الفرس، أي: تباعد في عَدْوه. وقال الجوهري: تطفيل الشّمس: ميلها للغروب. والطفل بالتحريك: بعد العصر إذا طفلت

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٤٧ خ ٢٧٤. (٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

الشمس للغروب. والإياب: الرجوع، أي: الرجوع إلى ما كانت عليه في الليلة التي قبلها. وقال الجوهري: آبت الشمس لغة في غابت. وتفسير الراوندي بالزوال بعيد.

وقال الجوهري: المناوشة: في القتال: وذلك إذا تدانى الفريقان. والتناوش: التناول.

قوله عليه السلام: «شيئاً كلا ولا» قال ابن أبي الحديد: أي: شيئاً قليلاً كلا شيء. وموضع «كلا ولا». نصب؛ لأنّه صفة «شيئاً» وهي كلمة يقال لما يستقصر جداً. والمعروف عند أهل اللغة «كلا وذا» قال ابن هاني المغربي:

وأسرع في العين من لحظة وأقصر في السمع من لا وذا

وفي شعر الكميت:

كلا وكذا تغميضة ثم هجتُم لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا

وقد رويت في نهج البلاغة كذلك، إلاّ أن في أكثر النسخ «كلا ولا»، ومن الناس من يرويها «كلا ولات»، وهي حرف أُجري مجرى «ليس»، ولا يجيء إلاّ مع حين، إلاّ أن يحذف في شعر. ومن الرواة من يرويها «كلا ولأى». ولأى فعل معناه: أبطأ.

وقال ابن ميثم: قوله عليه السلام «كلا ولا»، تشبيه بالقليل السّريع الفناء، وذلك لأنّ «لا ولا» لفظان قصيران قليلان في المسموع، واستشهد بقول ابن هاني.

أقول: ويحتمل أن يكون المعنى شيئاً كلا شيء، وليس بلا شيء، أو يكون العطف للتأكيد، والموقف هنا مصدر.

والمشرفية بالفتح: سيوف نسبت إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب.

وفي النهاية: الجَرَضُ بالتحريك: أن تبلغ الروح الحلق. والإنسان جريض. وفي الصّحاح: الجَرَضُ بالتّحريك، الرّيق يغصّ به، يقال: جرض بريقه: ابتلع ريقه على همّ وحزن بالجهد. والجريض: الغصّة. ومات فلان جريضاً أي مغموماً.

وقال: خنقه وأخنقه وخنّقه، وموضعه من العنق، مُخَنَّق. يقال: بلغ منه المخنّق، وأخذت بمخنّقه وخناقه أي: حلقه.

وقال ابن ميثم: «لأياً» مصدر، والعامل محذوف. وما مصدرية في موضع الفاعل، والتقدير: فلأى لأياً نجاؤه، أي: عسر وأبطأ، وقوله: «بلأي» أي مقروناً بلأي: أي شدّة بعد شدّة. وقال الكيدري: «ما» زائدة. وتقدير الكلام فنجا لأياً، أي صاحب لأي، أي: في حال كونه صاحب جهد ومشقة متلبّسة بمثلها، أي: نجا في حال تضاعف الشّدائد.

وقال الراوندي: نصب «لأياً» على الظرف. وتفيد ما الزائدة في الكلام إبهاماً، أي: بعد شدّة وإبطاء نجا.

قوله عليه السلام: «قتال المحلّين» أي البغاة. قال الجوهري: أحلّ أي: خرج إلى الحلّ، أو من ميثاق كان عليه، ومنه قول زهير:

جَعَلْنا القنان عن يَمين وَحَزْنَهُ وكم بالقنان من محلّ ومحرم

وقال: أسلمه، أي: خذله.

قوله عليه السلام: «ومقرّاً للضّيم»: أي: راضياً بالظلم، صابراً عليه. والسلس: السهل، اللين المنقاد. «ولا وطيء الظهر» أي: متهيّئاً للركوب، ومقتعد البعير: راكبه. والصّليب: الشديد.

٩٠٤ - **أقول:** روى ابن أبي الحديد من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي، كما رأيته في أصل كتابه، روى بإسناده عن جندب الأزدي، عن أبيه قال: أوّل غارة كانت بالعراق، غارة الضّحاك بن قيس، بعد الحكمين، وقبل قتال النهروان؛ وذلك أنّ معاوية لمّا بلغه أنّ عليّاً عليه السلام بعد واقعة الحكمين تحمّل إليه مقبلاً هاله ذلك، فخرج من دمشق معسكراً، وبعث إلى كور الشام، فصاح فيها إنّ عليّاً قد سار إليكم. وكتب إليهم نسخة واحدة، فقرئت على الناس: أمّا بعد، فإنّا كنّا كتبنا بيننا وبين عليّ كتاباً، وشرطنا فيه شرطاً، وحكّمنا رجلين يحكمان علينا وعليه بحكم الكتاب لا يعدوانه، وجعلنا عهد الله وميثاقه على من نكث العهد، ولم يمض الحكم، وإنّ حكمي الذي كنت حكّمته أثبتني، وإنّ حكمه خلعه، وقد أقبل إليكم ظالماً، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[1] تجهّزوا للحرب، بأحسن الجهاز، وأعدّوا آلة القتال، وأقبلوا خفافاً وثقالاً وكسالى ونشاطاً، يسّرنا الله وإيّاكم لصالح الأعمال.

فاجتمع إليه ناس من كلّ كورة، وأرادوا المسير إلى صفّين، فاستشارهم فاختلفوا في ذلك، فمكثوا يجيلون الرأي يومين أو ثلاثة، حتى قدمت عليهم عيونهم، أنّ عليّاً عليه السلام اختلف عليه أصحابه، ففارقته منه فرقة أنكرت أمر الحكومة، وأنّه قد رجع عنكم إليهم، فكبّر الناس سروراً لانصرافه عنهم، وما أُلقي من الخلاف بينهم.

فلم يزل معاوية معسكراً في مكانه، حتى جاء الخبر أنّ عليّاً عليه السلام، قد قتل أولئك الخوارج، وأنّه أراد بعد قتلهم أن يقبل إليه بالناس، وأنّهم استنظروه ودافعوه، فسرّ بذلك هو ومن قبله من الناس.

وعن عبد الرحمن بن مسعدة قال: جاءنا كتاب عمارة بن عقبة بن أبي معيط من الكوفة، ونحن معسكرون مع معاوية نتخوّف أن يفرغ عليّ من خارجته، ثم يقبل إلينا، وكان في كتابه: أمّا بعد فإنّ عليّاً خرج عليه علية أصحابه ونسّاكهم، فخرج إليهم فقتلهم، وقد فسد عليه جنده وأهل مصره، ووقعت بينهم العداوة وتفرّقوا أشدّ الفرقة، فأحببت إعلامك. والسلام.

قال فقرأه معاوية على أخيه وعلى أبي الأعور، ثم نظر إلى أخيه الوليد بن عقبة وقال: لقد رضي أخوك أن يكون لنا عيناً. قال: فضحك الوليد وقال: إنّ في ذلك أيضاً لنفعاً.

فعند ذلك دعا معاوية الضّحاك بن قيس الفهري، وقال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفة،

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ، فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليهما، وإذا أصبحت في بلدة، فأمس في أُخرى، ولا تقيمنّ لخيل بلغك عنها أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف. فأقبل الضّحاك لنهب الأموال، وقتل من لقي من الأعراب، حتى مرّ بالثعلبيّة فأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عُميس بن مسعود الذهلي - وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود - فقتله في طريق الحاجّ، عند القطقطانة، وقتل معه ناساً من أصحابه.

فصعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر وقال:

يا أهل الكوفة! اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عُميس وإلى جيوش لكم قد أُصيب منهم طرف، اخرجوا فقاتلوا عدوّكم، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال:

والله لوددت أنّ لي بكل مائة منكم رجلاً منهم، ويحكم اخرجوا معي، ثم فرّوا عنّي ما بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيّتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم ومعاناتكم ومقاساتكم ومداراتكم، مثل ما تدارى البكار العمدة، والثياب المتهتّرة، كلّما خيطت من جانب، تهتّكت على صاحبها من جانب آخر.

ثم نزل، فخرج يمشي حتى بلغ الغريّين، ثم دعا حجر بن عدي الكندي فعقد له رايةً على أربعة آلاف، فخرج حجر حتى مرّ بالسماوة وهي أرض كلب، فلقي بها امرأ القيس بن عدي ابن أوس الكلبي، وهم أصهار الحسين بن عليّ عليه السلام، فكانوا أدلاّء في الطريق، وعلى المياه، فلم يزل مغذّاً في أثر الضحّاك، حتى لقيه بناحية تدمر فواقعه؛ فاقتتلوا ساعة، فقتل من أصحاب الضّحاك تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحاب حجر رجلان، وحجز الليل بينهم، فمضى الضحّاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً، فكتب عقيل هذا الكتاب إليه عليه السلام في إثر هذه الواقعة[1].

٩٠٥ - وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ذكر صاحب كتاب الغارات، أن النعمان بن بشير قدم هو وأبو هريرة على عليّ عليه السلام من عند معاوية، بعد أبي مسلم الخولاني، يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية، ليقيدهم بعثمان. وإنما أراد أن يشهدا له عليه أهل الشام بذلك، وأن يظهرا عذره، فلمّا أتياه عليه السلام، وأدّيا الرسالة، قال عليه السلام للنعمان: حدّثني عنك أأنت أهدى من قومك سبيلاً؟ يعني الأنصار. قال: لا. قال: فكلّ قومك قد اتّبعني، إلاّ شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة، فتكون أنت من الشّذاذ؟ فقال النعمان: أصلحك الله، إنّما جئت لأكون معك، وقد طمعت أن يجري الله تعالى بينكما صلحاً، فإذا كان غير ذلك، رأيك فإني ملازمك.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٣٣٧.

فأقام النعمان، ولحق أبو هريرة بالشام. وفر النعمان بعد أشهر منه عليه السلام إلى الشام، فأخذه في الطريق مالك بن كعب الأرحبي، وكان عامل عليّ عليه السلام بعين التمر، فتضرّع واستشفع له قرظة عند مالك بن كعب حتى خلى سبيله، وقدم على معاوية وخبّر بما لقي ولم يزل معه.

فلمّا غزا الضحّاك بن قيس أرض العراق، بعث معاوية النعمان مع ألفي رجل وأوصاه أن يتجنّب المدن والجماعات، وأن لا يغير على مسلحة، وأن يعجّل الرجوع، فأقبل النعمان حتى دنا من عين التّمر وبها مالك، ومع مالك ألف رجل، وقد أذن لهم فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلاّ مائة أو نحوها، فكتب مالك إلى عليّ عليه السلام، فصعد عليه السلام المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة! المنسر من مناسر أهل الشام، إذا أظلّ عليكم انجحرتم في بيوتكم وأغلقتم أبوابكم، انجحار الضّبّة في جُحْرِها، والضبع في وجارها، الذليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناصل، أفٍّ لكم، لقد لقيت منكم ترحاً!! ويحكم يوماً أناجيكم، ويوماً أناديكم، فلا أحرار عند النداء، ولا إخوان صدق عند اللقاء، أنا والله ميت بكم، صمّ لا تسمعون، بكم لا تعقلون، عمي لا تبصرون!! فالحمد لله رب العالمين. ويحكم اخرجوا - هداكم الله - إلى مالك بن كعب أخيكم، فإنّ النّعمان بن بَشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير، فانهضوا إلى إخوانكم لعلّ الله يقطع بكم من الكافرين طرفاً ثم نزل.

فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم، فأمرهم أن ينهضوا ويحثّوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئاً. واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة أو دونها فقام عليه السلام فقال:

ألا إنّي منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أباً لكم، ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم؟ ولا حميّة تحمشكم؟ أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متغوّثاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة، فما يدرك بكم ثار، ولا يبلغ بكم مرام!! دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسرّ، وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبر، ثم خرج إليّ منكم جنيد متذائب كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. ثم نزل فدخل منزله.

فقام عدي بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين عليه السلام، ثم دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين إنّ معي من طيّ ألف رجل لا يعصوني، فإن شئت أن أسير بهم سرت. قال: ما كنت لأعَرّض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس، ولكن اخرج إلى النخيلة وعسكر بهم. فخرج عدي فعسكر وفرض عليّ عليه السلام لكلّ رجل منهم سبعمائة. فاجتمع إليه ألف فارس، عدا طيّاً أصحاب عدي. وورد عليه عليه السلام الخبر بهزيمة النعمان ونصرة مالك.

وروى عبد الله بن حوزة الأزدي قال: كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان، وهو في ألفين وما نحن إلاّ مائة، فقال لنا: قاتلوهم في القرية واجعلوا الجُدُر في ظهوركم، ولا

تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، واعلموا أنّ الله تعالى ينصر العشرة على المائة، والمائة على الألف، والقليل على الكثير، ثم قال: إنّ أقرب من هاهنا إلينا من شيعة أمير المؤمنين قرظة ابن كعب، ومخنف بن سليم، فاركض إليهما فأعلمهما حالنا، وقل لهما فلينصرانا.

فمررت بقرظة فاستصرخته، فقال: إنّما أنا صاحب خراج، وليس عندي من أُغيثه به!! فمضيت إلى مخنف، فسرّح معي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً، وقاتل مالك وأصحابه، النعمان وأصحابه إلى العصر، فأتيناه وقد كسر هو وأصحابه جفون سيوفهم، واستقبلوا الموت، فلو أبطأنا عنهم هلكوا، فما هو إلاّ أن رآنا أهل الشام وقد أقبلنا عليهم، فأخذوا ينكصون عنهم ويرتفعون، ورآنا مالك وأصحابه، فشدّوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية، فاستعرضناهم فصرعنا منهم رجالاً ثلاثة، فظنّ القوم أنّ لنا مدداً، وحال الليل بيننا وبينهم، فانصرفوا إلى أرضهم.

وكتب مالك إلى عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فإنّه نزل بنا النعمان بن بشير في جمع من أهل الشام كالظاهر علينا، وكان عظم أصحابي متفرّقين، وكنّا للذي كان منهم آمنين، فخرجنا إليهم رجالاً مصلتين، فقاتلناهم حتى المساء، واستصرخنا مخنف بن سليم، فبعث إلينا رجالاً من شيعة أمير المؤمنين وولده، فنعم الفتى، ونعم الأنصار كانوا، فحملنا على عدوّنا وشددنا عليهم، فأنزل الله علينا نَصْرَه، وهزم عدوّه، وأعزّ جنده، والحمد لله رب العالمين، والسلام على أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته.

وعن أبي الطُفيل قال، قال عليّ عليه السلام: يا أهل الكوفة دخلت إليكم وليس لي سوط إلاّ الدرة، فرفعتموني إلى السوط، ثم رفعتموني إلى الحجارة، أو قال: الحديد، ألبسكم الله شيعاً، وأذاق بعضكم بأس بعض، فمن فاز بكم فقد فاز بالقدح الأخيب.

وعن أبي صالح الحنفي قال: رأيت عليّاً عليه السلام يخطب، وقد وضع المصحف على رأسه، حتى رأيت الورق يتقعقع على رأسه قال: اللهمّ قد منعوني ما فيه، فأعطني ما فيه، اللهمّ قد أبغضتهم وأبغضوني، ومللتهم وملّوني وحملوني على غير خلقي وطبيعتي وأخلاق لم تكن تعرف لي. اللهمّ فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً منّي. اللهمّ أمث قلوبهم ميث الملح في الماء.

وعن سعد بن إبراهيم عن ابن أبي رافع قال: رأيت عليّاً عليه السلام قد ازدحموا عليه حتى أدموا رجله، فقال: اللهمّ قد كرهتهم وكرهوني، فأرحني منهم، وأرحهم مني.

وروى محمّد بن فرات الجرمي، عن زيد بن عليّ عليه السلام قال: قال علي عليه السلام في هذه الخطبة: أيّها النّاس! إنّي دعوتكم إلى الحق فتولّيتم عني وضربتكم بالدرّة فأعييتموني، أما إنّه سيليكم بعدي ولاة لا يرضون منكم بذلك حتى يعذّبوكم بالسياط والحديد، فأمّا أنا فلا أعذبكم بهما، إنّه من عذّب الناس في الدّنيا عذّبه الله في الآخرة، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب

اليمن حتى يحلّ بين أظهركم، فيأخذ العمّال وعمّال العمّال رجل يقال له: يوسف بن عمر، ويقوم عند ذلك رجل منّا أهل البيت فانصروه، فإنه داع إلى الحق.

قال: فكان الناس يتحدّثون أنّ ذلك الرجل هو زيد عليه السلام [(١)].

بيان: أحمشته: أي أغضبته. والمستصرخ: المستنصر. والمتغوّث: القائل: وا غوثاه. والثار: الدّم والطلب به، وقاتل حميمك. ذكره الفيروز آبادي.

والجرجرة: صوت يردّده البعير في حنجرته، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتّعب والسَرَرْ: داء يأخذ البعير في سرّته، يقال منه: جمل أسرّ. والنضو: البعير المهزول. والأدبر: الذي به دبر وهي القروح في ظهره. والجنيد: تصغير الجند.

وقال السّيد الرضيّ رحمه الله: «متذائب» أي مضطرب، من قولهم: تذاءبت الريح أي: اضطرب هبوبها، ومنه سمّي الذئب لاضطراب مشيه.

أقول: أورد السّيد في النهج قوله عليه السلام: «ألا إني منيت - إلى قوله - وهم ينظرون» [(٢)].

٩٠٦ - وقال ابن أبي الحديد نقلاً من كتاب الغارات، لإبراهيم بن محمد الثقفي - ووجدته في أصل كتابه أيضاً - روى بإسناده عن عمرو بن محصن، أنّ معاوية لمّا أصاب محمّد بن أبي بكر بمصر، بعث عبد الله بن عامر الحضرمي إلى أهل البصرة ليدعوهم إلى نفسه، وإلى الطلب بدم عثمان، فلمّا أتاهم وقرأ عليهم كتاب معاوية اختلفوا، فبعضهم ردّوا، وأكثرهم قبلوا وأطاعوا، وكان الأمير يومئذٍ بالبصرة، زياد بن عبيد، قد استخلفه عبد الله بن العباس، وذهب إلى عليّ عليه السلام يعزّيه عن محمد بن أبي بكر، فلمّا رأى زياد إقبال الناس على ابن الحضرمي، استجار بالأزد ونزل فيهم، وكتب إلى ابن عباس وأخبره بما جرى، فرفع ابن عباس ذلك إلى عليّ عليه السلام، وشاع في الناس بالكوفة ما كان من ذلك، واختلف أصحابه عليه السلام، فيمن يبعثه إليهم حميّة فقال عليه السلام:

تناهوا أيّها الناس، وليردعكم الإسلام ووقاره عن التباغي والتهاوي، ولتجتمع كلمتكم، والزموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره، وكلمة الإخلاص التي هي قوام الدين، وحجة الله على الكافرين، واذكروا إذ كنتم قليلاً مشركين متباغضين متفرقين فألّف بينكم بالإسلام، فكثرتم واجتمعتم وتحاببتم، فلا تتفرقوا بعد إذ اجتمعتم، ولا تتباغضوا بعد إذ تحاببتم، وإذا رأيتم الناس وبينهم النائرة وقد تداعوا إلى العشائر والقبائل فاقصدوا لهامهم ووجوههم بسيوفكم، حتى يفزعوا إلى الله وكتابه وسنّة نبيّه، فأمّا تلك الحمية فإنّها من خطوات الشياطين فانتهوا عنها لا أباً لكم تفلحوا وتنجحوا.

ثم قال ابن أبي الحديد: وروى الواقدي أنّ علياً عليه السلام استنفر بني تميم أيّاماً، لينهض

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٤٦٣. (٢) نهج البلاغة، ص ١١٣ خ ٣٩.

منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي، ويردّ عادية بني تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه أحد فخطبهم وقال: ليس من العجب أن ينصرني الأزد ويخذلني مضر. وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي، وخلاف تميم البصرة عليّ، وأن أستنجد بطائفة منهم ما يشخص إليّ أحد منها فيدعوهم إلى الرشاد، فإن أجابت وإلاّ فالمنابذة والحرب. فكأنّي أخاطب صمّاً بكماً لا يفقهون حواراً، ولا يجيبون نداءاً، كلّ ذلك جُبناً عن البأس وحبّاً للحياة.

ولقد كنّا مع رسول الله ﷺ، نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومضياً على اللَّقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً في جهاد العدوّ.

ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّةً لنا من عدوّنا ومرّةً لعدوّنا منّا. فلمّا رأى الله صدقنا، أنزل بعدوّنا الكبْت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه، ومتبوّئاً أوطانه. ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للإيمان عود. وأيم الله لتحتلبنّها دماً، ولتتبعنّها ندماً. قال: فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي، فقال: أنا إن شاء الله أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب، فأتكفّل لك بقتل ابن الحضرمي، أو إخراجه عن البصرة. فأمره بالتهيّؤ للشخوص، فشخص حتى قدم البصرة.

رجعنا إلى رواية الثقفي، قال إبراهيم: فلمّا قدمها دخل على زياد وهو بالأهواز مقيم، فرحّب به وأجلسه إلى جانبه، فأخبره بما قال له عليّ عليه السلام، وإنّه ليكلّمه إذ جاءه كتاب من عليّ فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عليّ، إلى زياد بن عبيد: سلام عليك، أما بعد، فإنّي قد بعثت أعين بن ضبيعة ليفرّق قومه عن ابن الحضرميّ، فارقب ما يكون منه، فإن فعل وبلغ من ذلك ما يظنّ به، وكان في ذلك تفريق تلك الأوباش، فهو ما نحبّ، وإن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان، فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم، فإن ظفرت فهو ما ظننت، وإلاّ فطاولهم وماطلهم، فكأنّ كتائب المسلمين قد أظلّت عليك، فقتل الله الظالمين المفسدين، ونصر المؤمنين المحقّين والسلام.

فلما قرأه زياد، أقرأه أعين بن ضبيعة فقال له: إنّي لأرجو أن تكفي هذا الأمر إن شاء الله. ثم خرج من عنده فأتى رحله، فجمع إليه رجالاً من قومه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا قوم على ماذا تقتلون أنفسكم، وتهريقون دماءكم على الباطل مع السّفهاء والأشرار؟ وإنّي والله ما جئتكم حتى عبّأت إليكم الجنود، فإن تنيبوا إلى الحقّ نقبل منكم، ونكفّ عنكم، وإن أبيتم فهو والله استئصالكم وبواركم.

فقالوا: بل نسمع ونطيع فقال: انهضوا اليوم على بركة الله، فنهض بهم على جماعة ابن الحضرمي، فخرجوا إليه فصافّوه، وواقفهم عامّة يومه يناشدهم الله ويقول: «يا قوم لا تنكثوا بيعتكم ولا تخالفوا إمامكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً فقد رأيتم وجربتم كيف صنع الله عند نكثكم بيعتكم وخلافكم» فكفّوا عنه، وهم في ذلك يشتمونه.

فانصرف عنهم وهو منهم منتصف فلما أوى إلى رحله، تبعه عشرة نفر يظنّ الناس أنّهم خوارج، فَضَربوه بأسيافهم وهو على فراشه، لا يظنّ أن الذي كان يكون، فخرج يشتدّ عرياناً فلحقوه في الطريق فقتلوه.

فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام ما وقع. وكتب: إنّي أرى أن تبعث إليهم جارية بن قدامة، فإنّه نافذ البصيرة، ومطاع العشيرة، شديد على عدوّ أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا قرأ عليه السلام الكتاب، دعا جارية فقال: يا ابن قدامة تمنع الأزد عن عاملي وبيت مالي وتشاقّني مصر وتنابذني، وبنا ابتدأها الله بالكرامة، وعرّفها الهدى، وتدعو إلى المعشر الذين حادّوا الله ورسوله وأرادوا إطفاء نور الله سبحانه حتى علت كلمته عليهم وأهلك الكافرين.

فروى إبراهيم بإسناده عن كعب بن قعين قال: خرجت مع جارية من الكوفة في خمسين رجلاً من بني تميم، وما كان فيهم يماني غيري، وكنت شديد التشيع، فقلت لجارية: إن شئت كنت معك، وإن شئت ملت إلى قومي، فقال: بل سر معي، فوالله لوددت أنّ الطير والبهائم تنصرني عليهم فضلاً عن الإنس.

فلمّا دخلنا البصرة، بدأ بزياد فرحّب به وأجلسه إلى جانبه، وناجاه ساعة وساءله ثم خرج فقام في الأزد فقال: جزاكم الله من حيّ خيراً، ثم قرأ عليهم وعلى غيرهم كتاب أمير المؤمنين فإذا فيه:

من عبد الله أمير المؤمنين، إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم، أمّا بعد، فإنّ الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قبل البيّنة، ولا يأخذ المذنب عند أوّل وهلة، ولكنّه يقبل التوبة، ويستديم الأناة، ويرضى بالإنابة، ليكون أعظم للحجّة، وأبلغ في المعذرة.

وقد كان من شقاق جلّكم أيّها الناس، ما استحققتم أن تعاقبوا عليه، فعفوت عن مجرمكم، ورفعت السّيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم، وأخذت بيعتكم، فإن تفوا ببيعتي وتقبلوا نصيحتي وتستقيموا على طاعتي، أعمل فيكم بالكتاب وقصد الحقّ، وأقيم فيكم سبيل الهدى؛ فوالله ما أعلم أنّ والياً بعد محمّد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك مني، ولا أعْمَلَ. أقول قولي هذا صادقاً غير ذامّ لمن مضى، ولا منتقصاً لأعمالهم.

وإن خطت بكم الأهواء المردية، وسفه الرأي الجائر إلى منابذتي تُريدون خلافي، فها أنا ذا قَرّبْتُ جيادي، ورحلت ركابي. وأيم الله لئن ألجأتموني إلى المسير إليكم، لأوقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل عندها إلاّ كلعقة لاعق، وإنّي لظانّ إن شاء الله أن لا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

وقد قدّمت هذا الكتاب حجّة عليكم، وليس أكتب إليكم من بعده كتاباً إن أنتم استَغْشَشْتُم نصيحتي، ونابذتم رسولي، حتى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء الله والسلام.

فلما قرئ الكتاب على الناس، قام صبرة بن شيمان فقال: سمعنا وأطعنا ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، ولمن سالم سلم. إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك، وإن أحببت أن ننصرك نصرناك.

وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك، فلم يأذن جارية لأحد أن يسير معه ومضى نحو بني تميم وكلّمهم فلم يجيبوه، وخرج منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ويأمرهم أن يسيروا إليه فسارت الأزد بزياد.

وخرج إليهم ابن الحضرمي فاقتتلوا ساعة، وأقبل شريك بن الأعور الحارثي، وكان من شيعة عليّ عليه السلام وصديقاً لجارية فقال له: ألا أقاتل معك عدوّك؟ فقال: بلى. فقاتلهم. فما لبث بنو تميم أن هزموهم واضطرُّوهُمْ إلى دار سنبل السعدي، فحصروا ابن الحضرمي فيها، وأحاط جارية وزياد بالدار وقال جارية: عليّ بالنّار. فقالت الأزد: لسنا من الحريق في شيء. وهم قومك وأنت أعلم. فحرّق جارية الدار عليهم، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً أحدهم عبد الرحمن بن عثمان القرشي. وسارت الأزد بزياد حتى أوطأوا قصر الإمارة ومعه بيت المال، وقال له: هل بقي علينا من جوارك شيء. قال: لا. فانصرفوا عنه.

وكتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ جارية بن قدامة العبد الصالح قدم من عندك فناهض جمع ابن الحضرمي بمن نصره، وأعانه من الأزد ففضّه واضطّره إلى دار من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله بينهما، فقتل ابن الحضرمي وأصحابه، منهم من أحرق، ومنهم من أُلقي عليه جدار، ومنهم من هدم عليه البيت من أعلاه، ومنه من قتل بالسيف، وسلم منهم نفر ثابوا فصفح عنهم وبعداً لمن عصى وغوى، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فلمّا وصل الكتاب قرأه عليه السلام على الناس فسرّ بذلك وسرّ أصحابه وأثنى على جارية وعلى الأزد وذمّ البصرة فقال: إنّها أوّل القرى خراباً، إما غرقاً وإمّا حرقاً، حتى يبقى مسجدها كجؤجؤة سفينة[١].

٩٠٧ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام لمّا هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سَبْيَ بني ناجية من عامل أمير المؤمنين وأعتقهم فلمّا طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام: قبّح الله مصقلة، فعل فعل السادة وفرّ فرار العبيد، فما أنطق مادحه حتى أسكته، ولا صدّق واصفه حتى بكته، ولو أقام لأخذنا ميسوره وانتظرنا له وفوره[٢].

بيان: أقول قد مضى هذا الكلام ومضت قصته في أبواب أحوال الخوارج. وقال الشرّاح: بنو ناجية ينسبون أنفسهم إلى قريش، وقريش تدفعهم عنه وينسبونهم إلى ناجية، وهي أمّهم، وقد عدّوا من المبغضين لعليّ عليه السلام.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٢٧٠-٢٧٦. (٢) نهج البلاغة، ص ١١٨ خ ٤٤.

واختلف الرواية في سبيهم، ففي بعضها أنّه لما انقضى أمر الجمل دخل أهل البصرة في الطاعة غير بني ناجية، فبعث إليهم عليّ عليه السلام رجلاً من الصحابة في خيل ليقاتلهم، فأتاهم وقال لهم: ما لكم عسكرتم وقد دخل في الطاعة غيركم؟ فافترقوا ثلاث فرق:

فرقة قالوا: كنّا نصارى فأسلمنا ونبايع، فأمرهم فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: كنّا نصارى فلم نسلم. وخرجنا مع القوم الذين كانوا خرجوا، قهرونا فأخرجونا كرهاً فخرجنا معهم فهزموا، فنحن ندخل فيما دخل الناس فيه، ونعطيكم الجزية كما أعطيناهم. فقال: اعتزلوا، فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: كنّا نصارى فأسلمنا ولم يعجبنا الإسلام فرجعنا فنعطيكم الجزية كالنصارى. فقال لهم: توبوا وارجعوا إلى الإسلام، فأبوا، فقاتل مقاتلهم وسبى ذراريهم، فقدم بهم على أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي بعضها: أن الأمير من قبل عليّ عليه السلام كان معقل بن قيس، ولمّا انقضى أمر الحرب لم يقتل من المرتدّين من بني ناجية إلاّ رجلاً واحداً ورجع الباقون إلى الإسلام، واسترقّ من النصارى منهم الذين ساعدوا في الحرب وشهروا السيف على جيش الإمام، ثم أقبل بالأسارى حتى مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامل لعليّ عليه السلام على أردشير خرّة، وهم خمسمائة إنسان، فبكت إليه النساء والصبيان، وتصايح الرجال وسألوا أن يشتريهم ويعتقهم، فابتاعهم بخمسمائة ألف درهم. فأرسل إليه أمير المؤمنين أبا حرّة الحنفي ليأخذ منه المال، فأدّى إليه مائتي ألف درهم وعجز عن الباقي فهرب إلى معاوية. فقيل له عليه السلام: اردد الأسارى في الرقّ. فقال: ليس ذلك في القضاء بحقّ، قد عتقوا إذ أعتقهم الذي اشتراهم وصار مالي ديناً عليه.

أقول: فعلى الرواية الأولى كانوا من المرتدّين عن الإسلام ولا يجوز سبي ذراريهم عندنا وعند الجمهور أيضاً إلاّ أنّ أبا حنيفة قال بجواز استرقاق المرأة المرتدّة إذا لحقت بدار الحرب.

وأيضاً ما فيها من أنّه قدم بالأسارى إلى عليّ عليه السلام، يخالف المشهور من اشتراء مصقلة عن عرض الطريق. وقد قال بعض الأصحاب بجواز سبي البغاة، إلاّ أنّ الظاهر أنّه مع إظهار الكفر والارتداد لا يبقى حكم البغي. والصحيح ما في الرواية الثانية من أنّ الأسارى كانت من النصارى.

«قوله»: «وخاس به» أي: غدر وخان. وخاس بالوعد: أي: أخلف. «وقبّحه الله» أي: نحّاه عن الخير. والسادة جمع السّيد ويطلق على الرّب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمّل الأذى من قومه والرئيس والمقدم. قوله عليه السلام: «حتى أسكته» قيل: كلمة «حتى» تحتمل أن تكون بمعنى اللاّم، أي: أنّه لم ينطق مادحه ليقصد إسكاته بهربه، فإنّ إسكاته لو قصد لا يتصوّر إلاّ بعد إنطاقه، وهو لم يتمم فعله الذي يطلب به إنطاق مادحه،

فكيف يقصد إسكاته بهربه؟ ويحتمل أن يكون المراد أنّه لسرعة إتباعه الفضيلة بالرذيلة، كأنّه جمع بين غايتين متنافيتين.

والتبكيت: التقريع والتعنيف والتوبيخ واستقبال الرجل بما يكره.

والميسور: ما تيسّر. وقيل هو مصدر على مفعول. وقيل: الغنى والسعة.

والوفور بالضم مصدر وفر المال، ككرم ووعد، أي: تمّ وزاد. وفي بعض النسخ: «موفوره» وهو الشيء التامّ، أي انتظرنا حصول الموفور في يده. والغرض دفع عذره في الهرب وهو توهّم التشديد عليه.

٩٠٨ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام: اللهمّ أيّما عبدٍ من عبادك سَمِعَ مَقَالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين والدّنيا غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلاّ النّكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإنّا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة، ونستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسمواتك، ثم أنت بَعْدُ، المغني عن نصره والآخذ له بذنبه[١].

بيان: قال ابن ميثم: هذا الفصل من خطبة كان يستنهض عليه السلام بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام، قاله بعد تقاعد أكثرهم عن معاوية. و«ما» في «أيّما» زائدة مؤكّدة، وفي وصف المقالة بالعادلة توسّع. والنكوص: الرجوع قهقرى. «فإنّا» نستشهدك»: أي: نسألك أن تشهد عليه. «ثم أنت بعدُ» أي بعد تلك الشهادة عليه.

٩٠٩ - **نهج**: من كلام له عليه السلام يحثّ فيه أصحابه على الجهاد: والله مستأديكم شكره، ومورثكم أمره، وممهلكم في مضمار ممدود لتتنازعوا سبقه. فشدّوا عُقَدَ المآزر، واطووا فضُول الخواصر، لا تجتمع عزيمة ووليمة! ما أنقض النّوم لعزائم اليوم، وأمحى الظُّلم لتذاكير الهمم[٢].

توضيح: الاستيداء: طلب الأداء. والأمر هو الملك والغلبة، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية[٣].

والمضمار: مدّة تضمير الفرس وموضعه. وفسّر بالميدان أيضاً. والمراد مدّة التكليف والحياة أو دار الدّنيا. والسَّبق بالفتح كما في النسخ: المصدر. وبالتحريك: ما يتراهن عليه. والضّمير راجع إليه سبحانه كالسّوابق، أو إلى المضمار.

والعقد: جمع العقدة بالضمّ، وهي موضع العقد. قال ابن أبي الحديد: أي: شمّروا عن ساق الاجتهاد. ويقال لمن يوصى بالجدّ والتّشمير: اشدد عقدة إزارك، لأنّه إذا شدّها كان أبعد من العثار وأسرع للمشي.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٤٤ خ ٢١٠. (٢) نهج البلاغة، ص ٤٨٥ خ ٢٣٨.
(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.

وقوله: «واطووا فضول الخواصر»: نهي عن كثرة الأكل، لأنّ الكثير الأكل لا يطوي فضول خواصره، والقليل الأكل يأكل في بعضها ويطوي بعضها. انتهى.

وقيل: من شرع في أمر بجدّ واجتهاد يطوي ما فضل من إزاره، ويلتف بقدميه في خاصرته، ويجعله محكماً فيها. فهذه أيضاً كناية عن الجدّ والاجتهاد.

وقال الكيدري: وجدت في نسخة صحيحة «اطروا فضول الخواصر». والطر: الشقّ والقطع، أي: اقطعوا من ثيابكم ما فضل ويزاد على بدنكم. وهو كناية عن المبالغة في التشمير عن ساق الجد. انتهى.

والوليمة: طعام العرس أو كلّ طعام صنع لدعوة، والمعنى: إنّ العزيمة الجازمة تنافي الاشتغال بالملاذّ، ولا تنال المطالب الجليلة إلاّ بركوب المشاقّ.

«وما أنقض النوم لعزائم اليوم»: كثيراً ما يعزم الإنسان في النهار على المسير والارتحال في الليلة المستقبلة لتقريب المنزل، فإذا جاء الليل نام واستراح وشقّ عليه القيام، أي: ففاته ما عزم عليه من السير، أو المراد فوت ما عزم عليه من مهمات الأمور في يومه بنوم الليلة التي قبله. «والتذاكير»: جمع التذكار بالفتح، وهو الذكر والحفظ للشيء. والمعنى ما أكثر ما يهمّ الإنسان ويعزم على السير بالليل، فإذا أدركته ظلمة الليل، نام ومال إلى الراحة ونسي ما عزم عليه، فانمحى واضمحلّ ما همّه.

٩١٠ - ٩١١ - **أقول:** كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي عن محمّد بن إسماعيل، عن نصر ابن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة، عن أبي الودّاك، أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا فرغ من حرب الخوارج، قام في الناس بنهروان خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ الله قد أحسن بكم وأحسن نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشام.

فقاموا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين نفذت نبالنا، وكلّت سيوفنا، ونصلت أسنّة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً، ارجع بنا إلى مصرنا نستعدّ بأحسن عدّتنا، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عدّتنا عدة من هلك منّا، فإنّه أقوى لنا على عدوّنا. وكان الذي ولي كلام الناس يومئذ الأشعث بن قيس.

وعن إبراهيم بن العباس عن ابن المبارك البجلي عن بكر بن عيسى عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن أنه قال: سمعت علياً عليه السلام يقول ونحن بمسكن: يا معشر المهاجرين ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾[1] فتلكّأوا وقالوا: البرد شديد. وكان غزاتهم في البرد. فقال: إنّ القوم يجدون

(١) سورة المائدة، الآية: ٢١.

البرد كما تجدون. قال: فلم يفعلوا وأبوا، فلمّا رأى ذلك منهم قال: أفٍّ لكم، إنّها سُنّة جرت عليكم.

وسمعت أصحابنا عن أبي عوانة عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السّكن قال: قال عليّ عليه السلام: «يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين» فاعتلّوا عليه فقال: أفّ لكم، إنّها سنّة جرت.

وعن إبراهيم بن العباس عن ابن المبارك عن بكر بن عيسى عن عمر بن عمير الهجري عن طارق بن شهاب، أنّ عليّاً عليه السلام انصرف من حرب النهروان، حتى إذا كان في بعض الطريق نادى الناس فاجتمعوا، فحمد الله وأثنى عليه ورغّبهم في الجهاد ودعاهم إلى المسير إلى الشام من وجهه ذلك، فأبوا وشكوا البرد والجراحات، وكان أهل النهروان قد أكثروا الجراحات في الناس. فقال: إنّ عدوّكم يألمون كما تألمون، ويجدون البرد كما تجدون. فأعيوه وأبوا، فلمّا رأى كراهيتهم، رجع إلى الكوفة وأقام بها أيّاماً وتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه، فمنهم من أقام يرى رأي الخوارج، ومنهم من أقام شاكّاً في أمرهم.

وعن محمد بن إسماعيل عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير بن وعلة عن أبي الودّاك، قال: لمّا أكره عليّ الناس على المسير إلى الشام أقبل بهم حتى نزل النخيلة، وأمر الناس أن ينزلوا معسكرهم، ويوطّنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلّوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوّهم.

وبهذا الإسناد عن أبي الودّاك، أنّ الناس أقاموا بالنخيلة مع عليّ عليه السلام أيّاماً، ثم أخذوا يتسلّلون ويدخلون المصر. فنزل وما معه من الناس إلاّ رجال من وجوههم قليل، وترك المعسكر خالياً، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبر!! فلما رأى ذلك دخل الكوفة في استنفاره الناس.

وعن محمد بن إسماعيل عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير العبسي قال: مرّ عليّ عليه السلام على الشغار من همدان فاستقبله قوم فقالوا: أقتلت المسلمين بغير جرم، وداهنت في أمر الله، وطلبت الملك، وحكّمت الرجال في دين الله؟ لا حكم إلاّ لله. فقال عليه السلام: حكم الله في رقابكم، ما يحبس أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم، إنّي ميّت أو مقتول، بل قتلاً، ثمّ جاء حتى دخل القصر.

وعن إبراهيم بن قادم عن شريك عن شعيب بن غرقدة عن المستظل بن حصين قال: قال عليّ عليه السلام: يا أهل الكوفة، والله لَتَجِدّن ولتقاتلن على طاعته، أو لَيَسُوسَنَّكُمْ قوم أنتم أقرب إلى الحقّ منهم فليعذّبنكم وليعذّبنّهم الله.

وعن محمد بن إسماعيل عن يزيد بن معدل عن ابن وعلة عن أبي الودّاك قال: لمّا تفرّق الناس عن عليّ بالنخيلة ودخل الكوفة، جعل يستفزهم على جهاد أهل الشام حتى بطلت الحرب تلك السنة.

وعن زيد بن وهب أنّ علياً عليه السلام قال للناس وهو أوّل كلام له بعد النهروان وأمور الخوارج التي كانت فقال:

يا أيّها الناس! استعدّوا إلى عدوّ في جهادهم القربة من الله، وطلب الوسيلة إليه، حيارى عن الحقّ لا يبصرونه، وموزعين بالكبر والجور، لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويتسكّعون في غمرة الضّلال، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل، وتوكّلوا على الله وكفى بالله وكيلاً، وكفى بالله نصيراً.

قال: فلم ينفروا ولم ينتشروا، فتركهم أيّاماً حتى أيس من أن يفعلوا، ودعا رؤوسهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يثبّطهم، فمنهم المعتلّ ومنهم المنكر وأقلّهم النشيط، فقام فيهم ثانيةً فقال:

عباد الله! ما لكم إن أمرتكم أن تنفروا اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ثواباً؟ وبالذلّ والهوان من العزّ خلفاً؟ وكلّما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنّكم من الموت في سكرة، يُرتَج عليكم حواري فتبكون، فكأنّ قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون، لله أنتم! ما أنتم إلاّ أُسود الشرى في الدّعة، وثعالب روّاغة حين تدعون، ما أنتم بركن يُصال به ولا زوافر عزٍ يعتصم إليها.

لعمر الله لبئس حشاش نار الحرب أنتم. إنّكم تكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم ولا تتحاشون، ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، إنّ أخا الحرب اليقظان، أودى من غفل، ويأتي الذلّ من وادع، غلب المتخاذلون والمغلوب مقهور ومسلوب.

أمّا بعد، فإنّ لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق، فأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم. وأما حقّكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم، والتوفير عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلموا، فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره، وترجعوا إلى ما أُحبّ تنالوا وتدركوا ما تأملون.

وعن الفضل بن دكين عن أبي عاصم الثقفي عن أبي عون الثقفي قال: جاءت امرأة من بني عميس وعليّ عليه السلام على المنبر فقالت: يا أمير المؤمنين ثلاث بَلْبلن القلوب عليك قال: وما هنّ؟ قالت: رضاؤك بالقضية، وأخذك بالدنيّة، وجزعك عند البليّة. قال: ويحك إنما أنت امرأة، انطلقي فاجلسي على ذيلك. قالت: لا والله ما من جلوس إلاّ في ظلال السيوف.

وبإسناده عن بكر بن عيسى، أنّ علياً عليه السلام كان يخطب الناس ويحضّهم على المسير إلى معاوية وأهل الشام، فجعلوا يتفرّقون عنه، ويتثاقلون عليه ويعتلّون بالبرد مرّةً وبالحرّ أُخرى.

وبإسناده عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: يا معشر المسلمين، يا أبناء المهاجرين! انفروا إلى أئمة الكفر وبقيّة الأحزاب وأولياء الشّيطان، انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا!!! فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً.

قال إبراهيم: وحدّثنا بهذا الكلام من قول أمير المؤمنين عليه السلام غير واحد من العلماء.

وعن إسماعيل بن أبان الأزدي عن عمرو بن شمر عن جابر عن رفيع عن فرقد البجلي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ألا ترون يا معاشر أهل الكوفة؟ والله لقد ضربتكم بالدّرّة التي أعظ بها السّفهاء فما أراكم تنتهون، ولقد ضربتكم بالسّياط التي أُقيم بها الحدود فما أراكم ترعوون، فما بقي إلاّ سيفي، وإنّي لأعلم الذي يقوّمكم بإذن الله، ولكنّي لا أُحبّ أن آتي تلك منكم. والعجب منكم ومن أهل الشام، إن أميرهم يعصي الله وهم يطيعونه، وإن أميركم يطيع الله وأنتم تعصونه! إن قلت لكم: انفروا إلى عدوّكم في أيّام الحرّ، قلتم هذه حمارة القيظ. وإذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشتاء قلتم القرّ يمنعنا. أفترون عدوّكم لا يجدون القرّ كما تجدونه؟ ولكنكم أشبهتم قوماً قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: انفروا في سبيل الله فقال كبراؤهم: لا تنفروا في الحرّ. فقال الله لنبيّه: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[1].

والله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بحذافيرها على الكافر ما أحبّني، وذلك أنّه قضى فانقضى على لسان النبي الأُمّي: «إنّه لا يبغضك مؤمن ولا يحبك كافر» وقد خاب من حمل ظلماً وافترى.

يا معاشر أهل الكوفة، والله لتصبرنّ على قتال عدوّكم، أو ليسلّطن الله عليكم قوماً أنتم أولى بالحق منهم، فليعذّبنكم وليعذّبنهم الله بأيديكم أو بما شاء من عنده. أفمن قتلةٍ بالسيف تحيدون إلى موتة على الفراش؟ فاشهدوا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «موتة على الفراش أشدّ من ضربة ألف سيف أخبرني به جبرائيل» فهذا جبرائيل يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما تسمعون.

وعن محرز بن هشام عن جَرِير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبيّ قال: كان أشراف أهل الكوفة غاشّين لعليّ، وكان هواهم مع معاوية، وذلك أنّ علياً عليه السلام كان لا يعطي أحداً من الفيء أكثر من حقّه، وكان معاوية جعل الشرف في العطاء ألفي درهم.

وعن عبد الرحمٰن بن جندب عن أبيه، أنّ أهل دومة الجندل من كلب لم يكونوا في طاعة عليّ عليه السلام ولا معاوية، وقالوا: نكون على حالنا حتى يجتمع الناس على إمام. قال: فذكرهم معاوية مرّةً فبعث إليهم مسلم بن عقبة فسألهم الصدقة وحاصرهم، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فَبَعَثَ إلى مالك بن كعب قال: استعمل على «عين التّمر» رجلاً وأقبل إليّ. فولاّها عبد الرحمٰن بن عبد الله الأرحبي وأقبل إلى عليّ عليه السلام فسرّحه في ألف فارس، فما شعر مسلم بن عقبة إلاّ ومالك بن كعب إلى جنبه نازلاً، فتواقفا قليلاً ثم اقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل، حتى إذا كان من الغد صلّى مسلم وأصحابه ثم انصرف، وقام مالك بن كعب إلى دومة الجندل يدعوهم إلى الصلح عشراً فلم يفعلوا، فرجع إلى عليّ عليه السلام.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨١.

وبإسناده عن أبي الكنود عن سفيان بن عوف الغامدي قال: دعاني معاوية فقال: إنّي باعثك في جيش كثيف فالزم لي جانب الفرات حتى تمرّ بهيت فتقطعها، فإن وجدت بها جنداً فأغر عليهم، وإلاّ فامض حتى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتى تغير على المدائن، ثم أقبل إليّ واتّق أن تقرب الكوفة، واعلم أنّك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن، فكأنّك أغرت على الكوفة، إنّ هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترهب قلوبهم، وتجرّئ كلّ من كان له فينا هوىً منهم، ويرى فراقهم، وتدعو إلينا كلّ من كان يخاف الدوائر، وخرّب كلّ ما مررت به، واقتل كلّ من لقيت ممّن ليس هو على رأيك، وحرّب الأموال فإنّه شبيه بالقتل وهو أوجع للقلوب.

قال: فخرجت من عنده وعسكرت، وقام معاوية وندب الناس إلى ذلك، فما مرّت بي ثلاثة حتى خرجت في ستّة آلاف، ثم لزمت شاطئ الفرات فأسرعت السّير حتى مررت بهيت، فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات، فمررت بها وما بها عريب، كأنّها لم تحلل قطّ فوطئتها حتى مررت بصندوداء، فتنافروا فلم ألق بها أحداً، فمضيت حتى أفتتح الأنبار وقد أُنذروا بي، فخرج إليّ صاحب المسلحة فوقف لي، فلم أقدم عليه حتى أخذت غلماناً من أهل القرية فقلت لهم: خبّروني كم بالأنبار من أصحاب عليّ؟ قالوا: عدّة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنّهم قد تبدّدوا ورجعوا إلى الكوفة ولا ندري الذي يكون فيها قد يكون مائتي رجل. قال: فنزلت فكتّبت أصحابي كتائب، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فيقاتلونهم والله ويصبرون لهم ويطاردونهم في الأزقّة! فلمّا رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين ثم أتبعتهم الخيل، فلمّا مشت إليهم الرجال وحملت عليهم الخيل فلم يكن إلاّ قليلاً حتى تفرّقوا وقتل صاحبهم في رجال من أصحابه، فأتيناه في نيف وثلاثين رجلاً فحملنا ما كان في الأنبار من أموال أهلها ثم انصرفت، فوالله ما غزوت غزوة أسلم ولا أقرّ للعيون ولا أسرّ للنفوس منها، وبلغني والله أنّها أفزعت الناس. فلمّا أتيت معاوية فحدّثته الحديث على وجهه قال: كنت والله عند ظنّي بك. قال: فوالله ما لبثنا إلاّ يسيراً حتى رأيت رجال أهل العراق يأتون على الإبل هرّاباً من قبل عليّ عليه السلام.

وعن جندب بن عفيف قال: والله إنّي لفي جند الأنبار مع أشرس بن حسان البكري، إذ صبّحنا سفيان في كتائب تلمع الأبصار منها، فهالونا والله، وعلمنا إذ رأيناهم أنّه ليس لنا بهم طاقة ولا يد، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرّقنا، فلم يلقهم نصفنا ولم يكن لنا بهم طاقة. وأيم الله لقد قاتلناهم ثم إنّهم والله هزمونا، فنزل صاحبنا وهو يتلو ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[1] ثم قال لنا: من كان لا يريد لقاء الله ولا يطيب نفساً بالموت فليخرج

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

عن القرية ما دمنا نقاتلهم فإنّ قتالنا إيّاهم شاغل لهم عن طلب هارب، ومن أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار.

ثم نزل في ثلاثين رجلاً قال: فهممت والله بالنزول معه ثم إنّ نفسي أبت واستقدم هو وأصحابي فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله، فلمّا قتلوا أقبلنا منهزمين.

وبإسناده عن محمد بن مخنف، أنّ سفيان بن عوف لما أغار على الأنبار قدم علجٌ من أهلها على عليّ عليه السلام فأخبره الخبر فصعد المنبر فقال: أيّها الناس! إنّ أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار، وهو مغتر لا يظنّ ما كان فاختار ما عند الله على الدنيا، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم، فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا.

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلّموا أو يتكلّم متكلّم منهم بخير، فلمّا رأى صمتهم على ما في أنفسهم، خرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة، والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من الأشراف فقالوا: إرجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك. فقال: ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله فرجع وهو واجم كئيب.

ودعا سعيد بن مسلم الهمداني فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف وقال: اتبع هذا الجيش حتى تخرجهم من أرض العراق. فخرج على شاطئ الفرات في طلبه حتى إذا بلغ عانات، سرّح سعيد أمامه هانئ بن الخطاب الهمداني فاتبع آثارهم حتى بلغ أداني أرض قنّسرين وقد فاتوه ثم انصرف.

قال فلبث عليّ عليه السلام ترى فيه الكآبة والحزن حتى قدم سعيد، فكتب كتاباً وكان في تلك الأيام عليلاً، فلم يطق القيام في الناس بكلّ ما أراد من القول، فجلس بباب السّدة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، فدعا سعيداً مولاه فدفع الكتاب إليه، فأمره أن يقرأه على الناس، فقام سعيد حيث يسمع عليّ عليه السلام قراءته، وما يردّ عليه الناس، ثم قرأ الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين، إلى من قرئ عليه كتابي من المسلمين: سلام عليكم. أمّا بعد، فالحمد لله ربّ العالمين وسلام على المرسلين، ولا شريك لله الأحد القيّوم، وصلوات الله على محمّد والسلام عليه في العالمين.

أمّا بعد، فإنّي قد عاتبتكم في رشدكم حتى سئمت، وراجعتموني بالهزء من قولكم حتى برمت هزءاً من القول لا يعاد به، وخطلاً لا يعزّ أهله، ولو وجدت بدّاً من خطابكم والعتاب إليكم ما فعلت. وهذا كتابي يقرأ عليكم فردّوا خيراً وافعلوه، وما أظنّ أن تفعلوا والله المستعان.

أيّها الناس! إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة... إلى آخر ما مرّ وسيأتي بروايات مختلفة.

ثم قال: فقام إليه رجل من الأزد يقال له: حبيب بن عفيف آخذاً بيد ابن أخ له يقال له عبد

الرحمن بن عبد الله بن عفيف، فأقبل يمشي حتى استقبل أمير المؤمنين عليه السلام بباب السّدّة، ثم جثا على ركبتيه وقال: يا أمير المؤمنين، ها أنا ذا لا أملك إلاّ نفسي وأخي فمرنا بأمرك، فوالله لننفذن له ولو حال دون ذلك شوك الهراس وجمر الغضا حتى ننفذ أمرك أو نموت دونه! فدعا لهما بخير وقال لهما: أين تبلغان بارك الله عليكما ممّا نريد.

ثم أمر الحارث الأعور فنادى في الناس أين من يشري نفسه لربّه، ويبيع دنياه بآخرته، أصبحوا غداً بالرّحبة إن شاء الله، ولا يحضرنا إلاّ صادق النيّة في المسير معنا والجهاد لعدوّنا، فأصبح بالرّحبة نحو من ثلاثمائة، فلمّا عرضهم قال: لو كانوا ألفاً كان لي فيهم رأي. قال: وأتاه قوم يعتذرون وتخلّف آخرون، فقال: وجاء المعذّرون وتخلّف المكذّبون.

قال: ومكث عليه السلام أياماً بادياً حزنه، شديد الكآبة، ثم إنّه نادى في الناس فاجتمعوا، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أمّا بعد، أيها الناس فوالله لأهل مصركم في الأمصار، أكثر من الأنصار في العرب.

وساق الحديث إلى آخر ما سيأتي برواية ابن الشيخ في مجالسه عن ربيعة بن ناجد في أواخر هذا الباب.

وعن أبي مسلم قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: لولا بقيّة المسلمين لهلكتم.

وعن إسماعيل بن رجاء الزبيدي، أنّ عليّاً عليه السلام خطبهم بعد هذا الكلام فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيّها الناس المجتمعة أبدانهم المتفرقة أهواؤهم، ما عزّ من دعاكم ولا استراح من قاساكم، كلامكم يوهن الصمّ الصّلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوّكم، إن قلت لكم: سيروا إليهم في الحر، قلتم: أمهلنا ينسلخ عنّا الحرّ. وإن قلت لكم: سيروا إليهم في الشتاء، قلتم: حتى ينسلخ عنّا البرد. فعل ذي الدّيْن المطول، من فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب أصبحت لا أُصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، فرّق الله بيني وبينكم أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟ أما إنّكم ستلقون بعدي أثرةً تتخذها عليكم الضّلال سنّة، فقر يدخل في بيوتكم، وسيف قاطعٌ، وتتمنون عند ذلك أنّكم رأيتموني وقاتلتم معي وقتلتم دوني وكأن قد.

وعن بكر بن عيسى: أنّهم لما أغاروا بالسواد، قام عليّ عليه السلام فخطب إليهم فقال: أيّها الناس ما هذا؟! فوالله إن كان ليدفع عن القرية بالسبعة نفر من المؤمنين تكون فيها.

وعن ثعلبة بن يزيد الحماني أنّه قال: بينما أنا في السوق إذ سمعت منادياً ينادي الصّلاة جامعة، فجئت أُهرول والناس يهرعون، فدخلت الرحبة فإذا عليّ عليه السلام على منبر من طين مجصّص وهو غضبان، قد بلغه أنّ ناساً قد أغاروا بالسّواد، فسمعته يقول: أما وربّ السماء والأرض ثم ربّ السماء والأرض، إنّه لعهد النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الأُمّة ستغدر بي.

وعن المسيّب بن نجبة الفزاري أنه قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: إنّي قد خشيت أن يدال

هؤلاء القوم عليكم بطاعتهم إمامهم ومعصيتكم إمامكم، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم، وبصلاحهم في أرضهم وفسادكم في أرضكم، وباجتماعهم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم حتى تطول دولتهم وحتى لا يدعوا لله محرّماً إلاّ استحلّوه، حتى لا يبقى بيت وبر ولا بيت مَدَرٍ إلاّ دخله جورهم وظلمهم حتى يقوم الباكيان، باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه، وحتى لا يكون منكم إلاّ نافعاً لهم أو غير ضارّ بهم حتى يكون نصرة أحدكم منهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه وإذا غاب سبّه، فإن أتاكم الله بالعافية فاقبلوا وإن ابتلاكم فاصبروا فإنّ العاقبة للمتّقين.

وعن يحيى بن صالح عن أصحابه، أنّ عليّاً عليه السلام ندب الناس عندما أغاروا على نواحي السّواد، فانتدب لذلك شرطة الخميس، فبعث إليهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ثمّ وجّههم فساروا حتى وردوا تخوم الشام، وكتب عليّ عليه السلام إلى معاوية:

إنّك زعمت أن الذي دعاك إلى ما فعلت الطّلب بدم عثمان، فما أبعد قولك من فعلك، ويحك، وما ذنب أهل الذمّة في قتل ابن عفّان؟! وبأيّ شيء تستحل أخذ فيء المسلمين؟! فانزع ولا تفعل واحذر عاقبة البغي والجور. وإنّما مثلي ومثلك كما قال بلعاء لدريد بن الصمة:

مهلاً دريد عن التسرّع إنّني ... ماضي الجنان بمن تسَرَّع مُولع
مهلاً دريد عن السّفاهة إنّني ... ماضٍ على رغم العداة سَمَيْدع
مهلاً دريد لا تكن لاقيتني ... يوماً دريد فكلّ هذا يصنع
وإذا أهانك معشر أكرمهم ... فتكون حيث ترى الهوان وتسمع

فأجابه معاوية: أمّا بعد، فإنّ الله أدخلني في أمر عزلك عنه نائياً عن الحق، فنلت منه أفضل أملي، فأنا الخليفة المجموع عليه ولم تصب مَثَلي ومَثَلك، إنّما مثلي ومثلك كما قال بلعاء حين صولح على دم أخيه ثم نكث فعنفه قومه فأنشأ يقول:

ألا آذنتنا من تدلّلها ملس ... وقالت: أما بيني وبينك من بلس
وقالت: ألا تسعى فتدرك ما مضى ... وما أهلك الحانون والقدح الضرس
أتأمرني سعد وليث وجندع ... ولست براض بالدنيئة والوكس
يقولون: خذ وكساً وصالح عشيرةً ... فما تأمرني بالهموم إذا أمسي

قال جندب بن عبد الله الوائلي: كان عليّ عليه السلام يقول: أما إنّكم ستلقون بعدي ثلاثاً: ذلاً شاملاً، وسيفاً قاتلاً، وأثرةً يتّخذها الظالمون عليكم سنّةً فستذكروني عند تلك الحالات فتمنّون لو رأيتموني ونصرتموني وأهرقتم دماءكم دون دمي فلا يبعد الله إلاّ من ظلم.

وكان جندب بعد ذلك إذا رأى شيئاً مما يكرهه قال: لا يبعد الله إلاّ من ظلم.

وعن عمرو بن قعين قال: دعا معاوية يزيد بن شجرة الرّهاوي فقال: إنّي مسرّ إليك سرّاً فلا تطلعنّ على سرّي أحداً حتى تخرج من أهل الشام كلّها، إنّي باعثك إلى أهل الله وإلى حرم

الله وأهلي وعشيرتي وبيضتي التي انفلقت عنّي، وفيها جلّ من قتل عثمان وسفك دمه، فسِرْ على بركة الله حتى تنزل مكة فإنّك الآن تلاقي الناس هناك بالموسم، فادع الناس إلى طاعتنا واتّباعنا فإن أجابوك فاكفف عنهم واقبل منهم، وإن أدبروا عنك فنابذهم وناجزهم ولا تقاتلهم حتى تبلغهم أني قد أمرتك أن تبلغ عنّي، فإنّهم الأصل والعشيرة وإنّي لاستبقائهم محبّ ولاستئصالهم كاره ثمّ صلّ بالناس وتولّ أمر الموسم.

فقال له يزيد: إنّك وجّهتني إلى قوم الله ومجمع الصالحين، فإن رضيت أن أسير إليهم وأعمل فيهم برأيي وبما أرجو أن يجمعك الله وإيّاهم به سرت إليهم، وإن كان لا يرضيك عنّي إلاّ الغشم وتجريد السّيف وإخافة البريء وردّ العذرة فلست بصاحب ما هناك، فاطلب لهذا الأمر غيري. فقال له: سر راشداً فقد رضيت برأيك وبسيرتك، وكان رجلاً ناسكاً يتألّه وكان عثمانياً وكان ممن شهد مع معاوية صفّين.

فخرج ابن شجرة من دمشق مسرعاً وقال: اللّهمَّ إن كنت قضيت أن يكون بين هذا الجيش الذي وجّهت، وبين أهل حرمك الذي وجّهت إليه قتال فاكفنيه، فإنّي لست أُعظّم قتال من شرك في قتل عثمان خليفتك المظلوم ولا قتال من خذله ولكني أُعظّم القتال في حرمك الذي حرمت.

فخرج يسير وقدّم أمامه الحارث بن نمير، فأقبلوا حتى مرّوا بوادي القرى ثم أخذوا على الجحفة ثمّ مضوا حتى قدموا مكّة في عشر ذي الحجّة.

وعن عباس بن سهل بن سعد الأنصاريّ قال: لمّا سمع قثم بن العباس بدنوّهم منه قبل أن يفصلوا من الجحفة وكان عاملاً لعليّ عليه السلام على مكّة، فقام في أهل مكّة وذلك في سنة تسع وثلاثين، فحمد الله وأثنى عليه ودعاهم إلى الجهاد وقال: بيّنوا لي ما في أنفسكم ولا تغرّوني. فسكت القوم مليّاً فقال: قد بيّنتم لي ما في أنفسكم. فذهب لينزل فقام شيبة بن عثمان فقال: رحمك الله أيّها الأمير لا يقبح فينا أمرك ونحن على طاعتنا وبيعتنا وأنت أميرنا وابن عمّ خليفتنا فإن تدعنا نجبك فيما أطقنا ونقدر عليه.

فقرّب قثم دوابّه وحمل متاعه وأراد التنحّي عن مكّة، فأتاه أبو سعيد الخدري وقال: ما أردت؟ قال: قد حدث هذا الأمر الذي بلغك وليس معي جند أمتنع به، فرأيت أن أعتزل عن مكّة فإن يأتني جند أُقاتل بهم، وإلاّ كنت قد تنحّيت بدمي. قال له: إنّي لم أخرج من المدينة حتى قدم علينا حاجّ أهل العراق وتجّارهم يخبرون أنّ الناس بالكوفة قد ندبوا إليك مع معقل ابن قيس الرياحي. قال: هيهات هيهات يا أبا سعيد إلى ذلك ما يعيش أولادنا. فقال له أبو سعيد: رحمك الله فما عذرك عند ابن عمك، وما عذرك عند العرب انهزمت قبل أن تطعن وتضرب؟! فقال: يا أبا سعيد إنّك لا تهزم عدوك ولا تمنع حريمك بالمواعيد والأماني اقرأ كتاب صاحبي فقرأه أبو سعيد فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى قثم بن العباس: سلام عليك.

أمّا بعد، فإنّ عيني بالمغرب كتب إليّ يخبرني أنّه قد وجّه إلى الموسم ناس من العرب، من العمي القلوب، الصمّ الأسماع، الكمه الأبصار، الذين يلبسون الحقّ بالباطل، ويطيعون المخلوقين في معصية الخالق، ويجلبون الدنيا بالدين، ويتمنّون على الله جوار الأبرار، وإنّه لا يفوز بالخير إلاّ عامله، ولا يجزى بالسيّئ إلاّ فاعله.

وقد وجهت إليكم جمعاً من المسلمين ذوي بسالة ونجدة مع الحسيب الصليب الورع التقيّ معقل بن قيس الرّياحي، وقد أمرته باتباعهم وقصّ آثارهم حتى ينفيهم من أرض الحجاز. فقم على ما في يديك مما إليك مقام الصليب الحازم المانع سلطانه الناصح للأمة، ولا يبلغني عنك وهن ولا خور وما تعتذر منه، ووطّن نفسك على الصبر في البأساء والضراء، ولا تكوننّ فشلاً ولا طائشاً ولا رعديداً والسلام.

فلما قرأ أبو سعيد الكتاب قال قثم: ما ينفعني من هذا الكتاب وقد سمعت بأن قد سبقت خيلهم خيله؟ وهل يأتي جيشه حتى ينقضي أمر الموسم كلّه؟

فقال له أبو سعيد: إنّك إن أجهدت نفسك في مناصحة إمامك خرجت من اللائمة، وقضيت الذي عليك من الحقّ، فإنّ القوم قد قدموا وأنت في الحرم، والحرم حرم الله.

فأقام قثم وجاء يزيد بن شجرة حتى دخل مكّة، ثم أمر منادياً فنادى في الناس ألا إنّ الناس كلّهم آمنون، إلاّ من عرض لنا في عملنا وسُلطاننا وذلك قبل التروية بيوم. فلمّا كان ذلك مشت قريش والأنصار ومن شهد الموسم من الصّحابة وصلحاء الناس فيما بينهما وسألتهما أن يصطلحا، فكلاهما سرّه ذلك الصلح، فأما قثم فإنه لم يثق بأهل مكة ولا رأى أنّهم يناصحونه، وأما يزيد فكان رجلاً متنسّكاً وكان يكره أن يكون منه في الحرم شرّ.

وعن عمرو بن محصن قال: قام يزيد بن شجرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، يا أهل الحرم ومن حضره فإنّي وجّهت إليكم لأُصلّي بكم وأجمع وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فقد رأيت والي البلدة كره الصّلاة معنا ونحن للصّلاة معه كارهون فإن شاء اعتزلنا الصّلاة بالناس واعتزلها وتركنا أهل مكّة يختارون لأنفسهم من أحبّوا حتى يصلّي بهم فإن أبى فأنا آبى وآبى والذي لا إله غيره لو شئت لصليت بالناس وأخذته حتى أرده إلى الشام وما معه من يمنعه ولكن والله ما أُحبّ أن أستحلّ حرمة هذا البلد الحرام.

قال: ثمّ إنّ يزيد بن شجرة أتى أبا سعيد الخدري فقال: رحمك الله الق هذا الرجل فقل له لا أب لغيرك اعتزل الصّلاة بالناس وأعتزلها ودع أهل مكّة يختاروا لأنفسهم فوالله لو أشاء لبعتك وإيّاهم ولكن والله ما يحملني على ما تسمع إلا رضوان الله واحترام الحرم فإنّ ذلك أقرب للتقوى وخير في العاقبة. فقال له أبو سعيد: ما رأيت من أهل المغرب أصوب مقالاً ولا أحسن رأياً منك. فانطلق أبو سعيد إلى قثم فقال: ألا ترى ما أحسن ما صنع الله لك وذكر له ذلك فاعتزلا الصلاة واختار الناس شيبة بن عثمان فصلّى بهم.

فلمّا قضى الناس حجّهم رجع يزيد إلى الشام، وأقبلت خيل عليّ عليه السلام فأُخبروا بعود أهل الشام، فتبعوهم وعليهم معقل بن قيس فأدركوهم وقد رحلوا عن وادي القرى، فظفروا بنفر منهم وأخذوهم أسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا إلى أمير المؤمنين، ففادى بهم أسارى كانت له عند معاوية.

وقال إبراهيم: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأهل الكوفة:

ما أرى هؤلاء القوم - يعني أهل الشام - إلاّ ظاهرين عليكم. قالوا: تعلم بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أرى أمورهم قد علت، وأرى نيرانكم قد خبت، وأراهم جادّين وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم طائعين وأراكم لي عاصين.

وأيم الله لئن ظهروا عليكم لتجدنّهم أرباب سوء من بعدي، كأنّي أنظر إليهم قد شاركوكم في بلادكم وحملوا إلى بلادهم فيئكم.

وكأنّي أنظر إليكم يكشّ بعضكم على بعض كشيش الضباب، لا تمنعون حقّاً ولا تمنعون لله حرمة، وكأنّي أنظر إليهم يقتلون قرّاءكم. وكأنّي بهم يحرمونكم ويحجبونكم ويدنون أهل الشام دونكم، فإذا رأيتم الحرمان والأثرة ووقع السّيف، تندّمتم وتحزّنتم على تفريطكم في جهادكم، وتذكّرتم ما فيه الحفظ حين لا ينفعكم التذكار.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: ما لقي أحد من الناس ما لقيت. ثمّ بكى[1].

توضيح: في النهاية: فيه «كأن في جوفي شوكة الهراس» هو شجر أو بقل ذو شوك. وفي القاموس: الهراس كسحاب: شجر شائك ثمره كالنبق. انتهى.

قوله عليه السلام: «وكأن قد» هذا من قبيل الاكتفاء أي: وكأن قد وقع هذا الأمر عن قريب. والسّميدع بالفتح: السّيد الموطوء الأكناف. ذكره الجوهري. وقال: ضرست السهم إذا أعجمته. والوكس: النقص قوله: «إلى ذلك ما يعيش أولادنا» هذا استبطاء للجيش أي: يأتي المدد بعد أن قتلنا وأولادنا.

٩٣١ - **نهج:** أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله تعالى لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجُنّته الوثيقة. فمن تركه ألبسه لباس الذلّ، وشمله البلاء، وديّث بالصّغار والقماء، وضرب على قلبه بالإسداد، وأُديل الحقّ منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النّصف.

ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسرّاً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قطّ في عُقْر دارهم إلاّ ذلوا. فتواكلتم وتخاذلتم

(١) كتاب الغارات لأبي عبد الله الثقفي.

حتى شنّت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان. هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها.

ولقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأُخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها، ما تمنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام، ثمّ انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أُريق لهم دم. فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً.

فيا عجباً، عجباً والله يميت القلب، ويجلب الهمّ، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزَون ولا تغزون، ويعصى الله فيكم وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيّام الحرّ، قلتم: هذه حمارَّة القيظ أمهلنا يسبّخ عنّا الحرّ. وإذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صَبَارَّة القرّ أمهلنا ينسلخ عنّا البرد. كلّ هذا فرار من الحرّ والقرّ، فإذا كنتم من الحرّ والبرد تفرّون، فأنتم والله من السّيف أفرّ.

يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرّت ندماً وأعقبت ذمّاً. قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب.

لله أبوهم، وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً منّي ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، فها أنا ذا قد ذرّفت على السّتين، ولكنّه لا رأي لمن لا يطاع[1].

٩٣٢ - **كا:** أحمد بن محمّد بن سعيد عن جعفر بن عبد الله العلوي وأحمد بن محمد الكوفي عن عليّ بن العبّاس عن إسماعيل بن إسحاق، جميعاً عن فرج بن قرّة عن مسعدة بن صدقة عن ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عنه عليه السلام مثله[2].

بيان: قال ابن ميثم وغيره: هذه الخطبة مشهورة، ذكرها أبو العباس المبرد وغيره، والسّبب المشهور لها، أنّه ورد عليه علج من الأنبار فأخبره أن سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل معاوية إلى الأنبار، وقتل عامله حسان بن حسان البكري، فصعد عليه السلام المنبر وخطب الناس وقال:

إنّ أخاكم البكري قد أُصيب بالأنبار فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم، فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا. ثم سكت رجاء أن يجيبوه بشيء، فلمّا رأى صمتهم نزل

---

(١) نهج البلاغة، ص ٨٩ خ ٢٧.

(٢) الكافي، ج ٥ ص ٥٩٤ كتاب الجهاد باب ١ ح ٦.

وخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة والناس يمشون خلفه، حتى أحاط به قوم من أشرافهم وقالوا: ترجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك.

فقال: ما تكفوني ولا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتى ردّوه إلى منزله.

فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية آلاف في طلب سفيان، فخرج حتى انتهى إلى أداني أرض قِنَّسْرين ورجع. وكان عليه السلام في ذلك الوقت عليلاً لا يقوى على القيام في الناس بما يريده من القول، فجلس بباب السدّة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر، ودعا سعيداً مولاه فدفع إليه كتاباً كتب فيه هذه الخطبة، وأمره أن يقرأه على الناس بحيث يسمع ويسمعونه.

وفي رواية المبرّد أنّه لما انتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار وقتل حسّان خرج مغضباً يجرّ رداءه حتى أتى النخيلة ومعه الناس ورقي رباوة من الأرض، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثم ذكر الخطبة.

ولنرجع إلى الشرح والبيان: قوله عليه السلام: «باب من أبواب الجنّة» روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: للجنّة باب يقال له باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم.

وفي الكافي: «الخاصّة أوليائه، وسوّغهم كرامة منه لهم، ونعمة ذخرها، والجهاد لباس التقوى» فقوله عليه السلام: «نعمة» عطف على «باب» أو على «كرامة».

قوله عليه السلام: «وهو لباس التقوى» أي به يتّقى في الدّنيا من غلبة الأعادي، وفي الآخرة من النار، أو هو يدفع المضارّ عن التقوى ويحرسها، أو عن أهلها بحذف المضاف، وكونه تأويلاً لقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يحتاج إلى تكلّف ما. «ودرع الله» أي: درع جعلها الله لحفظ عباده. والمراد درع الحديد وهي مؤنثة وقد تذكّر. و«الحصينة» الواقية. والجنّة بالضم. كلّ ما وقاك واستترت به. والوثيقة المحكمة.

«فمن تركه» في الكافي: «رغبة عنه» أي: كراهة له بغير علّة.

قوله عليه السلام: «لباس الذلّ» الإضافة للبيان. قوله عليه السلام: «وشملة البلاء»: ربما يقرأ بالتاء وهي كساء يغطى به، والفعل أظهر كما هو المضبوط.

قوله عليه السلام: «وديّث بالصّغار» أي: ذلّل كما مرّ والصغار: الذلّ والضّيم. والقماء ممدوداً الذلّ والصّغار. ورواه الراوندي مقصوراً وهو غير معروف. وفي الكافي: «القماءة».

قوله عليه السلام: «وضرب على قلبه بالإسداد» قال الفيروزآبادي: وضربت عليه السّداد: سدّت عليه الطرق، وعميت عليه مذاهبه. وفي بعض النسخ «بالإسهاب»، يقال: أسهب الرجل على البناء للمفعول إذا ذهب عقله من أذى يلحقه.

«وأُديل الحقّ منه» أي يغلب الحقّ عليه فيُصيبه الوبال لترك الحق كقوله عليه السلام في الصحيفة

السجادية: «أدل لنا ولا تدل منا». والإدالة: الغلبة. والباء في قوله بتضييع الجهاد للسّببية.

وقال في مادة خسف من النهاية في حديث عليّ عليه السلام: «من ترك الجهاد ألبسه الله الذلّ وسيم الخسف» الخسف: النقصان والهوان وأصله أن تحبس الدّابّة على غير علف، ثم استعير موضع الهوان. وسيم: كلّف وأُلزم.

«ومنع النصف» أي: لا يتمكن من الانتصاف والانتقام.

وعقر الشيء. أصله ووسطه. وتواكل القوم: اتكل بعضهم بعضاً وترك الأمر إليه.

وتخاذلوا، أي: خذل بعضهم بعضاً.

قوله عليه السلام: «وشنّت» أي: فرّقت. قال ابن أبي الحديد: ما كان من ذلك متفرّقاً نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة فهو بالشين المعجمة، وما كان أرسالاً غير متفرّق فبالسّين المهملة.

وكلمة «على» في «ملكت عليكم» تفيد الاستعلاء بالقهر والغلبة، أي: أخذوا الأوطان منكم بالقهر. «وأخو غامد» هو سفيان بن عوف الغامدي.

«والأنبار» بلد قديم من بلاد العراق. وحسّان: من أصحابه عليه السلام كان والياً عليه.

والمسالح: جمع المسلحة وهي الحدود التي يرتب فيها ذَوو الأسلحة لدفع العدوّ كالثغر. والحجل بكسر الحاء وفتحها: الخلخال. والقلب بالضم: السوار المصمت. والرعاث: جمع رعثة بفتح الراء وسكون العين وفتحها وهي القرط. والرعاث أيضاً: ضرب من الحلي والخرز.

والاسترجاع قول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون وقيل: ترديد الصوت في البكاء. والاسترحام: مناشدة الرحم، أي قول: أنشدك الله والرحم. وقيل: طلب الرحم وهو بعيد.

قوله عليه السلام: «وافرين» أي تامّين، يقال: وفر الشيء أي تمّ. ووفّرت الشيء أي: أتممته. وفي رواية المبرّد «موفورين» بمعناه. والكلم: الجراحة.

قوله عليه السلام: «فيا عجباً» أصله يا عجبي، أي: احضر هذا أوانك. «وعجباً» منصوب بالمصدريّة، أي: أيّها الناس، تعجّبوا منهم عجباً. والقسم معترض بين الصفة والموصوف. و«الترح» محركة ضدّ الفرح. «وحمارة القيظ» بتشديد الرّاء: شدّة حرّه وربّما خفّفت للضرورة في الشعر. «وصبارة الشتاء» بتشديد الرّاء: شدّة برده.

وفي القاموس: تسبّخ الحرّ: فتر وسكن كسبخ تسبيخاً. والحلوم: جمع الحلم بالكسر وهو الأناة والعقل. و«ربات الحجال»: النساء، أي صواحبها أو اللاتي ربين فيها. وفي بعض النسخ بنصب «الحلوم والعقول» ففي الكلام تقدير، أي: يا ذوي حلوم الأطفال، وذوي عقول النساء. وفي بعضها بضمها أي: حلومكم حلوم الأطفال، وعقولكم عقول النساء.

قوله عليه السلام: «معرفة» يمكن أن يكون فعله محذوفاً، أي: عرفتكم معرفة. «أعقبت ذمّاً»

أي: ذمي إياكم أو إياها. وفي بعض النسخ «سدماً» وهو بالتحريك الهم أو مع ندم أو غيظ. و«مقاتلة الله» كناية عن اللعن والإبعاد. و«القيح»: الصديد بلا دم.

قوله عليه السلام: «وشحنتم» أي ملأتم. و«النغب»: جمع نغبة وهي الجرعة. و«التهمام» بفتح التاء: الهمّ. «أنفاساً» أي جرعة جرعة.

قوله عليه السلام: «لله أبوهم» كلمة مدح، ولعلّها استعملت هنا للتعجب. و«المراس» بالكسر: العلاج. والضمائر الثلاثة للحرب وهي مؤنّثة وقد تذكر.

قوله عليه السلام: «ذرّفت» بتشديد الراء أي: زدت.

٩٣٣ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام: أيّها الناس! المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء. تقولون في المجالس: كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم، حيدي حياد.

ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل دفاع ذي الدَّيْن المطول. لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلاّ بالجدّ.

أيَّ دار بعد داركم تمنعون! ومع أي إمام بعدي تقاتلون! المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسّهم الأخيب، ومن رمي بكم فقد رمى بأفوق ناصل. أصبحت والله لا أُصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدوّ بكم. ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبّكم؟ القوم رجال أمثالكم. أقولاً بغير علم؟ وغفلةً من غير ورع؟ وطمعاً في غير حقّ![1].

٩٣٤ - **شا:** ومن كلامه عليه السلام في استبطاء من قعد عن نصرته: أيّها الناس المجتمعة أبدانهم، وساق الخطبة الشريفة إلى قوله: وفعلكم يُطمع فيكم عدوّكم المرتاب.

ثمّ ساقها إلى قوله: «سألتموني التأخير دفاع ذي الدين». ثم ساق الكلام إلى قوله: «أطمع في نصرتكم فرّق الله بيني وبينكم، وأبدلني بكم من هو خير لي منكم. والله لوددت أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلاً من بني فراس بن غنم، صرف الدينار بالدرهم[2].

بيان: قال الشّراح: لمّا سمع معاوية اختلاف الناس على عليّ عليه السلام، وتفرّقهم عنه، وقتله من قتل من الخوارج، بعث الضّحاك بن قيس في أربعة آلاف وأوعز إليه بالنّهب والغارة، فأقبل الضّحاك يقتل وينهب حتى مرّ بالثّعلبية وأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، وقتل عمرو بن عُميس بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقتل معه ناساً من أصحابه، فلما بلغ ذلك عليّاً عليه السلام، استصرخ أصحابه واستشارهم إلى لقاء العدوّ، فتلكّأوا ورأى منهم فشلاً، فخطبهم بهذه الخطبة.

والوهي: الضّعف. وهي الحجر والسّقاء - كوقي - أي: انشقّ. وأوهاه: شقّقه والصمّ

---

(١) نهج البلاغة، ص ٩٥ خ ٢٩.

(٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٤٦.

والصلاب من أوصاف الحجارة. والصخرة الصمّاء: التي ليس فيها صدع ولا خرق. و«كيت وكيت» كناية عن القول.

قوله عليه السلام: «حيدي حياد» قال ابن أبي الحديد: هي كلمة يقولها الهارب الفارّ، وهي نظير قولهم: فيحي فياح أي اتّسعي.

وقال ابن ميثم: حياد: اسم للغارة، والمعنى: اعدلي عنّا أيّتها الحرب. ويحتمل أن يكون حياد من أسماء الأفعال كنزال فيكون قد أمر بالتّنحي مرّتين بلفظين مختلفين.

أقول: قسم السّيد الرّضي رحمه الله صيغة «فعال» المبنيّ إلى أربعة أقسام، وعدّ منها ما كانت صفةً للمؤنّث غير لازمة للنداء، وعدّ من هذا القسم «حياد وفياح» وقال: معنى حيدي حياد: أي ارجعي يا راجعة. وجعل حذف حرف النّداء عن «حياد» وأمثالها دليلاً على أنّها أعلام للأجناس، وحينئذ لا يكون «حياد» اسماً للغارة ولا بمعنى الأمر، وهي وأمثالها مبنيّة على الكسر. والعزّة: الغلبة والشدّة وفي الإسناد إلى الدّعوة توسّع.

قوله عليه السلام: «ولا استراح»: أي ما وجد الراحة. و«قاساه»: كابده. والباء في قوله عليه السلام: «بأضاليل» متعلّقة بـ«أعاليل»: أي يتعلّلون بالأضاليل التي لا جدوى لها.

وقال ابن ميثم رحمه الله: «أعاليل وأضاليل»: جمع أعلال وأضلال، وهما جمع علّة اسم ما يتعلّل به من مرض وغيره. وضلّة: اسم الضّلال وهو خبر مبتدأ محذوف، أي: إذا دعوتكم إلى القتال تعلّلتم، وهي أعاليل باطلة مضلّة عن سبيل الله.

قوله عليه السلام: «دفاع» قال ابن ميثم: يحتمل أن يكون تشبيهاً لدفاعهم بدفاع ذي الدين المطول، فيكون منصوباً بحذف الجار. ويحتمل أن يكون استعارةً لدفاعهم ليكون مرفوعاً. و«المطول»: كثير المطال، وهو تطويل الوعد وتسويفه. و«الضيم»: الظلم.

قوله عليه السلام: «أيّ دار بعد داركم» أي: دار الإسلام أو العراق، أي: إذا أخرجكم العدوّ عن دياركم ومساكنكم فعن أيّ دار أو في أيّ دار تمنعونهم؟

وفي بعض النسخ: «تمتّعون» على التفعّل بحذف إحدى التائين، أي: بأيّ دار تنتفعون.

قوله عليه السلام: «المغرور» أي: الكامل الغرور. أو ليس المغرور إلاّ من غررتموه. والتّعبير عن الابتلاء بهم بالفوز على التهكّم.

وقال ابن ميثم: و«الأخيب»: أشدّ خيبةً وهي الحرمان. و«السهم الأخيب»: التي لا غنم لها في الميسر، كالثلاثة المسماة بالأوغاد، أو التي فيها غرم، كالتي لم تخرج حتى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم وخيبة. ويكون إطلاق الفوز على حصولها مجازاً من باب إطلاق أحد الضدّين على الآخر.

و«الأفوق»: السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه. و«الناصل»: الذي لا نصل

فيه. والإيعاد والوعيد في الشّر غالباً كالوعد والعدة في الخير. وعدم الإيعاد إمّا لعدم الطمع في نصرهم، أو لعدم خوف العدوّ منهم. والبال: الحال والشأن.

قوله عليه السلام: «ما طبكم»: أي ما علاجكم. وقيل أي: ما عادتكم. قوله عليه السلام: «أقولاً بغير علم»: نصب المصادر بالأفعال المقدّرة وقولهم بغير علم هو قولهم: «إنّا نفعل بالخصوم كذا وكذا» مع أنّه لم يكن في قلوبهم إرادة الحرب، أو دعواهم الإيمان والطاعة مع عدم الإطاعة، فكأنّهم لا يذعنون بما يقولون.

وفي بعض النسخ: «أقولاً بغير عمل» وهو أظهر. و«غفلةً» أي عمّا يصلحكم. «من غير ورع» يحجزكم عن محارم الله وينبّهكم عن الغفلة. وفي بعض النسخ: «وعفّة من غير ورع، وطمعاً في غير حقّ» ولعلّه عليه السلام كان علم أنّ سبب تسويف بعضهم، هو طمعهم في أن يعطيهم زيادةً على ما يستحقّونه كما فعل معاوية والخلفاء قبله.

٩٣٥ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام: أُفٍّ لكم! لقد سئمت عتابكم. أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً وبالذلّ من العزّ خلفاً! إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم، كأنّكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة. يُرتج عليكم حواري فتعمهون؛ فكأنّ قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون. ما أنتم لي بثقة سجيس اللّيالي، وما أنتم بركن يمال بكم ولا زوافر عزّ يفتقر إليكم. ما أنتم إلاّ كإبل ضلّ رعاتها، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر.

لبئس - لعمرو الله - سعر نار الحرب أنتم! تُكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون. لا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون[1] غلب والله المتخاذلون.

وأيم الله، إنّي لأظنّ بكم أن لو حمس الوغا، واستحرّ الموت، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس عن الجسد.

والله إن امرءاً يمكّن عدوّه من نفسه، يعرق لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك إن شئت، فأمّا أنا فوالله دون أن أُعطي ذلك ضرب بالمشرفيّة يطير منه فراش الهام، وتطيح السّواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

أيّها الناس! إنّ لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حقّ. فأمّا حقّكم عليّ فالنّصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعملوا[2]. وأمّا حقّي عليكم، فالوفاء بالبيعة، والنّصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم[3].

---

(١) في نسخة ثانية: لا هون.
(٢) في نسخة ثانية: تعلموا.
(٣) نهج البلاغة، ص ١٠٥ خ ٣٤.

بيان: روي أنّه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج، بالنهروان فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أمّا بعد فإنّ الله تعالى قد أحسن نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشام. فقالوا له: قد نفدت نبالنا، وكلّت سيوفنا، ارجع بنا إلى مصرنا لنصلح عُدّتنا، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منّا لنستعين به.

فأجابهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾(١) فتلكّأوا عليه وقالوا: إنّ البرد شديد. فقال لهم: إنّهم يجدون البرد كما تجدون، ثمّ تلا قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾(٢).

فقام ناس منهم واعتذروا بكثرة الجراح في الناس، وطلبوا منه أن يرجع بهم إلى الكوفة أيّاماً ثمّ يخرج بهم. فرجع بهم غير راضٍ بما اقترحوا وأنزلهم النخيلة، وأمرهم أن يلزموا معسكرهم، ويقلّوا زيارة أهلهم، فلم يقبلوا ودخلوا الكوفة حتى لم يبق معه إلاّ قليل، فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس فقال:

أيّها الناس! استعدوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحقّ لا يبصرونه، موزعين بالجور والظّلم لا يعدلون به، وجُفاةٌ عن الكتاب، نُكب عن الدين، يعمهون في الطّغيان، ويتسكّعون في غمرة الضّلالة، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل، وتوكّلوا على الله وكفى بالله وكيلاً. فتركهم أيّاماً ثمّ خطبهم بهذه الخطبة.

و «أُفّ» بالضمّ والتّشديد والتّنوين: كلمة تضجّر وتكرّه، ولغاتها أربعون، منها: كسر الفاء كما في بعض النّسخ.

وقوله عليه السلام: «عوضاً» و«خلفاً» نصبهما على التّميز. ودوران أعينهم: إمّا للخوف من العدوّ، أو للحيرة والتّردّد بين مخالفته عليه السلام والإقدام على الحرب، وفي كليهما خطر عندهم. والغمرة: الشّدّة. وغمرات الموت: سكراته التي يغمر فيها العقل. والسكر - بالفتح - ضدّ الصّحو، والاسم بالضّمّ. وسكرة الموت: شدّته وغشيته. وفي الكلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾(٣).

«يرتج عليكم حواري» أي يغلق عليكم محاورتي ومخاطبتي. والألس: الجنون واختلاط العقل، يقال: ألس فهو مألوس.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

و«سجيس الليالي»: كلمة يقال للأبد، تقول: لا أفعله سجيس الليالي، أي: أبداً. و«يمال بكم»: أي يستند إليكم ويمال بكم إلى العدوّ، أو الباء بمعنى إلى.

وزوافر الرجل: أنصاره وعشيرته، وزفرت الحمل: حملته. ولفظة «زوافر» في أكثر النسخ بالجرّ عطفاً على المجرور. وفي بعضها بالنّصب عطفاً على الظّرف.

والإبل: اسم للجمع. و«ضلّ رُعاتها»: أي ضاع وفقد من يعلم حالها والحيلة في جمعها، أو لم يهتد من يرعاها إلى طريق جمعها.

«لبئس لعمرو الله»: اللّام جواب القسم، والتكرير للتأكيد، والعمرو - بالفتح -: العمر وهو قسم ببقاء الله. والسعر اسم جمع لساعر، وإسعار النّار وسعرها: إيقادها.

والامتعاض: الغضب. و«أيم» مخفّف أيمن. وهو جمع يمين، أي أيم الله قسمي، و«حمس» - كفرح - اشتدّ. و«الوغا» الأصوات والجلبة، ومنه قيل للحرب وغا. و«استحرّ الموت»: أي اشتدّ وكثر.

قوله عليه السلام: «قد انفرجتم»: أي تفرّقتم. وانفراج الرأس مَثَل لشدّة التفرّق.

قيل: أوّل من تكلم به أكثم بن صيفي في وصيّة له لبنيه قال: يا بنيّ لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس فإنّكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ. وفي معناه أقوال:

الأول: قال ابن دريد: معناه أنّ الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود إليه.

الثاني: قال المفضل: الرأس اسم رجل تنسب إليه قرية من قرى الشام يقال لها: بيت الرأس، وفيها تباع الخمر، وهذا الرجل قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد فضرب به المثل.

الثالث: قال بعضهم: معناه أنّ الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض، كان بعيداً عن الالتئام والعود إلى الصحّة.

الرابع: قيل معناه: انفرجتم عنّي رأساً. ورُدّ بأنّ «رأساً» لا يعرّف.

الخامس: قيل: المعنى انفراج الرأس من أدنى رأسه إلى غيره ثمّ حرف رأسه عنه.

السادس: قيل: الرأس الرجل العزيز؛ لأنّ الأعزّاء لا يبالون بمفارقة أحد.

السابع: معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع، فإنّه في غاية الشّدة ونحوه قوله عليه السلام في موضع آخر: «انفراج المرأة عن قُبُلها». وبعده واضح.

وعرق اللحم - كنصر -: أكله ولم يبق منه على العظم شيئاً. وهشم العظم - كضرب - كسره. وفريت الشيء: قطعته. و«الجوانح»: الأضلاع التي تحت الترائب، وهي مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظّهر. «وما ضمّت عليه»: هو القلب. والمذكورات كنايات عن النهب والأسر والاستئصال وأنواع الضرر.

قوله عليه السلام: «فكن ذاك إن شئت» قال ابن أبي الحديد: خاطب من يمكّن عدوّه من نفسه

خطاباً عاماً، لكن الرواية وردت بأنّه عليه السلام خاطب بذلك الأشعث بن قيس، فإنّه قال لعليّ عليه السلام حين كان يلوم الناس على تقاعدهم عنه -: «هلاّ فعلت فعل ابن عفّان!». فقال: «إنّ فعل ابن عفّان مخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه، إنّ امرأ مكّن عدوّه من نفسه، يهشم عظمه، ويفري جلده لضعيف رأيه، مأفون عقله، فكن ذاك إن أحببت. فأمّا أنا فدون أن أعطي ذاك ضرب بالمشرفيّة» إلى آخر الفصل. انتهى.

أقول: سيأتي تمام القول برواية المفيد.

قوله عليه السلام: «فأمّا أنا فوالله»: الظاهر أنّ خبر «أنا» الجملة التي خبرها «دون»، والمبتدأ هو قوله: «ضرب». وقوله: «ذلك» إشارة إلى تمكين العدوّ، أو فعل ما فعله عثمان.

والمشرفيّة بفتح الميم والراء: سيوف منسوبة إلى مشارف اليمن. وفراش الهام: العظام الرقيقة تلي القحف. وطاح يطيح أي: سقط. وأوزعه بالشيء: أغراه. وسكع كمنع وفرح - مشى مشياً متعسفاً لا يدري أين يأخذ من بلاد الله وتحيّر كتسكّع.

قوله عليه السلام: «كيلا تجهلوا»: أي كي لا تبقوا على الجهالة.

٩٣٦ - ٩٣٧ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام في ذمّ أصحابه:

كم أُداريكم كما تدارى البكار العمدة، والثياب المتداعية، كلما حيصت من جانب، تهتكت من أخرى. أكلّما أظلّ عليكم منسر من مناسر أهل الشام، أغلق كلّ رجل منكم بابه، وانجحر انجحار الضّبة في جحرها، والضّبع في وجارها، الذّليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

إنكم والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرّايات. وإنّي لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكنّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي، أضرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم، لا تعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحقّ[1].

وقال عليه السلام في سُحْرَة اليوم الذي ضُرب فيه: ملكتني عيني وأنا جالس، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أُمّتك من الأود واللدد. فقال: «ادع عليهم». فقلت: أبدلني الله بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شرّاً لهم منّي.

قال السيد الرضيّ رحمه الله: يعني عليه السلام بـ «الأود»: الاعوجاج، وبـ «اللدد»: الخصام. وهذا من أفصح الكلام.

إيضاح: البكار بالكسر، جمع بكر بالفتح، وهو الفتي من الإبل. والعمدة بكسر الميم من العمد وهو: الورم والدبر. وقيل العمدة: التي كسرها ثقل حملها. وقيل: التي قد انشدخت أسنمتها من داخل وظاهرها صحيح. والثياب المتداعية: الخلقة التي تتخرق،

(١) نهج البلاغة، ص ١٤٢ خ ٦٨.

فكأنّه يدعو الباقي إلى الانخراق. وحاص الثوب يحوصه حوصاً: خاطه. وتهتكت أي: تخرّقت. و«أظلّ عليكم»: أي أقبل إليكم ودنا منكم. وفي بعض النّسخ: «أطلّ عليكم» - بالمهملة -: أي أشرف.

والمنسر - كمجلس وكمنبر -: القطعة من الجيش تمر قدّام الجيش الكثير: والجحر - بالضمّ -: كلّ شيء يحتفره السباع والهوامّ لأنفسها. وجحر الضّب - كمنع - أي: دخله. وجحره غيره: أدخله فانجحر وتجحّر وكذلك أجحره. والضّبع مؤنّثة ووجارها - بالكسر -: جحرها. والأفوق: المكسور الفوق والنّاصل: المنزوع النصل. والباحة: الساحة. والراية العلم. والأود - بالتحريك -: العوج. والمراد بما يصلحهم: إقامة مراسم السياسة فيهم من القتل والتعذيب والحيل والتدابير المخالفة لأمر الله تعالى.

والضراعة: الذلّ والاستكانة. والتّعس: الهلاك والانحطاط. والجَدّ: البخت والحظّ. والغرض، الدعاء عليهم بالخزي والخيبة.

قوله عليه السلام: «لا تعرفون الحقّ»: المراد بالحقّ؛ إمّا أوامر الله تعالى، أو أمور الآخرة. وبالباطل: زخارف الدّنيا. أو الحقّ متابعته عليه السلام ونصره. والباطل: عصيانه وترك نصرته، أو الحقّ: الدّلائل الدّالة على فرض طاعته، والباطل: الشُّبه الفاسدة، كشبهتهم في حظر قتال أهل القبلة.

والمراد بالمعرفة: إمّا العلم أو العمل بما يقتضيه من نصرة الحقّ وإنكار المنكر. والسُحرة - بالضمّ -: السحر الأعلى. وملك العين: كناية عن غلبة النّوم. و«سنح لي» أي: رأيته في المنام، أو مرّ بي معترضاً. وبناء التّفضيل في قوله عليه السلام: «شراً» على اعتقاد القوم، فإنّهم لمّا لم يطيعوه حقّ الطاعة، فكأنّهم زعموا فيه شراً.

٩٣٨ - **نهج:** من كلام له عليه السلام: «ولئن أمهل الله الظالم، فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشّجى من مساغ ريقه».

أما والذي نفسي بيده، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنّهم أولى بالحقّ منكم، ولكن؛ لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقّي.

ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رُعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيّتي.

استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرّاً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كغيّاب! وعبيد كأرباب! أتلو عليكم الحِكَم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها، وأحثّكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرّقين أيادي سبأ، ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم، أقوّمكم غُدوةً وترجعون إليّ عشيةً كظهر الحنيّة[1] عجز المقوّم وأعضل المقوَّم.

---

(١) في نسخة ثانية: الحيّة.

أيّها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم! صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لوددت والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدرهم، فأخذ منّي عشرةً منكم وأعطاني رجلاً منهم.

يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث واثنتين: صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللّقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء.

تربت أيديكم! يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلّما جمعت من جانب تفرّقت من جانب آخر، والله لكأنّي بكم فيما إخال لو حمس الوغى، وحمي الضّراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قُبُلها. وإنّي لعلى بيّنة من ربّي، ومنهاج من نبيّي، وإنّي لعلى الطريق الواضح ألقُطُهُ لقطاً. انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً ولن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا.

لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحداً منكم يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غُبراً، وقد باتوا سُجّداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله سبحانه هملت أعينهم حتى تبلّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشّجر يوم الرّيح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء الثواب[1].

تبيان: قوله عليه السلام: «فلن يفوت»: المفعول محذوف أي: فلن يفوته. والأخذ: التّناول والعقوبة. والمرصاد: الطريق يرصد بها. والشّجى: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره، وموضع الشجى هو الحلق. ومساغ ريقه: موضع إساغته. وساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق. وسغت الشراب يتعدّى ولا يتعدّى. وهذا الكلام منه عليه السلام إمّا تهديد لأهل الشام أو لأصحابه، كما سيأتي من نسبة الظلم إليهم.

وظهر عليه: غلبه وراعي القوم: من ولي عليهم. والاستنفار. الاستنجاد والاستنصار أو طلب النفور والإسراع إلى القتال.

قوله عليه السلام: «وعبيد كأرباب»: أي أخلاقكم أخلاق العبيد من الخلاف والنفاق ودناءة الأنفس، وفيكم مع ذلك كبر السادات وتيههم وعدم إطاعتهم، أو حكمكم حكم العبيد في وجوب الإطاعة وتأبون عنها كالسّادة.

و«أيادي سبأ»: مثل يضرب للمتفرّقين، وأصله قوله تعالى عن أهل سبأ: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ وسبأ مهموز يصرف ولا يصرف، ويمدّ ولا يمدّ، وهو بلدة «بلقيس» ولقب ابن

(١) نهج البلاغة، ص ٢١٥ خ ٩٦.

يشجب بن يعرب يقال: ذهبوا أيدي سبأ وأيادي سبأ - الياء ساكنة وكذلك الألف هكذا نقل المثل - أي متفرّقين، وهما اسمان جعلا واحداً، مثل معد يكرب ضرب المثل بهم لأنّهم لمّا غرق مكانهم وذهبت جنّاتهم تبدّدوا في البلاد، ولهم قصّة غريبة مذكورة في كتب الأمثال.

قوله عليه السلام: «وتتخادعون» المخادعة، هي الاستغفال عن المصلحة، أي إذا رجعتم عن مجلس الوعظ أخذ كلّ منكم يستغفل صاحبه ويشغله بالأحاديث، وإن لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صورة المخادعة. كذا ذكره ابن ميثم.

وقال ابن أبي الحديد: تتخادعون عن مواعظكم أي تمسكون عن الاتّعاظ من قولهم: كان فلان يعطي ثمّ خدع أي أمسك وأقلع. ويجوز أن يريد تتلوّنون وتختلفون في قبول الوعظ من قولهم: خلق فلان خلق خادع أي: متلوّن. وسوق خادعة أي: متلوّنة مختلفة.

ولا يجوز أن يراد المعنى المشهور منها، لأنّه إنّما يقال: فلان يتخادع فلاناً إذا كان يريد أن ينخدع له وليس بمنخدع في الحقيقة، وهذا لا يناسب المقام.

والحنيّة على فعيلة: القوس، أي ترجعون إليّ معوجّاً كاعوجاج ظهر القوس وأعضل وأشكل، وكأنّ غيبة عقولهم كناية عن تركهم العمل بما تقتضيه، أو عن ذهابها.

قوله عليه السلام: «منيت»: أي ابتليت. وإنّما لم يجمع الخمس لكون الثلاث من جنس والاثنتين من جنس آخر أو لأنّ الثلاث إيجابية دون الاثنتين. والحرّ: خلاف العبد والخيار من كلّ شيء. واللقاء: ملاقاة الأحباب أو العدوّ.

وقوله عليه السلام: «تربت أيديكم» كلمة يدعى على الإنسان بها: أي لا أصبتم خيراً. وأصل «ترب» أصابه التراب، فكأنّه يدعى عليه بأن يفتقر.

وقال ابن الأثير في مادة «ترب» من كتاب النهاية: هذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب، ولا وقوع الأمر بها، كما يقولون: قاتله الله. وقيل: معنى لله درّك. قال: وكثيراً ترد للعرب ألفاظ ظاهرها الذمّ وإنّما يريدون بها المدح، كقولهم: لا أب لك، ولا أمّ لك.. وهوت أمّه. ولا أرض لك. ونحو ذلك.

وقال المطرّزي في قولهم: «كأنّي بك تنحط» الأصل: كأنّي أبصرك تنحط ثمّ حذف الفعل وزيدت الباء. ويحتمل أن يكون الباء متعلّقاً بملتصق ونحوه، نحو «به داء» أو بمعنى في.

وخال الشيء: يخاله أي ظنّه. وتقول: خلت إخال بالكسر، وبالفتح لغة بني أسد كما في النسخ، و«ما» مصدريّة، أي: في ظنّي. وحمس - كفرح - أي: اشتدّ. وحمي - كرضي -: اشتدّ حرّه. وانفرجتم: تفرّقتم. قال ابن ميثم: شبّه انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها ليرجعوا إلى الأنفة، وتسليم المرأة قبلها وانفراجها عنه إمّا وقت الولادة، أو وقت الطّعان.

قوله عليه السلام: «ألقطه»: كأنّه إشارة إلى أنّ الضّلال غالب على الهدى، فيحتاج السالك إلى

التقاط طريق الهدى من بين طرق الضّلالة. وفي بعض النسخ: «ألفظه لفظاً»: أي أبيّنه بياناً. والسمت: الجهة والطريق وهيئة أهل الخير.

«فإن لبدوا»: أي قعدوا عن طلب الخلافة والجهاد ولزموا البيوت فتابعوهم، وإن قاموا بها فانصروهم، يقال: لبد الشيء بالأرض - كنصر - أي: التصق بها. وقوله عليه السلام: «ولا تسبقوهم»: أي ما لم يأمروكم به. «ولا تتأخّروا عنهم»: أي لا تخالفوهم فيما يأمروكم به.

قوله عليه السلام: «يراوحون»: أي يسجدون بالجبهة مرّة وبالخدود أُخرى، ووقوفهم على مثل الجمر - وهو جمع جمرة - وهي النار المتّقدة: كناية عن قلقهم واضطرابهم من خوف المعاد. و«المعزى» بالكسر: خلاف الضأن كالمعز والمراد بـ «بين أعينهم»: جباههم مجازاً. و«هملت» أي: سالت. و«مادوا» أي تحرّكوا واضطربوا.

٩٣٩ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام في ذم العصاة من أصحابه: أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدّر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيّتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب، إن أُمهلتم[1] خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاقّة نكصتم، لا أباً لغيركم! ما تنتظرون بنصركم، والجهاد على حقّكم.

الموت أو الذّلّ لكم! فوالله لئن جاء يومي - وليأتيني - ليفرّقنّ بيني وبينكم، وأنا لصحبتكم قالٍ، وبكم غير كثير.

لله أنتم! أما دين يجمعكم، ولا حميّة تشحذكم! أوليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا أدعوكم - وأنتم تريكة الإسلام وبقيّة الناس - إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتفرّقون عنّي وتختلفون عليّ! إنّه لا يخرج إليكم من أمري رضىً فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه، وإنّ أحبّ ما أنا لاق إليّ الموت.

قد دارستكم الكتاب، وفاتحتكم الحجاج، وعرّفتكم ما أنكرتم، وسوّغتكم ما مججتم، لو كان الأعمى يلحظ، أو النائم يستيقظ! وأقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية، ومؤدّبهم ابن النابغة![2].

توضيح: قوله عليه السلام: «على ما قضى من أمر» قيل: الأمر أعمّ من أن يكون فعلاً، ولمّا كان القدر هو تفصيل القضاء وإيجاد الأشياء على وفقه، قال: «وقدّر من فعل» والابتلاء: الامتحان. وأمهله أي رفق به وأخّره.

وفي بعض النسخ: «إن أهملتم» أي تركتم، «خضتم» أي من الضلالة والأهواء الباطلة. و«خرتم» بالخاء من الخور: بمعنى الضّعف. أو من خوار الثّور بمعنى الصياح. ويروى «جرتم» بالجيم، أي: عدلتم عن الحقّ أو عن الحرب فراراً.

---

(١) في نسخة ثانية: أهملتم.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٦١ خ ١٧٨.

قوله عليه السلام : «أجتتم» : قال ابن أبي الحديد : بالهمزة الساكنة بعد الجيم المكسورة، أي: ألجئتم قال تعالى: «فأجاءها المخاض». وفي بعض النسخ: «أجبتم» على بناء المعلوم بالباء. والمشاقّة: المقاطعة والمصارمة. والنكوص: الرجوع إلى ما وراء.

قوله عليه السلام : « لا أباً لغيركم» قال ابن ميثم: أصله لا أب والألف مزيدة، إمّا لاستثقال توالي أربع حركات، أو لأنّهم قصدوا الإضافة، وأتوا باللاّم للتأكيد. وفي الدعاء بالذلّ لغيرهم نوع لطف لهم.

قوله عليه السلام : «الموت أو الذّلّ» في أكثر النّسخ برفعهما، وفي بعضها بالنصب. قال ابن أبي الحديد: وهذا دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين، كأنّه شرع داعياً عليهم بالفناء الكليّ وهو الموت، ثمّ استدرك فقال: أو الذّلّ؛ لأنّه نظير الموت، ولقد أُجيب دعاؤه بالدعوة الثانية، فإنّ شيعته ذلّوا بعده في الأيّام الأموية.

أقول: هذا على الرفع ظاهر، وأمّا على النّصب فيحتمل الدعاء أيضاً بتقدير أرجو أو أطلب، ويحتمل الاستفهام، أي: أتنتظرون الموت؟!؟

وقيل: في قوله عليه السلام : «وليأتينّي»: حشوة لطيفة بين الكلام؛ لأنّ لفظة «إن» أكثر ما تستعمل لما لا يعلم حصوله، فأتى بعدها بما يردّ ما تقتضيه من الشكّ في إتيان الموت، وأشعر بأنّ الموضع موضع «إذا». والقالي: المبغض.

قوله عليه السلام : «لله أنتم»: من قبيل لله أبوك، ولعلّه هنا للتعجّب على سبيل الذمّ، ويحتمل المدح تلطّفاً. وارتفاع قوله: «دين» بفعل مقدّر يفسّرها الفعل المذكور بعده. شحذت النصل: حددته. والطغام: أراذل الناس الواحد والجمع سواء.

ومعونة الجند: شيء يسير من المال يعطيهم الوالي لترميم أسلحتهم وإصلاح دوابّهم سوى العطاء المفروض في كلّ شهر كما قيل. ومنشأ تعجبه عليه السلام أمور:

أحدها: أنّ الداعي لهم معاوية، ولهؤلاء أمير المؤمنين، وكيف يساوي عاقل بينهما؟

وثانيها: أنّ المدعوّ هناك، الجفاة الطغام مع خلوّهم غالباً من الحميّة والمروءة، وهاهنا أصحابها الذين هم تريكة الإسلام.

وثالثها: أنّ أصحاب معاوية يتّبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأصحابه عليه السلام لا يجيبونه إلى المعونة والعطاء. فإنّ معاوية إنّما كان يعطي رؤساء القبائل الأموال الجليلة، ولا يعطي الجند على وجه العطاء والمعونة شيئاً، وهم كانوا يطيعون الرؤساء للحميّة أو العطايا من هؤلاء لهم.

والتريكة: بيضة النعامة تتركها في مجثمها، أي أنتم خلف الإسلام وبقيّته، كالبيضة التي تتركها النّعامة. وقوله عليه السلام : «إلى المعونة» متعلّق بـ قوله: «أدعوكم»..

قوله عليه السلام : «لا يخرج إليكم» أي: إنكم لا تقبلون مما أقول لكم شيئاً، سواء كان مما

يرضيكم أو مما يسخطكم. «وإلى» متعلّق بقوله: «أحبّ». ودرس الكتاب: - كنصر وضرب - أي قرأ فقوله: «دارستكم الكتاب»: أي قرأته عليكم للتعليم، وقرأتم عليّ للتعلّم.

قوله عليه السلام: «وفاتحتكم»: أي حاكمتكم بالمحاجّة والمجادلة. وساغ الشراب في الحلق أي: دخل بسهولة. ومججته من فمي: أي رميت به أي بينت لكم الأمور الدينيّة ما كنتم تنكرونه بآرائكم، وأعطيتكم من العطايا ما كنتم محرومين منها.

وكلمة «لو» في قوله عليه السلام: «لو كان»: للتمنّي أو الجزاء محذوف.

وقوله عليه السلام: «وأقرب بقوم» بصيغة التعجّب، اي ما أقربهم إلى الجهل. وقوله عليه السلام: «قائدهم معاوية»: صفة لقوم، فصل بين الصفة والموصوف بالجار والمجرور، وهو مجوّز. وورد مثله في الكلام المجيد.

٩٤٠ - **نهج**: من خطبة له عليه السلام: عباد الله، إنكم وما تأملون من هذه الدّنيا أثوياء مؤجّلون، ومدينون مقتضون، أجل منقوص، وعمل محفوظ، فربّ دائب مضيّع وربّ كادح خاسر. وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلاّ إدباراً، والشر فيه إلاّ إقبالاً، والشيطان في هلاك الناس إلاّ طمعاً، فهذا أوان قويت عدّته، وعمّت مكيدته، وأمكنت فريسته.

اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدّل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتّخذ البخل بحقّ الله وفراً، أو متمرّداً كأنّ بأذنه عن سمع المواعظ وقراً!.

أين خياركم وصلحاؤكم وأين أحراركم وسمحاؤكم؟ وأين المتورّعون في مكاسبهم، والمتنزّهون في مذاهبهم؟ أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدّنيا الدنيّة والعاجلة المنغّصة؟ وهل خلّفتم إلاّ في حُثالة لا تلتقي بذمّهم الشّفتان استصغاراً لقدرهم، وذهاباً عن ذكرهم! فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ظهر الفساد فلا منكر مغيّر، ولا زاجر مزدجر. أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه، وتكونوا أعزّ أوليائه عنده؟! هيهات! لا يُخدع الله عن جنّته، ولا تنال مرضاته إلاّ بطاعته. لعن الله الآمرين بالمعروف التّاركين له، والنّاهين عن المنكر العاملين به[1].

بيان: الأثوياء: جمع ثويّ وهو الضّيف. و«مؤجّلون»: أي مؤخّرون إلى وقت معلوم. و«المدين» المديون. و«المقتضون». جمع مقتضى على بناء المفعول.

قوله عليه السلام: «أجل منقوص»: أي أجلكم أجل منقوص يوماً بعد يوم، ولحظةً فلحظة، وعملكم عمل محفوظ عند الله.

والدائب: المجتهد ذو الجدّ والتعب. و«الكادح»: الساعي. و«أمكنت»: أي أمكنته، يقال: أمكنني الأمر أي سهل وتيسّر. وكابده مكابدةً: أي قاساه وتحمّل المشاق فيه.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٧٦ خ ١٢٧.

وذكره في هذا المقام، إمّا لأنّ الغرض بيان ما سبق من إدبار الخير وإقبال الشرّ وعموم الضلال ومقاساة الفقراء بيان للأولين، فالخير والشرّ يعمّان الدنيويّين والأُخرويّين. وإمّا لأنّ شيوع الفقر لمنع الحقوق الواجبة، أو المراد بمكابدة الفقر ترك الصبر عليه وهو أيضاً من المنكرات.

قوله عليه السلام: «بدّل نعمة الله»: أي الغنى. أو ولايته عليه السلام. والتخصيص لشدّة إنكارهم لقوتهم أو الأعمّ. والوفر: المال الكثير.

وقوله عليه السلام: «بحقّ الله» متعلّق بقوله: «البخل» أي يعدّ بخله بحقّ الله توفير المال والزيادة فيه. والوقر: ثقل الأذن.

«أين أحراركم»: أي الذين أُعتقوا من رقّ الشهوات. والتورّع مبالغة في الورع. والتنزّه: التباعد عن القبيح. وظعن - كمنع - أي سار وارتحل. وأنغص الله عليه العيش ونغّصه: كدّره، والحثالة: الرّديء من كل شيء.

قوله عليه السلام: «لا تلتقي بذمّهم»: أي إنّهم أحقر من أن يشتغل الإنسان بذمّهم؛ لأنّه لا بدّ في الذمّ من إطباق إحدى الشفتين على الأُخرى «وذهاباً» أي ترفّعاً يقال: فلان ذهب بنفسه عن كذا، أي رفعها عنه.

«ولا زاجر مزدجر»: أي من يزجر غيره عن القبائح وتمتنع نفسه أيضاً عنها.

قوله «في دار قدسه» أي الجنّة، لأنّ أهلها يقدّسونه تعالى وهم منزّهون عن العيوب، ومجاورة الله: سكون تلك الدّار المنسوبة إليه سبحانه تشريفاً. وقربه: مجاورة رحمته.

«هيهات» أي بُعد ما تريدون. « لا يخدع الله عن جنّته» أي: لا يمكن أخذها منه تعالى بالخديعة. والمرضاة: الرّضا.

وآخر الكلام يدلّ على اشتراط الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بالعمل بهما، وسيأتي الكلام فيه في محلّه إن شاء الله. ولعلّ غرضه عليه السلام التّعريض بالسابقين الغاصبين.

٩٤١ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام: أرسله داعياً إلى الحقّ، وشاهداً على الخلق فبلّغ رسالات ربّه غير وانٍ ولا مقصّر، وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذّر، فهو إمام من اتّقى، وبصر من اهتدى.

ومنها: ولو تعلمون ما أعلم مما طُوي عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصُعُدات تبكون على أعمالكم، وتلتدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمّت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها. ولكنكم نسيتم ما ذُكّرتم، وأمنتم ما حُذرتم، فتاه عنكم رأيكم وتشتّت عليكم أمركم. لوددت أنّ الله فرّق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحقّ بي منكم، قوم - والله - ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ، متاريك للبغي مضوا قُدماً على الطريقة، وأوجفوا على المحجّة، فظفروا بالعقبى الدّائمة والكرامة الباردة.

أما والله ليسلطنّ عليكم غلام ثقيف، الذّيال الميّال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم، إيهٍ أبا وذحة.

قال السيد رضي الله عنه: الوذحة: الخنفساء، وهذا القول يومئ به إلى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره[1].

توضيح: الواني: الفاتر الكالّ. والواهن: الضّعيف. والمعذّر: الذي يعتذر من تقصيره من غير عذر كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾[2].

قوله عليه السلام: «ما طُوي عنكم» أي كتم وأُخفي. وقال ابن الأثير في مادة «صعد» من كتاب النهاية: وفيه: «إيّاكم والقعود بالصعدات»: هي الطرق، وهي جمع صُعُد، وصُعُد جمع صَعيد كطريق وطُرُق وطرقات. وقيل: جمع صعدة كظلمة، وهي فناء باب الدّار وممرّ الناس بين يديه. ومنه الحديث: «ولخرجتم إلى الصّعدات تجأرون إلى الله».

وقال ابن أبي الحديد: الصعيد: التراب. ويقال وجه الأرض. والجمع: صُعُد وصُعُدات. وقال الفيروز آبادي في القاموس: الصعيد: التراب أو وجه الأرض، والجمع: صُعُد وصُعُدات. والطريق، ومنه: «إيّاكم والقعود بالصّعدات»، والقبر. انتهى.

فالمعنى: خرجتم عن البيوت وتركتم الاستراحة والجلوس على الفرش، للقلق والانزعاج، وجلستم في الطّرق أو على التراب أو لازمتم القبور. والالتدام: ضرب النساء وجوههنّ في النّياحة. قوله عليه السلام: «ولا خالف» أي ولا مستخلف عليها.

قوله عليه السلام: «ولهمّت» قال ابن أبي الحديد: أي أذابته وأنحلته من قولهم: هممت الشحم: أي أذبته. ويروى «ولأهمّت» وهو أصحّ من قولهم: أهمّني الأمر: أي أحزنني.

وفيه نظر، لأنّ «همّ» أيضاً يكون بمعنى «أهمّ». قال الفيروزآبادي في القاموس: همّه الأمر همّاً: حزنه، كأهمّه فاهتمّ انتهى. وكلمة «كلّ» منصوب على المفعولية والفاعل لفظة: «نفسه». ويقال: تاه فلان يتيه، إذا تحيّر وضلّ. وتاه يتوه أي هلك واضطرب عقله. وتشتّت: أي تفرّق. والمراد بمن هو أحقّ به عليه السلام هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وحمزة وجعفر، ومن لم يفارق الحق من الصحابة.

والمراجيح: الحكماء. وقال الجوهري: راجحته فرجحته: أي كنت أرزن منه، ومنه قوم مراجيح الحلم. انتهى. والمقاويل: جمع مقول: أي حسن القول أو كثيره. والمتاريك: جمع متراك أي كثير الترك.

قوله عليه السلام: «مضوا قدماً» بالضمّ وبضمّتين: أي متقدّمين لا ينثنون. و«وأجفوا»: أي أسرعوا. و«الكرامة الباردة»: هي التي ليس فيها حرّ تعب، ولا مشقّة حرب.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٥٦ خ ١١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٠.

و«الذّيال»: هو الذي يجرّ ذيله على الأرض تبختراً، يقال: ذال فلان وتذيّل: أي تبختر. و«الميّال»: الظّالم.

قوله عليه السلام: «يأكل خضرتكم» أي يستأصل أموالكم. و«الخضرة» بفتح الخاء وكسر الضاد: الزرع والبقلة الخضراء والغصن. وإذابة الشحمة مثله كما قيل، والمراد تعذيب الأبدان. قوله عليه السلام: «إيه أبا وذحة»: إيه: كلمة استزادة أي زد وهات.

وقال ابن أبي الحديد في قول السيد «الوذحة الخنفساء»: أقول: لم أسمع هذا من شيخ من أهل اللغة، ولا وجدته في كتاب من كتب اللغة، والمشهور أنّ الوذح هو ما يتعلّق بأذناب الشّاة من أبعارها فيجفّ.

ثمّ إنّ المفسّرين بعد الرضي رحمه الله قالوا في قصّة هذا الخنفساء وجوهاً:

منها أنّ الحجّاج رأى خنفساء تدبّ إلى مصلاّه فطردها، فعادت، ثمّ طردها فعادت، فأخذها بيده فقرصته قرصاً، ورمت يده منه ورماً كان فيه حتفه. قتله الله تعالى بأهون خلقه كما قتل نمرود بن كنعان بالبقّة.

ومنها أنّ الحجاج كان إذا رأى خنفساء، يأمر بإبعادها ويقول: هذه وذحة من وذح الشيطان، تشبيهاً بالبعرة المعلّقة بذنب الشاة.

ومنها أنّه رأى خنفساوات مجتمعات، فقال: واعجباً! لمن يقول: إنّ الله خلق هذه! قيل: فمن خلقها أيّها الأمير! قال: الشيطان، إنّ ربكم لأعظم شأناً من أن يخلق هذه الوذح. قالوا: فجمعها على «فعل» كبدنة وبدن، فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره فأكفروه.

ومنها: أنّ الحجّاج كان مثفاراً: أي ذا أُبنة، وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها في الموضع حكاكه. قالوا: ولا يكون صاحب هذا الدّاء إلاّ شانئاً مبغضاً لأهل البيت عليهم السلام. قالوا: ولسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء، بل نقول: كلّ من فيه هذا الدّاء فهو مبغض.

قالوا: وقد روى أبو عمر الزاهد - ولم يكن من رجال الشيعة - في أماليه وأحاديثه عن السّياري، عن أبي خزيمة الكاتب قال: ما فتّشنا أحداً فيه هذا الداء، إلاّ وجدناه ناصبياً.

قال أبو عمر: وأخبرني العطافي عن رجاله، قالوا: سئل جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن هذا الصّنف من النّاس، فقال: لهم رحم منكوسة، يؤتى ولا يأتي. وما كانت هذه الخصلة في وليّ الله تعالى أبداً قطّ، ولا تكون أبداً وإنّما كانت في الفسّاق والكفّار والنّاصب للطّاهرين.

وكان أبو جهل بن هشام المخزومي من القوم، وكان أشدّ الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله. قالوا: ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر: يا مصفّر استه. ثم قال ابن أبي الحديد: ويغلب على ظنّي أنه عليه السلام أراد معنىً آخر، وذلك أنّ عادة العرب أن تكنّي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التّعظيم، وإذا أرادت تحقيره كنّته بما يستحقر ويستهان به،

كقولهم في كنية يزيد بن معاوية لعنه الله: أبو زنّة، يعنون القرد. وكقولهم في كنية سعيد بن حفص البخاري المحدّث: أبو الفار. وكقولهم للطفيلي: أبو لقمة. وكقولهم لعبد الملك: أبو الذبّان لبَخَره. وكقول ابن بسّام لبعض الرؤساء:

فأنت لعمري أبو جعفر ولكننا نحذف الفاء منه

وقال أيضاً:

لئيم دَرِنُ الثوب نظيف القصب والقدر
أبو النتن أبو الدفر أبو البعر أبو الجعر

فلنجاسته بالذّنوب والمعاصي، كنّاه أمير المؤمنين عليه السلام أبا وذحة.

ويمكن أن يكنّيه بذلك لدمامته في نفسه، وحقارة منظره، وتشويه خلقته، فإنّه كان دميماً قصيراً سخيفاً، أخفش العينين معوجّ الساقين قصير الساعدين، مجدور الوجه أصلع الرأس، فكنّاه بأحقر الأشياء وهو البعرة. وقد روى قوم هذه اللفظة بصيغة أخرى، قالوا: «إيه ابا ودجة» قالوا: هي واحدة الأوداج كنّاه بذلك؛ لأنّه كان قتّالاً يقطع الأوداج بالسيف.

ورواه قوم «أبا وحرة» بالراء المهملة وهي دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر، شبّهه بها.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: وهذا وما قبله ضعيف.

وأقول: الذبّان - بكسر الذال وتشديد الباء - جمع الذباب، ومن عادته أن يجلس على المنتن. والقعب - بالفتح -: القدح الضخم والدفر - بالمهملة ثم الفاء -: النتن والذلّ. وبالقاف مصدر دقر كفرح، إذا امتلأ من الطعام. والجعر - بالفتح -: ما يبس من العذرة في المجعر: أي الدّبر.

٩٤٢ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام: وقد جمع الناس وحضّهم على الجهاد، فسكتوا ملياً، فقال عليه السلام: ما بالكم! أمخرسون أنتم!

فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك!

فقال عليه السلام: ما بالكم - لا سددتم لرشد ولا هُديتم لقصد؟ أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج! وإنّما يخرج في مثل هذا رجل ممّن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الخراج والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المسلمين المطالبين ثمّ أخرج في كتيبة أتبع أُخرى، أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ، وإنّما أنا قطب الرحا تدور عليّ، وأنا بمكاني، فإذا فارقته استحار مدارها، واضطرب ثفالها، هذا لعمر الله الرّأي السّوء.

والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدوّ - لو قد حُمّ لي لقاؤه - لقرّبت ركابي، ثمّ شخصت عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال. طعّانين عيّابين حيّادين روّاغين. إنّه لا غناء في كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم. لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا يهلك

عليها إلاّ هالك، من استقام فإلى الجنّة ومن زلّ فإلى النّار(١).

بيان: قال ابن أبي الحديد: وهذا كلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام، في بعض غارات أهل الشام على أطراف العراق، عند انقضاء أمر صفّين والنهروان.

قوله: «مليّاً» أي ساعة طويلة. وقوله عليه السلام: «لا سددتم» بالتخفيف والتشديد: دعاء عليهم بعدم السداد والاستقامة لما فيه رشدهم وصلاحهم. والقصد من الأمور: المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط.

والشّجعاء: جمع شجيع. وفي بعض النسخ: «شجعانكم» وهو بالضمّ والكسر: جمع شجاع. والبأس: الشجاعة، والكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش. والتقلقل: التحرّك. والقدح - بالكسر -: السهم. والجفير: الكنانة. وقيل: وعاء السهام أوسع من الكنانة.

والغرض من هذا التشبيه، في اضطراب الحال والانفصال عن الجنود والأعوان، بالقدح الذي لا يكون حوله قداح تمنعه من التقلقل ولا يستقرّ في مكانه.

«واستحار مدارها»: أي اضطرب. والمدار هنا مصدر. كذا ذكره ابن أبي الحديد، ولم نجده بهذا المعنى في اللغة. وقال الجوهري: المستحير: سحاب ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه. فالأنسب أن يكون كلامه عليه السلام كناية عن الوقوف عن الحركة.

والثفال: الجلد الذي يوضع عليه الرحى؛ ليسقط عليه الدقيق ويسمّى الحجر الأسفل من حجري الرحى أيضاً ثفالاً، ولعلّه أنسب.

قوله عليه السلام: «لو قد حمّ لي» على بناء المجهول: أي قُضي وقدّر. والركاب: الإبل التي يسار عليها. وشخوص المسافر: خروجه. والاختلاف: التردّد. ويحتمل أيضاً المخالفة. والغناء بالفتح والمدّ: النفع.

قوله عليه السلام: «لا يهلك عليها»: أي كائناً عليها أو بسببها. والطريق يذكّر ويؤنّث. وقوله: «من استقام» أي اعتزل ولزم الطريق الواضح. «ومن زلّ!» أي زلق وعدل عن الطريق.

٩٤٣ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام: أيّها النّاس! إنّا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يُعَدّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عتوّاً، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عمّا جهلنا، ولا نتخوّف قارعةً حتى تحلّ بنا، فالناس على أربعة أصناف:

منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض، إلاّ مهانة نفسه وكلالة حدّه ونضيض وفره.

ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشرّه والمجلب بخيله ورجله، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه، أو مقنب يقوده، أو منبر يفرعه، ولبئس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمناً، وممّا لك عند الله عوضاً. ومنهم من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل

(١) نهج البلاغة، ص ٢٥٨ خ ١١٨.

الدّنيا . قد طامن من شخصه، وقارب من خطوه، وشمّر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتّخذ الله ذريعة إلى المعصية .

ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه، وانقطاع سببه فقصرته الحال على حاله، فتحلّى باسم القناعة وتزيّن بلباس أهل الزّهادة، وليس من ذلك في مراح ولا مغدىً.

وبقي رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نادّ، وخائف مقموع، وساكت مكعوم، وداع مخلص، وثكلان موجع، قد أخملتهم التقيّة، وشملتهم الذلّة، فهم في بحر أجاج، أفواههم ضامزة، وقلوبهم قرحة، وقد وعظوا حتى ملّوا، وقهروا حتى ذلّوا، وقتلوا حتى قلّوا .

فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم من حثالة القرظ وقراضة الجلم، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم، وارفضوها ذميمة فإنّها قد رفضت من كان أشغف بها منكم[1] .

بيان: عَنَدَ عن الطريق - كنصر -: عدل ومال. والعنود فعول بمعنى فاعل. وقيل: مفاعل. والزمن اسم لقليل الوقت وكثيره. وقيل: الشديد بمعنى البخيل. وفي بعض النسخ: «وزمن كنود»: وهو الكفور. وقيل: اللوام. ووصف الزمان بتلك الأوصاف توصيف لأهله.

وعدّ المحسن مسيئاً، إمّا لعدم الإذعان بالحقّ، أو لحملهم الأفعال الجميلة على المحامل القبيحة، كزعم العابد مرائياً. والعتوّ: الاستكبار ومجاوزة الحدّ.

قوله عليه السلام : «لا ننتفع» التعبير بلفظ المتكلّم مع الغير، من قبيل: «إيّاك أعني واسمعي يا جارة» وعدم الانتفاع بالعلم لترك العمل، وعدم السؤال لعدم العلم بفضله مع عدم الرغبة في العمل به .

والقارعة: الخطب العظيم والداهية. ومهانة النفس: حقارتها. مشتقّة من «مهن» أو «هان» وكَلّ حدّ السيف وغيره، إذا وقف عن القطع.

قوله عليه السلام : «ونضيض وفره» أي قلّة ماله. وهذا القسم هم المريدون للدنيا غير القادرين عليها. والمجلب: اسم فاعل من أجلب عليهم: أي تجمّع وتألّب، وكذلك إذا صاح به واستحثّه. أجلبه: أي أعانه. والرجل: جمع راجل.

«قد أشرط نفسه» أي هيّأها وأعدّها للفساد في الأرض. والحطام: المال وأصله ما تكسّر من اليبس. والانتهاز: الاختلاس والاستلاب بقدر الإمكان. والمقنب بكسر الميم وفتح النون -: الجمع من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. و«يفرعه»: أي يعلوه.

وعمل الدّنيا: ما يفعله المكلّف فيها أو ما يصير بانضمام القربة والتوصّل به إلى الطاعة طاعة. «وقد طامن»: أي خفض. ويقال: طامن منه أي سكنه. «وقارب من خطوه»: أي لم

---

(١) نهج البلاغة، ص ٩٩ خ ٣٢.

يسرع ومشى رويداً. «وشمّر من ثوبه»: أي قصّر ثوبه أو رفعه إظهاراً لمتابعة السنّة. «وزخرف»: أي زيّن نفسه للأمانة، أي لأن يجعلوه أميناً على أموالهم وأعراضهم ويحتمل تعلّقه بالأخير وبالجميع.

قوله عليه السلام: «واتّخذ ستر الله»: أي التقوى والعمل بشرائع الدّين، فإنّ الله حرّم تتبّع عورات من ظاهره الصلاح وذكر عيوبه.

قال الكيدري في كتاب المضاف والمنسوب: ستر الله الإسلام، والشيب، والكعبة، وضمائر صدور الناس. يعني جعل ظاهر الإسلام وما يجنّه صدره، بحيث لا يطّلع عليه مخلوق وسيلةً وطريقاً إلى معصية الله. انتهى.

وأقول: يحتمل أن يكون المراد أنّه اتّخذ ستر الله على عيوبه، حيث لم يفضحه ولم يطلع الناس على بواطنه، ذريعةً إلى أن يخدع الناس.

والضئولة: الحقارة. والسبب: الحبل، وما يتوصّل به إلى غيره. والمراح: المكان الذي تأوي إليه الماشية في الليل. والمغدى: ما تأوي إليه بالغداة ولعلّ المعنى: ليس يومه كيومهم في الصوم وغيره، ولا ليله كليلهم في العبادات. والمرجع - بكسر الجيم -: مصدر أو اسم مكان، والمراد به من إليه مصير العباد أو القيامة أو الرجوع إليهما.

والمراد من قوله عليه السلام: «غضّ أبصارهم ذكر المرجع: هو غضّ البصر عن المعاصي، أو الأعمّ لخشوعهم، أو للحياء، أو غضّهم أبصار قلوبهم عمّا سوى الله.

والشريد: الطريد. والنّادّ: المنفرد والمراد به المتوحّش من الناس الذاهب في الأرض، إمّا لعدم صبره على رؤية المنكرات، أو لكثرة أذى الظالمين في الأوطان؛ لإنكاره المنكر وأشباه ذلك.

وقمعه: ضربه بالمقمعة وقهره وذلّله. والمكعوم: الذي لا يمكنه الكلام، كأنّه شُدَّ فوه من التقيّة بالكعام الذي يجعل في فم البعير عند الهياج. والثكل: الحزن على فقد الأقارب.

ولعلّ المعنى، أنّ بعضهم ترك الأوطان أو مجامع الناس لما ذكر، وبعضهم لم يترك ذلك، وينكر منكراً ثمّ يخاف مما يجري عليه بعد ذلك، ومنهم من هو بينهم ولا ينهاهم تقيّةً ومعرض عنهم ومشتغل بالدعاء، ومنهم من هو بينهم بالضرورة ويرى أعمالهم ولا يؤثّر نهيه فيهم، فهو كالثكلان الموجع. وخمل ذكره وصوته: خفي.

قوله عليه السلام: «فهم في بحر أُجاج» كناية عن عدم استمتاعهم بالدنيا، كالسابح في ماء مالح، فإنّه لا يمكنه التروي منه وشربه وإن بلغ غاية العطش.

قوله عليه السلام: «أفواههم ضامزة» بالزاي المعجمة، أي ساكنة. أو بالراء المهملة: كناية عن صومهم وعدم أكلهم من المحرّمات والشبهات.

قال الكيدري: أي ساترة خفيّة من الضمير. ويروى بالزاي: أي مشدودة بالسكوت.

«وقلوبهم قرحة» لكثرة المنكرات مع عدم تمكّنهم من إنكارها، أو لخوفهم من الله أو من الناس. و«القرظ»: ورق السلم يدبغ به. وحثالته: ما يسقط منه. و«الجلم»: المقصّ يجزّ به أوبار الإبل. وقراضته: ما يسقط من قرضه وقطعه. قوله عليه السلام: «وارفضوها ذميمة»: أي اتركوا ما حاله الحقارة والذمامة. والشغف: الحب الشديد.

٩٤٤ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام: إنّ الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جُنّة أوقى منه، ولا يغدر من علم كيف المرجع. ولقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة.

ما لهم قاتلهم الله! قد يرى الحُوّل القُلّب وجه الحيلة، ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعُها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدّين[1].

بيان: الوفاء: لزوم العهد والبقاء عليه كما ينبغي ويكون في الأفعال والأقوال. والصّدق يعمّ العهد وغيره فبينهما عموم من وجه.

وقد يقال: الوفاء في الإنشاء خاصّة والصّدق في الأخبار، ولا يجتمعان.

ويردّه صادق الوعد وإن كان مجازاً، والمراد تلازمهما غالباً مع تشاركهما في الفضل، وترتّب الآثار الحسنة.

و«المرجع»: مصدر، أي الرجوع إلى الله. أو اسم مكان. والكيس: الفطنة والذكاء. والضمير في «فيه» راجع إلى الزمان أو الغدر. و«الحوّل القلّب»: هو الذي كثر تحوّله وتقلّبه في الأمور وجرّبها وعرف وجوهها، والوجه: الجهة.

والضّمير في قوله: «دونه» يعود إليه: أي قبل الوصول إليه. أو إلى «الحوّل»: أي أمامه. وفي بعض النّسخ: «دونها» فيعود إلى الحيلة.

«رأي عين»: أي رؤية معاينة فهو منصوب على المصدر من قوله: «يدع» بتقدير موصوف: أي تركها تركاً معايناً غير ناش عن غفلة، أو منصوب على الحاليّة: أي حال كونها مرئيّةً له.

وجوّز بعضهم في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ أن يكون ظرف مكان. والحريجة: التحرّج، وهو التحرّز من الحرج والإثم. وقيل: الحريجة: التقوى.

٩٤٥ - **نهج:** من كلام له عليه السلام في ذمّ أهل العراق:

أمّا بعد يا أهل العراق، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلمّا أتمّت أملصت ومات قيّمها، وطال تأيّمها وورثها أبعدها.

أما والله ما أتيتكم اختياراً، ولكن جئت إليكم سوقاً. ولقد بلغني أنكم تقولون: «عليّ يكذب»، قاتلكم الله فعلى من أكذب أعلى الله! فأنا أوّل من آمن به! أم على نبيّه فأنا أوّل من

---

(١) نهج البلاغة، ص ١١٥ خ ٤١.

صدّقه! . كلاّ والله، ولكنّها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها، ويل أُمّه كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء! ولتعلمنّ نبأه بعد حين[١] .

توضيح: «أملصت» ألقت ولدها ميّتاً. والمملاص: معتادته. وقيّم المرأة: زوجها؛ لأنّه يقوم بأمرها. وتأيّم المرأة خلوّها من الزوج.

وقوله عليه السلام : «وورثها أبعدها»: أي من لم يكن له قرابة الولد ونحوه.

والتشبيه بالمرأة الموصوفة؛ لأنّهم تحمّلوا مشاقّ الحرب، فلمّا قرب الظّفر رضوا بالتحكيم وحرموا الظفر، وصار بعضهم خوارج وبعضهم شكّاكاً.

والمراد بالسّوق: الاضطرار، كأنّ القضاء ساقه عليه السلام إليهم، فإنّه خرج لقتال أهل الجمل، واحتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفة، واتّصلت تلك الفتن بفتنة أهل الشام، فاضطر إلى المقام بينهم. وفي بعض النّسخ: «ولا جئتكم شوقاً».

و«قاتلكم الله»: أي قتلكم الله أو لعنكم الله. و«كلاّ»، للرّدع والإنكار. أو بمعنى حقّاً واللهجة: اللسان، ويتجوّز بها عن الكلام، والمراد إمّا لهجته عليه السلام : أي إنّ ما أخبركم به أمور غابت عقولكم الضعيفة عن إدراكها ولستم أهلاً لفهمها. أو لهجة رسول الله صلى الله عليه وآله : أي سمعت كلامه صلى الله عليه وآله ، ولم تسمعوه ولو سمعتموه لم تكونوا من أهله.

والويل: حلول الشرّ أو كلمة عذاب، أو واد في جهنّم. وإضافته إلى الأمّ، دعاء عليها بأن تصاب بأولادها، من قبيل «ثكلته أمّه» والضمير في «أمّه» راجع إلى المكذّب. وقيل: الضمير راجع إلى ما دلّ عليه الكلام من العلم الذي خصّه به الرسول صلى الله عليه وآله . ويقال: هذه الكلمة قد تطلق للتعجّب والاستعظام، يقال: ويل أمّه فارساً، ومرادهم التعظيم والمدح.

و«كيلاً»: انتصب لأنّه مصدر في موضع الحال أو تمييز: أي أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً، ولا أطلب لذلك ثمناً لو وجدت حاملاً للعلم. وقيل: الكلمة تستعمل للترّحم والتعجب، والضمير راجع إلى الجاهل المكذّب، فالمفاد الترّحم عليهم لجهلهم، أو التعجّب من قوّة جهلهم، أو من كثرة كيله للحكم عليهم مع إعراضهم عنها.

وقال ابن الأثير في مادة «ويل» من كتاب النهاية: قد يرد الويل بمعنى التعجّب. ومنه الحديث: «ويل أمّه مسعر حرب» تعجّباً من شجاعته وجرأته وإقدامه، ومنه حديث علي عليه السلام : «ويلمّه كيلاً بغير ثمن لو أنّ له وعاء»: أي يكيل العلوم الجمّة بلا عوض، إلاّ أنّه لا يصادف واعياً.

وقيل: «وي»: كلمة مفردة. «وأمّه» أيضاً كلمة مفردة وهي كلمة تفجّع وتعجّب، وحذفت الهمزة من «أمّه» تخفيفاً، وأُلقيت حركتها على اللام، وينصب ما بعدها على التمييز. انتهى.

---

(١) نهج البلاغة، ص ١٤٤ خ ٧٠.

والحين - بالكسر -: الدهر أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر، والمعنى لتعلمنّ ثمرة تكذبكم وإعراضكم عمّا أبيّن لكم، وأنّي صادق فيما أقول.

٩٤٦ - **نهج:** من خطبةٍ له عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه لم يقصم جبّاري دهر قطّ، إلاّ بعد تمهيل ورخاء. ولم يجبر عظم أحد من الأمم، إلاّ بعد أزل وبلاء. وفي دون ما استقبلتم من خطب واستدبرتم من خطب معتبر، وما كلّ ذي قلب بلبيب، ولا كلّ ذي سمع بسميع، ولا كلّ ذي ناظر ببصير.

فيا عجبا! وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصّون أثر نبيّ ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفّون عن عيب يعملون في الشبهات ويسيرون في الشّهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم، كأنّ كلّ امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعُرىً وثيقات وأسباب محكمات(١).

بيان: القصم: الكسر. والتمهيل: التأخير وكذلك الإرجاء. والرّخاء: سعة العيش. والجبر: إصلاح الكسر وهو هنا كناية عن دفع الجبّارين والظالمين.

«قوله» «وفي دون»: أي في أقلّ من ذلك. والأزل بالفتح -: الضيق والشدّة.

قوله: «ما استقبلتم من خطب» أي شأن وأمر وداهية. وروي «من عتب»: أي مشقّة. قيل: يعني ما لاقوه في مستقبل زمانهم من الشيب وولاة السوء وتنكّر الوقت.

«وما استدبرتم من خطب»: يعني ما تقدّم من الحروب والوقائع التي قضوها. ويروى من «خصب»: وهو رخاء العيش. فيمكن أن يراد بالأمور المستقبلة والمستدبرة المواضي باعتبارين. قوله عليه السلام: «لا يعفون» في النسخ بالتشديد: من العفّة، فالمراد بالعيب عيوب أنفسهم، وفي بعضها بالتخفيف فالمراد عيوب غيرهم.

قوله عليه السلام: «يعملون في الشبهات» لفظة «في» بمعنى الباء، أو فيه توسّع.

قوله عليه السلام: «المعروف فيهم ما عرفوا»: أي بعقولهم وأهوائهم.

وقوله عليه السلام: «قد أخذ منها»: الضمير راجع إلى النفس أو إلى المبهمات والمعضلات.

٩٤٧ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام في خطاب أصحابه:

وقد بلغتم من كرامة الله منزلةً، تكرم بها إماؤكم، وتوصل بها جيرانكم، ويفضّلكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، ويهابكم من لا يخاف لكم سطوةً ولا لكم عليه إمرة، وقد ترون عهود الله منقوضةً فلا تغضبون، وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون. وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، فمكّنتم الظّلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمّتكم،

(١) نهج البلاغة، ص ١٨٣ خ ٨٧.

وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشّبهات ويسيرون في الشهوات.

وأيم الله لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب، لجمعكم الله لشرّ يوم لهم[1].

بيان: الوصل: ضدّ القطع والهجران. والمراد من قوله: «جيرانكم»: أي أهل الذمّة والمعاهدين، ويحتمل المجاورين في المسكن.

قوله عليه السلام: «من لا فضل لكم عليه» كتعظيم الروم والحبشة مسلمي العرب.

قوله عليه السلام: «من لا يخاف لكم سطوةً»: كالملوك في أقاصي البلاد، لما شاع وذاع من أنّهم قوم صالحون، إذا دعوا الله استجاب لهم، وينصرهم بملائكته كما قيل.

قوله عليه السلام: «وأنتم»: الواو للحال. والذمّة: العهد والأمان والضمان والحرمة والحقّ. وأنف - كفرح -: استنكف. والغرض توبيخهم على تركهم إنكار المنكرات.

والمراد بنقض العهود ما ظهر من الناكثين والقاسطين والمارقين وغيرهم من نقض البيعة وقتل المسلمين والإغارة عليهم، ولا ريب أنّ السكوت عن إنكار تلك المنكرات مع الاستنكاف عن نقض ذمم الآباء، يدلّ على أنّ عهود الله أضعف عندهم من عهود آبائهم، وهو في حدّ الكفر.

قوله عليه السلام: «وكانت أمور الله عليكم ترد»: أي وأنتم المخاطبون بالأوامر والنواهي، أو كنتم قبل ذلك في أيّام الرسول صلى الله عليه وآله، موارد أمور الله ومصادرها، مطيعين له منكرين للمنكرات. وكأنّ المراد بالورود، السؤال. وبالصدور، الجواب. وبالرجوع، التحاكم.

ويمكن تعميم الورود والصدور، فالمراد بالرجوع، رجوع النفع والضرّ في الدارين. وقيل: أي كانت أمور الله عليكم ترد: أي بتعليمي لكم، وعنكم تصدر إلى من تعلّمونه إيّاها، ثمّ إليكم ترجع بأن يتعلّمها بنوكم وإخوتكم منهم. قوله عليه السلام: «لشرّ يوم»: أي يوم ظهور المسوّدة، أو خروج المهدي عليه السلام. والجمع: في الرجعة، أو المراد جمع صنفهم.

٩٤٨ - **نهج:** ومن خطبةٍ له عليه السلام: ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله، أنّي لم أردّ على الله سبحانه ولا على رسوله ساعة قطّ، ولقد آسيته [بنفسي] في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخّر الأقدام، نجدةً أكرمني الله بها.

ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ رأسه لعلى صدري، وقد سالت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي. ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعواني، فضجّت الدّار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم، يصلّون عليه حتى واريناه في ضريحه.

فمن ذا أحقّ منّي حيّاً وميّتاً، فانفذوا على بصائركم، ولتصدق نيّاتكم في جهاد عدوّكم،

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٣٢ خ ١٠٥.

فوالذي لا إله إلاّ هو، إنّي لعلى جادّة الحقّ، وإنّهم لعلى مزلّة الباطل. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم(١).

بيان: استحفظته الشيء: أودعته عنده وسألته أن يحفظه. و«المستحفظون» - على بناء المفعول -: المطّلعون على أسرار الرسول ﷺ وسيرته، الصّادقون في الشهادة الذين لم يغيّروا ولم يبدّلوا للأغراض الدنيويّة.

وقال ابن أبي الحديد: الظاهر أنّه عليه السلام يومئ في قوله: «لم أردّ على الله...» إلى أُمور وقعت من غيره. ثمّ ذكر أموراً كثيرةً من مخالفات عمر ومعارضاته لرسول الله ﷺ.

وأيضاً قال ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السلام: «ولقد آسيته بنفسي»: يقال: واسيته [وآسيته]، وبالهمزة أفصح. وهذا مما اختصّ عليه السلام بفضيلته غير مدافع، ثبت معه يوم أُحد وفرّ الناس، وثبت معه يوم حنين وفرّ الناس، وثبت يوم خيبر حتى فتحها وفرّ من كان بعث بها قبله. انتهى. وقال الجوهري: نكص ينكِص من باب ضرب وينكُص من باب نصر: رجع. و«نجدةً» منصوب على المصدر لفعل محذوف وهي الشجاعة.

قوله عليه السلام: «وإنّ رأسه لعلى صدري»: قيل: لعلّه أسنده إلى صدره عند اشتداد علّته، أو كان رأسه ﷺ على ركبته، فيكون رأسه في صدره عند إكبابه عليه.

وقد يقال: المراد بسيلان النفس، هبوب النّفس عند انقطاع الأنفاس.

وقيل: أراد بنفسه دمه. يقال: إنّ رسول الله قاء عند وفاته دماً يسيراً، وأنّ علياً مسح بذلك وجهه. ولا ينافي ذلك نجاسة الدم؛ لجواز أن يخصّص دم الرسول ﷺ.

والضجيج: الصياح عند المكروه والجزع. والهينمة: الكلام الخفيّ لا يفهم. والصلاة: تحتمل الحقيقة والدعاء. وانتصاب قوله: «حياً وميتاً» بالحاليّة عن الضمير المجرور في (قوله): «به» لا عن الضمير في «منّي» كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: «فانفذوا» أي أسرعوا إلى الجهاد على بصيرة منكم. والمزلّة الموضع الذي يزلّ فيه الإنسان كالمزلقة.

٩٤٩ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام: أيّتها النّفوس المختلفة، والقلوب المتشتّتة الشّاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد، هيهات أن أطلع بكم سرار العدل، أو أُقيم اعوجاج الحقّ.

اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك؛ فيأمن المظلومون من عبادك؛ وتقام المعطّلة من حدودك.

(١) نهج البلاغة، ص ٤٢٤ خ ١٩٥.

اللّهم إنّي أوّل من أناب، وسمع وأجاب، لم يسبقني بالصّلاة إلاّ رسول الله ﷺ، وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون على الفروج والدّماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيلُ؛ فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلّهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدُّول فيتّخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق بها دون المقاطع، ولا المعطّل للسنّة فيهلك الأُمّة(١).

بيان: «الغائبة عنهم عقولهم»: غيبة العقول عن أربابها، أبلغ في الدلالة من غيبتها عمّن اعتبر الشهود بالنسبة إليه.

«أظأركم»: أي أعطفكم. يقال: ظأرت الناقة إذا عطفت على ولد غيرها.

وقال الجوهري: المعز من الغنم: خلاف الضأن، وهو اسم جنس، وكذلك المعزى. والوعوعة: الصوت.

قوله عليه السلام: «هيهات»: قال ابن أبي الحديد: يفسّره الناس بمعنى هيهات أن أطلعكم مضيئين ومنوّرين سرار العدل! والسّرار آخر ليلة من الشهر، وتكون مظلمة، ويمكن أن يفسّر بوجه آخر، وهو أن يكون السرار بمعنى السرور وهو خطوط مضيئة في الجبهة وهو نصّ أهل اللّغة على أنّه يجوز فيه السرار. قالوا: ويجمع السرار على أسرّة. ويقولون: برقت أسرة وجهه، فالمعنى: هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل ويبرق وجهه!.

ويمكن أن ينصب «سرار» على الظرفية، ويكون التقدير: هيهات أن أطلع بكم الحقّ زمان استمراره واستخفائه، فيكون قد حذف المفعول وحذفه كثير.

وقال الكيدري: سرار الشهر وسرره: آخر ليلة منه. والسرار: المسارّة من السّر. وجمع سرر: الكتف والجبهة: و«سرار العدل»: أي في سرار العدل فحذف حرف الجرّ ووصل الفعل. وقيل: أي هيهات أن أظهر بمعونتكم ما خفي واستسرّ من أقمار العدل وأنواره! انتهى.

أقول: ولعلّ بـ«الذي كان»: هو الرغبة في الخلافة أو الحروب أو الجميع. و«لم يكن»: ناقصة، و«كان»: تامّة. والمنافسة: المغالبة في الشيء. و«الحطام»: ما تكسّر من اليبس، وهو كناية عن متاع الدنيا. والمراد بفضوله: زخارفها وزينتها وما لا يحتاج إليه منها. ومعالم الدين: الآثار التي يهتدى بها. والإنابة: الرجوع.

قوله عليه السلام: «نُهمته»: أي حرصه وجشعه على أموال رعيّته.

ومن رواه «نَهَمة»: - بالتحريك - فهي إفراط الشهوة في الطعام. والجفاء: خلاف البرّ والصلة، ورجل جافي الخلقة والخلق: أي منقبض غليظ.

قوله عليه السلام: «فيقطعهم»: أي عن الوصول إليه أو عن حاجاتهم أو بعضهم عن بعض لتفرّقهم، والأوّل أظهر وإن لم يكن يذكره أحد.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٧٨ خ ١٢٩.

قوله عليه السلام: «ولا الحائف» بالحاء المهملة: من الحيف وهو الظلم والجور.

والدُوَل بضمّ الدال المهملة: جمع الدّولة - بالضم - وهي اسم المال المتداول، قال الله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾(١) : أي إذا لم يقسم الإمام بالسّوية، ويخصّ بالمال بعضهم دون بعض، فيتّخذ قوماً دون قوم فيفرّق المسلمين.

وروي «الخائف»: بالمعجمة. والدول - بكسر الدال جمع دولة - بالفتح - وهي الغلبة: أي من يخاف دول الأيّام وتقلّب الدهور، فيتّخذ قوماً يتوقّع نفعهم في دنياه، ويقوّيهم ويضعف آخرين.

قوله عليه السلام: «دون المقاطع»: أي يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه، بأن يحكم بالحقّ بل يحكم بالباطل، أو يسوّف الحكم حتى يضطر المحقّ ويرضى بالصلح، فيذهب بعض حقّه، ويحتمل أن يكون «دون» بمعنى «غير»: أي يقف في غير مقطعه.

وقال ابن أبي الحديد: فإن قلت: أفتراه عنى بهذا قوماً بأعيانهم؟ قلت: الإمامية تزعم أنّه رمز بالجفاء والعصبيّة لقوم دون قوم إلى عمر. ورمز بالجهل إلى من كان قبله، ورمز بتعطيل السنّة إلى عثمان ومعاوية. انتهى.

والأظهر أنّ المراد بالبخيل هو عثمان، لما هو المعلوم من أكله أموال المسلمين؛ ولما مرّ منه عليه السلام في الخطبة الشقشقية. والمراد بـ «الجاهل» جميعهم. وبـ «الجافي» عمر كما مرّ أيضاً في الخطبة الشقشقية. وبـ «الحائف للدول» عمر وعثمان كما هو المعلوم من سيرتهما. وبـ «المعطّل للسنّة» أيضاً جميعهم.

٩٥٠ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام: ليتأس صغيركم بكبيركم، وليرؤف كبيركم بصغيركم، ولا تكونوا كجُفاة الجاهليّة، لا في الدّين يتفقّهون، ولا عن الله يعقلون، كقيض بيض في أداح يكون كسره وزراً، ويخرج حضانها شرّاً..

ومنها: افترقوا بعد ألفتهم، وتشتّتوا عن أصلهم، فمنهم آخذ بغصن أينما مال ما ل معه، على أنّ الله تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبني أميّة، كما تجتمع قزع الخريف، يؤلّف الله بينهم ثمّ يجعلهم ركاماً كركام السّحاب، ثمّ يفتح الله لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم كسيل الجنّتين، حيث لم تسلم عليه قارة، ولم تثبت له أكمة، ولم يردّ سنَنَه رصّ طود، ولا حداب أرض. يذعذعهم الله في بطون أوديته، ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض، يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، ويمكّن لقوم في ديارهم قوم.

وأيم الله ليذوبنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتمكين، كما تذوب الألية على النار.

أيّها الناس! لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم، لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل. ولعمري ليضعفنّ لكم التيه من بعدي أضعافاً؛ بما خلّفتم الحقّ وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد. واعلموا أنّكم إن اتّبعتم الدّاعي لكم، سلك بكم منهاج الرسول، وكفيتم مؤنة الاعتساف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق[1].

إيضاح: لزوم تأسّي الصغير بالكبير، لأنّه أكثر تجربةً وأحزم.

وقال الكيدري: أي ليتأسّ من صغر منزلته في العلم والعمل بمن له متانة فيهما، وليرحم كلّ من له جاه ومنزلة في الدنيا بالمال والقوّة كلّ من دونه.

و«القيض» بالفتح قشرة البيض العليا اليابسة. وقيل: التي خرج ما فيها من فرخ أو ماء. وفي بعض النسخ: «كبيض هيض»: أي كسر. والأداحي: جمع الأدحيّ بالضمّ، وقد يكسر وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ، وهو أفعول من دحوت؛ لأنّها تدحوه برجلها، أي تبسطه، ثمّ تبيض فيه وليس للنعام عشّ.

وقال ابن أبي الحديد: وجه الشبه، أنّه إنْ كسرها كاسر أثم؛ لأنّه يظنّ بيض القطاة، وإن لم يكسر، يخرج حضانها شرّاً، إذ يخرج أفعى قاتلاً. واستعار لفظ الأداحي للأعشاش مجازاً؛ لأنّ الأداحي لا يكون إلاّ للنعام.

وقال ابن ميثم: نهاهم أن يشبهوا جفاة الجاهليّة في عدم تفقّههم في الدين، فيشبهون إذاً بيض الأفاعي في أعشاشها. ووجه الشَّبَه أنّه إن كسره كاسر أثم، لتأذّي الحيوان به، فكذلك هؤلاء، إذا أشبهوا جفاة الجاهلية، لا يحلّ أذاهم لحرمة الإسلام، وإن أُهملوا وتركوا على الجهل، خرجوا شياطين.

والحضان بالكسر: مصدر، حضن الطائر بيضه: إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه، وهو مرفوع بالفاعليّة. قوله عليه السلام: «افترقوا...» يذكر حال أصحابه وشيعته.

وقال ابن أبي الحديد: الأخذ بالغصن من تمسّك بعده عليه السلام بذرية الرسول صلى الله عليه وآله، وتقدير الكلام: ومنهم من لا يكون كذلك.

ثمّ ذكر عليه السلام أنّ الفريقين يجتمعان لشرّ يوم. «والقزع» جمع قزعة وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاماً، والركام: ما كثف من السحاب. «مستثارهم» موضع ثورانهم وهيجانهم.

والجنّتان هما اللّتان ذكرهما الله في القرآن في قصّة أهل سبأ. والقارة: الجبل الصغير. والأكمة: الموضع يكون أشدّ ارتفاعاً ممّا حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً. و«سننه» طريقه. وطود مرصوص: أي جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض. والحداب: جمع

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٣٩ خ ١٦٤.

حدبة وهي الروابي والنجاد. والذعذعة: التفريق. ولعلّها كناية عن اختفائهم بين الناس، ثمّ إظهارهم بالإعانة والتأييد. والمراد بالقوم ثانياً آل الرسول ﷺ، وهو إشارة إلى ظهور بني عباس وانقراض بني أميّة. وقوله عليه السلام: «وأيم الله ليذوبنّ في أيديهم»: يحتمل أن يكون إشارة إلى ذهاب ملك بني أميّة أو بني العباس. وتاه في الأرض: ذهب متحيراً، والمتاه مصدر. والمراد بالأدنى نفسه عليه السلام، وبالأبعد من تقدم عليه. والمراد بالداعي هو عليه السلام أو القائم عليه السلام، والاعتساف: سلوك غير الطريق. وفدحه الدين: أثقله. والمراد بالثقل الفادح الإثم والعذاب في الآخرة أو الأعمّ.

٩٥١ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام: أمّا بعد أيّها الناس! فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيهبها واشتدّ كلبها.

فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مئة وتضلّ مئة، إلاّ أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها ومحطّ رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً!.

ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب، لأطرق كثير من السائلين. وفشل كثير من المسؤولين، وذلك إذا قلّصت حربكم، وشمّرت عن ساق، وضاقت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه أيّام البلاء عليكم، حتى يفتح الله لبقيّة الأبرار منكم. ألا إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت نبّهت، يُنكرن مقبلات ويعرفن مدبرات، يَحُمن حوم الرياح يُصِبن بلداً ويُخطئن بلداً.

ألا وإنّ أخوف الفتن عندي عليكم، فتنة بني أميّة، فإنّها فتنة عمياء مظلمة، عمّت خطّتها، وخصّت بليّتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمي عنها.

وأيم الله لتجدنّ بني أميّة لكم أرباب سوء بعدي، كالنّاب الضّروس، تَعذِم بفيها، وتخبط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درّها. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلاّ نافعاً لهم، أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ مثل انتصار العبد من ربّه، والصاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشيةً، وقطعاً جاهليّةً، ليس فيها منار هدى ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة، ولسنا فيها بدعاة.

ثمّ يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم، بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم بكأس مصبّرة لا يعطيهم إلاّ السيف، ولا يحلسهم إلاّ الخوف، فعند ذلك تودّ قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاماً واحداً، ولو قدر جزر جزور، لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونني[1].

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢١٠ خ ٩٢.

إيضاح: قال ابن أبي الحديد: هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة، وهي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرّضي رضي الله عنه ، ثمّ ذكر بعض الألفاظ المتروكة منها:

قوله عليه السلام : «ولم يكن ليجترئ عليها غيري، ولو لم أكُ فيكم ما قوتل أهل الجمل والنهروان» وأيم الله لولا أن تتّكلوا فتدعوا العمل، لحدّثتكم بما قضى الله عزّ وجلّ على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله ، لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم، عارفاً للهدى الذي نحن عليه.

سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّي ميّت عن قريب أو مقتول، بل قتلاً. ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم هذه! وضرب عليه السلام بيده على لحيته.

ومنها في ذكر بني أميّة: يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتى يملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً. إلى أن يضع الله عزّ وجلّ جبروتها، ويكسر عمدها، وينزع أوتادها. ألا وإنّكم مدركوها، فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر وحنين تؤجروا، ولا تمالئوا عليهم عدوّهم، فيصير عليهم البليّة ويحلّ بكم النّقمة.

ومنها: إلاّ مثل انتصار العبد من مولاه، إذا رآه أطاعه، وإذا توارى عنه شتمه. وأيم الله لو فرّقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم الله لشرّ يوم لهم.

ومنها: فانظروا أهل بيت نبيكم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم، فليفرجنّ الله الفتنة برجل منّا أهل البيت. بأبي ابن خيرة الإماء، لا يعطيهم إلاّ السيف هرجاً هرجاً، موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر، حتى تقول قريش. لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا. يغريه الله ببني أميّة، حتى يجعلهم حطاماً ورفاقاً: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: فإن قيل: فمن هذا الرجل الموعود به! قيل: أمّا الإمامية فيزعمون أنّه إمامهم الثاني عشر، وأنّه ابن أمة اسمها نرجس.

وأمّا أصحابنا، فيزعمون أنّه فاطمي يولد في مستقبل الزمان، لأمّ ولد وليس بموجود الآن. فإن قيل: فمن يكون من بني أميّة في ذلك الوقت موجوداً حتى ينتقم منهم؟

قيل: أمّا الإمامية فتقول بالرجعة، ويزعمون أنّه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أميّة وغيرهم، إذا ظهر إمامهم المنتظر، وأنّه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم، ويسمل عيون بعضهم ويصلب قوماً آخرين، وينتقم من أعداء آل محمّد عليهم السلام المتقدّمين منهم والمتأخّرين.

وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلاً من ولد فاطمة عليها السلام يستولي على السفياني وأشياعه من بني أميّة.

ثمّ قال: فإن قيل: لماذا خصّ أهل الجمل وأهل النهروان بالذّكر، ولم يذكر أهل صفّين؟

قيل: لأنّ الشبهة كانت في أهل الجمل وأهل النهروان ظاهرة الالتباس، أمّا أهل الجمل «فلحسن ظنّهم بطلحة والزبير، وكون عائشة زوجة الرسول ﷺ معهم.

وأمّا أهل النهروان، فكانوا أهل قرآن وعبادة واجتهاد، وعزوف عن الدنيا، وهم كانوا قرّاء العراق وزهّادها. وأمّا معاوية، فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والانحراف عن الإسلام، وكذلك ناصره ومظاهره على أمره، عمرو بن العاص ومن اتّبعهما من طغام أهل الشام وأجلافهم وجهّال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافياً في جواز قتالهم ومحاربتهم[1]. انتهى.

قوله عليه السلام: «فأنا فقأت» يقال: فقأت العين: أي شققتها أو قلعتها بشحمها، أو أدخلت الإصبع فيها. وفَقْأ عين الفتنة: كسر ثورانها. وحذف المضاف - أي عين أهلها - بعيد. وعدم اجتراء غيره عليه السلام على إطفاء تلك الفتنة؛ لأنّ الناس كانوا يهابون قتال أهل القبلة، ويقولون: كيف نقاتل من يؤذّن كأذاننا ويصلّي بصلاتنا؟

والغيهب: الظلمة وتموّجها وعمومها وشمولها، تشبيهاً لها بالبحر. والكلب - بالتحريك: داء يعرض للإنسان من عضّ الكلب، والعطش. والمراد شرّها وأذاها.

والفئة: الطائفة والجماعة ولا واحد لها من لفظها. وناعقها: الداعي لها، أو إليها. والمناخ - بضمّ الميم - موضع الإناخة. والركاب: الإبل التي يسار عليها. والواحدة: راحلة. والرحل - بالفتح -: كلّ شيء يعدّ للرحيل. وحططت الرحل: أنزلته عن الإبل. والمحطّ: اسم مكان. وقيل: هو والمناخ مصدران. والكريهة: النازلة. وكرائه الأمور: المصائب التي تكرهها النفوس. والحوازب: جمع حازب. وهو الأمر الشديد، وحزبه أمر: اشتدّ عليه ودهمه. والخطب - بالفتح -: الشأن والحال والأمر الذي تقع فيه المخاطبة. والإطراق: السكوت، وإطراق السائل لصعوبة الأمر وشدّته عليه حتى أنّه يبهته عن السؤال ويتحيّر كيف يسأل. والفشل: الجبن والضعف.

قوله عليه السلام: «وذلك»: أي النّزول والإطراق والفشل. و«قلّصت» بالتشديد: أي اجتمعت وانضمّت. والحرب إذا كانت في موضع واحد يكون أشدّ وأصعب ويكون التشديد للمبالغة. وهي بالتخفيف بمعنى ارتفعت فالمراد شدّتها وكثرتها. ويقال: هي بالتشديد بمعنى استمرّت في المضيّ. ويقال: قلص قميصه فقلّص تقليصاً: أي شمّر. لازم ومتعدّ.

وفي بعض النسخ: «قلصت حربكم عن ساق» بدون كلمة «شمّرت». ويروى «إذا قلصت عن حربكم» بالتخفيف: أي إذا انكشفت كرائه الأمور وحوازب الخطوب عن حربكم.

و«شمّرت عن ساق»: أي كشفت عن شدّة ومشقّة كما قيل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[2]. وقيل: كَشْفُ الساق مثل في اشتداد الأمر وصعوبة الخطب. وأصله تشمير

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٧ ص ٤١. (٢) سورة القلم، الآية: ٤٢.

المخدّرات عن سوقهنّ في الهرب. وقيل: يكشف عن ساق: أي عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً. ويحتمل أن يكون الغرض تشبيه الحرب بالمجدّ في أمر، فإنّ الإنسان إذا جدّ في السعي شمّر عن ساقه ورفع ثوبه لئلّا يمنعه.

واستطالة الأيّام: عدّها طويلة. ويوم البؤس والشدّة يطول على الإنسان.

ولعلّ المراد ببقيّة الأبرار، أولادهم وإن لم يكونوا أبراراً في أنفسهم، إن كان الكلام إشارة إلى دولة بني العباس. والأظهر أنّه عليه السلام أراد القائم عليه السلام.

قوله عليه السلام: «شبهت» على المعلوم: أي جعلت نفسها أو الأمور الباطلة شبيهة بالحق. أو على بناء المجهول أي أشكل أمرها والتبس على الناس.

قوله عليه السلام: «نبهت» أي أيقظت القوم من النوم، وأظهرت بطلانها عليهم.

«ينكرن»: أي لا يعرف حالهنّ. وحام الطائر حول الماء: إذا طاف ودار لينزل عليه.

وقوله عليه السلام: «حوم الرياح» أي كحومها.

والخطّة - بالضمّ -: شبه القصّة والأمر والخطب. وعموم خطّة تلك البليّة لكونها رئاسة عامّة وسلطنة شاملة. وخصوص البليّة لكون حظّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم منها أوفر.

وإصابة البلاء من أبصر فيها، لحزن المبصر من مشاهدة أفعالهم الشنيعة، وقصدهم إيّاه بأنواع الأذى بخلاف الجاهل المنقاد لهم.

ويطلق الرب على المالك والسّيد والمدبّر والمربّي والمنعم.

والناب: الناقة المسنّة. والضروس: السّيئة الخلق تعضّ حالبها. وعذم الفرس- كضرب - إذا أكل بجفاء أو عضّ. وخبط البعير إذا ضرب بيده الأرض شديداً. والزبن: الدفع. وزبنت الناقة إذا ضربت بثفنات رجلها عند الحلب. والدّرّ: اللبن. ويقال لكلّ خير على التوسّع.

قوله عليه السلام: «لا يزالون بكم»: أي لا يزالون يؤذونكم بأنواع الأذى حتى لا يبقى منكم إلاّ من ينفعهم في مقاصدهم، أو لا يضرّهم بإنكار المنكرات عليهم. والضائر: المضرّ. والانتصار: الانتقام. والصاحب: التابع. والمستصحب: المتبوع. والغرض إمّا نفي إمكان الانتصار، أو إثبات انتصار الأذلّاء والمقهورين، كالغيبة والذمّ مع الأمن من الوصول إلى المغتاب. والشوهاء: القبيحة. والمخشية: المخوفة. والجاهلية: الحالة التي كانت العرب عليها قبل الإسلام.

والمنجاة: موضع النجاة. والغرض خلاصهم من لحوق الآثام والمتابعة في الدعوة إلى الباطل، لا الخلاص من الأذيّة. والأديم: الجلد. ووجه الشبه انكشاف الجلد عمّا تحته من اللّحم. ويحتمل أن يكون المراد بالأديم، الجلد الذي يلفّ الإنسان فيه للتّعذيب؛ لأنّه يضغطه شديداً إذا جفّ وفي تفريجه راحة.

ويسومهم: أي يكلّفهم ويلزمهم. والخسف: النقصان والذلّ والهوان. والمصبّرة:

الممزوجة بالصبر المرّ. وقيل: أي المملوءة إلى أصبارها، أي جوانبها. والحلس بالكسر: كساء رقيق يكسى على ظهر البعير تحت البرذعة. وأحلس البعير: ألبسه الحلس.

ويحتمل أن يكون من الحلس الذي يبسط تحت حُرّ الثياب، إشعاراً بأنّهم في بيوتهم أيضاً خائفون. وهو إشارة إلى ظهور دولة بني العباس. والجزور: الناقة التي تجزر.

قوله عليه السلام: «ما أطلب اليوم بعضه»: أي الطاعة والانقياد، أي يتمنّون أن يروني فيطيعوني إطاعة كاملة، وقد رضيت منهم اليوم بأن يطيعوني إطاعة ناقصة فلم يقبلوا.

وقد روي في كتب السّير، أنّ مروان بن محمّد وهو آخر ملوك بني أميّة، قال يوم الزاب - لما شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بإزائه في صفّ خراسان- : لوددت أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى.

ويحتمل أن يكون التمنّي عند قيام القائم عليه السلام.

٩٥٢ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام: فلا أموال بذلتموها للذي رزقها، ولا الأنفس خاطرتم بها للذي خلقها، تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده، فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم، وانقطاعكم عن أوصل إخوانكم[1].

بيان: انتصاب قوله: «أموال» بفعل مقدّر دلّ عليه «بذلتموها» وكذلك «أنفس». وخاطر فلان بنفسه وبماله: أي ألقاهما في الهلكة. «تكرمون بالله»: أي يعزّكم الناس بأنّكم أهل طاعة الله. «ولا تكرمون الله»: أي لا تطيعونه في الإحسان إلى عباده، أو في إجراء أحكامه بينهم.

٩٥٣ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام: روي عن نوف البكالي قال: خطبنا هذه الخطبة أمير المؤمنين عليه السلام وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هُبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه من ليف وفي رجليه نعلان من ليف، وكأنّ جبينه ثفنة بعير! فقال:

الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه، ونيّر برهانه، ونوامي فضله وامتنانه، حمداً يكون لحقّه قضاءً، ولشكره أداءً، وإلى ثوابه مقرّباً، ولحسن مزيده موجباً. ونستعين به استعانة راجٍ لفضله مؤمّل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطّول، مذعن له بالعمل والقول، ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً، وأناب إليه مؤمناً، وخنع له مذعناً وأخلص له موحّداً، وعظّمه ممجّداً، ولاذ به راغباً مجتهداً.

لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدّمه وقت ولا زمان، ولا يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم. فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطّدات بلا عمد، قائمات بلا سند،

(١) نهج البلاغة، ص ٢٥٧ خ ١١٦.

دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات غير متلكّئات ولا مبطّئات، ولولا إقرارهنّ بالربوبيّة وإذعانهنّ بالطواعية، لما جعلهنّ موضعاً لعرشه ولا مسكناً لملائكته ولا مصعداً للكلم الطّيب والعمل الصّالح من خلقه. جعل نجومها أعلاماً يستدلّ بها الحيران في مختلف فجاج الأقطار.

لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم، ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن تردّ ما شاع في السّماوات من تلألؤ نور القمر. فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج، ولا ليل ساج في بقاع الأرضين المتطأطئات، ولا في يفاع السّفع المتجاورات، وما يتجلجل به الرعد في أفق السماء، وما تلاشت عنه بروق الغمام، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء، وانهطال السماء. ويعلم مسقط القطرة ومقرّها، ومسحب الذّرّة ومجرّها، وما يكفي البعوضة من قوتها، وما تحمل الأنثى في بطنها.

والحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسيّ أو عرش أو سماء أو أرض أو جانّ أو إنس. لا يدرك بوهم، ولا يقدّر بفهم، ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يحدّ بأين، ولا يوصف بالأزواج، ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، الذي كلّم موسى تكليماً وأراه من آياته عظيماً، بلا جوارح ولا أدوات نطق ولا لهوات.

بل إن كنت صادقاً أيّها المتكلّف لوصف ربّك! فصف جبرائيل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين، في حجرات القدس مُرْجَحِنّين، متولّهةً عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين.

وإنّما يدرك بالصّفات ذوو الهيئات والأدوات، ومن ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفناء.

فلا إله إلاّ هو، أضاء بنوره كلّ ظلام، وأظلم بظلمته كل نور.

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرّياش، وأسبغ عليكم المعاش، ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سُلماً، أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود الذي سُخر له ملك الجنّ والإنس مع النّبوّة، وعظيم الزّلفة، فلمّا استوفى طعمته، واستكمل مدّته، رمته قِسِيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الدّيار منه خالية، والمساكن معطّلة وورثها قوم آخرون.

وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة؟ أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟ أين أصحاب مدائن الرّسّ الذين قتلوا النّبيّين وأطفأوا سنن المرسلين وأحيوا سنن الجبارين؟ أين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الألوف وعسكروا العساكر ومدّنوا المدائن؟!

ومنها: قد لبس للحكمة جُنّتها، وأخذها بجميع أدبها من الإقبال عليها، والمعرفة بها، والتفرّغ لها، وهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها، فهو مغترب إذا اغترب الإسلام، وضرب بعسيب ذنبه؛ وألصق الأرض بجرانه بقيّة من بقايا حجّته، خليفة من خلائف أنبيائه.

ثمّ قال عليه السلام: أيّها الناس! إنّي بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها الأنبياء أُممهم، وأدّيت

إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزّواجر فلم تستوثقوا، لله أنتم أتتوقّعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السّبيل؟!.

ألا إنّه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان مدبراً، وأزمع التّرحال عباد الله الأخيار، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى.

ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم - وهم بصفّين- أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص، ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوفّاهم أجورهم، وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم. أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟.

قال نوف: ثمّ ضرب يده إلى لحيته وأطال البكاء، ثمّ قال عليه السلام: أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه! وتدبّروا الفرض فأقاموه! وأحيوا السنّة وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوا!.

ثمّ نادى بأعلى صوته. الجهاد الجهاد عباد الله! ألا وإنّي معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرّواح إلى الله فليخرج.

قال نوف: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد رحمه الله في عشرة آلاف، ولأبي أيّوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أُخر، وهو يريد الرّجعة إلى صفّين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم، لعنه الله، فتراجعت العساكر. فكنّا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كلّ مكان[1].

تبيان: قد مرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد، وقال ابن الأثير في كتاب النهاية: الرياش والريش: ما ظهر من اللباس. وقيل: الرياش: جمع الريش، ويقع الرياش على الخصب والمعاش والمال المستفاد.

و«أسبغ»: أي أكمل وأوسع. والمعاش والمعيشة: مكسب الإنسان الذي يعيش به. والسلم - كسكّر -: ما يرتقى عليه. واستعمل هنا في الوسيلة.

وكون النبوّة والزّلفة - أي القرب والمنزلة- من الوسائل إلى البقاء، لاستجابة الدعاء معهما، فهما مظنّتان للتوصّل إلى البقاء في الباطن، كما أنّ السلطنة الكاملة مظنّة لأن تكون وسيلة إليه في الظّاهر. والطعمة: الرزق المقدّر. والقِسِيّ: جمع القوس. والنبل: السّهام العربيّة، لا واحد من لفظها.

وقال ابن أبي الحديد: نبال الموت أسبابه. والإضافة البيانية للمبالغة بعيدة.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٦٣ خ ١٨٠.

والعمالقة: أولاد عمليق أو عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. والفراعنة: ملوك مصر. وقد مضى ذكر أصحاب الرّسّ.

وعسكروا العساكر: أي جمعوها. ومدّنوا المدائن: أي بنوها.

قوله عليه السلام: «قد لبس للحكمة جنّتها»: إشارة إلى القائم عليه السلام كما ذكره ابن أبي الحديد نقلاً عن الإماميّة. و«التفرّغ لها»: أي عن العلائق والشواغل.

قوله عليه السلام: «ضالّته»: إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله: «الحكمة ضالّة المؤمن».

قوله عليه السلام: «فهو مغترب»: أي هذا الشخص يخفي نفسه ويخملها إذا ظهر الفسق والجور واغترب الإسلام باغتراب العدل والصلاح، وهو إشارة إلى غيبة القائم عليه السلام.

وقال ابن الأثير في مادّة «ذنب» من كتاب النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: أنّه ذكر فتنة فقال: «إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه» أي فارق أهل الفتنة وضرب في الأرض ذاهباً في أهل دينه وأتباعه الذين يتّبعونه على رأيه وهم الأذناب.

وقال الزمخشري: الضرب بالذنب هاهنا مثل للإقامة والثبات، يعني يثبت هو ومن يتبعه على الدين. وقال الفيروزآبادي: العسيب: عظم الذنب أو منبت الشعر منه، والبعير إذا أعيا وتأذّى ضرب بعسيب ذنبه.

وإلصاق الأرض بجرانه كناية عن ضعف الإسلام وقلّة نفعه، فإنّ البعير أقلّ ما يكون نفعه حال بروكه. وجران البعير: صدره أو مقدّم عنقه. وبثّ الخبر: نشره. والحداء: سوق الإبل والغناء لها.

قوله عليه السلام: «واستوثقوا»: استجمعوا وانضموا. و«الزواجر»: النواهي والإيعادات. «يطأ بكم الطريق»: أي يذهب بكم في سبيل الحقّ.

قوله عليه السلام: «ما كان مقبلاً»: أي الهدى والرشاد الذي كان في أيّام الرسول صلى الله عليه وآله، أو في أيّام خلافته عليه السلام، فيكون إشارةً إلى قرب ارتحاله عليه السلام من دار الفناء.

والمراد من قوله: «ما كان مدبراً»: الضلال والفساد. و«أزمع الأمر»: أي عزم عليه. والترحال بالفتح: مبالغة في الرحلة.

وكلمة «ما» في قوله عليه السلام: «ما ضرّ»: نافية، ويحتمل الاستفهام أيضاً على الإنكار. والفاعل هو قوله: «أن لا يكونوا»

وإساغة الغصص هنا كناية عن كثرة الآلام ومشاهدة المنكرات، بحيث صار تجرّع الغصص عادة لهم، أو عن الرضا بقضاء الله. والغصّة: ما يعترض في الحلق. والرنق- بالفتح والتحريك -: الكدر من الماء.

وعمار هو ابن ياسر المعروف وقد مرّ فضله. وابن التّيهان بالياء المنقوطة باثنتين تحتها،

المشدّدة المكسورة، وقبلها تاء منقوطة باثنتين فوقها، ذكره ابن أبي الحديد وجوّز فتح الياء أيضاً. والمضبوط في أكثر النسخ بالياء الساكنة وفتح التاء وكسرها معاً.

وفي القاموس: وتيهان وتيّهان مشدّدة الياء ويكسر، وهو أبو الهيثم واسمه مالك.

وقال ابن أبي الحديد: الصحيح أنّه أدرك صفّين وشهدها مع عليّ عليه السلام. وقيل: توفّي زمن الرسول صلى الله عليه وآله.

وذو الشهادتين هو خزيمة بن ثابت وقصته مشهورة، يكنّى أبا عمارة، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وشهد صفين مع علي عليه السلام، فلما قتل عمّار قاتل حتى قتل.

قوله عليه السلام: «تعاقدوا» أي جعلوا الموت بينهم عقداً. أو تابعوا على الموت وروي: «تعاهدوا». «وأبرد برؤوسهم» مأخوذ من البريد: أي أرسل للبشارة بها. و«الفجرة»: أمراء عسكر الشام. و«أوه» ساكنة الواو مكسورة الهاء: كلمة شكوى وتوجّع. وربما قلبوا الواو ألفاً، فقالوا: آه من كذا، وآه على كذا. وربما شدّدوا الواو وكسروها وسكّنوا الهاء، فقالوا: أوّه من كذا. وربما حذفوا الهاء مع التشديد وكسروا الواو، فقالوا: أو من كذا بلا مدّ. وقد يقولون: آوّه بالمدّ والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء، لتطويل الصوت بالشكاية. وربما أدخلوا فيه التاء تارة يمدّونه، وتارة لا يمدّونه، فيقولون: أوتاه وآوتاه، والإسم منه الآهة بالمدّ. ذكره الجوهري وابن أبي الحديد.

وإحكامه (أي القرآن): تلاوته كما ينبغي مع رعاية المحسّنات، والتدبّر في معانيه والعمل بمقتضاه. وأراد عليه السلام: بالقائد: نفسه. والرواح إلى الله: الذهاب إلى الفوز برضوانه، أو إلى لقائه بالشهادة.

وقيس هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، كان شجاعاً جواداً من كبار شيعة علي عليه السلام، شهد حروبه كلّها. وأبوه سعد بن عبادة، كان رئيس الخزرج، ولم يبايع أبا بكر، ومات على عدم البيعة. والمشهور أنّهم قتلوه لذلك، وأحالوا قتله على الجنّ، وافتروا شعراً من قبل الجنّ كما مرّ.

وأبو أيوب هو خالد بن سعد بن كعب الخزرجيّ من بني النّجار، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهده كلّها، وكان على مقدّمته يوم النهروان.

والاختطاف: أخذك الشيء بسرعة، والمراد هنا إمّا الأخذ بالنهب والقتل والإذلال، أو الإغواء والإضلال.

٩٥٤ - **ما**: جماعة عن محمد بن عمران المرزباني، عن محمد بن موسى عن محمد بن سهل عن هشام عن أبي مخنف عن ابن حصيرة عن أبي صادق عن جندب بن عبد الله الأزدي قال: قام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الناس، ليستنفرهم إلى أهل الشام، وذلك بعد انقضاء

المدّة التي كانت بينه وبينهم، وقد شنّ معاوية على بلاد المسلمين الغارات، فاستنفرهم في الرغبة في الجهاد والرهبة فلم ينفروا، فأضجره ذلك. فقال:

يا أيّها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم! ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم. كلامكم يوهن الصمّ الصلاب وتثاقلكم عن طاعتي يطمع فيكم عدوّكم المرتاب. إذا أمرتكم قلتم: «كيت وكيت وعسى» أعاليل بأباطيل وتسألوني التأخير، دفاع ذي الدين المطول. هيهات هيهات! لا يدفع الضيم الذليل، ولا يدرك الحقّ إلاّ بالجدّ والصبر. أيّ دار بعد داركم تمنعون! ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون! المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب.

أصبحت لا أطمع في نصرتكم، ولا أصدّق قولكم، فرّق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم. أما إنّكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرةً يتّخذها الظالمون فيكم سنّةً، يفرّق جماعتكم، وتبكي عيونكم، وتمنّون عمّا قليل أنّكم رأيتموني فنصرتموني، وستعرفون ما أقول لكم عما قليل، ولا يبعد الله إلاّ من ظلم.

قال: فكان جندب لا يذكر هذا الحديث إلاّ بكى، وقال: صدق والله أمير المؤمنين، قد شملنا الذّلّ ورأينا الأثرة، ولا يبعد الله إلاّ من ظلم[1].

٩٥٥ - **شا، ج:** روي أنّه لما عزم على المسير إلى الشام لقتال معاوية، قال بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله ﷺ: اتّقوا الله عباد الله! وأطيعوه وأطيعوا إمامكم، فإنّ الرعيّة الصّالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإنّ الرعيّة الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر. وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقّي، ناكثاً لبيعتي، طاعناً في دين الله عزّ وجلّ.

وقد علمتم أيّها المسلمون ما فعل الناس بالأمس، فجئتموني راغبين إليّ في أمركم، حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني، فالتويت عليكم لأبلو ما عندكم، فراددتموني القول مراراً، وراددتكم، وتداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها، حرصاً على بيعتي، حتى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً، فلمّا رأيت ذلك منكم، رأيت في أمركم وأمري، وقلت: إن أنا لم أجبهم إلى القيام بأمرهم، لم يصيبوا أحداً منهم يقوم فيهم مقامي، ويعدل فيهم عدلي. وقلت: والله لألينّهم وهم يعلمون حقّي وفضلي، أحبّ إليّ من أن يلوني ولا يعرفون حقّي وفضلي. فبسطت يدي فبايعتموني يا معاشر المسلمين، وفيكم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان، وأخذت عليكم عهد بيعتي وواجب صفقتي وعهد الله وميثاقه. وأشدّ ما أُخذ على النبيّين من عهد وميثاق لتفرنّ لي، ولتسمعن لأمري، ولتطيعوني وتناصحوني، وتقاتلون معي كلّ باغ عليّ، أو مارق إن مرق. فبايعتم لي بذلك جميعاً، وأخذت عليكم عهد الله وميثاقه وذمّة

(١) أمالي الطوسي، ص ١٨٠ مجلس ٧ ح ٣٠٢.

الله وذمّة رسوله، فأجبتموني إلى ذلك، وأشهدت الله عليكم، وأشهدت بعضكم على بعض. فقمت فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ. فالعجب من معاوية بن أبي سفيان! ينازعني الخلافة، ويجحدني الإمامة، ويزعم أنّه أحقّ بها منّي، جرأةً منه على الله ورسوله ﷺ، بغير حقّ له فيها، ولا حجّة. ولم يبايعه المهاجرون ولا سلّم له الأنصار والمسلمون.

يا معاشر المهاجرين والأنصار وجماعة من سمع كلامي! أما أوجبتم لي على أنفسكم الطاعة؟ أما بايعتموني على الرغبة؟ أما أخذت عليكم العهد بالقبول لقولي؟ أما بيعتي لكم يومئذ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر؟ فما بال من خالفني لم ينقض عليهما حتى مضيا، ونقض عليّ ولم يوف لي! أما يجب عليكم نصحي ويلزمكم أمري؟ أما تعلمون أن بيعتي تلزم الشاهد منكم والغائب؟ فما بال معاوية وأصحابه طاعنون في بيعتي! ولِمَ لم يفوا لي وأنا في قرابتي وسابقتي وصهري، أولى بالأمر ممن تقدّمني؟ أما سمعتم قول رسول الله ﷺ يوم الغدير في ولايتي وموالاتي.

فاتّقوا الله أيّها المسلمون! وتحاثّوا على جهاد معاوية القاسط الناكث وأصحابه القاسطين، واسمعوا ما أتلو عليكم من كتاب الله المنزل على نبيّه المرسل لتتّعظوا، فإنّه والله عظة لكم. فانتفعوا بمواعظ الله وازدجروا عن معاصي الله، فقد وعظكم الله بغيركم فقال لنبيّه ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾(1).

أيّها الناس! إنّ لكم في هذه الآيات عبرة؛ لتعلموا أنّ الله جعل الخلافة والإمرة من بعد الأنبياء في أعقابهم، وأنّه فضّل طالوت وقدّمه على الجماعة باصطفائه إيّاه، وزاده بسطةً في العلم والجسم، فهل تجدون الله اصطفى بني أميّة على بني هاشم، وزاد معاوية عليّ بسطةً في العلم والجسم؟! فاتّقوا الله عباد الله! وجاهدوا في سبيله قبل أن ينالكم سخطه بعصيانكم له، قال الله سبحانه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾(2).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

---

(1) سورة البقرة، الآيتان: ٢٤٦-٢٤٧.
(2) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨-٧٩.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١]. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾[٢].

اتّقوا الله عباد الله ! وتحاثّوا على الجهاد مع إمامكم. فلو كان لي بكم عصابة بعدد أهل بدر، إذا أمرتهم أطاعوني، وإذا استنهضتهم نهضوا معي، لاستغنيت بهم عن كثير منكم، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه، فإنّه الجهاد المفروض[٣].

بيان: إنّما أوردته في هذا الباب لأنّه بالنهوض الثاني أنسب منه بالأوّل، وإن احتمله.

٩٥٦ - **شا، ج:** ومن كلامه عليه السلام: يجري مجرى الاحتجاج، مشتملاً على التوبيخ لأصحابه على تثاقلهم لقتال معاوية، والتفنيد، متضمّناً للّوم والوعيد:

أيّها النّاس! إنّي استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، شهوداً كالغيّب.

أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتنفرون عنها، كأنّكم حُمُر مستنفرة فرّت من قسورة وأحثكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قولي، حتى أراكم متفرّقين أيادي سبا ترجعون إلى مجالسكم تتربّعون حلقاً، تضربون الأمثال، وتنشدون الأشعار، وتجسّسون الأخبار، حتى إذا تفرّقتم، تسألون عن الأشعار، جهلة من غير علم، وغفلة من غير ورع، وتتبعاً من غير خوف. ونسيتم الحرب والاستعداد لها، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأعاليل والأضاليل. فالعجب كلّ العجب - وكيف لا أعجب - من اجتماع قوم على باطلهم وتخاذلكم عن حقّكم.

يا أهل الكوفة! أنتم كأمّ مجالد، حملت فأملصت، فمات قيّمها، وطال أيمها وورثها أبعدها. والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، إنّ من ورائكم الأعور الأدبر جهنّم الدنيا، لا يبقي ولا يذر. ومن بعده النّهاس الفرّاس، الجموع المنوع، ثمّ ليتوارثنكم من بني أميّة عدّة، ما الآخر منهم بأرأف بكم من الأوّل، ما خلا رجلاً واحداً منهم، بلاء قضاه الله على هذه الأمّة، لا محالة كائن. يقتلون خياركم، ويستعبدون أرذالكم، ويستخرجون كنوزكم وذخائركم من جوف حجالكم، نقمةً بما ضيّعتم من أموركم وصلاح أنفسكم ودينكم.

يا أهل الكوفة أخبركم بما يكون قبل أن يكون، لتكونوا منه على حذر، ولتنذروا به من اتّعظ واعتبر. كأنّي بكم تقولون: إن علياً يكذب كما قالت قريش لنبيّها وسيّدها نبيّ الرحمة محمد بن عبد الله حبيب الله صلى الله عليه وآله. فيا ويلكم، فعلى من أكذب! أعلى الله ! فأنا أوّل من

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥. (٢) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٢.
(٣) الارشاد، ص ١٤٨، الاحتجاج، ص ١٧٣.

عبد الله ووحّده، أم على رسول الله ﷺ فأنا أوّل من آمن به وصدّقه ونصره. كلاّ ولكنها لهجة خدعة كنتم عنها أغبياء. والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، لتعلمنّ نبأها بعد حين، وذلك إذا صيّركم إليها جهلكم، ولا ينفعكم عندها علمكم.

فقبحاً لكم يا أشباه الرّجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال.

أما والله أيّها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم! ما أعزّ الله نصر من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، ولا قرّت عين من آواكم، كلامكم يوهي الصمّ الصّلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوّكم المرتاب. يا ويحكم، أيّ دار بعد داركم تمنعون ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون، المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب.

أصبحت لا أطمع في نصركم، ولا أُصدّق قولكم. فرّق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم، وأعقبكم بي من هو شرّ لكم منّي.

إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه. والله لوددت أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم والله لوددت أنّي لم أعرفكم، ولم تعرفوني، فإنّها معرفة جرّت ندماً!

لقد وريتم صدري غيظاً، وأفسدتم عليّ أمري بالخذلان والعصيان، حتى لقد قالت قريش: إنّ علياً رجل شجاع ولكن لا علم له بالحروب، لله درهم! هل كان فيهم أحد أطول لها مراساً منّي وأشدّ لها مقاساة؟! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ثم ها أنا قد ذرّفت على الستّين، ولكن لا أمر لمن لا يطاع.

أما والله لوددت أنّ ربّي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه، وإنّ المنيّة لترصدني، فما يمنع أشقاها أن يخضبها؟ - ونزل عليه السلام يده على رأسه ولحيته - عهداً عهده إليّ النبيّ الأمّي ﷺ. وقد خاب من افترى، ونجا من اتّقى وصدّق بالحسنى.

يا أهل الكوفة قد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسرّاً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنّه ما غُزي قوم في عُقر دارهم إلاّ ذلّوا. فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليكم قولي، واستصعب عليكم أمري، واتّخذتموه وراءكم ظهريّاً حتى شُنّت الغارات، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات، تمسيكم وتصبحكم كما فعل بأهل المثلات من قبلكم، حيث أخبر الله عزّ وجلّ عن الجبابرة العُتاة الطُّغاة، والمستضعفين الغُواة في قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

أما والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لقد حلّ بكم الذي توعدون.

عاتبتكم يا أهل الكوفة بمواعظ القرآن فلم أنتفع بكم، وأدّبتكم بالدّرة فلم تستقيموا لي،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٩.

وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعووا. ولقد علمت أنّ الذي يصلحكم هو السيف. وما كنت متحرّياً صلاحكم بفساد نفسي، ولكن سيُسلّط عليكم سلطان صعب، لا يوقر كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ولا يكرم عالمكم، ولا يقسم الفيء بالسّويّة بينكم، وليضربنكم وليذلّنّكم، وليجرّنكم في المغازي، ويقطعنّ سبلكم، وليحجبنّكم على بابه حتى يأكل قويكم ضعيفكم، ثم لا يبعد الله إلاّ من ظلم. ولقلّ ما أدبر شيء فأقبل، إنّي لأظنّكم على فترة، وما عليَّ إلاّ النّصح لكم.

يا أهل الكوفة مُنيت منكم بثلاث واثنتين، صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو ألسن، وعمي ذوو أبصار. لا إخوان صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء.

اللّهم إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني. اللهمَّ لا ترض عنهم أميراً، ولا ترضهم عن أمير، وأمث قلوبهم كإيماث الملح في الماء.

أما والله لو كنت أجد بدّاً من كلامكم ومراسلتكم ما فعلت. ولقد عاتبتكم في رشدكم حتى سئمت الحياة، وأنتم في كلّ ذلك ترجعون بالهزء من القول، فراراً من الحقّ، وإلحاداً إلى الباطل الذي لا يعزّ الله بأهله الدين، وإني لأعلم بكم أنّكم لا تزيدونني غير تخسير.

كلّما أمرتكم بجهاد عدوّكم اثاقلتم إلى الأرض، وسألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول. إن قلت لكم في القيظ: سيروا. قلتم: الحرّ شديد. وإن قلت لكم: سيروا في البرد. قلتم: القرّ شديد. كلّ ذلك فراراً عن الحرب، إذا كنتم عن الحرّ والبرد تعجزون، فأنتم عن حرارة السيف أعجز وأعجز، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

يا أهل الكوفة قد أتاني الصريح يخبرني أنّ ابن غامد قد نزل الأنبار على أهلها ليلاً في أربعة آلاف. فأغار عليهم كما يغار على الرّوم والخزر، فقتل بها عاملي ابن حسّان، وقتل معه رجالاً صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة، بوّأ الله لهم جنّات النّعيم، وإنّه أباحها.

وقد بلغني أنّ العصبة من أهل الشام، كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فيهتكون سترها، ويأخذون القناع من رأسها، والخرص من أذنها، والأوضاح من يديها ورجليها وعضديها، والخلخال والمئزر عن سوقها، فما تمتنع إلاّ بالاسترجاع والنّداء «يا للمسلمين» فلا يغيثها مغيث ولا ينصرها ناصر، فلو أنّ مؤمناً مات من دون هذا أسفاً، ما كان عندي ملوماً بل كان عندي باراً محسناً.

وا عجبا كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقّكم! قد صرتم غرضاً يُرمى ولا ترمون، وتُغْزون ولا تغزون، ويعصون الله وترضون، فتربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب[١].

---

(١) الإرشاد، ص ١٣٩، الاحتجاج، ص ١٧٢.

بيان: التّفنيد: اللّوم وتضعيف الرأي. والقسورة: الأسد. وقال الجوهري: أملصت المرأة بولدها أي أسقطته. ونهس اللحم: أخذه بمقدّم الأسنان. ونهس الحيّة: لسعها. وفرس الأسد فريسته: دقّ عنقها.

والمراد بالنّهاس الفراس، إمّا هشام بن عبد الملك لاشتهاره بالبخل، أو سليمان بن عبد الملك، فإنّه الذي قيضت له الخلافة بعد وفاة الحجّاج بقليل. والأوّل أنسب.

والمراد بالرّجل الواحد هو عمر بن عبد العزيز.

قوله عليه السلام: «ولكنّها لهجة خدعة»: أي إذا قلت لكم: سأظفر على الخصم إن شاء الله، فليس هذا من الكذب، بل هو كما مرّ وكذا أشباهه من مصالح الحرب وغيره.

ويحتمل إرجاع ضمير «لكنّها» إلى ما ذكره من نسبته عليه السلام إلى الكذب، خصوصاً على نسخة «أغنياء» بالنّون، أي ما ذكرتم لهجة خدعتم فيها من الشيطان، ولم تكن لكم حاجة إلى ذكرها. وفي الصحاح: وهي السّقاء يهي وَهْياً إذا انخرق وانشقّ. وفيه: ورى القيح جوفه يريه ورياً: أكله والاسم الورى بالتحريك. وورّى الجرح سائره تورية: أصابه الورى. والمراس: الممارسة والمعالجة. ورصده: رقبه. والترصّد: الترقّب.

قوله عليه السلام: «تمسيكم وتصبحكم» لعلّ الضمير المستتر فيهما راجع إلى الفواحش والمنكرات. أي يأتيكم إمّا صباحاً أو مساءاً عقوبات تلك المنكرات كما فعل بمن قبلكم.

أو الكاف اسميّ: أي يأتيكم مثل ما فعل بهم. أو قبله تقدير: أي يأتيكم عقوبته كما فعل بهم. أو الضميران راجعان إلى شنّ الغارات وظهور الفواحش والمنكرات، ويكون المراد ظهورها من المخالفين فيهم فهذه عقوبة أعمالهم.

قوله عليه السلام: «وليجرنكم»: أي يبعثكم جبراً. وفي بعض النسخ: «وليجهّزنّكم». وفي بعضها: «وليجمّرنّكم» وتجمير الجيش أن تحبسهم في أرض العدوّ ولا تقفلهم من الثغر. وتجمّروا: أي تحبسوا. وقوله عليه السلام: «وليحجبنّكم»: ضُمّن معنى القيام فعُدّي بـ«على».

قوله عليه السلام: «إن قلت لكم في القيظ» كذا في كتاب الاحتجاج وفي كتاب الإرشاد: «إذا قلت لكم: انفروا في الشتاء. قلتم: هذا أوان قرّ وصر. وإن قلت لكم: انفروا في الصيف. قلتم: هذه حمارّة القيظ أنظرنا ينصرم الحرّ عنّا كلّ ذلك فراراً عن الجنّة. وإذا كنتم عن الحرّ والبرد...» إلى آخر الكلام.

قوله عليه السلام: «قد أتاني الصريح» كذا في أكثر النسخ بالحاء المهملة، وهو الرجل الخالص النسب. وكلّ خالص صريح.

والأظهر أنّه بالخاء المعجمة كما في كتاب الإرشاد: أي المستغيث أي من يطلب الإغاثة والمدد لدفع ظلمهم.

والعصبة من الرجال - بالضمّ -: ما بين العشرة إلى الأربعين. وفي القاموس: الخرص

بالضمّ - ويكسر - : حلقة الذهب والفضّة أو حلقة القرط أو الحلقة الصغيرة من الحليّ. وفي النهاية: الخرص - بالضمّ والكسر - : الحلقة الصغيرة من الحلي وهو من حلي الأذن.

وأيضاً قال ابن الأثير: فيه: «أنّ يهودياً قتل جاريةً على أوضاح لها»: هي نوع من الحلي يعمل من الفضّة سمّيت بها لبياضها، واحدها وضح.

وقد أوردنا شرح بعض الفقرات في الروايات الأُخر.

٩٥٧ - **مع**: الطالقاني عن الجوهري عن الجلودي وهشام بن عليّ معاً عن ابن عائشة، بإسناده ذكره، أنّ علياً عليه السلام انتهى إليه أنّ خيلاً لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملاً له يقال له حسّان بن حسّان. فخرج مغضباً يجرّ ثوبه حتى أتى النخيلة، واتبعه الناس فرقي رباوةً من الأرض، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنّته الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، وسيماء الخسف، وديّث بالصغار.

وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسرّاً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم من قبل أن يغزوكم، فوالذي نفسي بيده ما غزي قوم قطّ في عقر ديارهم، إلاّ ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي، واتخذّتموني وراءكم ظهرياً حتى شُنّت عليكم الغارات.

هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقتلوا حسّان بن حسّان ورجالاً منهم كثيراً ونساءً، والذي نفسي بيده لقد بلغني أنّه كان الرجل من أهل الشام يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فينتزع أحجالهما ورعثهما، ثمّ انصرفوا موفورين لم يكلم أحد منهم كلماً. فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من دون هذا أسفاً، ما كان عندي فيه ملوماً، بل كان عندي به جديراً.

يا عجباً كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقّكم!

إذا قلت لكم: اغزوهم في الشتاء، قلتم: هذا أوان قرّ وصرّ. وإن قلت لكم: اغزوهم في الصيف، قلتم: هذه حمارّة القيظ، أنظرنا ينصرم الحرّ عنّا. فإذا أنتم من الحرّ والبرد تفرّون فأنتم والله من السيف أفرّ.

يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الأحلام ويا عقول ربّات الحجال.

والله لقد أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان، ولقد ملأتم جوفي غيظاً حتى قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب شجاع ولكن لا رأي له في الحرب.

لله درّهم! ومن ذا يكون أعلم بها وأشدّ لها مراساً منّي! فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ولقد نيّفت اليوم على الستّين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع. يقولها ثلاثاً.

فقام إليه رجل معه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين! أنا وأخي هذا كما قال الله عزّ وجلّ حكايةً

عن موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ فمرنا بأمرك، فوالله لننتهينّ إليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد. فدعا له بخير ثمّ قال: وأين تقعان مما أريد ثمّ نزل عليه السلام.

قال الصدوق رحمه الله: تفسير: قال المبرد: سيماء الخسف تأويله: علامة الخسف قال الله عزّ وجلّ: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ (١) وقال عزّ وجلّ: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ﴾ (٢) وقال الله عزّ وجلّ: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ (٣) أي معلّمين.

وقوله: «ديّث بالصّغار»: تأويل ذلك يقال للبعير إذا ذلّلته الرياضة: بعير مديَّث: أي مذلّل. وقوله: «في عقر ديارهم»: أي في أصل ديارهم. والعقر: الأصل. ومن ثم يقال: لفلان عقار: أي أصل مال.

وقوله: «تواكلتم»: هو مشتقّ من وكلت الأمر إليك ووكلته إليّ إذا لم يتولّه أحد دون صاحبه، ولكن أحال به كلّ واحد على الآخر. ومن ذلك قول الحطيئة:

أمـور إذا واكـلـتـهـا لا تـواكـلـوا

وقوله: «واتّخذتموه وراءكم ظهريّاً» أي لم تلتفتوا إليه. يقال في المثل: لا تجعل حاجتي منك بظهري: أي لا تطرحها غير ناظر إليها.

وقوله: «حتى شنّت عليك الغارات»: يعني صُبّت. يقال: شننت الماء على رأسه: أي صببته. ومن كلام العرب: فلما لقي فلان فلاناً شنّه بالسيف: أي صبّه عليه صباً.

وقوله: «هذا أخو غامد»: فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية من بني غامد بن نصر من الأزد. قوله: «فينتزع أحجالها»: يعني الخلاخيل، واحدها حجل، ومن ذلك قيل للدابة: محجّلة. ويقال للقيد: حجل لأنّه يقع في ذلك الموضع. وأمّا قوله: «ورعثهما»: فهي الشنوف واحدها رعثة، وجمعها رعاث وجمع الجمع رعث.

وقوله: «ثمّ انصرفوا موفورين» من الوفر: أي لم ينل أحد منهم بأن يرزأ في بدن ولا مال. يقال: فلان موفور، وفلان ذو وفر: أي ذو مال، ويكون موفوراً في بدنه. وقوله: «لم يكلم أحد منهم كلماً»: أي لم يخدش أحد منهم خدشاً، وكل جرح صغير أو كبير فهو كلم.

وقوله: «مات من دون هذا أسفاً»: يقول تحسراً، وقد يكون الأسف الغضب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ (٤) والأسيف يكون الأجير ويكون الأسير.

وقوله: «من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم»: أي من تعاونهم وتظاهرهم.

وقوله: «وفشلكم عن حقكم» يقال: فشل فلان عن كذا إذا هابه فنكل عنه وامتنع من

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٥.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.

المضي فيه. وقوله: «قلتم هذا أوان قرّ وصرّ». فالصرّ: شدّة البرد، قال الله عزّوجلّ: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾(١).

وقوله: «هذه حمارّة القيظ»: فالقيظ: الصيف، وحمارته: اشتداد حرّه(٢).

بيان: قوله: «وجمع الجمع: رعث». قال ابن الأثير في مادة «رعث» من كتاب النهاية: الرّعاث: القرطة وهي من حلي الأذن، واحدتها: رَعْثَة ورَعَثَه وجنسها: الرعْث.

أقول: قد مرّ شرح باقي الفقرات، في رواية أُخرى.

٩٥٨ - **ما:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: الموت طالب ومطلوب، لا يعجزه المقيم، ولا يفوته الهارب، فقدّموا ولا تتكلوا، فإنّه ليس عن الموت محيص. إنّكم إن لم تقتلوا تموتوا. والذي نفس عليّ بيده، لألف ضربة بالسيف على الرأس، أهون من موت على فراش(٣).

٩٥٩ - **ما:** المفيد عن التمّار عن محمد بن الحسين عن أبي نعيم، عن صالح بن عبد الله عن هشام عن أبي مخنف عن الأعمش، عن أبي إسحاق السبيعي عن الأصبغ بن نباتة رحمه الله، قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: أيّها الناس! اسمعوا مقالتي وعوا كلامي، إنّ الخُيَلاء من التجبّر، والنّخوة من التكبّر، وإنّ الشيطان عدوّ حاضر يعدكم الباطل.

ألا إنّ المسلم أخو المسلم، فلا تنابزوا ولا تخاذلوا، فإنّ شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق ومن فارقها محق. ليس المسلم بالخائن إذا ائتمن، ولا بالمخلف إذا وعد، ولا بالكذوب إذا نطق.

نحن أهل بيت الرّحمة، وقولنا الحقّ، وفعلنا القسط، ومنّا خاتم النّبيّين، وفينا قادة الإسلام وأُمناء الكتاب، ندعوكم إلى الله ورسوله، وإلى جهاد عدوّه والشدّة في أمره وابتغاء رضوانه، وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزّكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفيء لأهله. ألا وإنّ من أعجب العجب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو بن عاص السهمي، يحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما! وإنّي والله لم أُخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قطّ، ولم أعصه في أمر قطّ، أقيه بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص، بقوّة أكرمني الله بها فله الحمد. ولقد قُبض النبيّ صلى الله عليه وآله وإنّ رأسه في حجري، ولقد وليت غسله، أغسله بيدي، وتقلّبه الملائكة المقرّبون.

وأيم الله، ما اختلفت أُمّة بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على حقّها، إلاّ ما شاء الله.

قال: فقام عمّار بن ياسر رحمة الله عليه فقال: أمّا أمير المؤمنين فقد أعلمكم أنّ الأُمّة لم تستقم عليه. فتفرّق الناس وقد نفذت بصائرهم(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٧.
(٢) معاني الأخبار، ص ٣٠٩.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٢١٦ مجلس ٨ ح ٣٧٨.
(٤) أمالي الطوسي، ص ١٠ مجلس ١ ح ١٣.

٩٦٠ - ما: المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفي، عن محمد بن إسماعيل عن زيد ابن المعدّل عن يحيى بن صالح الطيالسي عن إسماعيل بن زياد عن ربيعة بن ناجد قال: لمّا وجّه معاوية بن أبي سفيان ابن عوف الغامدي إلى الأنبار إلى الغارة، بعثه في ستّة آلاف فارس، فأغار على «هيت» و«الأنبار» وقتل المسلمين وسبى الحريم وعرض الناس على البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، استنفر أمير المؤمنين عليه السلام الناس وقد كانوا تقاعدوا عنه واجتمعوا على خذلانه، وأمر مناديه في الناس فاجتمعوا فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: أمّا بعد أيّها الناس! فوالله لأهل مصركم في الأمصار، أكثر في العرب من الأنصار. وما كان يوم عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين، حتى يبلّغ رسالات الله إلاّ قبيلتان، صغير مولدهما، ما هما بأقدم العرب ميلاداً، ولا بأكثرهم عدداً، فلمّا آووا رسول الله صلى الله عليه وآله، ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة. فتجرّدوا للدّين، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل، وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكّة واليمامة وأهل الحزن وأهل السهل قناة الدين، وتصبّروا تحت أحلاس الجلاد، حتى دانت لرسول الله صلى الله عليه وآله العرب، ورأى فيهم قرّة العين قبل أن يقبضه إليه. فأنتم في الناس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزمان من العرب.

فقام إليه رجل آدم طوال فقال: ما أنت كمحمد، ولا نحن كأولئك الذين ذكرت، فلا تكلّفنا ما لا طاقة لنا به. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اخسأ مستمعاً تحسن إجابةً، ثكلتكم الثواكل ما تزيدوني إلاّ غمّاً، هل أخبرتكم أنّي مثل محمد! أو أنكم مثل أنصاره! وإنّما ضربت لكم مثلاً، وأنا كنت أرجو أن تأسّوا بهم.

ثمّ قام رجل آخر وقال: ما أحوج أمير المؤمنين ومن معه إلى أصحاب النهروان. ثمّ تكلم الناس من كلّ ناحية ولغطوا. فقام رجل فقال بأعلى صوته: استبان فقد الأشتر على أهل العراق، أنْ لو كان حياً لقلّ اللغط، ولعلم كلّ امرئ ما يقول.

فقال لهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه: هبلتكم الهوابل، لأنا أوجب عليكم حقاً من الأشتر، وهل للأشتر عليكم من الحقّ إلاّ حقّ المسلم على المسلم؟! وغضب فنزل.

فقام حجر بن عديّ وسعيد بن قيس فقالا: لا يسوؤك الله يا أمير المؤمنين، مرنا بأمرك نتّبعه، فوالله العظيم ما يعظم جزعنا على أموالنا أن تفرّق، ولا على عشائرنا أن تقتل في طاعتك. فقال لهم: تجهّزوا للمسير إلى عدوّنا. ثمّ دخل عليه السلام منزله، ودخل عليه وجوه أصحابه فقال لهم: أشيروا عليّ برجل صليب ناصح يحشر الناس من السواد.

فقال سعيد بن قيس: عليك يا أمير المؤمنين بالناصح الأريب والشجاع الصليب معقل بن قيس التميمي. قال: نعم. ثمّ دعاه فوجّهه وسار معقل ولم يعد حتى أُصيب أمير

المؤمنين عليه السلام (١).

بيان: المراد بالقبيلتين الأوس والخزرج. وقال الجوهري: تجرّد للأمر: جدّ فيه.

قوله عليه السلام: «وتصبّروا تحت أحلاس الجلاد» أي صبروا صبراً شديداً على ملازمة القتال. قال ابن الأثير في مادة «حلس» من كتاب النهاية: «كونوا أحلاس بيوتكم»: أي الزموها. وفيه: «نحن أحلاس الخيل»: يريدون لزومهم ظهورها. واستحلسنا الخوف: أي لم نفارقه.

وفي بعض النسخ: «تحت حماس الجلاد» قال الفيروز آبادي في القاموس: حمس كفرح اشتدّ وصلب في الدين والقتال. والحمس: الأمكنة الصلبة، والأحمس: الشجاع كالحميس. والحمس: الصوت. والآدم من الناس: الأسمر والطوال بالضمّ: الطويل.

قوله عليه السلام: «اخسأ»: أي ابعد، يقال: خسأت الكلب خسأً: طردته. وخسأ الكلب بنفسه. يتعدى ولا يتعدّى. و«مستمعاً» على بناء الفاعل.

وفي بعض النسخ: «أحسن» بالحاء المهملة والنون. و«مستمَعاً» بفتح الميم مصدر. واللغط - بالتحريك -: الصوت والجلبة وهبلته أمّه ثكلته.

٩٦١ - **شا:** ومن كلامه صلوات الله عليه حين نقض معاية العهد، وبعث الضحّاك بن قيس للغارة على أهل العراق، فلقي عمرو بن عميس بن مسعود فقتله وقتل ناساً معه من أصحابه، وذلك بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصّالح وإلى جيش لكم قد أُصيب منه طرف. اخرجوا فقاتلوا عدوّكم، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين. قال: فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً، ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال: والله لوددت أنّ لي بكلّ ثمانية منكم رجلاً منهم! ويحكم اخرجوا معي ثمّ فرّوا عنّي إن بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيّتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العمدة، والثّياب المتهتّرة، كلّما خطيت من جانب، تهتكت من جانب على صاحبها(٢).

بيان: قال الجوهري: الطرف - بالتحريك -: الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء. وقوله عليه السلام: «المتهتّرة» في بعض النسخ بالتاء المثنّاة قال الفيروز آبادي في القاموس: الهتر: مزق العرض. وبالكسر: السقط من الكلام. وهتره الكبر يهتره: جعله خرفاً وأفقده عقله.

وفي بعضها «المهبرة» بالباء الموحّدة من قولهم: «هبره» قطعه قطعاً كباراً وهو أنسب. ويحتمل الياء من قولهم هار البناء: هدمه، فهار وتهوّر وتهيّر وانهار، وهو أنسب بما في بعض الروايات مكانه من المتداعية.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٧٣ مجلس ٦ ح ٢٩٣. (٢) الإرشاد، ص ١٤٥.

٩٦٢ - **شا:** ومن كلامه عليه السلام في استنفار القوم واستبطائهم عن الجهاد، وقد بلغه مسير بسر بن أرطأة إلى اليمن:

أمّا بعد أيّها الناس! فإنّ أوّل رفثكم وبدء نقضكم، ذهاب أُولي النّهى وأهل الرّأي منكم، الذين كانوا يلقون فيصدقون، ويقولون فيعدلون، ويُدعَون فيجيبون. وإنّي والله قد دعوتكم عوداً وبدءاً، وسرّاً وجهراً، وفي الليل والنّهار، والغدوّ والآصال، ما يزيدكم دعائي إلاّ فراراً وإدباراً. أما تنفعكم العظة والدّعاء إلى الهدى والحكمة!.

وإنّي لعالم بما يصلحكم ويقيم لي أودكم، ولكنّي والله - لا أُصلحكم بفساد نفسي. ولكن أمهلوني قليلاً فكأنكم والله بامرئٍ قد جاءكم، يحرمكم ويعذّبكم فيعذّبه الله كما يعذّبكم. إنّ من ذلّ المسلمين وهلاك الدّين، أنّ ابن أبي سفيان يدعو الأرذال فيجاب، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون. ما هذا فعل المتّقين[١]!

بيان: «أوّل رفثكم» في أكثر النسخ بالفاء والثاء المثلّثة: وهو الفحش من القول. ولا يناسب كثيراً. ويحتمل التّاء المثنّاة الفوقانية من قولهم: «رفته يرفته من باب ضرب ونصر: كسره ودقّه. ورفت الشيء: انكسر واندقّ. ورفت الحبل: انقطع. لازم ومتعدّ.

وفي بعض النسخ: بالقاف والتاء - وهو أظهر -: أي ضعفكم وقلّتكم. ومراوغة الثعلب وروغانه مشهوران.

٩٦٣ - **شا:** ومن كلامه صلوات الله عليه في هذا المعنى، بعد حمد الله والثناء عليه: ما أظنّ هؤلاء القوم - يعني أهل الشام - إلاّ ظاهرين عليكم. فقالوا له: بماذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: أرى أمورهم قد علت، ونيرانكم قد خبت، وأراهم جادّين، وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم مطيعين، وأراكم لي عاصين.

أما والله لئن ظهروا عليكم لتجدنّهم أرباب سوء من بعدي لكم.

لكأنّي أنظر إليهم وقد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم فيئكم. وكأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضّباب، ولا تأخذون حقّاً ولا تمنعون لله من حرمة.

وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صالحيكم، ويخيفون قرّاءكم، ويحرمونكم ويحجبونكم ويدنون الناس دونكم. فلو قد رأيتم الحرمان والأثرة ووقع السّيوف ونزول الخوف، لقد ندمتم وحسرتم على تفريطكم في جهادكم، وتذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض والعافية، حين لا ينفعكم التذكار[٢].

بيان: قال الجوهري: كشيش الأفعى: صوتها من جلدها لا من فمها، وقد كشّت تكشّ. وقال: الحسرة: أشدّ التلهّف على الشيء الفائت، تقول منه: حسر على الشيء - بالكسر - يحسر حسراً وحسرةً فهو حسير.

---

(١) الإرشاد، ص ١٤٥. (٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٤٦.

٩٦٤ - **شا:** ومن كلامه عليه السلام لما نقض معاوية بن أبي سفيان شرط الموادعة، وأقبل يشنّ الغارات على أهل العراق، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

ما لمعاوية قاتله الله! لقد أرادني على أمر عظيم، أراد أن أفعل كما يفعل فأكون قد هتكت ذمّتي ونقضت عهدي، فيتّخذها عليّ حجّة، فيكون عليّ شيناً إلى يوم القيامة كلّما ذكرت. فإن قيل له: أنت بدأت، قال: ما علمت ولا أمرت. فمن قائل يقول: صدق ومن قائل يقول: كذب. أم والله إنّ الله لذو أناة وحلم عظيم، لقد حلم عن كثير من فراعنة الأوّلين، وعاقب فراعنة، فإن يمهل الله فلم يفته، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، فليصنع ما بدا له فإنّا غير غادرين بذمّتنا، ولا ناقضين لعهدنا، ولا مروّعين لمسلم ولا معاهد حتى ينقضي شرط الموادعة بيننا إن شاء الله تعالى[1].

٩٦٥ - **شا:** ومن كلامه عليه السلام في مقام آخر.

الحمد لله وسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله. أمّا بعد، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رضيني لنفسه أخاً، واختصّني له وزيراً. أيّها الناس! أنا أنف الهدى وعيناه، فلا تستوحشوا من طريق الهدى لقلّة من يغشاه. من زعم أنّ قاتلي مؤمن فقد قتلني.

ألا وإنّ لكلّ دم ثائراً يوماً، وإنّ الثائر في دمائنا والحاكم في حقّ نفسه وحقّ ذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، هو الذي لا يعجزه ما طلب، ولا يفوته ما هرب، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون. وأقسم بالله الذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لتنتحرنّ عليها يا بني أميّة، ولتعرفنّها في أيدي غيركم ودار عدوّكم عمّا قليل، وستعلمنّ نبأه بعد حين[2].

بيان: قال الجوهري: انتحر الرجل: أي نحر نفسه. وفي المثل: سرق السارق فانتحر. وانتحر القوم على الشيء: إذا تشاحّوا عليه وتناحروا في القتال: تقاتلوا مستميتين.

٩٦٦ - **شا:** ومن كلامه عليه السلام في معنى ما تقدم:

يا أهل الكوفة خذوا أُهبتكم لجهاد عدوّكم معاوية وأشياعه. فقالوا: يا أمير المؤمنين أمهلنا يذهب عنّا القرّ. فقال: أما والله الذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم ليس بأنّهم أولى بالحقّ منكم، ولكن لطاعتهم معاوية ومعصيتكم لي.

والله لقد أصبحت الأمم كلّها تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أنا أخاف ظلم رعيّتي!

لقد استعملت منكم رجالاً فخانوا وغدروا، ولقد جمع بعضهم ما ائتمنته عليه من فيء المسلمين، فحمله إلى معاوية. وآخر حمله إلى منزله تهاوناً بالقرآن، وجرأة على الرّحمٰن، حتى إنّي لو ائتمنت أحدكم على علاقة سوط لخان، ولقد أعييتموني.

ثمّ رفع عليه السلام يده إلى السماء وقال: اللهمّ إنّي سئمت الحياة بين ظهراني هؤلاء القوم،

---

(١) - (٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٤٦-١٤٧.

وتبرّمت الأمل، فأتح لي صاحبي حتى أستريح منهم ويستريحوا منّي، ولن يفلحوا بعدي[1].

بيان: تاح له الشيء وأُتيح له الشيء: أي قدّر له. ذكره الجوهري.

والمراد بالصاحب ملك الموت. عبّر كذلك لإظهار الاشتياق إلى الموت. ويحتمل أنه أراد النبي ﷺ، أو أراد ابن ملجم لعنه الله، فالمراد بصاحبي من قدّر لقتلي.

٩٦٧ - **شا:** روى مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام يقول: خطب الناس أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أنا سيّد الشّيب، وفيَّ سنّة من أيّوب، وسيجمع الله لي أهلي كما جمع ليعقوب شمله، وذلك إذا استدار الفلك، وقلتم: مات أو هلك.

ألا فاستشعروا قبلها بالصبر وبوءوا إلى الله بالذنب، فقد نبذتم قدسكم، وأطفأتم مصابيحكم، وقلّدتم هدايتكم من لا يملك لنفسه ولا لكم سمعاً ولا بصراً، ضعف والله الطالب والمطلوب. هذا ولو لم تتواكلوا أمركم، ولم تتخاذلوا عن نصرة الحقّ بينكم، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يتشجّع عليكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم، ولا هضم الطاعة وإزوائها عن أهلها فيكم. تهتم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى.

وبحقّ أقول: ليضعفنّ عليكم التّيه من بعدي باضطهادكم ولدي، ضعف ما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى. وبحقّ قد استكملتم نهلاً، وامتلأتم عللاً من سلطان الشجرة الملعونة في القرآن. لقد اجتمعتم على ناعق ضلال، ولأجبتم الباطل ركضاً، ثمّ لغادرتم داع بالحقّ، وقطعتم الأدنى من أهل بدر، ووصلتم الأبعد من أبناء حرب. ألا ولو ذاب ما في أيديهم، لقد دنا التّمحيص للجزاء، وكشف الغطاء، وانقضت المدّة، وأزف الوعد، وبدا لكم النّجم من قبل المشرق، وأشرق لكم قمركم كملاء شهر، وكليلة تمّ، فإذا استبان ذلك، فراجعوا التّوبة، وخالفوا الحوبة، واعلموا أنّكم إن أطعتم طالع المشرق سلك بكم منهاج رسول الله ﷺ، فتداويتم من الصّمم، واستشفيتم من البكم، وكفيتم مؤنة التّعسّف والطّلب، ونبذتم الثّقل الفادح عن الأعناق. فلا يبعد الله إلاّ من أبى الرّحمة، وفارق العصمة، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون[2].

٩٦٨ - **جا:** الكاتب عن الزّعفراني عن الثقفي عن محمد بن إسماعيل، عن زيد بن المعدّل عن يحيى بن صالح عن الحارث بن حصيرة عن أبي صادق عن جندب بن عبد الله الأزدي قال: سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول لأصحابه، وقد استنفرهم أيّاماً إلى الجهاد فلم ينفروا:

أيّها الناس! إنّي قد استنفرتكم فلم تنفروا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، فأنتم شهود كأغياب

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ١٤٨. (٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٥٤.

وصمّ ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة، وأعظكم بالموعظة الحسنة وأحثكم على جهاد عدوّكم الباغين. فما آتي على آخر منطقي حتى أراكم متفرّقين أيادي سبأ. فإذا أنا كففت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً عزين تضربون الأمثال وتتناشدون الأشعار وتسألون عن الأخبار، قد نسيتم الاستعداد للحرب وشغلتم قلوبكم بالأباطيل. تربت أيديكم اغزوا القوم من قبل أن يغزوكم! فوالله ما غزي قوم قطّ في عقر ديارهم إلاّ ذلّوا.

وأيم الله ما أراكم تفعلون حتى يفعلوا، ولوددت أنّي لقيتهم على نيّتي وبصيرتي فاسترحت من مقاساتكم، فما أنتم إلاّ كإبل جمّة أضلّ راعيها، فكلّما ضمّت من جانب انتشرت من جانب آخر. والله لكأنّي بكم لو حمس الوغا وأحمّ البأس، قد انفرجتم عن عليّ بن أبي طالب انفراج الرّأس، وانفراج المرأة عن قبلها. فقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فقال له: يا أمير المؤمنين! فهلاّ فعلت كما فعل ابن عفّان؟

فقال له عليه السلام: يا عرف النار ويلك! إنّ فعل ابن عفّان لمخزاة على من لا دين له ولا حجّة معه، فكيف وأنا على بيّنة من ربّي والحقّ في يدي؟! والله إنّ امرأ يمكّن عدوّه من نفسه، يخذع لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده ويسفك دمه، لضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره أنت فكن كذلك إن أحببت، فأمّا أنا فدون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفي، يطير منه فراش الهام، وتطيح منه الأكف والمعاصم، ويفعل الله بعد ما شاء.

فقام أبو أيّوب الأنصاري خالد بن زيد، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أيّها الناس! إنّ أمير المؤمنين قد أسمع من كانت له أذن واعية وقلب حفيظ، إنّ الله قد أكرمكم بكرامة لم تقبلوها حقّ قبولها، إنّه نزل بين أظهركم ابن عمّ نبيكم وسيّد المسلمين من بعده، يفقّهكم في الدين، ويدعوكم إلى جهاد المحلّين، فكأنكم صمّ لا تسمعون، أو على قلوبكم غلف، مطبوع عليها، فأنتم لا تعقلون.

أفلا تستحيون عباد الله! أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس! قد شمل البلاء وشاع في البلاد، فذو حقّ محروم وملطوم وجهه وموطّأ بطنه، وملقى بالعراء تسفي عليه الأعاصير، لا يكنّه من الحرّ والقرّ وصهر الشمس والضّحّ، إلاّ الأثواب الهامدة وبيوت الشعر البالية، حتى جاءكم الله بأمير المؤمنين، فصدع بالحقّ، ونشر العدل، وعمل بما في الكتاب. يا قوم! فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تولّوا مدبرين، ولا تكونوا كالذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون، اشحذوا السيوف، واستعدّوا لجهاد عدوّكم، فإذا دعيتم فأجيبوا، وإذا أُمرتم فاسمعوا وأطيعوا، وما قلتم فليكن ما أضمرتم عليه تكونوا بذلك من الصادقين(١).

٩٦٩ - كتاب الغارات بإسناده إلى جندب مثله.

بيان: الحلق بفتح الحاء وكسرها وفتح اللام: جمع حلقة. وقال الجوهري: العزة:

(١) أمالي المفيد، مجلس ١٨.

الفرقة من الناس، والهاء عوض من الياء، والجمع عزى على وزن فعل. وعُزون وعُزون أيضاً بالضمّ ومنه قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾[1] قال الأصمعي: يقال: في الدار عزون: أي أصناف من الناس.

قوله عليه السلام: «أضلّ راعيها» في بعض النسخ: «ضلّ». قال الجوهري في الصحاح: قال ابن السّكّيت: أضللت بعيري: إذا ذهب منك. وضللت المسجد والدار: إذا لم تعرف موضعهما. وفي الحديث «لعلي أضلّ الله» يريد أضلّ عنه: أي أخفى عليه. وقال: حمّ الشيء وأحمّ: قدّر وأحمّه أمر: أي أهمّه. وأحمّ خروجنا: أي دنا. وفي سائر الروايات: «وحمي البأس». قوله عليه السلام: «يا عرف النار» لعلّه عليه السلام شبّهه بعرف الديك، لكونه رأساً فيما يوجب دخول النار، أو المعنى أنّك من القوم الذين يتبادرون دخول النار من غير رويّة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾.

وقال الفيروزآبادي في القاموس: خذع اللحم وما لا صلابة فيه - كمنع - خرزه وقطعه في مواضع. وقال: صهرته الشمس - كمنع: صحرته. والشيء: أذابه. والصهر - بالفتح -: الحار. واصطهر واصهارّ: تلألأ ظهره من حرّ الشمس. وقال: الضّحّ - بالكسر -: الشمس وضوؤها، والبراز من الأرض وما أصابته الشمس. وقال: الهمود: الموت وتقطّع الثوب من طول الطي. والهامد: البالي المسودّ المتغيّر.

٩٧٠ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمين وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران، لما غلب عليهما بسر بن أرطأة، فقام عليه السلام إلى المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي فقال:

ما هي إلاّ الكوفة أقبضها وأبسطها، إن لم تكوني إلاّ أنت تهبّ أعاصيرك فقبّحك الله. وتمثّل عليه السلام بقول الشاعر:

لعمر وأبيك الخير يا عمرو إنّني على وضر من ذا الإناء قليل

ثم قال عليه السلام: أنبئت بسراً قد اطّلع اليمن، وإنّي والله لأظنّ أنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحقّ وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته!

اللهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً منّي. اللّهم مث قلوبهم كإيماث الملح في الماء.

أما والله لوددت أنّ لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم، ثمّ تمثّل عليه السلام:

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٣٧.

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم

ثمّ نزل عليه السلام من المنبر.

قال السّيد الرّضي رحمه الله : الأرمية: جمع «رميّ» وهو السحاب. والحميم هاهنا: وقت الصيف، وإنّما خصّ الشّاعر سحاب الصيف بالذكر؛ لأنّه أشدّ جفولاً وأسرع خفوقاً، لأنّه لا ماء فيه وإنّما يكون السحاب ثقيل السير، لامتلائه بالماء. وذلك لا يكون في الأكثر إلاّ في زمان الشتاء، وإنّما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دُعوا، والإغاثة إذا استغيثوا، والدليل عليه، قوله: «هنالك لو دعوت أتاك منهم»[1].

بيان: قوله عليه السلام : «ما هي إلاّ الكوفة أقبضها وأبسطها» أي ما مملكتي إلاّ الكوفة أتصرف فيها كما يتصرّف الإنسان في ثوبه يقبضه ويبسطه.

والكلام في معرض التحقير، أي ما أصنع بتصرّفي فيها مع حقارتها.

ويحتمل أن يكون المراد عدم التمكن التامّ من التصرف فيها لنفاق أهلها، كمن لا يقدر على لبس ثوب بل على قبضه وبسطه. أو المراد بالبسط: بثّ أهلها للقتال عند طاعتهم. وبالقبض: الاقتصار على ضبطهم عند المخالفة.

والخطاب في قوله عليه السلام : «إن لم تكوني إلاّ أنت» التفات.

قوله عليه السلام : «تهبّ أعاصيرك» الجملة في موضع الحال، وخبر «كان» محذوف، ولفظ الأعاصير على حقيقته، فإنّ الكوفة معروفة بهبوب الإعصار فيها.

ويحتمل أن يكون مستعاراً لآراء أهلها المختلفة، والتقدير: إن لم تكوني إلاّ أنت عدّة لي وجُنّة ألقى بها العدوّ، وحظّاً من الملك والخلافة مع ما فيك من المذامّ، فقبحاً لك وبعداً. ويمكن أن يقدر المستثنى منه حالاً، أي لم تكوني على حال إلاّ أن تهبّ فيك الأعاصير دون أن يكون فيك من يستعان به على العدوّ.

والإعصار: ريح تهبّ وتمتدّ من الأرض كالعمود نحو السماء. وقيل: هو كلّ ريح فيها العصار، وهو الغبار الشّديد. والوضر: - بفتح الضاد -: الدرن الباقي في الإناء بعد الأكل، ويستعار لكلّ بقيّة من شيء يقلّ الانتفاع بها. واستعار بلفظ الإناء للدّنيا وبلفظ الوضر القليل لما فيها لحقارتها. وروي «من ذي الآلاء» فإنّما أراد: إنّي على بقيّة من هذا الأمر كالقدر الحاصل لناظر الآلاء، مع عدم انتفاعه بشيء آخر فإنّ الآلاء كسحاب. «وسبا» غير مهموز: شجر حسن المنظر مرّ الطعم.

قوله عليه السلام : «قد اطّلع اليمن»: أي غلبها وغزاها وأغار عليها، من الاطلاع وهو الإشراف من مكان عال.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٨٤ خ ٢٥.

قوله عليه السلام: «سيدالون منكم» أي يغلبونكم ويكون لهم الجولة عليكم.

ولعلّ التفرّق عن الحقّ ومعصية الإمام واحد، أتى بهما تأكيداً.

وقيل: المراد بالحقّ الذي تفرّقوا عنه هو تصرّفهم في الفيء والغنائم وغيرها بإذن الإمام. وأداء الأمانة: الوفاء بالعهد والبيعة أو مطلقاً. والصلاح في البلاد: ترك التعرّض للناس وتهييج الفتن. والقعب: القدح الضخم.

قوله عليه السلام: «أن يذهب بعلاقته»: الضمير المستتر راجع إلى الأحد في قوله: «فلو ائتمنت أحدكم» والباء للتعدية، أو إلى «القعب» والباء بمعنى مع.

وقوله عليه السلام: «خيراً منهم وشرّاً منّي»: صيغة أفعل فيه بمنزلتها في قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾(١) على سبيل التنزّل أو التهكم، أو أريد بالصيغة أصل الصفة بدون تفضيل.

ولعلّ المراد بقوله: «خيراً منهم»: قوم صالحون ينصرونه ويوفّقون لطاعته، أو ما بعد الموت من مرافقة النبيّ صلى الله عليه وآله وغيره من الأنبياء عليهم السلام. وتمنّيه عليه السلام لفوارس من فراس بن غنم ربما يؤيّد الوجه الأوّل.

ويروى أنّ اليوم الذي دعا فيه عليه السلام ولد الحجّاج. وروي أنّه ولد بعد ذلك بمدّة يسيرة، وفعل الحجاج بأهل الكوفة مشهور. ويقال: ماث زيد الملح في الماء: أي أذابه.

قوله عليه السلام: «لوددت أنّ لي بكم» إلى قوله: «هنالك لو دعوت أتاك منهم»: البيت لأبي جندب الهذلي، وبنو فراس حيّ مشهور بالشجاعة. والجفول: الإسراع. والخفوق: العجلة.

٩٧١ - **نهج:** وقال عليه السلام لمّا بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار، فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيلة فأدركه الناس، وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم.

فقال عليه السلام: والله لا تكفوني في أنفسكم فكيف تكفوني غيركم! إن كانت الرّعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، وإنّي اليوم لأشكو حيف رعيّتي، كأنّي المقود وهم القادة، أو الموزوع وهو الوزعة! ولمّا قال عليه السلام هذا القول - في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب - تقدّم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: «إنّي لا أملك إلاّ نفسي وأخي، فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين ننفذ له». فقال عليه السلام: وأين تقعان ممّا أُريد(٢)!

بيان: وزعه يزعه: كفّه ومنعه.

٩٧٢ - ٩٧٣ - **أقول:** كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي بإسناده عن عمارة بن عمير أنّه قال: كان لعلي عليه السلام صديق يكنّى بأبي مريم من أهل المدينة، فلمّا سمع بتشتّت الناس عليه أتاه، فلمّا رآه علي عليه السلام قال: أبو مريم؟ قال: نعم. قال: ما جاء بك قال: إنّي لم آتك لحاجة، ولكنّي كنت أراك لو ولّوك أمر هذه الأُمّة أجزأته. قال: يا أبا مريم إنّي

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥١.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٨٦ قصار الحكم برقم ٢٦٣.

صاحبك الذي عهدت، ولكنّي مُنيت بأخبث قوم على وجه الأرض! أدعوهم إلى الأمر الصائب فلا يتّبعوني، فإذا تابعتهم على ما يريدون تفرقوا عنّي.

وعن فضيل بن جعد عن مولى الأشتر قال: شكى عليّ عليه السلام إلى الأشتر فرار الناس إلى معاوية، فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين! إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة، وأهل الكوفة، والرأي واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادوا، وضعفت النّية، وقلّ العدل، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحقّ، وتنصف الوضيع من الشريف، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجّ طائفة ممّن معك على الحقّ إذ عُمّوا به، واغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقلّ من الناس من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم من يجتوي الحقّ ويستمري الباطل ويؤثر الدنيا. فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الناس، وتصفو نصيحتهم، وتستنزل ودّهم، صنع الله لك يا أمير المؤمنين، وكبت عدوّك، وفضّ جمعهم، ووهّن كيدهم وشتّت أمورهم، إنّه بما يعملون خبير.

فأجابه عليّ عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أمّا ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإنّ الله يقول: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1] وأنا من أن أكون مقصّراً فيما ذكرت أخوف.

وأمّا ما ذكرت من أنّ الحقّ ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا من جور، ولم يلجأوا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلاّ دنياً زائلة عنهم، كأن قد فارقوها، وليُسألنّ يوم القيامة أللدنيا أرادوا أم لله عملوا. وأمّا ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال، فإنّا لا يسعنا أن نؤتي امرءاً من الفيء أكثر من حقه، وقد قال الله وقوله الحقّ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

وقد بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وحده فكثّره بعد القلّة، وأعزّ فئته بعد الذلّة، وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر، يذلّل لنا صعبه ويسهّل لنا حزنه وأنا قابل من رأيك ما كان لله فيه رضاً، وأنت من أعزّ أصحابي وأوثقهم في نفسي وأنصحهم عندي[3]

٩٧٤ - **كنز الكراجكي**: روي أنّ هذه الأبيات لأمير المؤمنين عليه السلام:

أخذتكم درعاً حصيناً لتدفعوا ... سهام العدى عنّي فكنتم نصالها
فإن أنتمُ لم تحفظوا لمودّتي ... ذِماماً فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف المعذور عنّي بجانب ... وخلّوا نبالي للعدى ونبالها[4]

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.
(٣) كتاب الغارات للثقفي، ص ٧٠.
(٤) كنز الفوائد للكراجكي.

٣٢ - باب علّة عدم تغيير أمير المؤمنين عليه السلام بعض البدع في زمانه

٩٧٥ - ج: عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا أُلبستم الفتنة، ينشأ فيها الوليد، ويهرم فيها الكبير، وتجري الناس عليها حتى يتّخذوها سنّة، فإذا غيّر منها شيء قيل: أُتي الناس بمنكر غيّرت السنّة. ثمّ تشتدّ البليّة، وتنشأ فيها الذريّة، وتدقّهم الفتن كما تدقّ النار الحطب، وكما تدقّ الرحى بثفالها. يتفقّه الناس لغير الدين، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة.

ثمّ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، ومعه ناس من أهل بيته وخاصّ من شيعته، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: لقد عملت الولاة قبلي بأمور عظيمة، خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين لذلك، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها التي كانت عليها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لتفرّق عنّي جندي! حتى أبقى وحدي إلاّ قليلاً من شيعتي الذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله.

أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى المكان الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله ومدّه إلى ما كان. وأمضيت قطائع كان رسول الله صلى الله عليه وآله أقطعها لناس مسمّين، ورددت دار جعفر بن أبي طالب إلى ورثته وهدمتها وأخرجتها من المسجد، ورددت الخمس إلى أهله، ورددت قضاء كلّ من قضى بجور، و [رددت] سبي ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت ديوان العطاء، وأعطيت كما كان يعطي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء...

والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة، فنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل دوني، وسيفه معي أتقي به في الإسلام وأهله: غيّرت سنّة عمر ونهى أن يصلّى في شهر رمضان في جماعة، حتى خفت أن يثور بي ناحية عسكري. ما لقيت هذه الأمّة من أئمّة الضّلالة والدعاة إلى النّار!.

وأعظم من ذلك، سهم ذوي القربى الذين قال الله تبارك وتعالى في حقّهم: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ (١) نحن والله عنى بذوي القربى الذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه صلى الله عليه وآله، ولم يجعل لنا في الصّدقة نصيباً، أكرم الله سبحانه وتعالى نبيّه، وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي الناس.

فقال له رجل: إنّي سمعت من سلمان وأبي ذرّ الغفاري والمقداد، أشياء من تفسير القرآن

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

والرّواية عن النّبي صلى الله عليه وآله، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله، وأنتم تخالفونهم وتزعمون أنّ ذلك باطل، أفترى الناس يكذبون متعمّدين على نبيّ الله صلى الله عليه وآله ويفسّرون القرآن بآرائهم؟

قال: فأقبل إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: قد سألت فافهم الجواب:

إنّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حيّ، حتى قام خطيباً فقال: «أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار». وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان متصنّع بالإسلام، لا يتأثّم ولا يتحرّج في أن يكذب على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّداً، فلو علم الناس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا: «صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه ولقف عنه» فيأخذون بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك.

ثمّ بقوا بعده صلى الله عليه وآله فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال وجعلوهم حكّاماً على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلاّ من عصمه الله. فهذا أحد الأربعة.

وثاني الأربعة رجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه ولم يتعمد كذباً، وهو في يديه يرويه ويعمل به ويقول: «أنا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله». فلو علم المسلمون أنّه وهم فيه لم يقبلوا منه، ولو علم هو أنّه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يأمر به ثمّ نهى رسول الله عنه وهو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثمّ أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ. فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً لله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يهم به، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه، ولم يزد فيه ولم ينقص منه، وحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاصّ والعامّ فوضع كلّ شيء موضعه، وعرف المتشابه والمحكم.

وقد يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان، فكلام خاصّ وكلام عامّ، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به، ولا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه وآله، فيحمله السّامع يوجّهه على غير معرفة بمعناه ولا ما قصد به وما خرج من أجله.

وليس كلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يسأله ويستفهمه، حتى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي أو الطّاري فيسأله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوا كلامه وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلاّ

سألت عنه وحفظته. فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم[١].

بيان: قد مرّ شرح آخر الخبر وسيأتي شرح أوّله.

قوله عليه السلام: «أتقي به الإسلام» في بعض النسخ: «ينعى الإسلام» والنعي: خبر الموت: أي كان ينادي مظهراً أنه مات الإسلام وأهله بتغيير سنّة عمر.

٩٧٦ - **شي:** عن حريز عن بعض أصحابنا عن أحدهما قال: لمّا كان أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة أتاه الناس فقالوا: اجعل لنا إماماً يؤمّنا في شهر رمضان. فقال: لا. ونهاهم أن يجتمعوا فيه، فلمّا أمسوا جعلوا يقولون: ابكوا في رمضان وا رمضاناه.

فأتاه الحارث الأعور في أناس فقال: يا أمير المؤمنين ضجّ الناس وكرهوا قولك. فقال عليه السلام: دعوهم وما يريدون ليصلّي بهم من شاءوا. ثمّ قال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٢].

٩٧٧ - **جا:** الكاتب عن الزعفراني عن الثقفي عن يوسف بن كليب عن معاوية بن هشام عن الصباح بن يحيى المزني عن الحارث بن حصيرة قال: حدّثني جماعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال يوماً: ادعوا لي غنيّاً وباهلة - وحيّاً آخر قد سمّاهم - فليأخذوا عطاياهم، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما لهم في الإسلام نصيب، وإنّي شاهد ومنزلي عند الحوض وعند المقام المحمود، أنّهم أعداء لي في الدنيا والآخرة ولآخذن غنياً أخذةً يضرط باهلة. ولئن ثبتت قدماي لأردنّ قبائل إلى قبائل، وقبائل إلى قبائل، ولأبهرجنّ ستّين قبيلةً ما لها في الإسلام نصيب[٣].

بيان: البهرج: الباطل. وبهرجه: أي جعل دمه هدراً.

٩٧٨ - **كا:** ثقة الإسلام الكُلَيني في كتاب الروضة عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد ابن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم خلّتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل. أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة.

ألا وإنّ الدنيا قد ترحّلت مدبرة، وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدّنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وإنّ غداً حساب ولا عمل. وإنّما بدء وقوع الفتن من أهواء تتّبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله، يتولّى فيها رجال رجالاً.

---

(١) الاحتجاج، ص ٢٦٣.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٠٢ ح ٢٧١ من سورة النساء.

(٣) أمالي المفيد، مجلس ٤٠.

ألا إنّ الحقّ لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أنّ الباطل خلص لم يَخف على ذي حجى، لكنّه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث، فيمزجان فيجتمعان فيجلّيان معاً، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى، إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتّخذونها سنّة، فإذا غيّر منها شيء قيل: قد غيّرت السنّة وأتى الناس منكراً.

ثمّ تشتدّ البليّة وتسبى الذرّيّة وتدقّهم الفتنة كما تدقّ النّار الحطب، وكما تدق الرّحى بثفالها، ويتفقّهون لغير الله، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدّنيا بأعمال الآخرة.

ثمّ أقبل عليه السلام بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصّته وشيعته، فقال:

قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّق عنّي جندي، حتى أبقى وحدي أو مع قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزّ ذكره وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر عليه السلام إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نساءً تحت رجال بغير حقّ فرددتهنّ إلى أزواجهنّ، واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأحكام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي بالسّويّة، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء، وألقيت المساحة وسوّيت بين المناكح، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عزّ وجلّ وفرضه، ورددت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما كان عليه، وسددت ما فتح فيه من الأبواب وفتحت ما سدّ منه، وحرمت المسح على الخفين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أُدخل مع رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ممّن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجه، وأدخلت من أُخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنّة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله إذاً لتفرقوا عنّي.

والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي، «يا أهل الإسلام

غيّرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً»!. ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري! ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمّة الضّلالة والدعاة إلى النار!

ولو أعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عزّوجلّ: ﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾[1] فنحن والله عنى بذي القربى الذي قرننا الله بنفسه وبرسوله. فقال: ﴿فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾[2] فينا خاصّة؛ ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾[3]. ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله﴾[4] في ظلم آل محمد ﴿إنّ الله شديد العقاب﴾لمن ظلمهم، رحمة منه لنا، وغنى أغنانا الله به ووصّى به نبيّه ﷺ، ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، أكرم الله رسوله ﷺ، وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ الناس، فكذّبوا الله وكذّبوا رسوله وجحدوا كتاب الله الناطق بحقّنا، ومنعونا فرضاً فرضه الله لنا، ما لقي أهل بيت نبيّ من أُمّته ما لقينا بعد نبيّنا! والله المستعان على من ظلمنا، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العظيم[5]!

تبيين: أقول: وجدت في أصل كتاب سليم مثله.

قوله عليه السلام: «إنّ أخوف» لفظ: «أخوف» مشتقّ من المبني للمفعول على خلاف القياس كأشهر. قوله عليه السلام: «قد ترحّلت» قال الفيروز آبادي: ارتحل القوم عن المكان: انتقلوا كترحّلوا. شبّه عليه السلام انقضاء العمر في الدنيا شيئاً فشيئاً، ونقص لذّاتها بترحّلها وإدبارها وقرب الموت يوماً فيوماً بترحّل الآخرة وإقبالها.

قوله عليه السلام: «اليوم عمل» قال ابن ميثم: لفظ «عمل» قائم مقام الخبر، من قبيل استعمال المضاف إليه مقام المضاف: أي اليوم يوم عمل، أو وقت عمل.

قوله عليه السلام: «إنّما بدء وقوع الفتن» إلى آخره قد أورد الكليني رحمه الله، في كتاب العقل من الكافي هذا الجزء من الخبر بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام وفيه: «أيّها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله».

قوله عليه السلام: «من هذا ضغث» الضغث: ملءُ الكفّ من الشجر والحشيش والشماريخ.

قوله عليه السلام: «فيجلّيان» وفي كتاب العقل من الكافي: «فيجيئان معاً، فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى» وهو أظهر. وعلى ما في هذا الخبر، لعلّ المراد: نجا الذين قال الله فيهم سبقت لهم منّا الحسنى، أي سبقت لهم في عالم الله وقضائه ومشيته، الخصلة الحسنة وهي السعادة أو التوفيق للطاعة، أو البشرى بالجنّة، أو العاقبة الحسنى.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١. (٢) - (٤) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٥) روضة الكافي المطبوع مع الاصول، ص ٧٠٠ ح ٢١.

قوله عليه السلام : «البستم» كذا في بعض النسخ وهو الظاهر وفي بعضها : «أُلبستم» على بناء المجهول من الأفعال وهو أظهر. وفي أكثره: «ألبستم» فيحتمل المعلوم والمجهول بتكلّف، إمّا لفظاً وإمّا معنىً. قوله عليه السلام : «يربو فيها الصغير» قال الفيروزآبادي: ربا المال ربوّاً - كعلوّاً -: زاد ونما. والغرض بيان كثرة امتدادها.

قوله عليه السلام : «وقد أتى الناس منكراً»: لعلّه داخل تحت القول ويحتم العدم.

قوله عليه السلام : «وكما تدقّ الرحى بثفالها» في أكثر النسخ بالقاف ولعلّه تصحيف. والظاهر الفاء، قال الجزري: وفي حديث عليّ عليه السلام : «تدقّهم الفتن دقّ الرحى بثفالها» الثفال- بالكسر-: جلدة تبسط تحت رحى اليد، ليقع عليها الدقيق ويسمّى الحجر الأسفل ثفالاً بها، والمعنى أنّها تدقّهم دقّ الرّحى بالحبّ إذا كانت مثقلة، ولا تثقل إلاّ عند الطحن.

وقال الفيروز آبادي: وقول زهير: «فتعرككم عرك الرحى بثفالها»: أي على ثفالها، أي حال كونها طاحنة؛ لأنّهم لا يثفلونها إلاّ إذا طحنت انتهى. وعلى ما في أكثر النسخ، لعلّ المراد مع ثقالها: أي إذا كانت معها ما يثقلها من الحبوب، فيكون أيضاً كناية عن كونها طاحنة.

قوله عليه السلام : «أو قليل»: أي أو يبقى معي قليل.

قوله عليه السلام : «لو أمرت بمقام إبراهيم»: إشارة إلى ما فعله عمر من تغيير المقام عن الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، إلى موضع كان فيه في الجاهلية، وقد رواه الخاصّة والعامّة كما مرّ في بدعه.

قوله عليه السلام : «ونزعت نساء» الخ : كالمطلّقات ثلاثاً في مجلس واحد وغيرها مما خالفوا فيه حكم الله. «وسبيت ذراري بني تغلب»: لأنّ عمر رفع عنهم الجزية كما مرّ في بدعه، فهم ليسوا بأهل ذمّة فيحلّ سبي ذراريهم. قوله عليه السلام : «ومحوت دواوين العطايا»: أي التي بنيت على التفضيل بين المسلمين في زمن الثلاثة.

قوله عليه السلام : «ولم أجعلها دولة» قال الجزري: في حديث أشراط الساعة: «إذا كان المغنم دولاً»: هي جمع دُولة بالضمّ، وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم.

قوله عليه السلام : «وألقيت المساحة»: إشارة إلى ما عدّه الخاصّة والعامّة من بدع عمر، أنّه قال: ينبغي أن يجعل مكان هذا العشر ونصف العشر دراهم، تأخذها من أرباب الأملاك، فبعث إلى البلدان من مسح على أهلها فألزمهم الخراج، فأخذه من العراق وما يليها ما كان أخذه منهم ملوك الفرس على كلّ جريب درهماً واحداً، وقفيزاً من أصناف الحبوب، وأخذ من مصر ونواحيها ديناراً وإردبّاً عن مساحة جريب، كما كان يأخذ منهم ملوك الإسكندرية.

وقد روى البغوي في كتاب شرح السنة وغيره من علمائهم عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مدّها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها. والإردب لأهل مصر أربعة وستّون منّاً وفسّره أكثرهم بأنّه قد محى ذلك شريعة الإسلام. وكان أوّل بلد مسحه عمر بلد الكوفة، وقد مرّ الكلام فيه في باب بدع عمر.

قوله عليه السلام : «وسوّيت بين المناكح»: بأن يزوّج الشريف والوضيع كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله ، وزوّج بنت عمّه مقداداً. وعمر نهى عن تزويج الموالي والعجم كما في بعض الروايات. قوله عليه السلام : «وأمرت بإحلال المتعتين»: أي متعة النساء ومتعة الحجّ اللتين حرّمهما عمر. «خمس تكبيرات»: أي لا أربعاً كما ابتدعه العامّة ونسبوه إلى عمر كما مرّ.

قوله عليه السلام : «وألزمت الناس»: الخ. يدلّ ظاهراً على وجوب الجهر بالبسملة مطلقاً، وإن أمكن حمله على تأكد الاستحباب.

قوله عليه السلام : «وأخرجت» الخ : الكلام يحتمل أن يكون المراد إخراج جسدي المعلومين اللذين دفنا في بيته صلى الله عليه وآله بغير إذنه، مع أن النبيّ صلى الله عليه وآله لم يأذن لهما لخوخة في مسجده، وإدخال جسد فاطمة عليها السلام ودفنها عند النبيّ صلى الله عليه وآله أو رفع الجدار من بين قبريهما.

ويحتمل أن يكون المراد، إدخال من كان ملازماً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، كعمّار وأضرابه، وإخراج من أخرجه الرسول صلى الله عليه وآله من المطرودين. ويمكن أن يكون تأكيداً لما مر من فتح الأبواب وسدّها.

قوله عليه السلام : «ورددت سبايا فارس»: لعلّ المراد الاسترداد ممن اصطفاهم أو أخذ زائداً عن حظّه. قوله عليه السلام : «ما لقيت»: كلام مستأنف للتعجّب. وقوله : «أعطيت»: رجوع إلى الكلام السابق ولعلّ التأخير من الرواة.

وفي رواية الاحتجاج : «وأعظم من ذلك» كما مرّ وهو أظهر.

قوله : ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ : هذه من تتمّة آية الخمس، حيث قال تعالى : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

قال البيضاوي: جملة ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ : متعلّق بمحذوف دلّ عليه قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ : أي إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنّه جعل الخمس لهؤلاء، فسلّموا إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية، فإنّ العلم المتعلّق بالعمل إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرّد؛ لأنّه مقصود بالعرض، والمقصود بالذات هو العمل. ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد من الآيات والملائكة والنصر ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر فإنّه فرّق فيه بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار[2].

أقول: لعلّ نزول حكم الخمس كان في غزاة بدر وقوله : «وما أنزلنا» إشارة إليه كما يظهر في بعض الأخبار. وفسّر عليه السلام «ذي القربى» بالأئمة كما دلّت عليه الأخبار المستفيضة، وعليه انعقد إجماع الشيعة.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٥٢.

قوله: «كيلا يكون دولة» هذه تتمة لآية أُخرى وردت في فيئهم عليهم السلام حيث قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ﴾ - أي الفيء الذي هو حقّ الإمام عليه السلام - ﴿دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[1] «الدولة - بالضمّ-: ما يتداوله الأغنياء وتدور بينهم كما كان في الجاهلية. قوله عليه السلام: «رحمة لنا»: أي فقرّر الخمس والفيء لنا رحمة منه لنا، وليغنينا بهما عن أوساخ أيدي الناس.

٩٧٩ - **نهج:** وقال عليه السلام: لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت أشياء[2].

بيان: المداحض: المزالق. واستواء القدمين كناية عن تمكّنه عليه السلام من إجراء الأحكام الشرعية على وجوهها؛ لأنّه عليه السلام لم يتمكن من تغيير بعض ما كان في أيّام الخلفاء كما عرفت.

٩٨٠ - **كا:** محمد بن يحيى عن محمد بن إسماعيل القمي عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة رفعه قال: مرّ أمير المؤمنين برجل يصلّي الضحى في مسجد الكوفة، فغمز جنبه بالدرة وقال: نحرت صلاة الأوّابين نحرك الله؟ قال: فأتركها! قال: فقال: أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى. فقال أبو عبد الله عليه السلام: وكفى بإنكار عليّ عليه السلام نهياً[3].

بيان: «أرأيت الذي»: أي أقول: اتركها، فتقول أنت وأمثالك مثل هذا؟! أو قال ذلك تقية.

٩٨١ - **يب:** عليّ بن الحسن بن فضّال عن أحمد بن الحسن عن عمرو بن سعيد المدائني عن مصدق بن صدقة عن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الصلاة في شهر رمضان في المساجد. قال: لمّا قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن عليّ أن ينادي في الناس لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة، فنادى في الناس الحسن بن عليّ عليه السلام بما أمره به أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا سمع الناس مقالة الحسن بن علّي عليه السلام، صاحوا وا عمراه وا عمراه. فلمّا رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال له: ما هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين الناس يصيحون وا عمراه وا عمراه فقال أمير المؤمنين: قل لهم: صلّوا[4].

٩٨٢ - كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي:

عن مخوّل بن إبراهيم عن إسرائيل عن عاصم بن سليمان عن محمد بن سيرين عن شريح قال: بعث إليّ علي عليه السلام أن أقضي بما كنت أقضي سابقاً حتى يجتمع أمر الناس[5].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٨٩ قصار الحكم برقم ٢٧٤.
(٣) الكافي، ج ٣ ص ٢٣٦ باب ٢٥٦ ح ٨.
(٤) تهذيب الأحكام، ج ٣ ص ٤٨٣ باب ٤ ح ٣٠.
(٥) كتاب الغارات، ص ١٢٣.

٣٣ - باب باب نوادر ما وقع في أيام خلافته عليه السلام وجوامع خطبه ونوادرها

٩٨٣ - **كا:** عليّ بن الحسن المؤدّب عن البرقي، وأحمد بن محمد عن علي بن الحسن التّيمي، جميعاً عن إسماعيل بن مهران عن عبد الله بن الحارث عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفّين، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

أمّا بعد، فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقاً بولاية أمركم ومنزلتي التي أنزلني الله عزّ ذكره، بها منكم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، والحقّ أجمل الأشياء في التواصف، وأوسعها في التّناصف، لا يجري لأحد إلاّ جرى عليه، ولا يجري عليه إلاّ جرى له، ولو كان لأحذ أن يجري ذلك له ولا يجري عليه لكان ذلك لله عزّ وجلّ خالصاً دون خلقه، لقدرته على عباده، ولعدله في كلّ ما جرت عليه صروف قضائه، ولكن جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، وجعل كفّارتهم عليه بحسن الثّواب تفضّلاً منه وتطوّلاً بكرمه وتوسّعاً بما هو من المزيد له أهلاً.

ثمّ جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافأ في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلاّ ببعض.

فأعظم مما افترض الله تبارك وتعالى من تلك الحقوق، حقّ الوالي على الرعيّة وحقّ الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله عزّ وجلّ لكلّ على كلّ، فجعلها نظام ألفتهم، وعزّاً لدينهم، وقواماً لسير الحقّ فيهم، فليست تصلح الرعية إلاّ بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرعيّة. فإذا أدّت الرعيّة إلى الوالي حقّه وأدّى إليها الوالي كذلك، عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السّنن، وصلح بذلك الزّمان وطاب بها العيش، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء.

وإذا غلبت الرعيّة على واليهم، وعلا الوالي الرعية اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت مطالع الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت معالم السنن، فعمل بالهوى، وعطّلت الآثار وكثرت علل النفوس، ولا يستوحش لجسيم حدّ عطّل، ولا لعظيم باطل أثّل، فهنالك تذل الأبرار وتعزّ الأشرار وتخرب البلاد وتعظم تبعات الله عزّ وجلّ عند العباد.

فهلمّ أيّها الناس إلى التعاون على طاعة الله عزّ وجلّ، والقيام بعدله والوفاء بعهده، والإنصاف له في جميع حقّه، فإنّه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، وليس أحد وإن اشتدّ على رضاء الله حرصه وطال في العمل اجتهاده، ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله ولكن من واجب حقوق الله عزّ وجلّ على العباد النّصيحة له بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحقّ بينهم.

وليس امرؤ - وإن عظمت في الحقّ منزلته وجسمت في الحقّ فضيلته - بمستغن عن أن يعاون على ما حمّله الله عزّ وجلّ من حقّه، ولا امرئ مع ذلك خسأت به الأمور واقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه، وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر من ذلك حاجة، وكلّ في الحاجة إلى الله عزّ وجلّ شرع سواء.

فأجابه رجل من عسكره لا يدرى من هو، ويقال: إنّه لم ير في عسكره قبل ذلك اليوم ولا بعده، فقام وأحسن الثناء على الله عزّ وجلّ بما أبلاهم وأعطاهم من واجب حقّه عليهم، والإقرار له بما ذكر من تصرّف الحالات به وبهم.

ثم قال: أنت أميرنا ونحن رعيّتك، بك أخرجنا الله عزّ وجلّ من الذّل، وبإعزازك أطلق عباده من الغلّ، فاختر علينا فأمض اختيارك، وائتمر فأمض ائتمارك، فإنّك القائد المصدّق، والحاكم الموفق، والملك المخوّل، لا نستحلّ في شيء معصيتك، ولا نقيس علماً بعلمك، يعظم عندنا في ذلك خطرك، ويجلّ عنه في أنفسنا فضلك.

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إن من حقّ من عظّم جلال الله في نفسه، وجل موضعه من قلبه، أن يصغر عنده - لعظم ذلك - كلّ ما سواه، وإنّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعم الله عليه ولطف إحسانه إليه، فإنّه لم تعظم نعم الله على أحد إلاّ زاد حقّ الله عليه عظماً.

وإنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظنّ بهم حبّ الفخر، ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أنّي أُحبّ الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أُحبّ أن يقال ذلك لي لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة والكبرياء، وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء؛ لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقيّة في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لا بدّ من إمضائها، فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة، ولاتتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي استثقالاً في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه.

فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أُخطئ، ولا آمن من ذلك من فعلي، إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي، فإنّما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربّ لاربّ غيره، يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى.

فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل، فقال: أنت أهل ما قلت، والله فوق ما قلته، فبلاؤه عندنا لا يكفر، وقد حمّلك الله تبارك وتعالى رعايتنا، وولاّك سياسة أمورنا، فأصبحت عَلَمنا الذي نهتدي به، وإمامنا الذي نقتدي به، وأمرك كلّه رشد، وقولك كلّه أدب. قد قرّت بك في

الحياة أعيننا، وامتلأت من سرور بك قلوبنا، وتحيّرت من صفة ما فيك من بارع الفضل عقولنا، ولسنا نقول لك: أيّها الصالح تزكية لك، ولا تجاوز القصد في الثناء عليك، ولم يُكنّ في أنفسنا طعن على يقينك، أو غش في دينك فنتخوّف أن تكون أحدثت بنعمة الله تبارك وتعالى تجبّراً، أو دخلك كبر، ولكنّا نقول لك ما قلنا تقرّباً إلى الله عزّوجلّ بتوقيرك، وتوسّعاً بتفضيلك، وشكراً بإعظام أمرك، فانظر لنفسك ولنا وآثر أمر الله على نفسك وعلينا، فنحن طوع فيما أمرتنا، ننقاد من الأمور مع ذلك فيما ينفعنا.

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: وأنا أستشهدكم عند الله على نفسي لعلمكم فيما وليت به من أموركم، وعمّا قليل يجمعني وإيّاكم الموقف بين يديه، والسؤال عمّا كنّا فيه، ثمّ يشهد بعضنا على بعض، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غداً، فإنّ الله عزّوجلّ لا يخفى عليه خافية، ولا يجوز عنده إلاّ مناصحة الصدور في جميع الأمور.

فأجابه الرجل ويقال: لم ير الرجل بعد كلامه هذا لأمير المؤمنين عليه السلام فأجابه، وقد عال الذي في صدره فقال والبكاء يقطع منطقه، وغصص الشجى تكسر صوته إعظاماً لخطر مرزئته ووحشته من كون فجيعته فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ شكى إليه هول ما أشفى عليه من الخطر العظيم والذلّ الطويل في فساد زمانه وانقلاب حدّه وانقطاع ما كان من دولته، ثمّ نصب المسألة إلى الله عزّوجلّ بالامتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجّع وحسن الثّناء فقال:

يا ربّانيّ العباد ويا سكن البلاد! أين يقع قولنا من فضلك! وأين يبلغ وصفنا من فعلك! وأنّى نبلغ حقيقة حسن ثنائك أو نحصي جميل بلائك! وكيف وبك جرت نعم الله علينا، وعلى يدك اتصلت أسباب الخير إلينا؟ ألم تكن لذلّ الذليل ملاذاً وللعصاة الكفّار إخواناً؟ فبمن إلاّ بأهل بيتك وبك أخرجنا الله عزّوجلّ من فظاعة تلك الخطرات، أو بمن فرّج عنّا غمرات الكربات! أو بمن إلاّ بكم أظهر الله معالم ديننا واستصلح ما كان فسد من دنيانا، حتى استبان بعد الجور ذكرنا، وقرّت من رخاء العيش أعيننا لما ولّيتنا بالإحسان جهدك، ووفيت لنا بجميع عهدك، فكنت شاهد من غاب منّا وخلف أهل البيت لنا، وكنت عزّ ضعفائنا وثمال فقرائنا وعماد عظمائنا، يجمعنا من الأمور عدلك، ويتّسع لنا في الحقّ تأنّيك، فكنت لنا أُنساً إذا رأيناك، وسكناً إذا ذكرناك. فأيّ الخيرات لم تفعل وأيّ الصالحات لم تعمل!

ولو أنّ الأمر الذي نخاف عليك منه يبلغ تحريكه جهدنا وتقوى لمدافعته طاقتنا، أو يجوز الفداء عنك منه بأنفسنا وبمن نفديه بالنفوس من أبنائنا، لقدّمنا أنفسنا وأبناءنا قبلك، ولأخطرناها وقلّ خطرها دونك، ولقمنا بجهدنا في محاولة من حاولك، وفي مدافعة من ناواك؛ ولكنّه سلطان لا يحاول، وعزّ لا يزاول، وربّ لا يغالب، فإن يمنن علينا بعافيتك، ويترحّم علينا ببقائك، ويتحنّن علينا بتفريج هذا من حالك إلى سلامة منك لنا وبقاء منك بين أظهرنا، نحدث الله عزّوجلّ بذلك شكراً نعظّمه، وذكراً نديمه، ونقسم أنصاف أموالنا

صدقات، وأنصاف رقيقنا عتقاء، ونحدث له تواضعاً في أنفسنا، ونخشع في جميع أمورنا.

وإن يمض بك إلى الجنان، ويجري عليك حتم سبيله، فغير متّهم فيك قضاؤه، ولا مدفوع عنك بلاؤه، ولا مختلفة مع ذلك قلوبنا بأنّ اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه ولكنّا نبكي من غير إثم لعزّ السلطان أن يعود ذليلاً، وللدّين والدّنيا أكيلاً، فلا نرى لك خلفاً نشكو إليه، ولا نظيراً نأمله ولا نقيمه[1].

تبيين: أقول: أورد السّيد الرضي في المختار: «٢١٦» من باب الخطب من النهج بعض هذا السؤال والجواب، وأسقط أكثرها، وسنشير إلى بعض الاختلافات.

قوله عليه السلام: «بولاية أمركم»: أي لي عليكم حقّ الطاعة لأنّ الله جعلني والياً عليكم متولّياً لأمركم، ولأنّه أنزلني منزلةً عظيمةً هي منزلة الإمامة والسلطنة ووجوب الطاعة.

قوله عليه السلام: «والحقّ أجمل الأشياء في التواصف»: أي وصفه جميل وذكره حسن. يقال: تواصفوا الشيء: أي وصفه بعضهم لبعض.

وفي بعض النسخ: «التراصف» بالراء المهملة. والتراصف: تنضيد الحجارة بعضها ببعض: أي الحقّ أحسن الأشياء في إحكام الأمور وإتقانها.

«وأوسعها في التّناصف»: أي أنصف الناس بعضهم لبعض، فالحقّ يسعه ويحتمله، ولا يقع للناس في العمل بالحقّ ضيق.

وفي نهج البلاغة: «فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف»: أي إذا أخذ الناس في وصف الحقّ وبيانه، كان لهم في ذلك مجال واسع، لسهولته على ألسنتهم. وإذا حضر التناصف بينهم فطلب منهم، ضاق عليهم المجال، لشدّة العمل بالحقّ وصعوبة الإنصاف.

قوله عليه السلام: «صروف قضائه»: أي أنواعه المتغيّرة المتوالية. وفي بعض النسخ: «ضروب قضائه» وهو بمعناه والحاصل أنّه لو كان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره ولم يجعل له على نفسه، لكان هو سبحانه أولى بذلك وعلى الأولوية بوجهين: الأول: القدرة.

فإنّ غيره تعالى لو فعل ذلك لم يطعه أحد، والله تعالى قادر على جبرهم وقهرهم.

والثاني: إنّه لو لم يجزهم على أعمالهم وكلّفهم بها لكان عادلاً، لأنّ له من النعم على العباد ما لو عبدوه أبد الدهر لم يوفوا حقّ نعمة واحدة منها.

فالمراد من أوّل الكلام: أنّه سبحانه جعل لكلّ أحد على غيره حقّاً حتى على نفسه.

أمّا الحقّ المفروض على الناس فبمقتضى الاستحقاق، وأمّا ما أجرى على نفسه، فللوفاء بالوعد مع لزوم الوعد عليه. فظهر جريان الحقّ على كلّ أحد وإن اختلف الجهة والاعتبار.

---

(١) الكافي، كتاب الروضة المطبوع مع الأصول، ص ٨٣٧ ح ٥٥٠.

قوله عليه السلام : «وجعل كفّارتهم عليه حسن ثواب»: لعلّ المراد بالكفّارة الجزاء العظيم لستره عملهم، حيث لم يكن له في جنبه قدر، فكأنّه قد محاه وستره.

وفي أكثر النسخ: «بحسن الثّواب» فيحتمل أيضاً أن يكون المراد بها ما يقع منهم لتدارك سيّئاتهم، كالتوبة وسائر الكفّارات: أي أوجب قبول كفّارتهم وتوبتهم على نفسه مع حسن الثواب بأن يثيبهم على ذلك أيضاً.

ولا يبعد أن يكون لفظ «كفّارتهم» تصحيف كفاءتهم بالهمزة. وفي النهج: «وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضّلاً منه وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله».

قوله عليه السلام : «ثمّ جع لمن حقوقه»: هذا كالمقدمة لما يريد أن يبيّنه من كون حقّه عليهم واجباً من قبل الله تعالى، وهو حقّ من حقوقه! ليكون أدعى لهم على أدائه. وبيّن أنّ حقوق الخلق بعضهم على بعض هي من حقّ الله تعالى، من حيث إنّ حقّه على عباده هو الطاعة، وأداء تلك الحقوق طاعات الله، كحقّ الوالد على ولده وبالعكس، وحقّ الزوج على الزوجة وبالعكس، وحقّ الوالي على الرعية وبالعكس.

قوله عليه السلام : «فجعلها تتكافأ في وجوهها»: أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثله، فحقّ الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل بمثله، وهو العدل فيهم وحسن السيرة.

قوله عليه السلام : «ولا يستوجب بعضها إلاّ ببعض»: كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة. قوله عليه السلام : «فريضة فرضها الله»: بالنّصب على الحالية أو بإضمار فعل، أو بالرفع ليكون خبر مبتدإ محذوف.

وقوله عليه السلام : «نظاماً لألفتهم»: فإنّها سبب اجتماعهم وبها يقهرون أعداءهم ويعزّون أولياءهم. قوله عليه السلام : «وقواماً»: أي بها يقوم جريان الحقّ فيهم وبينهم. قوله عليه السلام : «عزّ الحقّ»: أي غلب. قوله عليه السلام : «واعتدلت معالم العدل»: أي مظانّه، أو العلامات التي نصبت في طريق العدل لسلوكه، أو الأحكام التي يعلم بها العدل.

قوله عليه السلام : «على أذلالها»: قال الفيروزآبادي: ذلّ الطريق - بالكسر -: محجّته. وأمور الله جارية على أذلالها: أي طريق على مجاريها هو جمع ذلّ بالكسر.

قوله عليه السلام : «وكثر الإدغال»: هو بكسر الهمزة. والإدغال: هو أن يدخل في الشيء ما ليس منه، وهو الإبداع والتلبيس. أو بفتحها: وهو جمع الدغل - بالتحريك: وهو الفساد.

قوله عليه السلام : «علل النّفوس»: أي أمراضها بملكات السوء كالغلّ والحسد والعداوة ونحوها. وقيل: وجوه ارتكاباتها للمنكرات، فتأتي من كلّ منكر بوجه وعلّة ورأي فاسد.

قوله عليه السلام : «أُثّل» يقال: ما مؤثّل ومجد مؤثّل: أي مجموع ذو أصل، وأثلة الشيء: أصله. ذكره الجزري. وفي النهج: «ولا لعظيم باطل فعل».

قوله عليه السلام: «تبعات الله» قال الخليل في كتاب العين: التّبعة اسم للشيء الذي لك فيه بغية شبه ظلامة ونحوها.

قوله عليه السلام: «فهلمّ أيّها الناس» قال الجوهري: هلم يا رجل بفتح الميم بمعنى تعال، قال الخليل: أصله «لمّ» من قولهم لمّ الله شعثه: أي جمعه كأنّه أراد لمّ نفسك إلينا: أي اقرب. و«ها» للتنبيه. وإنّما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال، وجعلا اسماً واحداً يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث في لغة أهل الحجاز.

قوله عليه السلام: «حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله»: أي جزاء ما أعطى الله أهل الحقّ من الدين المبين، وسائر ما هداهم الله تعالى إليه، بأن يكون المراد بالحقيقة الجزاء مجازاً، أو يكون في الكلام تقدير مضاف: أي حقيقة جزاء ما أعطى من الحقّ، أو يكون المراد بالبلوغ إليها كونه بإزائها ومكافاةً لها.

وقيل: المراد بحقيقة ما أعطى الله شكر نعمة هدايته تعالى إلى دين الحقّ.

وفي النهج: «حقيقة ما الله أهله من الطاعة له». وفي بعض النسخ القديمة من الكتاب «حقيقة ما الحقّ من الله أهله».

قوله عليه السلام: «النصيحة له»: أي لله أو للإمام، أو نصيحة بعضهم لبعض لله تعالى بأن لا يكون الظرف صلةً. وفي النهج: «النصيحة بمبلغ جهدهم» بدون الصلة وهو يؤيّد الأخير.

وقال الجزري في مادّة «نصح» من كتاب النهاية: النصيحة في اللغة: الخلوص، يقال: نصحته ونصحت له.

ومعنى نصيحة الله صحّة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النيّة في عبادته.

ومعنى النصيحة لكتاب الله هو التصديق به والعمل بما فيه.

ونصيحة رسول الله صلى الله عليه وآله، التصديق بنبوّته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه.

ومعنى نصيحة الأئمّة أن يطيعهم في الحقّ، ونصيحة عامّة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم.

قوله عليه السلام: «ولا امرئ مع ذلك»: كأنّه راجع إلى ما حمل الله على الوالي، أو إلى الوالي الذي أُشير إليه سابقاً: أي لا يجوز، أو لا بد لامرئ، أو لا استغناء لامرئ مع الوالي، أو مع كون واليه مكلّفاً بالجهاد وغيره من أمور الدين، وإن كان لذلك المرء ضعيفاً محقّراً بدون أن يعين على إقامة الدين ويعينه الناس أو الوالي عليه. وفي النهج: «ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه». وهو الظاهر.

قوله عليه السلام: «خسأت به الأمور»: يقال: خسأت الكلب خسئاً: طردته. وخسأ الكلب بنفسه: يتعدّى ولا يتعدى. ذكره الجوهري. فيجوز أن يكون هنا استعمل غير متعدّ بنفسه قد عُدّي بالباء: أي طردته الأمور، أو يكون الباء للسببيّة: أي بعدت بسببه الأمور.

وفي بعض النسخ: «حبست به الأمور»: وعلى التقادير المراد أنّه يكون بحيث لا يتمشّى أمر من أموره، ولا ينفع سعيه في تحصيل شيء من الأمور.

و«اقتحمته العيون»: أي احتقرته. وكلمة «ما» في قوله: «ما أن يعين» زائدة.

قوله عليه السلام: «وأهل الفضيلة في الحال»: المراد بهم الأئمّة والولاة والأمراء والعلماء، وكذا أهل النعم العظام فإنّهم لكونهم مكلّفين بعظائم الأمور كالجهاد في سبيل الله وإقامة الحدود والشرائع والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى إعانة الخلق أحوج. ويحتمل أن يكون المراد بأهل الفضيلة العلماء، فإنّهم محتاجون فيما حمل عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أعوان، ولا أقلّ إلى من يؤمر وينهى.

والمراد بأهل النعم أصحاب الأموال، لأنّ ما حمل عليهم من الحقوق أكثر، كأداء الأخماس والصدقات. وهم محتاجون إلى الفقير القابل لها، وإلى الشهود وإلى غيرهم والأوّل أظهر.

قوله عليه السلام: «وكلّ في الحاجة إلى الله شرع سواء»: بيان لقوله: «شرع»، وتأكيد، وإنّما ذلك لئلا يتوهّم أنّهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضاً عن ربّهم جلّ وعزّ، بل هو الموفق والمعين لهم في جميع أمورهم، ولا يستغنون بشيء عن الله عزّ وجلّ، وإنّما كلّفهم بذلك ليختبر طاعتهم ويثيبهم على ذلك، واقتضت حكمته البالغة أن يجري الأشياء بأسبابها، وهو المسبّب لها والقادر على إمضائها بلا سبب.

قوله عليه السلام: «فأجابه رجل»: الظاهر أنه كان الخضر عليه السلام وقد جاء في مواطن كثيرة وكلّمه عليه السلام لإتمام الحجّة على الحاضرين، وقد أتى بعد وفاته عليه السلام وقام على باب داره وبكى وأبكى وخاطبه عليه السلام بأمثال تلك الكلمات وخرج وغاب عن الناس.

قوله عليه السلام: «والإقرار»: الظاهر أنّه معطوف على الثناء: أي أقرّ إقراراً حسناً بأشياء ذكرها ذلك الرجل، ولم يذكره عليه السلام اختصاراً أو تقيةً من تغيّر حالاته من استيلاء أئمة الجور عليه ومظلوميته وتغير أحوال رعيته من تقصيرهم في حقّه، وعدم قيامهم بما يحقّ من طاعته والقيام بخدمته. ويمكن أن يكون الواو مع، ويحتمل عطفه على قوله: «واجب حقّه».

قوله: «من الغلّ»: أي أغلال الشرك والمعاصي، وفي بعض النسخ القديمة: «أطلق عنّا رهائن الغلّ»: أي ما يوجب أغلال القيامة.

قوله عليه السلام: «وائتمر»: أي اقبل ما أمرك الله به فأمضه علينا.

قوله: «والملك المخوّل»: أي المملّك الذي أعطاك الله الإمرة علينا وجعلنا خدمك وتبعك. قوله عليه السلام: «لا نستحلّ في شيء من معصيتك»: لعلّه عدّي بـ«في» لتضمين معنى الدخول، أو المعنى لا يستحلّ في شيء شيئاً من معصيتك.

وفي بعض النسخ القديمة: «لا ستحلّ في شيء من معصيتك». وهو أظهر.

قوله: «في ذلك»: أي في العلم بأن تكون كلمة «في» تعليلية ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام من إطاعته عليه السلام. والخطر: القدر والمنزلة.

قوله: «ويجلّ عنه»: يحتمل إرجاع الضمير إلى القياس: أي فضلك أجلّ في أنفسنا من أن يقاس بفضل أحد. ويمكن إرجاعه إلى العلم فتكون كلمة «عن» تعليلية كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾[1]: أي يجلّ ويعظم بسبب ذلك في أنفسنا فضلك.

قوله عليه السلام: «من عظم جلال الله»: إمّا على التعليل بنصب «جلال الله»، أو بالتخفيف برفعه: يعني من حقّ من عظّم جلال الله في نفسه وجلّ موضعه في قلبه، أن يصغر عنده كلّ ما سوى الله تعالى، لما ظهر له من جلال الله، وإنّ أحقّ من كان كذلك أئمّة الحقّ عليهم السلام، لعظم نعم الله وكمال معرفتهم بجلال ربّهم، فحقّ الله تعالى عليهم أعظم منه على غيرهم، فينبغي أن يصغر عندهم أنفسهم فلا يحبّوا الفخر والإطراء في المدح، أو يجب أن يضمحلّ في جنب جلال الله عندهم غيره تعالى، فلا يكون غيره منظوراً لهم في أعمالهم ليطلبوا رضى الناس بمدحهم.

قوله عليه السلام: «وإنّ من أسخف»: السخف: رقّة العيش ورقة العقل. والسخافة: رقّة كلّ شيء. أي أضعف حالات الولاة عند الرعيّة أن يكونوا متهمين عندهم بهذه الخصلة المذمومة. قوله عليه السلام: «انحطاطاً لله سبحانه»: أي تواضعاً له تعالى.

وفي بعض النسخ القديمة: «لو كنت أحبّ أن يقال لي ذلك، لتناهيت له أغنانا الله وإيّاكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعاظم وحسن الثناء». والتناهي: قبول النهي. والضمير في «له» راجع إلى الله تعالى. وفي النهج كما في النسخ المشهورة قوله عليه السلام: «فربما استحلى الناس» يقال: استحلاه: أي وجده حلواً.

قال ابن ميثم رحمه الله: هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه فكأنّه يقول: وأنت معذور في ذلك حيث رأيتني أُجاهد في الله، وأحثّ الناس على ذلك، ومن عادة الناس أن يستحلوا الثناء عندما يبلوا بلاءً حسناً في جهاد أو غيره من سائر الطاعات.

ثمّ أجاب علي عليه السلام عن هذا العذر في نفسه بقوله: «فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء»: أي لا تثنوا عليّ لأجل ما ترونه منّي من طاعة الله، فإنّ ذلك إنّما هو إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ لم أفرغ بعد من أدائها وهي حقوق نعمه وفرائضه التي لا بدّ من المضيّ فيها.

وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجبها الله علي لكم من النصيحة في الدين والإرشاد إلى الطريق الأفضل، والتعليم لكيفية سلوكه.

ثمّ قال: وفي خطّ الرضي رحمه الله «من التقية» بالتاء: والمعنى فإنّ الذي أفعله من طاعة الله،

(١) سورة هود، الآية: ٥٣.

إنّما هو إخراج لنفسي من الله وإليكم من تقيّة الخلق، فيما يجلب عليّ من الحقوق، إذ كان عليه السلام إنما يعبد الله لله غير ملتفت في شيء من عبادته، وأداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفاً منه أو رغبةً إليه.

أو المراد بها التقيّة التي كان يعملها في زمن الخلفاء الثلاثة وتركها في أيّام خلافته، وكأنّه قال: لم أفعل شيئاً إلاّ وهو أداء حقّ واجب عليّ، وإذا كان كذلك، فكيف أستحقّ أن يُثنى عليّ لأجل إتيان الواجب بثناء جميل وأُقابل بهذا التعظيم؟! وهذا من باب التواضع منه عليه السلام وتعليم كيفيته، وكسر للنفس عن محبة الباطل والميل إليه. انتهى.

وقال ابن أبي الحديد: معنى قوله: «لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم»: أي لاعترافي بين يدي الله وبمحضر منكم أنّ عليّ حقوقاً في إيالتكم ورئاستي [عليكم] لم أقم بها بعد وأرجو من الله القيام بها. انتهى كلام ابن أبي الحديد.

فكأنه جعل قوله عليه السلام: «لإخراجي» تعليلاً لترك الثناء لا مثنى عليه ولا يخفى بعده.

ثمّ اعلم أنّه يحتمل أن يكون المراد بـ«البقيّة»: الإبقاء والترحم كما قال تعالى: ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾(١). أي إخراجي نفسي من أن أُبقي وأترحّم مداهنة في حقوق لم أفرغ من أدائها.

قال الفيروزآبادي: وأبقيت ما بيننا: لم أُبالغ في كلّ فساده. والاسم منه البقيّة و«أولو بقية ينهون عن الفساد»: أي إبقاء أو فهم.

قوله عليه السلام: «ولا تتحفّظوا عنّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة» البادرة: الحدّة والكلام الذي يسبق من الإنسان في الغضب: أي لا تثنوا عليّ كما يثنى على أهل الحدّة من الملوك خوفاً من سطوتهم، أولا تحتشموا منّي كما يحتشم من السلاطين والأُمراء، كترك المسارَّة والحديث إجلالاً وخوفاً منهم، وترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور والقيام بين أيديهم. قوله عليه السلام: «كان العمل بهما أثقل عليه»: وشأن الولاة العمل بالعدل والحقّ، وأنتم تعلمون أنّه لا يثقل عليّ العمل بهما.

قوله عليه السلام: «بفوق أن أُخطئ»: هذا باب الانقطاع إلى الله والتواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ، وعدّ نفسه من المقصّرين في مقام العبودية. والإقرار بأنّ عصمته من نعمه تعالى عليه، وليس اعترافاً بعدم العصمة كما تُوُهِّم، بل ليست العصمة إلاّ ذلك. فإنّما هي أن يعصم الله العبد عن ارتكاب المعاصي، وقد أشار عليه السلام إليه بقوله: «إلاّ أن يكفي الله». وهذا مثل قول يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الخ(٢).

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

قوله عليه السلام: «ما هن أملك به»: أي العصمة من الخطأ فإنّه تعالى أقدر على ذلك للعبد من العبد لنفسه. قوله عليه السلام: «مما كنّا فيه»: أي من الجهالة وعدم العلم والمعرفة والكمالات التي يسرها الله تعالى لنا ببعثه الرسول صلى الله عليه وآله.

قال ابن أبي الحديد: ليس هذا إشارة إلى خاصّ نفسه عليه السلام، لأنّه لم يكن كافراً فأسلم، ولكنّه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من أفناء الناس فيأتي بصيغة الجمع الداخلة فيها نفسه توسعاً. ويجوز أن يكون معناها: لولا ألطاف الله تعالى ببعثة محمد صلى الله عليه وآله لكنت أنا وغيري على مذهب الأسلاف. انتهى.

قوله عليه السلام: «فبلاؤه عندنا ما لا يكفر»: أي نعمه عندنا وافرة بحيث لا نستطيع كفرها وسترها، أو لا يجوز كفرانها وترك شكرها.

قوله عليه السلام: «سياسة أمورنا»: يقال: سست الرعية سياسةً: أمرتها ونهيتها و«العلم» بالتحريك: ما ينصب في الطريق ليهتدي به السائرون.

قوله: «من بارع الفضل» قال الفيروزآبادي: برع فلان - ويثلّث - براعة: فاق أصحابه في العلم وغيره، أو تمّ في كلّ جمال وفضيلة، فهو بارع وهي بارعة.

قوله: «ولم يكن». على المجهول من قوله: كننت الشيء: سترته. أو بفتح الياء وكسر الكاف من قولهم: وكن الطائر بيضه يكنه على زنة وعد إذا حضنه.

وفي بعض النسخ: «لم يكن» وفي النسخة القديمة: «لن يكون».

قوله: «وتوسعاً»: أي في الفضل والثواب قوله: «مع ذلك»: أي مع طاعتنا لك: أي نفس الطاعة أمر مرغوب فيه ومع ذلك موجب لحصول ما ينفعنا وما هو خير لنا في دنيانا وآخرتنا.

أقول: قوله «إلاّ مناصحة الصدور»: أي خلوصها عن غشّ النفاق بأن يطوي فيه ما يظهر خلافه، أو نصح الإخوان نصحاً يكون في الصدر لا بمحض اللسان.

قوله: «وقد عال الذي في صدره»: يقال: عالني الشيء أي غلبني. وعال أمرهم: اشتدّ. قوله عليه السلام: «وغصص الشجي»: الغصّة - بالضمّ - ما اعترض في الحلق. وكذا الشجا والشجو الهمّ والحزن.

قوله عليه السلام: «لخطر مرزئته»: الخطر - بالتحريك -: القدر والمنزلة والإشراف على الهلاك. والمرزئة: المصيبة، وكذا الفجيعة وكونها: أي وقوعها وحصولها والضميران راجعان إلى أمير المؤمنين عليه السلام. والقائل كان عالماً بقرب أوان شهادته عليه السلام فلذا كان يندب ويتفجّع. وإرجاعهما إلى القائل بعيد.

قوله عليه السلام: «أشفى»: أي أشرف عليه. والضمير في قوله: «إليه» راجع إلى الله تعالى. قوله عليه السلام: «وانقلاب جدّه»: الجدّ: البخت. والتفجّع: التوجّع في المصيبة. أي سأل الله دفع هذا البلاء الذي ظنّ وقوعه عنه عليه السلام مع التفجّع والتضرّع.

قوله: «يا ربّانيّ العباد»: قال الجزري: الربّاني منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون للمبالغة. وقيل: هو الربّ بمعنى التربية، لأنّهم كانوا يربّون المتعلّمين بصغارها وكبارها.

والربّاني: العالم الراسخ في العلم والدين. أو الذي يطلب بعمله وجه الله تعالى. وقيل: العالم العامل المعلّم.

قوله: «وبك جرت نعم الله علينا»: أي بجهادك ومساعيك الجميلة لترويج الدين وتشييد الإسلام في زمن الرسول ﷺ وبعده. قوله عليه السلام: «وللعصاة الكفّار إخواناً»: أي كنت تعاشر من يعصيك ويكفر نعمتك معاشرة الإخوان شفقةً منك عليهم.

أو المراد الشفقة على الكفّار والعصاة والاهتمام في هدايتهم. ويحتمل أن يكون المراد المنافقين الذين كانوا في عسكره وكان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع. وقيل: المراد بالإخوان الخوان الذي يؤكل عليه، فإنّه لغة فيه كما ذكره الجوزي. ولا يخفى بعده.

وفي النسخة القديمة: «ألم نكن» بصيغة المتكلم، وحينئذ فالمراد بالفقرة الأولى أنّه كان ينزل بنا ذلّ كلّ ذليل: أي كنّا نذلّ بكلّ ذلّة وهوان. وهو أظهر وألصق بقول: «فبمن».

قوله عليه السلام: «من فظاعة تلك الخطرات»: أي شناعتها وشدّتها.

قوله عليه السلام: «بعد الحور» قال الجوهري: وفي الأثر: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أي من النقصان بعد الزيادة. وفي بعض النسخ «الجور» بالجيم.

قوله عليه السلام: «وثمال فقرائنا» قال الجزري: الثمال - بالكسر -: الملجأ والغياث. وقيل: هو المطعم في الشدّة.

قوله عليه السلام: «يجمعنا من الأمر عدلك»: أي هو سبب اجتماعنا وعدم تفرّقنا في جميع الأمور، أو من بين سائر الأمور، أو هو سبب لانتظام أمورنا، أو عدلك يحيط بجميعنا في جميع الأمور. قوله عليه السلام: «ويتّسع لنا في الحقّ تأنيك»: أي صار مداراتك وتأنيك وعدم مبادرتك في الحكم علينا بما نستحقّه سبباً لوسعة الحقّ علينا، وعدم تضيّق الأمر بنا.

قوله عليه السلام: «ليبلغ تحريكه»: أي تغييره وصرفه. وفي النسخة القديمة: «تحوله».

قوله «ولأخطرناها»: أي جعلنا في معرض المخاطرة والهلاك. أو صيّرناها خطراً ورهناً وعوضاً لك.

قال الجزري: وفيه: «فإنّ الجنّة لا خطر لها»: أي لا عوض لها ولا مثل - بالتحريك - في الأصل: الرهن وما يخاطر عليه. ومثل الشيء وعدله، ولا يقال إلاّ في الشيء الذي له قدر ومزيّة، ومنه الحديث «ألا رجل يخاطر بنفسه وماله»: أي يلقيهما في الهلكة بالجهاد.

ومنه حديث النعمان بن مقرن يوم نهاوند: «إنّ هؤلاء يعني المجوس قد أخطروا لكم رثّة ومتاعاً وأخطرتم لهم الإسلام»: المعنى أنّهم قد شرطوا لكم ذلك وجعلوه رهناً من جانبهم، وجعلتم رهنكم دينكم.

قوله عليه السلام: «حاولك» أي قصدك. قوله «من ناواك»: أي عاداك. قوله: «ولكنه» أي الربّ تعالى. قوله: «وعزّ»: أي ذو عزّ وغلبة. و«زاوله»: أي حاوله وطالبه.

وهذه إشارة إلى أنّ تلك الأمور بقضاء الله وتقديره، والمبالغة في دفعها في حكم مغالبة الله في تقديراته. وقد سبق تحقيق القضاء والقدر في كتاب العدل.

قوله: «نعظّمه»: الضمير في قوله: «نعظمه» و«نديمه» راجعان إلى الشكر والذكر. وقوله: «بلاءه»: يحتمل النعمة أيضاً. قوله: «ما عنده»: هو خبر «إنّ»، ويحتمل أن يكون الخبر محذوفاً، أي خير لك، والمعنى أنّه لا تختلف قلوبنا بل تتّفق على أنّ الله اختار لك بإمضائك النعيم والراحة الدائمة، على ما كنت فيه من المشقّة والجهد والعناء.

قوله: «من غير إثم»: أي لا نأثم على البكاء عليك فإنّه من أفضل الطاعات، أو لا نقول ما يوجب الإثم. قوله: «لعزّ»: متعلّق بقوله: «البكاء» و«أن يعود» بدل اشتمال له: أي نبكي لتبدّل عزّ هذا السلطان ذلاً.

قوله: «أكيل»: الأكيل يكون بمعنى المأكول، وبمعنى الأكل. والمراد هنا الثاني: أي نبكي لتبدّل هذا السلطان الحقّ بسلطنة الجور فيكون أكلاً للدين والدنيا.

وفي بعض النسخ: «لعن الله هذا الشيطان» فلا يكون مرجع الإشارة سلطنته عليه السلام، بل جنسها الشامل للباطل أيضاً: أي لعن الله السلطنة التي لا تكون صاحبها.

ويحتمل أن يكون اللعن مستعملاً في أصل معناه لغة، وهو الإبعاد: أي أبعد الله هذا السلطان عن أن يعود ذليلاً. ولا يخفى بعده.

قوله: «ولا نرى لك خلفاً»: أي من بين السلاطين لخروج السلطنة عن أهل البيت عليهم السلام.

٩٨٤ - **كا:** عليّ بن إبراهيم عن أبيه ومحمد بن علي، جميعاً عن إسماعيل بن مهران وأحمد بن محمد بن أحمد عن علي بن الحسن التيمي، وعلي بن الحسين عن أحمد بن محمد ابن خالد، جميعاً عن إسماعيل بن مهران عن المنذر بن جيفر عن الحكم بن ظهير عن عبد الله ابن حريز العبدي. عن الأصبغ بن نباتة قال:

أتى أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عمر وولد أبي بكر وسعد بن أبي وقّاص يطلبون منه التفضيل لهم، فصعد المنبر ومال الناس إليه فقال: الحمد لله وليّ الحمد ومنتهى الكرم، لا تدركه الصفات ولا يحدّ باللغات ولا يعرف بالغايات.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً رسول الله نبيّ الهدى وموضع التقوى ورسول الرّب الأعلى، جاء بالحقّ من عند الحقّ لينذر بالقرآن المبين والبرهان المستنير فصدع بالكتاب المبين ومضى على ما مضت عليه الرسل الأوّلون.

أمّا بعد أيّها الناس! فلا يقولنّ رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتّخذوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا أفره الدّواب ولبسوا ألين الثياب، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إن لم يغفر

لهم الغفّار إذا منعتهم ما كانوا فيه يخوضون، وصيّرتهم إلى ما يستوجبون فيفقدون ذلك فيسألون ويقولون «ظلمنا ابن أبي طالب وحرمنا ومنعنا حقوقنا». فالله عليهم المستعان.

من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وآمن بنبيّنا وشهد شهادتنا ودخل في ديننا، أجرينا عليه حكم القرآن بحدود الإسلام، ليس لأحد على أحد فضل إلاّ بالتّقوى.

ألا وإنّ للمتّقين عند الله أفضل الثواب وأحسن الجزاء والمآب، لم يجعل الله تبارك وتعالى الدنيا للمتّقين ثواباً، وما عند الله خير للأبرار. انظروا أهل دين الله! فيما أصبتم في كتاب الله، وتركتم عند رسول الله ﷺ وجاهدتم به في ذات الله، أبحسب أم بنسب؟ أم بعمل أم بطاعة أم زهادة؟ وفيما أصبحتم فيه راغبين.

فسارعوا إلى منازلكم رحمكم الله، التي أُمرتم بعمارتها العامرة التي لا تخرب والباقية التي لا تنفد، التي دعاكم الله إليها وحضّكم عليها ورغبكم فيها، وجعل الثواب عنده عنها.

فاستتمّوا نعم الله عزّ ذكره بالتّسليم لقضائه، والشكر على نعمائه، فمن لم يرض بهذا فليس منّا ولا إلينا، وإنّ الحاكم يحكم بكتاب الله ولا خشية عليه من ذلك، أولئك هم المفلحون.

وفي نسخة من كتاب الكافي «ولا وحشة وأولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

وقال عليه السلام: وقد عاتبتكم بدرّتي التي أُعاتب بها أهلي فلم تبالوا، وضربتكم بسوطي الذي أُقيم به حدود ربّي فلم ترعووا، أتريدون أن أضربكم بسيفي؟ أما إنّي أعلم الذي تريدون ويقيم أودكم، ولكن لا أُري صلاحكم بفساد نفسي، بل يسلّط الله عليكم قوماً فينتقم لي منكم، فلا دنياً استمتعتم بها ولا آخرة صرتم إليها، فبعداً وسحقاً لأصحاب السعير[1].

إيضاح: قوله: «ولد أبي بكر» هو: عبد الرحمٰن.

قوله عليه السلام: «وليّ الحمد»: أي الأولى به، أو المتولّي لحمد نفسه كما ينبغي له بإيجاد ما يدلّ على كماله واتّصافه بجميع المحامد، وبتلقين ما يستحقّه من الحمد أنبياؤه وحججه عليهم السلام وإلهام محبّيه وتوفيقهم للحمد.

قوله عليه السلام: «ومنتهى الكرم»: أي ينتهي إليه كلّ جود وكرم، لأنّه موجد النّعم والموفّق لبذلها، أو هو المتصف بأعلى مراتب الكرم والمولى بجلائل النّعم. ويحتمل أن يكون الكرم بمعنى الكرامة والجلالة على الوجهين السابقين.

قوله عليه السلام: «لا تدركه الصفات»: أي توصيفات الواصفين أو صفات المخلوقين.

قوله عليه السلام: «فلا يعرف بالغايات»: أي بالنهايات والحدود الجسمانية، أو بالحدود العقليّة، إذ حقيقة كلّ شيء وكنهه حدّه ونهايته. أو ليس له نهاية في وجوده ولا في عمله ولا في قدرته، وكذا سائر صفاته. أو لا يعرف بما هو غاية أفكار المتفكّرين.

---

(١) روضة الكافي المطبوع مع الأصول، ص ٨٤٠ ح ٥٥١.

قوله عليه السلام: «فصدع بالكتاب المبين» قال الفيروزآبادي: في شرح قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[1]: أي شقّ جماعتهم بالتوحيد أو اجهر بالقرآن، أو أظهر أو احكم بالحقّ وافصل بالأمر، أو اقصد بما تؤمر، أو افرق به بين الحقّ والباطل.

قوله عليه السلام: «فلا يقولنّ رجال»: الظاهر أنّ قوله: «رجال» فاعل لقوله: «لا يقولنّ»: وما ذكر بعده إلى قوله: «ويقولون» صفات تلك الرجال. وقوله: «ظلمنا ابن أبي طالب»: مقول القول. وقوله: «يقولون» تأكيد للقول المذكور في أوّل الكلام وإنّما أتى به لكثرة الفاصلة بين العامل والمعمول.

ويحتمل أن يكون مقول القول محذوفاً يدلّ عليه قوله: «ظلمنا ابن أبي طالب».

وقيل: مفعوله محذوف تقدير الكلام: فلا تقولنّ ما قلتم من طلب التفضيل وغيره رجال كانت الدنيا غمرتهم في زمن الخلفاء الثلاثة إذا منعتهم ما كانوا يأخذون وأعطيتهم ما يستوجبون، فيصرفون ما أعطيتهم ويسألون الزيادة عليه ويقولون: ظلمنا ابن أبي طالب.

أقول: لا يخفى أنّ ما ذكرناه أظهر.

وفي بعض النسخ: «رجالاً» بالنّصب، ولعلّ فيه حينئذ حذفاً: أي لا تقولنّ أنتم نعتقد أو نتولى رجالاً صفتهم كذا وكذا، ولعلّه كان «لا تتولّون» فصحّف.

قوله عليه السلام: «أفره الدوابّ» يقال: دابّة فارهة: أي نشيطة قويّة نفيسة. و«الشنار» العيب والعار. قوله عليه السلام: «ألا وإنّ للمتّقين»: أي ليس الكرم عند الله إلاّ بالتقوى، وجزاء التقوى ليس إلاّ في العقبى، ولم يجعل الله جزاء عملهم التفضيل في عطايا الدنيا.

قوله عليه السلام: «فانظروا أهل دين الله»: أي يا أهل دين الله كذا في النسخ المصحّحة، وفي بعضها: «إلى أهل» والمراد بقوله: «فيما أصبتم في كتاب الله» من نعوت الأنبياء والأولياء الذين ذكرهم الله في القرآن، أو مواعيده الصادقة على الأعمال الصالحة. وبقوله: «تركتم عند رسول الله»: صفاته الحسنة وصفات أصحابه وما كان يرتضيه صلى الله عليه وآله من ذلك، أو ضمان الرسول لهم المثوبات على الصالحات، كأنّه وديعة لهم عنده صلى الله عليه وآله.

قوله عليه السلام: «وجاهدتم به»: أي بسببه وهو ما رأيتم من فضله وكماله، أو ما سمعتم من المثوبات عليه. قوله عليه السلام: «أبحسب أم بنسب؟»: أي لم تكن تلك الأمور بالحسب والنسب بل بالعمل والطاعة والزهادة.

قوله عليه السلام: «وفيما أصبحتم»: أي انظروا فيما أصبحتم راغبين فيه هل يشبه ما رأيتم وعهدتم مما تقدم ذكره، أو انظروا أيّهما أصلح لأن يرغب فيه.

قوله عليه السلام: «وجعل الثواب عنده عنها»: كلمة «عن» لعلّها بمعنى «من» للتبعيض. أو

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

قوله: «التي» بدل اشتمال للمنازل، والمراد بها الأعمال التي توصل إليها، ولا يبعد أن يكون في الأصل «والتي» أو «بالتي» فصحّف.

قوله عليه السلام: «ولا خشية عليه من ذلك»: أي لا يخشى على الحاكم العدل: أي الإمام أن يترك حكم الله ولا يجوز أن يظنّ ذلك به، أو لا يخشى الحاكم بسبب العمل بحكم الله من أحد، أو أن يكون معاقباً بذلك عند الله. وعلى نسخة «ولا وحشة»: المعنى أنّه إذا عمل الحاكم بحكم الله لا يستوحش من مفارقة رعيّته عنه بسبب ذلك.

قوله عليه السلام: «بدرّتي» الدّرّة - بالكسر -: التي يضرب بها. ويظهر من الخبر أنّ السوط أكبر وأشدّ منها.

والارعواء: الانزجار عن القبيح. وقيل: الندم على الشيء والانصراف عنه وتركه. والأود - بالتحريك -: العوج.

قوله عليه السلام: «بفساد نفسي»: أي لا أطلب صلاحكم بالظلم وبما لم يأمرني به ربي فأكون قد أصلحتكم بإفساد نفسي. «وسحقاً»: أي بعداً.

٩٨٥ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمد الثقفي عن محمد بن عبد الله بن عثمان عن علي بن أبي سيف المدائني عن أبي حباب عن ربيعة وعمارة قالا: إنّ طائفة من أصحاب عليّ عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضّل الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن تخاف خلافه من الناس وفراره - قال: وإنّما قالوا له ذلك للذي كان معاوية يصنع بمن أتاه - فقال لهم عليّ عليه السلام:

أتأمرونّي أن أطلب النصر بالجور؟ والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم، والله لو كان مالهم لي لواسيت بينهم، فكيف وما هي إلاّ أموالهم؟!

قال: ثمّ أزم طويلاً ساكتاً ثمّ قال: من كان له مال فإيّاه والفساد! فإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو ذكر لصاحبه في الناس ويضعه عند الله، ولم يضع رجل ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلاّ حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم، فإن بقي معه من يودّه ويظهر له البشر فإنّما هو ملق وكذب، وإنّما ينوي أن ينال من صاحبه مثل الذي كان إليه من قبل، فإن زلّت بصاحبه النّعل فاحتاج إلى معونته ومكافأته فشر خليل وألأم خدين.

ومن صنع المعروف فيما آتاه الله، فليصل به القربة، وليحسن فيه الضيافة، وليفكّ به العاني، وليعن به العازم وابن السبيل والفقراء والمهاجرين، وليصبر نفسه على النّوائب والخطوب فإنّ الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة[1].

٩٨٦ - **نهج:** وقال عليه السلام في خطبة له: فأين يتاه بكم؟! بل كيف تعمهون وبينكم عترة

(١) كتاب الغارات، ص ٧٤.

نبيكم؟! وهم أزمّة الحق وألسنة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش.

أيّها الناس! خذوها من خاتم النّبيّين صلى الله عليه وآله إنّه يموت من يموت منّا وليس بميّت ويبلى من بلي منّا وليس ببالٍ، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، واعذروا من لا حجّة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر؟ وركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي؟ فلا تستعملوا الرّأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا يتغلغل إليه الفكر[١].

بيان: تاه فلان: تحيّر. والعمه: التردد على وجه التحيّر. والواو في قوله: «وبينكم» للحال. والأزمّة: جمع زمام وهو المقود: أي هم القادة للحقّ يدور معهم حيث ما داروا.

قوله عليه السلام: «وألسنة الصدق»: أي هم كاللسان للصدق لا يتكلّم إلاّ بهم. أو هم المتكلّمون به ولا يظهر إلاّ منهم.

قوله عليه السلام: «فأنزلوهم»: أنزلوا العترة في صدوركم وقلوبكم بالتعظيم والانقياد لأوامرهم ونواهيهم والتمسّك بهم بأحسن المنازل التي تنزلون القرآن، أو بأحسن المنازل التي يدلّ عليها القرآن. قوله عليه السلام: «وردوهم»: من الورد وهو الحضور عند الماء للشرب. و«الهيم»: الإبل العطاش.

قوله عليه السلام: «واعذروا»: قال ابن ميثم: طلب عليه السلام منهم العذر فيما يصيبهم ويلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم في إطاعته عليه السلام.

قوله عليه السلام: «فيما لا يدرك»: أي فيما ذكر لهم من خصائص العترة الطاهرة وفضلها: أي أمرنا صعب لا تهتدي إليه العقول الساذجة. والتغلغل: الدخول.

٩٨٧ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام:

ولقد أحسنت جواركم، وأحطت بجهدي من ورائكم، وأعتقتكم من ربق الذّلّ وحلق الضيم، شكراً مني للبرّ القليل، وإطراقاً عمّا أدركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير[٢].

بيان: الإحاطة من الوراء هو دفع من يريدهم بشرّ، لأنّ العدوّ الغالب يكون من وراء المحارب. والحلق - بالتحريك وكعنب -: جمع حلقة. والضيم: الظلم. وأطرق: أي سكت وأرخى عينيه إلى الأرض، وإطراقه عليه السلام عن المنكر الكثير وسكوته عنه لعدم تأثير النهي، أو لانجراره إلى ما هو أعظم منه.

٩٨٨ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام: اتّخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له

---

(١) نهج البلاغة، خ ٨٥.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣١٨ خ ١٥٧.

أشراكاً، فباض وفرّخ في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزيّن لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه(١).

بيان: ملاك الأمر - بالكسر -: ما يقوم به. والأشراك إما جمع شريك: أي عدّهم الشيطان من شركائه في إضلال الناس. أو جمع شَرَك - بالتحريك -: أي جعلهم حبائل لاصطياد الخلق. «فباض وفرخ»: كناية عن طول مكثه للوسوسة في صدورهم. والدب: المشي الضعيف، والدرج أقوى منه وهما كنايتان عن تربيتهم الباطل وملازمة الشيطان لهم حتى صار كالوالدين. والزلل في الأعمال والخطل في الأقوال.

والباء في قوله: «ركب بهم»: للتعدية. والضمير في «سلطانه»: راجع إلى «من»: أي من شاركه الشيطان فيما جعله الله لهم من السلطان على الأعمال والأقوال. أو إلى «الشيطان»: أي كأنّهم الأصل في سلطانه وقدرته على الإضلال.

٩٨٩ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام في الملاحم: ألا بأبي وأمّي من عدّة أسماؤهم في السماء معروفة وفي الأرض مجهولة. ألا فتوقّعوا ما يكون من إدبار أموركم وانقطاع وُصَلِكم، واستعمال صغاركم ذاك، حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حلّه.

ذاك حيث يكون المُعطى أعظم أجراً من المُعْطِي. ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم! وتحلفون من غير اضطرار وتكذبون من غير إحراج. ذاك إذا عضّكم البلاء كما يعضّ القتب غارب البعير. ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء!

أيّها الناس! ألقوا هذه الأزمّة التي تحمل ظهورها الأثقال من أيديكم، ولا تصدّعوا على سلطانكم فتذمّوا غبّ فعالكم، ولا تقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة، وأميطوا عن سننها وخلّوا قصد السّبيل لها، فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم.

إنّما مثلي بينكم كمثل السّراج في الظلمة، يستضيء به من ولجها، فاسمعوا أيّها الناس وعوا وأحضروا آذان قلوبكم تفهموا(٢)!

إيضاح: قال ابن أبي الحديد: قالت الإمامية: هذه العدّة هم الأئمة الأحد عشر من ولده عليهم السلام. وقال غيرهم: إنّه عنى الأبدال الذين هم أولياء الله. انتهى.

أقول: وظاهر أنّ ذكر انتظار فرج الشّيعة - كما اعترف به بعد هذا - لا ارتباط له بحكاية الأبدال. وأمّا كون أسمائهم في الأرض مجهولة، فلعلّ المراد به أنّ أكثر الناس لا يعرفون قدرهم ومنزلتهم، لا ينافي معرفة الخواص لهم وإن كانوا أيضاً لا يعرفونهم حقّ معرفتهم.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٢ خ ٧. (٢) نهج البلاغة، ص ٣٨٤ خ ١٨٥.

أو أراد به جهالة أسمائهم في وقت إيراد هذا الكلام، والتخصيص في الاحتمال الأخير أقلّ منه في الأوّل.

قوله عليه السلام: «وانقطاع وُصَلكم»: جمع وُصلة: أي تفرّق أموركم المنتظمة. والمراد باستعمال الصغار تقديمهم على المشايخ وأرباب التجارب في الأعمال والولايات.

قوله عليه السلام: «حيث يكون المُعطى»: على بناء المجهول «أعظم أجراً من المعطي»: على بناء الفاعل، لأنّ أكثر الأموال في ذلك الزّمان يكون من الحرام، وأيضاً لا يعطونها على الوجه المأمور به بل للأغراض الفاسدة. وأمّا المُعطى فلما كان فقيراً يأخذ المال لسدّ خلّته، لا يلزمه البحث عن المال وحلّه وحرمته فكان أعظم أجراً من المعطي.

وقيل: لأنّ صاحب المال لما كان يصرفه في أغلب الأحوال في الفساد، فإذا أخذه الفقير فقد فوّت عليه صرفه في القبائح، فقد كفَّه بأخذ المال من ارتكاب القبيح. ولا يخلو من بعد. والنَعمة - بالفتح -: غضارة العيش. وفي بعض النسخ بالكسر: أي الخفض والدعة والمال. قوله عليه السلام: «من غير إحراج»: أي من غير اضطرار إلى الكذب. وروي بالواو.

قوله عليه السلام: «إذا عضّكم البلاء»: يقال: عضّ اللقمة - كسمع ومنع -: أي أمسكها بأسنانه وعضّ بصاحبه: أي لزمه. وعضّ الزمان والحرب: شدّتهما. والقتب بالتحريك معروف. والغارب: ما بين العنق والسنام.

وقال ابن أبي الحديد: هذا الكلام غير متّصل بما قبله كما هو عادة الرّضي، وقد كان عليه السلام، ذكر بين ذلك ما ينال من شيعته من البؤس والقنوط ومشقّة انتظار الفرج. وقوله عليه السلام: «ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء» حكاية كلام شيعته عليه السلام، انتهى. فيكون المراد بالرجاء: رجاء ظهور القائم عليه السلام.

وقال ابن ميثم: ويحتمل أن يكون الكلام متّصلاً ويكون قوله عليه السلام: «ما أطول هذا العناء» كلاماً مستأنفاً في معنى التوبيخ لهم على إعراضهم عنه وإقبالهم على الدنيا وإتعابهم أنفسهم في طلبها، وتنفير لهم عنها بذكر طول العناء في طلبها وبعد الرجاء لما يرجى منها.

قوله عليه السلام: «ألقوا»: أي ألقوا من أيديكم أزمّة الآراء الفاسدة والأعمال الكاسدة التي هي كالنوق والمراكب في حمل التبعات والآثام.

«ولا تصدّعوا»: أي لا تتفرّقوا. والسلطان: الأمير والإمام. وغبّ كلّ شيء: عاقبته. وفور نار الفتنة: وهجها وغليانها. و«أميطوا»: أي تنحّوا. والسَّنَنُ: الطّريقة.

قوله عليه السلام: «وخلّوا»: أي دعوها تسلك طريقها ولا تتعرّضوا لها تكونوا حطباً لنارها.

٩٩٠ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام: الحمد لله النّاشر في الخلق فضله، والباسط فيهم بالجود يده، نحمده في جميع أموره، ونستعينه على رعاية حقوقه، ونشهد أن لا إله غيره، وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بأمره صادعاً وبذكره ناطقاً، فأدّى أميناً ومضى رشيداً وخلّف فينا راية الحقّ، من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها زهق، ومن لزمها لحق.

دليلها مكيث الكلام بطيء القيام سريع إذا قام، فإذا أنتم ألنتم له رقباكم وأشرتم إليه بأصابعكم جاءه الموت فذهب به، فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضمّ نشركم. فلا تطمعوا في غير مقبل، ولا تيأسوا من مدبر، فإنّ المدبر عسى أن تزلّ إحدى قائمتيه وتثبت الأخرى فترجعا حتى تثبتا جميعاً.

الا وإنّ مثل آل محمّد ﷺ كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم، فإنكم قد تكاملت من الله فيكم الصّنائع، وأراكم ما كنتم تأملون(١).

توضيح: النّشر: التفريق والبسط، وبسط اليد: كناية عن العطاء. وقيل: اليد هنا النعمة في جميع أموره: أي ما صدر منه من النعم والبلايا. ورعاية حقوق الله: شكره وطاعته.

قوله عليه السلام: «بأمره صادعاً»: أي مظهراً مجاهراً. والرشد: إصابة الصواب. وقيل: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه. وراية الحقّ: الثّقلان المخلّفان. ومرق السهم من الرمية: إذا خرج عن المرمي به، والمراد هنا خروج من تقدّمها ولم يعتد بها من الدين. وزهق الشيء - كمنع -: بطل وهلك. واللحوق: إصابة الحقّ.

وأراد بالدليل نفسه عليه السلام، والضمير راجع إلى الراية. ومكيث الكلام: أي بطيئه: أي لا يتكلم من غير رويّة. وبطيء القيام: كناية عن ترك العجلة والطّيش. وإلانة الرقاب: كناية عن الإطاعة. والإشارة بالأصابع كناية عن التعظيم والإجلال.

قال ابن أبي الحديد: نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشدّ اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل عليه السلام فيه، اجتمع له مائة ألف سيف، وأخرج مقدّمته يريد الشام، فضربه اللعين وانفضّت تلك الجموع كالغنم فقدت رعاتها.

وأشار عليه السلام بمن يجمعهم إلى المهدي عليه السلام. والنشر: والنشور: التفرّق.

قوله عليه السلام: «فلا تطمعوا»: أي من لم يقبل على طلب هذا الأمر ممن هو أهله، فلا تطمعوا فيه؛ فإنّ ذلك لاختلال بعض شرائط الطلب، كما كان شأن أكثر أئمّتنا عليهم السلام.

وقيل: أراد بغير المقبل: من انحرف عن الدين بارتكاب منكر، فإنّه لا يجوز الطمع في أن يكون أميراً لكم. وفي بعض النسخ: «فلا تطعنوا في عين»: أي من أقبل على هذا الأمر من أهل البيت فلا تدفعوه عما يريد.

قوله عليه السلام: «ولا تيأسوا»: أي من أدبر عن طلب الخلافة ممن هو أهل لها فلا تيأسوا من عوده وإقباله على الطلب، فإنّ إدباره يكون لفقد بعض الشروط كقلّة الناصر. وزوال إحدى القائمتين كناية عن اختلال بعض الشروط، وثبات الأخرى كناية عن وجود بعضها.

وقوله: «فيرجعان حتى يثبتا»: كناية عن استكمال الشرائط، ولا ينافي النهي عن الإياس

(١) نهج البلاغة، ص ٢٢٠ خ ٩٩.

النهي عن الطّمع، لأنّ عدم اليأس هو التجويز، والطمع فوق التجويز، أو لأنّ النهي عن الطمع في حال الشروط والإعراض عن الطلب لذلك والنهي عن الإياس لجواز حصول الشرائط.

وقيل في تفسير قوله عليه السلام: «ولا تيأسوا من مدبر»: أي إذا ذهب من بينكم إمام وخلفه إمام آخر فاضطرب أمره، فلا تشكّوا فيهم، فإنّ المضطرب الأمر ستنتظم أموره. وحينئذ يكون قوله عليه السلام: «ألا إنّ مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كالبيان لهذا.

قوله عليه السلام: «إذا خوى نجم»: أي مال للمغيب. والصّنائع: جمع صنيعة وهي الإحسان: أي لا تيأسوا عسى أن يأتي الله بالفرج عن قريب والمتحقّق الوقوع قريب وإن كان بعيداً. ويمكن أن يكون أراد إراءة المخاطبين ما يأملون في الرجعة.

٩٩١ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام:

أيّها الغافلون غير المغفول عنهم، والتاركون المأخوذ منهم! ما لي أراكم عن الله ذاهبين وإلى غيره راغبين؟! كأنّكم نعم أراح بها سائم إلى مرعىً وبيء ومشرب دويّ، وإنّما هو كالمعلوفة للمدى، لا تعرف ماذا يراد بها، إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها وشبعها أمرها. والله لو شئت أن أُخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت! ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله، ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصّة ممن يؤمن ذلك منه.

والذي بعثه بالحقّ واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلاّ صادقاً، ولقد عهد إليّ بذلك كلّه وبمهلك من يهلك ومنجا من ينجو ومآل هذا الأمر، وما أُبقي شيئاً يمرّ على رأسي إلاّ أفرغه في أذني وأفضى به إليّ. أيّها الناس! والله لا أحثكم على طاعة إلاّ وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلاّ وأتناهى قبلكم عنها[1].

بيان: قوله عليه السلام: «أيّها الغافلون»: الظاهر أنّ الخطاب لعامّة المكلّفين أي الذين غفلوا عمّا يراد بهم ومنهم، وهم غير المغفول عنهم، فإنّ أعمالهم محفوظة مكتوبة.

قوله: «والتاركون»: أي لما أُمروا به المأخوذ منهم بانتقاص أعمارهم وقواهم واستلاب أحبابهم وأموالهم. والذهاب عن الله التوجه إلى غيره والإعراض عن جنابه. والنَّعَم - بالتحريك - جمع لا واحد له من لفظه وأكثر ما يقع على الإبل.

قوله عليه السلام: «أراح بها سائم»: شبّههم بالنعم التي تتبع نعماً أُخرى. سائمة: أي راعية. وإنّما قال ذلك لأنّها إذا اتبعت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل التي يسيمها راعيها. وما يظهر من كلام ابن ميثم من أنّ السائم بمعنى الراعي، ففيه ما لا يخفى. والمرعى الوبيء: ذو الوباء والمرض، وأصله الهمز. والدّوي: ذو الداء، والأصل في الدويّ، دوي

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٥١ خ ١٧٣.

- بالتخفيف - ولكنّه شدّد للازدواج. قال الجوهري: رجل دوٍ بكسر الواو: أي فاسد الجوف من داء. والمدى بالضمّ جمع مدية وهي السكين.

قوله عليه السلام: «تحسب يومها»: أي تظنّ أن ذلك العلف كما هو حال لها في هذا اليوم حاصل لها أبداً، أو نظرها مقصور على يومها تحسب أنّه دهرها. «وشبعها أمرها»: أي تظن انحصار شأنها وأمرها في الشبع.

قوله عليه السلام: «والله لو شئت أن أُخبر»: قال ابن أبي الحديد: وهذا كقول المسيح عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾(1) ولكن قال عليه السلام: إلاّ أنّي أخاف عليكم الغلوّ في أمري، وأن تفضّلوني على رسول الله صلى الله عليه وآله، بل أخاف عليكم أن تدّعوا فيّ الإلهية كما ادّعت النصارى ذلك في المسيح عليه السلام لما أخبرهم بالأمور الغائبة.

ثم قال ابن أبي الحديد: ومع كتمانه عليه السلام فقد كفر فيه كثير منهم، وادّعوا فيه النبوّة، وأنّه شريك الرسول في الرسالة وأنّه هو الرسول، ولكنّ الملك غلط، وأنّه هو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله، وادّعوا فيه الحلول والاتحاد.

ويحتمل أن يكون كفرهم فيه بإسناد التقصير إليه عليه السلام في إظهار شأنه وجلالته.

والمهلك - بفتح اللام وكسرها - يحتمل المصدر واسم الزمان والمكان.

والمراد بالهلاك إمّا الموت والقتل أو الضلال والشقاء. وكذلك النجاة.

والمراد بالأمر: الخلافة أو الدين وملك الإسلام. ومآله: انتهاؤه بظهور القائم عليه السلام وما يكون في آخر الزمان. وأفرغه كفرّغه: صبّه.

٩٩٢ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام:

أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّةً ولا وحياً، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته، إلاّ هالكاً لا خير فيه، حتى أراهم منجاتهم، وبوأهم محلّتهم، فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم.

وأيم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولّت بحذافيرها، واستوسقت في قيادها، ما ضعفت ولا جبنت، ولا خنت ولا وهنت. وأيم الله لأبقرنّ الباطل حتى أُخرج الحقّ من خاصرته(2).

بيان: المنجاة: مصدر أو اسم مكان. «ويبادر بهم الساعة»: أي يسارع إلى هدايتهم وإرشادهم حذراً من أن ينزل بهم الساعة فتدركه على الضلالة.

والحسير: المعيي. وإقامته صلى الله عليه وآله على الحسير والكسير ومراقبته من تزلزل عقائده، ليدفع شبهه حتى يبلغه الغاية التي خلق لأجلها إلاّ من لم يكن قابلاً للهداية.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(2) نهج البلاغة، ص ٢٢٧ خ ١٠٣.

ومنهم من حمله على ظاهره من شفقته صلى الله عليه وآله على الضعفاء في الأسفار والغزوات.

قوله عليه السلام: «حتى أراهم منجاتهم»: أي نجاتهم أو محلّ نجاتهم. ومحلتهم: منزلهم وغاية سفرهم الصوري أو المعنوي. واستدار الرحى واستقامة القناة، كنايتان عن انتظام الأمر كما مرّ. والسّاقة: جمع سائق، والضمير لغير مذكور لفظاً والمراد الجاهليّة، شبّهها عليه السلام بكتيبة مصادفة لكتيبة الإسلام فهزمها.

وفي القاموس: الحذفور - كعصفور-: الجانب - كالحذفار- والشريف والجمع الكثير. وأخذه بحذافيره: بأسره. أو بجوانبه أو بأعاليه. والحذافير: المتهيّئون للحرب. واشدد حذافيرك: تهيّأ. واستوسقت: أي اجتمعت وانتظمت يعني الملّة الإسلامية أو الدعوة أو ما يجري هذا المجرى أي لما ولّت الجاهلية استوسقت هذه في قيادها كالإبل المقودة إلى أعطانها. ويحتمل عوده إلى الجاهلية أي تولّت بحذافيرها واجتمعت تحت ظلّ المقادة. والبقر: الشقّ. والخاصرة ما بين أسفل الأضلاع وعظم الورك. شبّه عليه السلام الباطل بحيوان ابتلع الحقّ.

٩٩٣ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام: والله لقد علمت تبليغ الرسالات وإتمام العدات وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الأمر. ألا وإنّ شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضلّ وندم. اعملوا ليوم تذخر له الذّخائر، وتبلى فيه السّرائر، ومن لا ينفعه حاضر لبّه فعازبه عنه أعجز وغائبه أعوز. واتّقوا ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد وحليتها حديد وشرابها صديد. ألا وإنّ اللسان الصّالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا يحمده[1].

بيان: قال ابن أبي الحديد: قوله: «لقد علمت تبليغ الرّسالات»: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[2] وإلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله في قصّة براءة: «لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي»، وأنّه علم مواعيد رسول الله صلى الله عليه وآله التي وعد بها وإنجازها، فمنها ما هو وعد لواحد من الناس نحو أن يقول: سأعطيك كذا.

ومنها ما هو وعد بأمر سيحدث، كأخبار الملاحم والأمور المتجدّدة. وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[3] وإلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه عليه السلام «قاضي ديني ومنجز عداتي» وأنّه علم تمام الكلمات وهو تأويل القرآن وبيانه الذي يتم به. وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[4] وإلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله له: «اللهمّ اهد قلبه وثبّت لسانه».

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٦٠ خ ١١٩.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

ولعلّ بـ «أبواب الحُكم» بالضمّ أو «الحِكَم» بكسر الحاء وفتح الكاف - على اختلاف النسخ -: الأحكام الشرعية. وبـ «ضياء الأمر» العقائد العقلية أو بالعكس.

وقال ابن ميثم: لعلّ المراد بـ «شرائع الدين وسبله» أهل البيت عليهم السلام فإنّ أقوالهم في الدين واحدة خالية عن الاختلاف.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد معناه الظاهر، ويكون الغرض نفي الاختلاف في الأحكام بالآراء والمقاييس، ويظهر منه بطلان إمامة غير أهل البيت كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: «ومن لا ينفعه» فيه وجوه:

الأول: أنّ من لم يعتبر في حياته بلبّه فأولى بأن لا ينتفع بعد الموت.

الثاني: أنّ المراد من لم يعمل بما فهم وحكم به عقله وقت إمكان العمل، فأحرى أن لا ينتفع به بعد انقضاء وقته، بل لا يورثه إلاّ ندامة وحسرة.

الثالث: أنّ المراد من لم يكن له من نفسه واعظ وزاجر ولم يعمل بما فهم وعقل، فأحرى بأن لا يرتدع من القبيح بعقل غيره وموعظته له.

و«اللسان الصالح»: الذّكر الجميل. و«من لا يحمده» وارثه الذي لا يعدّ ذلك الإيراث فضلاً ونعمةً.

٩٩٤ - **نهج:** ومن خطبته عليه السلام المعروفة بالقاصعة: ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطّاعة، وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية، وإنّ الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأُمّة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلّها ويأوون إلى كنفها، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنّها أرجح من كلّ ثمن وأجلّ من كلّ خطر. واعلموا أنّكم قد صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً، ما تتعلّقون من الإسلام إلاّ باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلاّ رسمه، تقولون: «النار ولا العار»، كأنّكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه انتهاكاً لحريمه، ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم، حرماً في أرضه وأمناً بين خلقه.

وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر، ثمّ لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم إلاّ المقارعة بالسّيوف حتى يحكم الله بينكم.

وإنّ عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه وأيّامه ووقائعه، فلا تستبطئوا وعيده جهلاً بأخذه، وتهاوناً ببطشه، ويأساً من بأسه.

فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلعن السّفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التناهي.

ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطّلتم حدوده وأمتّم أحكامه.

ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنّكث والفساد في الأرض، فأمّا النّاكثون فقد

قاتلت، وأمّا القاسطون فقد جاهدت، وأمّا المارقون فقد دوَّخت، وأمّا شيطان الرّدهة فقد كُفيتُه بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجّة صدره، وبقيت بقيّة من أهل البغي، ولئن أذن الله في الكرّة عليهم لأديلنّ منهم إلاّ ما يتشذّر في أطراف البلاد تشذّراً.

أنا وضعت في الصّغر بكَلاكِلِ العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر.

وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويُمسّني جسده ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشّيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل[١].

أقول: قد مضى تمامها مع شرحها في آخر المجلد الخامس.

٩٩٥ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام:

ألا وإنّ اللّسان بضعة من الإنسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهله النطق إذا اتّسع، وإنّا لأمراء الكلام، وفينا تنشّبت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه.

واعلموا رحمكم الله أنكم في زمان، القائل فيه بالحقّ قليل، واللسان عن الصّدق كليل، واللازم للحقّ ذليل، أهله معتكفون على العصيان، مصطلحون على الإدهان، فتاهم عارم، وشائبهم آثم، وعالمهم منافق، وقارئهم مماذق، لا يعظّم صغيرهم كبيرهم، ولا يعول غنيّهم فقيرهم[٢].

بيان: قال ابن أبي الحديد: هذا كلام قاله عليه السلام في واقعة اقتضت ذلك، وهي أنّه أمر ابن أخته جعدة بن هبيرة المخزومي أن يخطب الناس يوماً، فصعد المنبر فحصر ولم يستطع الكلام، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فتسنّم ذروة المنبر، فخطب خطبة طويلة هذه الكلمات منها.

والبضعة: القطعة من اللحم. والضمير في [قوله عليه السلام:] «يسعده» و «يمهله» للّسان، وفي [قوله:] «امتنع» و «اتّسع» للإنسان.

والمعنى أن اللسان لمّا كان آلةً للإنسان يتصرّف بتصريفه إيّاه، فإذا امتنع الإنسان عن الكلام لشاغل أو صارف، لم يسعد اللّسان القول ولم يواته، وإذا دعاه الدّاعي إلى الكلام وحضره واتسع الإنسان له، لم يمهله النّطق بل يسارع إليه.

ويحتمل أن يعود الضمير في «امتنع» إلى القول، وفي «اتّسع» إلى النطق: أي فلا يسعد القول اللسان إذا امتنع القول من الإنسان ولم يحضره لوهم أو نحوه، أوجب حصره وعيّه ولم يمهله النّطق إذا اتّسع عليه وحضره.

ويحتمل أن يكون الضّمير في «يسعده» ويمهله» راجعاً إلى الإنسان، وفي [قوله:] «امتنع»

(١) نهج البلاغة، ص ٤٠٩ خ ١٩٠ في أواخر الخطبة.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٧٧ خ ٢٣٠.

و«اتّسع» إلى اللّسان: أي إذا امتنع اللّسان لعدم جرأة فلا يسعد القول الإنسان، وإذا اتّسع لم يمهل النطق الإنسان. والأوّل أظهر.

ونشب الشيء في الشّيء بالكسر: أي علق وأنشبته أنا فيه: أي أعلقته فانتشب. ذكره الجوهري. والمراد بعروقه: أصوله وموادّه، كالعلم بالمعاني والملكات الفاضلة. وغصونه: فروعه وأغصانه وآثاره. وتهدّلت أغصان الشجرة: أي تدلّت.

[قوله عليه السلام:] «معتكفون على العصيان»: أي ملازمون [له] من قولهم: عكف على الشيء: أي حبس نفسه عليه، ومنه الاعتكاف. والاصطلاح: افتعال من الصلح. والإدهان: القول باللّسان بمقتضى مصلحة حالهم دون الاتفاق في القلوب، أو بمعنى الغش. والعرامة: شراسة الخلق والبطر والفساد وقلّة الأدب.

[قوله عليه السلام:] «وشائبهم آثم»: [أي] لجهله وغفلته شاب في الإثم.

قوله عليه السلام: «مماذق»: أي غير مخلص كما ذكره الجوهري. و «عاله»: أي كفله وقام بأمره وأنفق عليه.

٩٩٦ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام:

وأستعينه على مداحر الشّيطان ومزاجره والاعتصام من حبائله ومخاتله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونجيبه وصفوته، لا يوازى فضله، ولا يجبر فقده، أضاءت به البلاد بعد الضّلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية، والناس يستحلّون الحريم ويستذلّون الحكيم، يحيون على فترة ويموتون على كفرة.

ثم إنكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت، فاتّقوا سكرات النّعمة، واحذروا بوائق النّقمة، وتثبّتوا في قتام العشوة، واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها، ومدار رحاها، تبدأ في مدارج خفيّة، وتؤول إلى فظاعة جليّة، شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السلام، تتوارثها الظلمة بالعهود، أوّلهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتد بأوّلهم، يتنافسون في دنياً دنيّة، ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء.

ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف والقاصمة الزّحوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضلّ رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها. من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة، قد اضطرب معقود الحبل، وعمي وجه الأمر، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظّلمة، وتدقّ أهل البدو بمسحلها، وترضّهم بكلكلها. يضيع في غبارها الوحدان، ويهلك في طريقها الرّكبان، ترد بمرّ القضاء، وتحلب عبيط الدّماء، وتثلم منار الدّين، وتنقض عقد اليقين. تهرب منها الأكياس، وتدبرها الأرجاس، مرعاد مبراق، كاشفة عن ساق، تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام، بريئها سقيم، وظاعنها مقيم.

ومنها: بين قتيل مطلول، وخائف مستجير، يختلون بعقد الأيمان، وبغرور الإيمان، فلا تكونوا أنصاب الفتن وأعلام البدع، والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة، وأقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين، واتّقوا مدارج الشّيطان ومهابط العدوان، ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام، فإنكم بعين من حرّم عليكم المعصية وسهّل لكم سبيل الطّاعة[1].

توضيح: «مداحر الشيطان»: الأمور التي يدحر ويطرد بها [الشيطان]. و«مزاجره»: الأمور التي يزجر بها. و«حبائله»: مكائده التي يضلّ بها البشر. و«مخاتله»: الأمور التي يختل بها - بالكسر - أي: يخدع بها.

[قوله عليه السلام:] «لا يوازى»: أي لا يساوى. والأصل فيه الهمزة كما قيل. «والجهالة الغالبة» بالباء الموحّدة وفي بعض النّسخ بالمثنّاة: من الغلاء وهو الارتفاع أو من الغلوّ وهو مجاوزة الحدّ. والجفوة: غلظ الطبع. والوصف للمبالغة.

[وقوله:] «والناس»: الواو للحال. والحريم: حرمات الله التي يجب احترامها ومحرماته. وقال [ابن الأثير] في النهاية: الفترة: ما بين الرسولين. وأصابني على فترة: أي في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات. والكفرة: المرّة من الكفرات. والمعشر: الجماعة. والغرض: الهدف. وسكرات النعمة: ما تحدثه النعم عند أربابها من الغفلة المشابهة للسكر. والبوائق: الدواهي. والتّثبّت: التوقّف وترك اقتحام الأمر. والقتام - بالفتح -: الغبار. والعشو: ركوب الأمر على غير بيان ووضوح. ويروى «وتبيّنوا» كما قرىء في الآية.

وكنّى عليه السلام عن ظهور المستور المخفي منها بقوله: «عند طلوع جنينها وظهور كمينها». والجنين: الولد ما دام في البطن. والكمين: الجماعة المختفية في الحرب. والمدار مصدر والمكان بعيد. و«انتصاب قطبها ومدار رحاها»: كنايتان عن انتظام أمرها. والمدرجة: المذهب والمسلك، أي أنها تكون ابتداءً يسيرة ثم تصير كثيرة. والشباب - بالكسر -: نشاط الفرس ورفع يديه جميعاً. وفي بعض النسخ [ذكره] بالفتح. والسّلم: الحجارة أي أربابها يمرحون في أوّل الأمر كما يمرح الغلام، ثم يؤول إلى أن يعقب فيهم أو في الإسلام آثار كآثار الحجارة في الأبدان، فيحتمل أن يكون [هذا] كالتفسير لسابقه، أو يكون المراد أنها في الدنيا كنشاط الغلام وما أعقبها في الآخرة كآثار السلام.

[قوله عليه السلام:] «تتوارثها الظلمة بالعهود»: الظرف متعلّق بالفعل: أي توارثهم بما عهدوا بينهم من ظلم أهل البيت عليهم السلام وغصب حقّهم. أو [هو متعلّق] بـ[قوله] «الظلمة»: أي الذين ظلموا عهد الله وتركوه.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٠١ خ ١٤٩.

«ويتكالبون»: أي يتواثبون. و«المريحة»: المنتنة من [قولهم:] أراحت [الجيفة] إذا ظهر ريحها، أو من أراح البعير إذا مات.

قوله عليه السلام: «وعن قليل»: أي بعد قليل من الزمان يتبرأ التابع [من المتبوع].

قال ابن أبي الحديد: ذلك التبرّؤ في القيامة كما ورد في الكتاب العزيز، أمّا تبرّؤ التابع من المتبوع [فقد] قال تعالى: ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾(١).

وأمّا تبرّؤ القائد من المقود: أي المتبوع من التابع فقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ﴾(٢). وإمّا الأعمّ كما دلّ عليه قوله عليه السلام: «فيتزايلون...» فقال تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾(٣).

وقوله عليه السلام: «يتزايلون»: أي يفترقون. وطالع الفتنة مقدماتها. وسمّاها رجوفاً لشدّة الاضطراب فيها. ولما ذكر عليه السلام رغبتهم في الدنيا وتكالبهم، أراد أن يذكر ما يؤكّد التعجّب من فعلهم، فأتى بجملة معترضة بين الكلامين فقال: «وعن قليل يتبرّأ التابع... إلخ». ثمّ عاد إلى نظام الكلام فقال: «ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف».

وقال ابن ميثم: أشار عليه السلام إلى منافستهم في الدنيا في إثارة تلك الفتن، ثم أخبر عن انقضائها عن قليل وكنّى عن ذلك بتبرّؤ التابع من المتبوع.

قيل: [وكان] ذلك التبرؤ عند ظهور الدولة العباسية، فإنّ العادة جارية بتبرّي الناس عن الولاة المعزولين، خصوصاً ممن تولّى عزل أولئك أو قتلهم فيتباينون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء.

[ثم] قال [ابن ميثم:] وقوله عليه السلام: «ثمّ يأتي [بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف»] إشارة إلى فتنة التّتار، إذ الدائرة فيهم كانت على العرب.

[ثم] قال: وقال بعض الشارحين: ذلك إشارة إلى الملحمة الكائنة في آخر الزمان، كفتنة الدجّال، ووصفها بالرجوف كناية عن اضطراب الناس، أو أمر الإسلام فيها. و[كنّى] بقصمها عن هلاك الخلق فيها تشبيهاً لها بالرجل الشجاع الكثير الزحف إلى أقرانه: أي يمشي إليهم قدماً.

ونجم الشيء ينجم - بالضمّ - نجوماً: ظهر وطلع. قوله [عليه السلام:] «من أشرف لها»: أي صادمها وقابلها. «ومن سعى فيها»: أي في تسكينها وإطفائها. والحطم: الكسر. والتكادم: التّعاض بأدنى الفم. والعانة: القطيع من حمر الوحش، ولعلّ المراد مغالبة مثيري تلك الفتنة بعضهم لبعض، أو مغالبتهم لغيرهم. ومعقود الحبل: قواعد التي كلّفوا بها.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٢٥.

وفي إسناد العمى إلى وجه الأمر تجوّز. والغيض: القلّة والنقص. والمسحل - كمنبر - السوهان أو المنحت: أي يفعل بهم ما يفعل بالحديد أو الخشب.

والرضّ: الدق. والكلكل: الصدر. والوُحدان جمع واحد: أي من كان يسير وحده فإنّه يهلك فيها بالكلية، وإذا كانوا جماعة فهم يضلّون في طريقها فيهلكون.

ولفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركة أهلها: أي إذا أراد القليل من الناس دفعها هلكوا في غبارها من دون أن يدخلوا في غمارها، وأمّا الركبان وهم الكثير من الناس فإنّهم يهلكون في طريقها وعند الخوض فيها. ويجوز أن يكون الوحدان جمع أوحد: أي يضلّ في غبار هذه الفتنة وشبهها فضلاء عصرها، لغموض الشبهة واستيلاء الباطل ويكون الركبان كناية عن أهل القوّة، فهلاك أهل العلم بالضلال، وهلاك أهل القوّة بالقتل. ومرّ القضاء: الهلاك والاستئصال والبلايا الصعبة. وعبيط الدّماء: الطري الخالص منها. وتثلم: أي تكسر. ومنار الدين: أي أعلامه.

[قوله عليه السلام:] «مرعاد مبراق»: أي ذات رعد وبرق تشبيهاً بالسحاب. أو ذات وعيد وتهدّد من [قولهم:] رعد الرجل وبرق إذا أوعد وتهدّد.

ويحتمل أن يكون [أراد من] الرعد صوت السلاح و [من] البرق ضوءه.

وقال [ابن الأثير] في النهاية: السّاق في اللغة: الأمر الشديد وكشف الساق: مثل في شدّة الأمر، وأصله من كشف الإنسان عن ساقه وتشميره إذا وقع في أمر شديد.

قوله عليه السلام: «بريئها»: أي من يعدّ نفسه بريئاً سالماً من المعاصي أو الآفات، أو من كان سالماً بالنسبة إلى سائر الناس فهو أيضاً مبتلى بها، أو المعنى أن من لم يكن مائلاً إلى المعاصي أو أحبّ الخلاص من شرورها لا يمكنه ذلك.

قوله عليه السلام: «وظاعنها مقيم»: أي لا يمكنه الخروج عنها. أو من اعتقد أنّه متخلّف عنها فهو داخل فيها لكثرة الشبه وعموم الضلالة.

قوله عليه السلام: «مطلول»: أي مهدر لا يطلب به. و«يختلون»: أي يخدعون. [وقوله:] «بعقد الأيمان»: [إمّا] بصيغة المصدر أو كصرد بصيغة الجمع.

و[قوله عليه السلام:] «يختلون»: في بعض النسخ على بناء المجهول، فيكون إخباراً عن حال المخدوعين الذي يختلهم غيرهم بالأيمان المعقودة بينهم، أو بالعهود الذي يشدّونها بمسح أيمانهم. وفي بعض النسخ على بناء المعلوم فيكون إخباراً من أهل ذلك الزّمان جميعاً، أو الخادعين الخائنين منهم. و«بغرور الإيمان»: أي بالأيمان الذي يظهره الخادعون لهؤلاء الموصوفين فيغرونهم بالمواعيد الكاذبة، أو الذي يظهره هؤلاء الموصوفون فيغرّون الناس به على النّسختين.

قوله عليه السلام: «أنصاب الفتن»: [الأنصاب] جمع نصب وهو - بالفتح أو التحريك -:

العَلم أو بمعنى الغاية والحدّ ومنه أيضاً أنصاب الحرم. وفي بعض النسخ: [أنصار الفتن] بالراء.

قوله عليه السلام: «[والزموا] ما عقد عليه حبل الجماعة» أي القوانين التي ينتظم بها اجتماع الناس على الحقّ، وهي التي بنيت عليها أركان الطاعة.

[قوله عليه السلام:] «واقدموا على الله مظلومين»: أي كونوا راضين بالمظلومية أو لا تظلموا الناس وإن استلزم ترك الظلم مظلوميتكم.

و «مدارج الشيطان»: مذاهبه ومسالكه. «ومهابط العدوان»: المواضع التي يهبط هو وصاحبه فيها. واللُعَق: جمع لعقة بالضمّ، وهي اسم لما تأخذه الملعقة. واللَعقة بالفتح: المرّة منه. فنبّه عليه السلام باللّعق على قلّتها بالنسبة إلى متاع الآخرة، أو المراد لا تدخلوا بطونكم القليل منه فكيف بالكثير.

قوله عليه السلام: «[فإنكم] بعين من حرّم»: أي بعلمه كقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾.

٩٩٧ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام: فبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيّنه وأحكمه، ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه، وليقرّوا به إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه.

فتجلّى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه، بما أراهم من قدرته، وخوّفهم من سطواته، وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات. وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان، ليس فيه شيء أخفى من الحقّ ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزّمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذٍ وأهله منفيّان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد، لا يؤويهما مؤوٍ، فالكتاب وأهله في ذلك الزّمان في الناس وليس فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا.

واجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة، كأنّهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلا اسمه ولا يعرفون إلا خطّه وزبره. ومن قبل ما مثّلوا بالصّالحين كلّ مثلة، وسمّوا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السّيّئة.

وإنّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم، حتى نزل بهم الموعود الذي تردّ عنه المعذرة، وترفع عنه التوبة، وتحل معه القارعة والنقمة.

أيّها الناس! إنّه من استنصح الله وفّق، ومن اتّخذ قوله دليلاً هُديَ للّتي هي أقوم، فإنّ جار الله آمن وعدوّه خائف. وإنّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم، فإنّ رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له، فلا تنفروا من الحقّ نفار الصّحيح من الأجرب والباري من ذي السقم.

واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه.

فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنّهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختفون فيه، [فهو] بينهم شاهد صادق وصامت ناطق[1].

بيان: «أحكمه» أتقنه. وقيل في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[2]: أي أحفظت من فساد المعنى وركاكته. ويمكن أن يكون المراد بالإقرار باللسان، وبالإثبات: التصديق بالقلب.

[قوله عليه السلام:] «فتجلّى لهم»: أي ظهر وانكشف، وربّما يفسّر الكتاب هنا بعالم الإيجاد. والمحق: النقض، والمحو والإبطال. والمثلات: العقوبات.

قوله عليه السلام: «واحتصد [من احتصد]»: في بعض النسخ بالمهملتين في الموضعين من الحصاد وهو قطع الزرع والنبات فهو كناية عن استئصالهم.

وفي بعضها بالمعجمتين من [قولهم:] اختضد البعير: أي خطمه ليذلّ. والأول أظهر. والبوار: الهلاك وكساد السوق.

وتلاوة الكتاب إمّا بمعنى قراءته، أو متابعته فإنّ من اتّبع غيره يقال: تلاه. والتحريف بالثاني أنسب. ويقال: تناساه إذا أرى من نفسه أنّه نسيه. ونفى الشيء: أي نحّاه أو جحده. والطرد: الإبعاد. وأهل الكتاب [هم] أئمّة الدين وأتباعهم العالمون بالكتاب العاملون به.

قوله عليه السلام: «لأن الضّلالة»: أي ضلالتهم مضادّة لهدي الكتاب فلم يجتمعا حقيقةً وإن اجتمعا ظاهراً. والزبر بالفتح: الكتابة وبالكسر: الكتاب. قوله عليه السلام: «ومن قبل»: أي من قبل ذلك الزمان وإن كان بعده عليه السلام. «ما مثلوا» بالتخفيف والتشديد: أي نكّلوا.

والظرف أعني قوله: «على الله» متعلّق بالفرية، ويحتمل تعلّقه بالصدق. والمراد بتغيّب آجالهم نسيانهم إيّاها وترك استعدادهم لها ولما بعدها. والموعود: الموت فإنّه لا تقبل فيه معذرة وعند نزوله [لا تقبل] توبة.

«والقارعة»: المصيبة التي تقرع: أي تلقى بشدّة وقوّة.

قوله عليه السلام «من استنصح الله» قال: [ابن الأثير] في النهاية: أي اتّخذه ناصحاً. انتهى.

والاعتقاد بكونه تعالى ناصحاً وأنه لا يريد للعبد إلا ما هو خير له، يوجب التوفيق بالرغبة في العمل بكلّ ما أمر [به] والانتهاء عمّا نهى عنه.

قوله عليه السلام: «للّتي هي أقوم»: أي للحالة والطريقة التي اتّباعها وسلوكها أقوم.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٩٥ خ ١٤٥.
(٢) سورة هود، الآية: ١.

[قوله عليه السلام:] «فإن جار الله [آمن]»: أي من أجاره الله أو من كان قريباً منه.

وفي بعض النسخ: «عظمته» و «قدرته» بالنصب، فكلمة «ما» فيهما زائدة.

قوله عليه السلام: «حتى تعرفوا الذي تركه»: الغرض منه ومما بعده التنفير من أئمّة الضلال والتنبيه على وجوب البراءة منهم.

[قوله عليه السلام] «فإنّهم عيش العلم»: أي أسباب لحياته.

قوله عليه السلام: «وصَمْتهم عن منطقهم»: فإنّ لصمتهم وقتاً وهيئةً وحالةً تكون قرائن دالّة على حسن منطقهم لو نطقوا.

قوله عليه السلام: «ولا يختلفون»: أي لا يخالف بعضهم بعضاً فيكون البعض مخالفاً للحق.

[قوله عليه السلام:] «فهو بينهم»: الضمير راجع إلى الدين. [ومعنى قوله:] «شاهد صادق»: أي يأخذون بما حكم به ودلّ عليه. [قوله عليه السلام:] «وصامت»: لأنّه لا ينطق في الظاهر [بنفسه وإنّما هو] ناطق بلسان أهله والعالم به.

٩٩٨ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام: حتى بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله شهيداً وبشيراً ونذيراً، خير البريّة طفلاً وأنجبها كهلاً، أطهر المطهّرين شيمةً وأجود المستمطرين ديمةً.

فما احلولت لكم الدّنيا في لذّتها، ولا تمكّنتم من رضاع أخلافها، إلا من بعد [ما] صادفتموها جائلاً خِطامها، قلقاً وضينها، قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود، وحلالها بعيداً غير موجود، وصادفتموها - والله - ظلاً ممدوداً إلى أجل معدود، فالأرض لكم شاغرة، وأيديكم فيها مبسوطة، وأيدي القادة عنكم مكفوفة، وسيوفكم عليها مسلّطة، وسيوفهم عنكم مقبوضة.

ألا [وإنّ] لكلّ دم ثائراً، ولكلّ حقّ طالباً، وإنّ الثّائر في دمائنا كالحاكم في حقّ نفسه، وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب.

فأُقسم بالله يا بني أميّة، عمّا قليل لتعرفنّها في أيدي غيركم وفي دار عدوّكم. ألا إنّ أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه، ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعى التّذكير وقَبِلَه.

أيّها النّاس! استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متّعظ، وامتاحوا من صفو عين قد رُوّقت من الكدر. عباد الله! لا تركنوا إلى جهالتكم ولا تنقادوا لأهوائكم، فإنّ النّازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار، ينقل الرّدى على ظهره، من موضع لرأي يحدثه بعد رأي، يريد أن يلصق ما لا يلتصق ويقرّب ما لا يتقارب.

فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم، ولا من ينقض برأيه ما قد أبرم لكم.

إنه ليس على الإمام إلا ما حمّل من أمر ربّه، الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النّصيحة، والإحياء للسنّة، وإقامة الحدود على مستحقّيها، وإصدار السُهمان على أهلها.

فبادروا العلم من قبل تصويح نبته، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند

أهله، وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه فإنّما أُمرتم بالنهي بعد التناهي[1].

بيان: [قوله عليه السلام:] «شهيداً»: أي على أوصيائه وأُمّته وعلى الأنبياء وأُممهم. والكهل: من جاوز الثلاثين وقيل: من بلغ الأربعين. وقيل: من جاوز أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين. والشيمة - بالكسر -: الطبيعة والجبلّة. والجود - بالفتح -: المطر الغزير. والديمة - بالكسر -: المطر الدائم في سكون. واحلولى الشيء: صار حلواً ضدّ المرّ. والرضاع - بالفتح - مصدر رضع الصبي أمّه - بالكسر -: أي امتصّ ثديها. والأخلاف جمع خلف - بالكسر - وهو حلمة ضرع الناقة، أو الضرع لكلّ ذات خفّ وظلف. والجملتان كنايتان عن انتفاعهم وتمتّعهم بالدنيا. وصادفته: أي وجدته. والجائل: الدائر المتحرّك والذي يذهب ويجيء. وخطام البعير - بالكسر -: الحبل الذي يقاد به. والقلق: المتحرّك الذي لا يستقرّ في مكانه. والوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يشدّ به الرحل على البعير، كالحزام للسرج.

والغرض عدم تمكّنهم من الانتفاع بالدنيا وصعوبتها عليهم وعدم انقيادها لهم، كما تستصعب الناقة على راكبها إذا كانت جائلة الخطام ليس زمامها في يد راكبها، قلقة الوضين لا يثبت رحلها تحت راكبها. ويحتمل أن يكون كناية عن استقلال الدنيا واستبدادها في غرور الناس، وإقبالها على أهلها من غير أن يزجرها ويمنعها أحد.

والسدر المخضود: الذي انثنت أغصانه من كثرة الحمل. أو الذي قطع شوكه ونزع. وهو كناية عن أكلهم الحرام برغبة كاملة وميل شديد.

والظّل الممدود: الدائم الذي لا تنسخه الشمس. وشغرت الأرض كمنعت: أي لم يبق بها أحد يحميها ويضبطها. وبلدة شاغرة برجلها: إذا لم تمنع من غارة أحد.

[وقال ابن الأثير] في [مادّة «شغر» من] النهاية: قيل: الشغر: البعد. وقيل: الاتساع ومنه حديث علي عليه السلام: [«قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها». وحديثه الآخر:] «فالأرض لكم شاغرة»: أي واسعة.

والقادة: ولاة الأمر المستحقّون للإمارة والرياسة. وتسلط السيوف: إشارة إلى واقعة الحسين عليه السلام وما كان من بني أميّة وغيرهم من القتل وسفك الدماء. والثار: طلب الدم.

والمراد بكونه - هنا - كالحاكم في حقّ نفسه: استيفاؤه الحقّ بنفسه من غير افتقار إلى بيّنة وحكم حاكم. والضمير في [قوله:] «تعرفنّها» راجع إلى الإمارة، أو إلى الدنيا كالضمائر المتقدّمة، وهو إخبار بانتقال الدولة عن بني أمية إلى بني العبّاس.

والطرف - بالفتح -: نظر العين، يطلق على الواحد وغيره. ونفوذه في الخير رؤية المحاسن

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٢٧ خ ١٠٣.

واتباعها. ووعى الحديث كرمى: أي حفظه وتدبّره. والامتياح: نزول البئر وملء الدلو منها. والترويق: التصفية. والمراد بـ«الواعظ» و«العين» نفسه صلوات الله عليه. وركن - كعلم ونصر ومنع: مال. والهوى: إرادة النفس. والشفا: شفير الشيء وجانبه. والجرف - بالضمّ وبضمّتين -: ما تجرّفته السيول وأكلته من الأرض. والهار: الساقط الضعيف. والردى: جمع رداة بالفتح فيهما وهي الصخرة: أي هو في تعب دائماً. وفسّر هنا بالهلاك أيضاً.

وإلصاق ما لا يلتصق وتقريب ما لا يتقارب: إثبات الباطل بحجج باطلة. وأشكاه: أزال شكايته. والشجو: الهمّ والحزن. وأبرم الأمر: أي أحكمه. و[أحكم] الحبل: أي جعله طاقين ثمّ فتله. والغرض النهي عن اتّباع إمام لا يقدر على كشف المعضلات وحلّ المشكلات في المعاش والمعاد لقلّة البصيرة.

وفي بعض النسخ: «ومن ينقض» بدون «لا» فالمعنى لا تتبعوا من ينقض برأيه الفاسد ما أحكمه الشرع. والسّهمان - بالضمّ -: جمع سهم وهو الحظّ والنصيب وإيصالها إليهم. وصوّح النبات: أي يبس وتشقّق أو جفّت أعلاه، وهو كناية عن ذهاب رونق العلم أو اختفاؤه أو مغلوبيّته. والمستثار: مصدر بمعنى الاستثارة وهي الإنهاض والتهييج.

والترتيب بين الأمر بالتناهي لا بين النهي والتناهي. ولا يبعد حمله على ظاهره.

٩٩٩ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام وهي من خطب الملاحم:

الحمد لله المتجلّي لخلقه بخلقه، الظاهر لقلوبهم بحجّته[1]، خلق الخلق من غير رويّة، إذ كانت الرويّات لا تليق بذوي الضمائر، وليس بذي ضمير في نفسه.

خرق علمه باطن غيب السترات وأحاط بغموض عقائد السريرات.

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله: اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء وسرّة البطحاء ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة.

ومنها: طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عُمْي، وآذان صمٍّ، وألسنة بُكم، متّبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة. لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثّاقبة، فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية. قد انجابت السرائر لأهل البصائر، ووضحت محجّة الحقّ لخابطها، وأسفرت الساعة عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسمها.

ما لي أراكم أشباحاً بلا أرواح! وأرواحاً بلا أشباح! ونسّاكاً بلا صلاح! وتجاراً بلا أرباح! وأيقاظاً نوّماً! وشهوداً غيّباً وناظرةً عمياء! وسامعةً صمّاء! وناطقةً بكماء!.

---

(١) والظاهر أن الخلق في الأول اسم المصدر بمعنى المخلوق والثاني المصدر والجملة الثانية بيان للجملة الأولى فافهم. [النمازي].

راية ضلالة قد قامت على قطبها، وتفرّقت بشعبها، تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها، قائدها خارج من الملّة على الضلّة، فلا يبقى يومئذ [منكم] إلا ثفالة القدر، أو نفاضة كنفاضة العكم، تعرككم عرك الأديم، وتدوسكم دوس الحصيد، وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبّة البطينة من بين هزيل الحبّ!

أين تذهب بكم المذاهب! وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب! ومن أين تؤتون! وأنّى تؤفكون! فلكلّ أجل كتاب، ولكلّ غيبة إياب، فاستمعوا من ربّانيّكم، وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم، وليصدق رائد أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه؛ فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة.

فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطّاغية وقلّت الدّاعية، وصال الدّهر صيال السّبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم، وتواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابّوا على الكذب، وتباغضوا على الصدق.

فإذا كان ذلك كان الولد غيظاً، والمطر قيظاً، وتفيض اللئام فيضاً وتغيض الكرام غيضاً وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أُكّالاً، وفقراؤه أمواتاً، وغار الصّدق وفاض الكذب، واستعملت المودّة باللّسان، وتشاجر الناس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولُبِس الإسلام لبس الفرو مقلوباً[1]!

تبيين: الملحمة هي الحرب أو الوقعة العظيمة فيها. وموضع القتال مأخوذ من اشتباك الناس فيها كاشتباك لحمة لثوب بالسدى. وقيل: هي مأخوذة من اللحم. والتجلّي: الانكشاف. والخلق الثاني يحتمل المصدر والمخلوق. والرويّة: التفكّر. والمراد بالضمير إمّا القلب أو ما يضمر من الصور.

قوله عليه السلام: «في نفسه»: أي كائن في نفسه أو في حدّ ذاته إذا تأمّل فيه متأمّل بنظر صحيح والغامض من الأرض: المطمئنّ. ومن الكلام وغيره خلاف الواضح. والمشكاة: كوّة غير نافذة يجعل فيها المصباح، أو عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، أو القنديل. والذؤابة بالضمّ مهموزاً: الناصية أو منبتها من الرأس. والعلياء بالفتح والمدّ كلّ مكان مشرف، والسماء، ورأس الجبل. وسرّة البطحاء: وسطها تشبيهاً بسرّة الإنسان. والبطحاء والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

قيل: استعار عليه السلام الشجرة لصنف الأنبياء عليهم السلام وفروعها أشخاصهم وثمرتها العلوم والكمالات. ومشكاة الضياء لآل إبراهيم عليه السلام، وذؤابة العلياء لقريش، وسرّة البطحاء لمكة، والمصابيح والينابيع هم الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٣٤ خ ١٠٧.

والمراد بالطبيب: نفسه عليه السلام. والدوران بالطبّ: إتيان المرضى وتتبّعهم، فهو تعريض للأصحاب بقعودهم عمّا يجب عليهم. أو المراد بيان كمال الطبيب، فإنّ الدوّار أكثر تجربة من غيره كما قيل.

والمرهم: طلاء ليّن يطلى به الجرح مشتقّ من الرهمة بالكسر وهي المطر الضعيف وإحكامها: إتقانها ومنعها عن الفساد. والوسم: أثر الكي والميسم - بالكسر- : المكواة. وأحماها: أي أسخنها ولعلّ إحكام المراهم إشارة إلى البشارة بالثواب، أو الأمر بالمعروف. وإحماء المواسم: إشارة إلى الإنذار من العقاب، أو النهي عن المنكر وإقامة الحدود. وقدح بالزند - كمنع -: رام الإيراء به واستخرج النار منه. والزند - بالفتح -: العود الذي يقدح به النار. وثقبت النار اتقدت. وثقب الكوكب: أضاء. والقاسية: الشديدة والغليظة. وانجابت السحابة: انكشفت. والمراد بالسرائر، ما أضمره المعاندون للحقّ في قلوبهم من إطفاء نور الله وهدم أركان الشريعة.

وقيل: إشارة إلى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسية ولأهل البصائر من استيلاء بني أمية وعموم ظلمهم. أو انكشاف أسرار الشريعة لأهلها. والخابط: السائر على غير هدى ولعلّ المراد أنّ ضلالهم ليس لخفاء الحقّ، بل للإصرار على الشقاوة والنفاق.

وسفر الصبح وأسفر: أضاء وأشرق. وأسفرت المرأة: كشفت عن وجهها. والمراد بإسفار الساعة وظهور العلامة: قرب القيامة بعدم بقاء نبيّ ينتظر بعثته، وظهور الفتن والوقائع التي هي من أشراطها. والشبح - بالتحريك -: سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد.

والمراد بكونهم أشباحاً بلا أرواح: تشبيههم بالجمادات والأموات في عدم الانتفاع بالعقل، وعدم تأثير المواعظ فيهم كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[1].

وأمّا كونهم أرواحاً بلا أشباح فقيل: المراد بيان نقصهم؛ لأنّ الروح بلا جسد ناقصة عاطلة عن الأعمال. وقيل: إشارة إلى خفّتهم وطيشهم في الأفعال.

وقيل: المراد أنّ منهم من هو كالجماد والأموات، ومنهم من له عقل وفهم ولكن لا قوّة له على الحرب، فالجميع عاطلون عمّا يراد بهم.

وقيل: المراد أنّهم إذا خافوا ذهلت عقولهم وطارت ألبابهم، فكانوا كأجسام بلا أرواح، وإذا أمنوا تركوا الاهتمام بأمورهم كأنّهم أرواح لا تعلّق لهم بالأجسام.

والنّساك: العبّاد: أي ليست عبادتهم مقرونةً بالإخلاص وعلى الوجه المأمور به ومع الشرائط المعتبرة، فإنّ منها معرفة الإمام وطاعته. وكونهم تجاراً بلا أرباح لعدم ترتّب الثواب على أعمالهم.

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٤.

وقوله عليه السلام : «راية ضلالة»: منقطع عمّا قبله التقطه السيّد الرضي رحمه الله من كلامه عليه السلام على عادته، وكأنه إشارة إلى ما يحدث في آخر الزمان من الفتن كظهور السفياني وغيره.

والقطب: حديدة تدور عليها الرحى، وملاك الأمر ومداره وسيّد القوم. وقيامها على قطبها كناية عن انتظام أمرها، وتفرّق شعبها عن انتشار فتنتها في الآفاق وتولّد فتن أُخر عنها.

وقيل: ليس التفرّق للراية نفسها، بل لنصارها وأصحابها. وحذف المضاف، ومعنى تفرّقهم أنّهم يدعون إلى تلك الدعوة المخصوصة في بلاد متفرّقة.

قوله عليه السلام : «وتكيلكم بصاعها»: أي تأخذهم للإهلاك زمرة زمرة، كالكيّال يأخذ ما يكيله جملة جملة. أو يقهركم أربابها على الدخول في أمرهم، ويتلاعبون بكم يرفعونكم ويضعونكم كما يفعل كيّال البرّ إذا كاله بصاعه.

أو تكيل لكم بصاعها على حذف اللام كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ : أي تحملكم على دينها ودعوتها، وتعاملكم بما يعامل به من استجاب لها أو تفرز لكم من فتنها شيئاً ويصل إلى كلّ منكم نصيب منها.

والخبط - بالفتح -: ضرب الشجر بالعصى ليتناثر ورقها، وخبط البعير الأرض بيده خبطاً: أي ضربها. والكلام على الوجهين يفيد الذلّة والانقهار.

والقيام على الضلّة: الإصرار على الضلال. وثفالة القدر - بالضمّ -: ما ثفل فيه من الطبيخ، وهي كناية عن الأراذل ومن لا ذكر له بين الناس لعدم الاعتداد بقتلهم. والنفاضة - بالضمّ -: ما سقط من النفض. والعكم - بالكسر-: العدل، ونمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها. وقال ابن الأثير: في مادة «عكم» من النهاية: العُكوم: الأحمال التي تكون فيها الأمتعة وغيرها، واحدها عكم بالكسر، ومنه حديث عليّ عليه السلام : «نفاضة كنفاضة العكم». انتهى. والمراد بها ما يبقى في العدل بعد التخلية من غبار أو بقية زاد لا يعبأ بها فتنفض.

وعركه - كنصره -: دلكه وحكّه. والأديم: الجلد أو المدبوغ منه. وداس الرجل الحنطة: دقّها ليخرج الحبّ من السنبل. والحصيد. الزرع المقطوع. واستخلصه لنفسه: أي استخصّه. والغرض تخصيص المؤمن بالقتل والأذى. والبطينة: السمينة. والهزيل ضدّ السمين.

قوله عليه السلام : «أين تذهب بكم»: الباء في الموضعين للتعدية. والمذاهب: الطرق والعقائد وإسناد الإذهاب إليها على التجوّز للمبالغة. وتاه يتيه تيهاً - «بالفتح والكسر -: أي تحيّر وضلّ. والغيهب: الظلمة والشديد السواد من الليل. والكواذب: الأماني الباطلة والأوهام الفاسدة.

قوله عليه السلام : «ومن أين تؤتون» على بناء المجهول: أي من أيّ جهة وطريق يأتيكم من يضلّكم من الشياطين أو تلك الأمراض «وأنّى تؤفكون»: أي أنّى تصرفون عن قصد السبيل! وأين تذهبون!

قوله عليه السلام : «فلكلّ أجل كتاب»: أي لكلّ أمد ووقت حكم مكتوب على العباد. والإياب- بالكسر- : الرجوع. قيل: هذا الكلام منقطع عمّا قبله. وقيل: تهديد بالإشارة إلى قرب الموت، وأنّهم بمعرض أن يأخذهم على غفلتهم.

والرّبّاني: منسوب إلى الربّ، وفسر بالمتأله العارف بالله، أو الذي يطلب بعمله وجه الله، أو العالم المعلّم، والمراد: نفسه عليه السلام . وإحضار القلب: الإقبال التامّ إلى كلامه ومواعظه.

قوله عليه السلام : «إن هتف بكم» بكسر الهمزة وفي بعض النسخ بالفتح: أي لهتافه بكم وهو الصيّاح. والرائد: الذي يتقدّم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث، وفي المثل: «لا يكذب الرّائد أهله». ولعلّ المراد بالرائد: نفسه عليه السلام : أي وظيفتي وشأني الصدق فيما أخبركم به مما تردون عليه من الأمور المستقبلة في الدنيا والآخرة، كما أنّ وظيفتكم الاستماع وإحضار القلب.

والشّمل ما تشتّت من الأمر والمراد به الأفكار والعزائم: أي يجب علي التوجّه إلى نصحكم وتذكيركم بقلب فارغ عن الوساوس والشواغل، وإقبال تامّ على هدايتكم.

ويحتمل أن يراد بالشّمل من تفرّق من القوم في فيافي الضلالة.

والفاعل في قوله: «فلق» هو الرائد.

وقيل: المراد بالرائد: الفكر؛ لكونه مبعوثاً من قبل النفس في طلب مرعاها وماء حياتها من العلوم وسائر الكمالات، فكنّى به عنه وأهله هو النفس، فكأنّه عليه السلام قال: فلتصدق أفكاركم ومتخيّلاتكم نفوسكم، وصدقها إيّاها تصرّفها على حسب إشارة العقل بلا مشاركة الهوى. أو المراد بالرائد: أشخاص من حضر عنده، فإنّ كلاً له أهل وقبيلة يرجع إليهم، فأمرهم أن يصدقهم بتبليغ ما سمع على الوجه الذي ينبغي والنصيحة والدعوة إليه.

وقوله عليه السلام : «وليجمع شمله»: أي ما تفرّق وتشعّب من خواطره في أمور الدنيا ومهماتها. «وليحضر ذهنه»: أي يوجّهه إلى ما أقول. انتهى.

والفلق: الشقّ. والخرزة - بالتحريك - : الجوهر. «وقرفه قرف الصمغة»: أي قشره كما تقشر الصمغة من عود الشجرة وتقلع، لأنّها إذا قلعت لم يبق لها أثر، وهذا مثل، والمعنى أُوضح لكم أمر الفتن أو طريق الحقّ إيضاحاً تامّاً، فأُظهر لكم باطن الأمر كما يرى باطن الخرزة بعد شقّها، ولا أذخر عنكم شيئاً بل ألقي الأمر بكليّته إليكم.

قوله عليه السلام : «فعند ذلك» قيل: هو متّصل بقوله: «من بين هزيل الحبّ»، فيكون التشويش من السيد رضي الله عنه. ويمكن أن يكون إشارة إلى كلام آخر سقط من البين.

قوله عليه السلام : «وأخذ الشيء مآخذه»: أي تمكّن واستحكم. والطاغية مصدر بمعنى الطغيان أو صفة محذوف: أي الفئة الطاغية. وكذا الداعية تحتمل الوجهين. وفي بعض

النسخ «الرّاعية» بالراء المهملة. والفنيق: الفحل من الإبل «وهدر» ردّد صوته في حنجرته في غير شقشقة. والكظوم: الإمساك والسكوت.

وكون الولد غيظاً لكثرة العقوق أو لاشتغال كلّ امرئ بنفسه، فيتمنّى أن لا يكون له ولد.

والمطر فيضاً. بالضاد المعجمة. أي كثيراً. قيل: إنّه من علامات تلك الشرور أو من أشراط الساعة. وقيل: إنّه من الشرور إذا جاوز الحدّ.

وفي بعض النسخ بالظاء المعجمة: وهو صميم الصيف وهو المطابق لما في النهاية، قال: ومنه حديث أشراط الساعة: «أن يكون الولد غيضاً والمطر قيظاً»، لأنّ المطر إنّما يراد للنبات وبرد الهواء، والقيظ ضدّ ذلك انتهى. وحينئذ يحتمل أن يكون المراد تبدّل المطر بشدّة الحرّ وقلّة المطر، أو كثرته في الصيف دون الربيع والشتاء.

أو المراد أنّه يصير سبباً لاشتداد الحرّ لكثرته في الصيف، إذ تثور به الأبخرة ويفسد الهواء، أو يصير على خلاف العادة سبباً لشدّة الحرّ.

«وتفيض اللئام»: أي تكثر. و«تغيض الكرام»: أي تقلّ.

قوله عليه السلام: «وأهل ذلك الزمان»: أي أكابرهم. و«أُكّالاً» بالضمّ والتشديد: جمع آكل.

وقال بعض الشارحين: روي «أكالاً» بفتح الهمزة وتخفيف الكاف يقال: ما ذقت أكالاً: أي طعاماً، وقال: لم ينقل هذا إلاّ في النفي، فالأجود الرواية الأُخرى وهي «آكالاً» بمدّ الهمزة على أفعال جمع أُكل وهو ما أُكل، وقد روي «أُكالاً» بضمّ الهمزة على فعال. وقالوا: إنّه جمع أكل للمأكول كعرق وعراق، إلاّ أنّه شاذّ: أي صار أوساط الناس طعمة للولاة وأصحاب السلاطين كالفريسة للأسد. وغار الماء: ذهب في الأرض. وفاض: أي كثر حتى سال. وفي بعض النسخ «وفار الكذب».

قوله عليه السلام: «وصار الفسوق نسباً»: أي يحصل أنسابهم من الزنا. وقيل: أي يصير الفاسق صديقاً للفاسق حتى يكون ذلك كالنسب بينهم.

وأمّا لبسهم الإسلام لبس الفرو فالظاهر أنّ المراد به: تبديل شرائع الإسلام وقلب أحكامه، أو إظهار النيات الحسنة والأفعال الحسنة وإبطان خلافها.

وقيل: وجه القلب، أنّه لمّا كان الغرض الأصلي من الإسلام أن يكون باطناً ينتفع به القلب ويظهر به منفعة، فقلب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم، فأشبه قلبهم له لبس الفرو، إذ كان أصله أن يكون خمله ظاهراً لمنفعة الحيوان الذي هو لباسه، فاستعمله الناس مقلوباً

١٠٠٠ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام: أمين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نقمته.

أيّها الناس! إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل. ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامّة

الناس ما إلى ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثمّ ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار. ألا وإنّي أقاتل رجلين: رجلاً ادّعى ما ليس له، وآخر منع الذي عليه.

أُوصيكم بتقوى الله، فإنّه خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الأمور عند الله، وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحق، فامضوا لما تؤمرون به وقِفوا لما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتى تبيّنوا فإنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه غِيراً

ألا وإنّ هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنّونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم إليه.

ألا وإنها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها، وهي وإن غرّتكم منها فقد حذرتكم شرّها، فدعوا غرورها لتحذيرها، وأطماعها لتخويفها، وسابقوا فيها إلى الدار التي دعيتم إليها، وانصرفوا بقلوبكم عنها، ولا يخنّنّ أحدكم خنين الأمة على ما زُوي عنه منها، واستتمّوا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه.

ألا وإنّه لا يضرّكم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم.

ألا وإنّه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإيّاكم الصبر[(١)].

إيضاح: قوله عليه السلام: «بهذا الأمر»: أي الخلافة. «أقواهم عليه»: أي أحسنهم سياسةً وأشجعهم، وهذا يدلّ على عدم جواز إمامة المفضول لا سيّما مع قوله عليه السلام: «فإن شغب... إلى آخره». والشغب بالتسكين: تهييج الشر. والمراد بالاستعتاب: طلب الرجوع بالمراسلة والكلام ونحوهما.

قوله عليه السلام: «لئن كانت الإمامة» قال ابن أبي الحديد: هذا تصريح بصحّة مذهب أصحابنا في أن الاختيار طريق إلى الإمامة، ويبطل قول الإمامية من دعوى النّص، وأنّه لا طريق إلى الإمامة سوى النصّ. انتهى.

أقول: وفيه نظر، أمّا أوّلاً: فإنّه عليه السلام احتجّ عليهم بالإجماع، إلزاماً لهم لاتفاقهم على العمل به في خلافة أبي بكر وأخويه، وعدم تمسكه عليه السلام بالنصّ لعلمه عليه السلام بعدم التفاتهم إليه. كيف وقد أعرضوا عنه في أول الأمر مع قرب العهد بالرسول صلى الله عليه وآله وسماعهم عنه. وأمّا ثانياً: فلأنّه عليه السلام لم يتعرض للنصّ نفياً وإثباتاً، فكيف يكون مبطلاً لما ادّعاه الإمامية من النصّ؟! والعجب أنّه جعل هذا تصريحاً بكون الإختيار طريقاً إلى الإمامة! ونفي الدّلالة في قوله عليه السلام: «إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر...» على نفي إمامة المفضول مع قوله عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٤٨ خ ١٧١.

«فإن أبى قوتل». مع أنّه لم يصرّح بأنّ الإمامة تنعقد بالاختيار، بل قال: إنّها لا تتوقّف على حضور عامّة الناس، ولا ريب في ذلك؛ نعم يدلّ بالمفهوم عليه وهذا تقيّة منه عليه السلام.

ولا يخفى على من تتبّع سيره عليه السلام أنّه لم يمكنه إنكار خلافتهم والقدح فيها صريحاً في المجامع، فلذا عبر بكلام موهم لذلك.

قوله عليه السلام: «وأهلها يحكمون»: وإن كان موهماً له أيضاً، لكن يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقّاء بالإمامة. ولا يخفى على المتأمّل أنّ ما مهد عليه السلام أوّلاً بقوله: «إنّ أحقّ الناس أقواهم» يشعر بأنّ عدم صحّة رجوع الشاهد واختيار الغائب، إنّما هو في صورة الاتّفاق على الأحقّ دون غيره، فتأمّل.

قوله عليه السلام: «رجلاً ادّعى»: كمن ادعى الخلافة. «وآخر منع»: كمن لا يطيع الإمام أو يمنع حقوق الله. «وخير عواقب الأمور»: عاقبة كلّ شيء آخره. والتقوى خير ما ختم به العمل في الدنيا أو عاقبتها خير العواقب.

قوله عليه السلام: «هذا العلم» بكسر العين أو بالتحريك كما في بعض النسخ، فعلى الأوّل: المعنى أنّه لا يعلم وجوب قتال أهل القبلة وموقعه وشرائطه.

وعلى الثاني: إشارة إلى حرب أهل القبلة والقيام به. ويحتمل على بعد أن يراد به الإمامة المشار إليها بقوله: «أحقّ الناس بهذا الأمر» فيكون إشارة إلى بطلان خلافة غير أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحقّ.

قال ابن أبي الحديد: وذلك لأنّ المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة وأكبروه، ومن أقدم منهم عليه أقدم مع خوف وحذر. قال الشافعي: لولا علي عليه السلام لما علم شيء من أحكام أهل البغي.

قوله عليه السلام: «فإنّ لنا» قال ابن ميثم: أي إنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييراً: أي قوّةً على التغيير، إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر، فلا تتسرّعوا إلى إنكار أمر نفعله حتى تسألوا عن فائدته، فإنّه يمكن أن يكون إنكارهم لعدم علمكم بوجهه.

وقال ابن أبي الحديد: أي لست كعثمان أصبر على ارتكاب ما أنهى عنه، بل أُغيّر كل ما ينكره المسلمون ويقتضي الحال والشرع تغييره. انتهى.

ويمكن أن يكون المعنى أنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييراً: أي ما يغيّر إنكاركم ويمنعكم عنه من البراهين الساطعة أو الأعمّ منها، ومن السيوف القاطعة إن لم تنفعكم البراهين.

وفي ذكر إغضاب الدنيا توبيخ لأهلها بالرغبة في شيء لا يراعي حقّهم كما قال عليه السلام: «رغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس». وغرور الدنيا بتزيين الزخارف لأهلها وإغفالهم عن الفناء وتحذيرها بما أراهم من الفناء وفراق الأحبّة ونحو ذلك. والدار التي دعوا إليها هي الجنّة.

قوله عليه السلام: «ولا يخنّنّ أحدكم»: الخنين بالخاء المعجمة: ضرب من البكاء دون

الانتحاب. وأصله خروج الصوت من الأنف كالحنين من الفم. ويروى بالمهملة أيضاً، وإضافته إلى الأمة؛ لأنّ الإماء كثيراً ما يبكين ويسمع الحنين منهنّ، والحرّة تأنف من البكاء والحنين.

وزواه عنه: صرفه وقبضه. وفي بعض النسخ: «ما زوي عنه»: أي عن أحدكم ولعلّه أظهر. والصبر على الطاعة: حبس النفس عليها كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[1]، أو عدم الجزع من شدّتها أو من البلايا إطاعة لله، وعلى أيّ حال هو من الشكر الموجب للمزيد فيه بطلب تمام النعمة. «ومن» في قوله: «من كتابه» بيان لـ «ما».

والقائمة: واحدة قوائم الدواب. وقائمة السيف: مقبضه. ولعلّ المراد بقائمة الدين أصوله وما يقرب منها، ويحتمل أن تكون الإضافة بيانيّة، فإنّ الدين بمنزلة القائمة لأمور الدنيا والآخرة.

١٠٠١ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام:

أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور وتلظّ من الحروب، والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست أعلام الهدى، وظهرت أعلام الرّدى، فهي متجّهمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف.

فاعتبروا عباد الله! واذكروا تيك التي آباؤكم وإخوانكم بها مرتهنون وعليها محاسبون، ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود، ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب والقرون، وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد. والله ما أسمعكم الرسول صلى الله عليه وآله شيئاً إلاّ وها أنا ذا اليوم مسمعكموه، وما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم بالأمس، ولا شقّت لهم الأبصار وجعلت لهم الأفئدة في ذلك الأوان، إلاّ وقد أُعطيتم مثلها في هذا الزمان.

ووالله ما بصّرتم بعدهم شيئاً جهلوه، ولا أُصفيتم به وحرموه، ولقد نزلت بكم البليّة جائلاً خطامها، رخواً بطانها، فلا يغرنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور، فإنّما هو ظلّ ممدود إلى أجل معدود[2].

بيان: «فترة من الرسل»: الفترة بين الرسل: انقطاع الوحي والرسالة. والهجعة: النومة من الليل أو من أوّله. والمراد نوم غفلة الأمم. والاعتزام: العزم، كأن الفتنة مصمّمة للفساد والهرج. والاعتزام أيضاً: لزوم القصد في المشي، فالمعنى أنّها مقتصدة في مشيتها لاطمئنانها وأمنها. ويروى «واعترام من الفتن» بالراء المهملة: أي كثرة من الفتن. ويروى «واعتراض» من اعترض الفرس في الطريق: إذا مشى عرضاً.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٨٤ خ ٨٨.

والتّلظّي: التلهّب. وفي إضافة الكسف إلى النور توسّع. وغار الماء: ذهب وكذا اغوراره: ذهابه في الأرض. والتجهّم: العبوس.

وطعامها الجيفة: أي الحرام؛ لأنّهم كانوا يأخذونه بالنهب والغارات. أو الميتة؛ لأنّهم لم يكونوا يذبحون الحيوانات، ولمّا كان الخوف باطناً شبّهه بالشعار والسيف ظاهراً شبّهه بالدثار. و«تيك»: إشارة إلى الدنيا أو أعمالهم القبيحة و«الأحقاب»: جمع حقب بضمّتين وهو الدهر.

و«والله ما بصّرتم»: لمّا بيّن عليه السلام أوّلاً أنّه لم تكن الهداية للسابقين أكمل من جهة الفاعل ولا القابل فقطع عذر الحاضرين من هذه، وكان مظنّة أن يدّعي مدّع منهم العلم بأمر يقتضي العدول عن المتابعة لم يعلم به آباؤهم، دفع عليه السلام ذلك التوهّم بهذا الكلام. والصفيّ: ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة. ولعلّ المراد بالبليّة فتنة معاوية.

قوله عليه السلام: «جائلاً خطامها»: كناية عن خطرها وصعوبة حالها بالنسبة إلى من ركن إليها وركبها، أو عن كونها مالكة لأمرها، فإنّ البعير إذا لم يكن له من يقوده يجول خطامه والخطام: الزمام. والبطان: الحزام التي تجعل تحت بطن البعير، رخاوتها مستلزمة لصعوبة ركوبها. وتشبيه الدنيا وزخارفها بالظلّ لعدم تأصّله في الوجود ولكونه زائلاً بسرعة.

والأجل: مدّة العمر، ووصفها بالمعدود باعتبار أجزائه وكونه منتهى غاية المدّ على تقدير مضاف: أي ممدود إلى انقضاء أجل معدود.

ويحتمل أن يكون المراد بالأجل غاية العمر، ووصفه بالمعدود على المجاز.

١٠٠٢ - **يف**: محمد بن محمد النيسابوري، باسناد متّصل إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليه السلام: أنّ علياً كان في حلقة من رجال قريش ينشدون الأشعار ويتفاخرون حتى بلغوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: قل يا أمير المؤمنين فقد قال أصحابك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

الله وفّقنا لنصر محمد	وبنا أقام دعائم الإسلام
وبنا أعزّ نبيّه وكتابه	وأعزّنا بالنصر والإقدام
في كلّ معركة تطير سيوفنا	فيها الجماجم عن فراش الهام
ينتابنا جبريل في أبياتنا	بفرائض الإسلام والأحكام
فنكون أوّل مستحلّ حلّه	ومحرّم لله كلّ حرام
نحن الخيار من البريّة كلّها	وإمامها وإمام كلّ إمام
الخائضون غمار كلّ كريهة	والضامنون حوادث الأيّام
إنّا لنمنع من أردنا منعه	ونجود بالمعروف والإنعام

فقالوا: يا أبا الحسن ما تركت لنا شيئاً نقوله[١].

بيان: الأبيات موجودة في الديوان وزاد بعد السابع:

والمبرمون قوى الأمور بعزّةٍ والناقضون مرائر الإبرام

وزاد بعد الأخير:

وتردّ عادية الخميس سيوفنا ونقيم رأس الأصيد القمقام

والدعامة - بالكسر-: عماد البيت. وفراش الرأس: عظام دقاق تلي القحف. وفي الديوان: «فراخ الهام». وقال الجوهري في كتاب الصحاح، وقول الفرزدق:

ويوم جعلنا البيض فيه لعامر مُصَمِّمَةً تفأى فراخ الجماجم

يعني به الدماغ. وبدل قوله عليه السلام: «ينتابُنا» ورد في الديوان: «يزورنا». وبدل قوله عليه السلام: «وإمامها» ورد في الديوان: «ونظامها وزمام كلّ زمام» وبدل قوله: «الخائضون غمار..» ورد في الديوان: «الخائضو غمرات كل كريهة».

والقوى: جمع القوة وهي الطاقة من الحبل. والمرير من الحبال: ما لطف وطال واشتدّ فتله، والجمع: المرائر. والعادية: الظلم والشرّ. وفي بعض النسخ: الغادية بالمعجمة وهي سحابة تنشأ سحاباً[٢]. والأصيد: الملك. والقمقام: السيد.

١٠٠٣ - **ختص:** أحمد بن محمد بن عيسى عن عمر بن عبد العزيز عن غير واحد من أصحابنا منهم بكار بن كردم وعيسى بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام قالوا سمعناه يقول: جاءت امرأة متنقّبة وأمير المؤمنين عليه السلام على المنبر، وقد قتل أخاها وأباها فقالت: هذا قاتل الأحبّة. فنظر إليها أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا سلفع يا جرية يا بذيّة يا متكبّرة، يا التي لا تحيض كما تحيض النساء، يا التي على هنها شيء بيّن مدلى.

فمضت المرأة وتبعها عمرو بن حُريث - وكان عثمانياً - فقال: يا أيّتها المرأة إنّا لا نزال يسمعنا عليّ العجائب، ما ندري حقّها من باطلها، وهذه داري فادخلي فإنّ لي أمّهات أولاد حتى ينظرن حقّاً ما قال أم باطلاً. وأهب لك شيئاً. فدخلت المرأة بيت عمرو فأمر أمّهات أولاده فنظرن إليها، فإذا شيء على ركبها مدلّى فقالت: يا ويلها اطّلع منها علي بن أبي طالب على شيء لم تطلع عليه إلاّ أمّي أو قابلتي. قال: ووهب لها عمرو بن حريث شيئاً[٣].

بيان: إنّما قالت المرأة: «يا ويلتي اطّلع منّي» فغيّر الصادق عليه السلام ذلك لئلا ينسب إلى نفسه الويل وما يستهجن، وقد مرّ مثله مراراً وسيأتي الخبر في إخباره عليه السلام بالغائبات.

١٠٠٤ - **ختص:** اليقطيني وإبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد عن الحارث بن

---

(١) الطرائف لابن طاووس، ج ١ ص ١٣٢ ح ١٢٧.

(٢) هكذا، والصحيح: تنشأ غدوةً.

(٣) الاختصاص للمفيد، ص ٢٩٧.

حصيرة عن ابن نباتة قال: كنّا وقوفاً على أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وهو يعطي العطاء في المسجد، إذ جاءت امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين أعطيت العطاء جميع الأحياء ما خلا هذا الحيّ من مراد لم تعطهم شيئاً فقال لها: اسكتي يا جريئة يا بذيئة يا سلفع يا سلقلق يا من لا تحيض كما تحيض النساء!. قال: فولّت فخرجت من المسجد فتبعها عمرو بن حُرَيث فقال لها: أيّتها المرأة قد قال علي فيك ما قال أفصدق عليك؟ فقالت: والله ما كذب وإنّ كل ما رماني به لفيّ؛ وما اطلع علي أحد إلّا الله الذي خلقني وأمّي التي ولدتني.

فرجع عمرو بن حُرَيث فقال: يا أمير المؤمنين تبعت المرأة فسألتها عمّا رميتها به في بدنها، فأقرّت بذلك كلّه، فمن أين علمت ذلك؟ فقال عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّمني ألف باب من الحلال والحرام، يفتح من كلّ باب ألف باب، حتى علمت المنايا والوصايا وفصل الخطاب وحتى علمت المذكّرات من النساء، والمؤنّثين من الرجال[1].

١٠٠٥ - **ختص**: عباد بن سليمان عن محمد بن سليمان عن أبيه عن هارون بن الجهم عن ابن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال:

بينا أمير المؤمنين عليه السلام يوماً جالساً في المسجد وأصحابه حوله، فأتاه رجل من شيعته فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ الله يعلم أنّي أدينه بولايتك وأُحبّك في السرّ كما أُحبّك في العلانية، وأتولاّك في السرّ كما أتولاّك في العلانية. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: صدقت، أما للفقر فاتّخذ جلباباً، فإنّ الفقر أسرع إلى شيعتنا من السيل إلى قرار الوادي!

قال: فولّى الرجل وهو يبكي فرحاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام له: «صدقت» قال: وكان هناك رجل من الخوارج وصاحب له قريباً من أمير المؤمنين، فقال أحدهما: الله إن رأيت كاليوم قطّ، إنّه أتاه رجل فقال له: إنّي أحبّك فقال له: صدقت. فقال له الآخر: ما أنكرت من ذلك! أيجد بُدّاً من أن إذا قيل له: «إنّي أحبّك» أن يقول: صدقت؟ أتعلم أنّي أحبّه! فقال: لا. قال: فأنا أقوم فأقول له مثل ما قال له الرجل فيردّ عليّ مثل ما ردّ عليه. قال: نعم. فقام الرجل فقال له مثل مقالة الرجل الأوّل، فنظر أمير المؤمنين إليه ملياً ثم قال: كذبت لا والله ما تحبّني ولا أحببتني يوماً.

قال: فبكى الخارجي ثمّ قال يا أمير المؤمنين تستقبلني بهذا وقد علم الله خلافه! ابسط يدك أُبايعك. فقال عليّ: على ماذا. قال: على ما عمل به أبو بكر وعمر. قال: فمدّ يده فقال له: اصفق لعن الله الاثنين والله لكأنّي بك قد قتلت على ضلال ووطئ وجهك دوابّ العراق ولا يعرفك قومك. قال: فلم يلبث أن خرج عليه أهل النهروان وخرج الرجل معهم فقتل[2].

١٠٠٦ - كتاب سليم بن قيس، عن أبان عنه أنّه قال: صعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر

---

(١) الاختصاص، ص ٢٩٨.   (٢) الاختصاص، ص ٣٠٧.

فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيّها الناس أنا الذي فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها غيري. وأيم الله لو لم أكن فيكم لما قوتل أهل الجمل، ولا أهل صفّين، ولا أهل النهروان.

وأيم الله لولا أن تتكلوا وتدعوا العمل، لحدّثتكم بما قضى الله على لسان نبيّه محمد ﷺ لمن قاتلهم مستبصراً في ضلالتهم، عارفاً بالهدى الذي نحن عليه.

ثمّ قال: سلوني عمّا شئتم قبل أن تفقدوني، فوالله إنّي بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض. أنا يعسوب المؤمنين. وأوّل السابقين المتّقين، وخاتم الوصيّين ووارث النبيّين وخليفة ربّ العالمين. أنا ديّان الناس يوم القيامة، وقسيم الله بين أهل الجنّة والنار.

وأنا الصّديق الأكبر، والفاروق الذي أفرق بين الحقّ والباطل، وإنّ عندي علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب، وما من آية نزلت إلاّ وقد علمت فيما نزلت وعلى من نزلت.

أيّها الناس! إنّه وشيك أن تفقدوني، إنّي مفارقكم، وإنّي ميّت أو مقتول، ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها؟! - وفي رواية أُخرى: ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من دم هذا - (يعني لحيته من دم رأسه).

والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة - وفي نسخة أُخرى: والذي نفسي بيده - لا تسألوني عن فئة تبلغ ثلاث مائة فما فوقها مما بينكم وبين قيام الساعة، إلاّ أنبأتكم بسائقها وقائدها وناعقها، وبخراب العرصات، متى تخرب، ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة.

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن البلايا. فقال عليه السلام: إذا سأل سائل فليعقل، وإذا سُئل مسؤول فليتثبّت، إنّ من ورائكم أموراً ملتجّة مجلجلة، وبلاءاً مكلحاً مبلحاً. والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لو قد فقدتموني ونزلت عزائم الأمور وحقائق البلاء، لقد أطرق كثير من السائلين، واشتغل كثير من المسؤولين - وفي نسخة أُخرى: وفشل كثير من المسؤولين - وذلك إذا ظهرت حربكم ونصلت عن ناب، وقامت على ساق، وصارت الدنيا بلاءاً عليكم حتى يفتح الله لبقيّة الأبرار.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين حدّثنا عن الفتن. فقال عليه السلام: إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت - وفي رواية أُخرى: اشتبهت - وإذا أدبرت أسفرت. وإنّ الفتن لها موج كموج البحر، وإعصار كإعصار الريح، تصيب بلداً وتخطئ الآخر. فانظروا أقواماً كانوا أصحاب رايات يوم بدر، فانصروهم تنصروا وتؤجروا وتعذروا.

ألا وإن أخوف الفتن عليكم عندي فتنة بني أميّة فإنّها فتنة عمياء وصمّاء مطبقة مظلمة عمّت فتنتها وخصّت بليّتها، أصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، أهل باطلها ظاهرون على أهل حقّها، يملأون الأرض بدعاً وظلماً وجوراً وأوّل من يضع جبروتها ويكسر عمودها، وينزع أوتادها، الله رب العالمين وقاصم الجبّارين.

ألا وإنّكم ستجدون بني أميّة أرباب سوء بعدي، كالناب الضروس تعضّ بفيها، وتخبط بيديها، وتضرب برجليها، وتمنع درّها.

وأيم الله لا تزال فتنتهم حتى لا يكون نصرة أحدكم لنفسه إلاّ كنصرة العبد لنفسه من سيّده، إذا غاب سبّه، وإذا حضر أطاعه. - وفي رواية أُخرى: يسبّه في نفسه. وفي رواية: وأيم الله لو شردوكم تحت كلّ كوكب لجمعكم الله لشرّ يوم لهم -.

فقال الرجل: فهل من جماعة يا أمير المؤمنين بعد ذلك!

قال: إنّها ستكون جماعة شتى، عطاؤكم وحجّكم وأسفاركم واحدة والقلوب مختلفة. قال واحد منهم: كيف تختلف القلوب؟ قال: هكذا - وشبّك بين أصابعه- ثمّ قال: يقتل هذا هذا، وهذا هذا، هرجاً هرجاً ويبقى طغاماً، جاهليّة ليس فيها منار هدىً، ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة.

قال الرجل: فما أصنع في ذلك الزمان يا أمير المؤمنين؟ قال: انصروا أهل بيت نبيكم، فإن لبدوا فالبدوا وإن استنصروكم فانصروهم تنصروا وتُعذروا، فإنّهم لن يخرجوكم من هدى ولن يدعوكم إلى ردى، ولا تسبقوهم بالتقدّم فيصرعكم البلاء وتشمت بكم الأعداء.

قال الرجل: فما يكون بعد ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: يفرّج الله البلاء برجل من أهل بيتي كانفراج الأديم من بيته، ثمّ يرفعون إلى من يسومهم خسفاً ويسقيهم بكأس مصبّرة، لا يعطيهم ولا يقبل منهم إلاّ السيف هرجاً هرجاً، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر، حتى تودّ قريش بالدنيا وما فيها أن يروني في مقام واحد، فأُعطيهم وآخذ منهم بعض ما قد منعوني وأقبل عنهم بعض ما يردّ عليهم حتى يقولوا: ما هذا من قريش، لو كان هذا من قريش ومن ولد فاطمة لرحمنا. ويغريه الله ببني أميّة فجعلهم الله ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[1].

أمّا بعد فإنّه لا بدّ من رحىً تطحن ضلالةً، فإذا طحنت قامت على قطبها، ألا وإنّ لطحنها روقاً، وإنّ روقها حدّها وعلى الله فلّها. ألا وإنّي وأبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً، معنا راية الحق والهدى، من سبقها مرق، ومن خذلهما محق ومن لزمها لحق - وفي رواية أُخرى: ومن لزمها سبق -.

إنّا أهل بيت من علم الله علمنا ومن حكم الله الصادق قيلنا، ومن قول الصادق سمعنا، فإن تتّبعونا تهتدوا ببصائرنا، وإن تتولّوا عنّا يعذّبكم الله بأيدينا أو بما شاء.

نحن أفق الإسلام بنا يلحق المبطئ وإلينا يرجع التائب. والله لولا أن تستعجلوا ويتأخر

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٦١-٦٢.

الحقّ، لنبأتكم بما يكون في شباب العرب والموالي، فلا تسألوا أهل بيت نبيّكم محمد العلم قبل إبّانه، ولا تسألوهم المال على العسر فتبخّلوهم فإنّه ليس منهم البخل.

وكونوا أحلاس البيوت ولا تكونوا عُجُلاً بُذُراً، وكونوا من أهل الحقّ تعرفوا به وتتعارفوا عليه، فإنّ الله خلق الخلق بقدرته وجعل بينهم الفضائل بعلمه، وجعل منه عباداً اختارهم لنفسه ليحتجّ بهم على خلقه، فجعل علامة من أكرم منهم طاعته، وعلامة من أهان منهم معصيته، وجعل ثواب أهل طاعته النضرة في وجهه في دار الأمن والخلد الذي لا يروع أهله، وجعل عقوبة معصيته ناراً تأجّج لغضبه، وما ظلمهم الله تعالى ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

يا أيّها الناس! إنا أهل بيت بنا بيّن الله الكذب، وبنا يفرّج الله الزمان الكلب، وبنا ينزع الله ربق الذلّ من أعناقكم، وبنا يفتح الله وبنا يختم الله. فاعتبروا بنا وبعدوّنا وبهدانا وبهداهم وبسيرتنا وسيرتهم ومنيّتنا ومنيّتهم، يموتون بالدال والقرح والدبيلة، ونموت بالبطن والقتل والشهادة وبما شاء الله.

ثمّ التفت إلى بنيه فقال: يا بَنيّ ليبرّ صغاركم كباركم، وليرحم كباركم صغاركم، ولا تكونوا أمثال السفهاء الجفاة الجهّال الذي لا يعطون في الله اليقين، كقيض بيض في أداح ألا ويح للفراخ فراخ آل محمد من خلف مستخلف عتريف مترف، يقتل خلفي وخلف الخلف بعدي. أما والله لقد علمت تبليغ الرسالات، وتنجيز العدات، وتمام الكلمات، وفُتحت لي الأسباب، وأُجري لي السحاب، ونظرت في الملكوت، لم يعزب عنّي شيء فات ولم يفتني ما سبقني، ولم يشركني أحد فيما أشهدني ربّي، أقوم به يوم يقوم الأشهاد، وبي يتمّ الله موعده ويكمل كلماته.

وأنا النعمة التي أنعمها الله على خلقه، والإسلام الذي ارتضاه لنفسه، كلّ ذلك منّ الله به عليّ وأذلّ به منكبي. وليس إمام إلاّ وهو عارف بأهل ولايته، وذلك قول الله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1].

ثم نزل عن المنبر صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأخيار وسلّم تسليماً كثيراً[2].

١٠٠٧ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمد الثقفي: عن إسماعيل بن أبان عن الغفّار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن زرّ بن حُبيش قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يخطب.

قال إبراهيم: وأخبرني أحمد بن عمران بن محمد بن أبي ليلى عن أبيه عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن زرّ بن حبيش، قال: خطب عليّ عليه السلام بالنهروان...

وساق الحديث نحو حديث سليم إلى قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[3].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٧.

(٢) كتاب سليم بن قيس، ص ١٤٢-١٤٨.

(٣) كتاب الغارات، ص ١٤٥.

بيان: قوله عليه السلام : «أموراً ملتجّة»: قال الجوهري: التجّت الأصوات: اختلطت. ولجّجت السفينة: خاضت اللّجة. والتجّ البحر التجاجاً اضطرب وهاج وغمر.

وفي بعض النسخ: «ملبّجةً» بالباء الموحّدة قال الجوهري: لبجت به الأرض: إذا جلدت به الأرض وصرعته.

وقال: الجلجل واحد الجلاجل، وصوته الجلجلة وصوت الرعد أيضاً. والمجلجل: السحاب الذي فيه صوت الرعد، وجلجلت الشيء إذا حرّكته بيدك. وتجلجل: أي ساخ فيها ودخل. وتجلجلت قواعد البيت: أي تضعضعت.

وقال الفيروز آبادي: كلح- كمنع-: تكشّر في عبوس كتكلّح وأكلح وأكلحته، ودهر كالح: شديد. وقال: بلح الرجل بلوحاً: أعيى كبلّح تبليحاً وبلح الماء ذهب. والبلوح: البئر الذاهبة الماء وبلَحَت خفارته إذا لم تف. والبالح: الأرض لا تنبت شيئاً.

قوله: «ونصلت»: أي خرجت كاشفاً عن ناب. وقال الجوهري: نصل الحافر: خرجت عن موضعه. وفي بعض النسخ: «وقلصت» بالتخفيف أو التشديد، يقال: قلص الشيء: أي ارتفع وقلّص وتقلّص، كلّ بمعنى انضمّ وانزوى. يقال: قلصت شفته: أي انزوت. وقال الفيروزآبادي في القاموس: هرج الناس يهرجون: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل.

قوله عليه السلام : «وإنّ لطحنها روقاً» أي حسناً وإعجاباً. «وإنّ روقها حدّها» أي إذا صارت الدنيا بحيث أعجبت الناس فهو نهايتها ووقت انقضائها. «ولازم على الله فلّها»: أي كسرها. والأرومة - كالأكولة وقد تضمّ - الأصل. «والبذر» بضمّتين جمع البذور وهو الذي يذيع الأسرار. والنضرة: الحسن والرونق والكلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[1].

قوله عليه السلام : «لا يروّع أهله»: أي لا يفزع ولا يخاف. وفي بعض النسخ: لا يروّغ بالغين المعجمة: أي لا يحيد ولا يميل أهلها عنها.

وقال ابن الأثير في النهاية: الدبيلة: خراج ودمّل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً. وأيضاً قال ابن الأثير: في حديث علي عليه السلام : «لا تكونوا كقيض بيض في أداح يكون كسرها وزراً ويخرج حضانها شرّاً» القيض: قشر البيض. والأداحي: جمع الأدحي وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ. وهو أفعول من «دحوت»؛ لأنّها تدحوه برجلها: أي تبسطه ثم تبيض فيه. وقال الجوهري: «ويح» كلمة رحمة و«ويل» كلمة عذاب.

وقال اليزيدي: هما بمعنى واحد تقول: ويح لزيد وويل لزيد ترفعهما على الابتداء.

وقال: الخلف: القرن بعد القرن، والخلف: ما جاء من بعد يقال: هو خلف سوء من أبيه وخلف صدق من أبيه - بالتحريك - إذا قام مقامه. وقال: هما سواء منهم من يحرّك ومنهم من

---

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٤.

يسكّن فيهما جميعاً. والخلف أيضاً ما استخلفته من شيء. ويقال: القوم خلفة: أي يختلفون.

أقول: المراد بالخلف إمّا معاوية أو يزيد. وقال الجوهري في الصحاح: رجل عتريف أو عتروف: أي خبيث فاجر جريء ماض. وقال: أترفته النعمة: أطغته.

قوله عليه السلام: «وأذلّ به منكبي»: لعلّه كناية عن كثرة الحمل وثقله. أو المعنى أنّ مع تلك الفضائل رفع التكبّر والترفّع عنّي.

١٠٠٨ - **يج:** رُوي عن الأصبغ بن نباتة قال: دخلت في بعض الأيّام على أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة، فإذا بجمّ غفير ومعهم عبد أسود فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا العبد سارق. فقال له الإمام: أسارق أنت يا غلام! فقال له: نعم. فقال له مرّةً ثانية: أسارق أنت يا غلام! فقال: نعم يا مولاي. فقال له الإمام عليه السلام: إن قلتها ثالثةً قطعت يمينك فقال أسارق أنت يا غلام! قال: نعم يا مولاي.

فأمر الإمام بقطع يمينه فقطعت، فأخذها بشماله وهي تقطر دماً، فلقيه ابن الكوّاء - وكان يشنأ أمير المؤمنين عليه السلام - فقال له: من قطع يمينك؟ قال: قطع يميني الأنزع البطين، وباب اليقين، وحبل الله المتين، والشافع يوم الدين المصلّي إحدى وخمسين.

قطع يميني إمام التُقى، وابن عمّ المصطفى، شقيق النبيّ المجتبى، ليث الثرى غيث الورى، حتف العدى، ومفتاح الندى، ومصباح الدجى.

قطع يميني إمام الحقّ، وسيّد الخلق، وفاروق الدين، وسيّد العابدين وإمام المتّقين، وخير المهتدين، وأفضل السابقين، وحجّة الله على الخلق أجمعين.

قطع يميني إمام حظّيّ بدريّ أُحديّ مكّي مدنيّ أبطحيّ هاشميّ قرشيّ أريحيّ مولويّ طالبيّ جريّ قوي لوذعيّ الوليّ الوصيّ.

قطع يميني داحي باب خيبر، وقاتل مرحب ومن كفر، وأفضل من حجّ واعتمر، وهلّل وكبّر، وصام وأفطر، وحلق ونحر.

قطع يميني شجاع جريّ، جواد سخيّ، بهلول شريف الأصول ابن عمّ الرسول، وزوج البتول وسيف الله المسلول، المردود له الشمس عند الأفول.

قطع يميني صاحب القبلتين، الضارب بالسيفين، الطاعن بالرمحين، ووارث المشعرين، الذي لم يشرك بالله طرفة عين، أسمح كلّ ذي كفّين، وأفصح كلّ ذي شفتين، أبو السيدين الحسن والحسين.

قطع يميني عين المشارق والمغارب، تاج لؤيّ بن غالب، أسد الله الغالب، عليّ بن أبي طالب عليه من الصلوات أفضلها ومن التحيات أكملها. فلمّا فرغ الغلام عن الثناء ومضى لسبيله، دخل عبد الله بن الكوّاء على الإمام عليه السلام فقال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال له أمير المؤمنين: السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى. فقال له ابن

الكوّاء: يا أبا الحسنين قطعت يمين غلام أسود وسمعته يثني عليك بكلّ جميل. فقال: وما سمعته يقول؟ قال: كذا وكذا. وأعاد عليه جميع ما قال الغلام.

فقال الإمام عليه السلام لولديه الحسن والحسين: امضيا وأتياني بالعبد. فمضيا في طلبه في كندة فقالا له: أجب أمير المؤمنين يا غلام. فلمّا مثل بين يدي أمير المؤمنين قال له: قطعت يمينك وأنت تثني عليّ بما قد بلغني؟! فقال: يا أمير المؤمنين ما قطعتها إلاّ بحقّ واجب أوجبه الله ورسوله. فقال الإمام: أعطني الكفّ فأخذ الإمام الكفّ وغطّاه بالرداء، وكبّر وصلّى ركعتين، وتكلّم بكلمات وسمعته يقول في آخر دعائه: آمين رب العالمين. وركّبه على الزند وقال لأصحابه: اكشفوا الرداء عن الكفّ، فكشفوا الرداء عن الكفّ وإذا الكفّ على الزند بإذن الله. ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: ألم أقل لك يا ابن الكوّاء: إنّ لنا محبّين لو قطعنا الواحد منهم إرباً إرباً ما ازدادوا إلاّ حباً، ولنا مبغضين لو ألعقناهم العسل ما ازدادوا إلاّ بغضاً، وهكذا من يحبّنا ينال شفاعتنا يوم القيامة[١].

بيان: الشرى: طريق في بادية سلمى كثير الأسد. والحظيّ: ذو الحظوة وهي المنزلة والمكانة. والأريَحيّ: الواسع الخلق. واللوذعيّ: الظريف الحديد الفؤاد. والبهلول من الرجال: الضحّاك.

١٠٠٩ - **يج:** رُوي أنّ خارجياً اختصم في رجل آخر إلى عليّ عليه السلام فحكم بينهما، فقال الخارجي: لا عدلت في القضية. فقال عليه السلام: اخسأ يا عدوّ الله. فاستحال الخارجي كلباً وطار ثيابه في الهواء، فجعل يصبصب وتدمع عيناه فرقّ له ودعا له، فأعاده إلى حال الإنسانية وتراجعت من الهواء ثيابه، فقال عليّ عليه السلام: إنّ آصف وصيّ سليمان قد صنع نحوه فقصّ الله عنه بقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[٢] أيّما أكرم على الله! نبيّكم أم سليمان! قالوا: نبيّنا.

فقيل له: ما حاجتك في قتال معاوية إلى الأنصار؟ قال: إنّما أدعو هؤلاء لثبوت الحجّة وكمال المحنة، ولو أُذن لي في الدعاء بهلاكه لم أتأخّر[٣].

٣٤ - باب فيه ذكر أصحاب النبيّ ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام الذين كانوا على الحقّ ولم يفارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وذكر بعض المخالفين والمنافقين زائداً على ما أوردناه في كتاب أحوال النبي ﷺ وكتاب أحوال أمير المؤمنين عليه السلام

١٠١٠ - **ختص:** عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانوا شرطة الخميس ستّة آلاف رجل

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٥٦١ ح ١٩ مختصراً.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٠. (٣) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٥٦٨ ح ٢٤.

أنصاره عليه السلام[1].

١١١١ - **ختص:** محمد بن الحسين عن محمد بن جعفر عن أحمد بن أبي عبد الله قال: قال عليّ بن الحكم: أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين قال لهم تشرّطوا فأنا أشارطكم على الجنّة ولست أشارطكم على ذهب ولا فضّة، إنّ نبيّنا فيما مضى قال لأصحابه: «تشرّطوا فإنّي لست أشارطكم إلاّ على الجنّة» وهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ الغفاري وعمّار ابن ياسر وأبو عمرو الأنصاريان وسهل البدري وعثمان ابنا حنيف الأنصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري.

ومن أصفياء أصحابه عمرو بن الحمق الخزاعي - عربي - وميثم التمّار وهو ميثم بن يحيى مولى - ورشيد الهجري وحبيب بن مظهّر الأسدي ومحمد بن أبي بكر.

ومن أوليائه العلم الأزدي وسويد بن غفلة الجعفي والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني وأبو عبد الله الجدلي وأبو يحيى حكيم بن سعد الحنفي.

وكان من شرطة الخميس أبو الرضي عبد الله بن يحيى الحضرمي وسليم بن قيس الهلالي وعبيدة السلماني المرادي عربي. ومن خواصّه تميم بن حذيم الناجي.

وقد شهد مع عليّ عليه السلام حروبه قنبر مولى علي بن أبي طالب وأبو فاختة مولى بني هاشم وعبيدالله بن أبي رافع وكان كاتبه[2].

بيان: اختلف في تصحيح اسم والد تميم فقيل: حذيم بالحاء المهملة والذال المعجمة. وقيل: بالخاء المعجمة والزاي. وقيل: بالحاء المهملة المكسورة والذال المعجمة الساكنة والياء المفتوحة. وذكره الجوهري في الصحاح بالحاء المهملة المفتوحة والذال المعجمة الساكنة واللام المفتوحة وقال: إنّه من التابعين. وكذا صحّحه أكثر العامة في كتبهم.

١٠١٢ - **ختص:** عبيد بن نضلة الخزاعي قال: روي عن ابن الأعمش أنّه قال لأبيه: على من قرأت القرآن؟ قال: على يحيى بن الوثاب، وقرأ يحيى على عبيد بن نضلة كلّ يوم آية ففرغ من القرآن في سبع وأربعين سنة[3].

١٠١٣ - **ختص:** يحيى بن وثّاب كان مستقيماً[4].

١٠١٤ - **ختص:** أبو أحيحة واسمه عمرو بن محصن أُصيب بصفين وهو الذي جهّز أمير المؤمنين بمائة ألف درهم في مسيره إلى الجمل[5].

١٠١٥ - **ختص:** جعفر بن الحسين المؤمن عن ابن الوليد عن الصفّار عن ابن عيسى عن ابن فضّال عن ثعلبة عن زرارة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: خلقت الأرض لسبعة، بهم يرزقون وبهم ينصرون وبهم يمطرون، منهم: سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ

(١) الاختصاص، ص ٢.
(٢) - (٥) الاختصاص، ص ٣-٥.

وعمّار وحذيفة. وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: وأنا إمامهم وهم الذين صلّوا على فاطمة عليها السلام [١].

١٠١٦ - **ختص:** أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه عن محمد بن الحسين عن الحسن بن محبوب عن الحارث قال: قال: سمعت عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله عليه السلام فلم يزل يسأله حتى قال: فهلك الناس إذاً! فقال: إي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون! قلت: أهل الشرق والغرب قال: إنّها فتحت على الضلال، إي والله هلكوا إلاّ ثلاثة سلمان الفارسي وأبو ذرّ والمقداد ولحقهم عمار وأبو سنان الأنصاري وحذيفة وأبو عمرة فصاروا سبعة[٢].

١٠١٧ - **ختص:** عدّة من أصحابنا عن ابن الوليد عن الصفّار عن أيّوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن مثنى بن الوليد عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام قال: ارتدّ الناس بعد النبي إلاّ ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود وأبو ذرّ الغفاري وسلمان الفارسي، ثمّ إنّ الناس عرفوا ولحقوا بعد[٣].

١٠١٨ - **ختص:** في ذكر السابقين المقرّبين من أمير المؤمنين عليه السلام:

حدّثنا جعفر بن الحسين عن محمد بن جعفر المؤدّب قال: الأركان الأربعة: سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ وعمّار هؤلاء من الصحابة.

ومن التابعين أويس القرني، الذي يشفع في مثل ربيعة ومضر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وذكر جعفر بن الحسين أنّه كان من أمير المؤمنين بمنزلة سلمان من رسول الله ﷺ ورُشَيد الهجري، وميثم التمّار، وكميل بن زياد النخعي، وقنبر مولى أمير المؤمنين، ومحمد بن أبي بكر، ومزرع مولى أمير المؤمنين، وعبد الله بن نُجَيّ، قال له أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل: «أبشر يا ابن نجيّ فأنت وأبوك من شرطة الخميس، سمّاكم الله به في السماء. وجندب بن زهير العامري، وبنو عامر شيعة علي على الوجه، وحبيب بن مظهّر الأسدي، والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، ومالك بن الحارث الأشتر، والعلم الأزدي، وأبو عبد الله الجدلي، وجُوَيرية بن مسهر العبدي[٤].

١٠١٩ - **ختص:** محمد بن الحسن عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى عن النضر ابن سويد عمّن حدّثه من أصحابنا عن أبي عبد الله قال: ما بقي أحد بعدما قبض رسول الله ﷺ إلاّ وقد جال جولة إلاّ المقداد، فإنّ قلبه كان مثل زبر الحديد[٥].

١٠٢٠ - **ختص:** ابن الوليد عن الصفّار عن علي بن سليمان الرازي:

وحدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى عن سعد عن عليّ بن سليمان عن علي بن أسباط بن سالم عن أبيه قال: قال أبو الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد «أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟» فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذرّ.

---

(١) - (٥) الاختصاص، ص ٣-٨.

قال: ثمّ ينادي المنادي «أين حواري عليّ بن أبي طالب وصيّ محمد بن عبد الله رسول الله؟» فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمّار مولى بني أسد، وأويس القرني. قال: ثمّ ينادي المنادي «أين حواري الحسن بن علي وابن فاطمة بنت محمد رسول الله!» فيقوم سفيان بن أبي ليلى الهمداني، وحذيفة بن أسيد الغفاري.

قال: ثم ينادي المنادي «أين حواري الحسين بن عليّ؟» فيقوم كلّ من استشهد معه ولم يتخلّف عنه. ثمّ ينادي «أين حواري علي بن الحسين عليه السلام ؟» فيقوم جبير بن مطعم، ويحيى بن أمّ الطويل، وأبو خالد الكابلي، وسعيد بن المسيّب.

ثمّ ينادي «أين حواري محمد بن علي وحواري جعفر بن محمد؟» فيقوم عبد الله بن شريك العامري، وزرارة بن أعين، وبريد بن معاوية العجلي، ومحمد بن مسلم الثقفي، وليث بن البختري المرادي، وعبد الله بن أبي يعفور، وعامر بن عبد الله بن خزاعة، وحجر بن زائدة، وحمران بن أعين. ثمّ ينادي سائر الشيعة مع سائر الأئمّة صلوات الله عليهم يوم القيامة.

فهؤلاء أوّل الشيعة الذين يدخلون الفردوس وهؤلاء أول السابقين وأول المقرّبين وأوّل المحبورين[١].

١٠٢١ - **ختص:** جعفر بن الحسين عن محمد بن جعفر المؤدّب عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه رفعه قال: قال عمرو بن الحمق الخزاعي لأمير المؤمنين عليه السلام : والله ما جئتك لمال من الدنيا تعطينيها، ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكري ما جئتك إلاّ لأنّك ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأولى الناس بالناس، وزوج فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو الذريّة التي بقيت لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وأعظم سهماً للإسلام من المهاجرين والأنصار. والله لو كلّفتني نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطوامي أبداً حتى يأتي عليّ يومي، وفي يدي سيفي أهزّ به عدوّك وأقوي به وليّك، ويعلي به الله كعبك ويفلج به حجّتك، ما ظننت أنّي أدّيت من حقّك كلّ الحقّ الذي يجب لك عليّ؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام : اللهمّ نوّر قلبه واهده إلى الصراط المستقيم، ليت أنّ في شيعتي مائة مثلك[٢].

بيان: طما الماء: ارتفع وملأ النهر. قوله: «أهزّ به» يقال: هززت الشيء هزاً فاهتزّ: أي حرّكته فتحرّك. وفي بعض النسخ: «أهزم» وهو أظهر. وقال الفيروزآبادي في القاموس: الكعب: الشرف والمجد ورجل عالي الكعب: شريف.

١٠٢٢ - **ختص:** أحمد بن هارون وجعفر بن محمد بن قولويه وجماعة عن عليّ بن

(١) الاختصاص، ص ٥٥. أقول: نقله الكشي في رجاله ص ٦ بسند آخر عنه مثله مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه. [النمازي].

(٢) الاختصاص، ص ١١.

الحسين عن عبد الله بن جعفر الحميري عن محمد بن الحسن عن أحمد بن النضر عن صباح عن الحارث بن الحصيرة عن صخر بن الحكم الفزاري، عمّن حدّثه أنّه سمع عمرو بن الحمق يحدّث عن رسول الله ﷺ، أنّه سمع رسول الله في المسجد الحرام أو في مسجد المدينة، يقول: يا عمرو! هل لك في أن أُريك آية الجنّة يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق! وآية النار يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق؟ فقلت: نعم بأبي أنت وأمّي فأرنيها. فأقبل عليّ عليه السلام يمشي حتى سلّم وجلس، فقال النبيّ: يا عمرو هذا وقومه آية الجنّة. ثمّ أقبل معاوية حتى سلّم فجلس، فقال النبيّ: يا عمرو هذا وقومه آية النار.

ثمّ قال: وذكر عمرو وبدء إسلامه وأنّه كان في إبل لأهله، وكانوا أهل عهد لرسول الله، وأنّ أُناساً من أصحاب رسول الله مرّوا به وقد بعثهم رسول الله ﷺ في بعث فقالوا: يا رسول الله ما معنا زاد ولا نهتدي الطريق فقال: إنّكم ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم من الطعام، ويسقيكم من الشراب ويهديكم الطريق وهو من أهل الجنّة.

قال عمرو: فأقبلوا حتى انتهوا إليّ من آخر النهار، وأمرت فتياني فنحروا جزوراً وحملوا إلى القوم من اللبن، فبات القوم يطعمون من اللحم ما شاءوا ويسقون من اللبن ثم أصبحوا فقلت: ما أنتم بمنطلقين حتى تطعموا وتشربوا فقال رجل منهم وضحك إلى صاحبه فقلت: وممّ ضحكت! فقال: أبشر ببشرى الله ورسوله، فقلت: وما ذاك! قال: قال: بعثنا رسول الله ﷺ في هذا الفجّ وأخبرناه أنّه ليس لنا زاد ولا هداية الطريقة فقال: ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويدلّكم على الطريق وهو من أهل الجنّة، فلم نلق من يوافق نعت رسول الله غيرك.

قال عمرو فركبت معهم وأرشدتهم إلى الطريق، ثمّ انصرفت إلى فتياني وأوصيتهم بإبلي ثمّ سرت كما أنا إلى رسول الله ﷺ حتى بايعت وأسلمت، وأخذت لنفسي ولقومي أماناً من رسول الله ﷺ أنّا آمنون على أموالنا ودمائنا إذا شهدنا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله وأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأقمنا بسهم الله ورسوله قال: فإذا فعلتم ذلك فأنتم آمنون على أموالكم ودمائكم، لكم بذلك ذمة الله ورسوله لا نعتدي عليكم في مال ولا دم.

ثم قال عمرو فأقمت مع رسول الله ﷺ ما أقمت، وغزوت معه غزوات وقبض الله رسوله. قال: وكان عمرو بن الحمق الخزاعي شيعةً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا صار الأمر إلى معاوية انحاز إلى شهرزور من الموصل.

وكتب إليه معاوية: أمّا بعد فإنّ الله أطفأ النائرة وأخمد الفتنة وجعل العاقبة للمتّقين، ولست بأبعد أصحابك همّة ولا أشدّهم في سوء الأثر صنعاً، كلّهم قد أسهل بطاعتي وسارع إلى الدخول في أمري، وقد بطأ بك ما بطأ فادخل فيما دخل فيه الناس يُمْحَ عنك سالف ذنوبك ونحي داثر حسناتك، ولعلّي لا أكون لك دون من كان قبلي إن أبقيت واتّقيت ووفيت

وأحسنت، فاقدم عليّ آمناً في ذمة الله وذمّة رسوله، محفوظاً من حسد القلوب وإحن الصدور وكفى بالله شهيداً.

فلم يقدم عليه عمرو بن الحمق، فبعث إليه من قتله وجاء برأسه إليه فبعث به معاوية إلى امرأته وهي في سجنه فوُضع في حجرها فقالت: سترتموه عنّي طويلاً وأهديتموه إليّ قتيلاً! فأهلاً وسهلاً من هديّة غير قالية ولا بمقليّة، بلّغ أيّها الرسول عنّي معاوية ما أقول: طلب الله بدمه، وعجّل له الويل من نقمه، فقد أتى أمراً فريّاً وقتل برّاً تقيّاً، فأبلغ أيها الرسول معاوية ما قلت. فبلّغ الرسول معاوية ما قالت، فبعث إليها فقال لها: أنت القائلة ما قلت؟ قالت: نعم غير ناكلة عنه ولا معتذرة منه. قال لها: اخرجي من بلادي. قالت: أفعل فوالله ما هو لي بوطن ولا أحنّ فيها إلى سجن، ولقد طال بها سهري واشتهر بها عبري وكثر فيها ديني من غير ما قرّت به عيني.

فقال عبد الله بن أبي سرح الكاتب: يا أمير المؤمنين! إنّها منافقة فألحقها بزوجها. فنظرت إليه فقالت: يا من بين لحيته كجثمان الضفدع ألا قتلت من أنعمك خلعاً وأصفاك بكسا، إنّما المارق المنافق من قال بغير الصواب، واتّخذ العباد كالأرباب، فأنزل كفره في الكتاب. فأومأ معاوية إلى الحاجب بإخراجها فقالت: واعجباه من ابن هند! يشير إليّ ببنانه ويمنعني نوافذ لسانه، أما والله لأبقرنّه بكلام عتيد كنوافذ الحديد، أوما أنا بآمنة بنت الرشيد «ظ: الشريد»[1].

بيان: قوله: «أسهل بطاعتي»: أي رفع عن نفسه الشدّة، يقال: أسهل القوم أي صاروا إلى السهل. وفي بعض النسخ: «استهلّ»: أي رفع صوته أو صار إليها فرحاً من قولهم: استهلّ فرحاً. والجثمان: الجسد. وأصفيته بالشيء: آثرته به. والكسا - بالضمّ- جمع الكسوة. وفي بعض النسخ: «وأعطاك كيساً» أي كيس الدراهم. ولعلّها أرادت زوجها.

١٠٢٣ - **ختص:** الأصبغ بن نباتة كان من شرطة الخميس وكان فاضلاً.

حدّثنا جعفر بن الحسين عند محمد بن جعفر المؤدّب عن البرقي عن صالح بن أبي حماد عن ابن أبي الخطّاب، عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن الأصبغ بن نباتة، قال: قلت للأصبغ: ما كان منزلة هذا الرجل فيكم؟ فقال: ما أدري ما تقول إلاّ أنّ سيوفنا كانت على عواتقنا، ومن أومأ إليه ضربناه[2].

١٠٢٤ - **ختص:** محمد بن الحسن الشحاذ عن سعد عن محمد بن أحمد عن محمد بن إسماعيل عن جعفر بن محمد بن الهيثم، عن عليّ بن الحسين الفزاري عن آدم التّمار الحضرمي عن ابن طريف عن ابن نباتة، قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام لأسلّم عليه فجلست أنتظره، فخرج إليّ فقمت إليه فسلمت عليه، فضرب على كفّي ثمّ شبّك أصابعه في أصابعي

---

(١) الاختصاص، ص ١١.
(٢) الاختصاص، ص ٦٠.

ثم قال: يا أصبغ بن نباتة! قلت: لبّيك وسعديك يا أمير المؤمنين. فقال: إنّ وليّنا وليّ الله. فإذا مات وليّ الله كان من الله بالرفيق الأعلى، وسقاه من نهر أبرد من الثلج وأحلى من الشهد، وألين من الزّبد. فقلت: بأبي أنت وأمّي وإن كان مذنباً؟ فقال: نعم وإن كان مذنباً، أما تقرأ القرآن ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

يا أصبغ إنّ وليّنا لو لقي الله وعليه من الذنوب مثل زبد البحر ومثل عدد الرمل لغفرها الله له إن شاء الله تعالى[2].

١٠٢٥ - **كش:** محمد بن قولويه والحسين بن حسن بن بندار القميان، عن سعد عن الخشاب عن اليقطيني عن ابن أسباط عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: كان مع أمير المؤمنين خمسة نفر من قريش، وكانت ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية.

فأمّا الخمسة فمحمد بن أبي بكر رحمة الله عليه، أتته النجابة من قبل أمّه أسماء بنت عميس، وكان معه هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص المرقال، وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنّما لك هذه الشدّة في الحرب من قبل خالك. فقال له جعدة: لو كان لك خال مثل خالي لنسيت أباك ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة والخامس سلف أمير المؤمنين ابن أبي العاص بن ربيعة، وهو صهر النبي ﷺ وهو أبو الربيع[3].

١٠٢٦ - **ختص:** ابن قولويه عن أبيه عن سعد مثله.

بيان: قال الفيروزآبادي في القاموس: السلف كِكَتِف، وكِبد من الرجال: زوج أخت امرأته، وبينهما أسلوفة صهر، وقد تسالفنا وهما سلفان: أي متزاوجا الأختين. انتهى.

والظاهر أنّ ضمير «هو» راجع إلى أبي العاص، فإنّه كان زوج زينب واسمه: القاسم بن ربيع وأبو الربيع كنية لابن أبي العاص.

والمراد بسلف إمّا مطلق المصاهرة فإنّ أمامة بنت أبي العاص أخته كانت عند أمير المؤمنين عليه السلام، أو كان عنده أيضاً أخت إحدى زوجاته عليه السلام، أو كان ابن سلف فسقط الابن من النسّاخ.

١٠٢٧ - **كش:** حمدويه وإبراهيم ابنا نصير عن أيّوب عن صفوان عن معاوية بن عمّار وغير واحد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر لا يرضيان أن يُعصى الله عزّ وجلّ[4].

١٠٢٨ - **كش:** نصر بن الصباح عن إسحاق بن محمد البصري عن أمير بن علي، عن أبي

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠. (٢) الاختصاص، ص ٦٥.

(٣) - (٤) رجال الكشي، ص ٦٠ ح ١٦.

الحسن الرّضا عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين يقول: إنّ المحامدة تأبى أن يُعصى عزّ وجلّ . قلت: ومن المحامدة؟ قال: محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أمير المؤمنين ابن الحنفيّة رحمهم الله .

أمّا محمد بن أبي حذيفة فهو ابن عتبة بن ربيعة، وهو ابن خال معاوية[١] .

١٠٢٩ - **كش:** محمد بن مسعود عن علي بن الحسن بن عباس بن عامر عن أبان بن عثمان عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام : أنّ المهدي مولى عثمان أتى فبايع أمير المؤمنين عليّاً ومحمد ابن أبي بكر جالس، فقال: أبايعك على أنّ الأمر كان لك أوّلاً وأبرأ من فلان وفلان، فبايعه[٢] .

١٠٣٠ - **أقول:** وجدت في كتاب سليم بن قيس الهلالي أنّه قال أبان بن أبي عيّاش: أبو الطفيل عامر بن واثلة كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وكان من خيار أصحاب علي عليه السلام .

١٠٣١ - **نهج:** وقال عليه السلام لعبد الله بن العباس - وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه -: لك أن تشير عليّ وأرى فإذا عصيتك فأطعني[٣] .

بيان: قال ابن ميثم: روي أنّه أشار عليه عند انصرافه من مكة حاجّاً، وقد بايعه الناس فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ هذا أمر عظيم يخاف غوائل الناس فيه، فاكتب لطلحة بولاية البصرة وللزبير بولاية الكوفة، واكتب إلى معاوية وذكّره القرابة والصلة وأقرّه على ولاية الشام حتى يبايعك، فإن بايعك وجرى على سنّتك وطاعة الله فاتركه على حاله، وإن خالفك فادعه إلى المدينة وأبدله بغيره ولا تموج بحار الفتنة. فقال عليه السلام :

معاذ الله أن أُفسد ديني بدنيا غيري! ولك يا ابن عباس أن تشير، إلى آخر الكلام.

١٠٣٢ - **نهج:** وقال عليه السلام وقد تُوفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة مرجعه من صفين - وكان من أحبّ الناس إليه -: لو أحبّني جبل لتهافت.

قال السيد الرضيّ: ومعنى ذلك أنّ المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلاّ بالأتقياء الأبرار والمصطفين الأخيار[٤] . وهذا مثل قوله عليه السلام : «من أحبّنا أهل البيت فليستعدّ للفقر جلباباً». وقد تؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره[٥] .

بيان: التهافت: التساقط قطعة قطعة. والتأويل الآخر الذي ذكره السيد رحمه الله لعلّه هو ما ذكره ابن ميثم قال أبو عبيد: إنّه عليه السلام لم يرد الفقر في الدنيا وإنّما أراد الفقر يوم القيامة: أي فليعدّ لذلك ما يجده من الثواب والتقرّب إلى الله تعالى والزلفة لديه.

---

(١) رجال الكشي، ص ٦٦ ح ٢٠. (٢) رجال الكشي، ص ٩٦ ح ٤٣.
(٣) نهج البلاغة، ص ٣٢٣ قصار الحكم رقم ٣٢٣.
(٤) - (٥) نهج البلاغة، ص ٦٥٠ قصار الحكم رقم ١١٢ و١١٣.

١٠٣٣ - **نهج:** ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبابي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين قال: فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا يا دنيا إليك عني، أبي تعرّضت!؟ أم إليّ تشوّقت!؟ لا حان حينك هيهات غرّي غيري، لا حاجة لي فيك وقد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير.

آه من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد وخشونة المضجع[١]!

بيان: قد مرّ الخبر برواية أخرى.

و«هيهات»: أي بعد ما تطلبين منّي. وخطر الرجل: قدره ومنزلته. «وأملك حقير» أي ما يؤمّل منك وفيك.

١٠٣٤ - **نهج:** وقال عليه السلام في ذكر خبّاب بن الأرتّ:

يرحم الله خبّاباً، فلقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً[٢].

بيان: قال ابن أبي الحديد: خبّاب كان من فقراء المسلمين وخيارهم، وكان في الجاهلية، قيناً يعمل السيوف، وهو قديم الإسلام. قيل: إنّه كان سادس ستة. وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وهو معدود في المعذّبين في الله، سأله عمر في أيّام خلافته: ما لقيت من أهل مكّة؟ فقال: انظر إلى ظهري. فنظر فقال: ما رأيت كاليوم ظهر رجل! شهد مع عليّ عليه السلام صفّين ونهروان، وصلّى عليه السلام عليه. وكان سنّه يوم مات ثلاثاً وسبعين سنة، ودفن بظهر الكوفة وهو أوّل من دفن بظهر الكوفة[٣].

١٠٣٥ - **نهج:** وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه: خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل[٤].

بيان: قال ابن أبي الحديد: هم عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقّاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة، وأنس بن مالك، وجماعة غيرهم.

ثمّ قال: وقد ذكر شيخنا أبو الحسين في كتاب الغرر: أنّ أمير المؤمنين لمّا دعاهم إلى القتال معه واعتذروا أنّه قال لهم: أتنكرون هذه البيعة! قالوا: لا ولكنّا لا نقاتل. فقال عليه السلام: إذا بايعتم فقد قاتلتم.

١٠٣٦ - ١٠٦٨ - **نهج:** وقال عليه السلام: ما كلّ مفتون يعاتب[٥].

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٤١ قصار الحكم رقم ٧٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٣٧ قصار الحكم رقم ٤٣.

(٣) نهج البلاغة، ص ٦٣٦ قصار الحكم رقم ٤٤.

(٤) نهج البلاغة، ص ٦٢٩ قصار الحكم رقم ١٧.

(٥) نهج البلاغة، ص ٦٢٩ قصار الحكم رقم ١٤.

بيان: قال ابن أبي الحديد: قالها لسعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن عمر، لمّا امتنعا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل.

أقول: هذا غير ثابت، ثمّ إنّ الكلام يحتمل وجهين:

الأول: أنّه ليس كلّ مفتون مستحقاً للعتاب، إذ يمكن أن يكون سبب فتنته ما لم يكن باختياره.

والثاني: أن يكون المراد أن بعض المفتونين لا يعاتبون لعدم نفع الخطاب فيهم.

وأيضاً قال ابن أبي الحديد: في موضع آخر من الشرح: روى أبو يوسف قال: قال أبو حنيفة: الصحابة كلّهم عدول، ما عدا رجالاً، ثمّ عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك.

قال: وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: أكذب الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدوسي.

قال: وروي أنّه يوم وصل إلى مروان رأس الحسين عليه السلام بالمدينة، وهو يومئذ أميرها، صعد المنبر وخطب ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد يوم بيوم بدر!

قال: وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين، أنّ عدّةً من الصحابة والتابعين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام، كاتمين لمناقبه حباً للدنيا، منهم أنس بن مالك، ناشد عليّ عليه السلام في الرحبة: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها. وأنس بن مالك لم يقم، فقال له علي: يا أنس ما يمنعك أن تشهد فلقد حضرتها! فقال: يا أمير المؤمنين! كبرت سنّي ونسيت! فدعا عليه ببرص لا تغطّيه العمامة فابتلي أنس به. قال: وكان ممن أنكر ذلك اليوم زيد بن أرقم، فدعا عليه بالعمى فكفّ بصره.

قالوا: وكان الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي يبغضانه، وهدم علي دار جرير.

وروى أبو بكر الهُذَلي عن الزُهْري عن عبيد الله بن عدي الأكبر قال: قام الأشعث إلى علي عليه السلام فقال: إنّ الناس زعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليك عهداً لم يعهده إلى غيرك.

فقال علي عليه السلام: إنّه عهد إليّ ما في قراب سيفي، لم يعهد إلى غيري ذلك فقال الأشعث: هذه إن قلتها فهي عليك لا لك، دعها ترحل عنك.

فقال علي عليه السلام: وما علمك بما عليّ ممّا لي! منافق ابن كافر، حائك ابن حائك، إنّي لأجد منك بنّة الغزل[1].

وروى يحيى البرمكي عن الأعمش: أنّ جريراً والأشعث خرجا إلى الجبّان بالكوفة، فمرّ بهما ضبّ يعدو وهما في ذمّ عليّ عليه السلام، فنادياه يا أبا حسل! هلمّ يدك نبايعك بالخلافة. فبلغ علياً عليه السلام قولهما فقال: إنّهما يحشران يوم القيامة وإمامهما ضبّ

(١) بنّة الغزل: رائحته.

وكان أبو مسعود الأنصاري منحرفاً عنه.

وكان كعب الأحبار منحرفاً عنه، وكان عليّ عليه السلام يقول: إنّه الكذّاب.

وكان النّعمان بن بشير الأنصاري من المنحرفين عنه وكان من أُمراء يزيد.

وقد روي أنّ عمران بن الحصين كان من المنحرفين عنه وأنّ علياً عليه السلام سيّره إلى المدائن. ومن الناس من يجعل عمران في الشيعة.

وكان سمرة بن جندب من شرطة زياد بن سميّة أيّام كان زياد عاملاً لمعاوية.

وروى واصل مولى ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: كان لسمرة بن جندب نخل في بستان رجل من الأنصار فيؤذيه، فشكى الأنصاري ذلك إلى رسول الله ﷺ، فبعث إلى سمرة ودعاه فقال له: بع نخلك هذا وخذ ثمنه. قال: لا أفعل. قال: فخذ نخلاً مكان نخلك. قال: لا أفعله. قال: فاشتر منه بستانه. قال: لا أفعل قال: فاترك لي هذا النخل ولك الجنّة. قال: لا أفعل فقال ﷺ للأنصاري: اذهب فاقطع نخله، فإنّه لا حقّ له فيه. قال: وكان سمرة أيّام مسير الحسين عليه السلام إلى الكوفة على شرطة ابن زياد، وكان يحرّض الناس على الخروج إلى الحسين وقتاله.

ومن المبغضين له عبد الله بن الزبير، كان عليّ عليه السلام يقول: ما زال الزبير منّا أهل البيت، حتى نشأ ابنه عبد الله فأفسده. وكان يبغض بني هاشم، ويلعن ويسبّ علياً!

وروى إبراهيم صاحب كتاب الغارات عن أبي صادق عن جندب بن عبد الله قال: ذكر المغيرة بن شعبة عند عليّ عليه السلام وجدّه مع معاوية فقال: وما المغيرة!؟ إنّما كان إسلامه لفجرة وغدرة غدرها بنفر من قومه، فهرب فأتى النبيّ ﷺ كالعائذ بالإسلام، والله ما رأى عليه أحد - منذ ادّعى الإسلام - خضوعاً ولا خشوعاً! ألا وإنّه كائنة من ثقيف فراعنة قبل يوم القيامة، يجانبون الحقّ، ويوقدون نيران الحرب، ويوازرون الظالمين. ألا إنّ ثقيفاً قوم غدر لا يوفون بالعهد، يبغضون العرب، كأنّهم ليسوا منهم، وإنّ الصالح في ثقيف لغريب.

وقال شيخنا أبو القاسم البلخي: من المعلوم أنّ الوليد بن عقبة كان يبغض علياً ويشتمه، وأنّه الذي لاحاه في حياة رسول الله ﷺ ونابذه وقال له: أنا أثبت منك جناناً وأحدّ سناناً! فقال له عليّ عليه السلام: اسكت يا فاسق فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾(1) فكان لا يعرف في حياة رسول الله ﷺ إلاّ بالوليد الفاسق. وسمّاه الله في آية أُخرى فاسقاً وهو قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾(2) وكان يبغض رسول الله ﷺ، وأبوه عقبة بن أبي معيط، هو العدوّ الأزرق بمكة، وكان يؤذي رسول الله ﷺ.

وروى إبراهيم أنّ ممن فارق علياً عليه السلام، يزيد بن حُجيّة التيميّ، وكان عليه السلام استعمله على الرّيّ فكسر الخراج، واحتجبه لنفسه فحبسه علي عليه السلام وجعل معه سعداً مولاه، فقرّب

---

(1) سورة السجدة، الآية: ١٨. (2) سورة الحجرات، الآية: ٩.

يزيد ركائبه وسعد نائم، والتحق بمعاوية، وكتب إلى العراق شعراً يذمّ فيه علياً عليه السلام، ويخبره أنّه من أعدائه، فدعا عليه السلام عليه وقال لأصحابه: عقب الصّلاة ارفعوا أيديكم فادعوا عليه. فدعا عليه وأمّن أصحابه.

قال أبو الصّلت التّيميّ: وكان دعاؤه عليه: اللهمّ إنّ يزيد بن حُجيّة هرب بمال المسلمين، ولحق بالقوم الفاسقين، فاكفنا مكره وكيده واجزه جزاء الظالمين.

قال: ورفع القوم أيديهم يؤمّنون عليه وكان في المسجد عِفاق بن شرحبيل بن أبي رهم التميميّ - شيخاً كبيراً - وكان يعدّ ممّن شهد على حجر بن عديّ حتى قتله معاوية، فقال عفاق: على من يدعو القوم؟ قالوا: على يزيد بن حُجَيّة. فقال: ترتب أيديكم أعلى أشرافنا تدعون؟ فقاموا إليه فضربوه حتى كاد أن يهلك، وقام زياد بن خصفة - وكان من شيعة علي عليه السلام - فقال: دعوا لي ابن عمّي. فقال عليّ عليه السلام: دعوا للرجل ابن عمّه. فتركه الناس، فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد وجعل يمشي معه ويمسح التراب عن وجهه وعفاق يقول: والله لا أحبّكم ما سعيت ومشيت، والله لا أُحبّكم ما اختلفت الذرّة والحرّة. وزياد يقول له: ذلك أضرّ لك ذلك شرّ لك.

وممّن فارقه عبد الله بن عبد الرحمٰن بن مسعود الثقفي. ومنهم النجاشي الشاعر.

وسبب مفارقة النجاشي أنّه شرب الخمر بالكوفة في أوّل يوم من شهر رمضان، فأُتي به علياً عليه السلام، فأقامه في سراويل فضربه ثمانين ثمّ زاده عشرين، فقال: يا أمير المؤمنين: أمّا الحدّ فقد عرفته فما هذه العلاوة؟ قال: لجرأتك على الله وإفطارك في شهر رمضان، فغضب ولحق بمعاوية وهجا علياً.

وقال صاحب كتاب الغارات: إنّ علياً عليه السلام لما حدّ النجاشي غضب اليمانية، فدخل طارق بن عبد الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنّا نرى أهل المعصية والطاعة، وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء، حتى رأينا ما كان من صنيعك بأخي الحارث، فأوغرت صدورنا، وشتّتّ أمورنا، وحملتنا على الجادة التي كنّا نرى أنّ سبيل من ركبها النار. فقال عليّ عليه السلام: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[1] يا أخا نهد: وهل هو إلاّ رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله؟ فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2] فلمّا جنّه الليل همس هو والنجاشي إلى معاوية.

قال إبراهيم: ومن المفارقين لعليّ عليه السلام أخوه عقيل. قدم عقيل على أخيه أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة يسترفده، فعرض عليه عطاءه فقال عقيل: إنّما أريد من بيت المال.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

فلمّا صلّى عليّ عليه السلام الجمعة قال له: يا عقيل ما تقول في من خان هؤلاء أجمعين؟ قال: بئس الرجل قال: فإنّك أمرتني أن أخونهم وأعطيك.

فلمّا خرج عقيل من عنده شخص إلى معاوية، فأمر له معاوية يوم قدومه بمائة ألف درهم، وقال له: يا أبا يزيد أنا خير لك أم علي؟ قال عقيل: وجدت عليّاً أنظر لنفسه منك، ووجدتك أنظر لي منك لنفسك. وقال معاوية لعقيل: إنّ فيكم يا بني هاشم ليناً. قال: أجل إنّ فينا للّيناً من غير ضعف، وعزّاً من غير عنف، وإنّ لينكم يا معاوية غدر، وسلمكم كفر. فقال معاوية: ولا كلّ هذا يا أبا يزيد. فقال عقيل:

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع وما علّم الإنسان إلاّ ليعلما
إنّ السفاهة طيش من خلائقكم لا قدّس الله أخلاق الملاعينا

فأراد معاوية أن يقطع كلامه فقال: ما معنى طه؟ قال: نحن أهله وعلينا نزل، لا على أبيك ولا على أهل بيتك. «طه» بالعبرانية: يا رجل.

وقال له الوليد: غلبك أخوك على الثروة؟ قال: نعم، وسبقني وإيّاك إلى الجنّة.

وقال معاوية يوماً وعنده عمرو بن العاص - وقد أقبل عقيل: - لأُضحكنّك من عقيل. فلمّا سلّم عقيل قال معاوية: مرحباً برجل عمّه أبو لهب. قال عقيل: وأهلاً بمن عمّته حمّالة الحطب في جيدها حبل من مسد. لأنّ امرأة أبي لهب أمّ جميل بنت حرب. فقال معاوية: يا أبا يزيد ما ظنّك بعمّك أبي لهب؟ قال عقيل: إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجده مفترشاً عمّتك حمّالة الحطب. أفناكح في النار خير أم منكوح؟ قال: كلاهما شرّ سواء والله.

وممن فارقه حنظلة الكاتب، ووائل بن حجر الحضرمي.

وروي أنّ ثلاثةً من أهل البصرة كانوا يتواصلون على بغض عليّ عليه السلام، وهم مطرف بن عبد الله، والعلاء بن زياد وعبدالله بن شقيق.

وروى صاحب كتاب الغارات بإسناده عن أبي فاختة قال: كنت عند عليّ فأتاه رجل عليه زيّ السفر، فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أتيتك من بلد ما رأيت لك بها محباً. قال: من أين أتيت؟ قال: من البصرة. قال: أما إنّهم لو استطاعوا أن يحبّوني لأحبّوني، وإنّي وشيعتي في ميثاق الله لا يزاد فينا رجل ولا ينقص إلى يوم القيامة.

وروى أبو غسّان البصري قال: بنى عبد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي بن أبي طالب عليه السلام والوقيعة فيه، مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد كان في العلاّفين على وجه البصرة، ومسجد في الأزد.

وممّن قال فيه أنّه يبغض علياً ويذمّه: الحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعيد روى عنه حمّاد بن سلمة أنّه قال: لو كان عليّ يأكل الحشف بالمدينة، لكان خيراً مما دخل فيه.

وروي أنّه كان من المخذلين عن نصرته.

ورووا عنه أنّ علياً عليه السلام رآه وهو يتوضأ للصلاة، وكان ذا وسوسة، فصبّ على أعضائه ماءً كثيراً، فقال له: أرقت ماءً كثيراً يا حسن. فقال له: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر. قال: أو ساءك ذلك؟ قال: نعم. قال: فلا زلت مسوءاً قال: فما زال عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: فأمّا أصحابنا فإنّهم يدفعون ذلك عنه ويقولون: إنّه كان من محبّيه عليه السلام والمعظّمين له.

وروى له أبان بن عيّاش قال: سألت الحسن البصري عن عليّ عليه السلام، فقال: ما أقول فيه، كانت له السابقة والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأي والصحبة والبلاء والنجدة والزهد والقضاء والقرابة، إنّ علياً كان في أمره علياً فرحم الله علياً وصلّى عليه. فقلت: يا أبا سعيد أتقول صلّى الله عليه لغير النبي صلّى الله عليه فقال: ترحّم على المسلمين إذا ذكروا، وصلّ على النبيّ وآله، وعلي خير آله. فقال: أهو خير من حمزة وجعفر؟ قال: نعم. قلت: هو خير من فاطمة وأبنيها؟ قال: نعم والله، إنّه خير من آل محمد كلّهم، ومن يشكّ أنّه خير منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله «وأبوهما خير منهما» ولم يجر عليه اسم شرك ولا شرب خمراً؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: «زوّجتك خير أمّتي». فلو كان في أمّته خير منه لاستثناه. ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه وآخى بين علي ونفسه فرسول الله خير الناس نفساً وخيرهم أخاً.

فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذي يقال عنك أنّك قلته في علي؟ فقال: يا ابن أخي احقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولولا ذلك لسال بي الخشب.

وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافي- ووجدته أيضاً في كتاب الغارات -: وقد كان بالكوفة من فقهائها من يعادي علياً ويبغضه مع غلبة التشيّع على الكوفة.

فمنهم: مرّة الهمداني. فروي أنّه قيل لمرّة: كيف تخلفت عن علي؟ فقال: سبقنا بحسناته وأثقلنا بسيّئاته.

ومنهم: الأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع. وروي أنّ مسروقاً رجع عن ذلك.

ومنهم: شريح القاضي وقد روي أنّه طرد من الكوفة وبعثه عليه السلام إلى «بانقيا» شهرين يقضي بين اليهود. ومنهم: أبو وائل شقيق بن سلمة كان عثمانياً يقع في عليّ عليه السلام. ويقال: إنّه كان يرى رأي الخوارج.

ومن المبغضين لعليّ عليه السلام: أبو بردة بن أبي موسى الأشعري فإنّه ورث البغض عن كلالة. ومن المنحرفين عنه عليه السلام: أبو عبد الرحمٰن السّلمي.

ومنهم: قيس بن أبي حازم، وسعيد بن المسيّب، والزهري، وعروة بن الزبير.

وكان زيد بن ثابت عثمانياً يحرّض الناس على سبّه عليه السلام.

وكان المكحول من المبغضين له عليه السلام، وكذا حمّاد بن زيد.

أقول: قد بسط الثقفي الكلام في كتاب الغارات في عدّ هؤلاء الأشقياء وبيان أحوالهم، وروى عن عطاء بن السائب قال: قال رجل لأبي عبد الرحمٰن السّلمي: أنشدك بالله إلاّ أن تخبرني بما أسألك عنه، فسكت فلمّا أكد عليه قال: نعم قال: بالله عليك هل أبغضت علياً إلاّ يوم قسم المال في أهل الكوفة فلم يصلك ولا أهل بيتك منه بشيء؟ قال: أمّا إذا نشدتني بالله فكان ذلك.

وقال: بعث أسامة بن زيد إلى عليّ عليه السلام: أن ابعث إليّ بعطائي فوالله إنّك لتعلم أنّك لو كنت في فم أسد لدخلت معك. فكتب إليه علي عليه السلام: إنّ هذا المال لمن جاهد عليه، ولكن هذا مالي بالمدينة فأصب منه ما شئت. ثمّ ذكر رواية تدلّ على أنّ عروة بن الزبير والزهري كانا ينالان من علي عليه السلام فنهاهما عنه علي بن الحسين.

وعن أبي داود الهمداني قال: شهدت سعيد بن المسيّب وأقبل عمر بن عليّ بن أبي طالب فقال له سعيد: يا ابن أخي، ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله ﷺ كما يفعل إخوتك وبنو عمّك؟ فقال عمر: يا ابن المسيّب أكلّما دخلت المسجد فأجيء فأشهدك. فقال سعيد: ما أُحبّ أن تغضب، سمعت والدك علياً يقول: والله إنّ لي من الله مقاماً هو خير لبني عبد المطلب مما على الأرض من شيء. قال عمر: سمعت والدي يقول: ما كلمة حكمة في قلب منافق يخرج من الدنيا حتى يتكلّم بها. فقال سعيد: يا ابن أخي جعلتني منافقاً! فقال عمر: ذلك ما أقول لك. قال: ثم انصرف.

ثم قال ابن أبي الحديد: وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافي: كان أهل البصرة كلّهم يبغضونه قاطبةً، وكانت قريش كلّها على خلافه، وكان جمهور الخلق مع بني أميّة.

وروى عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة قال: سمعت علياً عليه السلام وهو يقول: ما لقي أحد من الناس ما لقيت! ثم بكى عليّ عليه السلام.

وروى أبو عمرو النهدي قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا!.

قال: وروى ابن هلال الثّقفي في كتاب الغارات عن زكريّا بن يحيى العطّار عن فضيل عن محمد بن عليّ قال: لما قال علي عليه السلام:

«سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة وتهدي مائةً، إلاّ أنبأتكم بناعقها وسائقها». فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر!

فقال عليّ عليه السلام: والله لقد حدّثني خليلي، أنّ على كلّ طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وأنّ على كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وأنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ﷺ! وكان ابنه قاتل الحسين - عليه السلام- يومئذ طفلاً يحبو وهو سنان بن أنس النخعي.

وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الثمالي عن أبي إسحاق السبيعي عن سويد بن غفلة، أنّ علياً عليه السلام خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره فقال: يا أمير المؤمنين إنّي مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات فاستغفر له. فقال عليه السلام: والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمّاد.

فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمّاد، وإنّي لك شيعة ومحبّ. فقال علي عليه السلام: أنت حبيب بن حمّاد؟ قال: نعم. قال له ثانيةً الله! إنّك لحبيب بن حمّاد؟ فقال: إي والله. قال: أما والله إنّك لحاملها ولتحملنّها، ولتدخلنّ بها من هذا الباب. وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت: فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد وقد بعث عمر بن سعد إلى حرب الحسين عليه السلام، وجعل خالد بن عرفطة (من رجال صحاح أهل السنة) على مقدّمته، وحبيب ابن حمّاد صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل.

وروى محمد بن جبلة الخيّاط عن عكرمة عن يزيد الأحمسي، أنّ علياً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة وبين يديه قوم، منهم عمرو بن حريث، إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تعرف، فوقفت فقالت لعليّ عليه السلام: يا من قتل الرجال وسفك الدماء وأيتم الصبيان وأرمل النساء! فقال علي عليه السلام: وإنّها لهي هذه السلقلقة الجلعة المجعة، وإنّها لهي هذه شبيهة الرجال والنساء، التي ما رأت دماً قط.

فولّت المرأة هاربة منكّسة رأسها، فاتّبعها عمرو بن حريث، فلما صارت بالرحبة قال لها: والله لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فادخلي منزلي حتى أهب لك وأكسوك. فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها، فبكت وسألته أن لا يكشفها وقالت: أنا والله كما قال، لي ركب الرجال، وأنثيان كأنثيي الرجال، وما رأيت دماً قط، فتركها وأخرجها.

ثم جاء عمرو إلى علي عليه السلام فأخبره فقال: إنّ خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله، أخبرني بالمتمردين عليّ من الرجال، والمتمرّدات من النساء إلى أن تقوم الساعة.

قال ابن أبي الحديد: السلقلقة: السّليطة[1]، وهو الذّئب. والسلقة: الذئبة. والجلعة المجعة: البذيّة اللسان. والركب: منبت العانة.

وروى عثمان بن سعيد عن يحيى التّيمي عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء قال: قام أعشى باهلة وهو غلام يومئذ حدث إلى علي عليه السلام، وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال: يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة! فقال عليّ عليه السلام: إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام فرماك الله بغلام ثقيف، ثمّ سكت. فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين!

(١) في المصدر هنا زيادة، وأصله من السّلق. . .

قال: غلام يملك بلدتكم هذه، لا يترك لله حرمةً إلاّ انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه. فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين! قال: عشرين إن بلغها قالوا: فيقتل قتلاً أو يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداءا لبطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاء: فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة وقد أُحضر في جملة الأسرى الذي أُسروا من جيش عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجّاج، فقرّعه ووبّخه واستنشد شعره الذي يحرّض فيه عبد الرحمٰن على الحرب، ثم ضرب عنقه في هذا المجلس.

وروى محمد بن علي الصوّاف عن الحسين بن سفيان عن أبيه عن شهير بن سدير الأزدي قال: قال عليّ لعمرو بن الحمق الخزاعي: أين نزلت يا عمرو؟ قال: في قومي. قال: لا تنزلنّ فيهم. قال: أفأنزل في بني كنانة جيراننا؟ قال: لا. قال: أفأنزل في ثقيف؟ قال: فما تصنع بالمعرّة والمجرّة. قال: وما هما؟ قال: عنقان من نار يخرجان من ظهر الكوفة، أحدهما على تميم وبكر بن وائل، فقلّما يفلت منه أحد، ويأتي العنق الآخر فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة، فقلّ من يصيب منهم. إنّما هو يدخل الدار فيحرق البيت والبيتين. قال: فأين أنزل؟ قال: في بني عمرو بن عامر من الأزد.

قال: فقال قوم حضروا هذا الكلام: ما نراه إلاّ كاهناً يتحدّث بحديث الكهنة.

فقال: يا عمرو إنّك لمقتول بعدي وإنّ رأسك لمنقول، وهو أوّل رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك، أما إنّك لا تنزل بقوم إلاّ أسلموك بُرمّتك، إلاّ هذا الحيّ من بني عمرو بن عامر من الأزد، فإنّهم لن يسلموك ولن يخذلوك.

قال: فوالله ما مضت الأيّام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في أحياء العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام. وهو أوّل رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد!

وروى إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبّة العُرني قال: كان جويرية بن مسهر العبدي صالحاً، وكان لعليّ صديقاً، وكان عليّ عليه السلام يحبّه، ونظر يوماً إليه وهو يسير، فناداه يا جُوَيرية! الحق بي فإنّي إذا رأيتك هويتك.

قال إسماعيل بن أبان: فحدّثني الصباح عن مسلم عن حبّة العرني قال: سرنا مع عليّ عليه السلام يوماً، فالتفت فإذا جويرية خلفه بعيداً، فناداه يا جويرية! إلحق بي - لا أباً لك - ألا تعلم أنّي أهواك وأُحبّك؟ قال: فركض جويرية نحوه فقال له: إنّي محدّثك بأمور فاحفظها. قال حبة: ثمّ اشتركا في الحديث سرّاً، فقال له جويرية: يا أمير المؤمنين أنا رجل نسيّ. فقال: أنا أُعيد عليك الحديث لتحفظه، ثمّ قال في آخر ما حدثه إيّاه: يا جويرية! أحبب حبيبنا ما أحبّنا فإذا أبغضنا فأبغضه، وأبغض بغيضنا ما أبغضنا فإذا أحبّنا فأحبّه.

قال: فكان ناس ممن يشكّ في أمر علي عليه السلام يقولون: أتراه جعل جويرية وصيّه كما يدّعي هو من وصية رسول الله ﷺ؟

قال حبّة: يقولون ذلك لشدّة اختصاصه به حتى دخل على عليّ عليه السلام يوماً، وهو مضطجع وعنده قوم من أصحابه، فناجاه جويرية: أيّها النائم استيقظ فلتضربنّ على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك، قال فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قال: وأحدّثك يا جويرية بأمرك، أما والذي نفسي بيده، لتعتلنّ إلى العتل الزنيم فليقطعنّ يدك ورجلك، وبصلبنّك تحت جذع كافر. قال: فوالله ما مضت إلا أيّام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن مكعبر - وكان جذعاً طويلاً - فصلبه على جذع قصير إلى جانبه.

وروى إبراهيم في كتاب الغارات عن أحمد بن الحسن الهيثمي قال: كان ميثم التّمار مولى علي عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه عليّ عليه السلام وأعتقه فقال له: ما اسمك؟ قال: سالم. فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أنّ اسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم. قال: صدق الله ورسوله وصدقت، هو اسمي قال: فارجع إلى اسمك ودع سالماً فنحن نكنّيك به. فكنّاه أبا سالم.

قال: وقد كان أطلعه عليّ عليه السلام على علم كثير وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدّث ببعض ذلك فيشكّ فيه قوم من أهل الكوفة، وينسبون علياً عليه السلام إلى المخرقة والإيهام والتدليس، حتى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه وفيهم الشّاكّ والمخلص: ياميثم إنّك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دماً حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث، طعنت بحربة فيقضى عليك، فانتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على دار عمرو بن حريث، إنّك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة - يعني الأرض- ولأرينّك النخلة التي تصلب على جذعها، ثمّ أراها إيّاه بعد ذلك بيومين، فكان ميثم يأتيها فيصلي عندها فيقول: بوركت من نخلة، لك خلقت، ولي نبتّ، فلم يزل يعاهدها بعد قتل عليّ عليه السلام حتى قطعت، فكان يرصد جذعها ويتعاهده ويتردّد إليه ويبصره.

وكان يلقى عمرو بن حريث فيقول: إنّي مجاورك فأحسن جواري، فلا يعلم عمرو ما يريد. فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم.

أقول: ثمّ ذكر قصة شهادته نحواً مما سنذكره في باب أحواله رحمه الله.

ثمّ قال: قال إبراهيم: وحدّثني إبراهيم بن العباس عن مبارك البجلي عن أبي بكر بن عيّاش، عن مجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد وقد أُتي برشيد الهجري، وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام، فقال له زياد: ما قال لك خليلك أنّا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني. فقال زياد: أما والله لأكذبنّ حديثه، خلّوا سبيله فلمّا أراد أن يخرج قال: ردّوه، لا نجد لك شيئاً أصلح مما قال صاحبك، إنّك لن تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلّم، فقال: اصلبوه

خنقاً في عنقه. فقال رشيد: وقد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه، فقال زياد اقطعوا لسانه. فلمّا أخرجوا لسانه ليقطع قال: نفّسوا عنّي حتى أتكلّم كلمة واحدة، فنفسّوا عنه فقال: والله هذا تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام، أخبرني بقطع لساني. فقطعوا لسانه وصلبوه.

وروى أبو داود الطيالسي عن سليمان بن زريق عن عبد العزيز بن صهيب قال: حدّثني أبو العالية قال حدّثني مزرع صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام، أنّه قال: ليقبلنّ جيش حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم.

قال أبو العالية: قلت: فإنّك لتحدّثني بالغيب فقال مزرع: احفظ ما أقول لك فإنّما حدثني به الثقة علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وحدّثني أيضاً شيئاً آخر، قال: لتؤخذنّ فلتقتلنّ ولتصلبنّ بين شرفتين من شرف المسجد. قال أبو العالية: فقلت له: إنّك لتحدّثني بالغيب! فقال: احفظ ما أقول لك.

قال أبو العالية: فوالله ما أتت علينا جمعة حتى أُخذ مزرع، فقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد.

وروى محمد بن موسى العنزي قال: كان مالك بن ضمرة الرواسيّ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وممن استبطن من جهته علماً كثيراً، وكان أيضاً قد صحب أبا ذرّ فأخذ من علمه، وكان يقول في أيّام بني أميّة: اللهمّ لا تجعلني شرّ الثلاثة. فيقال له: وما الثلاثة؟ فيقول: رجل يرمى به من فوق طمار، ورجل تقطع يداه ورجلاه ويصلب، ورجل يموت على فراشه.

فكان من الناس من يهزأ به ويقول: هو من أكاذيب أبي تراب. وقال: فكان الذي رمي به من طمار هانئ بن عروة، والذي قطع وصلب رُشَيد الهجري، ومات مالك على فراشه.

وقال ابن أبي الحديد: وروى قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي عن ربيعة بن مالك السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إنّ الناس ليتحدّثون عن عليّ بن أبي طالب ومناقبه فيقول لهم أهل البصرة: إنكم لتفرطون في تقريظ هذا الرجل. فهل أنت محدّثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال حذيفة: يا ربيعة وما الذي تسألني عن عليّ عليه السلام؟ وما الذي أُحدّثك به عنه؟ والذي نفس حذيفة بيده، لو وضع جميع أعمال أُمّة محمد ﷺ في كفّة الميزان منذ بعث الله تعالى محمّداً ﷺ إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال عليّ في الكفّة الأخرى لرجح على أعمالهم كلّها.

فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إنّي لأظنّه إسرافاً يا أبا عبد الله. فقال حذيفة: يا لُكع - وكان لا يحمل -: وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو أصحابه، فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه عليّ عليه السلام فقتله؟ والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمّة محمّد ﷺ إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم الساعة.

توضيح: قوله: «إنّي لأجد منك»: لعلّه استفهام إنكاري: أي إنّي لا أحتاج إلى فضول علمك وثمرات رأيك، شبّهها بما ينبذ من فضول الغزل عند الحياكة لمناسبة كون الملعون حائكاً.

وقال الجوهري: الهمس: الصوت الخفيّ. وهمس الأقدام: أخفى ما يكون من صوت القدم. وقال: الرمّة: قطعه من الحبل بالية ومنه قولهم: «دفع إلي الشيء برمّته». وأصله أنّ رجلاً دفع إلى رجل بعيراً بحبل في عنقه، فقيل ذلك لكلّ من دفع شيئاً بجملته. وقال: عتلت الرجل أعتِله وأعتُله إذا جذبته جذباً عنيفاً، والعُتُلّ: الجافي الغليظ. وقال: الزنيم: المستلحق في قوم ليس منهم ولا يحتاج إليه وقيل: هو اللئيم الذي يعرف بلؤمه.

قوله «تحت جذع كافر»: بالإضافة ويحتمل التوصيف، قال الفيروزآبادي في القاموس: الكافر من الأرض: ما بعد عن الناس. والكفر: الخشبة الغليظة القصيرة. والأوّل أظهر.

وقال الجوهري في الصحاح: الطمار: المكان المرتفع. وقال: التقريظ: مدح الإنسان وهو حيّ. وقيل مدحه بباطل أو حقّ.

١٠٦٩ - **نهج:** وقال عليه السلام لعمّار بن ياسر - وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً -: دعه يا عمّار فإنّه لم يأخذ من الدين إلاّ ما قاربته الدنيا وعلى عمدٍ لبّس على نفسه، ليجعل الشّبهات عاذراً لسقطاته[1].

بيان: السقطة: العثرة والزلّة.

١٠٧٠ - **نهج:** وقال عليه السلام للأشعث بن قيس معزّياً: إن صبرت صبر الأكارم، وإلاّ سلوت سُلُوّ البهائم[2].

بيان: سلاه وسلا عنه سَلْواً وسُلُوّاً: نسيه فتسلى، والمعنى إن صبرت عند المصيبة ورضيت بقضاء الله، كنت من الأكارم والأفاضل وفزت بالثواب، وإن لم تصبر فلا محالة تنسى المصيبة وتترك الجزع بعد زمان كالبهائم، فإنّها تنسى ما يصيبها بعد ذهاب أملها ولا ثواب لها.

١٠٧١ - **كا:** أبو عليّ الأشعري عن محمّد بن عبد الجبّار، ومحمّد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن صفوان بن يحيى عن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: إنّ الرجل كان في القبيلة من شيعة عليّ عليه السلام، فيكون زينها آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق وأصدقهم، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان! إنّه لآدانا للأمانة وأصدقنا للحديث[3].

(١) نهج البلاغة، ص ٧١٧ قصار الحكم رقم ٣٩٩.
(٢) نهج البلاغة، ص ٧١٨ قصار الحكم رقم ٤٠٨.
(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٥٠ كتاب العشرة ذيل ح ٥.

١٠٧٢ - **نهج:** وقال عليه السلام : يهلك فيّ رجلان: محبّ غال ومبغض قال[١].

بيان: قلاه: أي كرهه وأبغضه وهو يشمل المخالفين أيضاً لأنّ تقديم غيره عليه بغض له.

١٠٧٣ - ١٠٧٤ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم الثقفي عن يوسف بن كليب المسعودي عن معاوية بن هشام عن الصباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن أصحابه عن عليّ عليه السلام أنّه قال: ادعوا لي غنياً وباهلة - وحياً آخر قد سمّاهم - فليأخذوا عطاياهم، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما لهم في الإسلام نصيب، وإنّي لشاهد لهم في منزلي عند الحوض وعند المقام المحمود أنّهم أعدائي في الدنيا والآخرة. ولئن ثبتت قدماي لأردّنّ قبائل إلى قبائل وقبائل إلى قبائل، ولأبهرجنّ ستّين قبيلةً ما لهم في الإسلام نصيب[٢].

وعن يوسف بن كليب عن يحيى بن سالم عن عمرو بن عمير عن أبيه عنه عليه السلام مثله[٣].

١٠٧٥ - **نهج:** وفي حديثه عليه السلام : هذا الخطيب الشّحشح.

قال السّيد الرضيّ رحمه الله : يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها، وكلّ ماض في كلام أو سير فهو شحشح، والشحشح في غير هذا لموضع: البخيل الممسك[٤].

بيان: قال ابن أبي الحديد: هذه الكلمة قالها عليه السلام لصعصعة بن صوحان، وكفى له فخراً أن يثني له علي عليه السلام بالمهارة وفصاحة اللسان، وكان صعصعة من أفصح الناس، ذكر ذلك شيخنا أبو عثمان.

١٠٧٦ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام ، كلّم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته، وذلك أنّه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً فقال عليه السلام : إنّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنّما هو فيء المسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلاّ فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم[٥].

بيان: جَلَب أسيافهم - بالتحريك -: ما اجتلبته أسيافهم وساقته إليهم.

١٠٧٧ - **نهج:** وهنّأ بحضرته عليه السلام رجل رجلاً بغلام ولد له فقال: ليهنئك الفارس. فقال عليه السلام : لا تقل ذاك ولكن قل: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشدّه، ورزقت برّه[٦].

بيان: «شكرت الواهب»: جملة دعائية: أي رزقك الله شكره. والأشدّ: القوّة وفسّر بما بين ثماني عشر إلى ثلاثين.

١٠٧٨ - **نهج:** وبنى رجل من عماله عليه السلام بناءاً فخماً فقال علي عليه السلام :

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٥٢ قصار الحكم رقم ١١٨.
(٢) - (٣) كتاب الغارات، ص ٢٠ ح ٥.
(٤) نهج البلاغة، ص ٦٨٢ قصار الحكم رقم ٢٦٣.
(٥) نهج البلاغة، ص ٤٧٧ خ ٢٢٩.
(٦) نهج البلاغة، ص ٧٠٥ قصار الحكم رقم ٣٥٣.

أطلعت الوَرِقُ رؤوسها. إنّ البناء ليصف لك الغنى؟[١]

بيان: قال الجوهري: رجل فخم: أي عظيم القدر. وقال: الوَرِق: الدراهم المضروبة.

١٠٧٩ - **نهج:** وقال عليه السلام: وقد عزّى الأشعث بن قيس عن ابن له:

يا أشعث! إن تحزن على ابنك فقد استحقّت ذلك منك الرحم، وإن تصبر ففي الله من كلّ مصيبة خلف. يا أشعث! إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك وأنت مأزور. يا أشعث! ابنك سرّك وهو بلاء وفتنة، وحزنك وهو ثواب ورحمة[٢].

بيان: «إن تحزن»: ظاهره جواز الحزن، ولا ينافي كونه مأزوراً على الجزع، فإنّ الحزن غير الجزع.

وقال الشيخ الرضي رحمه الله: قولهم: «في الله من كلّ ما فات خلف»: أي في ألطافه.

وقال الجوهري: الوزر: الإثم والثقل قال الأخفش: تقول: منه وزر يوزر، ووزر يزر، ووزر يؤزر، فهو موزور. وإنّما قال في الحديث «مأزورات» لمكان «مأجورات»، ولو أفرد لقال موزورات.

وقوله: «سرّك»: أي الولد. وكونه فتنة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾[٣].

١٠٨٠ - **يج:** روي أنّ علياً عليه السلام قال يوماً: لو وجدت رجلاً ثقة لبعثت معه بمال إلى المدائن إلى شيعتي. فقال رجل في نفسه: لآتينّه ولأقولنّ أنا أذهب بالمال فهو يثق بي، فإذا أخذته أخذت طريق الشام إلى معاوية، فجاء إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أنا أذهب بالمال، فرفع رأسه إليّ وقال: إليك عنّي تأخذ طريق الشام إلى معاوية[٤].

١٠٨٠ - **نهج:** وقيل: إنّ الحارث بن حوط أتاه عليه السلام فقال: أتراني أظنّ أنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة! فقال عليه السلام: يا حار إنّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، إنّك لم تعرف الحقّ فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه.

فقال الحارث: فإنّي أعتزل مع سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال عليه السلام: إنّ سعداً وعبد الله لم ينصرا الحقّ ولم يخذلا الباطل[٥].

بيان: قال الراوندي: الصحيح «ابن حوط» بالحاء المهملة المفتوحة ووجدت بخطّ الرضي بالمعجمة المضمومة. وقوله: «يا حار» في بعض النسخ بضمّ الراء وفي بعضها بكسرها.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٧٠٥ قصار الحكم رقم ٣٥٤.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٩٤ قصار الحكم رقم ٢٩٣.
(٣) سورة التغابن، الآية: ١٥.
(٤) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٩٥ ح ٣١.
(٥) نهج البلاغة، ص ٦٨٦ قصار الحكم رقم ٢٦٤.

قوله عليه السلام : «نظرت تحتك» : أي إلى الأمر الظاهر الذي يستولي عليه فكرك ونظرك وهو حظر قتال أهل القبلة، ولم تنظر إلى الأمر العالي الذي هو فوق نظرك من وجوب قتالهم لبغيهم على الإمام العادل.

وقيل: أي نظرت في أعمال الناكثين من أصحاب الجمل المتمسّكين بظاهر الإسلام الذين هم دونك في المرتبة لبغيهم، فاغتررت بشبهتهم ولم تنظر إلى من هو فوقك وهو إمامك الواجب الطاعة ومن تبعه من المهاجرين والأنصار.

وقيل: نظره تحته كناية عن نظره إلى باطل شبهتهم المكتسبة عن محبّة الدنيا التي هي الخيبة، ونظره فوقه كناية عن نظره إلى الحقّ وتلقّيه من الله. وسعد بن مالك هو ابن أبي وقّاص.

قوله عليه السلام : «ولم يخذلا الباطل»: أي ما سعيا في محق الباطل، وليس يعني بالخذلان عدم المساعدة. وقيل: هو من قولهم «خذلت الوحشية»: إذا قامت على ولدها : أي لم يقيما عليه ولم ينصراه.

١٠٨٢ - ١٠٨٣ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمد الثقفي بإسناده عن زاذان قال: انطلقت مع قنبر إلى عليّ عليه السلام فقال: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئة. قال: فما هو؟ قال: قم معي فقام فانطلق إلى بيته فإذا باسنة مملوءة جامات من ذهب وفضّة فقال: يا أمير المؤمنين إنّك لا تترك شيئاً إلاّ قسمته فادّخرت هذا لك. قال عليّ عليه السلام : لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً كثيرةً؟ فسلّ سيفه فضربها فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه أو ثلثه، ثمّ قال: اقسموه بالحصص. ففعلوا وجعل علي يقول:

هذا جناي وخياره فيه ... إذ كلّ جان يده إلى فيه

ثمّ قال: يا بيضاء ويا صفراء غرّي غيري!

قال: وفي البيت مساك وإبر فقال: اقسموا هذا فقالوا: لا حاجة لنا فيه: قال - وكان يأخذ من كلّ عامل مما يعمل - والذي نفسي بيده لتأخذنّ شرّه مع خيره.

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعليّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين! لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله ما عندي نفقة إلاّ أن أبيع بعض علوفي. قال له: لا والله ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمّك أن يسرق فيعطيك[١].

بيان: «فإذا باسنة»: كذا في نسخ كتاب الغارات. وقال الفيروزآبادي في القاموس: الباسنة: جوالق غليظ من مشاقة الكتان. انتهى.

ويحتمل أن يكون «فإذا بأشنّة» بالشين المعجمة جمع الشّنّ وهي القربة.

وفي رواية ابن أبي الحديد: «فإذا بغرارة»: وهي الجوالق. والمساك: جمع مسك -

---

(١) الغارات للثقفي، ص ٦٥ ح ٢٧ و٣٣.

بالتحريك - وهي الأسورة والخلاخل من القرون والعاج. وفي رواية ابن أبي الحديد: «وفي البيت مسك» وهو أظهر.

والعلوفة: الناقة أو الشاة تعلفها ولا ترسلها فترعى. وفي بعض النسخ: «علوقي» بالقاف: وهو ما يتعلق به الإنسان كناية عن الثياب، واسم لنوع من الناقة أيضاً. وفي رواية ابن أبي الحديد: «إلاّ أن أبيع دابتي».

١٠٨٤ - **يج:** روي أنّ الأشعث بن قيس استأذن على عليّ عليه السلام فردّه قنبر، فأدمى أنفه فخرج علي عليه السلام وقال: ما ذاك يا أشعث! أما والله لو بعبد ثقيف مررت لاقشعرّت شعيرات أستك! قال: ومن غلام ثقيف؟ قال: غلام يليهم لا يبقى بيت من العرب، إلاّ أدخلهم الذلّ. قال: كم يلي؟ قال: عشرين إن بلغها.

ثمّ قال الراوي: ولي الحجّاج سنة خمس وسبعين ومات سنة خمس وتسعين[١].

١٠٨٥ - **يج:** وروى جميع بن عمير قال:

اتّهم عليّ عليه السلام رجلاً يقال له العيزار برفع أخباره إلى معاوية، فأنكر ذلك وجحد فقال: لتحلف بالله أنّك ما فعلت! قال: نعم، وبدر يحلف. فقال له علي: إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك. قال: فما دارت الجمعة حتى أُخرج أعمى يقاد، قد أعمى الله بصره[٢].

١٠٨٦ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل عن محمد بن القاسم بن زكريا عن عبّاد بن يعقوب، عن مطر بن أرقم عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن صفوان بن قبيصة، عن الحارث بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال: قرأت على النبيّ صلى الله عليه وآله سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه، وزيد بن ثابت ذو ذؤابتين يلعب مع الغلمان، وقرأت سائر - أو قال: بقيّة - القرآن على خير هذه الأمّة، وأقضاهم بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب[٣].

١٠٨٧ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل عن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز عن شريح بن يونس، عن هيثم بن بشير عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن نافع، أنّ أبا موسى الأشعري عاد الحسن بن عليّ عليه السلام، فقال عليّ عليه السلام: أما إنّه لا يمنعنا ما في أنفسنا عليك أن نحدّثك بما سمعنا، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّه من عاد مريضاً شيّعه سبعون ألف مالك، كلّهم يستغفر له إن كان مصبحاً حتى يمسي، وإن كان ممسياً حتى يصبح، وكان له خريف في الجنّة[٤].

١٠٨٨ - ١٠٩٣ - **كتاب الغارات:** عن قدم الضبيّ قال:

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٩٩ ح ٣٨.
(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢٠٧ ح ٤٨.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٦٠٦ مجلس ٢٨ ح ١٢٥٣.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٦٣٥ مجلس ٣١ ح ١٣١٢.

بعث عليّ عليه السلام إلى لبيد بن عطارد التميمي ليُجاء به، فمرّ الذي أخذه إلى أمير المؤمنين بمجلس من مجالس بني أسد وفيه نعيم بن دجاجة، فقام نعيم فخلّص الرجل، فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: أخذنا الرجل فمررنا به على نعيم بن دجاجة فخلّصه - وكان نعيم من شرطة الخميس - فقال: عليَّ بنعيم. فأُتي به فأمر به أن يضرب ضرباً مبرّحاً، فلمّا ولّوا به إلى السجن قال: يا أمير المؤمنين! إن المقام معك لذلّ وإنّ فراقك كفر. قال: إنّه لكذاك؟ قال: نعم. قال: خلّوا سبيله.

وعن الفضل بن دكين عن الحسن بن حيّ عن ابن أبي ليلى قال: إنّ علياً عليه السلام رزق شريحاً القاضي خمس مائة.

وعن إسماعيل بن أبان عن عمرو بن شمر عن سالم الجعفي عن الشعبي قال: وجد علي عليه السلام درعاً له عند نصراني فجاء به إلى شريح يخاصمه إليه، فلما نظر إليه ذهب يتنحّى، فقال: مكانك. وجلس إلى جنبه، وقال: يا شريح أما لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلاّ معه، ولكنّه نصراني، وقال رسول الله ﷺ: إذا كنتم وإيّاهم في طريق فألجئوهم إلى مضائقه، وصغّروا بهم كما صغّر الله بهم في غير أن تظلموا. ثمّ قال عليّ عليه السلام: إنّ هذه درعي لم أبع ولم أهب. فقال النصراني: ما الدرع إلاّ درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت شريح إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل من بيّنة؟ قال: لا. فقضى بها شريح للنصراني.

فأخذها النصراني فمشى هُنَيئةً ثم أقبل، فقال: أمّا أنا فأشهد أنّ هذه أحكام النبيين، أمير المؤمنين يمشي إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله. الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين. قال: أمّا إذا أسلمت فهي لك وحمله على فرس. قال الشعبي: فأخبرني من رآه يقاتل مع علي عليه السلام الخوارج بالنهروان.

وعن أبي عمرو الكندي قال: كنّا ذات يوم عند عليّ فوافق الناس منه طيب نفس ومزاج، فقالوا: يا أمير المؤمنين حدّثنا عن أصحابك. قال: عن أيّ أصحابي تسألوني؟ قالوا: عن أصحاب محمد ﷺ. قال: كلّ أصحاب محمد ﷺ أصحابي، فعن أيّهم تسألوني؟ قالوا: عن الذين رأيناك تلطفهم بذكرك وبالصلاة عليهم دون القوم. قال: عن أيّهم؟ قالوا: حدّثنا عن عبد الله بن مسعود قال: قرأ القرآن وعلم السنّة وكفى بذلك: قالوا: فوالله ما درينا بقوله: «وكفى بذلك» كفى بقراءة القرآن وعلم السنّة؟ أم كفى بعبد الله؟ قال: فقلنا: حدّثنا عن، أبي ذرّ. قال: كان يكثر السؤال فيعطى ويمنع، وكان شحيحاً حريصاً على دينه، حريصاً على العلم الجزم، قد ملئ في وعاء له حتى امتلأ وعاؤه علماً عجز فيه. قال: فوالله ما درينا بقوله: «عجز فيه» أعجز عن كشفه ما كان عنده؟ أو عجز عن مسألته؟.

قلنا: حدّثنا عن حذيفة بن اليمان قال: علم أسماء المنافقين، وسأل عن المعضلات حين غفل غيره عنها، ولو سألوه لوجدوه بها عالماً.

قالوا: فحدّثنا عن سلمان الفارسي قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم!؟ وذلك امرؤٌ منّا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأوّل وأدرك العلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول وقرأ الكتاب الآخر بحر لا ينزف. قلنا: فحدّثنا عن عمّار بن ياسر قال: ذلك امرؤٌ خالط الله الإيمان بلحمه ودمه وشعره وبشره حيث زال الحقّ زال معه، ولا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً.

قلنا: فحدّثنا عن نفسك قال: مهلاً، نهانا الله عن التزكية. قال له رجل: فإنّ الله يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال: فإنّي أُحدّث بنعمة ربّي. كنت والله إذا سئلت أعطيت، وإذا سكتّ ابتدئت، وإنّ تحت الجوانح منّي علماً جمّاً فاسألوني. فقام إليه ابن الكوّاء، فسأله عن مسائل أوردناها في محالّها من هذا الكتاب.

وعن النعمان بن سعد قال: رأيت علياً عليه السلام على المنبر يقول: أين الثمودي؟ فطلع الأشعث فأخذ كفّاً من الحصا وضرب وجهه فأدماه، وانجفل وانجفل الناس معه ويقول: ترحاً لهذا الوجه ترحاً لهذا الوجه[1].

بيان: الترح: ضدّ الفرح. والهلاك والانقطاع.

وفي كتاب الغارات عن عبّاد بن عبد الله الأسدي، قال: كنت جالساً يوم الجمعة وعليّ عليه السلام يخطب على منبر من آجر، وابن صوحان جالس فجاء الأشعث فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على وجهك! فغضب علي عليه السلام فقال صعصعة: ليبين اليوم من أمر العرب ما كان يخفى فقال عليّ عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة، يقبل أحدهم يتقلّب على حشاياه، ويهجّر قوم لذكر الله، فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين.

والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لقد سمعت محمداً صلى الله عليه وآله يقول: ليضربنكم والله على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً. قال مغيرة: كان علي عليه السلام أميل إلى الموالي وألطف بهم، وكان عمر أشدّ تباعداً منهم.

بيان: قال الجزري في مادة «حمر» من كتاب النهاية: حديث عليّ عليه السلام: غلبتنا عليك هذه الحمراء». يعنون العجم والروم. والعرب تسمّي الموالي الحمراء.

وأيضاً قال الجزري في مادة «حشى» «وضيطرة»: وفي حديث عليّ: «من يعذرني من هؤلاء الضياطرة يتخلّف أحدهم يتقلّب على حشاياه» الضياطرة: هم الضخام الذين لا غناء عندهم. الواحد: ضيطار، والياء زائدة. والحشايا: الفرش واحدها حشيّة بالتشديد.

أقول: «يهجّر» على التفعيل: بمعنى السير في الهاجرة، قال ابن الأثير في النهاية: ومنه حديث زيد بن عروة «هل مهجّر كمن قال؟» أي هل من سار في الهاجرة كمن نام في القائلة؟

١٠٩٤ - **نهج:** وقال عليه السلام لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: ألق دواتك، وأطل جلفة

---

(١) الغارات للثقفي، ص ١١٩ ح ٧١-٧٥.

قلمك، وفرّج بين السطور، وقرمط بين الحروف، فإنّ ذلك أجدر بصباحة الخطّ[١].

بيان: قال الجوهري: لاقت الدواة تليق: أي لصقت. ولقتها أنا يتعدّى ولا يتعدّى فهي مليقة إذا أصلحت مدادها، وألقتها إلاقةً لغة فيه. وقال: الجلف القشر يقال: جلفت الطين عن رأس الدّن أجلفه بالضمّ. وجلفت الشيء قطعته واستأصلته.

وقال ابن أبي الحديد: الجلفة: هيئة فتحة القلم، وأصله: القشر.

١٠٩٥ - **نهج:** وقال أمير المؤمنين عليه السلام: يأتي على الناس زمان، لا يبقى فيهم من القرآن إلاّ رسمه، ومن الإسلام إلاّ اسمه، مساجدهم يومئذ عامرة من البناء، خراب من الهدى، سكانها وعمّارها شرّ أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، وإليهم تأوي الخطيئة، يردّون من شد عنها فيها، ويسوقون من تأخّر عنها إليها، يقول الله سبحانه: «فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة أترك الحكيم فيها حيران». وقد فعل، ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة[٢].

بيان: قوله عليه السلام: «إلاّ رسمه»: أي كتابته دون العمل به وتلاوته كما ينبغي. وقيل: رسم القرآن: تلاوته وهو أثره.

قوله عليه السلام: «وإليهم تأوي»: كناية عن شدّة ملازمتهم لها، أو عن رجوع آثامها إليهم، لكونهم سبب شيوعها في الناس والضمائر المؤنّثة إمّا راجعة إلى الفتنة أو الخطيئة.

وقيل: ينبغي أن يكون عليه السلام قد قال هذا الكلام في أيّام خلافته؛ لأنّها كانت أيّام السيف المسلّط على أهل الضلال من المسلمين، وكذلك ما بعثه الله عزّ وجلّ على بني أميّة وأتباعهم من سيوف بني هاشم، بعد انتقاله عليه السلام إلى الله، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قوله عليه السلام: «وقد فعل» على دنوّ وقوع الفعل، أو أنّه قضي في علم الله وقدّر حتماً.

أو يكون قوله عليه السلام: «يأتي على الناس زمان»: بمعنى أنّ مثل ذلك من الأمور الممكنة التي تجري على الخلق، وإن كان قد وقع.

ويمكن أن يكون إخباراً عن وقوع الأمور في آخر الزمان، ويحمل قوله: «وقد فعل» على أحد الوجهين، ويكون الحكم بدنوه مثل قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾.

١٠٩٦ - **نهج:** وقال عليه السلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق - في كلام دار بينهما -: ما فعلت إبلك الكثيرة؟ فقال: ذعذعتها الحقوق يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام: ذاك أحمد سبلها.

بيان: «ما فعلت إبلك؟» أي كيف تلفت؟ أو ما شأنها هل هي على حالها، أم طرأت عليها

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٩٨ قصار الحكم رقم ٣١٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ٧١٠ قصار الحكم رقم ٣٧٠.

الزيادة والنقيصة. و«ذعذعتها الحقوق»: أي فرّقتها المصارف الضرورية من الزكاة والجهاد ونوائب القبيلة وأمثالها. وقوله عليه السلام: «أحمد سبلها»: من المبنيّ للمفعول(1).

١٠٩٧ - ١١١٧ - **كتاب الغارات**: بإسناده عن عليّ بن النعمان قال: قال عليّ عليه السلام: لئن ملكت لأرمينّه بالحجارة. يعني المغيرة بن شعبة وكان ينتقص علياً عليه السلام.

وعن جندب بن عبد الله قال: ذُكر المغيرة بن شعبة عند عليّ عليه السلام فقال: وما المغيرة؟ إنّما كان سبب إسلامه لفجرة وغدرة لمطمئنّين إليها ركبها منهم فهرب، فأتى النبي صلى الله عليه وآله كالعائذ بالإسلام والله ما رأى أحد عليه منذ ادّعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً.

ألا وإنّه كان من ثقيف فراعنة يجانبون الحقّ ويسعرون نيران الحرب ويوازرون الظّالمين. ألا إنّ ثقيفاً قوم غدر لا يوفون بعهد، يبغضون العرب، كأنّهم ليسوا منهم ولربّ صالح قد كان فيهم منهم عروة بن مسعود وأبو عبيد بن مسعود. وأمّا الوليد بن عقبة فهو الذي سمّاه الله في كتابه فاسقاً، وهو أحد الصبية الذين بشّرهم النبيّ صلى الله عليه وآله بالنار وقد قال شعراً يردّ على النبيّ صلى الله عليه وآله قوله حيث قال في عليّ عليه السلام: «إن تولّوه تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم» فقال الوليد في ردّ هذا القول:

فإن يك قد ضلّ البعير بحمله فلم يك مهديّاً ولا كان هاديا

فهو من مبغضي عليّ عليه السلام وأعدائه وأعداء النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّ أباه قتله النبيّ صلى الله عليه وآله بيد عليّ صبراً يوم بدر بالصفراء.

وعن مغيرة الضبيّ قال: مرّ ناس بالحسن بن عليّ عليه السلام وهم يريدون عيادة الوليد بن عقبة، وهو في علّة شديدة، فأتاه الحسن عليه السلام معهم عائداً، فقال للحسن عليه السلام: «أتوب إلى الله مما كان بيني وبين جميع الناس، إلاّ ما كان بيني وبين أبيك!» يقول: أي لا أتوب منه.

قال إبراهيم: ولحق بمعاوية يزيد بن حُجيّة، ووائل بن حجر الحضرمي، ومصقلة بن هبيرة الشيباني، والقعقاع بن شور، وطارق بن عبد الله، والنجاشي الشاعر.

وكان أصحابه لمّا نزل بقلوبهم من الفتنة والبلاء والركون إلى الدنيا، يغدرون ويختانون مال الخراج ويهربون إلى معاوية.

وعن الأعمش قال: كان عليّ عليه السلام يولّيهم الولاية والأعمال فيأخذون ما يقدرون عليه من الأموال ويهربون إلى معاوية، منهم المنذر بن الجارود العبدي.

قال: كان علي عليه السلام ولّى المنذر بن الجارود فارساً فاختار مالاً من الخراج. قال: وكان المال أربع مائة ألف درهم، فحبسه عليّ عليه السلام فشفع فيه صعصعة بن صوحان إليه عليه السلام، وقام بأمره وخلّصه، وكان صعصعة من مناصحيه عليه السلام.

---

(1) نهج البلاغة، ص ٧٢٥ قصار الحكم رقم ٤٤٠.

قال الأسود بن قيس: جاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام عائداً صعصعة فدخل عليه فقال له: يا صعصعة لا تجعلنّ عيادتي إليك أُبّهة على قومك. فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن نعمة وشكراً. فقال له علي عليه السلام: إن كنت ما علمت لخفيف المؤونة عظيم المعونة. فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمت بكتاب الله لعليم، وإنّ الله في صدرك لعظيم، وإنّك بالمؤمنين لرؤوف رحيم. ومنهم يزيد بن حجيّة[1].

أقول: وذكر أحواله وأحوال جماعة من الفارّين الخاذلين، أوردنا سابقاً أحوالهم برواية ابن أبي الحديد عنه وعن غيره.

ثمّ قال صاحب الغارات ومنهم الهجنّع عبد الله بن عبد الرحمٰن بن مسعود الثقفي شهد مع علي عليه السلام صفّين، وكان أوّل أمره مع معاوية ثمّ صار إلى علي ثم رجع بعد إلى معاوية سمّاه علي عليه السلام الهجنّع. والهجنّع: الطويل.

ومنهم القعقاع بن شور، حدّثنا جرير بن عبد الحميد عن أبي إسحاق الشيباني قال: قال علي عليه السلام: تسألوني المال وقد استعملت القعقاع بن شور على كسكر، فأصدق امرأته بمائة ألف؟! وأيم الله لو كان كفواً لها ما أصدقها ذلك!

وعن ميسرة قال: قال عليّ عليه السلام: قاتلوا أهل الشام مع كلّ إمام بعدي.

وعن الواقدي قال: إنّ عمرو بن ثابت الذي روى عن أبي أيّوب حديث «ستة أيّام من شوّال» كان يركب بالشام في القرى، فإذا دخل قرية جمع أهلها ثمّ يقول: أيّها الناس إنّ عليّ ابن أبي طالب كان رجلاً منافقاً، أراد أن ينفّر برسول الله ﷺ ليلة العقبة فالعنوه. قال فيلعنه أهل تلك القرى ثم يسير إلى الأخرى. فيأمرهم بمثل ذلك.

وعن الحسن بن الحرّ قال: لقيت مكحولاً فإذا هو مملوء بغضاً لعلي عليه السلام، فلم أزل به حتى لان أو سكن.

وعن محمد بن عبد الله بن قارب قال: إنّي عند معاوية لجالس إذ جاء أبو موسى فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال معاوية: وعليك السلام. فلمّا تولّى قال: والله لا يلي على اثنين حتى يموت.

وكان أبو بكرة نُفَيع بن الحارث لمّا قدم علي عليه السلام البصرة لقي الحسن بن أبي الحسن، وهو متوجّه نحو علي عليه السلام فقال له: إلى أين؟ قال: إلى عليّ عليه السلام. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون بعدي فتنة النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم.

قال الحسن: فلزمت بيتي، فلمّا كان بعد لقيت جابر بن عبد الله وأبا سعيد فقالوا: أين كنت. فحدّثتهم بما قال أبو بكرة فقالوا: لعن الله أبا بكرة إنّما قال النبي ﷺ ذلك لأبي موسى: «تكون بعدي فتنة أنت فيها نائم خير منك قاعد، وأنت فيها قاعد خير منك ساع».

---

(١) الغارات للثقفي، ص ٥١٨ ح ١٨٩ وما يليه.

وقال: لمّا دخل معاوية الكوفة دخل أبو هريرة المسجد، فكان يحدّث ويقول: قال رسول الله ﷺ وقال أبو القاسم وقال خليلي.

فجاءه شابّ من الأنصار يتخطّى الناس حتى دنا منه، فقال: يا أبا هريرة حديث أسألك عنه فإن كنت سمعته من النبيّ ﷺ حدّثنيه أنشدك بالله أسمعت النبيّ ﷺ يقول لعليّ: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمّ وال من ولاه وعاد من عاداه». قال أبو هريرة: نعم والذي لا إله إلاّ هو لسمعته من النبيّ ﷺ يقول لعلي: «من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه». فقال له الفتى: لقد والله واليت عدوّه وعاديت وليّه! قال: فتناول بعض الناس الشابّ بالحصى، وخرج أبو هريرة فلم يعد إلى المسجد حتى خرج من الكوفة[1].

٣٥ - باب النوادر

١١١٨ - **كنز الفوائد للكراجكي:** قال: حدّثني الشريف أبو الحسن طاهر بن موسى الحسيني عن ميمون بن حمزة الحسيني قال: رأيت المعمّر المغربي، وقد أُتي به إلى الشريف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل سنة عشر وثلاثمائة وأُدخل إلى داره ومعه خمسة رجال أغلقت الدار وازدحم الناس، وحرصت في الوصول إلى الباب فما قدرت لكثرة الزحام فرأيت بعض غلمان الشريف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل وهما قنبر وفرّخ وعرّفتهما أنّي أشتهي أن أنظره فقالا لي: در إلى باب الحمام بحيث لا يدري بك. فصرت إليه ففتحا لي سرّاً ودخلت وأغلقت الباب، وحصلت في مسلخ الحمام فإذا قد فرش له ليدخل الحمام فجلست يسيراً فإذا به قد دخل، وهو رجل نحيف الجسم، ربع من الرجال، خفيف العارضين، آدم اللون، إلى القصر أقرب ما هو، أسود الشعر يقدّر الإنسان أنّ له نحواً من الأربعين سنة، وفي صُدغيه أثر كأنّه أثر ضربة، فلم أتمكّن من الجلوس والنفر معه وأراد خلع ثيابه قلت له: ما هذه الضربة؟ فقال: أردت أن أناول مولاي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام السوط يوم النهروان فقص الفرس رأسه فضربني باللجام - وكان حديداً فشجّني.

فقلت له: أدخلت هذه البلدة قديماً؟ فقال: نعم وكان موضع جامعكم السفلاني مبصلةً وفيه بئر. فقلت هؤلاء أصحابك؟ فقال: هم ولدي وولد ولدي. ثمّ دخل الحمام فجلست حتى خرج ولبس ثيابه، فرأيت عنفقته قد أبيضت، فقلت له: أكان بها صباغ؟ قال: لا ولكن إذا جعت ابيضت وإذا شبعت اسودّت! فقلت: قم وادخل الدار حتى تأكل. فدخل الباب[2].

١١١٩ - وروى الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنّه حجّ في تلك السنة وفيها حجّ نصر القشوري صاحب المقتدر قال: فدخلت مدينة الرسول ﷺ وأصبت فيها قافلة البصريين

---

(١) الغارات للثقفي، ص ٥١٨ ح ١٩٣ وما يليه. (٢) كنز الفوائد للكراجكي، ج ١ ص ٢٦٢.

وفيها أبو بكر محمد بن علي البادرائي، ومعه رجل من أهل المغرب يذكر أنّه رأى أصحاب رسول الله ﷺ، وازدحم عليه الناس وجعلوا يتمسّحون به وكادوا يقتلونه. قال: فأمر عمّي أبو القاسم طاهر بن يحيى فتيانه وغلمانه أن يفرّجوا عنه ففعلوا، ودخلوا به إلى دار ابن سهل اللطفي، وكان طاهر يسكنها، وأذن للناس فدخلوا، وكان معه خمسة رجال ذكر أنّهم أولاده وأولاد أولاده، فيهم شيخ له نيّف وثمانون سنة، فسألناه عنه؟ فقال: هذا ابني. وكان فيهم اثنان آخران لكلّ واحد مهما ستّون سنة أو خمسون سنة، وآخر له سبعون سنة فقال: هذا ابن ابني. وفيهم آخر له ستّة عشر سنة فقال: هذا ابن ابن ابني، ولم يكن له أصغر منه، وكان إذا رأيته قلت هذا ابن ثلاثين أو أربعين سنة، أسود الرأس واللحية، شابّ نحيف الجسم، آدم، ربع القامة وخفيف العارضين، هو إلى القصر أقرب، واسمه علي بن عثمان الخطاب.

فممّا سمعت من حديثه الذي حدّث الناس به أنّه قال: خرجت من بلدي أنا وأبي وعمّي نريد الوفود على رسول الله ﷺ، وكنّا مشاةً في قافلة، فانقطعنا عن الناس، واشتدّ بنا العطش وعدمنا الماء، وزاد بأبي وعمّي الضعف فأقعدتهما إلى جانب شجرة ومضيت ألتمس لهما ماءً فوجدت عيناً حسنة وفيها ماء صاف في غاية البرد والطيبة، فشربت حتى ارتويت، ثمّ نهضت لآتي بأبي وعمي إلى العين فوجدت أحدهما قد مات فتركته بحاله، وأخذت الآخر ومضيت في طلب العين، فاجتهدت إلى أن أراها فلم أرها ولا عرفت موضعها، وزاد العطش به حتى مات، فحرصت في أمره حتى واريته، وعدت إلى الآخر فواريته أيضاً. وسرت وحدي إلى أن انتهيت إلى الطريق ولحقت بالناس ودخلت المدينة، وكان دخولي إليها في اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ، فرأيت الناس منصرفين من دفنه فكانت أعظم الحسرات دخلت بقلبي، ووافى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فحدّثته حديثي فأخذني وأقمت معه مدّة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وفي أيّام خلافته حتى قتله عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة.

قال: ولمّا حوصر عثمان بن عفّان في داره، دعاني ودفع إليّ كتاباً ونجيباً وأمرني بالخروج إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان عليّ عليه السلام غائباً بـ «ينبع» في ضياعه وأمواله، فأخذت الكتاب وركبت النجيب وسرت حتى إذا كنت بموضع يقال له: جنان أبي عباية، سمعت قرآناً فإذا أمير المؤمنين عليه السلام يقرأ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1] قال: فلمّا نظر إليّ قال: يا أبا الدنيا ما وراءك؟ قلت: هذا كتاب عثمان فقرأه فإذا فيه:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلاّ فأدركني ولـمّا أمزّق[2]

فلمّا قرأه قال: سر سر. فدخلنا المدينة ساعة قتل عثمان، فمال أمير المؤمنين عليه السلام إلى

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.
(٢) في المصدر: فكن أنت آكلي.

حديقة بني النّجار، وعلم الناس بمكانة فجاءوا إليه ركضاً وقد كانوا عازمين على أن يبايعوا طلحة، فلمّا نظروا إليه ارفضوا عن طلحة ارفضاض الغنم يشدّ عليها السبع. فبايعه طلحة والزبير فتابع المهاجرون والأنصار يبايعونه، فأقمت معه أخدمه.

وحضرت معه صفّين- أو قال: النهروان - فكنت عن يمينه إذ سقط السّوط من يده، فانكببت لآخذه وأرفعه إليه، وكان لجام دابّته حديداً مدمجاً فشجّني هذه الشجّة فدعاني أمير المؤمنين عليه السلام فتفل فيها وأخذ حفنةً من تراب فتركها عليها، فوالله ما وجدت ألماً ولا وجعاً، ثمّ أقمت معه حتى قتل عليه السلام.

وصحبت الحسن بن عليّ عليه السلام حتى ضرب بالساباط وحمل إلى المدائن، ولم أزل معه بالمدينة حتى مات مسموماً، سمّته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي «لعنهما الله».

ثمّ خرجت مع الحسين عليه السلام بكربلاء، وقتل عليه السلام فهربت بديني، وأنا مقيم بالمغرب أنتظر خروج المهدي، وظهور عيسى بن مريم عليه السلام.

قال الشريف أبو محمد حسن بن محمد الحسيني: ومما رأيت من هذا الشيخ علي بن عثمان، وهو إذ ذاك في دار عمّي طاهر بن يحيى ويحدّث أحاديثه، وبدء خروجه إذ نظرت إلى عنفقته فرأيتها قد احمرت ثمّ ابيضت، فجعلت أنظر إلى ذلك لأنّه لم يكن في لحيته ولا رأسه ولا عنفقته بياض، فنظر إليّ وأنا أنظر إليه فقال: ما ترون؟ إنّ هذا يصيبني إذا جعت فإذا شبعت رجعت إلى سوادها، فدعا عمّي بطعام فأخرج من داره ثلاث موائد فوضعت بين يديه، وكنت أنا ممن جلس معه عليها وجلس عمي معه، فكان يأكل ويلقمه فأكل أكل شاب وعمّي يحلف عليه، وأنا أنظر إلى عنفقته تسودّ حتى عادت إلى سوادها وشبع[1].

١١٢٠ - ١١٣٤- ثمّ قال الكراجكي: وحدّثني القاضي أسد بن إبراهيم السلمي والحسين ابن محمد الصيرفي، جميعاً عن محمد بن محمد المعروف بالمفيد عن علي بن عثمان المعروف بأبي الدنيا الأشجّ المعمّر قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كلمة الحقّ ضالّة المؤمن، حيث وجدها فهو أحقّ بها.

وبهذا الإسناد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

وبالإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لمن رآني أو رأى من رآني أو رأى من رأى من رآني. وبالإسناد إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: عهد إليّ النبيّ الأميّ أنّه لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق. وبالإسناد قال: قال علي عليه السلام: في الزّنا ستّ خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. فأمّا اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه، ويقطع الرزق، ويسرع الفناء.

(١) كنز الفوائد للكراجكي، ص ٢٦٣.

وأمّا اللواتي في الآخرة فغضب الربّ عزّ وجلّ، وسوء الحساب، والدخول في النار.

وبالإسناد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار.

وبالإسناد قال: قال عليه السلام: لما نزلت ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[1] قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: سألت الله عزّ وجلّ أن يجعلها أذنك يا عليّ.

وبالإسناد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتّخذوا قبوركم مساجد، ولا بيوتكم قبوراً، وصلّوا عليّ حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني وتسليمكم يبلغني.

وبالإسناد عن عليّ عليه السلام قال: ما رمدت ولا صدعت منذ يوم دفع إليّ رسول الله صلّى الله عليه وآله الراية يوم خيبر. وبالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من جلس في مجلسه ينتظر الصلاة فهو في صلاة، وصلّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهمّ اغفر له اللّهم ارحمه.

وبالإسناد قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله لا يحجبه ولا يحجزه عن قراءة القرآن إلاّ الجنابة.

وبالإسناد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الحرب خدعة.

وبالإسناد قال: قضى رسول الله صلّى الله عليه وآله في الدين قبل الوصيّة، وأنتم تقرأون ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾[2]. وأنّ أعيان بني الأمّ يتوارثون دون بني العلاّت، يرث الرجل أخاه لأبيه وأمّه دون أخيه لأبيه.

قال أبو بكر المعروف بالمفيد: رأيت أثر الشجّة في وجهه حينما لقيته وقال: أخبرت أمير المؤمنين عليه السلام بحديثي وقصتي في سفري وموت أبي وعمي والعين التي شربت منها وحدي فقال: هذه عين لم يشرب منها أحد إلاّ عمّر عمراً طويلاً، فأبشر، ما كنت لتجدها بعد شربك منها. قال أبو بكر: وسألت عن الأشجّ أقواماً من أهل بلده فقالوا: هو مشهور عندنا بطول العمر، يحدّثنا بذلك [الأبناء] عن آبائهم عن أجدادهم.

فأمّا الأحاديث التي رواها عن الأشجّ أبو محمد الحسن بن محمد الحسيني مما لم يروه أبو بكر محمد بن أحمد الجرجرائيّ فهي:

قال الشريف أبو محمد: حدّثني علي بن عثمان المعروف بالأشجّ قال: حدّثني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من أحبّ أهل اليمن فقد أحبّني ومن أبغضهم فقد أبغضني.

قال: وحدّثني أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنا وأنت يا عليّ أبوا هذا الخلق، فمن عقّنا فعليه لعنة الله، أمّن يا عليّ. فقلت: آمين يا رسول الله.

وقال: يا علي أنا وأنت أجيرا هذا الخلق، فمن منعنا أجرنا فعليه لعنة الله، أمّن يا علي. فقلت: آمين يا رسول الله. وقال: يا علي أنا وأنت موليا هذا الخلق، فمن جحدنا ولاءنا

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢.

وأنكرنا حقّنا فعليه لعنة الله، أمّن يا عليّ. فقلت: آمين يا رسول الله(١).

بيان: قوله: «مدمّجاً»: أي دخل بعضه في بعض. وفي بعض النسخ: «مزجّجاً». يقال: أزججت الرمح: أي جعلت له زجّاً. وزجّجت المرأة حاجبيها: دقّقته وطوّلته.

قوله ﷺ: «لا تتّخذوا قبري عيداً»: أي عادةً بكثرة الزيارة أو مجمعاً للأمور. وفي سائر الروايات: «مسجداً» وهو الظّاهر.

١١٣٥ - ١١٥٦ - وقال ابن أبي الحديد: ففي شرح النهج: روى جعفر بن سليمان عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً لعلي عليه السلام ما يلقى بعده من العنت فأطال، فقال له علي عليه السلام: أنشدك الله والرّحم يا رسول الله لمّا دعوت الله أن يقبضني إليه قبلك! فقال: كيف أسأله في أجل مؤجّل. قال: يا رسول الله! فعلام أُقاتل من أمرتني بقتاله؟ قال: على الحدث في الدّين.

وروى الأعمش عن عمّار الدّهني عن أبي صالح الحنفي عن علي عليه السلام قال: قال لنا يوماً: لقد رأيت الليلة رسول الله ﷺ في المنام فشكوت إليه ما لقيت حتى بكيت، فقال لي: انظر. فنظرت فإذا جلاميد، وإذا رجلان مصفّدان - قال الأعمش: هما معاوية وعمرو بن العاص - قال: فجعلت أرضخ رؤوسهما ثمّ تعود، ثم أرضخ رؤوسهما ثم تعود حتى انتبهت.

وروى قيس بن الربيع عن يحيى بن هانئ المراديّ عن رجل من قومه يقال له: زياد بن فلان قال: كنّا في بيت مع علي عليه السلام ونحن شيعته وخواصه، فالتفت علي فلم ينكر منّا أحداً فقال: إنّ هؤلاء سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم، ويسملون أعينكم. فقال رجل منّا: وأنت حيّ يا أمير المؤمنين؟ قال: أعاذني الله من ذلك. فالتفت فإذا واحد يبكي فقال له: يا ابن الحمقاء أتريد باللذات في الدنيا الدرجات في الآخرة؟ إنّما وعد الله الصّابرين.

وروى زرارة بن أعين عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: كان علي عليه السلام إذا صلّى الفجر لم يزل معقّباً إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس، فيعلّمهم الفقه والقرآن. وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوماً فمرّ برجل فرماه بكلمة هجر - قال ولم يسمّه محمد بن علي - فرجع عوده على بدئه حتى صعد المنبر، وأمر فنودي الصلاة جامعةً، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أيّها الناس إنّه ليس شيء أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام وفقهه، ولا شيء أبغض إلى الله ولا أعمّ ضرراً من جهل إمام وخرقه. ألا وإنّه من لم يكن له من نفسه واعظ، لم يكن له من الله حافظ. ألا وإنّه من أنصف من نفسه، لم يزده الله إلاّ عزّاً. ألا وإنّ الذلّ في طاعة الله أقرب إلى الله من التعزّز في معصيته. ثمّ قال: أين المتكلّم آنفاً؟ فلم يستطع الإنكار فقال: ها أنا يا أمير المؤمنين. فقال: أما إنّي لو أشاء لقلت. فقال: أو تعفو وتصفح فأنت أهل لذلك.

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي، ص ٢٦٤.

فقال: عفوت وصفحت. فقيل لمحمد بن علي عليه السلام: ما أراد أن يقول؟. قال: أراد أن ينسبه.

وروى زرارة أيضاً قال: قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إنّ قوماً هاهنا ينتقصون علياً عليه السلام. فقال: بم ينتقصونه لا أباً لهم؟! وهل فيه موضع نقيصة؟ والله ما عرض لعلي عليه السلام أمران قط كلاهما لله طاعة إلاّ عمل بأشدّهما وأشقّهما عليه!

ولقد كان يعمل كأنّه قائم بين الجنّة والنار، ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له، وينظر إلى عقاب هؤلاء فينتهي له، وإن كان ليقوم إلى الصلاة فإذا قال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ تغيّر لونه حتى كان ذلك في لونه. ولقد أعتق ألف عبد من كدّ يده، يعرق فيه جبينه ويحفى فيه كفّه، ولقد بشّر بعين نبعت في ماله مثل عنق الجزور فقال: بشّر الوارث، ثمّ جعلها صدقة على الفقراء والمساكين وابن السبيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ليصرف الله النار عن وجهه.

وروى القنّاد عن أبي مريم الأنصاري عن عليّ عليه السلام قال: لا يحبّني كافر ولا ولد زنا[1].

قال: وروى أبو غسّان النهدي قال: دخل قوم من الشيعة على علي في الرّحبة وهو على حصير خلق فقال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: حبّك يا أمير المؤمنين. قال: أما إنّه من أحبني رآني حيث يحبّ أن يراني، ومن أبغضني رآني حيث يكره أن يراني.

ثمّ قال: ما عبد الله أحد قبلي إلاّ نبيّه، ولقد هجم أبو طالب علينا وأنا وهو ساجدان فقال: أوفعلتموه؟ ثمّ قال لي - وأنا غلام - ويحك، انصر ابن عمّك، ويحك لا تخذله. وجعل يحثّني على مؤازرته ومكانفته.

وروى جابر الجعفي عن علي عليه السلام قال: من أحبّنا أهل البيت فليستعدّ عدّةً للبلاء.

وروى أبو الأحوص عن أبي حيّان عن عليّ عليه السلام أنه قال: يهلك فيّ رجلان: محبّ غال، ومبغض قال.

وروى حمّاد بن صالح، عن أيّوب عن أبي كهمس عن علي عليه السلام قال: يهلك فيّ ثلاثة: اللاعن، والمستمع المقرّ، وحامل الوزر، وهو الملك المترف الذي يتقرّب إليه بلعني، ويبرأ عنده من ديني، وينتقص عنده حسبي، وإنّما حسبي حسب رسول الله صلى الله عليه وآله وديني دينه. وينجو فيّ ثلاثة: من أحبّني، ومن أحبّ محبّي، ومن عادى عدوّي. فمن أُشرب قلبه بغضي، أو ألّب عليّ، أو تنقّصني، فليعلم أنّ الله عدوه وجبرائيل، وأنّ الله عدوّ للكافرين.

وروى أبو صادق عن ربيعة بن ناجد عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ فيك لشبهاً من عيسى بن مريم، أحبّته النصارى حتى أنزلته بالمنزلة التي ليست له، وأبغضته اليهود حتى بهتت أمّه.

قال ابن أبي الحديد: وروى شيخنا أبو القاسم البلخي عن سلمة بن كهيل عن المسيّب بن

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٣١٤.

تجبة قال: بينا عليّ عليه السلام يخطب إذ قام أعرابي فصاح: وا مظلمتاه! فاستدناه علي عليه السلام فلمّا دنا منه قال له: إنّما لك مظلمة واحدة، وأنا قد ظلمت عدد المدر والوبر!؟ قال: وفي رواية عبّاد بن يعقوب أنّه دعاه فقال له: ويحك وأنا والله مظلوم، هات فلندع على من ظلمنا.

وروى سدير الصيرفي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: اشتكى علي شكايةً فعاده أبو بكر وعمر، وخرجا من عنده فأتيا النبيّ صلى الله عليه وآله فسألهما من أين جئتما؟ قالا: عدنا علياً. قال: كيف رأيتماه؟ قالا: رأيناه لما به. فقال: كلا إنّه لن يموت حتى يوسَع غدراً وبغياً، وليكوننّ في هذه الأمّة عبرةً يعتبر به الناس من بعدي.

وروى عثمان بن سعيد عن عبد الله الغنوي، أنّ علياً عليه السلام خطب بالرحبة فقال:

أيّها الناس إنّكم قد أبيتم إلاّ أن أقولها: فوربّ السماء والأرض إنّ من عهد النبيّ الأميّ إليَّ: «إنّ الأمّة ستغدر بك بعدي». وروى هشيم بن بشير عن إبراهيم بن سالم مثله.

وروى أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه.

وروى أبو جعفر الإسكافي أيضاً أنّ النبي صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام فوجد عليّاً نائماً فذهبت تنبّهه فقال: دعيه فربّ سهر له بعدي طويل، وربّ جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة. فبكت فاطمة فقال: لا تبكي فإنكما معي وفي موقف الكرامة عندي.

وروى الناس كافة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: هذا وليّي وأنا وليّه، عاديت من عاداه وسالمت من سالمه، أو نحو هذا اللفظ.

وروى محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن زيد بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: عدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله عزّ وجلّ.

وروى يونس بن خبّاب عن أنس بن مالك قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب معنا، فمررنا بحديقة فقال علي: يا رسول الله ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة! فقال: إنّ حديقتك في الجنة أحسن منها. حتى مررنا بسبع حدائق يقول عليّ عليه السلام ما قاله، ويجيبه رسول الله صلى الله عليه وآله بما أجابه. ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقف فوقفنا حوله، ووضع رأسه على رأس عليّ عليه السلام وبكى. فقال: ما يبكيك يا رسول الله قال: ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني فقال: يا رسول الله أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟ قال: بل تصبر. قال: فإن صبرت؟ قال: تلاقي جهداً. قال: أفي سلامة من ديني؟ قال: نعم قال: فإذاً لا أبالي.

وروى جابر الجعفي عن محمد بن علي عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: ما رأيت مذ بعث الله محمّداً رخاءً، لقد أخافتني قريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت الطّامة الكبرى، والله المستعان على ما تصفون[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٣١٢.

١١٥٧ - ١١٥٨ - **ومن كتاب الغارات:** قال: روى محمد بن إسماعيل البجليّ عن عمرو عن موسى عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال: قال عليّ عليه السلام على المنبر: ما أحد جرت عليه المواسي إلاّ وقد أنزل الله فيه قرآناً. فقام إليه رجل من مبغضيه فقال له: فما أنزل الله تعالى فيك؟ فقام الناس إليه يضربونه فقال: دعوه، أتقرأ سورة هود؟ قال: نعم. فقرأ عليه السلام: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[1] ثمّ قال: الذي كان على بيّنة من ربّه، محمّد صلى الله عليه وآله، والشاهد الذي يتلوه أنا.

وروى عثمان بن سعيد عن عبد الله بن بكير عن حكيم بن جبير قال: خطب علي عليه السلام فقال في أثناء خطبته: أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يقولها أحد قبلي ولا بعدي إلاّ كذّاب. ورثت نبيّ الرحمة، ونكحت سيّدة نساء هذه الأمّة، وأنا خاتم الوصيّين.

فقال رجل من عبس: ومن لا يحسن أن يقول مثل هذا!!؟ فلم يرجع إلى أهله حتى جنّ وصرع. فسألوهم هل رأيتم به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: ما رأينا به قبل هذا عرضاً.

وروى عثمان بن سعيد عن شريك بن عبد الله قال: لمّا بلغ علياً عليه السلام أنّ الناس يتّهمونه فيما يذكره من تقديم النبيّ صلى الله عليه وآله إيّاه وتفضيله على الناس قال: أنشد الله من بقي ممن لقي رسول الله صلى الله عليه وآله، وسمع مقالته في يوم غدير خمّ إلاّ قام فشهد بما سمع.

فقام ستّة ممن عن يمينه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وشهدوا أنّهم سمعوه يقول ذلك اليوم - وهو رافع بيد علي -: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاده، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه.

١١٥٩ - **نهج:** وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي[2].

بيان: النمرقة: وسادة صغيرة، وربّما سمّوا الطّنفسة التي فوق الرحل نمرقة.

قال ابن أبي الحديد: والمعنى أنّ آل محمد صلى الله عليه وآله هم الأمر الأوسط بين الطرفين المذمومين، فكلّ من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم وكلّ من قصّر عنهم فالواجب أن يلحق بهم.

واستعار لفظ النمرقة لهذا المعنى من قولهم: ركب فلان من الأمر منكراً، وقد ارتكب الرأي الفلاني، فكأنّ ما يراه الإنسان مذهباً يرجع إليه، يكون كالرّاكب والجالس عليه.

ويجوز أن يكون لفظ «الوسطى» يراد به الفضلى، يقال: هذه هي الطريقة الوسطى، والخليقة الوسطى: أي الفضلى، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾[3] ومنه: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

---

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٥٠ قصار الحكم رقم ١١٠.

(٣) سورة القلم، الآية: ٢٨.

وَسَطًا﴾[1]. وقال ابن ميثم: وجه الاستعارة، أنّ أئمة الحقّ مستنَد للخلق في تدبير معاشهم ومعادهم. انتهى.

ويمكن أن يقال: لمّا كان الصدر في النمارق المصفوفة هي الوسطى، فلذا وصفها بها.

١١٦٠ - ١١٦١ - **نهج:** وقال عليّ عليه السلام: ما شككت في الحقّ مذ أُريته.

وقال عليه السلام: ما كَذَبت ولا كُذِبت، ولا ضللت ولا ضُلّ بي[2].

١١٦٢ - **نهج:** وقال علي عليه السلام:

لا يعاب المرء بتأخير حقّه، إنّما يعاب من أخذ ما ليس له[3].

بيان: قال ابن أبي الحديد: لعلّ هذه الكلمة قالها في جواب سائل سأله: لم أخّرت المطالبة بحقّك من الإمامة؟ فقال عليه السلام: لا يعاب المرء بتأخير استيفاء حقّه. ولمّا كان حقّ الإمامة غير مختصّ به؛ لأنّ مصالح المسلمين كانت منوطة بها فلا بدّ من إضمار في الكلام: أي إذا كان هناك مانع من طلبه. انتهى.

ويمكن حمله على الحقوق الخالصة كالانتقام ونحوه واسترداد فدك ومثله.

١١٦٣ - **نهج:** وسئل عليه السلام عن قريش فقال: أمّا بنو مخزوم فريحانة قريش، تحبّ حديث رجالهم والنكاح في نسائهم، وأمّا بنو عبد شمس فأبعدها رأياً وأمنعها لما وراء ظهورها، أمّا نحن فأبذل لما في أيدينا، وأسمح عند الموت بنفوسنا، وهم أكثر وأمكر وأنكر، ونحن أفصح وأنصح وأصبح[4].

بيان: قال ابن ميثم: فلان بعيد الرأي، إذا كان يرى المصلحة من بعيد لقوّة رأيه. وقوله عليه السلام: و«أمنعها لما وراء ظهورها» كناية عن حميّتهم.

وقال ابن الأثير في النهاية: النكر - بالضمّ -: الدهاء والأمر المنكر.

قوله عليه السلام: «وأصبح»: أي أحسن وجوهاً وأجمل، وألقى للناس بالطلاقة والبشر.

١١٦٤ - **نهج:** وقال عليه السلام: وقد رُئي عليه إزار خلق مرفوع فقيل له في ذلك فقال: يخشع له القلب، وتذلّ به النّفس، ويقتدي به المؤمنون[5].

١١٦٥ - **نهج:** ومدحه قوم في وجهه فقال: اللهمّ إنّك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهمّ اجعلنا خيراً مما يظنّون، واغفر لنا ما لا يعلمون[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٦٧ قصار الحكم رقم ١٨٤ و١٨٥.
(٣) نهج البلاغة، ص ٦٦٥ قصار الحكم رقم ١٦٦.
(٤) نهج البلاغة، ص ٦٥٢ قصار الحكم رقم ١٢١.
(٥) نهج البلاغة، ص ٦٤٧ قصار الحكم رقم ١٠٣.
(٦) نهج البلاغة، ص ٦٤٦ قصار الحكم رقم ١٠٠.

١١٦٦ - وقال عليه السلام لرجل أفرط في الثناء عليه، وكان له متهماً:
أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك(١).

١١٦٧ - وقال عليه السلام: يهلك فيّ رجلان: محبّ مطرٍ، وباهت مفترٍ.

قال السّيد الرضي رحمه الله: وهذا مثل قوله عليه السلام: يهلك فيّ اثنان: محبّ غالٍ، ومبغض قالٍ(٢).

١١٦٨ - **نهج:** وقال عليه السلام: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني، وذلك أنّه قضي فانقضى على لسان النّبيّ الامّي صلى الله عليه وآله إنّه قال: لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق(٣).

بيان: الخيشوم: أقصى الأنف. والجمّة: المكان الذي يجتمع فيه الماء.

١١٦٩ - **دعوات الراوندي:** عن ربيعة بن كعب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالتزموا عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومنه في كلام أبي جعفر عليه السلام وقد سأله حمران عمّا أصيب به أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتى قتلوا وغُلبوا؟ وقال عليه السلام: ولو أنّهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله دفع ذلك عنهم لدفع الله ذلك عنهم ثم كان انقضاء مدّة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد وما كان الذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه ولا لعقوبة من معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة أراد الله أن يبلغهم إيّاها فلا يذهبنّ بك المذاهب فيهم.

ومنه قال: لمّا نزل أمير المؤمنين النهروان سأل عن جميل بن بصيهري كاتب أنوشيروان فقيل: إنّه بعد حيّ يرزق فأمر بإحضاره فلمّا حضر وجد حواسه كلّها سالمة إلاّ البصر، ووجد ذهنه صافياً وقريحته تامّة فسأله كيف ينبغي للإنسان يا جميل أن يكون! قال: يجب أن يكون قليل الصديق كثير العدوّ. قال: أبدعت يا جميل فقد أجمع الناس على أنّ كثرة الأصدقاء أولى. فقال ليس الأمر على ما ظنّوا فإنّ الأصدقاء إذا كلّفوا السعي في حاجة الإنسان لم ينهضوا بها كما يجب وينبغي والمثل فيه هو قولهم «من كثرة الملاّحين غرقت السّفينة» فقال أمير المؤمنين: قد امتحنت هذا فوجدته صواباً فما منفعة كثرة الأعداء؟ فقال: إنّ الأعداء إذا كثروا يكون الإنسان أبداً متحرّزاً متحفّظاً أن ينطق بما يؤخذ عليه أو تبدر منه زلّة يؤخذ عليها فيكون أبداً على هذه الحالة سليماً من الخطايا والزلل. فاستحسن ذلك منه أمير المؤمنين عليه السلام(٤).

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٤٣ قصار الحكم رقم ٨٣.
(٢) نهج البلاغة، ص ٧٣٠ قصار الحكم رقم ٤٦٢.
(٣) نهج البلاغة، ص ٦٣٧ قصار الحكم رقم ٤٥.
(٤) هذه الرواية في مستدركات دعوات الراوندي.

١١٧٠ - **نهج:** وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أشعر الشعراء، فقال: إنّ القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عن قصبتها. فإن كان ولا بدّ فالملك الضِلّيل.

قال السّيد الرضيّ رحمه الله: يريد عليه السلام من قوله: «الملك الضليل» امرأ القيس[١].

١١٧١ - **أقول:** قال ابن أبي الحديد: قرأت في أمالي ابن دريد قال: أخبرني الجرموزي عن ابن المهلّبي عن ابن الكلبي عن شدّاد بن إبراهيم عن عبيد الله بن الحسن العنبري عن ابن عرادة قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعشّي الناس في شهر رمضان اللحم ولا يتعشّى معهم فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم فلمّا فرغوا خطبهم عليه السلام وقال في خطبته: اعلموا أنّ مِلاك أمركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الأدب وحصون أعراضكم الحلم.

ثم قال: قل يا أبا الأسود فيما كنتم تفيضون فيه أيّ الشعراء أشعر؟ فقال: يا أمير المؤمنين أشعر الشعراء الذي يقول:

ولقد أغتدي يدافع ركني أعوجيّ ذو ميعة إضريج
مخلَطٌ مزيلٌ مِعَنٌ مِفَنٌ مِنفح مِطرح سَبوح خَروج

يعني أبا دُواد الأيادي. فقال عليه السلام: ليس به. قالوا: فمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معاً علمنا من السابق منهم ولكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة. قيل: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هو الملك الضليل ذو القروح. قيل: امرؤ القيس يا أمير المؤمنين؟ قال: هو.

قيل: فأخبرنا عن ليلة القدر! قال: ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها ولست أشكّ أنّ الله إنّما يسترها عنكم نظراً لكم لأنّه لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله انهضوا رحمكم الله.

ثمّ قال: وقال ابن دريد لمّا فرغ من الخبر: إضريج: ينبثق في عَدْوه.

وقيل: واسع الصدر. ومنفح: يُخرج الصيد من مواضعه. ومطرح: يطرح ببصره. وخروج: سابق. والغاية - بالغين المعجمة -: الراية. والميعة: أوّل جري الفرس. وقيل: الجري بعد الجري انتهى[٢].

أقول: الحلبة - بالفتح -: الخيل تجمع للسباق من كلّ أوب ولا تخرج من وجه واحد. وقصبة السبق هي التي تنصب ليحرزها السابق من القوم في الرهان. والضّليل - كقنديل -: مبالغة في الضلال. ولعلّ المعنى أنّهم لم ينشدوا في أمر واحد وزمان واحد حتى يعرف أيّهم أسبق وأكمل. أو أنّ الشعر ليس مقصوراً على فنّ واحد ولا لطائفة ولا منحصراً في نوع حتى يكون للتفضيل حدّ معيّن.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٧٢٦ قصار الحكم رقم ٤٤٨.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٢٠ ص ٣٥٤.

١١٧٢ - **نهج:** وقال عليه السلام : أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجّار.

قال السيّد رحمه الله : ومعنى ذلك أنّ المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما يتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها[١].

١١٧٣ - **نهج:** وقيل له عليه السلام : بأيّ شيء غلبت الأقران! فقال: ما لقيت أحداً إلاّ أعانني على نفسه.

قال السّيد الرّضي: رحمه الله : يومئ عليه السلام إلى تمكّن هيبته في القلوب[٢].

١١٧٤ - **نهج:** وقال عليه السلام لابنه محمد: يا بنيّ إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فإنّ الفقر منقصة للدّين مدهشة للعقل داعية للمقت[٣].

١١٧٥ - **كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي:** بإسناده عن الضحّاك بن مزاحم عن عليّ عليه السلام قال: كان خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحبس شيئاً لغد، وكان أبو بكر يفعل كذلك، وقد رأى عمر في ذلك أن دوّن الدواوين، وأخّر المال إلى السنة.

وأمّا أنا، فأصنع كما صنع خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال: وكان عليّ عليه السلام يعطيهم من الجمعة إلى الجمعة، وكان عندما يعطيهم يقول:

هذا جناي وخياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه

وبأسانيد عن مجمع التّيميّ، أنّ علياً عليه السلام كان ينزح بيت المال ثمّ يتنفّل فيه، ويقول: اشهد لي يوم القيامة أنّي لم أحبس فيك المال على المسلمين.

وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال: أتي علياً عليه السلام مال من إصبهان فقسّمه، فوجد فيه رغيفاً، فكسره سبع كسر، ثمّ جعل على كلّ جزء منه كسرةً ثمّ دعا أمراء الأسباع فأقرع بينهم أيّهم يعطيه أوّلاً. وكانت قبائل الكوفة يومئذٍ أسباعاً.

وعن عبد الرحمٰن بن عجلان، عمن حدّثه قال: كان عليّ عليه السلام يقسم فينا الأبزار، يصرّه صراراً: الحرف والكمون وكذا وكذا.

وعن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه، أنّ دهقاناً بعث إلى عليّ عليه السلام بثوب ديباج منسوج بالذهب، فابتاعه منه عمرو بن حريث بأربعة آلاف درهم إلى العطاء.

وعن يزيد بن محجن التيميّ قال: أخرج عليّ عليه السلام سيفاً له فقال:

من يشتري سيفي هذا مني؟ فوالذي نفسي بيده لو أنّ معي ثمن إزار لما بعته.

وعن أبي رجاء، أنّ علياً عليه السلام أخرج سيفاً له إلى السوق فقال: من يشتري منّي هذا؟ فلو كان معي ثمن إزار لما بعته.

---

(١) - (٣) نهج البلاغة، ص ٦٩٨ قصار الحكم رقم ٣١٨-٣٢١.

قال أبو رجاء: فقلت له: يا أمير المؤمنين أنا أبيعك إزاراً وأُنسئك ثمنه إلى عطائك، فبعته إزاراً إلى عطائه، فلمّا قبض عطاءه أعطاني حقّي.

وعن أبي إسحاق الهمداني، أنّ امرأتين أتتا علياً عليه السلام عند القسمة، إحداهما من العرب، والأخرى من الموالي، فأعطى كلّ واحدة خمسة وعشرين درهماً وكراً من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين إنّي امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم!

فقال عليه السلام: والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً عن بني إسحاق.

وعن يوسف بن كليب عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود، عن معاوية بن عمّار عن جعفر بن محمد قال: ما اعتلج على عليّ عليه السلام أمران قطّ إلاّ أخذ بأشدّهما، وما زال عندكم يأكل مما عملت يده، يؤتى به إليه من المدينة، وإن كان ليأخذ السويق فيجعله في الجراب ثم يختم عليه، مخافة أن يزاد فيه من غيره. ومن كان في الدنيا أزهد من علي عليه السلام؟!

وعن أبي سويد بن الحارث قال: أمر عليّ عليه السلام عمّالاً من عمّاله فصنعوا للناس طعاماً في شهر رمضان، فذكروا أنّهم صنعوا خمساً وعشرين جفنة.

وعن هارون بن مسلم البجلي عن أبيه قال: أعطى عليّ الناس في عام واحد ثلاثة أعطية، ثم قدم عليه خراج إصفهان فقال:

أيّها الناس! اغدوا فخذوا، فوالله ما أنا لكم بخازن.

ثمّ أمر ببيت المال فكنس ونضح، فصلّى فيه ركعتين ثمّ قال: يا دنيا غرّي غيري.

ثمّ خرج فإذا هو بحبال على باب المسجد فقال: ما هذه الحبال؟ فقيل: جيء بها من أرض كسرى. فقال: اقسموها بين المسلمين. فكأنّهم ازدروها فنقضها بعضهم فإذا هي كتّان يعمل، فتنافسوا فيها فبلغ الحبل من آخر النهار دراهم.

وعن سفيان بن عُيينة عن عمّار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال: فرض عليّ عليه السلام لمن قرأ القرآن ألفين ألفين قال: وكان أبي ممّن قرأ القرآن.

وعن إبراهيم بن يحيى الثوري عن أبي إسحاق بن مهران عن سابق البربري قال: رأيت علياً عليه السلام أسّس مسجد الكوفة إلى قريب من طاق الزيّاتين قدر شبر شبر.

قال: ورأيت المخيّس وهو من خصّ وكان الناس يفرجونه ويخرجون منه فبناه عليّ عليه السلام بالجصّ والآجر قال: فسمعته وهو يقول:

ألا تراني كَيِّساً مكيّسا بنيت بعد نافع مخيّسا

وعن الحسين بن هاشم عن أبي عثمان الدوري عن أبي إسحاق السبيعي قال: كنت على عنق أبي يوم الجمعة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب وهو يتروّح بكمّه فقلت: يا أبة أمير المؤمنين يجد الحرّ؟. فقال: لا يجد حراً ولا برداً، ولكنّه غسل قميصه وهو رطب ولا له غيره فهو يتروّح به.

وعن إبراهيم بن ميمون عن عليّ بن عباس عن أبي إسحاق قال: رفعني أبي فرأيت علياً عليه السلام، أبيض الرأس واللحية، عريض ما بين المنكبين.

وبإسناده عن عبّاد بن عبد الله قال: كان عليّ يخطب على منبر من آجر. وعن عدي بن ثابت قال: أُتي علي عليه السلام بفالوذج فأبى أن يأكله.

وعن صالح، أنّ جدته أتت علياً عليه السلام ومعه تمر يحمله، فسلّمت عليه وقالت: أعطني هذا التمر أحمله. قال: أبو العيال أحقّ بحمله. قالت: وقال لي: ألا تأكلين منه؟ قلت: لا أريده. قالت: فانطلق به إلى منزله، ثمّ رجع وهو مرتد بتلك الملحفة وفيها قشور التمر، فصلّى بالناس فيها الجمعة.

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: أُتي أمير المؤمنين عليه السلام بخبيص فأبى أن يأكله، قالوا: أتحرّمه؟ قال: لا، ولكني أخشى أن تتوق إليه نفسي، ثمّ تلا ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾.

وعن بعض أصحاب عليّ عليه السلام أنّه قيل له: كم تصدّق، ألا تمسك؟ قال: إي والله، لو أعلم أنّ الله قبل منّي فرضاً واحداً لأمسكت، ولكنّي والله ما أدري أقبل الله مني شيئاً أم لا.

وعن عبد الله بن الحسن قال: أعتق عليّ عليه السلام ألف أهل بيت بما مجلت فيه يداه وعرقت فيه جبينه. وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: أعتق عليّ عليه السلام ألف مملوك مما عملت يداه، وإن كان عندكم أنّما حلواه التمر واللبن وثيابه الكرابيس.

وتزوّج عليه السلام ليلى، فجعل له حجلةً فهتكها وقال: أحبّ أهلي إليّ ما هم فيه.

وعن قدامة بن عتاب قال: كان علي عليه السلام ضخم البطن، ضخم مشاشة المنكبين، ضخم عضلة الذراع، دقيق مستدقّها، ضخم عضلة الساق، دقيق مستدقّها.

ورأيته يخطبنا في يوم من أيّام الشتاء، عليه قميص قهز، وإزار، فأتاه آت فقال له: يا أمير المؤمنين! أدرك بني تميم قد ضربتها بكر بن وائل بالكناسة، فقال: ها! ثمّ أقبل في خطبته، ثم أقبل آخر فقال مثل ذلك. فقال: ها! ثمّ أتاه الثالث والرابع، ثم قال: أدرك بكر بن وائل قد ضربتها بنو تميم بالكناسة. فقال: الآن صدقتني عن بكرك، يا شداد! أدرك بكر بن وائل وبني تميم فذهب فأفرع بينهم[1].

بيان: قال الفيروزآبادي في القاموس: الجرف: يبيس الحماط وهو الشجر والعشب. وقال: الكمّون - كتنّور - حب معروف. وقال: القهز - بفتح القاف ويكسر -: ثياب من صوف أحمر كالمِرْعزي وربما يخالطه الحرير. وقال: فرع بين القوم: حجز وكفّ وأصلح.

ثمّ قال الثقفي: وروى جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: ابتاع عليّ عليه السلام قميصاً سنبلانياً بأربعة دراهم، ثمّ دعا الخياط فمدّ كمّ القميص فقطع ما جاوز الأصابع.

---

(١) الغارات للثقفي، ح ٢٠ وما بعده.

وعن عبد الله بن أبي الهذيل قال: رأيت علياً وعليه قميص له إذا مدّه بلغ أطراف أصابعه، وإذا تقبض، تقبض حتى يكون إلى نصف ساعده.

وعن الأشعث العنزي عن أبيه قال: رأيت علياً وقد اغتسل في الفرات يوم الجمعة، ثمّ ابتاع قميص كرابيس بثلاثة دراهم، فصلّى بالناس فيه الجمعة وما حنط جربّانه بعد.

وعن بكر بن عيسى قال: كان علي عليه السلام يقول:

يا أهل الكوفة! إذا أنا خرجت من عندكم بغير رجلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن.

وكانت نفقته تأتيه من غلّته بالمدينة من «ينبع»، وكان يطعم الناس الخبز واللحم ويأكل من الثريد بالزيت ويكلّلها بالتمر من العجوة، وكان ذلك طعامه.

وزعموا أنّه كان يقسم ما في بيت المال، فلا يأتي الجمعة وفي بيت المال شيء، وكان يأمر ببيت المال في كلّ عشيّة خميس فينضح بالماء ثمّ يصلّي فيه ركعتين.

وزعموا أنّه كان يقول ويضع يده على بطنه: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لا تنطوي ثميلتي على قلة من خيانة، ولأخرجنّ منها خميصاً.

بيان: قال الفيروزآبادي في القاموس: الثميلة - كسفينة -: البقية من الطعام والشراب في البطن. والثميلة: ما يكون فيه الطعام والشراب في الجوف.

وقال ابن الأثير في النهاية: في حديث الحجاج: «فسر إليها منطوي الثميلة» المعنى سر إليها مخفّفاً.

١١٧٦ - ١١٩٥ - **كتاب الغارات:** بإسناده عن سعيد بن المسيّب أنّ رجلاً بالشام يقال له ابن الخيبري، وجد مع امرأته رجلاً فقتله، فرُفع ذلك إلى معاوية، فكتب إلى بعض أصحاب عليّ عليه السلام يسأله فسأله فقال عليّ عليه السلام: إنّ هذا شيء ما كان قبلنا. فأخبره أنّ معاوية كتب إليه. فقال عليه السلام: إن لم يجئ بأربعة شهداء يشهدون به أُقيد به.

وعن أبي حمزة قال: بينما عليّ ذات يوم إذ أقبل إليه رجل فقال: من أين أقبل الرجل؟ قال: من أهل العراق. قال: من أيّ العراق؟ قال: من البصرة. قال: أما إنّها أوّل القرى خراباً، إما غرقاً وإمّا حرقاً، حتى يبقى بيت مالها ومسجدها كجؤجؤ سفينة. فأين منزلك منها؟ فقال الرجل: مكان كذا. قال: عليك بصواحبها، عليك بصواحبها.

وعن شرحبيل عن علي عليه السلام قال: كيف بكم وإمارة الصبيان من قريش؟ قوم يكونون في آخر الزمان، يتّخذون المال دولة، ويقتلون الرجال. فقال الأوس بن حجر الثمالي: إذاً نقاتلهم وكتاب الله. قال: كذبت وكتاب الله.

وعن الحسن بن بكر البجلي عن أبيه قال: كنّا عند علي عليه السلام في الرحبة، فأقبل رهط فسلّموا فلمّا رآهم عليّ عليه السلام أنكرهم فقال: أمن أهل الشام أنتم، أم من أهل الجزيرة؟ قالوا: بل من أهل الشام، مات أبونا وترك مالاً كثيراً وترك أولاداً رجالاً ونساءً، وترك فينا

خنثى له حياء كحياء المرأة، وذكر كذكر الرجل، فأراد الميراث كرجل فأبينا عليه.

فقال عليه السلام: فأين كنتم عن معاوية؟ فقالوا: قد أتيناه فلم يدر ما يقضي بيننا.

فنظر علي عليه السلام يميناً وشمالاً وقال: لعن الله قوماً يرضون بقضائنا ويطعنون علينا في ديننا، انطلقوا بصاحبه فانظروا إلى مسبل البول، فإن خرج من ذكره فله ميراث الرجل، وإن خرج من غير ذلك فورّثوه مع النساء. قال: فبال من ذكره، فورثه كميراث الرجل منهم.

وعن ابن عباس عن عليّ عليه السلام قال: أوّل هلاك أهل الأرض قريش وربيعة.

قالوا وكيف؟ قال: أمّا قريش فيهلكها الملك، وأمّا ربيعة فتهلكها الحميّة.

وبحذف الإسناد قال: قال عليّ عليه السلام: أما والله ما قاتلت إلاّ مخافة أن ينزو فيها تيس من بني أميّة فيتلاعب بدين الله.

وعن زِرّ بن حبيش قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد إليّ النبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه لا يحبّك إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق.

وعن حبّة العرني عن عليّ عليه السلام قال:

إنّ الله أخذ ميثاق كلّ مؤمن على حبّي، وأخذ ميثاق كلّ منافق على بغضي، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبّني!

وعن فرات بن أحنف قال: إنّ علياً عليه السلام خطب فقال: يا معشر الناس، أنا أنف الهدى وعيناه - وأشار إلى وجهه -. يا معشر الناس! لا تستوحشوا في طريق العدى لقلّة أهله، فإنّ الناس قد اجتمعوا على مائدة، شبعها قصير، وجوعها طويل، والله المستعان.

يا معشر الناس! إنّما يجمع الناس الرضا والسخط، ألا وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فأصابهم العذاب برضاهم بعقرها قال الله تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[1] فقال لهم نبيّ الله عن قول الله: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾[2].

يا معشر الناس! ألا فمن سئل عن قاتلي فزعم أنّه مؤمن فقد قتلني. يا معشر الناس! من سلك الطريق ورد الماء.

يا معشر الناس! ألا أخبركم بحاجبي الضلالة، تبدو مخازيها في آخر الزمان.

وعن أبي عقيل عن علي عليه السلام قال: اختلفت النصارى على كذا وكذا، واختلفت اليهود على كذا وكذا، ولا أراكم أيّتها الأمّة إلاّ ستختلفون كما اختلفوا، وتزيدون عليهم فرقة، ألا وإنّ الفرق كلّها ضالة إلاّ أنا ومن تبعني.

وعن الحسن بن علي عن أبيه عليه السلام قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: يرد عليّ أهل بيتي ومن أحبّهم من أُمّتي هكذا - وقرن بين السبابتين - ليس بينهما فضل.

---

(١) سورة القمر، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الشمس، الآية: ١٤.

وعن أبي الجحّاف عن رجل - قد سمّاه - قال: دخلوا على عليّ عليه السلام وهو في الرحبة وهو على سرير قصير فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: حبّك وحديثك يا أمير المؤمنين. قال: والله؟ قالوا: والله. قال: أما إنّه من أحبّني يراني حيث يحبّ أن يراني، ومن أبغضني رآني حيث يبغض أن يراني. ثمّ قال: ما عبد الله أحد قبلي مع نبيّه، إنّ أبا طالب هجم عليّ وعلى النبي صلى الله عليه وآله وأنا وهو ساجدان ثم قال: أفعلتموها. فأخذ يحثّني على نصرته وعلى معونته.

وعن حبّة عن عليّ عليه السلام قال: لو صمت الدهر كلّه وقمت الليل كلّه، وقتلت بين الركن والمقام، بعثك الله مع هواك بالغاً ما بلغ، إن في جنّة ففي جنّة، وإن في نار ففي نار.

وقال عليه السلام: من أحبّ أهل البيت فليستعدّ عدّةً للبلاء.

وقال عليه السلام: يهلك فيّ محبّ مفرط، ومبغض مفتر.

وقال عليه السلام: يهلك فيّ ثلاثة وينجو فيّ ثلاثة: يهلك اللاعن، والمستمع المقرّ، والحامل للوزر، وهو الملك المترف الذي يتقرّب إليه بلعني، ويبرأ عنده من ديني، وينتقص عنده حسبي، وإنّما حسبي حسب النبيّ صلى الله عليه وآله وديني دينه.

وينجو فيّ ثلاثة: المحبّ الموالي، والمعادي من عاداني، والمحبّ من أحبّني، فإذا أحبّني عبد أحبّ محبّي وأبغض مبغضي وشايعني، فليمتحن الرجل قلبه، إنّ الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه فيحبّ بهذا ويبغض بهذا، فمن أُشرب قلبه حبّ غيرنا فألب علينا فليعلم أنّ الله عدوّه وجبريل وميكال، فإنّ الله عدوّ للكافرين.

وعن ربيعة بن ناجد عن عليّ عليه السلام قال: دعاني النبيّ صلى الله عليه وآله فقال لي: يا علي إنّ فيك من عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمّه، وأحبّته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له. وقال علي عليه السلام: إنّه يهلك فيّ محبّ مطرٍ يقرّظني بما ليس فيّ، ومبغض مفترٍ يحمله شنآني على أن يبهتني.

ألا وإنّي لست نبياً ولا يوحى إلي، ولكن أعمل بكتاب الله ما استطعت، فما أمرتكم به من طاعة فحقّ عليكم طاعتي فيما أحببتم وفيما كرهتم، وما أمرتكم به أو غيري من معصية الله فلا طاعة في المعصية، الطاعة في المعروف، الطاعة في المعروف، قالها ثلاثاً[1].

١١٩٦ - ١١٩٨ - **ما:** المفيد عن إبراهيم بن الحسن بن الجمهور عن أبي بكر المفيد الجرجرائي عن أبي الدنيا المعمّر المغربي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عهد إلي مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لا يحبّني إلاّ مؤمن، ولا يبغضني إلاّ منافق زنديق.

وبالاسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما نزلت ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله، سألت ربي أن يجعلها أذنك يا علي. وبالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما رمدت عيني ولا صدعت منذ سلّم رسول الله صلى الله عليه وآله إلي راية خيبر[2].

---

(١) الغارات للثقفي، ص ١٩٠-١٩٤.

(٢) لم نجده في أمالي الطوسي المطبوع عندنا.

فائدة مهمّة شافية وافية في دفع شبه الفرقة الطاغية الغاوية

اعلم أنّه قد اختلف المسلمون في أنّه هل كان يسوغ للنبيّ ﷺ الاجتهاد فيما لا نص فيه أم لا؟ ثمّ على تقدير الجواز، هل كان مقصوراً على أمور الدنيا وما لا تعلق لها بالدين؟ أم يتعدّى إلى غيرها؟ وعلى تقدير التعدّي، هل يخصّ الحروب أم يتجاوزها.

ثمّ القائلون بالجواز اختلفوا في الوقوع، فأثبته طائفة ومنعه آخرون وتوقّف قوم.

ثمّ القائلون بالوقوع، اختلفوا في أنّه هل كان يجوز عليه الخطأ في الاجتهاد أم لا؟ وعلى الجواز، هل يقرّ على خطئه أم يردّ عنه؟ فذهب إلى (ذلك) كلّ فريق إلاّ إقراره على الخطأ، فإنّ الظاهر من كلامهم أنّه لم يقل به أحد وجعلوا ردّه عن الخطأ وجه الفرق بينه وبين سائر المجتهدين.

وقد ادّعى العلاّمة في شرحه لمختصر ابن الحاجب الإجماع على أنّه لا يقرّ على الخطأ، ويظهر من كلام الآمدي وبعض شرّاح صحيح مسلم أيضاً ذلك.

فاختار الجبّائي وأبو هاشم أنّه ﷺ لم يتعبّد في الشّرعيات بالاجتهاد، ولم يقع منه فيها، وكان متعبّداً به في الحروب.

وحكي عن الشافعي وأحمد بن حنبل وأبي يوسف تعبّده به مطلقاً.

وذهبت طائفة - ومنهم القاضي عبد الجبّار وأبو الحسين البصري - إلى أنّه يجوز ذلك من غير قطع به.

ونفاه أصحابنا قاطبةً رضوان الله عليهم رأساً، ولم يجوّزوه في أمور الدين والدّنيا أصلاً.

ثمّ لا يخفى أنّ جواز الاجتهاد ووقوعه منه ﷺ لا يستلزم جواز مخالفته، إذ يجوز أن يكون في أحكامه ما أدّى إليه اجتهاده، ومع ذلك لا يجوز لأحد خلافه لإيجاب الله تعالى طاعته مطلقاً. ونظير ذلك أنّ الأمّة يجوز أن تجتمع على حكم بالاجتهاد، ومع ذلك لا يسع أحد مخالفتها أصلاً عندهم، والمجتهد في فروع الأحكام يحكم باجتهاده ولا يسوغ لمقلّده مخالفته، وإن جاز عليه الخطأ في حكمه.

ولمّا كان المعقل الحصين للمخالفين في دفع المطاعن عن أئمّتهم المضلين التمسك بجواز مخالفة الرسول الأمين عليه السلام، كما فعلوا ذلك في مخالفتهم له في تجهيز جيش أسامة وغيرها، أردنا أن نختم هذا المجلّد المشتمل على مطاعنهم بما يدلّ على فساد أحد الأمرين: أعني جواز الاجتهاد عليه ﷺ، أو وقوعه منه، وجواز مخالفته في شيء من أحكامه وإن كان عن اجتهاد، لاستلزام كلّ منهما ما هو المقصود، والتوكّل في جميع الأمور على الربّ الودود. فنقول: يدلّ على ذلك وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[1] نفى سبحانه كون نطقه ﷺ عن الهوى،

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣.

وحصره في كونه وحياً، ولو كان بعض أقواله عن اجتهاد لما صحّ الحصر.

ولو قلنا بكون الهدى متناولاً للاجتهاد بقرينة المقابلة، لاقتضائها كون المراد بالهوى ما ليس بوحي والاجتهاد ليس بوحي لدلّ الجزء الأول على المدّعى أيضاً.

وأورد عليه بأنّ المراد بالآية نفي ما كانوا يقولونه في القرآن أنّه افتراه، فانتفى العموم، ولئن سلّمنا فلا نسلم أنّه ينفي الاجتهاد؛ لأنّه إذا كان متعبّداً بالاجتهاد بالوحي، لم يكن نطقه عن الهوى، بل كان قولاً عن الوحي.

والجواب عن الأوّل: إنّ الآية غير معلوم نزولها في ردّ قولهم المذكور، فلا يجوز تخصيص القرآن به، وإنّما يجوز التخصيص بالمعلوم وما في حكمه، ولو سلّم فخصوص السّبب لا يخصّص العموم كما هو المشهور، ولا دليل من الخارج على التخصيص.

وعن الثاني من وجوه:

منها: أنّهم يقابلون الوحي بالاجتهاد في كثير من كلامهم.

ومنها: أنّ الوحي هو الكلام الذي يسمع بسرعة، وليس الاجتهاد كذلك، وإنما يُستند حجّيّته إلى الوحي، والمستند إلى الوحي في أمر غير الوحي، والدليل عليه صحة التقسيم بأن يقال: أهو وحي أم مستنبط من الوحي ومستند إليه؟ وقد قال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ وقد اعترف البيضاوي بما ذكرنا حيث قال بعد نقل الجواب: وفيه نظر؛ لأنّ ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي.

ومنها: أنّا نخصّص الكلام باجتهاد يجوز فيه الخطأ، ولا ننازع الآن في اجتهاد يؤمن معه الخطأ ولا يجوز مخالفته، ويكون من قبيل القاطع، ولا يتعلّق غرضنا في هذا المقام بأنّ النبي ﷺ هل يقول ما يقوله عن الوحي النازل بخصوص كلّ قول؟ أو يقول من طريق عامّ ويأخذه عن ضابطة كليّة لا يأتيها الباطل من بين يديها ومن خلفها؟

فنقول: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ وقد اتّفق المفسّرون على أنّ الآية مسوقة لنفي الضلال، وإثبات الوحي، إنّما هو لنفي الضلال المذكور في الآية، والضلال لا يختص بالأصول، بل يكون في الفروع في جميع أقسام الأحكام، وإلاّ لم يكن لاستدلال القوم على حجيّة الإجماع في الفروع حتى الحروب والولايات بما روي عن النبي ﷺ من قوله: «لا تجتمع أمّتي على الضلالة». وما يحذو حذوه معنىً.

فقد ثبت إذن أنّ الوحي لا يتناول اجتهاداً يجوز الخطأ فيه، وإلاّ لم يلزم من كونه وحياً نفي الضلال عنه كما هو المقصود، وهذا القدر يكفينا، ويدلّ عليه ما روي أنّه ﷺ نزل منزلاً فقيل له: إن كان ذلك عن وحي فالسّمع والطاعة، وإن كان عن رأي فليس ذلك بمنزل مكيدة، والمشهور أنّ المنزل كان بـ«بدر»، والقائل هو حباب بن المنذر، فدلّ ذلك على أنّ الوحي لا

يجوز فيه الخطأ، وقد قرّره النبيّ ﷺ، ولم يُسمع بأحد يطعن على قائل هذا القول ويقول: تقسيمه هذا باطل. وأيّ ملازمة بين كونه وحياً، ووجوب السمع والطاعة، لا في زمن الصحابة ولا في زمن التابعين إلى عصرنا هذا، مع تكرّر ذلك النقل في كتب السير والتواريخ، وفي كتب الأصول في مقام الاستدلال على مسائل من الاجتهاد المتعلّقة بالنبي ﷺ.

ولولا أنّ الوحي لا يجوز فيه الخطأ ولا يطلق شرعاً على ما لا يؤمن معه الغلط، ويجوز مخالفته لاستحال عادةً أن لا ينكر أحد على هذا القول، ولا يقدح فيه، مع توفّر الدواعي على القدح والردّ عليه، حيث استدلّ به على محلّ النزاع في مسائل كثيرة قد طال الخصام فيها، وذلك مما يقطع به في عادات الناس، خصوصاً الممارسين لمباحث الحجاج والنظر ومسائل الخلاف، وقد رأيناهم يرتكبون تأويلات بعيدة وتكلّفات باردة. فأين كانوا عن القدح المذكور؟

وبالجملة، ما ذكرناه دليل على أنّهم علموا صحّة ذلك التقسيم، إمّا بتقرير النّبي ﷺ، أو بدليل آخر، فلا يتوهّم أنّ ما ذكرناه ثانياً راجع إلى الأوّل.

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1].

والمراد، قضاء رسول الله ﷺ، ونسبته إليه تعالى للتنبيه على أنّ قضاءه ﷺ قضاء الله كما ذكره المفسّرون، وكلّ ما قاله النبيّ ﷺ ولو بالاجتهاد، فممّا قضى به، فلا يجوز العدول عنه ومخالفته، وتخصيص الخيرة بما يكون بمجرّد التشهّي لا عن اجتهاد، وكذا المعصية لا وجه له، وإنّما هو مجرّد تشهّي التأويل، والانصراف عن الظاهر، ومعصية لسنّة الأخذ بظواهر الكتاب والسنّة بلا قرينة تقتضيه وشاهد يشهد له.

الوجه الثالث: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2] تقريره أنّ المسألة الخلافية بين الأمّة يصدق عليها أنّها مما شجر بينهم فيجب في كلّ مسألة خلافية أن يحكّموه ﷺ، ويرجع إلى قوله ويسلموا ويركنوا إليه، ومخالفته ﷺ بالاجتهاد ضدّ ذلك.

فظهر أنّ المسألة الخلافية، لا يجوز مخالفة ما يظهر من قوله ﷺ فيها، سواء كان بالاجتهاد أو غيره، والمسائل الإجماعية وما لم يسبق إليه أحد بنفي أو إثبات أولى من ذلك.

أمّا الإجماعية فظاهر، وأمّا ما لم يسبق إليه أحد؛ فلأنّ اتباعه إذا وجب فيما تحقق قوله طائفة من المسلمين وشبهة شرعية بخلافه، ولم يمنع ذلك من وجوب اتباعه، ففيما لا يتحقّق فيه ذلك الذي يتوهّم مانعاً أولى.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦. (٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

وأيضاً لا قائل بالفصل، فإنّ الأمّة بين قائل بجواز مخالفته في الخلافيّات وغيرها، وبين ناف له فيهما جميعاً. وبهذا يندفع توهّم أنّ قوله ﷺ، ربّما كان ممّا أجمع على خلافه على أنّه قبل الإجماع على خلافه، كان مما لم يسبق إليه قول بنفي ولا إثبات، أو كان مما وقع فيه الخلاف. فإن قلت: هاهنا احتمال آخر ذهب إليه جماعة، وهو أن يُخطئ ﷺ وينبّه بالوحي على خطئه وما ذكرت لا ينفيه.

قلنا: هذا لا ينفع فيما نحن فيه، فإنّ الغرض أنّه ﷺ، لا يجوز مخالفته والعدول عن قوله بالاجتهاد، وأمّا أن ينبه بالوحي عليه، فكلام لا يسمن ولا يغني من جوع في جواز إبطال قوله ﷺ، وتخطئة رأيه وتصحيح ما صنعه جماعة من أصحابه خلافاً لأمره، وردّاً عليه حكمه فيما لا وحي يدلّ على خطئه، بل قرره الله تعالى وأمضاه على رأيه.

الوجه الرابع: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١) مفهوم الشرط إن لا تتّبعوني لا يحببكم الله ولا يغفر لكم ذنوبكم، وما كان موجباً لعدم محبّة الله وعدم مغفرة الذنوب، كان حراماً.

فإن قلت: كلّ ما هو مستحبّ كان موجباً لمحبّة الله، وربّما كان سبباً للمغفرة أيضاً، ويصحّ استعمال الشرط فيه ويكون مفهومه حينئذ: إن لا تفعلوه تفوت المحبة المترتّبة عليه، والمغفرة المسبّبة منه، فلا يدل على الوجوب.

قلنا: أوّلاً: إنّ رجحان الاتّباع كاف لنا، فإنّ من لا يجوز الاجتهاد عليه ﷺ، يجعل أمره واجباً ما دام لم يدلّ دليل آخر على خلافه أقوى منه، ومن يجوّزه يجعل تركه ومخالفته واجباً أو مندوباً أو مباحاً حسب ما أدّى إليه اجتهاده، ولا يجعل اتّباع أمره مندوباً أيضاً في أكثر الأمر. فالقول بأنّ اتّباع أمره مندوب لا محالة، خلاف الإجماع المركّب.

وثانياً: إنّ مفهوم الشرط يقتضي انتفاء الجزاء مطلقاً، لا الجزاء المقيّد بالشرط المقارن له، وإلاّ لم يصحّ الاستدلال بمفهوم الشرط في شيء من المواضع.

ولا يتوهّم أنّ الأمر بالاتّباع مطلق لا عام، فيصير حينئذ حاصل المفهوم: إن لا تتّبعوني في شيء لا يحبّكم الله أصلاً، لا أنّ المفهوم إن لا تتّبعوني ولو في أمر واحد لا يحبّكم الله؛ لأنّ الاتّفاق منّا ومن الخصم حاصل على أنّ المراد به الأمر بالاتّباع في جميع الأوامر، ولهذا استدلّوا به في مسألة التأسي. فتدبّر.

الوجه الخامس: قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(٢) وجه الدلالة أمور:

أحدها: أمره تعالى بالأخذ بما أمر به الرسول ﷺ.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

وثانيها: أمره تعالى بالانتهاء عمّا نهى عنه، فإن كان نهى عن خلاف ما أمر به فذاك، وإلاّ فالأمر بالشيء، نهي عن ضدّه عند أكثر علماء الأصول، وفي النهي بعكس الأمر.

وثالثها: تعقيبه الكلام بالوعيد الشديد والعقاب العظيم.

وأيضاً: في أمره بالتقوى بعد ذلك، إشعار بأنّ الأخذ والانتهاء المذكورين هما التقوى، وأنّ تاركه مسلوب عنه اسم التقوى مع أنّ النصوص الدّالة على الأمر به وحرمة تركه أدلة على الوجوب.

السادس: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1] وجه الدلالة أنّه متى كان قول الرسول ﷺ موجوداً، ثمّ قدّمنا اجتهادنا عليه لزم التقدّم بين يدي الله ورسوله. وقد دلّت صحاح أخبارهم على أنّ الآية نزلت في مماراة أبي بكر وعمر، في تأمير الأقرع بن حابس والقعقاع بن معبد، وقد كان ما تنازعا فيه من الأمور المتعلّقة بالحروب، ولم يكن سبق من رسول الله ﷺ فيه أمر، وإنّما أشار كلّ واحد من الرجلين لما رأى في تأميره من المصلحة بزعمه، وإذا كان مثل ذلك من التقديم المنهي عنه الموجب للتوبيخ الظاهر من سياق الآية، فالأمر في الاجتهاد فيما سبق فيه أمر منه ﷺ، وكان أشدّ تعلّقاً بالدين أولى وأظهر.

الوجه السابع: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[2] والرّدّ إلى الله ورسوله معناه إمّا التوقّف إلى أن يعلم حكمه بنصّ الكتاب والسّنة على ما هو الحقّ، أو المراد به القياس على الحكم الذي في الكتاب والسنّة. وعلى التقدير الأوّل يدلّ على بطلان القياس مطلقاً، وعلى الثاني يدلّ على بطلان القياس فيما وجد فيه نصّ من الكتاب والسنّة على ما شرح في التفاسير. وعلى التقديرين يبطل القياس في مقابلة النصّ وإذا بطل القياس في مقابلة النصّ ولم يجز العمل به فيما وجد فيه نصّ من الرسول ﷺ، لم يجز الاجتهاد والعمل به مخالفة لقول الرسول ﷺ، لأنّ كلّ من قال بعدم جوازه بالقياس، قال بعدم جوازه مطلقاً.

على أنّ الآية عامّة في كلّ متنازع فيه، سواء كان مما يؤخذ حكم طرفي النزاع، أو أحدهما من الكتاب والسنّة، أو لا. وقد حكم فيها بأنه يجب أن يرجع فيه إلى قول الله ورسوله ولا يحكم بأحد الطرفين، فعند مخالفة النبيّ ﷺ بالاجتهاد ولو بالاستنباط الظنّي من النصّ، يصدق أنّه مما يجب الرجوع فيه إلى النصّ، فلا يجوز الاجتهاد على خلافه.

بقي الكلام في أنّه ربّما كانت المسألة إجماعية فلا يصدق أنّها متنازع فيها، أو كانت مما لم يسبق إليه قول.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١. (٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

والجواب عنه قد سبق في تقرير الاستدلال بقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية.

الثامن: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾(١) ذمّهم على صدّهم عن الرسول ﷺ مطلقاً، فدلّ على أنّ هذا الفعل ممن كان وبأيّ طريق كان مذموماً غير سائغ، فلا يجوز مخالفته في شيء؛ لأنّه نوع من الصدّ.

التاسع: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قالوا: تقريره أنّ إرسال الرسول لمّا لم يكن إلاّ ليطاع، كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته، ومن كان كذلك كان كافراً مستوجباً للقتل.

وهذا الكلام منهم يدلّ على أنّهم فهموا منه عموم الإطاعة في جميع الأوامر، بمعنى أنّ الإرسال للإطاعة في جميع الأوامر والنواهي لا يجوز أن يخالف في شيء منها؛ لأنّ المقصود من إعلام أنّ الغرض من الإرسال هو الإطاعة، إيجاب الإطاعة على المرسل إليهم، لا مجرّد أنّ الغرض هو الإطاعة.

وقال الفخر الرازي: إنّ ظاهر اللفظ يوهم العموم، ولعلّهم إنّما فهموا ذلك؛ لأنّ المضارعة تفيد الاستمرار الزماني، ولا قائل بأنّ إطاعة النبيّ في كلّ زمان واجب وإن لم يجب في جميع الأوامر، لكن ذلك لا يوجب أن يكون ظاهر اللفظ ذلك، وإنّما يستلزم وجوب الإطاعة على وجه العموم في الواقع.

أو يقال: نزّل الأوامر الجزئية منزله في أجزاء الزمان. فأُريد بما يدلّ على عموم الثاني عموم الأوّل، كما أنّه يراد بالدوام والأبدية عموم الأفراد وبما يدلّ على تبعيض الأوقات تبعيض الأفراد.

وفيه أنّ ذلك مجاز غير ظاهر، ودعوى ظهوره بعيد. والتحقيق أنّ الطاعة ضدّ المعصية، والمعصية المضافة إلى الأمر تصدق بمخالفته ولو من وجه، والمضافة إلى الشخص الآمر تصدق بمخالفة أمر واحد من أوامره، فالطاعة للأمر هو عدم مخالفته بوجه من الوجوه، وللشخص الآمر هو عدم مخالفته في شيء من أوامره، ولهذا كانوا يكتفون في إعطاء القيادة للأمراء والتسليم لهم بأنّا سامعون لك مطيعون من غير تعميم لمطلق الطاعة. وقولهم: أطعناه في الأمر الفلاني دون غيره، مجاز خلاف الظاهر.

ويؤيّده أنّهم استدلّوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وبقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٢) على مسألة التأسّي، ولولا العموم لم يصحّ هذا الاستدلال.

العاشر: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ

(١) سورة النساء، الآية: ٦١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

إِلَيَّ﴾(١) وتقرير الاستدلال به على نمط الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ كما سبق في الوجه الأول.

الحادي عشر: قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾(٢) وتقريره ما علم سابقاً.

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾(٣) دلّ على أنّ طاعة الرسول في أيّ أمر كان سبب للكون مع النبيّين والصدّيقين، ولو كان النبيّ ﷺ مخطئاً في اجتهاده، وعُلم ذلك، لم يكن طاعته في ذلك الأمر سبباً لما ذكر، فدلّ على عدم الخطأ في الاجتهاد.

الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٤) دلّ على أنّ المأثور عن الأنبياء الأوّلين لا يحتمل الخطأ، وإلاّ لم يكن بين إتيانهم بالأثارة وعدمه فرق.

ويمكن المناقشة فيه بوجهين:

الأوّل: أنّا لا نسلّم أنّه يدلّ على عدم الخطأ في الأثارة، وإنّما يدلّ على عدم الصدق بدونها: يعني أنهم لا يقدرون على الإتيان بالأثارة الدالّة على الشرك، وما لم يأتوا بها لا يكونون صادقين في دعواهم؛ لأنّ ذلك ليس مما يعلم بالعقل المحض، فإن علم، فإنّما يعلم بالنقل، ولا نقل هاهنا، ولا ينافي هذا أن لا يكفي النقل المذكور في الشرك.

والثاني: إنّ ذلك من الأصول، ونحن لا نخالف في عدم جواز مخالفة النبيّ ﷺ، فيما قاله في أصول الدين، وإنّما نجوّز مخالفته في الفروع.

وكلتاهما خلاف الظاهر فلا ينافي التمسّك بظاهره.

الرابع عشر: الآيات الدّالة على النهي عن اتّباع الظنّ والاقتصار على العلم، وقول النبي ﷺ معلوم أنّه حكم الله ولو ظاهراً، ويجوز اتباعه، بل يجب، واجتهاد الأمّة إذا كان مخالفاً له، ليس بمعلوم أنّه يجوز اتّباعه لتحقّق الخلاف في ذلك، فمخالفته ترك للمعلوم الواجب المأمور، باتّباعه بالمظنون المنهي عن اتّباعه.

الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(٥) وجه الاستدلال أنّ من عرف اللسان لا يرتاب في أنّ مفاد الآية هو أنّ طاعة الرسول ﷺ ليس إلاّ طاعة الله عزّ وجلّ، فكما أنّ من خالف نصّ الله سبحانه بالاجتهاد ضالّ

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٥.
(٢) سورة الأحقاق، الآية: ٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٤.
(٥) سورة النساء، الآية: ٨٠.

غاوٍ، فكذلك من خالفه ﷺ بالاجتهاد، ومن جوّز مخالفته؛ لأنّه يقول عن اجتهاد لزمه القول باجتهاده وجواز مخالفته تعالى.

وقد فسّر الله تعالى ضدّ الطاعة في الآية التالية لهذه الآية بإضمار غير ما يقوله ﷺ، قال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[1] وقد استدلّ الفخر الرازي في التفسير بهذه الآية على عصمته ﷺ في جميع أقواله وأفعاله ثم قال:

وقال الشافعي في باب فرض طاعة الرسول ﷺ: إنّ قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[2] يدلّ على أنّ كلّ تكليف كلّف الله عباده في باب الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحجّ وسائر الأبواب في القرآن، ولم يكن ذلك التكليف مبيّناً في القرآن، فحينئذ لا سبيل إلى القيام بتلك التكاليف إلاّ ببيان الرسول ﷺ، وإذا كان الأمر كذلك لزم القول بأنّ طاعة الرسول عين طاعة الله، هذا كلام الشافعي. انتهى.

ولا يخفى أنّ في هذه الكلمات اعترافاً بأنّ الاجتهاد بخلاف أمره ﷺ قطعي البطلان، واجتهاد بخلاف أمر الله عزّ وجلّ، فلو فرضنا تعبدّه ﷺ بالاجتهاد، لم يجز مخالفته على حال من الأحوال.

السادس عشر: قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]. جعل عامة المفسّرين الضمير راجعاً إلى الرسول ﷺ.

وقول أبي بكر الرّازي إنّه راجع إلى الله سبحانه، لا عبرة به، على أنّه لو صحّ لكان بناء الكلام على ادّعاء أنّ مخالفة أمره مخالفته سبحانه، حتى تتلاءم أجزاء الآية، وحينئذ يتمّ المقصود بوجه أتمّ. وإذا كان مخالفة أمره ﷺ موضعاً للحذر عن الفتنة والعذاب الأليم، ظهر فساد الاجتهاد في خلافه، أمّا إذا جعل موافقة الأمر عبارةً عن الاعتراف بكون ذلك الأمر حقاً واجب القبول على ما زعمه البعض، فظاهر.

وأمّا إذا جعل بمعنى الإتيان بما أمر به على وجهه، فلأنّه إذا كان مخالفة أمره بهذا المعنى مظنّةً للعذاب والفتنة، كان الاجتهاد بخلاف ما أمر به باطلاً، وهو المدّعى.

الوجه السابع عشر: الأوامر المطلقة في إيجاب طاعة الرسول ﷺ مفردةً ومقرونةً بإيجاب طاعة الله سبحانه كقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨١.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.

تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[١] وهي في الكتاب الكريم أكثر من عشرين موضعاً، والاجتهاد بخلاف أمره ﷺ تصويب لمخالفة أمر الله عزّ وجلّ في إيجاب طاعة رسول الله ﷺ، وبطلانه واضح، وإفادة أمثال تلك الأوامر للعموم قد تبين في الأدلّة السابقة.

الثامن عشر: مما يدل على بطلان الاجتهاد على الوجه الذي يجوز مخالفته، أنّ أبا بكر وعمر كانا يقولان بأنّ حكمهما ربّما كان خطأ، وربّما كان صواباً، ويلتمسان من الصحابة وسائر من حضرهما أن ينبّهوهما على الخطأ، ولا يقرّروا ولا يداهنوا، ولقد كانت المداهنة من القوم في شأنهما والإغضاء على خطئهما أقلّ بالنسبة إليه ﷺ، والاحتشام منهم لهما دون الاحتشام له ﷺ، وتوهم تحتّم الصواب ووجوب الصحّة في قوله تعالى وفعله ﷺ أكثر، لا سيما بعدما تقرّر وتكرّر أنّه ﷺ لا يفعل عن شهوة، ولا يقول عن هوى، وإنّما كلامه ﷺ حكم، ونطقه فصل، وقوله عدل، وشهدت له بذلك الآيات المنزلة والسور المتلوّة، ولم يكن التوهّم في شأنهما بهذه المثابة ولا لهما هذه الأسباب والدواعي، كيف وفي حقّه ﷺ نزل ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢] ونهى عن معصيته وأوعد على مشاقّته ومحاقّته، ولا شيء من ذلك فيهما ولا لهما، فكان النبيّ ﷺ أحقّ وأحرى بأن ينبّه على أنّ قوله ربّما يباين الصواب، ويخطئ في إصابة الحقّ، وكيف أهمل ﷺ طول هذه المدّة المديدة وأضاع في تلك الأزمنة المتطاولة أن يجنّب أمّته اتّباع الباطل، ويحذرهم الاقتداء بغير الحقّ، ويصونهم عن الإصرار على ما لا ينبغي ويخالف حكم الله، وقد وفّق له أبو بكر وعمر واهتديا إليه السبيل.

ولو قال قائل: إنّ هذا التنبيه والإيماء كان أولى ولم يكن واجباً، كان الدليل قائماً والحجّة مستقيمة أيضاً، لأنّ ترك النبيّ ﷺ هذا الأولى والأليق والشفقة على الأمّة والنظر لها، واختصاصهما بهذه المنزلة وانفرادهما بهذه الفضيلة وإصرارهما على هذا القول الذي يرويه الناس في معرض مدحهما ويعدّونه من فضائلهما، مما تأباه القريحة السليمة، أفلا قال ﷺ إنّما أنا مثلكم أُخطئ وأُصيب، كما آكل وأشرب وأمشي في الأسواق؟

ومن علم عادته وتتبّع سيرته ﷺ لم يثنه ولم يختلجه شكّ في أنّه لو كان ما قالوا مما له مساغ في طريق الصدق، لم يهمل النبي ﷺ أمره، ولا أغفل عن أن يهدي الناس إليه، لكنّ الإنصاف ارتحل من البين، والعصبية أرخت سدول الغشاوة على العين.

الوجه التاسع عشر: مما يدلّ على ذلك احتجاج أبي بكر على الأنصار يوم السّقيفة كما رووه بقوله: «الأئمّة من قريش». وتسليم الأنصار الأمر إليه، وانكسارهم بذلك عن سورتهم، فما بالهم لم يقابلوا حجّته بأن يقولوا: أيّ دليل في هذا لك وقد علمت أنّه ﷺ

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٤. (٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

ربّما يقول القول عن رأي واجتهاد وطالما أخطأ ورجع فلا حجّة في ذلك ولا يصلح؟! خصوصاً فيما يتعلق بالولاية والزعامة، فإنه قلّما يكون عن وحي سماوي وتنزيل إلهي، مع شدّتهم في أمرهم ووصيّتهم فيما بينهم بأن شدّوا على أيديكم ولا تملّكوا أمركم أحداً. حتى أنّ حبّاباً كان قد قبض على قبيعة سيفه، وكان سعد طول حياته يعترض ويصرّح ببطلان أمرهما ويلمح بالتّغلّب والعدوان إليهما، ويتلظّى كبده عليهما، وجميع الأنصار كان شأنهم ذلك وحالهم هذا إلاّ قليلاً منهم، وما قالوا في هذا الباب وحفظ عنهم من النظم والنثر مشهور، وفي السير والتواريخ مذكور. وكيف غفلوا عن هذا التوهين القويّ لحجّتهم؟ هب أنّهم عن آخرهم أخذتهم الغرّة، وغشيتهم الغفلة في أوّل الوهلة وبادئ الأمر، فهلاّ استدركوا ثانياً واحتجّوا مرّةً أخرى؟

العشرون: قول أبي بكر: «أقول في الكلالة برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمنّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان». فإن كان رسول الله ﷺ أسوة أبي بكر في جواز الخطأ عليه، لم يكن لهذه التبرئة والتنزيه وجه.

الحادي والعشرون: ما روي عن ابن مسعود أنه قال في المفوّضة: «أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمنّي ومن الشيطان». وهذا التفصيل قاطع للشركة، وهاتان الروايتان مشهورتان، أوردهما العلماء في كتب الأصول واستدلوا بهما على مسائل من أحكام الاجتهاد، ومن جملتها كتاب الأحكام للآمدي.

الثاني والعشرون: قول عمر بن الخطاب «أيكم يرضى أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول الله» أو ما في معناه كما سبق. وقوله الآخر: «رضيك لأمر ديننا أفلا نرضاك لأمر دنيانا».

ولا يخفى أنّ الصلاة إمّا من الأحكام والأمور التي يجوز فيها الاجتهاد ويحتمل الخطأ، أو ممّا يكون بوحي إلهيّ لا بدّ منه.

فعلى الأوّل لا وجه للاستدلال به؛ لأنّ لهم حينئذ أن يقولوا: نحن قد اجتهدنا ورأينا أنّ الصواب في ضدّ ما فعله ﷺ، وأنّ الأوفق بالمصلحة خلاف ما رآه، ولا يمتنع ذلك عليه ولا نرضى بذلك، وأي استبعاد في هذا الرضا؟ وإنّما يصحّ هذا الاستبعاد في ما لا يجوز فيه الخطأ ولا يتطرّق إليه البطلان.

ولئن قيل: إنّ الغالب عليه الصواب وإن جاز الخطأ أحياناً، وما يغلب عليه الصواب ينبغي أن يحترز ويجتنب تركه، والمركوز في العقول التباعد عن مخالفة مثله، لأنّ الخطأ مظنون فيها. قلنا: إمّا أن تكون الأنصار نازعت أبا بكر وادّعت الإمامة لنفسها بدون متمسّك واجتهاد، أو رأته كذلك وقالت ما قالت عن شبهة تعتقدها دليلاً أو تظنها حجّةً، والأوّل مما لا يقدم عليه مثل الأنصار الذين آووا ونصروا، وهم كبار الصحابة وأعلام المسلمين وخيار الناس وأعيان أهل الدين، وكيف يقدم مثلهم على هذا الفسق الواضح؟! أفلا كان في الأمّة

من يطعن عليهم بالفسق والعصيان؟ ولو كان، لنقل إلينا وهذا النوع من الاستدلال قد شاع بين القوم التمسّك به.

وأيضاً أجمعت الأمّة إجماعاً مركّباً على أنّ كل من قال في الإمامة بالرأي ودان فيها بالاجتهاد فاسق، أو أنّهم أتوا بأفضل عبادة وأُثيبوا وإن لم يصيبوا.

وإمّا أنّ بعضهم أصاب الحقّ واليقين وآخرون فسقوا عن الدين، فمنفيّ إجماعاً، فتعيّن أن يكون الأنصار ومن يحذو حذوها قالت ما قالت عن شبهة، فكان الواجب على عمر أن يتمسك برجحان اجتهاده ﷺ على اجتهادهم بواحد من الوجوه التي تصلح للترجيح من الأمور المقررة في الأصول. وعلى الثاني، كان عليه أن يثبت بدليل أنّه صادر عن الوحي لا عن الاجتهاد، ويأتي بحجّة تعيّن كونه من أحد القسمين دون الآخر.

وأيضاً لا معنى لقياس ما يجوز فيه الاجتهاد ويسوغ عليه الخطأ، كأمر الإمامة والرئاسة على ما يجب استناده إلى الوحي والتوقيف، وكيف شبّه أحدهما بالآخر مع هذا الفارق الجلي الواضح؟!

الثالث والعشرون: قول عمر حين قال بعض المرتابين في جيش أسامة لرسول الله ﷺ: «أتؤمّر علينا هذا الشابّ الحدث ونحن جلّة مشيخة قريش!؟»: دعني يا رسول الله أضرب عنقه فقد نافق.

وهذا يدلّ على أنّه يلزم بمجرّد مخالفة النبيّ ﷺ النفاق والكفر، ولا يجوز مخالفته ﷺ، سواء كان قوله عن اجتهاد أو لا، وسواء كان في الولايات والحروب أو غيرهما، وإلاّ فمن أين يلزم نفاقه وكفره ويحلّ ضرب عنقه؟!.

وكيف قرّره ﷺ على هذا الرأي الفاسد والزعم الباطل!؟ ولم ينكر هو عليه ولا أحد من الصحابة والتابعين؟ وأين كان أعداؤه المتتبّعون لعثراته وزلاّته، الطالبون لخطاياه وأغلاطه عن هذا الخطأ الظاهر!؟

وكيف لم يطعن الفقهاء عليه طول هذه المدّة ولم يعترض عليه؟ حتى أنّ الذين كانوا على رأي الروافض في الصدر الأوّل عطشى الأكباد لأدنى هفوة من هفواته، كهشام بن الحكم، ومحمد بن النعمان الأحول، وغيرهم ممن عُرِفوا بهذه الخصلة وعدّوا من أصحاب المقالات والنحل، لم يطعنوا عليه هذا الطعن مع حرصهم على الإزراء به، وولوعهم على تشهير مساويه ومثالبه!؟ ولولا أنّ هذا كان في الزمن السالف إجماعياً غير مختلف فيه ما أغمضوا عليه ولا تغافلوا عنه.

وإنّ ما ذكرناه أقوى في باب العبادات، والمعلوم من أحوال الناس من جميع ما يذكرونه في هذا النمط ويستدلّون عليه بها، وإنّما هذا القول البديع والإفك المفترى، شهادة زور وأماني غرور اختلقها جماعة من المتأخرين، ترويجاً لبعض ما ينتحلونه، وترميماً لأفعال شيوخهم وأئمّتهم، وهيهات هيهات! وأنّى لهم بذلك وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون؟

الرابع والعشرون: قول عمر أيضاً يوم بدر- حين قال أبو حذيفة في بعض ما كلّم به النبيّ ﷺ، وقد كان ﷺ يوصي أن لا يقتل أحد من بني هاشم، لأنّهم استكرهوا ولم يخرجوا طائعين فقال أبو حذيفة: «أنقتل آباءنا وإخواننا ونترك بني هاشم؟ فلو أنّي لقيت عمّ النبي ﷺ لأضربنّ خياشمه بالسيف حيث قال عمر -: «إنّ أبا حذيفة قد نافق». واستئماره النبيّ ﷺ بقوله «دعني أضرب عنق هذا المنافق». ولم ينكر النبيّ ﷺ على عمر قوله، ولو كان الأمر على ما زعموه لكان الحري بالهادي المهدي الراشد المرشد المبعوث للدلالة والهداية أن يقول: أيّ رابطة زعمت بين إنكار قولي وبين النفاق. بل هو طاعة لله، فإن كان صواباً فله أجران، وإلاّ فأجر واحد، خصوصاً في الحروب وتدبير أمر الجيوش والمغازي، سيّما يوم بدر الذي كان المسلمون فيه في غاية القلّة ونهاية الضعف، ولم يشتدّ ساعد الإسلام بعد، وكانت إثارة الإحن مجلبة للمحن، فلولا أنّ عمر كان مصيباً في ذلك لما تغافل عنه النبيّ ﷺ ولم يعتذر بأنّه يحبّ الله ورسوله، ولم يذهب في إصلاح ما بدا منه في الظاهر إلى أمر الباطن، ومن المعلوم أنّ الظاهر إذا لم يفسد، لم يجز العدول في جواب قدح القادح فيه إلى أنّ باطنه على خلاف ما يوهمه ظاهره، فإنّ ذلك كلام من يسلّم من خصمه صحة مقدّماته التي ادّعاها، ولكنّ ذلك القدر لا يكفي في المطلوب، بل العمدة أمر الباطن وهو ملاك الأمر.

ولو كان الأمر كما زعمه القوم لكان النبيّ ﷺ يقول صادعاً بالحقّ: أن لا غائلة في قول أبي حذيفة ولا قدح، وإنّما ذلك أسوة سائر الكلمات التي يسوغ لكلّ أحد أن يكلّمني، لو لم يكن عبادةً فلا أقلّ من أن يكون مباحاً، ولم يكن يعرض بأمر باطنه وصحة عقيدته، ولا يحيل على أمر غير ظاهر للناس خفيّ عن الأبصار.

الخامس والعشرون: أنّ الناس اجتمعوا على عثمان زارين عليه طاعنين فيه بمخالفته رسول الله ﷺ والعدول عن سنّته، وعدّدوا عليه أموراً، فلو جاز لأحد أن يخالفه بالاجتهاد لكان لعثمان أن يجيب خصمه بذلك ويناظرهم عليه، أو يرشدهم إليه، وما رأيناه فعل ذلك مع كثرة المواقف التي واقفوه فيها كما مرّ بعضها، ولو فعل لنقل إلينا، ولقد كان كثير من الصحابة الذين طعنوا عليه واجهوه بما يسوؤه، وعابوه حين غابوا، وزجروه إذ حضروا عنده، ولم يعتلّ هو بأنّي اجتهدت ورأيت أنّ الصواب في خلاف ما قاله وفعله، وقد علمتم أنّه كثيراً ما كان يقول شيئاً ويخالفه الناس لخطأ في رأيه، وما قال: أنا اليوم إمام القوم أولى منهم بذلك، ولو ساغ ما قلتم، استحال أن يتغافل عنه عثمان أو غفل هو وأتباعه والمصحّحون لما فعله في عصره، ولو احتجّ واعتلّ بذلك، استحال في العادة أن لا ينقل إلينا ولم ينقل.

الوجه السادس والعشرون: أنّه لما كلّم عثمان أبا بكر وعمر في ردّ الحكم، أغلظا له القول وزبراه وقال له عمر: يخرجه رسول الله ﷺ وتأمر أن أدخله!؟ والله لو أدخلته لم آمن

أن يقول قائل: غيّر عهد رسول الله ﷺ، والله لأن أشقّ باثنتين كما تشق الإبلة - وهو خوص المقل - أحبّ إليّ من أن أخالف لرسول الله ﷺ أمراً، وإيّاك يا ابن عفّان أن تعاودني فيه بعد اليوم.

ولو جاز مخالفته ﷺ بالاجتهاد، لم يكن لعمر أن يردّ قول عثمان ويدفعه بأنه مخالفة الرسول ﷺ، وأنّ شقّه باثنتين أحبّ إليه منها، بل كان ينبغي أن يناظره ويحجّه بطريق الاجتهاد وسنّة النظر ومراعاة المصالح والمفاسد، ويرى عثمان وجه خطئه، وأنّه في أيّ موضع من مقدّمات الاجتهاد وقعت له الغفلة وحصل منه الإهمال، وما نراه فعل هو ذلك ولا أبو بكر.

السابع والعشرون: قول عمر بعدما سمع الخبر في دية الجنين: «لو لم نسمع لقضينا فيه بغير هذا». وروي أنّه قال: «نقضي فيه برأينا»: فدلّ على أنّه كان يترك الرأي بخبر الواحد، ولم ينكر على عمر أحد قوله وكان يرى التفاوت في دية الأصابع، فرجع عن رأيه بخبر عمرو ابن حزم، أنّ في كلّ إصبع عشرة.

الثامن والعشرون: حديث أبي الدّرداء حيث روى نهي رسول الله ﷺ عن بيع أواني الذهب والفضّة بأكثر من وزنها. فقال معاوية: لا أرى بذلك بأساً.

فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية! أخبره عن رسول الله ﷺ وآهل ويخبر عن رايه؟ لا أُسكانك بأرض أبداً.

دلّ كلام أبي الدرداء هذا على أنّ مقابلة النص بالرأي غير مشروع، ولم يخصّص في إنكاره بالأحكام، بل أطلقه بحيث يتناول الحروب وغيرها، ولو كان هناك فرق بين خبر وخبر ورأي ورأي، لما صحّ له الإطلاق.

التاسع والعشرون: أنّ عمر كان يرى أنّ الدّية للورثة ولم يملكها الزوج فلا ترث الزوجة منها، فأُخبر أنّ الرسول ﷺ أمر بتوريثه منها، وهو خبر الضحّاك بن سفيان بأنّه كتب النبيّ بتوريثها من الدية. قال الآمدي: ترك عمر اجتهاده في منع ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الواحد وقال: أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلّوا وأضلّوا كثيراً.

وهذا، وإن كان مورده الميراث إلاّ أنّ فحوى الكلام هجر الرأي بخبر الواحد مطلقاً، وهذه الأخبار ما استدلّ به العلماء في كتب الأصول على أحكام خبر الواحد.

الثلاثون: ما روي أنّ عمر جاء رسولاً إلى أبي بكر من قبل أعيان الجيش، فاستأذنه في رجوع أسامة متعلّلاً بأنّ معه من وجوه الناس، ولا نأمن على خليفة رسول الله ﷺ وحرمه وحرم المسلمين أن يتخطّفهم المشركون حول المدينة. فقال أبو بكر: لو تخطفني الكلاب والذئاب لم أردّ قضاءاً قضى به رسول الله ﷺ.

ولمّا أدّى إليه عمر رسالة الأنصار وسؤالهم أن يولّي عليهم أحداً أقدم سنّاً من أسامة وثب

من مكانه - وكان جالساً - وأخذ بلحية عمر بن الخطاب فجرّها وقال: ثكلتك أمّك يا بن الخطّاب! استعمله رسول الله وتأمرني أن أنزعه!؟

وقد كان وجه المصلحة فيما رأوه باجتهادهم ظاهراً، فلولا أنّ مخالفة النبيّ بالاجتهاد غير سائغ لما ساغ لأبي بكر أن يجيبه بالردّ من عرض الخلافة عليه أوّلاً، وأفضى بها إليه أخيراً وأن يزري بقدره ويستخفّ به ويستهزئ ذلك الاستهزاء الذي لا يفعله الجلف الجافي بسوقي ساقط المحلّ.

وكيف ساغ له أن يأخذ بلحيته الكثيفة ويخاطبه بالثكل والويل وهو غير مستحقّ لذلك، سوى أنّه تحمّل رسالة كلّها أجر وثواب، وجلّها صدق وصواب بزعمهم، وقد صدرت عن اجتهاد جماعة من المسلمين هم ذروة الأمر وسنامه وأساس الإسلام وقوامه؟

وهل يغضب ذو الدين على الحاكي طاعة جماعة من المسلمين وعبادتهم، ويفعل فعل من لا صبر له، واستشاط غيظاً وتلهّب غضباً، فلولا أنّ الأمر بمخالفة النبيّ ﷺ ولو كان عن اجتهاد - كان فظيعاً شنيعاً لما ظهر منه ذلك الصنيع مع اتفاق كان بينهما في النفاز واتّحادهما في الإلحام واجتماعهما على ترويج الباطن؟

وهذا آخر ما أردنا إيراده من الأدلّة في هذا الباب وفيها كفاية لأولي الألباب.

ولنشر إلى بعض شبه المخالفين

الأولى: قوله سبحانه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[1] قالوا: عاتبه على الإذن لمن أراد أن يتخلّف عنه والعتاب لا يكون إلاّ عن خطأ والخطأ لا يكون في الوحي بل في الاجتهاد؟ وقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ والعفو لا يكون إلاّ عن ذنب.

والجواب عنه: أمّا أوّلاً فبأنّا قد روينا عن أهل بيت العصمة عليهم السلام - كما مرّ مراراً - أن القرآن نزل بـ: «إيّاك أعني واسمعي يا جارة»، وهي مروية في كتبهم أيضاً عن ابن عباس، وفي معناه عن طرقنا أخبار كثيرة، فلعلّ ذلك كان بإشارة الأصحاب الذين تقول فيهم ما تقول، ونزلت الآية عتاباً لهم وردّاً عليهم لقلّة نصحهم وسوء صنيعهم.

وقد مرّ في الكتاب أشباهها من قوله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2] وقوله سبحانه مخاطباً لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[3] وللتعريض باب عريض، فلا يستبعد كون المراد بالآية المذكورة تعريضاً وتوبيخاً لمن

(١) سورة التوبة، الآية: ٣. (٢) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

حمله عليه السلام على الإذن وألجأه إليه وصنع ما انقلبت معه المصلحة عن وجهها وانعكس أمرها وانحصرت في الإذن إلى غير ذلك.

ثمّ نقول لهؤلاء القوم: لا يخلو النبيّ صلى الله عليه وآله في إذنه لهم من جهة الخطأ في الاجتهاد من أن يكون آثماً أو تاركاً للأولى، أو لا هذا ولا هذا، بل إما مثاباً مأجوراً أو فاعلاً مباحاً والأول خلاف الإجماع، ولم يظهر قائل بالثاني أيضاً بل المشهور هو الثالث.

فإن كان استعمل لفظ العفو والمعاتبة معه صلى الله عليه وآله، من جهة أنّه ترك الأولى، فقد خرجنا وهؤلاء الخصوم رأساً برأس، فإنّ المشهور عند أصحابنا الإمامية حمل هذه الآية وأمثالها على ترك الأولى بدون أن يكون خطأ في الاجتهاد، بل يكون تعمّداً لترك الأولى عندهم، كما يحملون خطيئة آدم عليه السلام مع ما وقع عليها من المعاتبات وغيرها على ترك الأولى، فلا ترجيح معهم.

وإن كان من جهة الخطأ في الاجتهاد بدون أن يكون هناك ترك الأولى، بل إمّا أن يكون فعل فعلاً مباحاً أو أتى بنافلة وعمل بمندوب وأطاع الله فيما أمره به وأقام وظيفة عبادته، فلينصفوا حينئذ من أنفسهم، ولينظر اللبيب في أنّه هل يكون استعمال لفظ العفو وإيقاع المعاتبة في صورة ترك الأولى عمداً أحسن موقعاً أم استعماله في خطأ وقع أثناء الاجتهاد؟ مع أنّه لم يفعل فعلاً مرجوحاً بل أمراً مباحاً، ولعلّ من له أدنى حظّ من الإدراك لا يرتاب في أنّ تأويل الإمامة أقرب بمراتب وأولى بدرجات كثيرة.

ومما ينبغي أن يعلم أنّ قوله صلى الله عليه وآله وإذنه لهم من حيث إنّه قول وحكم لا يوصف بأنّه ترك الأولى؛ لأنّ الحكم من حيث أنّه حكم كان أمراً مطابقاً للواقع من جملة أحكامه عليه السلام، فكان القعود لهم جائزاً بحسب الواقع، وإنّما كان ترك الأولى في إظهاره لهم وعدم منعهم من القعود.

ويحتمل أن يقال: لم يكن قعودهم جائزاً في الواقع، بل كان الواجب عليهم أن يخرجوا إلى الجهاد، لكن كان الأولى له أن يمنعهم ولا يأذن لهم.

ولا استبعاد في أن يكون قعودهم محرّماً وإذنه عليه السلام بحسب ما يظهرونه من الأعذار ويتعلّلون بالعلل جائزاً، فربّ أمر كان في الواقع حراماً والإذن فيه من حيث الظاهر جائزاً، كما سيأتي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، سلّم من شهد عليه شاهدان بالسرقة إليهما ليقطعاه فأرسلاه وفرّا، مع أنّ قطعه كان محرّماً عليهما، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أذن لأهل الذمّة أن يقرّوا على مذهبهم ويستمرّوا على دينهم مع أنّه محرّم عليهم.

وأذن لعثمان في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، مع أنّه كان على عثمان أن لا يستأذنه صلى الله عليه وآله وأن لا يؤمّنه. وأذن أمير المؤمنين عليه السلام لطلحة والزبير في الخروج إلى العمرة، مع أنّه كان يعلم أنّه محرّم عليهما وكان يتظاهر بذلك.

غاية ما في الباب، أن يكون عدم الإذن فيما نحن فيه أولى، وإذنه تركاً للأولى، فإذا جاز أن يكون الإذن في المحرّم جائزاً مباحاً فأولى أن يكون تركاً للأولى.

الشبهة الثانية: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١)

قالوا: لولا أنّه أخطأ في أخذ الفدية لما عوتب على ذلك.

وقد يقال إنّ مدلول هذه الآية نهي عن الأسر وقد وقع الأسر بلا شبهة. وأيضاً قد أمر بالقتل والأسر ضدّه، وقد روي أنّ عمر بن الخطاب دخل على رسول الله فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال: يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاءً بكيت. فقال: أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة وأشار بشجرة قريبة منه. والبكاء ونزول العذاب قريباً دليلان على الخطأ.

وهذا أقصى ما قالوه في تقرير هذه الشبهة فنقول في جواب هذه الشبهة:

أمّا الأسر فلعلّه كان منهيّاً عنه ولم يأسر رسول الله ﷺ أحداً، وإنّما أمر بالقتل فخالفوه على ما ذكره السيد المرتضى رحمه الله في كتاب تنزيه الأنبياء.

ويرد على ذلك أنّ أمير المؤمنين أسر عمرو بن أبي سفيان أخا معاوية على ما جاءت به الرواية، وأشار عليه السلام إليه في كتابه إلى معاوية، فلو كان الأسر منهيّاً عنه لم يفعله علي عليه السلام.

ويمكن أن يكون الأسر في الواقع كان منهيّاً عنه بالنسبة إلى كلّ أحد مقيّداً بالغاية المذكورة في الآية، وإذا انتهى الرجل إلى الغاية صحّ منه الأسر، وقد كان عليّ عليه السلام أثخن في الأرض حتى أنه قتل ما يقرب من نصف عدد القتلى، وغيره ما كان بلغ معشار ما بلغ صلوات الله عليه. أو يقال: لعلّ الإثخان كان حاصلاً حين أسر علي عليه السلام من أسر ولم يكن حاصلاً حين أسر غيره.

وقد قال السيد المرتضى قدّس سرّه: إنّهم لما تباعدوا عن العريش وعن مرانه ﷺ، أسروا من أسروا من المشركين بغير علمه ﷺ ولا يبعد أن يكون هو عليه السلام لم يأسر حتى في الكفّار وانهزموا وتباعدوا وانتهى الأمر إلى آخره ووضعت الحرب أوزارها، فحينئذ أسر من أسر. ويمكن أن يكون هذا الأسر مستثنى من العام لحكمة تعلّقت به، وقد افتكوا به رجلاً من الأنصار، وكان حبسه أبو سفيان بابنه وكان الغرض من الأسر هو هذا، والقرينة على أنّ مثله مخصوص من العام أنّ التوبيخ في الآية تعلّق بإرادة الدنيا وحطامها وأعراضها، ولو لم يكن المقصود من الأسر العرض الأدنى والنصيب الأخسّ والمطلب الأركس لم يكن داخلاً في النهي.

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٦٧-٦٨.

واعلم أنّ حديث الأسر وكونه منهيّاً عنه ساقط فيما نحن فيه من الاجتهاد وكونه واقعاً على وجه الخطأ، وإنّما يتّجه التمسّك به في نفي العصمة، فإنّ القائل بأنّ الاجتهاد وقع خطأً، لا يقول بأنّه وقع مخالفة للنصّ وعلى وجه المعصية حتى يكون مما يستحق عليه العذاب العظيم والذي يتمسّك به في معصية النبيّ ﷺ لا يقول بأنّه وقع على سبيل الخطأ في الاجتهاد.

ويمكن أن يوجّه بأنّ النهي إنّما حصل بهذه الآية ولم يكن نهي صريح سابقاً كيف والاتّفاق حاصل على أنّه لم يكن هناك نهي ونصّ.

وأمّا الأمر بالقتل في قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1] فالمراد به الكثرة لا محالة، لا عموم ضرب أعناق الكفّار بلا خلاف، فالقتل المدلول عليه بالآية لا ينافي الأسر.

ومما يدلّ على أنّ المراد به الكثرة، هذه الآية، فإنّها كالمفسّرة لتلك، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾[2].

فلعلّه عليه السلام علم المراد قبل نزول هاتين الآيتين أو بواحدة منهما أو بغيرهما، فقد ظهر أن القتل المأمور به هو الإثخان فيه والإكثار منه وهذا غير صريح في النهي عن الأسر.

ولمّا دلّ الدليل على عدم صدور المعصية منه عليه السلام، تعيّن الحمل على ذلك. وقد حصل التوبيخ له ﷺ والعتاب في هذه الآية ولا وجه له حينئذٍ سوى أنّه اجتهد وأخطأ في الاجتهاد. وهذا تقريره على وجه ينطبق على ما نحن فيه.

وأنت خبير بأنّ الخطأ في الاجتهاد إمّا أن يكون ناشئاً عن تفريط وتقصير يعدّ ذنباً ومعصيةً، أو لا، بل يقع موجباً للثواب ومقتضياً للأجر الجميل، وعلى الأوّل فقد بطل استدلاله، إذ لو كان ذنب لا محالة لازماً فأيّ دلالة في الآية على الاجتهاد والخطأ فيه.

وعلى الثاني، لم يصحّ ترتّب العقاب على الفعل المندوب لا محالة، الموجب للأجر والثواب، ولا قائل بأنّ المخطئ في الاجتهاد تارك للأولى غير مستحقّ للثواب، ولا بأنه مع عدم تفريطه مستحقّ للعقاب إلاّ شرذمة قليلة لا يعبأ بهم، ولم يبق أحد منهم على أنّ الكلام معهم هو الكلام على الاحتمال الأوّل.

وقول الفخر الرازي: إنّ الخطأ في الاجتهاد وإن كان حسنة، إلاّ أنّه حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين، فلذلك حسن ترتّب العقاب عليه، فيه نظر لأنّه بعد تسليم صحّة ترتّب العقاب عل الحسنة بناءً على أنّ هاهنا ما هو أحسن منها، فلم لا يجوز أن لا يكون هاهنا خطأ في الاجتهاد؟ بل أصاب في اجتهاد وعلم الحسن والأحسن، واختار الحسن على علم منه. أفترى أنّه يمتنع من النبيّ ﷺ ترك الأحسن والعمل بالحسن، إذا كان علمهما وميّز بينهما؟

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٢.
(٢) سورة محمد، الآية: ٤.

وإنّما لا يمتنع إذا لم يعلمهما وحسبهما متساويين، فلا توجب الأصلح والأحسن على الله سبحانه وتوجبه على النبيّ ﷺ.

وقد زعمت أنّ ترك الأحسن، والعمل بالحسن مما تكرّر منه ﷺ. فقد رويتم أنّه ﷺ عبس في وجه ابن أمّ مكتوم فعاتبه الله على ذلك، كما مرّ، وعندكم أنّه محمول على ترك الأفضل أو الصغيرة.

ورويتم أيضاً أنّه ﷺ حرّم مارية القبطيّة على نفسه، وعند أصحاب هذا القول أنّه ﷺ أذنب وأنّ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إيماء على العفو عن هذه الزلّة، وأنّ قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[١] وأمره بالاستغفار في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وما رُوي أنّه ﷺ كان يستغفر في اليوم والليلة سبعين مرّة، محمول على الذّنب، أو على ترك الأفضل والأولى. ونظائر ذلك كثيراً، فما الذي كان باعثاً على أنّ الله تعالى خالف عادته في ترك النكير عليه، وبهذا يعلم أنّ هذا العتاب والإنكار ليس مبنيّاً على ترك الأحسن، سواء أنشأ عن اجتهاد أو غيره.

وبما ذكرنا، يعلم جواب عن قولهم إنّه ﷺ كان مأموراً بالقتل والأسر ضدّه وليس لأحد أن يقول: إنّ الأمر تناول حال الحرب وما بعده، ولو كان بغير اختيار النبيّ ﷺ، فلا ريب في أنّ إبقاءهم بعد الحرب كان باختياره، وهو مناف للأمر بالقتل لأنّا نقول: الأمر بالقتل كان مقيّداً بحال المحاربة كما هو المتبادر من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾[٢] فإنّ الظاهر من الأمر بضرب الرقاب وقت اللقاء وهو حال الحرب، ولا يسمّى ما بعد الحرب وحصول الأسرى مكتوفين بأيدي الخصوم وتبدّد شملهم وزوال فئتهم عن مراكزهم، لقاء.

وأيضاً المتبادر من مثل هذه العبارة حدثان ذلك الفعل وفواتحه، لا أواخره، وإن دام على أنّ ضرب الأطراف الذي فسّر به ضرب البنان غير معهود من صاحب الشرع في الأسير، فإنّه يجري مجرى المثلة، وإنّما يجوز وقت التحام الحرب وحين المسايفة.

وربّما قيل: إنّ الأسر أضيف إلى النبيّ ﷺ حيث قال عزّ من قائل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣] ولولا أنّ الأسر وقع بأمره وإذنه، ما كان يضاف إليه ﷺ. وأجاب عنه السيد المرتضى رحمه الله بأنّ الأصحاب إنّما أسروهم ليكونوا في يده ﷺ، فهم أسراؤه ﷺ ومضافون إليه وإن كان لم يأمرهم بأسرهم. انتهى.

ونظيره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[٤] مع أنّ المطلّق لغير العدّة كان عبد الله بن عمر، ولم يأمره ﷺ بذلك الطلاق، وقد أضيف إليه الطلاق وخصّ بالخطاب.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٧.
(٢) سورة محمد، الآية: ٤.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ١.

وممّا يدلّ على أنّ إبقاء الأسرى لم يكن إثماً، ما روى الواقدي عن عليّ عليه السلام أنّه كان يحدّث ويقول: أتى جبرئيل النبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدر فخيّره في الأسرى بين أن يضرب أعناقهم، أو يأخذ منهم الفداء ويستشهد من المسلمين في قابل عدّتهم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه وقال: هذا جبرائيل يخيّركم في الأسرى بين أن يضرب أعناقهم، أو تؤخذ منهم الفدية ويستشهد منكم قابلاً عدّتهم بأحد. قالوا: بل نأخذ الفدية ونستعين بها ويستشهد منّا من يدخل الجنة، فقبل منهم الفداء، وقتل من المسلمين قابلاً عدتهم.

وطعن من طعن في هذا الحديث بأنّه ينافي العتاب على أخذ الفداء من باب الطعن بالمجهول على المعلوم. مع أنّ ابن حجر ذكر في شرحه لصحيح البخاري أنّ الترمذي والنسائي وابن حبّان والحاكم رووه عن عليّ عليه السلام بإسناد صحيح.

ويدلّ عليه أيضاً، أنّ إبقاء الأسرى قد كان بإذنه وما كان يسع المرؤوس، إذا أذن الرئيس وأمر أن يخالف ويختار، لا سيّما في مثل هذا الخطب الجليل والشأن العظيم، خصوصاً بعدما أبرم مرائر أمر أتباعه وطاعته، وأوعد على معصيته في الكتاب الكريم، فكانت التّبعة على الآذن المطاع والآمر الواجب الاتباع، ولكان هو المستحقّ لتوجّه العتاب والتقريع ولم يقع الأمر كذلك، بل خصّوا بالعتاب والتهديد دونه صلى الله عليه وآله، وغاية الأمر أن يعمّه صلى الله عليه وآله معهم، وكذلك استشارة النبيّ صلى الله عليه وآله أصحابه في أمر الأساري وأخذ الفداء منهم، دليل على أنّه لم يكن النصّ تناوله، ولو كان خاصّاً أو عامّاً تناوله، فكيف غفل النبيّ صلى الله عليه وآله عنه مع طول مدّة المشورة والبحث عن أمرهم؟ حتى روي أنّ أبا بكر وعمر كلّماه متناوبين متعاقبين مراراً عديدة، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل خيمته ثمّ بعد أمَة خرج واستأنف أمر المشورة، وكان الناس يخوضون في كلامهما ويقول قائل: القول ما قال أبو بكر. وقائل: القول ما قال عمر.

ورووا أنّه تمثّل لهما بالملائكة وحالهم وحال عدة من الأنبياء عليهم السلام، وتلا عدّةً من الآيات أفلم يخطر بباله تلك الآية النازلة في الواقعة التي هو بصددها. وتذكر الآيات النازلة في شأن الأنبياء عليهم السلام ووقائعهم، حتى تمثّل بها لأبي بكر وعمر.

وكيف لم يذكر أبو بكر هذه الآية حتى يتوقّف مما كان فيه ويرتدع من استبقاء الأساري؟ وما الذي دهم الخائضين في كلامهما، حتى ضربوا صفحاً عن ذكر الآية التي أهمهم أمر ما نزلت فيه؟ ثمّ هلم إلى عمر وذهوله عن الآية، مع أنّ له فيها غرضاً عظيماً وحظّاً جسيماً لشدّة ولوعه بقتل الأسرى، خصوصاً بني هاشم، لا سيّما عبّاساً وعقيلاً حتى صرّح باسمهما وعيّن القاتل لهما. وبعد اللتيّا والتي، لو كان استبقاؤهم باجتهاد غفلةً عن النصّ، وذهولاً عن أمر الله تعالى، كان المجتهد فيه مثاباً ومأجوراً، ولم يتوجه العتاب، إلى آخر ما علمت.

وأمّا أخذ الفداء، فلا يتمّ الكلام فيه إلاّ بأن يثبت أنّ العتاب والتهديد وقع عليه وهو ممنوع، بل إنّما وقع على الأسر الذي فعله المحاربون بدون إذن النبي صلى الله عليه وآله، وكان غرضهم من الأسر عرض الدنيا وكسب المال على ما دلّ عليه القرآن.

وأيضاً أخذ الفداء، كان للتقوّي على الجهاد. على ما دلّت عليه الرواية وهو ممّا يتعلّق بأمر الآخرة، والذمّ والعتاب إنّما توجه بالآية إلى من كان يريد عرض الدنيا، فظهر أنه على غير هذا الأخذ وقع، وبما سواه تعلّق كما قلنا أنّ الذمّ وقع على فعل الأصحاب المحاربين، ولعلّ غرضهم كان متعلّقاً بالحطام الدنيوي.

وممّا يدلّ على أنّ هذا الوعيد والعتاب لم يكن على أخذ الفداء ثانياً، الرواية التي ذكرنا في دخول عمر على رسول الله ﷺ، فإنّ العذاب أُضيف فيها إلى الأصحاب، والبكاء كان عليهم، ولم يذكر رسول الله ﷺ نفسه في البكاء والعذاب، مع أنّه هو الآذن الآمر لهم، ولا خيرة لهم مع أمره فما للعذاب ولهم!؟ نعم لو كان ينزل على أبي بكر خاصّة لكان له وجه: لأنّه هو المشير على رسول الله ﷺ بهذا الرأي والمزيّن له.

ومفهوم الاستثناء المذكور في روايتهم الأُخرى، حيث قال: «لو نزل العذاب لما نجا منه إلاّ عمر». يدلّ على أنّه كان يتناوله ﷺ، فبين الروايتين نوع من التنافي.

ومن ذلك ظهر أنّ الرواية بأن تكون دليلاً على نقيض مدّعاهم، أولى منها بأن تكون دليلاً لهم، ولو صحّ البكاء، لكان رحمةً عليهم لما ذكرنا من الأسر الواقع منهم. ومن هاهنا ظهر أنّ بين ما تضمنته الرواية من تخصيص البكاء في العذاب بهم وجعله بإزاء أخذ الفداء تنافياً.

وقول الفخر الرّازي: «إنّ بكاءه ﷺ كان لخطأ في الاجتهاد، وحسنات الأبرار سيّئات المقرّبين» فيه نظر من وجهين:

الأول: إنّه لا معنى للبكاء على فعل الطاعة وما يوجب الثواب.

والثاني: إنّه لا وجه لبكائه ﷺ على الأصحاب لخطأ نفسه، وهل رأيت أحداً يبكي على غيره لذنب نفسه!؟ فهذا في غاية الطرافة.

ولا يتوهّم أنّ العذاب علّق في الآية على الأخذ لا على الأسر، لأنّ الأخذ يستعمل في كلّ فعل ولا يختصّ بما يؤخذ، إلاّ إذا وصل بكلمة «من» الجارّة، ولا صلة في الآية الكريمة.

ولنكتفِ من ردّ شبههم بما يتعلّق بهاتين الآيتين الشريفتين، فإنّهما عمدة ما تمسّكوا به.

وأمّا ما تمسّكوا به من الأخبار، فجوابها أظهر من أن يتعرّض له، مع أن أكثرها مما لم يثبت عندنا، ونحن في فسحة من ردها ومنع صحّتها.

٣٦ - باب آخر نادر في ذكر ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من الأشعار المناسبة لهذا المجلد وقد مر بعضها في الأبواب السابقة

١ - منها في الشكاية من أهل الزمان ومعاصريه:

تغيّرت المودّة والإخاء ... وقلّ الصدق وانقطع الرّجاء

وأسلمني الزّمان إلى صديق ... كثير الغدر ليس له رعاء

سيغنيه الذي أغناه عني ... فلا فقر يدوم ولا ثراء
وليس بدائم أبداً نعيم ... كذاك البؤس ليس له بقاء
وكلّ مودّة لله تصفو ... ولا يصفو من الفسق الإخاء
إذا أنكرت عهداً من حميم ... ففي النّفس التّكرّم والحياء
وكلّ جراحة فلها دواء ... وسوء الخلق ليس له دواء
وربّ أخ وفيت له وفيّ ... ولكن لا يدوم له الوفاء
يديمون المودّة ما رأوني ... ويبقى الودّ ما يبقى اللقاء
اخلّاء إذا استغنيت عنهم ... وأعداء إذا نزل البلاء
وإن غيّبت عن أحد قلاني ... وعاقبني بما فيه اكتفاء
إذا ما رأس أهل البيت ولّى ... بدا لهم من الناس الجفاء[(١)]

بيان: الرعاء: الحفظ والرّعاية. والثراء: كثرة المال والولد وغيرهما. وإنكار العهد: عدم معرفته أي تغيّره. والحميم: القريب نسباً. وقوله: «وفيّ» بالجرّ صفة لأخ. والقلى: البغض. وقوله: «بما فيه اكتفاء»: أي في العقوبة.

والمراد بـ«رأس أهل البيت»: نفسه عليه السلام، أو النبيّ صلى الله عليه وآله.

٢ - ومنها في بيان شجاعته عليه السلام في غزاة بدر:

ضربنا غواة الناس عنه تكرّماً ... ولمّا رأوا قصد السبيل ولا الهدى
ولمّا أتانا بالهدى كان كلّنا ... على طاعة الرحمٰن والحقّ والتّقى
نصرنا رسول الله لمّا تدابروا ... وثاب إليه المسلمون ذوو الحجى[(٢)]

بيان: لفظة: «ولمّا» في الأوّل حرف نفي وفيما بعده للشرط. وإضافة «القصد» إلى «السبيل» من قبيل إضافة الصّفة إلى الموصوف، يقال: طريق قصد وقاصد: إذا أدّاك إلى المطلوب. وثاب الرجل: رجع وثاب الناس: اجتمعوا وجاءوا.

أقول: ذكر في الدّيوان أنّها لغزوة بدر، ولعلّها بغزوة أُحد وحُنَين أنسب كما لا يخفى.

٣ - ومنها يومئ إلى الشّكوى:

فلو كانت الدنيا تنال بفطنة ... وفضل وعقل نلت أعلى المراتب
ولكنّها الأرزاق حظّ وقسمة ... بفضل مليك لا بحيلة طالب[(٣)]

٤ - ومنها مثله:

ليس البليّة في أيّامنا عجباً ... بل السّلامة فيها أعجب العجب[(٤)]

---

(١) ديوان الإمام علي، ص ٥.
(٢) ديوان الامام علي، ص ١٠.
(٣) ديوان الامام علي، ص ١٧.
(٤) ديوان الامام علي، ص ١٨.

٥ - ومنها في نحوه:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب والناس إبن مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودّة والصفا وقلوبهم محشوّة بعقارب[١]

بيان: ختله وخاتله: أي خدعه. والمواربة - وقد يهمز -: المخادعة.

٦ - ومنها في شبهه:

علمي غزير وأخلاقي مهذّبة ومن تهذّب يشقى في تهذّبه
لو رمت ألف عدوّ كنت واجدهم ولو طلبت صديقاً ما ظفرت به

بيان: الغزارة: الكثرة. وتهذيب الأخلاق: تصفيتها وتخليصها عمّا يضيّعها. ومعنى قوله عليه السلام: «يشقى»: أي يتعب. والرّوم: الطلب.

٧ - ومنها في تعيير الوليد بن المغيرة:

يهدّدني بالعظيم الوليد فقلت: أنا ابن أبي طالب
أنا ابن المبجّل بالأبطحين وبالبيت من سلفي غالب
فلا تحسبنّي أخاف الوليد ولا أنّني منه بالهائب
فيابن المغيرة إنّي امرؤ سموح الأنامل بالقاضب
طويل اللسان على الشّانئين قصير اللسان على الصّاحب
خسرتم بتكذيبكم للرسول تعيبون ما ليس بالعائب
وكذبتموه بوحي السماء فلعنة الله على الكاذب[٢]

بيان: الأبطح: مسيل واسع فيه حصىً صغار.

وقيل: أُريد بالأبطحين أبطح مكّة وأبطح المدينة الذي يقال له: وادي العقيق. ووجه تبجيل أبي طالب بالمدينة، أنّ سلمى أمّ عبد المطّلب كانت منها.

وإنّما خصّ من أسلافه وأجداده غالباً تفؤّلاً بالغلبة. والقاضب: السيف القاطع: أي تجود أنامله بأعمال السّيوف القاطعة. والشّانئون: المبغضون. وقوله «ما ليس بالعائب»: أي خلقاً لا يصير سبباً لعيب صاحبه.

٨ - ومنها خطاباً لأبي لهب:

أبا لهب تبّت يداك أبا لهب وصخرة بنت الحرب حمالة الحطب
خذلت نبيّ الله قاطع رحمه فكنت كمن باع السلامة بالعطب
لخوف أبي جهل فأصبحت تابعاً له وكذاك الرأس يتبعه الذّنب
فأصبح ذاك الأمر عاراً يهيله عليك حجيج البيت في موسم العرب

---

(١) ديوان الامام علي، ص ٣٢.

(٢) ديوان الامام علي، ص ٢٣.

ولو كان من بعض الأعادي محمد لحامى ذووه بالرماح وبالقضب
ولم يسلموه أو يصرّع حوله رجال بلاء بالحروب ذوو حسب[(١)]

بيان: التباب: خسران يؤدّي إلى الهلاك. واليدان إمّا بمعناهما أو كناية عن النفس كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[(٢)] أو عن النفس والبدن أو عن الدنيا والآخرة. و«صخرة»، عطف على «يداك»، ويحتمل العطف على محلّ الضمير أيضاً. و«قاطع» حال عن ضمير الخطاب. والعطب - بالتحريك -: الهلاك. و«ذاك» إشارة إلى تبعة لأبي جهل. ويقال: هلت الدقيق في الجراب: أي صببته من غير كيل. وكلّ شيء أرسلته إرسالاً من رمل أو تراب أو طعام أو نحوه، قلت: هلته هيلاً فانهال: أي جرى وانصبّ. ولعلّه إشارة إلى رمي الحاجّ إليه بالأحجار عند مرورهم عليه، أو قراءتهم هذه السورة في المواسم. «ومن بعض» متعلّق ب «كان» بتضمين معنى الإعراض، أو «من» للتعليل. ولحوت العصا ألحوها لحواً: قشرتها. وكذلك لحيت العصا ألحيها ولحيت الرجل ألحاه لحياً: لمته.

وقال الجوهري: سيف قاضب وقضيب: أي قطّاع والجمع قواضب وقضب، وكأنّ الضمير في «ذووه» راجع إلى البعض ويحتمل إرجاعه إلى محمد صلى الله عليه وآله. «أو يصرع» أو بمعنى إلاّ أن أو إلى أن. والصرع: السقوط على الأرض. والملاء: جمع المليء وهو الثقة المعتمد عليه في الأمر.

٩ - ومنها خطاباً لمعاوية:

سيكفيني المليك وحدّ سيفي لدى الهيجاء تحسبه شهابا
وأسمر من رماح الخطّ لدن شددت غرابه أن لا يعابا
أذود به الكتيبة كلّ يوم إذا ما الحرب أضرمت التهابا
وحولي معشر كرموا وطابوا يرجون الغنيمة والنّهابا
ولا ينحون من حذر المنايا سؤال المال فيها والإيابا
فدع عنك التّهدّد واصل ناراً إذا خمدت صليت لها شهابا[(٣)]

بيان: الأسمر: الرمح. والخطّ: موضع باليمامة تنسب إليه الرماح لأنّها تحمل من بلاد الهند فتقوّم به. واللدن: الليّن من كلّ شيء، وغراب الفأس بالكسر: حدّها.

قوله عليه السلام: «أن لا يعابا»: أي لئلاّ يعاب. والنهاب: جمع النهب. «ولا ينحون» بالحاء المهملة: أي لا يقصدون. والتهدّد: التخويف. وصلي الكافر النار: قاسى حرّها. وصلي النار: دخل فيها. وصلّيت الرجل ناراً: إذا أدخلته النار.

---

(١) ديوان الامام علي، ص ١٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٣) ديوان الامام علي، ص ١٤.

١٠ - ومنها: مخاطباً له أيضاً:

أنا علي وأعلى الناس في النسب ... بعد النبيّ الهاشميّ المصطفى العربي
قل للذي غرّه منّي ملاطفة ... من ذا يخلّص أوراقاً من الذهب
هبّت عليك رياح الموت سافية ... فاستبقني بعدها للويل والحرب[١]

بيان: روي أنّه عليه السلام أنشد تلك الأبيات بعد انقضاء المحرّم من العام ٣٧ وإرادة الشروع ثانياً في القتال.

قوله عليه السلام: «قل للذي»: أي قل للذي يحبّني للطفي: لا تتوقّع من أهل الزمان أن يعرفوا فضلي، فإنّ الناس لا يميّزون بين أوراق الفضّة ودنانير الذهب.

أو المعنى قل لمعاوية الذي غرّه منّي ملاطفة بتأخير الحرب في المحرّم، إنّي لا أترك الحرب حتى أميّز بين المؤمن والمنافق.

وسفت الريح التراب: ذرّته. وحربه حرباً - كطلبه طلباً - سلب ماله.

١١ - فيما أجاب به بعض الأعادي في صفّين:

إيّاي تدعو في الوغى يابن الإرب ... وفي يميني صارم يبدي اللهب
من يحطه منه الحمام ينسرب ... لقد علمت والعليم ذو أدب
أن لست في الحرب العوان بالأدب ... وعن قليل غير شكّ أنقلب

بيان: الوغى: الحرب. والأرب - بالتحريك -: الحاجة ويستعمل في الاحتيال. والحطوّ- بوزن العلو-: تحريك الشيء من الأول. والحمام - بالكسر -: الموت. والانسراب: الجريان. والعوان من الحروب: ما قوتل فيها مرّة بعد أُخرى.

«وعن قليل»: أي بعد زمان قليل. وقوله: «غير شكّ» صفة لمقدّر وهو يقيناً.

١٢ - ومنها تهديداً لمعاوية وجنوده:

أبى الله إلاّ أنّ صفّين دارنا ... وداركم ما لاح في الأفق كوكب
إلى أن تموتوا أو نموت وما لنا ... وما لكم عن حومة الحرب مهرب[٢]

بيان: بالضمّ والسكون أيضاً: طرف السماء. وقال الجوهري في الصحاح: حومة القتال: معظمه.

١٣ - ومنها في مدح أصحابه في تلك المحاربة:

يا أيّها السائل عن أصحابي ... إن كنت تبغي خبر الصواب
أُنبئك عنهم غير ما تكذاب ... بأنّهم أوعية الكتاب
صبر لدى الهيجاء والضراب ... فسل بذاك معشر الأحزاب[٣]

---

(١) ديوان الامام علي، ص ٢٠.
(٢) - (٣) ديوان الامام علي، ص ٣٤.

بيان: «غير ما تكذاب» لفظة «ما» زائدة والتكذاب - بالفتح -: الكذب.

١٤ - ومنها في مثله:

ألم تر قومي إذ دعاهم أخوهم ... أجابوا وإن أغضب على القوم يغضبوا
هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً ... لقومي أجزي مثلها إن تغيّبوا
بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم ... وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا[1]

بيان: حفظ الغيب للشخص: أن لا تفعل في غيبته مايكرهه. وضمير «مثلها» راجع إلى المحافظة.

قوله عليه السلام: «لم تقعد» قال الشارح: هذا دعاء لهم: أي لا تقعد أُمهاتهم بمآتمهم.

أقول: ويحتمل أن يكون من المقاعد من النساء، وهي التي قعدت عن الولد والحيض. ذكره الجوهري. والأظهر أنّه خبر وليس بدعاء والباء للتعدية، والمعنى لم تصر أُمّهاتهم سبباً لقعودهم عن الحرب لدناءتهن، فيناسب المصرع الثاني.

وأيضاً قال الجوهري: أنجب: ولد نجيباً. وامرأة منجبة ومنجاب: تلد النّجباء.

١٥ - ومنها في مدح قبائل من عسكره:

الأزد سيفي على الأعداء كلّهم ... وسيف أحمد من دانت له العرب
قوم إذا فاجأوا أوفوا وإن غلبوا ... لا يجمحون ولا يدرون ما الهرب
قوم لَبوسهم في كلّ معترك ... بيض رقاق وداوودية سلبوا
البيض فوق رؤوس تحتها اليلب ... وفي الأنامل سمر الخطّ والقضب
البيض تضحك والآجال تنتحب ... والسمر ترعف والأرواح تنتهب
وأي يوم من الأيّام ليس لهم ... فيه من الفعل ما من دونه العجب
الأزد أزيد من يمشي على قدم ... فضلاً وأعلامهم قدراً إذا ركبوا
والأوس والخزرج القوم الذين هم ... آووا فأعطوا فوق ما وهبوا
يامعشر الأزد أنتم معشر أنف ... لا تضعفون إذا ما اشتدّت الحقب
وفيتم ووفاء العهد شيمتكم ... ولم يخال قديماً صدقكم كذب
إذا غضبتم يهاب الخلق سطوتكم ... وقد يهون عليكم منكم الغضب
يا معشر الأزد إنّي من جميعكم راض ... وأنتم رؤوس الأمر لا الذنب
لن تيأس الأزد من روح ومغفرة ... والله يكلؤكم من حيث ما ذهبوا
طبتم حديثاً كما قد طاب أوّلكم ... والشوك لا يجتنى من فرعه العنب
والأزد جرثومة إن سوبقوا سبقوا ... أو فوخروا فخروا أو غولبوا غلبوا

---

(١) ديوان الامام علي، ص ١٥.

أو كوثروا كثروا أو صوبروا صبروا	أو سوهموا سهموا أو سولبوا سلبوا
صَفَوا فأصفاهم المولى ولايته	فلم يشب صفوهم لهو ولا لعب
هينون لينون خُلقاً في مجالسهم	لا الجهل يعروهم فيها ولا الصخب
الغيث إمّا رضوا من دون نائلهم	والأسد يرهبهم يوماً إذا غضبوا
أندى الأنام أكفاً حين تسألهم	وأربط الناس جأشاً إن هم ندبوا
وأيّ جمع كثير لا تفرقه	إذا تدانت لهم غسّان والندب
والله يجزيهم عمّا أتوا وحبوا	به الرسول وما من صالح كسبوا[(١)]

بيان: الأزد: أبو حيّ من اليمن. والإيفاء: الوفاء بالعهد، والإشراف على الشيء، وإعطاء الحقّ وافياً.

وقال الجوهري: جمح الفرس: اعتزّ فارسه وغلبه. وجمحت المرأة زوجها: وهو خروجها من بيته إلى أهلها قبل أن يطلّقها. وجمح: أسرع. والمعترك: معركة الحرب. والبيض الرقاق: السيوف الرقيقة. والداوودية: الدروع المنسوبة إليه عليه السلام.

قوله: «سلبوا» أي أخذوها في الحرب من الأعادي. وقال الجوهري: اليلب: الدروع اليمانية كانت تتخذ من الجلود بعضها إلى بعض. ويقال: اليلب: كلّ ما كان من جنس الجلود ولم يكن من الحديد. وقال: يقال: رماح رواعف لما يقطر منها الدم أو لتقدّمها في الطعن.

وقوله: «ما وهبوا» على المجهول كما صحّحه الشارح أو على المعلوم: أي أعطوا أزيد مما عهدوا ووعدوا من الإيثار والإفضال.

وقال الزمخشري في الأساس: هو أنف قومه وهم أنف الناس أي سادتهم قال الحطيئة:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم

وقال الجوهري في الصحاح: روضة أُنف - بالضم -: أي لم يرعها أحد، وكأس أُنف: إذا لم يشرب بها قبل ذلك. وأنف من الشيء يأنف أنفاً وأنفة: استنكف. يقال: ما رأيت أحمى أنفاً ولا آنف من فلان.

بيان: والحقب: جمع الحقبة بالكسر وهي السّنون. «وقديماً» مفعول فيه: أي زماناً قديماً. و«طبتم حديثاً»: أي جديداً. والجرثومة - بالضم -: الأصل. ذكره الجوهري وقال: ساهمته: قارعته فسهمته أسهمه بالفتح. صفواً: أي من الغشّ والباطل.

قوله: «فأصفاهم المولى ولايته»: أي أعطاهم الله محبّته أو أخلص لهم كلّ محبّ محبّته، أو أخلص الله لهم محبّته إيّاهم أو محبّتهم له. قال الجوهري: أصفيته الودّ: أخلصته له وأصفيته بالشيء: آثرته به. وقال: شيء هيّن - على فيعل -: أي سهل. و«هين» مخفّف، وقوم هينون

(١) ديوان الامام علي، ص ٣١.

لينون. وقال: عراني هذا الأمر واعتراني إذا غشيك. وقال: الصخب: الصياح والجلبة.

ولفظة «ما» في قوله: «إن ما رضوا» زائدة كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾.

والنائل: العطاء، والمعنى أنّهم إن رضوا فجودهم بحيث يعدّ الغيث أدون وأقلّ من عطائهم. و«يوماً» مفعول فيه لقوله: «غضبوا». والنّدى: الجود وفلان أندى من فلان إذا كان أكثر خيراً منه. ويقال: فلان رابط الجأش: أي يربط نفسه عن الفرار لشجاعته.

وندبوا على بناء المفعول من قولهم: ندبه لأمر فانتدب له: أي دعاه له فأجاب، ذكره الجوهري وقال أيضاً: الندب - بالتحريك -: الخطر. وتقول رمينا ندباً، أي رشقاً. والندب، أيضاً الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد.

وقال الفيروز آبادي: الندب - بالتحريك - الرشق والخطر، وقبيلة منها بشر بن حرب ومحمد بن عبد الرحمٰن. وقال: غسّان أبو قبيلة باليمن منهم ملوك غسّان، وماء بين رمع وزبيدة من نزل من الأزد فشرب منه سمّي غسّان ومن لم يشرب فلا انتهى إليه.

وقال الشّارح: الواو في «والندب» بمعنى مع. وفيه نظر. وقوله: «من صالح» بيان لـ«ما»: أي وما كسبوا من صالح وما عطف على ما.

١٦ - ومنها مخاطباً لعثمان:

وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غُيّب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنّبيّ وأقرب(١)

بيان: قال الشارح: قوله عليه السلام: «والمشيرون غيّب» إشارة إلى ما قاله الحافظ إسماعيل من أنّ طلحة كان غائباً ولمّا دفن عمر قعد عثمان وعليّ والزبير وعبد الرحمٰن وسعد يتشاورون، فأشار عثمان على عبد الرحمٰن بالدخول في الأمر فأبى وقال: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر، فإن شئتم اخترت لكم منكم واحداً. فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمٰن، فأقبل الناس كلّهم إليه فأخذ يتشاور حتى جاء في الليلة الثالثة إلى باب المسور بن مخرمة بعد هويّ من الليل، فضرب الباب وقال: ادع لي الزبير وسعداً. فجاءا وشاورهما، ثمّ أرسل إلى عثمان فدعاه فناجاه حتى فرّق بينهما المؤذّن، فلمّا صلّوا الصبح اجتمعوا وأرسل عبد الرحمٰن إلى من حضر من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد فبايع عثمان وبايعوه.

وأقول: هذا إن ثبت أنّ الخطاب كان لعثمان كما ذكره الشارح، وإلاّ فيمكن أن يكون الخطاب لأبي بكر، فالمراد بالمشيرين بنو هاشم وأتباعهم.

وقوله: «وإن كنت بالقربى» الخ بهذا أنسب، لما عرفت أنّهم احتجوا على الأنصار بالقرابة وقد مرّ مثل هذا الكلام منه عليه السلام في النثر.

---

(١) ديوان الامام علي، ص ١٢.

١٧ - ومنها في تهديد من اجترأ عليه في الوغى:

يا جامعاً لشمله ساعاته ودنت منيّته وحان وفاته
ارجع فإنّي عند مختلف القنا ليث يكرّ على العدى جرّاته[1]

بيان: «ودنت» معطوف على «جامعاً» كقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾[2].

١٨ - ومنها استئذان القتال من النبيّ ﷺ:

هل يدفع الدرع الحصين منيّةً يوماً إذا حضرت لوقت مماتي
إنّي لأعلم أنّ كلّ مجمّع يوماً يؤول لفرقة وشتات
يا أيّها الداعي النّذير ومن به كشف الإله رواكد الظلمات
أطلق فديتك لابن عمك أمره وارم عداتك عنه بالجمرات
فالموت حقّ والمنيّة شربة تأتي إليه فبادر الزّكوات[3]

بيان: «الرواكد» الثوابت «فبادروا الزّكوات» أي بادر ابن عمّك ما يوجب زكاة النفوس وطهارتها من الذنوب وذمائم الأخلاق.

١٩ - ومنها خطاباً لفاطمة عند توجّهه إلى قتال المشركين:

قرّبي ذا الفقار فاطم منّي فأخي السيف كلّ يوم هياج
قرّبي الصّارم الحسام فإنّي راكب في الرجال نحو الهياج
ورد اليوم ناصحاً ينذر الناس جيوش كالبحر ذي الأمواج
وردوا مسرعين يبغون قتلي وأبيك المحبوّ بالمعراج
وخراب الأوطان وقتل الناس وكلّ إذا أصبح لاجي
سوف أرضي المليك بالضرب ما عشت إلى أن أنال ما أنا راج
من ظهور الإسلام أو يأتي الموت شهيداً من شاخب الأوداج[4]

بيان: يوم الهياج - بالكسر -: يوم القتال. والصارم بكسر الراء والحسام - بالضم -: السيف القاطع.

وقال الشارح: الهياج: جمع الهائج، وهو الفحل يشتهي الضراب. وقوله: «ناصحاً» مفعول لقوله: «ورد» والواو في قوله: «وأبيك» للقسم أو عطف على ضمير المتكلّم في قوله: «قتلي» على مذهب من جوّزه. و«خراب» معطوف على «قتلي» قوله: «أصبح لاج»: أي ملتجئاً إليّ. والشخب: السّيلان والودجان: عِرقان في العنق. و«من» بيانيّة أو ابتدائية ولا يخفى توجيهها على اللبيب.

---

(١) ديوان الامام علي، ص ٣٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.
(٣) ديوان الامام علي، ص ٣٨.
(٤) ديوان الامام علي، ص ٣٩.

٢٠ - ومنها في الشكوى ممن يتظاهر بالخلّة ويبطن الخلاف:

كل خليل لي خاللته ... لا ترك الله له واضحة
فكلّهم أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحة[1]

بيان: الواضحة: الأسنان التي تبدو عن الضّحك.

٢١- ومنها ما أنشده عند بناء مسجد المدينة:

لا يستوي من يعمر المساجدا ... ومن يبيت راكعاً وساجدا
يدأب فيها قائماً وقاعدا ... ومن يكرّ هكذا معاندا[2]
ومن يرى عن الغبار حائداً

٢٢ - ومنها في عرض الإيمان على سيّد الأنام:

يا شاهد الله عليّ فاشهد ... إنّي على دين النبيّ أحمد
من شكّ في الدين فإنّي مهتدي ... يا ربّ فاجعل في الجنان موردي[3]

٢٣ - ومنها في الاعتذار من قتل من قتلهم من قريش:

قريش بدتنا بالعداوة أوّلاً ... وجاءت لتطفئ نور ربّ محمد
بأفواههم والبيض بالبيض تلتقي ... بأيديهم من كلّ عضب مهنّد
وخطّية قد ثُقِّفَتْ سمهرية ... أسنّتها قد حودثت بمحدّد
فقلنا لهم: لا تبعثوا الحرب واسلموا ... وفيئوا إلى دين المبارك أحمد
فقالوا: كفرنا بالذي قال إنّه ... يوعدنا بالحكم والحشر في غد
فقتلتهم والله أفضل قربة ... إلى ربّنا البرّ العظيم الممجد[4]

بيان: «بدت» من البدو، أو من المهموز. والعضب: السيف القاطع. والمهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند. وتثقيف الرماح: تسويتها. ذكره الجوهري وقال: الاسمهرار: الصلابة والشدّة. والسمهرية: القناة الصلبة. ويقال: هي منسوبة إلى سمهر اسم رجل كان يقوّم الرماح يقال: رمح سمهري ورماح سمهرية. ومحادثة السيف: جلاؤه. والسلم - بالتحريك -: الخلوص. والأظهر أنّه من السلامة أو السلام بمعنى الصلح. والفيء: الرجوع. والقتلة - بالكسر -: القتل.

٢٤ - ومنها خطاباً لسعيد بن سلمة المخزومي:

إنّ الذي سمك السماء بقدرة ... حتى علا في عرشه فتوحّدا

---

(١) ديوان الامام علي، ص ٤١.
(٢) ديوان الامام علي، ص ٤٧.
(٣) ديوان الامام علي، ص ٤٨.
(٤) ديوان الامام علي، ص ٤٢.

بعث الذي لا مثله فيما مضى يدعى برأفته النبيّ محمدا
فاعلم بأنك ميّت ومحاسب فإلى متى تبغي الضلالة والردى
أقبل إلى الإسلام إنّك جاهل وتجنّب العزّى وربّك فاعبدا
واللاّت والهجرات فاهجر إنّني أخشى عليك عذاب يوم سرمدا[1]

بيان: الهجرات: الهذيانات.

٢٥ - ومنها في المفاخرة:

أنا أخو المصطفى لا شكّ في نسبي مَعْهُ ربيتُ وسبطاه ولدي
جدّي وجدّ رسول الله متّحد وفاطم زوجتي لا قول ذي فند
صدّقته وجميع الناس في ظلم من الضّلالة والإشراك والنكد
فالحمد لله فرداً لا شريك له البرّ بالعبد والباقي بلا أمد[2]

بيان: الفند: ضعف الرأي من هرم. والنكد - بالتحريك -: أيضاً الشدّة.

٢٦ - ومنها ما قاله عليه السلام عند قربه من البصرة:

وإنّي قد حللت بدار قوم هم الأعداء والأكباد سود
هُمُ إن يظفروا بي يقتلوني وإن قُتلوا فليس لهم خلود[3]

٢٧ - ومنها مخاطباً لابنه محمد ابن الحنفية في حرب الجمل:

اطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في حرب إذا لم توقد
بالمشرفيّ والقنا المسدّد[4]

بيان: الضمير في قوله: «توقد» راجع إلى الحرب قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾[5] والمشرفيّ - بالفتح -: السيف المنسوب إلى مشارف الشام.

٢٨ - ومنها مخاطباً للأشعث بن قيس الكندي في صفّين:

اصبر على تعب الإدلاج والسهر وبالرّواح على الحاجات والبكر
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها فالنّجح يتلف بين العجز والضجر
إنّي وجدت وفي الأيّام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلّ من جدّ في أمر يطالبه فاستصحب الصّبر إلاّ فاز بالظفر[6]

بيان: روي أنّ الأشعث بن قيس دخل عليه بصفّين وهو قائم يصلّي ظهيرة فقال: قلت: يا

(١) ديوان الامام علي، ص ٥١.
(٢) ديوان الامام علي، ص ٤٧.
(٣) - (٤) ديوان الامام علي، ص ٤٣.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٦) ديوان الامام علي، ص ٥٩.

أمير المؤمنين أدؤوب بالليل ودؤوب بالنهار؟ قال: فانسلّ من صلاته وهو يقول هذه الأبيات. والإدلاج: السير بالليل. والبكر: جمع البكرة.

٢٩ - ومنها في الشّكاية من أهل الزّمان:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم   والمنكرون لكلّ أمر منكر
وبقيت في خلف يزيّن بعضهم   بعضاً ليدفع معور عن معور
سلكوا بُنَيّات الطريق فأصبحوا   متنكّبين عن الطريق الأكبر[١]

بيان: الإعوار: الريبة. ومكان معور: أي يخاف فيه القطع. والعورة: كلّ ما يُستحى منه. وبُنيّات الطريق: الطرق الصغيرة المنشعبة من الجادّة.

٣٠ - ومنها في بيان حسن خلقه عليه السلام:

أريد بذاكم أن يهشّوا لطلعتي   وأن يكثروا بعدي الدّعاء على قبري
وأن يمنحوا في المجالس ودّهم   وإن كنت عنهم غائباً أحسنوا ذكري[٢]

بيان: بذاكم: أي بالمزاح. والهشاشة: الارتياح والخفّة للمعروف. والطّلعة: الرؤية.

٣١ - ومنها في ذمّ بعض أهل زمانه عليه السلام:

ما فيك خير ولا مير يعدّله   قضيت منك لباناتي وأوطاري
فإن بقيت فلا ترجى لمكرمة   وإن هلكت فمذموماً إلى النار[٣]

بيان: قال الجوهري: الميرة: الطعام يمتاره الإنسان. وقد مار أهله يميرهم ميراً. ومنه قولهم: ما عندهم خير ولا مير. واللبانة والوطر: الحاجة.

٣٢ - ومنها مخاطباً لبعض أزواجه عليه السلام:

إلى كم يكون العذل في كلّ ليلة   لما لا تملّين القطيعة والهجرا
رُوَيدك إنّ الدهر فيه كفاية   لتفريق ذات البينِ فانتظري الدهرا[٤]

بيان: العذل: الملامة. وقال شارح الديوان: التملية: إيقاد النار بلا حطب. ولم أره فيما عندنا من كتب اللغة، ويمكن أن يكون من الإملاء بمعنى الإمهال والتأخير، أو من الملال والأخير أظهر. ورُوَيدك اسم فعل بمعنى أمهل.

٣٣- ومنها في ذكر هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله ومبيته عليه السلام على فراشه، رواه أبو جعفر الطوسي وغيره:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصا   ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

---

(١) ديوان الامام علي، ص ٥٨.
(٢) ديوان الامام علي، ص ٦٧.
(٣) ديوان الامام علي، ص ٥٨.
(٤) ديوان الامام علي، ص ٦٧.

رسول إله الخلق إذ مكروا به ... فنجّاه ذو الطول الكريم من المكر
وبتُّ أراعيهم متى ينشرونني ... وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... مُوقّى وفي حفظ الإله وفي ستر
أقام ثلاثاً ثمّ ذمّت قلائص ... قلائص يفرين الحصا أينما تفري
أردت به نصر الإله تبتّلاً ... وأضمرته حتى أُوسّد في قبري(١)

بيان: نشرت الخشبة أنشرها إذا قطعتها بالمنشار. والنشر: البسط والتفريق. والقلوص: الناقة الشّابة، وجمعه قلص على زنة عنق وجمعه قلائص. والفري: القطع. و«تفري» يحتمل الخطاب، والشارح حمله على الغيبة وأرجع الضمير إلى «القلائص». والتبتّل: الانقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى.

وروى الميبذي في شرح الديوان عن عبد الله بن شريك عن أبيه أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّ على باب المسجد قوماً يزعمون أنّك ربّهم. فدعاهم فقال: ويلكم إنّما أبا عبد الله مثلكم آكل الطعام وأشرب الشراب، فاتّقوا الله وارجعوا.

فأتوه في اليوم الثاني والثالث فقالوا مثل ذلك، فقال لهم: والله إن تبتم وإلاّ قتلتكم أخبث قتلة. فدعا قنبر وأتى بقدوم فحفر لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر، فدعا بالحطب فطرحه و(٢)النار فيه وقال: إنّي طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا فقذف بهم فيها حتى احترقوا.

وقال بعض أصحابنا: لم يحرقهم وإنّما أدخن عليهم ثم قال عليه السلام:

لمّا رأيت الأمر أمراً منكرا ... أوقدت ناري ودعوت قنبرا
ثمّ احتفرت حُفَراً وحفرا ... وقنبر يحطم حطماً منكرا

٣٤ - ومنها في مدح أهل البيت عليهم السلام:

قد يعلم الناس أنّا خيرهم نسباً ... ونحن أفخرهم بيتاً إذا فخروا
رهط النبيّ وهم مأوى كرامته ... وناصرو الدين والمنصور من نصروا
والأرض تعلم أنّا خير ساكنها ... كما به تشهد البطحاء والمدر
والبيت ذو الستر لو شاؤوا يحدّثهم ... نادى بذلك ركن البيت والحجر(٣)

بيان: لعلّ المراد من علم الأرض: علمها على تقدير الحياة، أو المراد أهل الأرض. وشهادة البطحاء وأمثالها أيضاً بلسان الحال أو أهلها.

٣٥ - ومنها في الفخر وإظهار المكارم:

إذا اجتمعت عليا معدّ ومذحج ... بمعركة يوماً فإنّي أميرها

---

(١) ديوان الامام علي، ص ٦٤.
(٢) الظاهر: وأضرم، وأشعل...
(٣) ديوان الامام علي، ص ٦٤.

مسلّمة أكفال خيلي في الوغى ومكلومة لبّاتها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر وتندقّ منها في الصدور صدورها[1]

معد - بالفتح -: أبو العرب. ومذحج - بفتح الميم والذال المعجمة وتقديم الحاء على الجيم -: أبو قبيلة. والأكفال: جمع الكفل. والغرض أنّا لا نفرّ في الحرب ولا نتبع المدبر.

٣٦ - ومنه في مثله، وروي أنّه قالها لمّا بويع من قبله بالخلافة:

أغمّض عيني عن أمور كثيرة وإنّي على ترك الغموض قدير
وما من عميً أغضي ولكن ربّما تعامى وأغضى المرء وهو بصير
وأمسكت عن أشياء لو شئت قلته وليس علينا في المقال أمير
أصبّر نفسي في اجتهادي وطاقتي وإنّي بأخلاق الجميع خبير[2]

٣٧ - ومنه في الشكاية ممن خانه وخالفه من قريش وغيرهم:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني فلا وربّك ما بزّوا ولا ظفروا
فإن بقيت فرهن ذمّتي لهمُ بذات ودقين لا يعفو لها أثر
وإن هلكت فإنّي سوف أورثهم ذُلّ الحياة فقد خانوا وقد غدروا
إمّا بقيت فإنّي لست متّخذاً أهلاً ولا شيعة في الدين إذ فجروا
قد بايعوني ولم يوفوا ببيعتهم وماكروني في الأعداء إذ مكروا
وناصبوني في حربٍ مضرّمة ما لم يلاق أبو بكر ولا عمر[3]

بيان: في بعض النسخ: رواه أبو عمرو بن العلاء، وابن درستويه، وقال بعد البيتين الأوّلين: «قال أبو عثمان المازني لم يصحّ عندنا أنّه تكلّم بشيء من الشعر إلاّ هذين البيتين».

قلت: هذا القول منه لا يدلّ على أنّه لم يصحّ أصلاً حتى عند غيره، وقد يصحّ عند غيره أشياء لا تحصى. ثمّ قال: وزاد غيرهما. ثمّ ذكر باقي الأبيات.

و«تمنّى»: أصله تتمنّى. وقوله: «ما بزّوا»: ما غلبوا. وفي بعض النسخ ذكرت اللفظة بالراء المهملة. والرهن بمعنى المفعول: أي المرهون. والذمّة: ما يذمّ الرجل على إضاعته من عهد. والودق: المطر.

وفي كتاب الأساس: «حرب ذات ودقين»: شبّهت بسحابة ذات مطرتين شديدتين.

وقال الجوهري: ذات ودقين: الداهية، أي الداهية ذات وجهتين كأنّها جاءت من وجهين. وأصل «إمّا» إن ما.

(١) ديوان الامام علي، ص ٥٦.
(٢) ديوان الامام علي، ص ٥٥.
(٣) ديوان الامام علي، ص ٥٨.

٣٨ - ومنه بعد قتل طلحة والزبير:

أشكو إليك عُجري وبُجري ومعشراً أعشوا عليَّ بصري
إني قتلت مضري بمضري جدعت أنفي وقتلت معشري[1]

بيان: قال ابن الأثير - نقلاً عن الهروي - في مادة «بجر» من كتاب النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: «أشكو إلى الله عُجَري وبُجري»: أي همومي وأحزاني. وأصل العجرة: نفخة في الظهر، فإذا كانت في السرّة فهي بجرة.

وقيل: العجر: العروق المتعقّدة في الظهر، والبجر: العروق المتعقّدة في البطن، ثمّ نقلا إلى الهموم والأحزان، أراد أنّه يشكو إلى الله أموره كلّها ما ظهر منها وما بطن.

والإغشاء: الستر. ومُضر: قبيلة أبوهم مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والجدع - بالدال المهملة -: قطع الأنف.

٣٩- ومنه خطاباً لابن العاص في معركة صفّين:

يا عجباً لقد رأيت منكرا كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشي البصرا
ما كان يرضى أحمد لو خبّرا أن تعدلوا وصيّه والأبترا
شاني النبيّ واللعين الأخزرا كلاهما بجنده قد عسكرا
قد باع هذا دينه إذ فجّرا بملك مصر إن أصابا ظفرا
من ذا بدنيا بيعه قد خسرا
يا ذا الذي يطلب منّي الوترا إن كنت تبغي أن تزور القبرا
حقّاً وتُصلي بعد ذاك الجمرا أُسعطك اليوم ذعافاً صبرا
لا تحسبنّي يا ابن عاص عسرا سل بي بدراً ثم سل بي خيبرا
كانت قريش يوم بدر جزرا
إنّي إذا ما الحرب يوماً حضرا أضرمت ناري ودعوت قنبرا
قدّم لوائي لا تؤخّر حذرا لن ينفع الحاذر ما قد حذرا
ولا أخا الحيلة عمّا قدّرا إنّ الحذار لا يردّ القدرا
لمّا رأيت الموت موتاً أحمرا دعوت هَمْدان وأدعوا حميرا
لو أنّ عندي يوم حربي جعفرا أو حمزة الليث الهمام الأزهرا
رأت قريش نجم ليل ظهرا[2]

أقول: روى الأبيات نصر بن مزاحم في كتاب صفّين وزاد بعد قوله: «وأدعو حميرا»:

---

(١) ديوان الامام علي، ص ٧٢.
(٢) ديوان الامام علي، ص ٧١.

حيّ يمان يعظمون الخطرا قرن إذا ناطح قرناً كسرا
قل لابن حرب لا تدبّ الخمرا أرود قليلاً أبد منك الضجرا
لا تحسبنّي يا ابن حرب غمرا وسل بنا بدراً معاً وخيبرا
كانت قريش يوم بدر جزرا إذ وردوا الأمر فذمّوا الصدرا

بيان: «الأبتر الشاني» هو عمرو بن العاص. «واللعين الأخزر» معاوية. والأخزر: الضيّق العين. أو الذي ينظر بمؤخّر العين.

وقال الشارح: الأبتر معاوية، والأخزر هو عمرو.

وهو ينافي ما ذكره الخاص والعام أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ نزل في عمرو. والوتر: الجناية. والإسعاط: صبّ الدواء في الأنف. والذعاف: السمّ. وموت ذعاف: أي سريع. والصبر: المرّ.

وقال الجوهري: جزر السّباع: اللحم الذي تأكله يقال: تركوهم جزراً - بالتحريك -: إذا قتلوهم. قوله عليه السلام: «أضرمت ناري»: أي نار الغضب. وقال الجوهري في الصحاح: موت - أحمر يوصف بالشدّة.

قوله عليه السلام: «رأت قريش»: أي يصير عليهم اليوم ليلاً لشدّة الأمر.

٤٠ - ومنه في الشكوى:

صبرت على مرّ الأمور كراهةً وأبقيت في ذاك الصّباب من الأمر[١]

الصبابة - بالضم -: البقية من الماء والجمع صباب أو صُبابات وهو كناية عن الخلافة وما أصابه منها.

وفي بعض النسخ: الضباب بالضاد المعجمة وهي سحابة تغشي الأرض كالدّخان، فتكون كناية عمّا لحقه وبقي عليه من الشدائد والمحن.

٤١ - ومنه خطاباً لأصحابه في صفّين:

دبّوا دبيب النمل قد آن الظفر لا تنكروا فالحرب ترمي بالشرر
إنا جميعاً أهل صبر لا خور[٢]

بيان: الخور - بالتحريك -: الضعف.

٤٢ - ومنه شكاية عن حيلة عمرو بن العاص في التحكيم:

لقد عجزت عجز من لا يقتدر سوف أكيس بعدها وأستمرّ
أرفع من ذيلي ما كان يجرّ قد يجمع الأمر الشّتيت المنتشر[٣]

(١) ديوان الامام علي، ص ٦٠.
(٢) ديوان الامام علي، ص ٥٦.
(٣) ديوان الامام علي، ص ٧٢.

٤٣ - ومنه في الشكاية عن قلّة الأنيس الموافق:

الحمد لله حمداً لا شريك له ... دأبي في صبحه وفي غلسه
لم يبق لي مؤنس فيؤنسني ... إلاّ أنيس أخاف من أنسه
فاعتزل الناس ما استطعت ولا ... تركن إلى من تخاف من دنسه
فالعبد يرجو ما ليس يدركه ... والموت أدنى إليه من نفسه[1]

بيان: الغلس: ظلمة آخر الليل.

٤٤ - ومنه في المفاخرة:

أتحسب أولاد الجهالة أنّنا ... على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
فسائل بني بدر إذا ما لقيتهم ... بقتلي ذوي الأقران يوم التمارس
وإنّا أناس لا نرى الحرب سبّةً ... ولا ننثني عند الرماح المداعس
وهذا رسول الله كالبدر بيننا ... به كشف الله العدا بالتّناكس
فما قيل فينا بعدها من مقالة ... فما غادرت منّا جديداً للابس[2]

بيان: «بنو البدر»: من حضرها. وتمارسوا في الحرب: تضاربوا. والسُبّة - بالضمّ -: عار يسبّ به. والمدعاس: الرمح الذي لا ينثني. والمدعس: الرمح يدعس به. «بالتناكس»: أي بانقلاب رايتهم أو بانهزامهم.

قوله عليه السلام: «فما غادرت»: يحتمل أن يكون المراد عدم رضاه بما ذكره فيه الغالون: أي ما ذكروه أبلى ثيابنا وأذهب عزّنا. أو يكون إشارةً إلى ما ذكره القالون المبغضون ولعلّه أظهر.

ويحتمل أن يكون خبر الموصول محذوفاً: أي لا حاجة لنا فيها ويكون ضمير «غادرت» راجعاً إلى ما ذكره عليه السلام من المناقب: أي لم تترك جديداً لم تأت به إلينا.

أو المعنى أنّ بعد تحقّق تلك المناقب لا ينفع غاصبينا وأعداءنا ما قالوا فينا من المثالب، لأن يلبسوا بسبّنا ثوباً جديداً من الخلافة.

٤٥ - ومنه في المفاخرة وإظهار الشجاعة:

السيف والخنجر ريحاننا ... أفٍ على النرجس والآس[3]
شرابنا من دم أعدائنا ... وكأسنا جمجمة الراس

ومنه في مثله:

إنّي أنا الليث الهزبر الأشوس ... والأسد المستأسد المعرّس
إذا الحروب أقبلت تضرّس ... واختلفت عند النزال الأنفس

ما هاب من وقع الرماح الأشرس

---

(١) ديوان الامام علي، ص ٧٦.
(٢) - (٣) ديوان الامام علي، ص ٧٥.

بيان: قال الأصمعي: الليث: دابّة مثل الحرباء يتعرّض للراكب وينسب إلى بلدة «عفرّين» بكسر العين وتشديد الراء، وفي المثل: هو أشجع من ليث عفرّين. ويحتمل أن يكون هو المراد هنا فإنّ التأسيس أولى. والهزبر: الأسد. والشوس - بالتحريك -: النظر بمؤخّر العين تكبّراً وتغيّظاً. ذكره الجوهري وقال: استأسد: اجترأ عليه. وقال: التعريس: نزول القوم في السفر من آخر الليل يقفون فيه وقفة للاستراحة ثمّ يرتحلون. والعريس والعريسة: مأوى الأسد. وضرّسته الحرب تضريساً: أي جرّبته وأحكمته. ووقع الحديد: صوته. ورجل أشرس: أي عسر شديد الخلاف أو جريء على القتال. والأشرس: الأسد.

٤٧ - ومنه في بناء سجن بالقصب:

ألا تـرانـي كـيّـسـاً مـكـيّـسـا بـنـيـت بـعـد نـافـع مـخـيّـسـا[1]
حـصـنـاً حـصـيـنـاً وأمـيـنـاً كـيّـسـا

بيان: المكيس بكسر الياء: من يجعل غيره كيّساً. وقال الفيروزآبادي في القاموس المخيّس - كمعظم ومحدّث -: السّجن، وسجن بناه عليّ عليه السلام، وكان أوّلاً جعله من قصب وسمّاه نافعاً فنقبه اللصوص، ثم ذكر الأبيات وفيه: «باباً حصيناً».

وقال الجوهري في الصحاح: خيّسه تخييساً: أي ذلّله. ومنه المخيّس وهو اسم سجن كان بالعراق: أي موضع التذليل.

٤٨ - ومنه رسالة إلى عمرو بن العاص:

لأصـبـحـنّ الـعـاصـي ابـن الـعـاصـي سـبـعـيـن ألـفـاً عـاقـدي الـنـواصـي
مـسـتـحـقـبـيـن حـلـق الـدلاص قـد جُـنـبـوا الـخـيـل مـع الـقـلاص[2]
آسـاد غـيـل حـيـن لا مـنـاص

بيان: قال نصر بن مزاحم في كتاب صفّين: لمّا بلغ عمرو بن العاص مسيره عليه السلام إلى الشام قال:

لا تـحـسـبـنّـي يـا عـلـيّ غـافـلا لأوردنّ الـكـوفـة الـقـبـائـلا[3]
بـجـمـعـي الـعـام وجـمـعـي قـابـلا

فأجابه عليّ عليه السلام بهذه الأبيات.

ويقال صبّحتهم: أي أتيتهم به صباحاً. وعقد النواصي كناية عن الاهتمام في الحرب. واستحقبه أي احتمله. والحلق - بالفتح -: جمع الحلقة. وقال الجوهري: الدليص والدلاص: اللّين البرّاق يقال: درع دلاص وأدرع دلاص. وقال: الغيل - بالكسر -: الأيكة وموضع الأسد قيل: هو مثل «خيس». وقال: المناص: الملجأ والمفرّ.

---

(١) ديوان الامام علي، ص ٧٧. (٢) ديوان الامام علي، ص ٧٨.

(٣) في المصدر: القنابلا. وهي جماعات الناس أو الخيل.

٤٩ - ومنه في الاحتجاج على الخصوم:

لنا ما تدّعون بغير حقّ إذا ميز الصّحاح من المراض
عرفتم حقّنا فجحدتموه كما عُرِف السواد من البياض
كتاب الله شاهدنا عليكم وقاضينا الإله فنعم قاض[1]

٥٠ - ومنه أنّه كتب معاوية إليه عليه السلام:

لا تفسدنّ سابق إحسان مضى والله لا تغلب فيما قد مضى[2]

فأجابه عليّ عليه السلام:

إن كنت ذا علم بما الله قضى فاثبت أُصادفك وسيفي منتضى
والله لا يرجع شيء قد مضى والله لا يبرم شيئاً نقضا[3]

٥١ - ومنه في المفاخرة:

نحن نؤمّ النمط الأوسطا لسنا كمن قصّر أو أفرطا[4]

٥٢ - ومنه في الشكوى:

مات الوفاء فلا رفد ولا طمع في الناس لم يبق إلاّ اليأس والجزع
فاصبر على ثقة بالله وارض به فالله أكرم من يرجى ويتّبع[5]

٥٣ - ومنه في التذلّل إلى الله تعالى:

ذنوبي إن فكّرت فيها كثيرة ورحمة ربّي من ذنوبي أوسع
فما طمعي في صالح قد علمته ولكنّني في رحمة الله أطمع
فإن يك غفران فذاك برحمة وإن تكن الأخرى فما كنت أصنع
مليكي ومعبودي وربّي وحافظي وإنّي له عبد أقرّ وأخضع[6]

٥٤ - ومنه في وصف قتل الأغشم:

أودى بأغشم دهر كان يأمله فخرّ منجدلاً في الأرض مصروعا
قد كان يكثر في الكلام تسميعاً حتى سما بحسامه ترويعا
فعلوته منّي بضربة فاتك ما كان يوماً في الحروب جزوعا
من كان ينكر فضلنا وسناءنا فأنا عليّ للإله مطيعا[7]

بيان: أودى: هلك. والباء للتعدية. والتسميع: التشنيع. والترويع: التخويف. والفاتك: الجريء الشجاع. والسّناء: الرفعة.

---

(١) - (٤) ديوان الامام علي، ص ٧٩-٨١.
(٥) ديوان الامام علي، ص ٨٩.
(٦) ديوان الامام علي، ص ٨٢.
(٧) ديوان الامام علي، ص ٨٤.

٥٥ - ومنه في إظهار الشوكة والقوّة:

هل يقرع الصخر من ماء ومن مطر ... هل يلحق الريح بالآمال والطمع
أنا عليّ أبو السبطين مقتدر ... على العداة غداة الروع والزمع[1]

بيان: «هل يقرع الصخر»: أي لا يؤثّر الماء والمطر في الحجر الصلب. والغرض النهي عن الطمع فيما لا يتيسّر ولا تقدر عليه. والريح: الغلبة والقوّة. ويحتمل معناه المعروف. والزمع - بالتحريك -: الدهش.

٥٦ - ومنه في التلهّف من قتل أنصاره:

يا لهف نفسي قتلت ربيعة ... ربيعة السامعة المطيعة
سمعتها كانت بها الوقيعة ... بين محاني سوقها المبيعة
فما بها نقص ولا وضيعة ... ولا الأمور الرثة الشنيعة
كانت قديماً عصبة منيعة ... ترجو ثواب الله بالصنيعة
ومُرّة أنسابها ولبيعة ... قالعة أصواتها رفيعة
ليست كأصوات بني الخضيعة
دعا حكيم دعوةً سميعة ... من غير ما بطل ولا خديعة
نال بها المنزلة الرفيعة ... في الشرف العالي من الدّسيعة[2]

بيان: ربيعة أبو قبيلة. والمحاني: المعاطف. وسوق الحرب: حومة القتال. والمبيعة: موضع البيع. والرّثة - بالكسر -: السقط من متاع البيت. ومرّة: أبو قبيلة من قيس. وهو مفعول «دعا». والولع: الكذب. والقلع - بالفتح -: كون القدم غير ثابت عند المصارعة. ورفعه: أي هجاه. والخضيعة: صوت بطن الدابة. وحكيم هو ابن جبلة الذي قتل في محاربته طلحة والزبير قتل بـ «المربد». قوله عليه السلام: «سميعة»: أي مستمعة. والبطل - بالضمّ -: البطلان. والدسيعة: العطيّة.

٥٧ - ومنه في الرضا:

ما لي على فوت فائت أسف ... ولا تراني عليه ألتهف
ما قدّر الله لي فليس له ... عنّي إلى من سواي منصرف
فالحمد لله لا شريك له ... ما لي قوت وهمتي الشرف
أنا راض بالعسر واليسار فما ... تدخلني ذلة ولا صلف[3]

بيان: الصلف: مجاوزة قدر الظرف والادّعاء فوق ذلك تكبّراً.

---

(١) ديوان الامام علي، ص ٨٧.
(٢) ديوان الامام علي، ص ٨٩.
(٣) ديوان الامام علي، ص ٩٣.

٥٨ - ومنه في قصة قتل كعب بن الأشرف وإجلاء بني النضير:

عرفت ومن يعتدل يعرف وأيقنت حقاً ولم أصدف
عن الكلم الصدق يأتي بها من الله ذي الرأفة الأرأف
رسائل يدرسن في المؤمنين بهنّ اصطفى أحمد المصطفي
فأصبح أحمد فينا عزيزاً عزيز المقامة والموقف
فيا أيّها الموعدوه سفاهاً ولم يأت جوراً ولم يعنف
ألستم تخافون أدنى العذاب وما آمن الله كالأخوف
فإن تصرعوا تحت أسيافنا كمصرع كعب أبي الأشرف
غداة رأى الله طغيانه وأعرض كالجمل الأخيف
فأنزل جبريل في قتله بوحي إلى عبده الملطف
فدسّ الرسول رسولاً له بأبيض ذي ظُبة مرهف
فباتت عيون له معولات متى ينع كعب لها تذرف
فقالوا لأحمد ذرنا قليلاً فإنّا من النوح لم نشتف
فخلّاهم ثم قال: اظعنوا دحوراً على رغمة الآنف
وأجلى النضير إلى غربة وكانوا بدارة ذي زخرف
إلى أذرعات ردافاً وهم على كلّ ذي دبر أعجف(١)

بيان: «يأتي بها»: أي النبيّ ﷺ. و«سفاهاً»: تمييز أو حال. والجنف: الميل: أي الجمل الكثير الميل عن القصد.

قوله: «فإن تصرعوا»: جزاء الشرط محذوف: أي لانتقمنا منكم ولم يكن بعيداً. و«غداة» بفتح التاء مضاف إلى الجملة. وقيل: المراد من الوحي هو قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(٢).

والدسّ: الإرسال خفية. والرسول هو محمد بن مسلمة الذي بعثه النبيّ ﷺ لقتل كعب غيلةً، وقد مرّت القصة في المجلد السادس.

«متى ينع» على بناء المجهول من النعي: وهو خبر الموت. وضمير «لها» راجع إلى العيون والإسناد فيه وفي «المعولات» على المجاز. وذرفت عينه: سال منها الدمع. و«الأنف» جمع الأنف. و«الأذرعات» - بفتح الهمزة وكسر الراء - موضع بالشام. والرداف: جمع الرديف. والدبر: جراحة تحدث في ظهر البعير وجنبه. والأعجف: المهزول.

٥٩ - ومنه في هرب غطريف بن جشم:

يا لهف نفسي على الغطريف المدّعي البأس وبذل الريف

(١) ديوان الإمام علي، ص ٩٢. (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

أفلت من ضرب له خفيف   غير كريم الجدّ أو طريف

بيان: البأس: الشدّة في الحرب. والريف - بالكسر -: أرض فيها زرع وخصب. أي كان مدّعياً لغاية الشجاعة والكرم. والطريف في النسب: الكثير الآباء إلى الجدّ الأكبر.

قال الشارح: أي ما جدّه غير كريم أو بينه وبين جدّه الكريم آباء كثيرة.

٦٠ - ومنه في إظهار الشوق إلى الكوفة

يا حبّذا سيف بأرض الكوفة   أرض لنا مألوفة معروفة

يطلقها جمالنا المعلوفة   عمي صباحاً واسلمي مألوفة[1]

بيان: السيف - بالكسر -: ساحل البحر.

وقال ابن الأثير في مادة «عرف» من كتاب النهاية: العَرْف: الريح الطيّبة ومنه حديث علي عليه السلام: «حبّذا أرض الكوفة أرض سواء سهلة معروفة» أي طيّبة العرف. وقولهم: «عم صباحاً»: كلمة تحية كأنّه محذوف منه حرف، من «نعم ينعم» بالكسر كما يقال: كل من «أكل يأكل» فحذف النون والألف تخفيفاً.

٦١ - ومنه في الرضى بما قسم الله وقدّره له:

رضيت بما قسم الله لي   وفوّضت أمري إلى خالقي

لقد أحسن الله فيما مضى   كذلك يحسن فيما بقي[2]

٦٢ - ومنه في الفخر بالعلم:

علمي معي أينما قد كنت يتبعني   قلبي وعاء له لا جوف صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي   أو كنت في السوق كان العلم في السوق[3]

٦٣ - ومنه في الشكاية من الرفقاء:

تغرّبت أسأل من عنّ لي   من الناس هل من صديق صدوق

فقالوا: عزيزان لا يوجدان   صديق صدوق وبيض الأنوق[4]

بيان: الأنوق كصبور: الرخمة وفي المثل: «أعزّ من بيض الأنوق»؛ لأنّه يحرزها فلا يكاد يظفر بها لأنّ أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة.

٦٤ - ومنه في مثله:

تراب على رأس الزمان فإنّه   زمان عقوق لا زمان حقوق

فكلّ رفيق فيه غير موافق   وكلّ صديق فيه غير صدوق[5]

٦٥ - ومنه في سبب بغض الأعادي:

ما تركت بدر لنا صديقا   ولا لنا من خلفنا طريقا

---

(١) - (٥) ديوان الإمام علي، ص ٩٤ و٩٥-٩٧.

٦٦ - ومنه خطاباً لموسى بن حازم العكّي في الحرب:

دونكها مترعة دهاقا كأساً زعافاً مزجت زعاقا
إنّا لقوم ما ترى ما لاقا أقدّ هاماً وأقطّ ساقا[1]

بيان: دونكها أي خذها والضمير راجع إلى الكأس لأنّه مؤنّث سماعي. وأترعه: ملأه. والدهاق: الممتلئة. وزعفه زعفاً: قتله مكانه وسمّ زعاف بالضم أي مهلك من ساعته. الزعاق - بالضم - الماء الممزوج بالملح الشديد الملوحة. والقدّ: القطع طولاً. والقطّ: القطع عرضاً.

٦٧ - ومنه في إخباره عليه السلام بالأمر الخفيّ:

أرى حرباً مغيّبةً وسلماً وعهداً ليس بالعهد الوثيق[2]

بيان: قال الشارح: أمّر أمير المؤمنين عليه السلام حريث بن راشد قبل وقعة صفّين على الأهواز ولمّا رجع عليه السلام من صفّين بغى وتمرّد، فبعث عليه السلام إليه معقل بن قيس، فقتله وأسر جماعة من بني ناجية خرجوا معه، ففدّاهم مصقلة بن هُبَيرة بخمس مائة ألف درهم فلمّا عجز من أدائه هرب إلى معاوية، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بتخريب بيته فظهرت فيه أسلحة فأنشد عليه السلام هذا البيت.

٦٨ - ومنه في مثله:

أرى أمراً تنقّض عروتاه وحبلاً ليس بالحبل الوثيق[3]

٦٩ - ومنه في تعيير معاوية في بناء مسجد بناه بدمشق:

سمعتك تبني مسجداً من خيانة وأنت بحمد الله غير موفّق
كمطعمة الرمّان ممّا زنت به جرت مثلاً للخائن المتصدّق
فقال لها أهل البصيرة والتُقى: لك الويل لا تزني ولا تتصدّقي[4]

٧٠ - ومنه في مدح أصحابه:

قومي إذا اشتبك القنا جعلوا الصدور لها مسالك
اللابسون دروعهم فوق القلوب لأجل ذلك[5]

٧١ - ومنه في الرضا بما رزقه الله من العلم:

رضينا قسمة الجبّار فينا لنا علم وللأعداء مال
فإنّ المال يفنى عن قريب وإنّ العلم باق لا يزال[6]

---

(١) ديوان الإمام علي، ص ٩٥-٩٧.
(٢) - (٤) ديوان الإمام علي، ص ٩٥-٩٦.
(٥) ديوان الإمام علي، ص ٩٨.
(٦) - ديوان الإمام علي، ص ١٢٣.

٧٢ - ومنه في إظهار الكرم:

وداري مناخ لمن قد نزل وزادي مباح لمن قد أكل
أُقدّم ما عندنا حاضر وإن لم يكن غير خبز وخلّ
فأمّا الكريم فراض به وأمّا اللئيم فذاك الوبل[1]

بيان: الوبل - بالتحريك -: الوبال وهو أمر يخاف ضرره.

٧٣ - ومنه في إظهار المكارم:

إنّي امرؤ بالله عزّي كلّه ورث المكارم آخري من أوّلي
فإذا اصطنعت صنيعةً أتبعتها بصنيعة أخرى وإن لم أسأل
وإذا يصاحبني رفيق مرمل آثرته بالزاد حتى يمتلي
وإذا دُعيت لكربة فرّجتها وإذا دعيت لغدرة لم أُفعل
وإذا يصيح بي الصريخ لحادث وافيته مثل الشهاب المشعل
وأعدّ جاري من عيالي إنّه اختار من بين المنازل منزلي
وحفظته في أهله وعياله بتعاهد منّي ولمّا أسعل[2]

بيان: أرمل القوم: نفد زادهم. والصريخ: المستغيث والمغيث، وأريد به هنا الأوّل. والسعّال هنا: كناية عن الكراهة يقال: أغصّك السّعال فأخذك السعال.

٧٤ - ومنه في بيان فضائله عليه السلام مخاطباً للحارث الهمداني:

يا حار هَمْدان من يَمُت يرني من مؤمن أو منافق قُبُلا
يعرفني طرفه وأعرفه بنعته واسمه وما فعلا
وأنت عند الصراط معترضي فلا تخف عثرةً ولا زللا
أقول للنار حين توقف للـ عرض: ذريه لا تقربي الرجلا
ذريه لا تقربيه إنّ له حبلاً بحبل الوصيّ متّصلا
أسقيك من بارد على ظمأ تخاله في الحلاوة العسلا
قول علي لحارث عجب كم ثمّ أعجوبة له جملا[3]

بيان: «حار» مرخّم حارث. ورأيته قبلاً - بالفتح أو الضمّ -: أي مقابلةً وعياناً. «جملاً» أي مجملات أو جملةً جملةً.

٧٥ - ومنه في ردّ منجّم أراد إرشاده عليه السلام:

خوّفني منجّم أخو خبل تراجع المرّيخ في بيت حمل
فقلت: دعني من أكاذيب الحيل المشتري عندي سواء وزحل

(١) ديوان الإمام علي، ص ١٢٣.
(٢) - (٣) ديوان الإمام علي، ص ١١٨.

أرفع عن نفسي أفانين الدول بخالقي ورازقي عزّ وجلّ[1]

بيان: الخبل: فساد العقل.

٧٦ - ومنه في إظهار أنّ الخلافة حقّه مخاطباً لأبي بكر:

روى أبو الجيش المظفّر البلخي بإسناده قال: جاء علي عليه السلام وأبو بكر في المسجد فقال عليه السلام:

تعلّم أبا بكر ولا تك جاهلاً بأنّ علياً خير حاف وناعل
وأنّ رسول الله أوصى بحقّه وأكّد فيه قوله بالفضائل
ولا تبخسنّه حقّه واردد الورى إليه فإنّ الله أصدق قائل[2]

٧٧ - ومنه في إظهار الشجاعة:

أنا الصقر الذي حدّثت عنه عتاق الطير تنجدل انجدالا
وقاسيت الحروب أنا ابن سبع فلمّا شبت أفنيت الرجالا
فلم تدع السيوف لنا عدوّاً ولم يدع السخاء لديّ مالا[3]

بيان: قال الجوهري: عِتاق الطير بكسر العين: الجوارح منها. والانجدال: السقوط من طعنة أو ضربة.

وقوله عليه السلام: «عنه» متعلّق بقوله: «حدّثت» و«الانجدال» معاً أو بأحدهما ويقدّر للآخر. وفي قوله: «أنا ابن سبع» الواو مقدّر للحال.

واحتمل الشارح أن يكون السبع مصدر قولهم «سبع الذئب الغنم» من باب «منع» و«نصر»: أي افترسها. ولعلّه لقراءته «شئت» بالهمزة كما صرّح به، والأظهر أنّه «شبت» بالباء كما في بعض النسخ من الشيب.

٧٨ - ومنه في مثله:

صيد الملوك أرانب وثعالب وإذا ركبت فصيدي الأبطال
صيدي الفوارس في اللقاء وإنّني عند الوغى لغضنفر قتّال[4]

بيان: الغضنفر: الأسد.

٧٩ - ومنه في إظهار حبّ النبيّ ونصره وذمّ أعاديه:

إنّ عبداً أطاع ربّاً جليلا وقفى الداعي النبيّ الرسولا
فصلاة الإله تترى عليه في دُجى الليل بكرةً وأصيلا
إن ضرب العداة بالسيف يرضي سيّداً قادراً ويشفي غليلا
ليس من كان قاصداً مستقيماً مثل من كان هاوياً وذليلا

---

(١) - (٢) ديوان الإمام علي، ص ١١٨. (٣) - (٤) ديوان الإمام علي، قافية اللام.

حسبي الله عصمةً لأموري ... وحبيبي محمد لي خليلا[١]

بيان: قوله عليه السلام: «هاوياً»: أي ساقطاً في الآخرة في النار. وفي بعض النسخ: «هادياً ودليلاً» بالمهملة: أي ليس الهادي والمكمّل كالمهتدي والمسترشد.

٨٠ - ومنه في مثله: روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين أصحابه وترك علياً عليه السلام لم يؤاخ بينه وبين أحد فقال له في ذلك فقال: أنا اخترتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة. فبكى علي عليه السلام وقال:

أقيك بنفسي أيّها المصطفى الذي ... هدانا به الرحمٰن من غمةِ الجهل
وتفديك حوبائي وما قدر مهجتي ... لمن أنتمي معه إلى الفرع والأصل
ومن كان لي مذ كنت طفلاً ويافعاً ... وأنعشني بالعلّ منه وبالنهل
ومن جدّه جدّي ومن عمّه أبي ... ومن نجله نجلي ومن بنته أهلي
ومن حين آخى بين من كان حاضراً ... دعاني وآخاني وبيّن من فضلي
لك الفضل إنّي ما حييت لشاكر ... لإحسان ما أوليت يا خاتم الرسل[٢]

بيان: الحوباء -: بالفتح -: النفس. والفرع: الأولاد والأحفاد. والأصل: الآباء والأجداد: أي أولادي أولاده وآبائي آباؤه. وأيفع الغلام: ارتفع فهو يافع. والعلّ: الشرب الثاني. والنهل: الشرب الأوّل فإنّ الإبل تسقى في أوّل الورد فتردّ إلى العطن ثمّ تُسقى الثانية فتُردّ إلى المرعى. والنجل: النسل.

٨١ - ومنه عند قرب حرب الجمل:

قد طال ليلي والحزين موكّل ... لحذار يوم عاجل ومؤجّل
والناس تعروهم أمور جمّة ... مرّ مذاقتها كطعم الحنظل
فتن تحلّ بهم وهنّ سوارع ... تسقي أواخرها بكأس الأوّل
فتن إذا نزلت بساحة أمّة ... حيقت بعدل بينهم متبهّل[٣]

بيان: حاق به الأمر: نزل. ولم أره متعدّياً. والتبهّل: الإخلاص في الدعاء.

٨٢ - ومنه في الشكاية من طلحة والزبير:

إنّ يومي من الزبير ومن ... طلحة فيما يسوؤني لطويل
ظلماني ولم يكن علم الله ... إلى الظلم لي لخلق سبيل[٤]

بيان: قال الشارح: قوله عليه السلام: «علم الله» قسم والتقدير: لم يكن لي سبيل إلى الظلم لمخلوق.

---

(١) - (٤) ديوان الإمام علي، قافية اللام.

أقول: ويحتمل أن يكون المعنى أنّه لم يكن حينئذٍ لأحد من الخلق سبيل إلى ظلمي وهما أسّسا للناس ذلك.

٨٣ - ومنه مخاطباً لمعاوية:

ألا من ذا يبلّغ ما أقول ... فإن القول يبلغه الرسول
ألا أبلغ معاوية بن صخر ... لقد حاولت لو نفع الحويل
وناطحت الأكارم من رجال ... هم الهام الذين لهم أصول
همُ نصروا النبي وهم أجابوا ... رسول الله إذ خُذل الرسول
نبياً جالد الأصحاب عنه ... وناب الحرب ليس له فلول
فدنت له ودان أبوك كرهاً ... سبيل الغيّ عندكما سبيل
مضى فنكصتما لمّا توارى ... على الأعقاب غيّكما طويل
إذا ما الحرب أهدب عارضاها ... وأبرق عارض منها مخيل
فيوشك أن يجول الخيل يوماً ... عليك وأنت منجدل قتيل[1]

بيان: قال الجوهري: حاولت الشيء: أي أردته. والاسم: الحويل. وهامة القوم: رئيسهم. والأصل: الحسب. والفلول: الكسور.

وقال الفيروزآبادي: الهيدب: السحاب المتدلّي، أو ذيله. وهدب الشجر - كفرح -: طالت أغصانه وتدلّت كأهدبت. وقال: العارض: السحاب المعترض في الأفق. وأبرق السّحاب: ظهر منه البرق. والسّحابة المخيلة - بفتح الميم وكسر الخاء -: التي تحسبها ماطرة. والمنجدل: الصريع. ثم قال شارح الديوان: فأجاب معاوية:

لا تحسبنّي يا علي غافلا ... لأوردنّ الكوفة القنابلا
والمشمخرّ والقنا الذوابلا ... في عامنا هذا وعاماً قابلا[2]

فأجابه علي عليه السلام:

أصبحت ذا حمق تمنّى الباطلا ... لأوردنّ شامك الصواهلا
أصبحت أنت ابن هند جاهلا ... لأرمينّ منكم الكواهلا
تسعين ألفاً رامحاً ونابلا ... يزدحمون الحزن والسواهلا[3]
بالحقّ والحقّ يزيح الباطلا ... هذا لك العام وذرني قابلا

بيان: القنبلة: طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. واشمخرّ الشيء: طال، والمشمخرّ: الحبل العالي. و«تمنّى» ماض أو مضارع بحذف التاء. والصاهل: الفرس الذي له صهيل.

---

(١) - (٣) ديوان الإمام علي، قافية اللام.

وقال الزمخشري في كتاب الأساس: هو كافل أهله وكاهلهم: أي هو الذي يعتمدونه، شُبّه بالكاهل واحد الكواهل. والنابل من النبل وهو السهم.

٨٤ - ومنه في وصف أصحابه صلوات الله عليه:

كآساد غيل وأشبال خيس ... غداة الخميس ببيض صقال
تحيد الضراب وحزّ الرقاب ... أمام العقاب غداة النزال
تكيد الكذوب وتخزي الهيوب ... وتروي الكعوب دماء القذال(١)

بيان: الغيل والخيس -: بكسرهما -: موضع الأسد. والشّبل- بالكسر -: ولده. والحزّ: القطع. والعقاب: العلم الضخم، واسم راية رسول الله صلى الله عليه وآله. والقذال: جماع مؤخّر الرأس.

٨٥ - ومنه في مدح عبد العزيز بن الحارث:

شريت بأمر لا يطاق حفيظةً ... حباءاً وإخوان الحفيظ قليل
جزاك إله الناس خيراً فقد وفت ... يداك بفضل ما هناك جزيل(٢)

بيان: رُوي أنّه قالها حين أحاط عسكر الشام بطائفة من أصحابه فنادى عليه السلام: ألا هل من رجل يشري نفسه لله ويبيع دنياه بآخرته!

فأجابه عبد العزيز ودخل في غمار الناس وحارب حتى وصل إلى أصحابه عليه السلام وقال لهم: يقول لكم أمير المؤمنين عليه السلام: كبّروا وهلّلوا فها نحن قد وافيناكم إن شاء الله. وصار ذلك سبب الفتح والظفر كما مرّ.

والحفيظة: الغضب والحميّة وهي مفعول «شريت» أو المفعول مقدر أي نفسك.

٨٦ - ومنه في الضّجر والشكوى من تحامل الطّغاة على أهل التقوى:

وروي أنّه أنشدهما يوم استشهد عمّار بن ياسر رضي الله عنه:

ألا أيّها الذي ليس تاركي ... أرحني فقد أفنيت كلّ خليل
أراك مصرّاً بالذين أحبهم ... كأنّك تنحو نحوهم بدليل(٣)

٨٧ - ومنه في كثرة قتلى أهل الشام:

كأين تركنا في دمشق وأهلها ... من أشمط موتور وشمطاء ثاكل
وغانية صاد الرماح خليلها ... وأضحت بعيد اليوم إحدى الأرامل
تبكي على بعل لها راح غازياً ... وليس إلى يوم الحساب بقافل
ونحن أناس لا تصيد رماحنا ... إذا ما طعنّا القوم غير المقاتل(٤)

---

(١) - (٤) ديوان الإمام علي، قافية اللام.

أقول: روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين عن عمرو بن شمر قال: لمّا صدر عليّ عليه السلام من صفّين أنشأ يقول: . . . . وذكر الأبيات.

بيان: الشمط: بياض لشعر الرأس يخالط سواده، والرجل أشمط والمرأة شمطاء. والموتور: الذي قُتل له قتيل ولم يدرك بدمه. والغانية: الجارية التي غنيت بزوجها أو التي غنيت بحسنها وجمالها عن الزينة. والقفول: الرجوع عن السفر.

٨٨ - وقال في الديوان ومنه في الشكوى من اندراس معالم الإسلام:

ليبكِ على الإسلام من كان باكياً فقد تركت أركانه ومعالمه
لقد ذهب الإسلام إلاّ بقيّة قليل من الناس الذي هو لازمه[1]

٨٩ - ومنه قال: جاءت إليه عليه السلام امرأة تشكو زوجها فقالت:

زوجي كريم يبغض المحارما يقطع ليلاً قاعداً وقائما
ويصبح الدهر لدينا صائما وقد خشيت أن يكون آثماً
لأنّه يصبح لي مراغما

أجابها زوجها:

لا أُصبح الدهر بهنّ هائما ولا أكون بالنساء ناعما
لا بل أُصلّي قاعداً وقائما فقد أكون للذنوب لازما
يا ليتني نجوت منها سالما

فأجابهما عليه السلام حاكماً بينهما:

مهلاً فقد أصبحت فيها آثما لك الصلاة قاعداً وقائما
ثلاثة تصبح فيها صائما ورابع تصبح فيه طاعما
وليلة تخلو لديها ناعما ما لك أن تمسكها مراغما[2]

توضيح: المراغمة: المغاضبة. والهيام كالجنون من العشق. ومهلاً أي أمهل.

٩٠ - ومنه في الشكوى:

أصبحت بين الهموم والهمم هموم عجز وهمّة الكرم
طوبى لمن نال قدر همّته أو نال القنوع بالقسم[3]

٩١ - ومنه في المفاخرة وإظهار الفضائل:

قال شارح الديوان: ذكر الإمام علي بن أحمد الواحدي عن أبي هريرة قال: اجتمع عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، والفضل ابن العباس، وعمّار، وعبد الرحمٰن بن عوف، وأبو ذرّ، والمقداد، وسلمان، وعبدالله بن

(١) - (٣) ديوان الإمام علي، قافية اللام.

مسعود، فجلسوا وأخذوا في مناقبهم، فدخل عليهم عليّ عليه السلام فسألهم فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر مناقبنا ممّا سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال عليّ عليه السلام: اسمعوا منّي، ثمّ أنشأ يقول هذه الأبيات:

لقد علم الأُناس بأنّ سهمي ... من الإسلام يفضل كلّ سهم
وأحمد النبي أخي وصهري ... عليه الله صلّى وابن عمّي
وإنّي قائد للناس طرّاً ... إلى الإسلام من عرب وعجم
وقاتل كلّ صنديد رئيس ... وجبّار من الكفّار ضخم
وفي القرآن ألزمهم ولائي ... وأوجب كطاعتي فرضاً بعزم
كما هارون من موسى أخوه ... كذاك أنا أخوه وذاك اسمي
لذاك أقامني لهم إماماً ... وأخبرهم به بغدير خمّ
فمن منكم يعادلني بسهمي ... وإسلامي وسابقتي ورحمي
فويل ثمّ ويل ثم ويل ... لمن يلقى الإله غداً بظلمي
وويل ثمّ ويل ثم ويل ... لجاحد طاعتي ومريد هضمي
وويل للذي يشقى سفاهاً ... يريد عداوتي من غير جرمي[١]

٩٢ - ومنه في الشكاية:

أطلب العذر من قومي وإن جهلوا ... فرض الكتاب ونالوا كلّ ما حرما
حبل الإمامة لي من بعد أحمدنا ... كالدلو علقت التكريب والوذما
لا في نبوّته كانوا ذوي ورع ... ولا رعوا بعده إلّاً ولا ذمما
لو كان لي جائزاً سرحان أمرهم ... خلّفت قومي وكانوا أمّة أُمما[٢]

بيان: قال الفيروزآبادي في «مادة كرب» من القاموس: الكرب - بالتحريك -: الحبل يشدّ في وسط العراقي ليلي الماء فلا يعفن الحبل الكبير، وقد كرب الدلو وأكربها وكرّبها.

وقال أيضاً: الوذم - محرّكة -: السيور بين آذان الدلو. والإلّ - بالكسر -: العهد. و«سرحان»: مصدر من قولهم: سرّح الماشية. وهو إرسالها للرعي. وتسريح المرأة: تطليقها. والأمم - بالتحريك -: الشيء اليسير. وأخذت ذلك من أمم: أي من قربٍ وداره أمم داري: أي مقابلتها. وقُرئ «أُمماً» بضمّ الهمزة أيضاً. أي فرقاً مختلفة.

٩٣ - وروي أنّه قال غطريف بن جشم: «إنّي غطريف نعم وابن جشم» إلى آخر الأبيات فأجابه عليه السلام:

أنا عليّ المرتجى دون العلم ... مرتهن للحين موفٍ بالذمم
أنصر خير الناس مجداً وكرم ... نبيّ صدق راحماً وقد علم

(١) - (٢) ديوان الإمام علي، قافية الميم.

أنّي سأشفي صدره وأنتقم فهو بدني الله والحقّ معتصم
فاثبت لحاك الله يا شرّ قدم فسوف تلقى حرّ نار تضطرم[١]
تحلّ فيها ثم توهي كالحُمَم

بيان: العلم: الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش. والحين - بالفتح - : الهلاك. وقال الجوهري: قولهم: لحاه الله: أي قبّحه ولعنه. ورجل قدم - بكسر الدال - : أي يتقدّم. وقدم - بالتحريك - : أي شجاع. وكعنب: الرجل له مرتبة في الخير. والحمم - بالضم - : الفحم وكلّ ما احترق من النار.

٩٤ - ومنه مخاطباً للزبير في حرب الجمل:

لا تعجلنّ واسمعن كلامي إنّي وربّ المُركّع الصيام
إذا المنايا أقبلت خيامي حملت حمل الأسد الضرغام
بباتل مؤلّل حُسام عوّد قطع اللحم والعظام[٢]

بيان: قال الجوهري في الصحاح: ألّلت الشيء تأليلاً: حدّدت طرفه.

٩٥ - ومنه خطاباً لمعاوية:

أما والله إنّ الظلم شوم ولا زال المسيء هو الظلوم
إلى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا غداً عند المليك من الغشوم
ستنقطع اللذاذة عن أُناس من الدنيا وتنقطع الهموم
لأمر ما تصرّفت الليالي لأمر ما تحرّكت النجوم
سل الأيّام عن أمم تقضّت ستخبرك المعالم والرسوم
تروم الخلد في دار المنايا فكم قد رام مثلك ما تروم
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبّه للمنيّة يا نؤوم
لهوت عن الفناء وأنت تفنى فما شيء من الدنيا يدوم
تموت غداً وأنت قرير عين من العضلات في لجج تعوم[٣]

بيان: العضلة - بالضمّ - : الداهية. والعوم: السباحة.

٩٦ - ومنه حاكياً قتله بعض المنافقين:

ضربته بالسيف وسط الهامه بشفرة ضاربة هدّامه
فبتّكت من جسمه عظامه وبيّنت من أنفه ارغامه
أنا علي صاحب الصمصامه وصاحب الحوض لدى القيامه

---

(١) - (٣) ديوان الإمام علي، قافية الميم.

أخو نبيّ الله ذو العلامه قد قال إذ عمّمني العمامه
أنت أخي ومعدن الكرامه ومن له من بعدي الإمامه(١)

بيان: قال الجوهري: الشفرة - بالفتح -: السكّين العظيم. وشفرة السيف أيضاً حدّه. والهضم: القطع. والتبتيك: التقطيع. والصمصامة: السيف القاطع الذي لا ينثني. والمراد من العلامة هنا خاتم النبوّة.

٩٧ - ومنه في مرثية أكارم أصحابه:

جزى الله خيراً عُصبة أيّ عصبة حسان الوجوه صرّعوا حول هاشم
شقيق وعبد الله منهم ومعبد ونبهان وابنا هاشم ذي المكارم
وعروة لا ينأى فقد كان فارساً إذا الحرب هاجت بالقنا والصوارم
إذا اختلف الأبطال واشتبك القنا وكان حديث القوم ضرب الجماجم(٢)

بيان: هاشم هو ابن عتبة الزهري الصحابي المرقال. وشقيق هو ابن ثور العبدي. وعبد الله هو ابن بديل بن ورقاء الصحابي الخزاعي.

٩٨ - ومنه مرتجزاً في صفّين:

ما علّتي وأنا جلد حازم وفي يميني ذو غرار صارم
وعن يميني مذحج القماقم وعن يساري وائل الخضارم
القلب حولي مضر الجماجم وأقبلت هَمْدان والأكارم
والأزد من بعد لنا دعائم والحقّ في الناس قديم دائم(٣)

بيان: قال الجوهري: العلّة: حدث يشغل صاحبه عن وجهه. وقال أيضاً: الغراران: شفرتا السيف وكلّ شيء له حدّ فحدّه غراره. والقمقام: السيّد. والعدد الكثير. ووائل اسم قبيلة. وخضرم: الكثير العطاء. والقلب: وسط الجيش. وجماجم العرب: القبائل التي تجمع البطون فينسب إليها دونهم.

٩٩ - ومنه في ذمّ بعض القبائل:

وأبعد من حلم وأقرب من خنا وأخمد نيراناً وأخمل أنجما
موالي أيادٍ شرّ من وطئ الحصا موالي قيس لا أُنوف ولا فما
فما سبقوا قوماً بوتر ولا دم ولا نقضوا وتراً ولا أدركوا دما
ولا قام منهم قائم في جماعة ليحمل ضيماً أو ليدفع مغرما(٤)

بيان: الخنا: الفحش. وقوله عليه السلام: «لا أُنوف ولا فما»: أي ليس فيهم الرياسة والفصاحة. والمغرم: ما يلزم أداؤه.

---

(١) - (٤) ديوان الإمام علي، قافية الميم.

١٠٠ - ومنه تحسراً على قتل أعيان قبيلة شِبام:

وصحت على شبام فلم تجبني يعزّ عليّ ما لقيت شِبام[١]

١٠١ - ومنه في الشكاية والتصبّر:

تنكّر لي دهري ولم يدر أنّني أعزّ وروعات الخطوب تهون
فظلّ يريني الخطب كيف اعتداؤه وبِتّ أُريه الصبر كيف يكون[٢]

بيان: التنكّر: التغيّر.

١٠٢ - ومنه في التأدّب من أحوال الزمان وتحصيل التجارب:

الدهر أدّبني واليأس أغناني والقوت أقنعني والصبر ربّاني
وأحكمتني من الأيّام تجربة حتى نهيت الذي قد كان ينهاني[٣]

١٠٣ - ومنه في الشكاية من أهل النفاق:

هذا زمان ليس إخوانه يا أيّها المرء بإخوان
إخوانه كلّهم ظالم لهم لسانان ووجهان
يلقاك بالبشر وفي قلبه داء يواريه بكتمان
حتى إذا ما غبت عن عينه رماك في زورٍ وبهتان
هذا زمان هكذا أهله بالود لا يصدقك اثنان
يا أيّها المرء كن متفرداً دهرك لا تأنس بإنسان[٤]

١٠٤ - ومنه ما روي أنّه عزّى به عمر بن الخطاب بابن له تُوُفّي فقال:

إنّا نعزّيك لا أنّا على ثقة من الحياة ولكن سنّة الدين
فلا المعزّى بباق بعد ميّته ولا المعزّي ولو عاشا إلى حين[٥]

بيان: قوله: «لا أنّا» - بالفتح -: أي لا نعزّيك لكوننا على ثقة من حياتنا بعده.

١٠٥ - ومنه في الشكاية من منافقي زمانه صلوات الله عليه:

لولا الذين لهم ورد يقومونا وآخرين لهم سرد يصومونا
تدكدكت أرضكم من تحتكم سحراً لأنّكم قوم سوء لا تطيعونا[٦]

بيان: قال الجوهري: سردت الصوم: تابعته. وقال: تدكدكت الجبال أي صارت دكّاوات وهي رواب من طين.

١٠٦ - ومنه في نفي تأثير النجوم:

أتاني يهدّدني بالنجوم وما هو من شرّه كائن
ذنوبي أخاف فأمّا النجوم فإنّي من شرّها آمن[٧]

---

(١) ديوان الإمام علي، قافية الميم. (٢) - (٧) ديوان الإمام علي، قافية النون.

١٠٧ - ومنه في المفاخرة:

نحن الكرام بنو الكرام ... وطفلنا في المهد يكنى
إنا إذا قعد اللئام ... على بساط العزّ قمنا[1]

بيان: التكنية في المهد علامة الشرف أو بيان لاستحبابها. والمراد بالقيام التهيّؤ للجهاد وسائر العبادات.

١٠٨ - وقال عبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج في النهروان:

أضربكم ولا أرى أبا الحسن ... ذاك الذي ضلّ إلى الدنيا ركن

فأجابه عليّ صلوات الله عليه:

يا أيّها المشرك يا من افتتن ... والمتمنّي أن يرى أبا الحسن
إليّ فانظر أيّنا يلقى الغبن[2]

الغبن - بالفتح فسكون الباء -: المخدوعية في البيع أو الشراء. وبالتحريك -: الضعف في الرأي.

١٠٩ - ومنه خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله وإظهاراً للإخلاص له:

يا أكرم الخلق على الله ... والمصطفى بالشرف الباهي
محمد المختار مهما أتى ... من محدث مستفظع ناهي
فاندب له حيدر لا غيره ... فليس بالغمر ولا اللاهي
ترى عماد الكفر من سيفه ... منكّساً باطله واهي
هل العدا إلاّ ذئاب عوت ... مع كلّ ناس نفسه ساهي
سيهزم الجمع على عقبه ... بحيدر والنصر لله[3]

بيان: الباهي مأخوذ من البهاء وهو الحسن. واستفظع الأمر: وجده فظيعاً. والغمر - بالضمّ وبضمّتين -: الذي لم يجرّب الأمور. والعقب - بالتسكين - لغة في العَقِب بالتحريك.

١١١٠ - ومنه افتخاراً بالمناقب والفضائل:

أنا للفخر أليها وبنفسي أتّقيها ... نعمةً من سامك السبع بما قد خصّنيها
لن ترى في حومة الهيجاء لي فيها شبيها ... ولي السبقة في الإسلام طفلاً ووجيها
ولي القربة إن قام شريف ينتميها ... زقّني بالعلم زقّاً فيه قد صرت فقيها
ولي الفخر على الناس بعرسي وبنيها ... ثم فخري برسول الله إذ زوّجنيها
لي مقامات ببدر حين حار الناس فيها ... وبأحد وحنين لي صولات تليها
وأنا الحامل للراية حقّاً أحتويها ... وأنا القاتل عمراً حين حار الناس تيها

---

(١) - (٢) ديوان الإمام علي، قافية النون. (٣) ديوان الإمام علي، ص ١٥٤.

وإذا ضرّم حرباً أحمد قدّمنيها وإذا نادى رسول الله نحوي قلت إيها
وأنا المسقي كأساً لذّة الأنفس فيها هبة الله فمن مثلي في الدنيا شبيها[1]

بيان: ضمير «أليها» مبهم يفسّره «نعمة» وهي النبي صلى الله عليه وآله.

قوله: «وبنفسي أتقيها» أي أجعل نفسي وقايةً لتلك النعمة. و«سامك السبع» أي رافع سبع سماوات. وزقّ الطائر الفرخ يزقّه على زنة «مدّ» وبابه أي أطعمه بفيه. و«إيها» كلمة استزادة.

١١١ - ومنه إظهاراً للشجاعة:

أنا مذ كنت صبيّا ثابت القلب جريّا أبطل الأبطال قهراً ثمّ لا أفزع شيّا
يا سباع البرّ ريفي وكلي ذا اللحم نيّا

بيان: قال الجوهري في الصحاح: رافت الماشية: رعت الريف وهي أرض فيها زرع وخصب.

١١٢ - وقال بعض الأعادي خطاباً لعسكره عليه السلام:

أضربكم ولو أرى عليّا ألبسه أبيض مشرفيّا

فأجاب صلوات الله عليه:

يا أيّهذا المبتغي عليّا إنّي أراك جاهلاً غبيّا
قد كنت عن لقائه غنيّا هلمّ فادن هاهنا إليّا

١١٣ - ومنه في تخويف بعض الكفّار:

سيف رسول الله في يميني وفي يساري قاطع الوتين
وكلّ من بارزني يجيني أضربه بالسيف عن قريني
محمد وعن سبيل الدينِ هذا قليل عن طلاب عين

بيان: الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

وقوله: «يجيني» أمر غائب، قال الشيخ الرّضيّ رحمه الله جاز في النظم حذف لام الأمر في فعل غير الفاعل نحو «محمّد تفد نفسك كلّ نفس». وأجاز الفرّاء حذفها في النّثر نحو قل له يفعل قال تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[2] والقرين: المصاحب. وطلاب - بالكسر -: جمع طالب مثل جياع وجائع. كذا قال الشارح، والمعروف في جمعه أي جمع طالب طُلاّب بالضمّ والتشديد فيمكن أن يكون التخفيف هاهنا للضرورة أو يكون طلاب بالكسر مصدر «طالبه مطالبةً وطِلاباً» إذا طالبه بحقّ. والعين - بالكسر - جمع الأعين أي الواسع العين.

١١٤ - ومنه في تهديد بعض الأشرار:

اليوم أبلو حسبي وديني بصارم تحمله يميني
عند اللقا أحمي به عريني

---

(١) ديوان الإمام علي، ص ١٥٣.
(٢) سورة ابراهيم، الآية ٣.

بيان: العرين مأوى الأسد.

١١٥ - وكان نقش سيفه عليه السلام:

أسد على أسد يطول بصارم   عضب يمان في يمين يمان

بيان: قال الشارح: قوله: «في يمين يمان»: يدلّ على أنّ البيت من غيره عليه السلام، ولعلّ السّيف انتقل إليه عليه السلام من رجل من أهل اليمن وكان هذا البيت مكتوباً عليه.

ويحتمل أن يكون عليه السلام نقش هذا البيت على سيفه في عاشر الهجرة، حين بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى اليمن فعل ذلك تودّداً إليهم. أو يقرأ «يمان» بضمّ الياء: أي صاحب اليمن كعظام وعقام بمعنى عظيم وعقيم انتهى. **وأقول:** يمكن أن تكون النسبة إلى اليمن باعتبار كمال الإيمان كما ورد في الخبر أنّ الإيمان يمان والحكمة يمانية.

وقال الجزري في مادّة «يمن» في شرح هذا الخبر في كتاب النهاية: إنّما قال ذلك لأنّ الإيمان بدأ من مكة وهي من تهامة من أرض اليمن ولهذا يقال: الكعبة اليمانية انتهى.

قال المصنّف: ويظهر منه، أي من كلام الجزري، توجيه آخر أيضاً كما لا يخفى.

١١٦ - ومنه ما أنشده في وقعة الجمل مخاطباً لابن الحنفيّة محمد ابنه رضي الله عنه:

اقحم فلن تنالك الأسنّه   وإنّ للموت عليك جُنّه

١١٧ - ومنه تمنّياً للعدم خوفاً من عذاب الله تعالى وتذلّلاً له:

ليت أمّي لم تلدني   ليتني متّ صبيّا

ليتني كنت حشيّاً   أكلتني البهم نيّا

بيان: البهم: جمع بهمة وهي أولاد الضأن.

١١٨ - ومنه في الشكوى من أهل الزمان:

عجباً للزمان في حالتيه   وبلاء دفعت منه إليه

ربّ يوم بكيت منه فلمّا   صرت في غيره بكيت عليه

١١٩ - ومنه ترغيباً في التهجّد:

يا نفس قومي فقد قام الورى   إن ينم الناس فذو العرش يرى

وأنت يا عين دعي عنّي الكرى   عند الصباح يحمد القوم السرى

بيان: الكرى: النعاس. والسرى - بالضمّ -: السير بالليل والمثل معروف.

قد وفّق الله تعالى للفراغ من هذا المجلد من كتاب بحار الأنوار، الموسوم بكتاب الفتن، على يدي مؤلّفه الفقير الخاسر القاصر ابن محمد تقيّ محمّد باقر ختم الله له بالحسنى، في سلخ شهر ذي الحجّة الحرام من شهور سنة إحدى وتسعين بعد الألف الهجرية.

والحمد لله أوّلاً وآخراً وصلّى الله على سيّد المرسلين محمد وعترته الأكرمين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

فهرس الجزء الثالث والثلاثون

فهرس الجزء الرابع والثلاثون